الإحياء

دورية علمية جامعية محكمة دولية تصدرها كلية العلوم الإسلامية بجامعة باتنة1 - الجزائر

قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية واللغات الأجنبية

المجلد: 22 – الجزء: 1 - العدد: 30 – جمادى الثانية 1443 هـ – جانفي 2022 م

ر.د.م.د: 1112-4350 – ر.د.م.د.إ: 2588-2406

الإحيـــاء

مجلة علمية جامعية محكمة دولية

تصدرهـا كليـة العلوم الإسلاميـة

جامعة باتنة (1) الحاج لخضر – الجزائر

المجلد: 22 - العدد: 30
جمادى الثاني 1443هـ/ جانفي 2022م

عنوان المراســلات
مجلة الإحيـــاء

كلية العلوم الإسلامية

جامعة باتنة (1)، الجزائر

الهاتف: 96 33 25 33 00213

الفاكس: 95 33 25 33 00213

رابط صفحة المجلة على البوابة الجزائرية للمجلات العلمية:

http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/92

الرابط المخصص لإرسال المقالات إلى المجلة هو:

http://www.asjp.cerist.dz/en/submission/92

قواعد وشروط النشر في مجلة "الإحياء"

1- تنشر المجلة الأبحاث العلمية الأكاديمية المحققة لشروط وقواعد البحث العلمي المتعارفة.

2- أن لا يكون المقال قد سبق نشره أو قدم لأي جهة أخرى للنشر، وأن يتناول قضية من القضايا التي تدخل ضمن اهتمامات المجلة وتخصصاتها العلمية.

3- أن لا يكون البحث مستلا من رسالة أكاديمية (ماستر أو ماجستير أو دكتوراه).

4- ينبغي أن لا يزيد البحث على ثلاثين صفحة وأن لا يقل عن عشر صفحات حجم (A4).

5- ترسل البحوث والمقالات العلمية – حصريا - على موقع المجلة في منصة المجلات العلمية الجزائرية، ضمن قالب الملف النموذجي للمجلة المتوفر في الموقع، وفق برنامج Word بخط Times New Roman حجم 14 بالنسبة للمتن و12 بالنسبة للهوامش.

6- أن يتضمن البحث ملخصاً بالعربية وآخر بالإنجليزية، مع الكلمات المفتاحية باللغتين كذلك.

7- أن يتضمن ملخص السيرة الذاتية للمؤلف: الاسم واللقب، الرتبة العلمية، مؤسسة العمل أو الدراسة، المنشورات العلمية، رقم الهاتف.

8- تخضع البحوث المرسلة إلى المجلة للتحكيم قبل نشرها، وتعلم إدارة المجلة أصحاب الأبحاث بنتيجة الخبرة.

9- لهيئة التحرير حق الفحص الأولي للبحوث وتقرير أهليتها للتحكيم أو رفضها، كما تحتفظ المجلة بحقها في حذف أو إعادة صياغة بعض العبارات التي لا تتناسب مع أسلوب النشر.

10- ترتب البحوث في كل عدد، وفق اعتبارات فنية، لا علاقة لها باسم الباحث أو رتبته العلمية.

11- ترسل البحوث والمقالات - حصريا - على رابط المجلة في البوابة الجزائرية للمجلات العلمية:

http://www.asjp.cerist.dz/en/submission/92

وللاتصال بالمجلة رقم الهاتف: **96 33 25 33 (213+)**

رقم الفاكس: **95 33 25 33 213+)**

البريد الإلكتروني للمراسلة: elihyaarevue@gmail.com

الإحـيـــاء

المدير الشرفي للمجلة:
أ.د. عبد السلام ضيف
مدير جامعة باتنة1

هيئة التحرير

مدير المجلة رئيس التحرير:

أ.د. مسعود فلوسي

عميد كلية العلوم الإسلامية

نائب رئيس التحرير
أ.د. نورة بن حسن

السكرتارية:
لينـدة محلبي

ر.ت.م.د: 1112 - 4350
ر.ت.م.د.إ: 2588 - 2406
رقم الإيداع في المكتبة الوطنية الجزائرية:
1998 - 1269

المحررون المساعدون

عبد الحليم قابة halim.gaba@gmail.com جامعة أم القرى - مكة

عبد المجيد بيرم birem61@yahoo.fr جامعة أم القرى – مكة المكرمة

بدران بن لحسن bbenlahcene@gmail.com جامعة حمد بن خليفة - قطر

عبد الحق حميش hamichemail@gmail.com جامعة حمد بن خليفة – قطر

عبد العزيز دخان adakhan@sharjah.ac.ae جامعة الشارقة - الإمارات

رشيد كهوس rachid1433@yahoo.com جامعة عبد المالك السعدي - المغرب

رحيمة عيساني rahimaaissani73@gmail.com جامعة العين - الإمارات

عبد القادر بخوش bekhouche@qu.edu.qa جامعة قطر

حميد آيت أولحيان hamidaitoulahyane@gmail.com وزارة التربية - المغرب

هشام يسري محمد العربي elkhallal@hotmail.com جامعة نجران -السعودية

أحمد عيساوي d.aisawi.ahmed@gmail.com جامعة باتنة1

حاتم باي hattim.bey@gmail.com جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة

عبد الكريم حامدي Abdelkrim_2007@yahoo.fr جامعة باتنة1

بدر الدين زواقة zaouaga@yahoo.com جامعة باتنة1

عبد الرزاق بلعقروز abderrezak19@yahoo.fr جامعة سطيف1

فؤاد بن عبيد fouadbenabid@yahoo.com جامعة باتنة1

نورة بن حسن nourabenhacene@yahoo.fr جامعة باتنة1

عائشة غرابلي gherabli.aicha@gmail.com جامعة باتنة1

عبد القادر بن حرزالله kharzallah@yahoo.fr جامعة باتنة1

هلايلي حنيفي hanifi_andalous@yahoo.fr جامعة سيدي بلعباس

عبد المجيد مباركية Aboumoncef2@outlook.fr جامعة الوادي

وسيلة خلفي khelfi66@yahoo.fr جامعة الجزائر1

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس العدد 30- جانفي 2022
قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية واللغات الأجنبية

الموضوع	الصفحة
- الصحافة الإسلامية كوسيلة لتنمية جوانب التربية الإسلامية **د/ سكينة العابد** - جامعة صالح بوبنيدر قسنطينة 3 **أ.م.د عبد الهادي محمود الزيدي**- جامعة بغداد	**825**
- البرامج التفاعلية عبر القنوات الفضائية العربية **د/ وهيبة مسامح - د/ وليدة حدادي** - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة سطيف 2	**839**
- الجذب وفعاليّة التّأثير في البرامج التّلفزيونيّة **زوليخة لوصيف** - كلية العلوم الإسلامية – جامعة باتنة 1	**861**
- المعالجة الإعلاميّة لقضايا التّنمية الاقتصاديّة بالجزائر خلال جائحة كوفيد 19 **سمية بن عمر- د/ كريمة عرامة** - كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار عنابة	**891**
- جائحة كورونا ووسائل الإعلام: قراءة في آليات التأثير **د/ منير طبي** - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة العربي التبسي تبسة	**909**
- تحقيق حادثة حرق طارق بن زياد لجثث الأسرى في فتح الأندلس **صالحي جلول - د/ عبد الباسط دردور** - كلية العلوم الإسلامية - جامعة باتنة 1	**921**
- جهود الخلفاء الموحدين في تطوير مجالهم الدفاعي **د/ مصطفى سالم** - جامعة باتنة1	**933**
- القبائل العربية بالمغرب الإسلامي (ق 5هـ-11م)..... **أحمد بن بلخير - د/ عبد القادر بوعقادة** - جامعة علي لونيسي – البليدة 2	**943**
- الفقر والجريمة في المغرب الأوسط - جدل السببية والحتمية- ق2-10هـ/ 8- 16م **بزة نوال - د/ عشي علي** - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة باتنة1	**957**
- النظرة إلى الموت بالمغرب الأوسط خلال القرنيين 7-9هـ/13-15م **د/ بكاي عبد المالك** - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة سطيف2	**979**
- مدينة بلزمة: دراسة في دور الحاضرة في العصر الوسيط **د/ طويل الطاهر** - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة باتنة 1	**991**
- الجزائريون والمسألة الرّبوية الاستعمارية الفرنسية 1830 – 1900 **د/ شقرة محمد** - جامعة باتنة 1	**1005**
- الحاكم العام الفرنسي في الجزائر الجنرال بيجو وأثر سياسته على الجزائريين 1841-1847 **بن عمارة زوينة - أ.د/ لونيسي إبراهيم** - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جيلالي ليابس سيدي بلعباس	**1019**
- وسائل الاستشراق الفرنسي في الجزائر أثناء الاحتلال **زوليخة معنصري - د/ خضرة بن هنية** - كلية العلوم الإسلامية – جامعة الجزائر 1	**1037**
- المغرب الأوسط في الكتابات التاريخية الجزائرية (1900- 2020) - نماذج مختارة- **جهاد زروال – أ.د/ جمال بن دعاس** - كلية العلوم الإسلامية – جامعة باتنة1	**1055**
- المؤسسات التعليمية بجنوب غرب الجزائر في العصر الحديث قراءة في الأدوار والأثر **د/ موساوي مجدوب** - كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية – جامعة سعيدة	**1069**

الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

- **الولاية الأولى والثورة التحريرية من خلال الكتابات التاريخية (1954-1956)** **1083**
  مغراوي هدى - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة محمد خيضر بسكرة
  أ.د/ علي أجقو - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة باتنة 1
- **إشكالية القاعدة الشرقية والتسليح خلال الثورة التحريرية** **1101**
  د/ عباس كحول – جامعة محمد خيضر بسكرة
- **المجلس الوطني للثورة الجزائرية – مسار وتحديات - (1956-1962م)** **1119**
  ميادة مزوزي – **أ.د/ سليمان قريري** – كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة باتنة1
- **القضية الجزائرية و صراع الحرب الباردة - العدوان الثلاثي على مصر نموذجا** **1135**
  تقي الدين عرباوي - أ.د/ محمد شرقي - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة 08 ماي 1945 قالمة
- **أخلاقيات البحث العلمي - ابن الهيثم أنموذجا** **1153**
  د/ شريف الدين بن دوبه – كلية العلوم الاجتماعية- جامعة سعيدة
- **نظرية تقويم التراث عند طه عبد الرحمن** **1163**
  جمال بروال - د/ بوالسكك عبد الغني – كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة باتنة1
- **من الحتمية إلى اللاحتمية: دراسة ابستيمولوجية في المفاهيم والنتائج** **1173**
  د/ داود خليفة – كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة الشلف
- **السعادة من خلال الدراسات المعاصرة** **1185**
  عبد الله سعيدي - عبد الرزاق سيب – كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة تلمسان
- **التوازن بين جوانب التكوين في برامج التكوين الأولي لأساتذة الرياضيات بالجزائر وكبيك** **1195**
  محمود شنتي – جامعة العربي التبسي تبسة
  د/ محمد الطاهر طالبي- المدرسة العليا للأساتذة، القبة القديمة
- **الشعور بالأمن النفسي وعلاقته بمهارة توكيد الذات لدى التلاميذ ضحايا التنمر المدرسي** **1209**
  د/ بن زروال رانية – كلية العلوم الاجتماعية- جامعة باتنة 1
- **الكشف عن مستوى تشتت الانتباه لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية** **1223**
  فضيلة سعدات - أ/ **زهية خطار** – كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة الجزائر2
- **تمثلات تلاميذ البكالوريا للمدارس العليا للأساتذة في الجزائر** **1241**
  أحمد ميلود حسين - فاطمة دروش – معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية - المركز الجامعي مرسلي عبد الله تيبازة
- **إدارة الجماعات المحلية وترقية المواطنة (الكفاءة والتحديات)** **1261**
  نادية موسى - د/ سلاف معطى– كلية العلوم الاجتماعية - جامعة محمد بن احمد وهران 2
- **الصورة النمطية للمرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية** **1273**
  وليدة مجراب - رابح درواش – كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة لونيسي علي البليدة 2
- **الطفل بين التنشئة الاجتماعية ومنصات التواصل الاجتماعي رؤية سوسيودينية** **1283**
  د/ اليمين شعبان – كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية - جامعة عباس لغرور خنشلة
- **تحليل لديناميكيات البحث في علم الانثربولوجيا بالجامعات الجزائرية باستخدام تحليل المصاحبة اللفظية** **1293**
  د/ شاشة فارس – كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة محمد لمين دباغين سطيف02
- **المكتبات العامة والمتعسرين قرائيا في ظل معايير الافلا** **1307**
  د/ تيتيلة سارة – كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة محمد لمين دباغين سطيف2

مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 825 – 838
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

الصحافة الإسلامية كوسيلة لتنمية جوانب التربية الإسلامية
- الواقع والتحديات –

Using the Islamic press as a means to develop Islamic education's aspects Reality and challenges

د/ سكينة العابد[1]
جامعة صالح بوبنيدر قسنطينة 3
Sakina.labed2018@gmail.com

أ.م.د عبد الهادي محمود الزيدي
جامعة بغداد
abdulhadialzaidi@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2021/06/20 تاريخ القبول: 2021/08/17

الملخص:

هدفت هذه الدراسة استشراف علاقة الصحافة الإسلامية بتنمية جوانب التربية الإسلامية ماضيا وحاضرا ومستقبلا، من خلال اعتماد المنهج الوصفي والتاريخي التحليلي، وباستشراف الواقع وتحدياته، ثم التطرق للأفاق المستقبلية المنوطة بالصحافة الإسلامية في قيامها بدور تنمية جوانب التربية الإسلامية، لما لهذه الوسيلة من تأثير بارز على جموع القراء. وبناء عليه ستركز دراستنا على الإجابة على السؤال المحوي التالي: ما واقع الصحافة الإسلامية كوسيلة تعمل على تنمية جوانب التربية الإسلامية؟

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة هو كون الصحافة الإسلامية دورا كبيرا في تنمية جوانب التربية الإسلامية باعتبارها أهم وسيلة للدعوة والإعلام، ومن خلال معالجتها لأهم القضايا التي تهم المجتمعات الإسلامية، وقد بدى هذا بارزا من خلال قراءة تاريخية في فحوى الصحافة الإسلامية ماضيا وحاضرا.

وعلى الرغم من هن أهمية هذا الدور فهي تعاني من تحديات جمة تجاه تحقيق هذه التنمية، منها مشكلة المرجعية وأزمة الكوادر الإعلامية المتخصصة، ومختلف الإشكالات الأخرى والمرتبطة بالغزو الثقافي الموجه، وأخيرا التحديات المتعلقة بمحتوى الرسالة الإعلامية في حد ذاتها بما يجعلها شبه عاجزة عن القيام بمتطلبات هذا الدور.

الكلمات المفتاحية: الإعلام الإسلامي؛ الصحافة الإسلامية؛ التربية الإسلامية؛ التنمية.

Abstract:

This study aimed to anticipate the relationship of the Islamic press with the development of the Islamic education's aspects in the past, present and future time, using the descriptive and historical-analytical approach. The future prospects of the Islamic press has been discussed in its roles that are related to the development of Islamic education's aspects, by anticipating the reality and its challenges due to the importance of this medium of prominent impact on the masses of readers. Based on the foregoing, our study will focus on answering the following main question: What is the reality of the Islamic press as a mean that develops aspects of Islamic education? One of the most important findings of the study is that the Islamic press has a great

[1] المؤلف المرسل.

role in developing aspects of Islamic education as the most important means of advocacy and media, and by addressing the most important issues related to Islamic societies, this is evidenced by the historical study of the contents of the Islamic press in the past and present. Despite its effective role, it faces many challenges towards achieving this development, including the problem of reference and the crisis of specialized media figures. And various other problems related to the directed cultural invasion, finally the challenges related to the content of the media message itself, which makes it almost unable to fulfill the requirements of this role .

Keywords: Islamic media; Islamic press; Islamic education; development

مقدّمة:

يعرف الإعلام بأنه ليس رافدا من روافد الحداثة والتقدم التقني، بل هو مرتبط نشأة وتطورا بتاريخ الإنسان منذ أن سكن الأرض وعمرها، فكل البحوث المرتبطة بهذا الشأن تشير إلى المراحل التي مرت بها المجتمعات على المستوى الاتصالي والإعلامي، بدءا من الكلام، ومرورا بالألواح وورق البردي ووصولا لفن الخطابة، وهذا كله قبل ظهور وسائل الإعلام المعروفة الآن.

ويشهد هذا العصر نموا مطردا للمعلومات، نظرا لاتساع رقعة الثورة التكنولوجية وارتباطها بوسائل الإعلام والاتصال، الذي تعد اليوم الأبرز لإيصال المعلومة ونشرها.

والملاحظ أن الإعلام اليوم لم يعد يقم بالدور المنوط به من إخبار وتثقيف مع بروز ما أصبح يسمى بالعولمة الإعلامية التي جعلت منه سلعة بيد شركات تجارية تسيره وفق مبدأ الربح والخسارة، يغلب عليه الطابع الكمي والاستهلاكي، خصوصا مع استخدام لفظ (المنتوج) بدل (الإبداع)، (والترويج) بدل (النشر)[1].

ويعد تناول موضوع الإعلام الإسلامي عموما، والصحافة الإسلامية خصوصا من أصعب مجالات البحوث الإعلامية لارتباطهما بالشريعة الإسلامية التي هي منهج حياة، ولوجود الاختلافات في التعريف لهما لدى الباحثين والدارسين.

والتربية الإسلامية أيضا موضوع مهم فهي في مفهومها الواسع: فهي كل العمليات التي يمارسها المجتمع الإسلامي لتنمية الفرد تنمية عقلية وجسمية، وأخلاقية واجتماعية قائمة على تعاليم الإسلام المنصوص عليها في القرآن الكريم والسنة النبوية، والمعبر عنها فيما مر من سلوك الصحابة والتابعين والصالحين، بهدف إيجاد إنسان مهتد برسالة الإسلام، ومقتد بالرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام.

وعليه، فالتربية الإسلامية تسعى لتنمية شخصية الإنسان المسلم كاملة لكي يعيش السعادة في الدنيا والآخرة، ولكي يحقق أيضا التوازن والنظام في المجتمع المسلم وعلى جميع الأصعدة.

وبناء عليه، فإن الصحافة الإسلامية قامت ويمكن أن تقوم بدور كبير في تنمية أسس وجوانب التربية الإسلامية مترجمة إياها عبر مختلف الفنون الصحفية.

مشكلة الدراسة:

استطاع الإسلام أن يحدث تغيرات تربوية هائلة في بناء وتكوين الإنسان، وسما به نحو مراتب أخلاقية رفيعة. فالتربية كانت المنهج الذي اعتمده النبي ﷺ لإحداث النضج الفكري والنفسي والسلوكي، فكان المسلم بما استمده من هذا الدين النموذج الذي تفرد بالتربية الشاملة في كل مناحي الحياة.

ويعد الإعلام عموما والصحافة خصوصا منبرا أساسيا اليوم في حياتنا اليومية لما له دور في عملية التأثير في وعي الجمهور وتشكيل الرأي العام، كما يعتبر الإسلام دين الكمال، لاهتمامه بالدنيا والآخرة، الروح والعقل.

وقد شهد العالم الإسلامي مع بدايات القرن العشرين صحوة إسلامية والتي جاءت كمحصلة طبيعية لجملة من المتغيرات والتحديات التي واكبت تلك الفترة. وكان من جملة ما طمحت إليه هذه الصحوة هو العودة لمنابع الإسلام الأولى وتحكيم الشريعة الإسلامية، وحماية الإسلام من هجمات المعادين له خصوصا بعد أن شهد العالم الإسلامي استعمارا عسكريا وثقافيا استمر ردحا من الزمن.

وعلى هذا الأساس تبرز أهمية أن يتأسس إعلام يتبنى هذا الطرح وهذه المبادئ للتعبير عنها، ونشرها وإقناع الجمهور بها، فظهر الإعلام الإسلامي ليغطي هذه الجوانب ويعبر عنها وينشرها، خصوصا وأن الإعلام يستمد تعريفه من المعنى اللغوي له باعتباره تبليغا لمعلوم خبري[2].

ومنه حديث النبي ﷺ: "بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّار"[3]، والإعلام راهنا هو سمة العصر وأداته الكبرى، حتى سمي بعصر المعلومات والاتصال والإعلام.

لذلك تتوسل الدعوة وهي أصل هام من أصول الإسلام بالإعلام لإيصال وتبليغ هذا الدين ونشره في ربوع العالم، وما نلاحظه أن الصحافة الإسلامية قد قطعت شوطا كبيرا محاولة إثبات وجودها، وكسب امتيازات الانتشار والتوسع لكسب قاعدة متينة من القراء.

والتربية الإسلامية في مفهومها الواسع هي كل العمليات التي يمارسها المجتمع الإسلامي لتنمية الفرد تنمية عقلية وجسمية، وأخلاقية واجتماعية قائمة على أساس تعاليم الإسلام المنصوص عليها في القرآن الكريم والسنة النبوية، والمعبر عنها فيما مر من سلوك الصحابة والتابعين والصالحين، بهدف إيجاد إنسان مهتد برسالة الإسلام، ومقتد بالرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام.

وانطلاقا من هذا، يمكن القول إن للصحافة الإسلامية بما تتميز به من الخصوصية الحضارية في عرض الإسلام دور كبير في تنمية جوانب التربية الإسلامية كونها الفاعل الذي يعرض قيمها التي تدعو للبناء والتحضر ورعاية الإنسان أخلاقيا، لذلك يمكن القول أن للتربية الإسلامية مسؤولية كبرى في ظل التحديات الراهنة وهذا العالم المتغير. وبالتالي عليها أن تجتهد وتقوم بدورها في معالجة الواقع ومسايرة الأحداث، وذلك بالربط الخلاق بين معطيات هذا الدين الذي دعائمه القرآن والسنة النبوية الصالحة لكل زمان ومكان مع مختلف القضايا والأزمات المطروحة والتي تهم جموع المسلمين.

ولقد شهد العالم الإسلامي منذ بدايات القرن العشرين ظهور العديد من الصحف ذات الاتجاه الإسلامي عملت ولازالت تعمل لتحقيق مقاصد الإسلام ونشره، ومن هنا يتجلى السؤال الكبير الذي تقوم عليه هذه الورقة: ما واقع الصحافة الإسلامية كوسيلة تعمل على تنمية جوانب التربية الإسلامية؟

تساؤلات الدراسة:

ستحاول هذه الدراسة الإجابة على التساؤل الرئيس التالي:

ما واقع الصحافة الإسلامية كوسيلة تعمل على تنمية جوانب التربية الإسلامية؟

ومنه تندرج الأسئلة الفرعية التالية:

- ما مفهوم الإعلام الإسلامي؟ وما مفهوم الصحافة الإسلامية؟ وما أهداف وأهمية الوجود والتأسيس؟
- ما مفهوم التربية الإسلامية؟ وما أسسها وركائزها؟ وما وجه العلاقة بينها وبين الصحافة الإسلامية؟
- ماهي جملة التحديات التي تواجه هذه العملية؟ وكيف يمكن استشراف مستقبل العلاقة بينهما؟

حدود الدراسة:

ترتبط هذه الدراسة بما يلي:

- حدود مفهوم الصحافة الإسلامية، وهي الصحافة التي تعالج مختلف قضايا الحياة وأحداثها من منظور إسلامي، وتقديم هذه القضايا والأحداث للجماهير بلغة مناسبة، وباستخدام مختلف الفنون الصحفية المناسبة.
- حدود مفهوم التربية الإسلامية وما تلتزم به هذه الدراسة يتحدد ضمن مفهوم ضمان تنشئة الإنسان من جميع جوانب حياته وفق المنهج الإسلامي بغية السعادة في الدارين.

أهمية الدراسة:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من أهمية المتغيرات المشكلة لعنوانها وتساؤلاتها، ويمكن إجمالها في النقاط التالية:

- أهمية دراسة الصحافة الإسلامية باعتبارها وسيلة من وسائل الدعوة والأعلام، والكشف عن مدى اهتمامها بإبراز جوانب التربية الإسلامية والترويج لها.
- ضرورة أن تهتم الصحافة بتنمية جوانب التربية الإسلامية من خلال ما تطرحه من مضامين إعلامية مختلفة.
- أهمية الاطلاع ودراسة مجريات المسار التاريخي للصحافة الإسلامية، باتباع مراحلها المختلفة، وما جابهها من تحديات وتغيرات ومواقفها من مجمل القضايا المحورية التي تهم المجتمع المسلم.
- أهمية مقاربة الصحافة بموضوع التربية الإسلامية، كونها أحد منافذ الإصلاح، وإبراز مدى تأثيرها وانعكاسها على المستوى الأخلاقي للمجتمع.

خطة الدراسة:

تتضمن الدراسة المباحث التالية:

1- مفهوم الإعلام الإسلامي، خصائصه وأهدافه.
2- مفهوم الصحافة الإسلامية، ظهورها ونشأتها وأنواعها.
3- مفهوم التربية الإسلامية، أهميتها، ومنهجها.
4- الصحافة الإسلامية والوظائف التي تنمي جوانب التربية الإسلامية.
5- واقع الصحافة الإسلامية والتحديات المواجهة واستشراف المستقبل.
- خاتمة وتوصيات.

أهداف الدراسة:

تتوخى هذه الدراسة تحقيق جملة من الأهداف، أهمها:

- التعريف بالإعلام الإسلامي ثم بالصحافة الإسلامية تاريخا وراهنا، وبيان أهمية تواجدها على الساحتين الاجتماعية والتربوية.
- توضيح أهم جوانب التربية الإسلامية والتي بالإمكان تنميتها من الصحافة الإسلامية.
- الاطلاع على جملة التحديات المنوطة بالصحافة الإسلامية للقيام بهذا الدور مع استشراف مستقبلها المأمول.

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي النقدي، عبر رؤية استشرافية نتدارس عبرها دور الصحافة الإسلامية كوسيلة إعلامية بإمكانها أن تسهم وبشكل كبير في تنمية التربية الإسلامية، فاستشراف الحاضر والمستقبل أصبح جزءا مهما من البحوث العلمية عبر استنباط النتائج وتوقعها من خلال دراسة واستتباع التراكمات المعرفية المتوفرة.

1- الإعلام الإسلامي، مفهومه خصائصه وأهدافه:

مفهوم الإعلام الإسلامي:

يعد الإعلام مكونا رئيسيا وعنصرا فاعلا من عناصر التنشئة الاجتماعية إلى جانب الأسرة والمدرسة، نظرا للدور الذي يقوم به في نشر الفكر والرأي والمعرفة.

إن لم نقل أنه يعد اليوم أقوى العناصر في التأثير على انطباعات الناس ومعاييرهم، حتى بات معه الإنسان يوصف بأنه كائن إعلامي[4].

أما الإعلام الإسلامي فهو الإعلام الذي يعكس الروح والمبادئ الإسلامية، ويمارس في مجتمع إسلامي، ويتناول كافة المعلومات والحقائق والأخبار المتعلقة بكافة نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقانونية والدينية والأخلاقية[5].

وقد تعددت تعاريف الإعلام الإسلامي وتقاطعت في الكثير من جوانبها، نذكر منها على سبيل النمذجة لا الحصر ما يلي:

" يعرف الإعلام الإسلامي بأنه يهدف إلى تزويد الجمهور بصفة عامة بحقائق الدين الإسلامي المستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بصورة مباشرة أو غير مباشرة من خلال وسيلة إعلامية دينية متخصصة أو عامة بواسطة قائم بالاتصال لديه خلفية واسعة ومتعمقة في موضوع الرسالة التي يتناولها"[6].

ويعرفه آخر بأنه: "الإعلام الذي يستمد مقوماته الأساسية من تعاليم الإسلام، ويستخدم الجهود الفنية والعلمية المدروسة ووسائل الإعلام الحديثة في نشر الأفكار والمعلومات الصادقة والتي تعمل على تكوين رأي عام يدرك حقائق الدين الإسلامي"[7].

ويعرفه الدكتور عبد الهادي الزيدي في بحثه مسؤولية الإعلام الإسلامي في الدفاع عن رسول الله ﷺ بقوله: نشاط اتصالي يهدف منه المرسل إيصال مفاهيم الدين الإسلامي إلى المتلقي في رسائل إعلامية مختلفة وعبر وسائل متنوعة للتأثير في الرأي العام[8].

خصائصه:

ومن خلال مجمل هذه التعريفات يمكننا تلخيص أهم خصائص الإعلام الإسلامي والمتمثلة في:

- الارتباط بين المبادئ العامة للإعلام الإسلامي وبين الممارسة الفعلية لها، وذلك من خلال تقييم الأساليب الإعلامية المختلفة للأنبياء والمرسلين هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى استوعب المصطفى ﷺهذه المبادئ وصدعتها كل أقواله وتصرفاته.
- يستمد القائم بالاتصال الإسلامي إرادته من ذاته، فهو لا يمارس العمل الإعلامي إرضاء لفرد أو جماعة أو هيئة أو سلطة، وإنما إرضاء لذاته الراغبة في شيوع الخير وانتشاره، وهو بهذا يعطى عن طواعية ورغبة ووعي أقصى ما يستطيع من قدراته.
- يتسم مضمون الرسالة الإعلامية للقائم بالاتصال الإسلامي بالدقة ويرتبط بالأهداف الموضوعية، ويأخذ بالاعتبار خصائص المستقبلين.
- يتسم الإعلام الإسلامي بأنه إعلام مطرد النمو وقوته في حركته إلى الأمام مستمدة من قوة دفع الأثر التراكمي للدعوة الإسلامية عبر جهود الإعلاميين والدعاة لمئات السنين.[9]

أهداف الإعلام الإسلامي:

ما تجدر الإشارة إليه أن أهداف الإعلام الإسلامي لا تتحدد ضمن أطر الوعظ والإرشاد والتوعية بتعاليم الدين، بل آفاقه تتسع لأبعد مدى، وعليه يمكن أن نحدد هدفين أساسيين للإعلام الإسلامي وهما:

- هدف تنسيقي تركيبي: وهو الهدف الذي يعمل على تماسك الأمة الإسلامية واعتصامها بحبل الله فلا فرقة ولا انقسام، بل التزام دائم بالقيم الإسلامية ودعوة متجددة للتضامن والتعامل والتكامل[10]، كما قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران: 103).

- هدف انتقائي توجيهي ويتمثل في إلقاء الضوء على كل جديد مع دراسته وتقويمه بمعايير الإسلام وعلى هدى مبادئه، كما في قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: 125).

وتندرج ضمن هذين الهدفين الكبيرين جملة من الأهداف الفرعية منها:

- الدفاع عن حقوق المسلمين والحقوق الإنسانية كالحرية والكرامة، وبناء الشخصية الإسلامية المتوازنة وتكوين المجتمع الإسلامي المتماسك والمتكامل المبني على عقيدة الإسلام ومبادئه وقيمه[11].

2- مفهوم الصحافة الإسلامية:

تعد الصحافة من أقدم وسائل الإعلام ظهورا، إذ ارتبط وجودها باختراع المطبعة في أوروبا من طرف الألماني (جوتنبرج)، حيث عد هذا الاختراع فتحا كبيرا أمام الكتابة والتدوين، ثم نشر الأخبار وسرد الحوادث ومختلف الكتابات، فبزغ فجر الصحافة في أوروبا تحديدا قبل أن تنتقل إلى ربوع العالم.

وإذا ما بحثنا في جذور مصطلح الصحافة أو الصحيفة؛ فهي مجموع الصفحات التي تصدر يوميا وفي مواعيد منتظمة، وتتضمن أخبار الساسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة وما يتصل بها، فسميت صحيفة، وعليها أو منها تسمى صحافة، والمزاول لها يسمى صحفيا (بكسر الصاد)[12].

والصحافة بمعنى journalisme هي المؤسسة التي يعمل فيها المتخصصون في صناعة الأخبار، وقد أطلق عليها صحافة بسبب أن الصحف التي تضمنت على مدى التاريخ، الجرائد والوريقات الإخبارية، المجلات كانت الوسيلة الوحيدة كانت الوسيلة الوحيدة لأربع قرون، ومن هنا عرفت الصحافة بأنها مهنة تغطية الأخبار وكتابتها وتحريرها[13].

أما مصطلح الصحافة الإسلامية فيعد من المصطلحات الحديثة النشأة، حيث ظهر في القرن الماضي في مشاريع وأدبيات الصحوة الإسلامية، مثل الإعلام الإسلامي والأدب الإسلامي، والفن الإسلامي، وعلم النفس الإسلامي، وعلم الاجتماع الإسلامي، والاقتصاد الإسلامي، "والصحافة الإسلامية هي جزء لا يتجزأ من الصحافة التقليدية ولكنها تتميز عنها بأنها تستمد مصادرها من الدين الإسلامي الحنيف فما يتوافق مع الشريعة الإسلامية ويرضي الله تعالى فهو ضمن موضوعاتها واهتماماتها، وما يتنافى والشريعة ورضا الله تعالى فعليها أن تبتعد عنه"[14].

وقد يتبادر لأذهان الكثيرين أن كلمة صحافة إسلامية تعني جريدة أو مجلة دورية تدعو إلى الإسلام بأسلوب تقريري، وكأنها مجلة إعلانات أو منبرا للخطابة، وهذا قد يكون منفرا إعلاميا[15]، لذلك لابد من الابتعاد بها عن هذه الصورة الذهنية المتوارثة وعن تلك الأساليب النمطية والتقليدية في الطرح والمعالجة خصوصا في طل المتغيرات التكنو-إعلامية الراهنة.

وعرفت الصحافة الإسلامية أيضا بأنها: "هي الصحافة التي تبتغي بعملها وجه الله، متحرية الصدق والحقيقة في كل ما تنشره وتعاليم الإسلام متصفة بالأناة والحكمة في كل ما تكتبه من معلومات وأخبار،

مراقبة الله في أداء رسالتها السامية، ملتزمة بالقيم والمبادئ وتعاليم الإسلام مبتعدة عن التضليل والخداع والنفاق"[16].

وعرفها آخر بأنها: "الصحافة التي تعالج مختلف قضايا الحياة وأحداثها من منظور إسلامي، وتقديم هذه القضايا والأحداث للجماهير بلغة مناسبة، وباستخدام الفنون الصحفية المناسبة، والإفادة من كل وسائل التكنولوجيا الحديثة، ويتولى عرض القضايا محررون مسلمون على معرفة عميقة بالإسلام، بما يخدم الأهداف والمثل والقيم الإسلامية"[17].

وما نلاحظه على مجمل هذه التعريفات أنها تلتقي في معظم جوانبها مؤكدة على خصائص مهمة ومتعارف عليها منها الالتزام بأخلاق الإسلام وقيمه وثوابته، ليبقى السؤال قائما: هل هذا كاف؟؟؟

ظهور ونشأة الصحافة الإسلامية:

كان لظهور الصحافة الإسلامية في العالم الإسلامي دوافع كبرى، أهمها حاجته لصحافة تساير ظروف العصر الذي كان يعج بالصحف المختلفة الاتجاهات والرؤى، خصوصا صحف الدول المستعمرة آنذاك التي كانت تصدر عبرها سياستها وثقافتها ورؤاها، محاولة عبر سياسات الترهيب أحيانا والترغيب أحايين أخرى استمالة العقل المسلم واستدراجه نحو التأثر وذوبان عقيدته سلاح وحدته وحضارته.

وبالرجوع للمصادر والأحداث التاريخية نجد أن أول صحيفة تستجمع هذه المزايا هي صحيفة "العروة الوثقى" التي صدر العدد الأول منها بتاريخ 11 مارس 1884، والعدد الثامن عشر والأخير في 17 أكتوبر 1884، وعلى الرغم من أنها فترة قصيرة لا تقاس بعمر الصحف، إلا أن هذه الصحيفة استطاعت وخلال هذه الفترة المحدودة أن تصل إلى درجة كبيرة من الشهرة والانتشار، حيث امتد صداها في كل من مصر، والهند، والجزيرة العربية، وسوريا، والعراق، وإيران، وأفغانستان[18]، وغيرها من بلاد العرب والمسلمين.

وتأسيسا على ذلك يمكن عد هذه الصحيفة هي النواة الأولى لنشوء الصحافة الإسلامية، لكن الملاحظ عليها أنها كانت على درجة كبيرة من الوعي السياسي والنضج الفكري، نظرا للأقلام المفكرة الواعية التي كتبت فيها، مما زاد في انتشارها ورواجها وشهرتها، مالم تستطع أي صحيفة إسلامية أخرى أن تقوم به من تخطي الحدود الإقليمية لتصل إلى مثل هذه الدرجة من التأثير الكبير[19].

لكن ربما نرجع هذا التأثير لكون فكرة الصحافة الإسلامية جديدة على الساحة الثقافية والإعلامية آنذاك، وهذا ما دعا شعوب ومثقفي العالم الإسلامي للاكتشاف والاهتمام من جهة، ولأن المضامين تنطلق من عمق ثقافتهم وانتماءهم وقضاياهم الكبرى من جهة أخرى، مما استدعى لأن يكون خطاب هذه الصحافة خطابا مستقطبا.

وما يحدث الآن، هو أن الصحافة الإسلامية أصبحت ظاهرة صحفية، وفضاء إعلاميا تتجاذبه عشرات العناوين، لكنها تتفاوت من حيث المستوى والشهرة والتأثير، لاعتبارات وعوائق ومشاكل كثيرة كانت ولا زالت ترزح تحتها الصحافة الإسلامية في كامل العالم الإسلامي.

أهداف الصحافة الإسلامية:

تكشف المتابعة التاريخية لنشأة الصحافة الإسلامية وتطورها بمجموعة من الأهداف والمحددات التي تتمتع بالثبات والتشابه عبر المراحل التاريخية المتباينة، فإلى جانب الأهداف العامة لأي صحيفة كالإعلام والتثقيف والترفيه، هناك أهداف أخرى تختص بها الصحافة الإسلامية باعتبارها تلبس بلبوس هذا الدين ، " وبما أن الإسلام يحرص في كل معالجاته على بناء الإنسان وتربيته وإعداده إعدادا صالحا ، إيمانا بأن

صلاح الإنسان شرط صلاح الحياة الفردية والاجتماعية ، ومن هذا المنطلق تصبح الوظيفة الرئيسية والهامة للصحافة الإسلامية هي ترقية اهتمامات الناس قبل تلبيتها، والسبق لهذه الترقية من أهم مبادئها"[20]

وإضافة لهذا المبدأ الأساسي، تتجلى العديد من الأهداف الأخرى التي تميز الصحافة الإسلامية عن غيرها، ويمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- خلق مجتمع متعارف بما تقدمه من قضايا اجتماعية، ومن أنشطة إنسانية وخبرات فكرية أو سلوكية شريفة والتقويم الصحيح للعلاقات والأعمال، ونشر وتأصيل الثقافة الإسلامية فكرا وسلوكا، ونشر المبادئ السامية والأخلاق الرفيعة ومحاربة الثقافات المنافية لقيم وتعاليم نظم الإسلام.[21]
- تسعى الصحافة الإسلامية إلى تطبيق الشريعة والالتزام بأحكامها، وإقامة الدولة الإسلامية التي تحتكم إلى الإسلام بمصدريه الأصليين: القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ويمثل ذلك حلما غالبا لدى الصحف سواء اكانت تلك التي شهدت البدايات التاريخية أم هذه التي تصدرت في هذه الفترة المعاصرة. تلتزم الصحافة الإسلامية بدور دفاعي يمثل جانبا أساسيا في رسالتها في مواجهة القوى المعادية للإسلام والمسلمين.
- تلتزم الصحافة الإسلامية بدور بنائي يتلازم مع الدور الدفاعي، ويركز هذا الدور على تربية النشء تربية إسلامية تعتمد على تدعيم العقيدة في النفوس وتعزيز الاتجاهات المحابية لهذه العقيدة[22].

ومن خلال الهدف الأخير تتجلى أهمية أن تقوم الصحافة الإسلامية بدور التنمية والبناء التربوي للنشء من خلال قيامها بوظيفتها التعليمية والتثقيفية، هذه الأخيرة التي تعتبر من أهم وظائف الصحافة، ومنه منطلق وعمق بحثنا، مساره وأهدافه.

3- مفهوم التربية الإسلامية وأهميتها:

المفهوم اللغوي:

جاء في لسان العرب لابن منظور أن معنى كلمة (تربية من أرتبه ورباه تربية بمعنى أحسن القيام عليه ووليه حتى يفارق الطفولية كان ابنه أم لم يكن)[23].

جاء في لسان العرب لابن منظور أن معنى كلمة (تربية من أرتبه ورباه تربية بمعنى أحسن القيام عليه ووليه حتى يفارق الطفولية كان ابنه أم لم يكن)

كما يتضمن مصطلح التربية دلالات لغوية متعددة، تشير جميعها إلى ما ينبغي أن تتضمنه العملية التربوية من أنشطة، كما يتضح مما يلي:

1- **الإصلاح**: رب الشيء إذا أصلحه، والإصلاح قد لا يقتضي الزيادة، وإنما التعديل والتصحيح.

2- **النماء والزيادة**: ربا يربو بمعنى زاد ونما، وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (الحج: 5).

3- **نشأ وترعرع**: تربى، يرْبى على وزن خفي يخْفى، أي نشأ وترعرع، وعليه قول الأعرابي: فمن يكفي سائلا عني فإني: بمكة منزل وبها ربيت.

4- **التعليم**: قال ابن منظور: الرباني من الرب بمعنى التربية، وقال ابن الأثري: الرباني العالم المعلم الذي يغدو الناس بصغار العلوم قبل كبارها، والرباني الراسخ في العلم، أو الذي يطلب بعلمه وجه الله تعالى.

ومن خلال هذه التعريفات اللغوية أن التربية تدور حول الإصلاح، والقيام بأمر المتربي، وتعهده ورعايته، وأن مفهوم التربوي مرتبط بكل تلك المعاني[24].

المفهوم الاصطلاحي:

مفهوم التربية: نظام اجتماعي يحدد الأثر الفعال للأسرة والمدرسة من النواحي الجسمية والعقلية والأخلاقية حتى يمكنه أن يحيا حياة سوية في البيئة التي يعيش فيها وهي عملية لتكييف الفرد ليتمشى ويتلاءم مع تيار الحضارة التي يعيش فيها، وبهذا تصبح التربية عملية خارجية يقوم بها المجتمع لتنشئة الأفراد ليسايروا المستوى الحضاري العام[25].

وعرفت التربية أيضا بأنها: تنشئة الإنسان شيئا فشيئا في جميع جوانبه ابتغاء سعادة الدارين وفق المهج الإسلامي[26].

أما التربية الإسلامية فهي التي تصوغ تشريعاتها، منهجها وأهدافها من العقيدة الإسلامية والتشريع الإسلامي، بهدف بناء الإنسان الصالح وضمان ابتعاده عن الانحرافات السلوكية، ومواجهة التحديات الفكرية.

ويرى الباحثان أن أفضل من يقوم بهذا الدور هو الصحافة الإسلامية، فإلى جانب أدوار أخرى كالإعلام والترفيه والتثقيف فبإمكان الصحافة الإسلامية أن تكون لها الوظيفة التربوية أيضا.

4- الصحافة الإسلامية والوظائف التي تنمي جوانب التربية الإسلامية:

بعد أن تطرقنا بالحديث عن التربية الإسلامية، لابد من التعرض لوظائف الصحافة الإسلامية التي يمكن تصنيفها بما يخدم تنمية جوانبها، هذه الوظائف التي حددناها من خلال ما قدمناه من خصائص وأهداف الإعلام الإسلامي سابقا، والتي بالإمكان حوصلتها ضمن وظائف قسمناها كالتالي:

أولا/ الوظيفة التربوية

من وظائف الإعلام الإسلامي عموما والصحافة الإسلامية هو نشر المعلومة الصحيحة، وعليه لابد وأن تنبني على أخلاقيات تنسحب بها عن دائرة الشهرة المغلوطة والقائمة على شهوة المادة.

وهذه الأخلاقيات إذا ما تحلت بها الصحافة الإسلامية فهي ستؤسس لنشر أخلاقيات تلتقي وأسس التربية الإسلامية، وعليه فإنها ستقوم بوظيفة تربوية لا تتناقض والوظيفة التربوية للتربية الإسلامية التي تتكئ على الصحافة لنشر فلسفتها، وخطابها وفق الأسلوب الدعوي المعروف بالحكمة والموعظة الحسنة.

ويمكن تحديد أسس هذه الوظيفة التربوية عبر تحقيق ما يلي:

1- تعريف المجتمع بمخاطر انتشار الجهل بين الناس، والآثار السلبية العديدة المترتبة على ذلك الأمر، والتي قد تقلل من شأن أكثر المجتمعات التي تحتوي على موارد وثروات، فالموارد المختلفة بحاجة إلى إدارة صحيحة، ثم ستكون بحاجة إلى تطبيق العلوم والمعارف والمهارات المختلفة من أجل الاستفادة منها بأقصى درجة ممكنة، وهنا تماماً تبرز وظيفة التعليم، التي تسهم بها وسائل الإعلام، قبل أن تتطور هذه الوظيفة إلى مرحلة أكثر أهمية، أو بمعنى وجود دور آخر لوسائل الإعلام في التعليم، يتأكد في تغيير الثقافة السائدة في المجتمع عن عدم جدوى تعليم بعض الفئات في المجتمع والتي تقبع في خانة العاطلين أو غير المنتجين[27]، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: 11).

2- تنمية الوعي وغرس الثقافة، فتقوم وسائل الإعلام بتنمية الوعي الإعلامي والتربوي والقدرات المختلفة لطلبة العلم في المراحل العمرية المختلفة من خلال التعرض بوعي لوسائل الإعلام، ليتفهموا إن هذا الاستخدام، يتم بعقول ناضجة وأفكار واعية من خلال معرفة أبجديات العمل الإعلامي للتقييم والتحليل للرسائل الإعلامية التي تطرحها وسائل الإعلام، وترشيد عملية التعرض هذه من خلال بناء الوعي والفكر النقدي للعملية الإعلامية، وهي خطوة أولية لغرس القيم التربوية: وذلك من خلال متابعة سلوكيات طلبة

العلم في مدارسهم، وفي المجتمع، يتم ذلك بغرس القيم والأخلاق الكريمة مثل احترامه لوالديه وحبه لزملائه، وولائه لوطنه وحفاضه على بيئته، متصفاً بصفات المسلم الكريم والعربي الأصيل[28].

ثانيا- الوظيفة المعرفية والتقنية

1- قوله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: 114)، يدفع بالصحافة الإسلامية لربط مجتمع التربية والتعليم بآخر المستحدثات العلمية والتقنية المنتجة في العالم، وتعريف منتسبي هذين القطاعين بأحدث الوسائل التعليمية، والتربوية، المتبعة أو التي تمّ التوصل إليها في أكثر بلدان العالم رقياً وتقدما، مما يسهم في نهضة قطاع التعليم، وحصد نتائج نجاحه في المجتمع.

2- أدت التطورات العلمية الجديدة إلى فتح آفاق جديدة وتوثيق العلاقات مع قطاع التعليم، فهناك زيادة واضحة في البرامج التربوية للإعلام، وهذا يعني الإسهام في خلق بيئة تعليمية حديثة، ومواكبة للتطورات، وقد أولى الكثير من المفكرين والباحثين والسلطات الحكومية من خارج منظومة الدول المتقدمة، أهمية كبيرة للقيمة التربوية لوسائل الإعلام ولأثرها في التطور الثقافي، وهذا يعني تعميق دور الإعلام في التربية وفي التنشئة الاجتماعية[29].

ثالثا- الوظيفة التعبدية

قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (العنكبوت: 45)، يوضح الأثر الإيجابي للعبادة في سلوك الفرد والمجتمع، فتحقق الصحافة الإسلامية في هذا الجانب: تأمين جانب الاتصال بين الإنسان وربه، وتشعر الفرد بالاطمئنان عن طريق ذكر الله تعالى، وتشعره بالقرب من ربه الجليل والرضا بما قسمه له، ومحبته تعالى.

كما تقوم الصحافة الإسلامية بتربية المجتمع على فضائل الأعمال والأخلاق السامية والقيم الرفيعة المرتبطة بالجانب العبادي الذي فرضه الله تعالى على الناس، ولا يخفى على أحد ما لهذه العبادات من أثر إيجابي بناء على سلوك الفرد والمجتمع، ويتعمق ذلك كلما أكدت عليه وسائل الإعلام وعملت على نشره[30].

رابعا- الوظيفة الفكرية والثقافية

1- وذلك بتشجيع الطلبة على اعتماد أساليب التفكير الناقد، والتحليل، وتعريفهم بسبل ووسائل حل المشكلات المختلفة، وإكسابهم الملكات، والقدرات الفكرية الخاصة بهذا الأمر، وذلك من خلال تنبيه المجتمع إلى الأخطاء المرتكبة في العملية التربوية والتعليمية، ومراقبة المؤسسات التعليمية، حيث تعد وسائل الإعلام واجهة جيدة للمختصين كافة بالتربية والتعليم، للتعبير عن وجهات نظر ونشر أفكارهم، وتشخيص الخلل بهدف النهوض بالعملية التعليمية فبمقدور هؤلاء استغلال هذه الوسائل على اختلافها للنهوض بالعملية التعليمية، وبطلبة العلم[31].

2- تقوم الصحافة الإسلامية في مجال التعليم، بوظيفة نقل التراث، والعادات، والتقاليد إلى الأجيال الجديدة، وبهذا فهي تقدم لها العون والإرشاد في عملية الاندماج في مجتمعاتها، وتحافظ على هوية هذه المجتمعات من الضياع والتلاشي أمام ضغوط العصر المختلفة، وفي مقدمتها العولمة.[32]

خامسا- الوظيفة الأخلاقية

وتتحقق هذه الوظيفة في الصحافة الإسلامية، عبر:

1- التزام الصدق، وهو النقل الواقعي للأحداث دون تهويل أو تهوين أو تحريف، والصدق أساس من أسس الصحافة والإعلام الإسلامي، فيجب أن يتحرى فيه الصدق، ولو في مجال الترفيه أو الإعلانات والدعاية، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: 119).

2- الإنصاف والعدل: من أسس الإعلام وصحافته الإسلامية، إذ يجب أن يكون العدل سائداً في النظر إلى الأشياء والأحكام، ومن الإنصاف أن لا يدفع الانتماء إلى المنهج هذا الإعلام إلى غمط الناس حقهم أو يحمله العنت إلى إلغاء الحق أو إخفاء جوانب الخير في كل شيء، أو يتجه إلى تغيير الحقائق أو تشويهها لتناغم مع رغبة الذات في أذى الآخرين، أو تحميل الأمور ما لا تحتمله من زوايا النظر[33]، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء: 135).

3- الموضوعية: لا تنحاز الصحافة الإسلامية باتجاه المصالح الشخصية والسياسية بل تلتزم الحقيقة، وتعبر عنها في تناوله وتفسيره في جميع أشكاله، قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة: 83)، وهذه السمة بالغة الأهمية في الإعلام الناجح، وفي الدعوة إلى الله، فان تحري الحقائق والوقائع والالتزام بروايتها كما وقعت هي الضمانة الأساسية للفوز بثقة الناس، الذين هم غرض الرسالة الإعلامية ذلك إن الصحافة الإسلامية تستمد أسس وجودها وموضوعيتها بكونها تستند مرجعتيها من القرآن الكريم[34].

تحديات الصحافة الإسلامية واستشراف المستقبل:

أصبح النشاط الإعلامي جزءا رئيسا من الحياة اليومية للإنسان، بل أهم وأخطر أجزائه من جانب وكذلك أصبح من أقوى أسلحة العصر، من جانب آخر، وتكمن أهمية هذه القضية في كيفية مواجهة التحديات التي تواجه إعلام الأمة الإسلامية وصحافتها، إذ إن هذه التحديات تضع الإعلام الإسلامي على محك خطر، وهو يستشرف مستقبلاً مليئا بالصراعات والفتوحات الجديدة، هو القرن الحادي والعشرين، قرن الإعلام المتجدد، ومن بين أهم التحديات نذكر: مشكلة المرجعية الفكرية في العمل الإعلامي، أزمة التدفق الإعلامي بين الشمال والجنوب، الكوادر الإعلامية المهنية ، التحديات المتعلقة بوسائل الإعلام في العالم الإسلامي، التحديات المتعلقة بالتقنيات الحديثة وتكنولوجيا الاتصال، الإشكاليات المرتبطة بالغزو الثقافي الموجه، التحديات المتعلقة بالرسالة الإعلامية، أخلاقيات الإعلان وأجهزة الإعلام في العالم الإسلامي، وغيرها الكثير مما يصعب حصره هنا بسهولة، ومنها:

1- تواجه الصحافة الإسلامية تحدي جهل معظم العاملين في وسائل الإعلام بمكانة الشريعة وقدرتها على مواكبة متطلبات العصر الحديث، وذلك لوجود الظن السائد أنها عاجزة عن القيام بمتطلبات هذه العصر وفتنه وتحدياته، وأن مصادر التشريع الإسلامي ليس فيها ما يعالج المسائل العصرية المستحدثة.

وهذه الظنون والأفكار، مرتبطة بالجهل بمكانة وأهمية وشمولية الشريعة وبمصادر التشريع الإسلامي: (وقد تولدت نتيجة تقصير الدعاة عن بيان محاسن التشريع ووجوه إعجازه وأصوله وأحكامه ومصادره، وإذا كنا نريد تطبيق الشريعة فلزاماً أن نُبيِّن للناس محاسنها وإيجابياتها)[35]، بينما تؤكد الحقائق النقلية والعقلية أن الشريعة صالحة لكل زمان ومكان؛ لكثرة علومها، وتعدُّد مصادرها، ويمكن لها أن تطرح حكمها ورأيها بالمسائل العصرية المستحدثة، بما يحقق مصالح المجتمع، وينظم حياة الناس ومعاملاتهم، ومن بينها قطعاً مجال الإعلام والصحافة.

2- غياب المؤسسات التربوية التي تعنى بالإعلام الإسلامي، لكي تلقي الضوء على هذا الموضوع وتعزز العلاقة بين الإعلام والتربية، مثل كليات للدعوة والإعلام الإسلامي، أو أقسام علمية في هذه الكليات تختص بنفس الموضوع، وكذلك عدم وجد كليات أو جامعات خاصة بالصحافة الإسلامية، وإن وجدت فهي نادرة وغير كفؤة للقيام بهذه الوظيفة، فإهمال كليات الإعلام ومؤسساتها لهذا الجانب، أوجد وجود تقصير في وظيفة الصحافة الإسلامية في قضية تعزيز جوانب التربية، وذلك لعدم إدراك ضرورة الإعلام الإسلامي وأهميته، وعدم الالتفات إلى موقع التعليم الإسلامي في المجتمع، والى السياسية التعلمية الخاطئة التي لم تمنح أية أهمية لتأسيس كليات أو أقسام للإعلام الإسلامي في المؤسسات التربوية والتعليمية.[36]

إن قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: 105)، يحّتم على الدول الإسلامية تأسيس المراكز العلمية للعناية بالصحافة الإسلامية، لتعرض العالم الإسلامي لما يبثّ من برامج ورسائل إعلامية مختلفة، ووجود تأثير سلبي على المجتمعات المسلمة من خلال مضامين وأهداف الرسائل الإعلامية الوافدة.

3- السياسة التعليمية الخاطئة المتبعة من قبل وزارت التربية والتعليم العالي في الدول العربية والإسلامية، بخصوص التعليم والتربية الإسلامية، أدى إلى بروز الخلل في وظيفة وسائل الإعلام تجاهها ومنها الصحافة الإسلامية، فهذه الوزارات قلّصت أعداد المدارس الإسلامية بشكل كبير، وأهملت العناية بطواقمها التدريسية، وتجاهلت إلى حد كبير محاولات إصلاحها وتطويرها ومشاركتها في النشاطات المختلفة التي تجري في المجتمع.

4- افتقار مؤسسات الإعلام الإسلامي في معظم الدول العربية والإسلامية إلى وجود مؤسسات خاصة بها، كصحف أو مجلات متقدمة أو إذاعات أو (مواقع أنترنت) نتج عنه إهمال واضح في إداء الوظيفة التربوية لها، مما خلق فراغا في عدم طرح قضاياها ومشاكلها التربوية في البيئة الإعلامية التي يتفاعل معها المتلقي من فئات المجتمع كافة، مما يؤشر ضعف العلاقة بين الجهات التربوية ووسائل الإعلام الإسلامي.

إن تأسيس مواقع أنترنت ومنصات ووسائل إعلامية خاصة تعنى بمؤسسات التربية مهمة جداً لتغطية عمل ونشاطات هذه المؤسسات، وينتج عنها: أداء واضح وممتاز لوظيفة الصحافة في مجال التربية والتعليم، كما يعّرف الجمهور بجدوى وأهمية وأهداف التربية الإسلامية، ويمّكن صوت المؤسسات التربوية من الوصول إلى الجمهور بسهولة، وتطوير عملها بناء على ذلك.

خاتمة وتوصيات:

توصلت هذه الدراسة إلى خلاصة مفادها أن الصحافة الإسلامية في البلاد العربية تستدعي الاهتمام أكثر، وبشكل فاعل وذلك بتشكيل قوى مجتمعية واتخاذ سياسات فكرية جديدة سواء من المؤسسات الإعلامية أو في المؤسسات التربوية والجامعات تضاهي ما يعيشه العالم من تطور وعلى كل الأصعدة.

فمن خلال هذه الدراسة أثبتنا ما للصحافة الإسلامية من أثر جماهيري داخلي وخارجي، خصوصا وهي تتبنى قيما إسلامية تتفوق بها على القيم التي يتبناها الإعلام العالمي، وأنه بإمكانها أن تعمل على بناء وتنمية جوانب التربية الإسلامية من خلال المنتجات والأدوات وأساليب التنظيم والتنمية.

ولتحقيق كل هذا لابد من توفر الجهود التي تبني جسورا للتعاون ما بين المؤسسات المذكورة، إضافة إلى ضرورة وآنية تكوين وتأهيل كوادر وإعلاميين متخصصين في هذا المجال الإعلامي لما له من خصوصية وهذا حتى لا تتحول الصحافة الإسلامية إلى مجرد ترسبات تراثية جامدة وتراكمات نصية غير مؤثرة.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

- الحازمي خالد بن حامد: أصول التربية الإسلامية، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، ط1، 1420-2000.
- تيسير الفتياني، مقومات رجل الإعلام الإسلامي، دار عمار، عمان، 1987.
- رفعت عارف الضبع، وظائف الإعلام التربوي، دار الفكر، بيروت، 2009.
- سيد محمد سيد، المسؤولية الإعلامية في الإسلام، مكتبة الخانجي، مصر، 1983.
- عبد الهادي الزيدي، المسؤولية الإعلامية، عمان، دار النفائس، 2014.
- عبدا لله العقيل، الإعلام وهوية الأمة، دار المأمون، عمان.
- فؤاد توفيق العاني، الصحافة الإسلامية ودورها في الدعوة، بيروت مؤسسة الرسالة، ط1.
- محمد بغداد، صناعة الرسالة في الإعلام الديني، دار الحكمة للنشر، الجزائر 2017.
- محمد شديد، منهج القرآن في التربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1979.
- محمد منصور هيبة، الصحافة الإسلامية في مصر بين عبد الناصر والسادات (1952-1981)، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، 1410-1990.
- محمد منير حجاب، الإعلام الإسلامي –المبادئ –النظرية –التطبيق، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002.
- محمد منير حجاب، الإعلام الإسلامي: المبادئ النظرية التطبيق، القاهرة دار الفجر، 2002.
- محمد منير حجاب، مبادئ الإعلام الإسلامي، الإسكندرية، المطبعة المصرية، 1982.
- محمود عبد الله، الإعلام وإشكالية المصطلح، دار أسامة عمان، الأردن، 2010.
- محمود علم الدين، مقدمة في الصحافة، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2012.
- مرعي مذكور، الإعلام الإسلامي الطباعي في الدول غير الإسلامية، مصر، دار المعارف، د ت.
- مروى عصام صلاح، الإعلام الإسلامي المعاصر، دار الإعصار للنشر والتوزيع عمان، 2014.
- يحي الدين عبد الحليم، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980.

المجلات:

- عبد الهادي الزيدي، مسؤولية الإعلام الإسلامي في الدفاع عن رسول الله ﷺ، مجلة كلية العلوم الإسلامية، الجامعة العراقية، العدد 10، 2015
- محمد وفيق زين العابدين، محاسن السياسة الجنائية الإسلامية، مجلة البيان، العدد 288 ، شعبان 1432هـ.

مواقع الإنترنت:

- عبد القادر بن يونس قرّوش، دور وسائل الإعلام في العملية التعليمة، موقع:

www.thenewalphabet.com

- مروان، دور وسائل الإعلام في التعليم، موقع: mawdoo3.com

الموسوعات العلمية:

- أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية مكتبة لبنان، 1982.
- ابن منظور: لسان العرب دار المعارف، مصر د.ت.

الهوامش:

[1]- محمود عبد الله: الإعلام وإشكالية المصطلح، دار أسامة ،عمان، الأردن، 2010، ص13.

[2]- محمد بغداد: صناعة الرسالة في الإعلام الديني، دار الحكمة للنشر، الجزائر 2017، ص24.

[3]- أخرجه البخاري، برقم: 3226.

[4]- محمود عبد الله: الإعلام وإشكالية العولمة، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن. عمان 2010، ص276.

[5]- محمد منير حجاب: الإعلام الإسلامي – المبادئ – النظرية –التطبيق، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002، ص24.

[6]- يحي الدين عبد الحليم: الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، مكتبة الخانجي، القاهرة ،1980، ص137
[7]- محمد منير حجاب: مبادئ الإعلام الإسلامي: الإسكندرية، المطبعة المصرية ،1982، ص130
[8]- د. عبد الهادي الزيدي، مسؤولية الإعلام الإسلامي في الدفاع عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، مجلة كلية العلوم الإسلامية، الجامعة العراقية، العدد 10، 2015، ص 502.
[9]- محمد منير حجاب: الإعلام الإسلامي، ص ص25 26
[10]- مرعي مدكور: الإعلام الإسلامي الطباعي في الدول غير الإسلامية، مصر، دار المعارف، د ت، ص 96
[11]- جمال النجار: المرجع السابق، ص77
[12]- محمود علم الدين: مقدمة في الصحافة، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2،2012،2ص19
[13]- محمود علم الدين: المرجع السابق ص23
[14]- مروى عصام صلاح: الإعلام الإسلامي المعاصر، دار الإعصار للنشر والتوزيع عمان2014 ص215
[15]- فؤاد توفيق العاني: الصحافة الإسلامية ودورها في الدعوة، بيروت مؤسسة الرسالة، ط1، ص ص62*-63
[16]- فؤاد توفيق العاني: المرجع السابق، ص64
[17]- محمد منصور هيبة: الصحافة الإسلامية في مصر بين عبد الناصر والسادات (1952-1981)، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ،1410-1990، ص20
[18]- محمد منير حجاب: الإعلام الإسلامي، ص291
[19]- المرجع نفسه: ص291
[20]- فؤاد توفيق العاني: المرجع السابق، ص68
[21]- المرجع نفسه، ص ص68-71
[22]- محمد منصور هيبة: المرجع السابق، ص ص 48-50
[23]- ابن منظور: لسان العرب د.ت ج4، ص400
[24]- الحازمي، خالد بن حامد: أصول التربية الإسلامية، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، ط1، 1420-2000، ص ص17-
[25]- أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية،1982 مكتبة لبنان، ص127
[26]- الحازمي خالد بن حامد: أصول التربية الإسلامية، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، ط1420،1-2000، ص19
[27]- تيسير الفتياني، مقومات رجل الاعلام الاسلامي، دار عمار، عمان، 1987، ص 220.
[28]- رفعت عارف الضبع، وظائف الإعلام التربوي، دار الفكر، بيروت، 2009، ص 35 وما بعدها.
[29]- عبد القادر بن يونس قرّوش، دور وسائل الإعلام في العملية التعليمية، موقع: www.thenewalphabet.com.
[30]- محمد شديد، منهج القرآن في التربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1979، ص 214 وما بعدها.
[31]- محمد مروان، دور وسائل الإعلام في التعليم، موقع: mawdoo3.com
[32]- عبد الهادي الزيدي، المسؤولية الإعلامية، عمان، دار النفائس، 2014، ص 84 وما بعدها.
[33]- محمد منير حجاب: الإعلام الإسلامي: المبادئ النظرية التطبيق، القاهرة دار الفجر، 2002، 38.
[34]- عبدا لله العقيل، الإعلام وهوية الأمة، دار المأمون، عمان، ص39.
[35]- محمد وفيق زين العابدين محاسن السياسة الجنائية الإسلامية، مجلة البيان، العدد 288، شعبان 1432هـ.
[36]- ينظر: سيد محمد سيد، المسؤولية الإعلامية في الإسلام، مكتبة الخانجي، مصر، 1983، ص 338.

مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 839 – 860
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

البرامج التفاعلية عبر القنوات الفضائية العربية - دراسة في الآثار الاجتماعية على عينة من الطلبة -

The Interactive TV Programs Shows on Arabic Satellite Channels - Social impacts study on studies -

د/ وهيبة مسامح[1] **د/ وليدة حدادي**
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية-جامعة سطيف 2
wahiba.messamah@hotmail.com hadadiwalida@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2021/01/10 تاريخ القبول: 2021/06/30

الملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على الآثار الاجتماعية الناتجة عن اعتماد طلبة علوم الإعلام والاتصال على عينة من البرامج التفاعلية في قناة MBC1، واعتمدت الدراسة على نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام كمنظور إرشادي وعبر استطلاع آراء عينة عنقودية قوامها 200 مفردة من طلبة علوم الإعلام والاتصال والمشاهدين للبرامج التفاعلية في قناة MBC1 عن طريق استمارة الاستبيان تم جمع البيانات من مفردات العينة فضلا عن اعتماد الدراسة على منهج المسح الوصفي، ومن أهم النتائج المتوصل إليها عدم كثافة تعرض طلبة علوم الإعلام والاتصال بجامعة سطيف-2- للبرامج التفاعلية التالية : برنامج الصدمة، برنامج كلام نواعم، برنامج ذو فويس The Voice وبرنامج قمرة في قناة MBC1 ويعتمدون عليها في الحصول على المعلومات بدرجة متوسطة مع تعدد الدوافع وراء مشاهدة مضامين البرامج التفاعلية السابقة الذكر، كما توصلت الدراسة إلى وجود الآثار الاجتماعية الإيجابية بدرجة أكبر من الآثار الاجتماعية السلبية سواء على مستوى الآثار الاجتماعية المعرفية أو الوجدانية أو حتى السلوكية.

الكلمات المفتاحية: التفاعلية؛ البرامج التفاعلية؛ الآثار الاجتماعية.

ABSTRACT:

This research paper aims through a field study at the University of Setif-2- to identify the social impacts of interactive TV programs such as "el sadma, kalam nawaem, the voice and qumra "in MBC1 channel on communication and informations sciences students', the study based on theory of relying on the media and we relied on the descriptive survey method in order to collect the needed data we used the questionnaire tool which applied on cluster sample consisted of 200 individuals from University of Setif 2, the study reached a number of results the most significants are : the students rely on these interactive TV programs to get information and achieve their different goals despite medium degree of accreditation, beside the existence of positive cognitive , emotional and behavioral impacts more than the negative ones.

Key words: Interactivity; Interactive TV Programs; Social Impacts.

[1] المؤلف المرسل.

مقدّمة

أدت ثورة الاتصالات والمعلومات، بفضل ظهور الأقمار الصناعية والبث الفضائي إلى تضاعف عدد القنوات التلفزيونية الفضائية عشرات المرات حيث شهدت قفزة نوعية وتعددية من حيث تنوع الرسائل، المضامين، الاهتمامات والتوجهات الإعلامية وأصبح من الصعب دحر تأثيراتها خاصة مع التنوع الكبير في برامجها من حيث الكم والكيف على حد سواء، كما بات من المؤكد أيضا أن هذه القنوات الفضائية من خلال شبكتها البرامجية التي تعرضها تهتم وتركز على طرح ومعالجة بعض الإشكالات والقضايا الاجتماعية الراهنة خاصة مع ارتباط هذا المجال وتأثيره المباشر على كافة المجالات الحياتية الأخرى.

وفي خضم كل هذه التطورات والتحولات والجمع بين المعلوماتية والاتصالات والرقمية، ومن خلال الوضع الجديد الموسوم بالانفجار الفضائي بزيادة عدد القنوات الفضائية زادت شدة المنافسة وزادت حدة استقطاب الجمهور ما أدى إلى ظهور مفاهيم خاصة بعلاقة الجمهور مع عناصر العملية الاتصالية، ومن بين المفاهيم التي لاقت صدى كبير مفهوم التفاعلية الذي ظهر مع بداية تسعينيات القرن الماضي، هذا الأخير أصبح مرتبطا أكثر بالنظريات الحديثة في الاتصال التي أعادت النظر في نموذج لاسويل 1978: من يقول؟ ماذا؟ بأي وسيلة؟ وبأي تأثير؟ والذي كان يفترض أن الرسالة تنتقل من مرسل إلى متلق سلبي أي تدفق الاتصال في اتجاه واحد، كما أدى هذا المفهوم إلى تغيير تمثيل الاتصال كليا حيث صار ينظر إلى المتلقي كنشط وفاعل مثله مثل المرسل بمعنى أن تكنولوجيات الاتصال الجديدة أكسبت المتلقي خاصية الإرتكاسية أي بإمكانه إرسال رسالة مركبة إلى المرسل[1].

وبفضل ذلك أصبح مفهوم التفاعلية مقرونا بكافة القنوات الفضائية وشكلا من أشكالها سائدا بطريقة أو بأخرى، ولعل النصيب الأكبر كان للبرامج التلفزيونية على اعتبارها أحد أهم أعمدة القنوات الفضائية لما يمكن أن تقدمه من دعم لقضايا المجتمع خاصة الاجتماعية منها ، وقد أدرك القائمون على هذه البرامج أهمية عنصر التفاعلية في حصد أكبر عدد من المشاهدين من خلال الاستثمار في خصائص وأشكال التفاعلية لإضفاء الاختلاف والتميز لها ولكسر الملل، من خلال توفيرها لعديد أدوات المشاركة والتفاعل سواء عبر الرسائل النصية أو الهاتف أو حتى تطبيقات الشبكة العنكبوتية والتي أصبحت سمة تميز البرامج التلفزيونية عن بعضها البعض وبدأت بأخذ حيز كبير في بنية البث التلفزيوني الفضائي يوميا، ويأتي هذا التوظيف للأشكال المختلفة والمتنوعة لأدوات التفاعلية من أجل زيادة الاهتمام بحاجات المشاهد وإشباعها، وهذا بغية المساهمة في عملية الإدراك المعرفي للمتلقي بالقضايا الراهنة ومن ثم التأثير عليه في تشكيل آرائه واتجاهاته، دعمها أو حتى تغييرها .

أولا: إشكالية الدراسة

وسجلت الفضائيات العربية خلال القرن الحالي تحولات جوهرية في أنماط، مضامين وأدوات مختلف رسائل الإعلام والاتصال الجماهيري باتجاه تضاعفها، تعددها واختلافها ما أنتج قدرة كبيرة على الوصول لمزيد من أفراد الجمهور الغير متجانس والمترامي في الزمان والمكان، كما جعل منها أحد أهم مصادر تنوير الرأي العام والتأثير خاصة ما تعلق بتشكيل الآراء والاتجاهات بالنسبة للجمهور، غير أن في أربعينيات القرن الماضي تبلور مدخل الاستخدامات والإشباعات الذي يصف الجمهور بالنشط كرد فعل لمفهوم قوة وسائل الإعلام للتأثير على الجمهور، هذا الأخير" ينتقي الوسائل الإعلامية التي يتعرض لها وكذا مواد ومضامين برامج هذه الوسائل ويتحكم في هذا الانتقاء العديد من الدوافع والاحتياجات المختلفة في سبيل إشباع حاجاته النفسية والاجتماعية"[2]، هذه الصفة جعلت منه فردا إيجابيا ومتفاعلا متخطيا بذلك

النمط التقليدي في التواصل، خاصة مع التطورات التقنية والتطبيقات الحديثة للإعلام والاتصال التي عرفتها المجتمعات الحديثة وما خلقته من تغييرات في مختلف أنظمتها وفتح المجال بذلك لمختلف أشكال التواصل التي أضافت بعدا جديدا لمستوى الجمهور النشط وفتحت المجال واسعا لتشكل نمط اتصالي جديد قائم على مبدأ التفاعلية بين مختلف عناصر العملية الاتصالية.

وتعتبر قناة MBC1 التي كانت تعرف سابقا بمركز تلفزيون الشرق الأوسط أول قناة فضائية عربية أنشأت برأسمال خاص عام 1991وكان مقرها لندن وحاليا تضم مجموعة MBC 18 قناة تتصدر باستمرار المراكز الأولى في ترتيب القنوات العربية الأكثر مشاهدة وفق دراسات الأبحاث التسويقية المستقلة[3]، ما يجعلها الخيار الأول للجمهور في المنطقة العربية إضافة إلى تقديمها مجموعة متميزة من البرامج والمضامين التي تحظى بنسب مشاهدة عالية، كما تعتبر من أوائل وأهم القنوات الفضائية العربية التي وظفت هذا النمط الإتصالي الجديد وأصبحت برامجها التفاعلية متنفسا للمتلقي ولاقت بذلك استحسانا وإقبالا واسعا من مختلف جماهير الوطن العربي، كما جعلت خاصية التفاعلية هذه من المتلقي للرسالة الإعلامية عنصرا مشاركا ومتفاعلا مع المضامين والمواد التي تقدمها قناة MBC1 في مختلف هذه البرامج التفاعلية كما جعلته يبدي رأيه حول قضية أو موضوع معين بطريقة سهلة وبعيدة نوعا ما عن القيود المفروضة في الاتصال التقليدي، هذا ما جعل من التفاعلية بمختلف أشكالها وأدواتها من العناصر المهمة التي تشجع المتلقي وتجعله مقبلا على مختلف البرامج والمضامين التي تقدمها، وأتاحت لمشاهديها فرصا أمامه للوصول إلى المعلومات والمضامين الإعلامي والمشاركة فيها بحرية وتفاعلية أكبر من أي وقت مضى ما يسهم في تفعيل حركة التغيير باتجاه مزيدا من الانفتاح، الحرية، المشاركة والوعي الاجتماعي.

ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة للتعرف على الآثار الاجتماعية المترتبة عن تعرض طلبة علوم الإعلام والاتصال لمختلف البرامج التفاعلية التي تناقش قضايا اجتماعية في قناة MBC1 باعتبارهم من أكثر الفئات توجها للاتصال التفاعلي ولتطبيقاته ونحو هذا الوافد الجديد من البرامج التلفزيونية، وذلك من خلال الإجابة على التساؤلات الآتية:

- ماهي عادات وأنماط اعتماد طلبة علوم الإعلام والاتصال بجامعة سطيف 2 على البرامج التفاعلية في قناة MBC1؟
- ما هي دوافع إقبال طلبة علوم الإعلام والاتصال بجامعة سطيف 2 على الاعتماد على البرامج التفاعلية في قناة MBC1 وماهي أشكال التفاعل معها؟
- ماهي الآثار الاجتماعية المعرفية المترتبة من اعتماد طلبة علوم الإعلام والاتصال بجامعة سطيف 2 على البرامج التفاعلية في قناة MBC1؟
- ماهي الآثار الاجتماعية الوجدانية المترتبة من اعتماد طلبة علوم الإعلام والاتصال بجامعة سطيف 2 على البرامج التفاعلية في قناة MBC1؟
- ماهي الآثار الاجتماعية السلوكية المترتبة من اعتماد طلبة علوم الإعلام والاتصال بجامعة سطيف 2 على البرامج التفاعلية في قناة MBC1؟

ثانيا: أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في أنها تقدم إضافة علمية بدراسة نوع مهم من البرامج الفضائية ألا وهي البرامج التفاعلية التي احتلت مكانة هامة في الشبكة البرامجية والتي فتحت المجال واسعا لرجع الصدى والتغذية العكسية التي اهتم بها الكثير من نماذج الاتصال والدراسين في مختلف التخصصات من خلال

أدوات للنقاش وتبادل الآراء والأفكار للجمهور المتلقي وجاءت دراستنا للبرامج التفاعلية من زاوية الكشف عن الآثار الاجتماعية لهذا النوع الجديد والهام من برامج الفضائيات التلفزيونية على طلبة علوم الإعلام والاتصال من خلال الاعتماد على وسائل الإعلام كسند نظري ، كما تظهر أهمية الدراسة في تسليط الضوء على أهم أدوات التفاعلية التي تستخدمها هذه الفئة من الجمهور للتفاعل والمشاركة مع هذه البرامج التفاعلية، وهذا نظرا للزيادة المستمرة لتفاعل الجمهور المتلقي عن طريق مختلف الوسائط الاتصالية المتاحة مع هذا النوع من البرامج ودورها في التوعية الاجتماعية وفي تشكيل آرائه واتجاهاته والتأثير عليه سواء بالسلب أو الإيجاب.

ثالثا: أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى التعرف على الآثار الاجتماعية جراء اعتماد طلبة علوم الإعلام والاتصال بجامعة سطيف 2 على مجموعة من البرامج التفاعلية في قناة MBC1، كما تهدف الدراسة إلى تحقيق الأهداف الفرعية الآتية:

- معرفة عادات وأنماط اعتماد طلبة علوم الإعلام والاتصال بجامعة سطيف2 على البرامج التفاعلية في قناة MBC1.
- معرفة دوافع اعتماد طلبة علوم الإعلام والاتصال بجامعة سطيف2 على البرامج التفاعلية في قناة MBC1، وتحديد مستوى وأشكال المشاركة والتفاعل مع هذه البرامج في قناة MBC1.
- معرفة الآثار الاجتماعية المعرفية الناتجة عن اعتماد طلبة علوم الإعلام والاتصال بجامعة سطيف2 على البرامج التفاعلية في قناة MBC1.
- معرفة الآثار الاجتماعية الوجدانية الناتجة عن اعتماد طلبة علوم الإعلام والاتصال بجامعة سطيف2 على البرامج التفاعلية في قناة MBC1.
- معرفة الآثار الاجتماعية السلوكية الناتجة عن اعتماد طلبة علوم الإعلام والاتصال بجامعة سطيف2 على البرامج التفاعلية في قناة MBC1.
- معرفة الآثار الاجتماعية الإيجابية والسلبية الناتجة عن تعرض طلبة علوم الإعلام والاتصال بجامعة سطيف2 للبرامج التفاعلية في قناة MBC1.

رابعا: الإجراءات المنهجية للدراسة

تصنف هذه الدراسة ضمن البحوث الوصفية التي تهدف إلى دراسة الظواهر والأحداث أو المواقف كما هي عليه في الواقع وتعمل على وصفها وصفا دقيقا من خلال التعبير النوعي الذي يصف الظاهرة ويوضح خصائصها، أو التعبير الكمي الذي يقدم وصفا رقميا يوضح مقدار الظاهرة وحجمها[4].

إن إنجاز أي بحث علمي لا بد للباحث أن يسلك منهجا مناسبا من أجل الإجابة عن إشكالية الدراسة وتحقيق أهدافها، وبما أن الدراسة التي بين أيدينا حول الآثار الاجتماعية للبرامج التفاعلية في قناة MBC1 تنتمي للدراسات الوصفية فمنهج المسح الوصفي هو المنهج الأنسب للدراسات الوصفية والذي يعتبر جهدا علميا يعتمد عليه الباحثون في الحصول على بيانات ومعلومات وافية ودقيقة في مجتمع أو ظاهرة اجتماعية وذلك بغرض الخروج بنتائج علمية[5].

يمثل طلبة علوم الإعلام والاتصال المجتمع المستهدف من هذه الدراسة، أما المجتمع المتاح للدراسة فيتمثل في طلبة علوم الإعلام والاتصال بجامعة سطيف-2- والذين يزاولون الدراسة بصفة منتظمة خلال الموسم الجامعي 2019-2020، ونظرا للعدد الكبير للطلبة المسجلين لمزاولة الدراسة في هذا الموسم

بجامعة سطيف2 ولصعوبة دراسة الباحث لجميع مفردات هذا المجتمع لجأنا إلى استخدام أسلوب المسح بالعينة من خلال سحب عينة من مجتمع البحث ونظرا لطبيعة الموضوع والأهداف التي نسعى لتحقيقها اعتمدنا في دراستنا على العينة متعددة المراحل أو العينة العنقودية حيث تكمن الميزة الأساسية لهذه العينات في أن سحبها يمر باثنين أو أكثر من العمليات المتتابعة من السحب العشوائي من خلال تقسيم مجتمع الدراسة إلى مجموعات تختار منها عينة كمرحلة أولية ثم يعاد تقسيم العينة المختارة في المرحلة الأولية إلى عينة أخرى كمرحلة ثانية وهكذا حتى تنتهي كل مراحل السحب[6]، وتم اختيار مرحلة الليسانس والماستر بطريقة قصدية لارتفاع عدد الطلبة مقارنة بمرحلة الدكتوراه، ثم وقع الاختيار عشوائيا على السنة الثانية والثالثة من مستوى ليسانس علوم الإعلام والاتصال، أما مستوى الماستر فقد تم اختيار السنة الأولى والثانية كضرورة وتم أخذ حصة مكونة من 50 مفردة من كل سنة وفي كل مستوى، وصل بذلك حجم العينة إلى 200 مفردة موزعة كما توضحه الجداول أدناه:

الجدول رقم (01): توزيع أفراد عينة الدراسة حسب متغير الجنس

المتغير	التكرار	النسبة المئوية
ذكر	52	%26
أنثى	148	%74
المجموع	200	%100

المصدر: عينة الدراسة الحالية

الجدول رقم (02): توزيع أفراد عينة الدراسة حسب متغير مكان الاقامة

المتغير	التكرار	النسبة المئوية
الريف	20	%10
المدينة	180	%90
المجموع	200	%100

المصدر: عينة الدراسة الحالية

الجدول رقم (03): توزيع أفراد عينة الدراسة حسب متغير المستوى الدراسي

المتغير	التكرار	النسبة المئوية
سنة ثانية ليسانس	50	%25
سنة ثالثة ليسانس	50	%25
سنة أولى ماستر	50	%25
سنة ثانية ماستر	50	%25
المجموع	200	%100

المصدر: عينة الدراسة الحالية

من جهة أخرى فاعتماد أداة من أدوات البحث العلمي خطوة ضرورية لجمع البيانات الميدانية ونظرا لطبيعة البيانات التي يراد جمعها وفي إطار طبيعة موضوع الدراسة فاستمارة الاستبيان (الاستبانة) هي الأداة الأكثر استخداما في منهج المسح والأكثر ملاءمة لتحقيق هدف الدراسة، وتعرف بأنها:" شكل مطبوع يحتوي مجموعة من الأسئلة موجهة إلى عينة من الأفراد حول مواضيع ترتبط بأهداف الدراسة، يضم هذا النموذج مجموعة من الأسئلة والاستفسارات المتنوعة والمرتبة بشكل يحقق الهدف الذي يسعى إليه الباحث، وتوجه للعينة بهدف الحصول على بيانات معينة"[7]، وقد تضمنت الاستمارة في تصميمها عددا من الأسئلة بين المغلقة والمفتوحة موزعة على المحاور الآتية:

المحور الأول: خاصة بالبيانات الشخصية للمبحوثين وتضمن ثلاثة أسئلة.

المحور الثاني: خاص بعادات وأنماط تعرض طلبة علوم الإعلام والاتصال بجامعة سطيف2 للبرامج التفاعلية في قناة MBC1 واحتوى على ثمانية أسئلة.

المحور الثالث: خاص بدوافع إقبال طلبة علوم الإعلام والاتصال بجامعة سطيف2 على مشاهدة البرامج التفاعلية في قناة MBC1 واحتوى على 11 سؤال.

المحور الرابع: خاص بالآثار الاجتماعية المعرفية الناتجة عن مشاهدة طلبة علوم الإعلام والاتصال بجامعة سطيف2 للبرامج التفاعلية في قناة MBC1 واحتوى المحور على سبع عبارات.

المحور الخامس: خاص بالآثار الاجتماعية الوجدانية الناتجة عن مشاهدة طلبة علوم الإعلام والاتصال بجامعة سطيف2 للبرامج التفاعلية في قناة MBC1 واحتوى المحور على ثماني عبارات.

المحور السادس: خاص بالآثار الاجتماعية السلوكية الناتجة عن مشاهدة طلبة علوم الإعلام والاتصال بجامعة سطيف2 للبرامج التفاعلية في قناة MBC1 واحتوى المحور على أحد عشرة عبارة.

وقد اعتمدت الدراسة لقياس الآثار الاجتماعية للبرامج التفاعلية في قناة MBC1 على مقياس لكرت الثلاثي الذي يبدأ بدرجة التأييد وتأخذ ثلاث قيم ثم درجة الحياد وتأخذ قيمتين وينتهي بدرجة المعارضة التي تأخذ قيمة واحدة، وقد تم حساب التكرار المرجح لكل عبارة على النحو التالي:

التكرار المرجح= تكرار الموافقين*3+تكرار المحايدين*2+تكرار المعارضين*1 / عدد المبحوثين

العبارة إيجابية: إذا كانت النتيجة أكبر من رقم 2 فالاتجاه إيجابي نحو العبارة.

إذا كانت النتيجة أقل من رقم 2 فالاتجاه سلبي نحو العبارة.

العبارة سلبية: إذا كانت النتيجة أكبر من رقم 2 فالاتجاه سلبي نحو العبارة.

إذا كانت النتيجة أقل من رقم 2 فالاتجاه إيجابي نحو العبارة.

وتم تصميم الاستبانة خلال شهر نوفمبر ليتم بعدها توزيعها على مجموعة من طلبة علوم الإعلام والاتصال بجامعة محمد لامين دباغين سطيف2 خلال نفس الشهر من الموسم الجامعي 2019-2020 وتم استرجاعها في أواخر شهر ديسمبر.

خامسا: تحديد مفاهيم الدراسة

1- مفهوم التفاعلية: نظرا لتعدد التعريفات التي قدمت للتفاعلية وتعدد أبعادها واهتمام الباحثين بها في تخصصات ومجالات المعرفة المختلفة، منها ما يركز على الوسيلة أو المحتوى أو المستعمل أو على العلاقة بين المرسل والمتلقي، كما حيث يختلف معناها من كونها سمة للوسيلة الاتصالية إلى كونها سمة للعملية الاتصالية ذاتها لم يتم الاتفاق على تعريف محدد وواضح للتفاعلية، فيقصد بالتفاعلية" أن التواصل بين المرسل والمتلقي يكون متبادلا إذ أن المتلقي يتلقى الرسالة ويتفاعل معها ويرسل بدوره تغذية راجعة

للمرسل الذي يتفاعل مع هذه التغذية الراجعة ويحدث تعديلات أو إضافات أو يقدم توضيحات معينة، فالاتصال لا يعني بالضرورة التفاعلية إلا إذا كان يضمن عملية التبادل والمشاركة بين المرسل والمتلقي أي أن الرسالة تكون باتجاهين، فالتفاعلية مرتبطة ارتباطا عضويا بعملية المشاركة، التواصل، الحوار ورجع الصدى"[8].

يقول **"نصر الدين العياضي"** أن التفاعلية مفهوم ابتكر في البداية للدلالة عن شكل خاص من العلاقة بين السمعي البصري والمشاهد، ويهدف إلى تحويل المشاهد الساكن السلبي إلى عنصر فعال ونشيط بشكل يؤثر في البرمجة، لكن الاستخدام التدريجي والمتعدد لهذا المفهوم أصبح يدل على كل أنواع مشاركة المتلقي في الرسالة سواء أحدث رجع الصدى أم لم يحدث[9].

يشير مفهوم التفاعلية إلى "الطريقة التي صممت بها التكنولوجيات الجديدة لتصبح أكثر استجابة لرد فعل المستهلك، فهي بذلك تقدم فرصا أكثر للفعل الاتصالي، التفاعل أكثر من معظم أشكال وسائل الإعلام الجماهيرية وبالتالي فرصا أكثر للمشاركة"[10].

كما يشير مفهوم التفاعلية من حيث المستخدم إلى طريقة المعالجة التفاعلية بالحوار وتعديل اشتغال البرنامج من خلال مراقبة النتائج، أو هي مدى إمكانية المستعملين المشاركة في تعديل شكل بيئة وساطية ومحتواها في الزمن الحقيقي، أما مفهومها من حيث العلاقة بين المرسل والمتلقي فهي تطلق على الدرجة التي يكون فيها للمشاركين في عملية الاتصال تأثير على أدوار الآخرين وباستطاعتهم تبادلها ويطلق على هذه الممارسة "المتبادلة أو التفاعلية" وهي بمعنى أن هناك سلسلة من الأفعال الاتصالية التي يستطيع الفرد (أ) أن يأخذ فيها موقع الشخص (ب) ويقوم بأفعاله الاتصالية، المرسل يستقبل ويرسل في الوقت نفسه وكذلك المستقبل وبذلك تدخل مصطلحات جديدة في عملية الاتصال مثل الممارسة الثنائية التبادل والتحكم والمشاركين، في حين أن مفهومها من حيث الوسيلة يقع في شكل صفة الأجهزة والبرامج وظروف الاستغلال التي تسمح بأفعال متبادلة في نمط الحوار بين المستخدمين أو بين الأجهزة في الوقت الفعلي[11].

كما أشار MC Millan إلى أن التفاعلية ثلاثة أشكال أو مستويات تندرج كلها تحت المفهوم الشامل للتفاعلية في عملية الاتصال منعا لحدوث أي لبس في أبعادها وهي:

- التفاعل في علاقة المستخدم بغيه من المستخدمين مثل أشكال التفاعل الشخصي التي تعتمد على الحاسب الآلي، كالبريد الإلكتروني والدردشة وغيرها.
- التفاعل بين المستخدم والوثائق وهو الشكل الذي يسمح للمستخدم بالتحكم التكنولوجي في اختيار المحتوى والتفاعل معه ومن أدواته استطلاعات الرأي والتعليقات وغيرها.
- التفاعل بين المستخدم والنظام وتتضمن مختلف أشكال التفاعل بين الإنسان والآلة مثل الألعاب وآليات البحث[12].

2- مفهوم البرامج التفاعلية: ظهر أول شكل تفاعلي تلفزيوني عند عرض خط التاريخ Data Line في جويلية 1999، فهو بذلك تاريخ ظهور التفاعلية التلفزيونية مع برامج تلفزيون الواقع رغم أن برامج تلفزيون الواقع سبقتها بعدة سنين أي مطلع التسعينات ولكن هذه التسمية المتكاملة اكتسبت كمالها مع انطلاق البث التفاعلي مما دفع بأحد منظري تلفزيون الواقع أن يقول: "يجب على العرض حتي ينطبق عليه تلفزيون الواقع أن يتضمن عنصر تفاعل الجمهور"، حتى عدت البرامج التفاعلية هي الحاضنة الأولى والأخيرة لبرامج تلفزيون الواقع، ثم توالت البرامج التفاعلية مثل برامج المسابقات والتي ركزت على تصويت المتلقي غير أنها فيما بعد انصهرت في برامج تلفزيون الواقع، ثم تطورت تفاعلية المتلقي في برامج تلفزيون الواقع

ليشهد القرن الحادي والعشرون مرحلة أكثر أهمية من خلال التصويت على اختيار النهايات والتحكم بالبنية الدرامية[13].

كما يعد البرنامج التفاعلي مصطلح لصيق بالمواد التي تقدمها شبكة الأنترنت نتيجة الخيارات الممنوحة أمام المستخدم في الانتقال بين فقرات البرنامج وحتى الاختيار وغالبا الإضافة من خلال الرد والتعليق والاستفسار[14].

3- مفهوم الأثر: يرى عبد الله بوجلال أن الأثر هو "ما يمكن أن يحدث من تغيير في المواقف والسلوكيات والآراء والمعلومات جراء انتقال الرسالة الإعلامية إلى المتلقي، الرسالة الإعلامية قد تلفت انتباه المتلقي فيدركها، وقد تضيف إلى معلوماته معلومة جديدة، وقد تجعله يكون اتجاهات جديدة ويعدل من اتجاهاته السابقة، وقد تجعله يتصرف بطريقة جديدة أو يعدل سلوكه السابق"[15].

أما السعيد بومعيزة يرى أن الأثر هو "ذلك الفعل الناتج عن تلاقي أنظمة ثقافية متباينة، وما يتركه هذا التلاقي من عواقب وردود أفعال تتوقف في مجملها على مدى قوة وفعالية كل نظام ثقافي، فهو تلك العلاقة التفاعلية بين أفراد الجمهور ووسائل الإعلام وتتميز هذه العلاقة من جانب وسائل الإعلام بمحاولة تكييف رسائلا مع خصائص الجمهور الذي تتوجه إليه استمالتهم لكي يتعرضوا لمحتواها وليس بالضرورة التأثير عليهم لكي يغيروا شيئا ما على المستوى المعرفي أو الوجداني أو السلوكي"[16].

4- التعاريف الإجرائية: الآثار الاجتماعية إجرائيا: هي كل ما ينتج عن اعتماد طلبة علوم الإعلام والاتصال على البرامج التفاعلية التالية: برنامج الصدمة، برنامج كلام نواعم، برنامج قمرة، برنامج ذو فويس The Voice من التأثيرات المعرفية، الوجدانية والسلوكية سلبية كانت أو إيجابية ضمن الإطار الاجتماعي الذي يعيشون فيه وضمن اعتمادهم وعلاقتهم التفاعلية مع البرامج التفاعلية.

البرامج التفاعلية إجرائيا: ويمكن تعريفها في هذه الدراسة بأنها برامج سمعية بصرية تبث عبر قناة MBC1، تتناول وتعالج قضايا مختلفة وتستهدف تحويل المشاهد الساكن إلى عنصر فعال، نشط ومشارك في هذه البرامج من خلال إتاحة التفاعل مع مضامين هذه البرامج عن طريق توفير مجموعة من الوسائط الاتصالية كالرسائل النصية، الاتصالات الهاتفية، البريد الإلكتروني، الشبكات الاجتماعية (من خلال التفاعل الإلكتروني عبر شبكة الفايسبوك من خلال توفير فرص الاطلاع، إبداء الإعجاب التعليق ومشاركة المضامين التي تحظى باهتمام الطلبة من عينة الدراسة) وحتى الحضور الشخصي للمشاهد في البرامج التي تم عرضها سنة 2018 والمتمثلة في: برنامج الصدمة، برنامج كلام نواعم، برنامج قمرة، برنامج ذو فويس The Voice.

خامسا: المدخل النظري للدراسة

إن أي دراسة تحتاج إلى أساس نظري تستند عليه وتنطلق منه حيث يعتبر المرشد في تحديد الظاهرة المدروسة تحديدا واضحا كما توجه الباحث إلى تحديد التساؤلات الصحيحة ومن ثم في تحليل وتفسير ما يتم التوصل إليه من نتائج، ونظرا لأن موضوعنا يدور حول الآثار الاجتماعية الناتجة من اعتماد طلبة الدكتوراه على البرامج التفاعلية المعرفية، الوجدانية والسلوكية وقد اعتمدنا في دراستنا على نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام حيث تسمح هذه النظرية بمعرفة الآثار المترتبة عن اعتماد الجمهور على وسائل الإعلام، وتعرف هذه النظرية بما يلي:" ينطلق مفهوم هذه النظرية بين الأفراد ووسائل الإعلام من منطلق أن العلاقة التي تحكم هي علاقة الاعتماد والتبادل ما بين وسائل الإعلام والنظم الاجتماعية والجمهور، إذ يعتمد الجمهور في الوصول إلى أهدافهم على مصاد المعلومات المنحدرة من جمع المعلومات ومعالجتها"[17].

1- نشأة وتطور نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام: ظهر مفهوم الاعتماد على وسائل الإعلام في السبعينيات (1976) عندما ملأ كل من "ميلفين دي فلور وساندرا بول روكيش" الفراغ الذي خلفه نموذج الاستخدامات والإشباعات الذي أهمل تأثير وسائل الإعلام وركز على المتلقي وأسباب استعماله لوسائل الإعلام، فأخذ صاحبا هذه النظرية بمنهج النظام الاجتماعي العريض لتحليل تأثير وسائل الإعلام حيث اقترحا اندماجا بين الجمهور ووسائل الإعلام والنظام الاجتماعي[18]، فيعتمد أعضاء الجمهور على وسائل الإعلام بنفس الطريقة في تحديد العلاقة بين وسائل الإعلام والنظم الاجتماعية الأخرى على اعتبارها جزءا من النظم الاجتماعية الأخرى، فالأفراد يعتمدون على وسائل الإعلام باعتبارها مصدرا تحقيق أهدافهم رغم عدم استطاعتهم على ضبط أو تحديد نوع الرسائل التي تبثها هذه الوسائل ولكنهم يستطيعون تحديد مالم ينشر من رسائل[19].

2- فروض نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام: تتمثل الفرض الرئيسي لنظرية الاعتماد على وسائل الإعلام في قيام الفرد بالاعتماد على وسائل الإعلام لإشباع احتياجاته من خلال استخدام الوسيلة، وكلما لعبت الوسيلة دورا هاما في حياة الأشخاص زاد تأثيرها وأصبح دورها أكثر أهمية ومركزية وبذلك تنشأ العلاقة بين شدة الاعتماد ودرجة تأثير الوسيلة لدى الأشخاص، وكلما ازدادت المجتمعات تعقيدا ازداد اعتماد الأفراد على وسائل الإعلام.

كما تقوم النظرية على الفروض الفرعية التالية:

- يختلف الجمهور في درجة اعتماده على وسائل الإعلام نتيجة لوجود اختلاف في الأهداف الشخصية والمصالح والحاجات الفردية، كما يتراوح تأثير وسائل الإعلام بين القوة والضعف تبعا للظروف المحيطة والخبرات الخاصة بالجمهور.
- تزداد درجة الاعتماد على وسائل الإعلام في حالة قلة القنوات البديلة للمعلومات أما في حالة وجود مصادر معلومات بديلة تقدمها شبكات خاصة أو رسمية أو مصادر إعلامية خارج المجتمع سيقل اعتماد الجمهور على وسائل الإعلام.
- تؤثر درجة استقرار النظام الاجتماعي على زيادة الاعتماد أو قلته على مصادر معلومات وسائل الإعلام، فكلما زادت حالات عدم الاستقرار والأزمات التي تحدث في النظام الاجتماعي تزيد من حاجات الجمهور للمعلومات وبالتالي تزيد من اعتماد الأفراد على وسائل الإعلام[20].

3- دعائم وأهداف نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام: وتقوم نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام على دعامتين رئيسيتين قدمهما ميلفين وروكيتش 1987[21]:

الدعامة الأولى: إن هناك أهدافا للأفراد يبغون تحقيقها من خلال المعلومات التي توفرها المصادر المختلفة سواء كانت هذه الأهداف شخصية أو اجتماعية.

الدعامة الثانية: اعتبار نظام وسائل الإعلام نظام معلومات (الذي يشمل معلومات الأخبار، التسلية والترفيه) يتحكم في مصادر تحقيق الأهداف الخاصة بالأفراد، وتتمثل هذه المصادر في مراحل استقاء المعلومات ونشرها مرورا بعملية الإعداد والترتيب والتنسيق لهذه المعلومات ثم نشرها بصورة أخرى.

يقيم الأفراد علاقات اعتماد على وسائل الإعلام باعتبارها مصدرا من مصادر تحقيق أهدافهم، وتكمن قوة وسائل الإعلام طبقا لنظرية الاعتماد في سيطرة وسائل الإعلام على نظم المعلومات التي يحقق من خلالها الفرد الأهداف المتمثلة في:

الفهم: ويشتمل على معرفة الذات من خلال التعلم والحصول على الخبرات، الفهم الاجتماعي من خلال معرفة أشياء عن العالم أو الجماعة المحلية وتفسيرها.

التوجيه: ويشتمل على توجيه العمل كأن تقرر ما تشتري وكيف ترتدي ثيابك وكيف تحتفظ برشاقتك؟ وتوجيه تفاعلي كالحصول على دلالات عن كيفية التعامل مع مواقف جديدة أو صعبة.

التسلية: وتشتمل على التسلية المنعزلة كالراحة والاسترخاء والاستثارة، والتسلية الاجتماعية كالذهاب إلى السينما والاستماع إلى الموسيقى مع الأصدقاء، أو مشاهدة التلفزيون مع الأسرة[22].

4- الآثار المترتبة من الاعتماد على وسائل الإعلام: في إطار هذه النظرية تحدث مجموعة من التأثيرات نتيجة الاعتماد على نظم الإعلام كما توضح الأهداف الخاصة بالمتلقين، وتعكس العلاقة بين درجة الاعتماد على هذه النظم واتجاهات التغير في المعرفة أو الشعور أو السلوك باعتبارها مجالات التأثير الناتج عن هذا الاعتماد:

أولا- التأثيرات المعرفية: تتمثل التأثيرات المعرفية في كل من:

الغموض: يحدث الغموض نتيجة تناقض المعلومات التي يتعرض لها الفرد أو نقصها أو عدم كفايتها لفهم الأحداث أو تحديد التفسيرات الصحيحة لهذه الأحداث فيتولد إحساس بالغموض لدى أفراد الجمهور خاصة عندما تكون وسائل الإعلام المصدر الوحيد للحصول على المعلومات، فوسائل الإعلام بما تقدمه من استكمال لهذه المعلومات أو تفسير لها تساعد على إزالة هذا الغموض.

تكوين الاتجاه: تقوم وسائل الإعلام بأدوار في تشكيل اتجاهات الأفراد نحو القضايا المثارة في المجتمع من خلال استخدامهم للمعلومات المتحصل عليها من تلك الوسائل الإعلامية ما يساعد على تكوين الاتجاهات الجديدة نحو قضايا معينة مع مراعاة دور العوامل الانتقائية.

ترتيب الأولويات: تعمل وسائل الإعلام على ترتيب أولويات أفراد الجمهور الذي يعتمد على تلك الوسائل في معرفة بعض القضايا البارزة من بين العديد من القضايا فيقوم بتصنيف اهتماماته نحو هذه القضايا ويركز على المعلومات المقدمة حول هذه القضايا دون غيرها.

اتساع المعتقدات: تعمل وسائل الإعلام على توسيع المعتقدات المدركة لأفراد الجمهور لأنهم يتعلمون من وسائل الإعلام ليتم تنظيمها في فئات تنتمي إلى أنظمة معينة كالأسرة أو الدين بما يعكس الاهتمامات الرئيسية للأنشطة الاجتماعية.

القيم: تقوم وسائل الإعلام بدور كبير في نشر وتوضيح أهمية القيم والمعتقدات التي يشترك فيها أفراد المجتمع وتعمل على الحفاظ عليها[23].

ثانيا- التأثيرات الوجدانية: تتضمن التأثيرات الوجدانية أو العاطفية على كل من[24]:

الفتور العاطفي: إن كثرة التعرض للعنف في وسائل الإعلام يؤدي إلى الشعور باللامبالاة وعدم الرغبة في تقديم المساعدة أثناء العنف الحقيقي، فالاستثارة الناتجة عن مشاهدة العنف في وسائل العلام تؤدي في نهاية المطاف إلى الفتور العاطفي.

الخوف والقلق: قد يؤدي اعتماد الفرد على وسائل الإعلام عندما تعرض أحداث وأخبار معينة كانتشار الأوبئة والكوارث إلى إثارة مشاعر التوتر والخوف كما قد تؤدي إلى التقليل من هذه المشاعر من خلال كفاية المعلومات التي تقدمها.

الدعم المعنوي والاغتراب: ترفع وسائل الإعلام الروح المعنوية لأفراد الجمهور عندما تقوم بأدوار اتصالية رئيسية وتعكس الفئات الاجتماعية التي ينتمي إليها نتيجة زيادة الشعور الجمعي والتوحيد والاندماج، أما في حالة عدم توفر المعلومات التي تعبر عن الأفراد وثقافتهم وانتماءاتهم فإنها تزيد من الشعور بالاغتراب.

ثالثا- التأثيرات السلوكية: تتضمن التأثيرات السلوكية كل من[25]:

التنشيط: يعني قيام الفرد بعمل ما نتيجة التعرض للوسيلة الإعلامية وهو المنتج النهائي لربط الآثار المعرفية والوجدانية كاتخاذ مواقف سلوكية مؤيدة أو معارضة نتيجة التعرض لوسائل الإعلام كما يمكن أن يكون هذا التنشيط مفيدا اجتماعيا أو ضارا اجتماعيا.

الخمول: يعني عدم النشاط وتجنب القيام بالفعل نتيجة التعرض المبالغ فيه لوسائل الإعلام فتدفع الفرد إلى العزوف، السلبية، الامتناع وعدم المشاركة في الأنشطة التي تفيد المجتمع نتيجة الإحساس بالملل.

5- أهم الانتقادات الموجهة نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام: تتمثل أهم الانتقادات التي وجهت لنظرية الاعتماد على وسائل الإعلام في:

- مبالغة النظرية في درجة اعتماد وسائل الإعلام أثناء نشاطها على مكونات النشاط الاجتماعي، وذلك أن وسائل الإعلام غالبا ما تكون محايدة بمعنى أنها مصدر غير سياسي وغير اقتصادي بل هي وسيط محايد.
- جزم النظرية المسبق بتأثر أفراد الجمهور بمضامين وسائل الإعلام وإهمالها للقدرة الانتقائية لأفراد الجمهور، مع أن الأفراد يؤثرون ويتأثرون من خلال التفاعل بينهم وبوسائط اجتماعية أخرى كالجماعات المرجعية.
- أنصار هذه النظرية عرفوا الاعتماد على أنه التعرض في حين أن الاعتماد غير التعرض، فالفرد قد يتعرض إلى مضامين وسائل الإعلام المختلفة لكنه لا يعتمد عليها في حصوله على المعلومات بل يعتمد على مصادر إعلامية أخرى داخل النظام الاجتماعي[26].

سادسا: عرض وتحليل نتائج الدراسة

توصلت الدراسة الميدانية إلى النتائج الآتية:

1- عادات وأنماط اعتماد طلبة علوم الإعلام والاتصال بجامعة سطيف2 على البرامج التفاعلية في قناة MBC1:

- يشاهد أغلب أفراد العينة وبنسبة 46% قناة MBC1 بصفة غير منتظمة -أحيانا-، بينما يشاهد نسبة 28% من عينة الطلبة المبحوثين قناة MBC1 نادرا، في حين جاءت نسبة المشاهدين بصفة دائمة ومنتظمة 26%، ويرجع عدم الانتظام في المشاهدة إلى كون أغلب وقت الطلبة من أفراد العينة يكون للدراسة والبحث العلمي إضافة إلى توجه فئة كبيرة من الشباب إلى استخدام مواقع التواصل الاجتماعي أو حتى مشاهدة قنوات فضائية أخرى.
- يفضل أغلب أفراد العينة مشاهدة البرامج التالية في قناة MBC1: برامج المواهب الغنائية بنسبة 28.57%، ثم البرامج الاجتماعية بنسبة 26.78%، ثم برامج الألعاب والمسابقات بنسبة 19.64%، يليها البرامج الحوارية بنسبة 13.39%، ثم برامج المرأة بنسبة 8.05% يليه برامج أخرى بنسبة 3.57%، وتدل هذه النتائج على تنوع وتعدد البرامج التي تقدمها قناة MBC1 لمشاهديها في سبيل تحقيق حاجات شريحة واسعة من الجمهور المتمايز في الاهتمامات والميول.
- يشاهد أغلب أفراد العينة بصفة غير منتظمة -أحيانا- وبنسبة 44% البرامج التفاعلية التالية: برنامج الصدمة، برنامج كلام نواعم، برنامج قمرة وبرنامج ذو فويس The Voice) في قناة MBC1 ، بينما

يشاهد ما نسبته 29% من عينة الطلبة المبحوثين البرامج التفاعلية السابقة في قناة MBC1 نادرا، في حين جاءت نسبة مشاهدي هذه البرامج بصفة دائمة ومنتظمة 27%، وترجع هذه النتائج إلى أن أفراد عينة الدراسة لا يولون الاهتمام الأول أو الكبير لهذه البرامج أو ليس لهم ميول شديد نحوها إلا ما يحتاجون إليه من معلومات ، فهذه البرامج التفاعلية في قناة MBC1 أحيانا ما تعالج الموضوعات المفضلة لأفراد عينة الدراسة.

- يشاهد أغلب المبحوثين البرامج التفاعلية في قناة MBC1 بنسبة 78% حسب الظروف، بينما يشاهد ما نسبته 12% البرامج التفاعلية في قناة MBC1 مرة في الأسبوع، في حين من يشاهد البرامج التفاعلية في قناة MBC1 يوميا فقدرت نسبتهم بـ 10%، وترجع هذه النتائج إلى كون الدراسة و البحث العلمي يأخذان جزء كبير من وقت المبحوثين لأن مرحلة الليسانس والماستر يكون فيها عدد المقاييس كبير نوعا ما كما يوضحه الجدول رقم (03) كما يمكن أن يكون توقيت بث هذه البرامج التفاعلية في قناة MBC1 غير مناسب لشريحة واسعة من المبحوثين خاصة وان برنامج كلام نواعم وبرنامج فو فويس The Voice يبث مرة في الأسبوع وبرنامج الصدمة وبرنامج قمرة يبث يوميا في شهر رمضان لذا أغلب المبحوثين عبروا عن مشاهدتهم لهذ البرامج يكون حسب الظروف.
- أغلب أفراد العينة يشاهدون البرامج التفاعلية في قناة MBC1 مع العائلة بنسبة 50%، بينما جاءت نسبة من يشاهد هذه البرامج بصفة فردية 48%، في حين بلغت نسبة من يشاهدها مع الأصدقاء 2%، إن تقارب نسبة المشاهدة مع العائلة والمشاهدة بصفة منفردة يرجع ذلك إلى توافق ميول واتجاهات أغلب المبحوثين في متابعة برامجهم المفضلة مع أفراد عائلاتهم فكون أغلب الطلبة من صغار السن وفي المراحل الأولى للدراسة الجامعية قد لا يملكون أجهزة خاصة بهم لاستقبال ومشاهدة البرامج المفضلة لديهم بصفة منفردة ما يدفعهم للمشاهدة مع العائلة، كما ترجع النتائج إلى اختلاف الى حاجات، ميول واهتمامات المبحوثين مع المحيطين بهم في متابعة البرامج التفاعلية ما يدفعهم للمشاهدة بمفردهم.
- أنسب فترة لأغلب أفراد العينة لمشاهدة البرامج التفاعلية في قناة MBC1 هي فترة السهرة بنسبة 64%، ثم الفترة المسائية بنسبة 26%، ثم فترة الظهيرة بنسبة 8%، بينما يشاهد ما نسبته 2 %من المبحوثين هذا البرامج في الفترة الصباحية، وتفسر هذه النتائج كون فترة السهرة هي الفترة التي يرتاح فيها الطلبة من التزامات الدراسة ويستغلونها لإشباع حاجاتهم بمتابعة برامجهم الاجتماعية التفاعلية المفضلة، إضافة إلى اعتبار فترة السهرة هي أنسب فترة لبث أغلب البرامج الفضائية.
- جاء تفضيل أفراد العينة للبرامج التفاعلية محل الدراسة في المرتبة الأولى لبرنامج اكتشاف المواهب الغنائية فو فويس The Voice بنسبة 37%، ثم برنامج الصدمة بنسبة 29%، يليه برنامج كلام نواعم بنسبة 18%، ثم برنامج قمرة بنسبة 16%، وترجع هذه النتائج بهذه الترتيب إلى طول عمر واستمرار بث هذه البرامج وبمواسم كثيرة وهذا دليل على ان لديها نسب مشاهدة وناجحة ، فمتابعة أفراد عينة الدراسة لهذه البرامج يدل على تفضيلهم للقضايا التي تطرحها فهي تحظى بأهمية لدى أفراد العينة وتؤدي دورا في حصولهم على المعلومات وفي تشكيل الآراء والاتجاهات نحو بعض القضايا التي تعالجها وهذا رغم اختلاف نسب التفضيل.
- أكد أغلب المبحوثين أن أكثر ما يلفت انتباههم لمشاهدة البرامج التفاعلية السابقة الذكر في قناة MBC1 هي الأزياء والديكور وأيضا كونها برامج مشهورة ومعروفة ليحصلا على نفس النسبة والمقدرة بـ 18% لكل منهما، ثم لطبيعة ومواضيع القضايا المعالجة بنسبة 16%، ثم لطريقة عرضها وتقديمها للقضايا

والمواضيع التي تتقارب واهتماماتهم بنسبة 14 %، وهي نفس النسبة أيضا لطبيعة الضيوف والمشتركين في البرنامج والمقدرة بـ 14%، يليه أساليب وتقنيات التصوير والإخراج بنسبة 8% ، أما توفير وسائل للتفاعل والمشاركة فيها حصلت على نسبة 6%، ثم التحليل والنقد في معالجة القضايا والمواضيع المثارة بنسبة 4%، وأخيرا من يلفت المقدم انتباهه جاء في المرتبة الأخيرة بنسبة 2 %، وترجع هذه النسب كون هذه البرامج التفاعلية تسعى دائما لتوظيف مختلف العناصر التي تجعلها أكثر جاذبية وذلك لاستقطاب أكبر عدد ممكن من المشاهدين المتمايزين في اهتماماتهم، حاجاتهم ودوافعهم للمشاهدة.

2- دوافع إقبال طلبة علوم الإعلام والاتصال بجامعة سطيف2 على متابعة البرامج التفاعلية في قناة MBC1:

- يفضل أكثر المبحوثين عند إعجابهم بحلقة من حلقات البرامج التفاعلية محل الدراسة في قناة MBC1 بمشاهدة بعض المقاطع فيه 46%، في حين من يقوم بمشاهدته من البداية إلى النهاية فبنسبة 42% بينما يفضل ما نسبته 10% إعادة مشاهدته، وأخيرا الذين يرغبون في المشاركة والتفاعل معه فبنسبة 2 %، وأما الذين يقومون بتسجيله فكانت نسبتهم 0%، وترجع هذه النتائج إلى الأهمية النسبية لمواضيع وحلقات هذه البرامج التفاعلية وملائمتها لأولويات المبحوث ما يدفعه لمشاهدة الجزء المفضل فقط أو المشاهدة الكاملة للبرنامج التفاعلي.
- أغلب أفراد العينة نادرا ما يتفاعلون مع مواضيع البرامج التفاعلية في قناة MBC1 بنسبة 70% مقابل 20 %من المبحوثين يتفاعلون مع البرامج التفاعلية محل الدراسة في قناةMBC1 بصفة غير منتظمة، في حين يتفاعل ما نسبته 10% بصفة دائمة.
- يتفاعل أغلب المبحوثين مع البرامج التفاعلية في قناة MBC1 باستخدام مواقع التواصل الاجتماعي بنسبة 75%، بينما الاتصال الهاتفي 15 %، في حين يتفاعل مما نسبته 10% من المبحوثين عن طريق البريد الإلكتروني، بينما تنعدم نسبة المتفاعلين عن طريق الحضور الشخصي و الرسائل النصية ، وترجع هذه النتائج كون التفاعلية الإلكترونية أو التفاعلية عبر وسائل الإعلام الجديد أحد أهم الأشكال التفاعل مع البرامج محل الدراسة سواء عبر مواقع التواصل الاجتماعي خاصة اليوتيوب والفيس بوك أو عن طريق البريد الإلكتروني ما يجعلها الخيار الأول نظرا لسرعة، سهولة وقلة تكلفة استخدامها مقارنة بالتفاعل التقليدي المتمثل في الاتصالات الهاتفية أو الرسائل النصية ،فاستخدام التفاعلية عبر مواقع التواصل الاجتماعي مناسبة لأفراد العينة ودخلهم كونهم من الطلبة مقارنة بالاتصال الهاتفي والرسائل النصية القصيرة التي تتميز بارتفاع كلفة الإنفاق وخصوصا أن الاتصالات دولية مقارنة باستخدام الإنترنت وتطبيقاتها.
- أغلب أفراد العينة الذين تفاعلوا مع البرامج التفاعلية محل الدراسة قاموا بطرح آراء وأفكار حول القضية المثارة بنسبة 52.77 %، ثم توجيه الأسئلة بنسبة 27.77% يليها تقديم مساعدة بنسبة 13.88% طلب استشارة بنسبة 5.55 % وأخيرا التصويت بنسبة منعدمة، وترجع هذه النتائج إلى اختلاف أسباب ودوافع التفاعل وفق حاجات واهتمامات أفراد العينة.
- يتفاعل أغلب المبحوثين مع البرامج التفاعلية محل الدراسة عبر مواقع التواصل الاجتماعي خاصة اليوتيوب و الفيس بوك بالاطلاع فقط على مضامين البرامج التفاعلية محل الدراسة بنسبة 40%، ثم جاءت نسبة من يتفاعل بإبداء الإعجاب وغيره 22% وأيضا من يتفاعل بالتعليق على القضية بنسبة 22%، في حين ما نسبته 10% يقومون بها كلها (الإعجاب، التعليق والمشاركة) وأخيرا المشاركة أقل أشكال

التفاعل مع القضية بنسبة 6%، وترجع هذه النتائج كون الاطلاع فقط يسمح لأفراد العينة تتفادي ظهور أسمائهم و أيضا الاحتكاك مع المشاركين خاصة وأن أغلب أفراد العينة من الإناث حسب الجدول رقم (01)، كما أن الإعجاب أكثر أشكال التفاعل استخداما لسهولة استخدامه وتنوع أشكاله (الايموجي EMOJIS) أما التعليق كونه يتيح للمتفاعل مجالا لإبداء الرأي والتعبير بكل حرية في موضوع أو قضية معينة دون قيود أو حرج حيث تؤكد هذه النتيجة نتيجة السؤال السابق (رقم 12) حول تفاعل أفراد العينة مع البرامج التفاعلية كان بطرح الآراء والأفكار وهذا ما يوفره التعليق للمتفاعل.

- جاءت الدوافع النفسية والترفيهية في مقدمة دوافع مشاهدة أفراد عينة الدراسة للبرامج التفاعلية محل الدراسة في قناة MBC1 وبنسبة 58%، يليها في المرتبة الثانية الدوافع المعرفية بنسبة 26%، ثم في المرتبة الأخيرة الدوافع الاجتماعية بنسبة 16%، حيث تقدم البرامج التلفزيونية مضامينها في قالب له القدرة على إشباع حاجات المختلفة للمتلقي مما يزيد في اعتماده عليها كمصدر مهم لتحقيق أهدافه وحاجاته.
- أكد أغلب المبحوثين بخصوص الدوافع النفسية والترفيهية وراء مشاهدتهم للبرامج الاجتماعية التفاعلية محل الدراسة في قناة MBC1 أن أهم دافع تمضية وقت الفراغ والتخلص من التوتر بنسبة 34% يليه دافع تعزيز الثقة بالنفس بنسبة 32%، ثم الميول لهذا النوع من البرامج بنسبة 20%، يليه دافع الإحساس بقواسم مشتركة مع ما تقدمه هذه البرامج بنسبة 10%، وأخيرا دافع التعود على المشاهدة بنسبة 4%، فمن أهداف تعرض المتلقي لوسائل الإعلام عامة الحصول على التسلية من خلال الراحة والاسترخاء التي تعتبر سمة في كل مجتمع فهي أكثر من مجرد وسيلة للهروب أو التخلص من التوتر ، كما أنها وسيلة للتعبير عن الفرد وثقافته من خلال الأنشطة التي يمارسها.
- أكد أغلب المبحوثين بخصوص الدوافع المعرفية والتثقيفية وراء مشاهدتهم للبرامج التفاعلية محل الدراسة في قناة MBC1 أن أهم دافع هو فهم الواقع المعاش بنسبة 32%، يليه دافع التعرف على أهم القضايا والمواضيع البارزة في المجتمع بنسبة 26%، يليه دافع تكوين آراء واتجاهات حول هذه القضايا والمواضيع المعالجة بنسبة 24%، وأخيرا دافع تكوين معرفة صورة ذهنية حول القضايا المعالجة في هذه البرامج بنسبة 18%، وترجع هذه النتائج كون الفرد لا يعيش في معزل عن الآخرين لذا من الضروري أن يكون على دراية بما يحدث في محيط المجتمع الذي يعيش فيه مما يزيد من ثقافته العامة وفرصته في الحصول على المعلومات التي تساعده في التكيف في المجتمع وفي تكوين الاتجاهات.
- أغلب أفراد العينة وبنسبة مقدارها 66% أكدوا أن دافع التوعية والوعي بالقضايا المطروحة هو أهم الدوافع الاجتماعية وراء مشاهدتهم للبرامج التفاعلية محل الدراسة في قناة MBC1، يليه دافع اكتساب القيم الاجتماعية بنسبة قدرت بـ 12%، في حين نسبة دافع تعلم سلوكيات اجتماعية قدرت هي أيضا بـ 12%، وأخير دافع التأقلم مع المجتمع بنسبة 10%، حيث تعتبر وسائل الإعلام شريك مهم في عملية التعلم وفي التنشئة الاجتماعية ما يؤكد تنوع الدوافع الاجتماعية وراء مشاهدة البرامج التفاعلية خاصة وأن أغلب مضامينها مصدرها من النظم الاجتماعية في المجتمع.
- يعتمد أغلب أفراد العينة على البرامج التفاعلية محل الدراسة كمصدر من مصادر الحصول على المعلومات بدرجة متوسطة وبنسبة 70%، وبلغت نسبة من يعتمد عليها بدرجة جيدة 22%، في حين من يعتمد عليها بدرجة ضعيفة حصلوا على نسبة8%.
- أكد أغلب المبحوثين أن هدف التسلية هو الهدف الأول الذي تشبعه وتحققه مشاهدة البرامج التفاعلية محل الدراسة وبنسبة 50% ليأتي في المرتبة الأولى، ثم يليه ثانيا هدف الفهم بنسبة 28%، بينما هدف التوجيه

جاء في المرتبة الأخيرة بنسبة 22%، وترجع هذه النتائج إلى أن أفراد العينة يعتمدون على البرامج التفاعلية محل الدراسة باعتبارها مصدرا من مصادر تحقيق أهدافهم غم اختلاف ترتيب وأهمية هذه الأهداف بالنسبة لهم.

3- الآثار الاجتماعية المعرفية للبرامج التفاعلية في قناة MBC1 على طلبة علوم الإعلام والاتصال بجامعة سطيف2:

- جاءت نسبة طلبة الإعلام والاتصال الموافقون على العبارة الأولى " تؤدي البرامج التفاعلية دورا هاما في زيادة معرفة المتلقي بأحداث معينة في المجتمع" في المرتبة الأولى وذلك بنسبة 80 %، ثم المحايدين في المرتبة الثانية بنسبة 18 %، وأخيرا المعارضين في المرتبة الأخيرة بنسبة 2%، في حين كان التكرار المرجح لهذه العبارة 2.78 ما يؤكد الاتجاه الإيجابي للمبحوثين نحو العبارة الأولى، وتدل هذه النتيجة على أن من أهم وظائف البرامج التفاعلية محل الدراسة هي الإعلام والتثقيف كما تعتبر من أهم المصادر المتاحة للمتلقي للحصول على المعلومات والأخبار خاصة مع وقوع الأحداث الغير متوقعة أو الأزمات والتي تسهم في تحقيق أهدافه المتمثلة حسب منظور الدراسة في الفهم، التوجيه والتسلية.
- جاءت نسبة طلبة الإعلام والاتصال المعارضين للعبارة الثانية "تقدم البرامج التفاعلية صورا ذهنية سلبية عن قضايا المرأة العربية" بنسبة 50%، بينما بلغت نسبة المحايدين نسبة 40%، وأخيرا نسبة الموافقين بـ 10%، في حين كان التكرار المرجح لهذه العبارة 2.40 ما يؤكد الاتجاه السلبي للمبحوثين نحو العبارة الثانية وعدم الموافقة على نصها، وترجع هذه النتائج إلى كون هذه البرامج تساهم في توسيع المعتقدات التي يدركها المتلقي فغالبا ما تقدم نماذج إيجابية وقصص كفاح لشخصيات نسوية عربية تحدت الصعاب في رحلة النجاح ووصلت الى تحقيق إنجازات مهمة وتقديمها كقدوة وكالهام للمشاهد في مجالات عديدة وتدعو إلى الاقتداء بها، كما تعمل على تقديم الحلول والمساعدة لكثير من مشاكل المرأة وتزرع الأمل وتشجعها على تقديم ذاتها، كما تحث على ضرورة اكتساب السلوك الإيجابي نحو المرأة في المجتمع خاصة برنامج كلام نواعم.
- جاءت نسبة المبحوثين الموافقون على العبارة الثالثة " تحدث البرامج التفاعلية غموض لدى المتلقي عن بعض الأحداث والقضايا التي تغطيها " بنسبة 56%، في حين جاءت نسبة المحايدين بـ 32%، وأخيرا المعارضون بنسبة 12%، في حين كان التكرار المرجح لهذه العبارة 1.56 ما يؤكد الاتجاه الإيجابي وموافقة المبحوثين على العبارة الثالثة، وتؤكد هذه النتيجة على وقوع المتلقي في حالات الغموض والتي تحدث بسبب تناقض أو تضارب المعلومات التي يحصل عليها المتلقي، أو نقص أو عدم كفاية المعلومات التي يتعرض لها لفهم معنى حدث معين أو تحديد التفسير الصحيح لهذا الحدث، وعليه فعلم المتلقي بوقوع حدث ما وافتقاره للمعلومات الكافية والإلمام بالتفاصيل بكل أبعادها ودلالاتها لفهم مغزاه أو تفسيره تنشأ لديه مشكلة الغموض لفهم وتحديد الواقع المحيط به.
- جاءت نسبة المبحوثين الموافقين على العبارة الرابعة "تعمل البرامج التفاعلية على ترتيب أولويات المتلقي في معرفة قضايا معينة على حساب قضايا أخرى" بنسبة 58%، يليها المحايدون بنسبة 26%، وأخيرا المعارضون بنسبة 16%، في حين كان التكرار المرجح لهذه العبارة 2.42 ما يؤكد الاتجاه الإيجابي وموافقة المبحوثين على العبارة أعلاه، وتؤكد هذه النتيجة أهمية البرامج التفاعلية محل الدراسة ودورها في تحديد ترتيب أولويات واهتمامات المتلقي الذي يعتمد عليها في معرفة القضايا والمواضيع التي تبرزها

وتنشرها هذه البرامج من بين العديد من القضايا والمشكلات الملحة المطروحة في المجتمع، وهذا الترتيب يكون وفق السياسة التي تحددها قناة MBC1.

- جاءت نسبة المحايدين على العبارة الخامسة "تساهم البرامج التفاعلية في توسيع المعتقدات والقيم الاجتماعية التي يدركها المتلقي" في المرتبة الأولى وذلك بنسبة 44%، في حين بلغت نسبة الموافقون 42%، وفي الأخير المعارضون بنسبة 14%، في حين كان التكرار المرجح لهذه العبارة 2.28 ما يؤكد الاتجاه الإيجابي وموافقة المبحوثين على العبارة الخامسة، وترجع هذه النتائج الى أن هذه البرامج التفاعلية تعمل على إظهار وإيضاح القيم وأهميتها في المجتمع من خلال سياقات وبناءات معينة، كما تقوم بتقديم المعلومات التي تبرز الصراع القائم بين القيم المتباينة والتي يشترك في اعتناقها أفراد الجمهور كما أنها تعمل وتدعوا إلى إرساء وإحياء قيم المجتمع الإيجابية التي غابت مع العولمة الإعلامية عن مجتمعنا العربي.
- جاءت نسبة الموافقين على العبارة السادسة " تساهم معلومات البرامج التفاعلية في تكوين الاتجاه وتشكيل الرأي العام نحو القضايا التي تثيرها" بـ 76% في المرتبة الأولى، في حين بلغت نسبة المحايدين 14%، وفي الأخير المعارضين بنسبة 10%، في حين كان التكرار المرجح لهذه العبارة 2.66 ما يؤكد الاتجاه الإيجابي وموافقة المبحوثين على العبارة السادسة، مما لا ريب فيه أن المتلقي يستخدم المعلومات المتحصل عليها من البرامج محل الدراسة في تكوين الاتجاهات نحو القضايا التي تثيرها وتناقشها كما تقوم بدفع قوي للآراء، الأفكار والمواضيع التي تثير اهتمام المتلقي بها وخاصة في حالات عدم الاستقرار والأزمات ما يوضح الدور الكبير الذي تقوم به في تشكيل الاتجاهات.
- جاءت نسبة الموافقين على العبارة السابعة " تساهم البرامج التفاعلية في نشر الوعي الاجتماعي نحو بعض الأحداث " 72% في المرتبة الأولى، ثم المحايدين بنسبة 22%، تليها نسبة المعارضين بـ 6%، في حين كان التكرار المرجح لهذه العبارة 2.66 ما يؤكد الاتجاه الإيجابي وموافقة المبحوثين على العبارة أعلاه، ويظهر هذا الوعي نتيجة ما تقدمه البرامج التفاعلية محل الدراسة من معلومات، معارف وأخبار معينة من خلال مختلف الرسائل الإعلامية التي تحملها والتي تحدث تأثيرات على وعي المتلقي فالبرامج التفاعلية تساعد على شيوع وزيادة الوعي الاجتماعي نتيجة الكم الهائل من المعلومات والنصائح التي تقدمها للمتلقي حول قضايا وأحداث معينة.

4- الآثار الاجتماعية الوجدانية للبرامج التفاعلية في قناة MBC1 لدى طلبة علوم الإعلام والاتصال بجامعة سطيف2:

- جاءت نسبة المحايدين على العبارة الأولى "البرامج التفاعلية تجعل المتلقي يشعر بالفتور العاطفي" بنسبة 52 % لتحتل المرتبة الأولى، ثم الموافقين بنسبة 28 %، بينما بلغت نسبة المعارضين 20%، في حين كان التكرار المرجح لهذه العبارة 1.92 ما يؤكد الاتجاه الإيجابي وموافقة المبحوثين على العبارة الأولى بخصوص الآثار الاجتماعية الوجدانية، تعمل البرامج التفاعلية محل الدراسة من خلال مختلف الرسائل التي تمررها على التأثير في مشاعر وعواطف المتلقي كالشعور بالتبلد وباللامبالاة وعدم الرغبة في تقديم العون للآخرين أوقات الحاجة، فالاستثارة الناتجة عن التعرض المتكرر لبعض الرسائل كالعنف اللفظي أو الجسدي تتناقص تدريجيا بمرور الوقت وتؤدي في نهاية المطاف إلى الفتور العاطفي.
- جاء الموافقون على العبارة الثانية " تساهم البرامج التفاعلية في رفع الروح المعنوية وتقديم الدعم المعنوي للمتلقي" بنسبة 56%، في حين جاء المحايدون لهذه العبارة بنسبة 38%، وأخيرا المعارضون بنسبة 6%،

في حين كان التكرار المرجح لهذه العبارة 2.5 ما يؤكد الاتجاه الإيجابي وموافقة المبحوثين على العبارة الثانية، تؤثر البرامج التفاعلية محل الدراسة على معنويات المتلقي بطريقة إيجابية نتيجة تقديم هذه الأخيرة لمعلومات إيجابية وقيامها بدور اتصالي فعال ما مكنها من أن يكون لها تأثير معنوي على المتلقي تمثل في رفع الروح المعنوية وتقديم الدعم المعنوي والعاطفي له نتيجة شعوره بالاندماج في فئة من فئات المجتمع.

- جاء المعارضون على العبارة الثالثة "تساهم البرامج التفاعلية في شعور المتلقي بالاغتراب والعزلة الاجتماعية" بنسبة 44% وذلك في المرتبة الأولى، بينما بلغت نسبة المحايدين 38% من عينة الدراسة، وفي الأخير جاء الموافقون بنسبة 18%، في حين كان التكرار المرجح لهذه العبارة 2.26 ما يؤكد الاتجاه السلبي وعدم موافقة المبحوثين على العبارة أعلاه، وترجع هذه النتيجة إلى أن البرامج التفاعلية محل الدراسة لم تؤثر على معنويات المتلقي بطريقة سلبية وتعود هذه النتيجة إلى أن هذه البرامج توفر للمتلقي ما يكفيه من المعلومات التي تعبر عن نفسه، ثقافته واهتماماته وتشجع حاجاته المعرفية والعاطفية مما يقلل شعوره بالاغتراب، كما تؤكد هذه النتيجة نتيجة العبارة السابقة والتي مفادها تأثير هذه البرامج التفاعلية الإيجابي على معنويات المتلقي.
- جاء المعارضون للعبارة الرابعة " تؤدي البرامج التفاعلية دورا في استثارة مشاعر الخوف وعدم الأمن الاجتماعي " بأكبر نسبة 44%، ثم جاء المحايدون والموافقون بنفس النسبة 28% لكل منهما، في حين كان التكرار المرجح لهذه العبارة 2.16 ما يؤكد الاتجاه السلبي وعدم موافقة المبحوثين على العبارة السابقة، وترجع هذه إلى أن البرامج محل الدراسة نادرا ما تقوم بعرض أو إثارة الخوف لديه من المجهول المتوقع وبما أن هذه البرامج برامج تفاعلية فهي تعمل على إقامة علاقة تفاعلية بينها وبين المتلقي مع الاهتمام على بعوامل رجع الصدى أو رد الفعل.
- جاء الموافقون على العبارة الخامسة "تعكس البرامج التفاعلية اهتمامات، رغبات وحاجات المتلقي" بنسبة 58%، في حين جاء المحايدون بنسبة 28%، وفي المرتبة الأخيرة جاء المعارضون وذلك بنسبة 14%، في حين كان التكرار المرجح لهذه العبارة 2.44 ما يؤكد الاتجاه الإيجابي وموافقة المبحوثين على العبارة الخامسة، يستخدم المتلقي البرامج التفاعلية محل الدراسة لإشباع حاجاته النفسية والاجتماعية كما يعتمدون عليها لفهم الواقع الاجتماعي ما يجعلها تعمل على إدراك حاجات ورغبات المتلقي وتقديمها إليه لتحقيق أهدافهم.
- جاء الموافقون على العبارة السادسة "تساعد البرامج التفاعلية المتلقي على تعزيز ثقة المتلقي بنفسه وتقديمها للآخر بشكل إيجابي" بنسبة 58%، في حين جاء المحايدون بنسبة 34%، وفي المرتبة الأخيرة جاء المعارضون وذلك بنسبة 8%، في حين كان التكرار المرجح لهذه العبارة 2.5 ما يؤكد الاتجاه الإيجابي وموافقة المبحوثين على العبارة أعلاه، وترجع هذه النتيجة إلى أن البرامج محل الدراسة تعكس الفئات الاجتماعية التي ينتمي إليها المتلقي كما تؤثر على معنويات المتلقي بطريقة إيجابية من خلال تقديمها للدعم المعنوي ورفع الروح المعنوية ما يكسب المتلقي ثقة في نفسه وقدراته.
- جاء الموافقون على العبارة السابعة" تعتبر البرامج التفاعلية فضاء للتنفيس والاسترخاء من ضغوطات الحياة لدى المتلقي"، وذلك بنسبة 52% لتأتي في المرتبة الأولى، بينما جاء المحايدون بنسبة 30%، وجاء في المرتبة الثالثة المعارضون بنسبة 18%، في حين كان التكرار المرجح لهذه العبارة 2.34 ما يؤكد الاتجاه الإيجابي وموافقة المبحوثين على العبارة السابقة، يعتبر هدف التسلية من بين أهداف اعتماد الفرد

على وسائل الإعلام ، فالفرد يحتاج إلى الترفيه والتسلية المنعزلة والتسلية الاجتماعية ، فالبرامج التفاعلية محل الدراسة تتجنب تجاهل هذا الهدف فتعمل على إشباعه للمتلقي.

5- الآثار الاجتماعية السلوكية للبرامج التفاعلية في قناة MBC1 لدى طلبة علوم الإعلام والاتصال بجامعة سطيف2:

- جاء الموافقون على العبارة الأولى "تؤدي البرامج التفاعلية دورا إيجابيا في تنمية مسؤولية المتلقي اتجاه المجتمع" في المرتبة الأولى بنسبة 54%، في حين جاءت نسبة المحايدين مقدرة بـ 38%، وأخيرا المعارضين بنسبة 8%، في حين كان التكرار المرجح لهذه العبارة 2.08 ما يؤكد الاتجاه الإيجابي وموافقة المبحوثين على العبارة أعلاه، وترجع هذه النتيجة كون البرامج التفاعلية محل الدراسة تعالج دائما الموضوعات المفضلة للمبحوثين والتي تلبي احتياجاتهم وتحقق إشباعهم وتحفز المتلقي على التكافل الاجتماعي اتخاذ مواقف إيجابية ومؤيدة وفي هذه الحالة يعود تعرض المتلقي للرسائل الإعلامية لهذه البرامج بالفائدة الاجتماعية.
- جاء المحايدون على العبارة الثانية "تساهم البرامج التفاعلية في إضعاف علاقات المتلقي وتفاعله المباشر مع الأسرة والأهل" بنسبة 50%، بينما بلغت نسبة المعارضون لهذه العبارة 26%، وجاء الموافقون بنسبة 24%، في حين كان التكرار المرجح لهذه العبارة 2.02 ما يؤكد الاتجاه السلبي وعدم موافقة المبحوثين على العبارة أعلاه، وتؤكد هذه النتيجة على عدم تأثير الرسائل الإعلامية للبرامج التفاعلية محل الدراسة عن مشاركة المتلقي في المجتمع كمل لم تؤثر على تواصله المباشر وتفاعله الاجتماعي وعلى علاقاته الأسرية أيضا وقد يعود ذلك إلى تشجيع تلك الرسائل على تقوية العلاقات داحل النسق الأسري ونبذ الطابع الفردي بين أفرادها وتشجيعها لدور الأسرة في المجتمع.
- جاء المحايدون للعبارة الثالثة "تساهم البرامج التفاعلية في انتهاك المتلقي للقواعد السلوكية والالتزامات الاجتماعية " بنسبة 50%، بينما جاء المعارضون على هذه العبارة بنسبة 32%، وجاء في المرتبة الثالثة الموافقون بنسبة 18%، في حين كان التكرار المرجح لهذه العبارة 2.14 ما يؤكد الاتجاه السلبي وعدم موافقة المبحوثين على العبارة الثالثة، وتعود هذه النتيجة إلى أن الكثير من الرسائل التي تحملها البرامج التفاعلية محل التحليل تدعوا إلى السلوك الإيجابي والالتزام الاجتماعي حيث تحمل معاني، معتقدات وقيم إيجابية تسعى لنشرها بين أفراد المجتمع وتحاول بها تغيير السلوك السلبي والغير مرغوب فيه في المجتمع وتدعوا إلى تنشيط المتلقي باتخاذ مواقف سلوكية إيجابية تتماشى وطبيعة المجتمع العربي الإسلامي وتعود بالفائدة الاجتماعية سواء على الفرد أو المجتمع وتسعى إلى اقتداء المتلقي بالسلوك السليم.
- جاء المحايدون على العبارة الرابعة "تساهم البرامج التفاعلية في تنمية الذاتية والفردية لدى المتلقي" بنسبة 48%، في حين جاء الموافقون على العبارة بنسبة 36%، وأخيرا المعارضون بنسبة 16%، في حين كان التكرار المرجح لهذه العبارة 1.80ما يؤكد الاتجاه الإيجابي وموافقة المبحوثين على العبارة السابقة، وتعود هذه النتيجة إلى أن البرامج التفاعلية محل الدراسة تعمل على الهام المتلقي وعلى رفع مستور ثقة الفرد بنفسه وتعمل على تنمية ذاته ومواهبه عن طريق تقديم التشجيع المعنوي والنصائح والإرشاد الذي يساعده على التقدم والاستمرار في حياته والتغلب على الصعاب والتحديات التي تواجهه.
- جاء الموافقون على العبارة الخامسة " أعمل بالنصائح والحلول التي تقدمها البرامج التفاعلية حول القضايا المعالجة في إطار المجتمع" بنسبة 44%، بينما جاء المحايدون لهذه العبارة بنسبة 42%، في حين جاء المعارضون بنسبة 14%، في حين كان التكرار المرجح لهذه العبارة 2.30 ما يؤكد الاتجاه الإيجابي

وموافقة المبحوثين على العبارة أعلاه، ويمكن تفسير هذه النتيجة أن بعض مضامين البرامج التفاعلية محل التحليل تعمل على محاربة بعض المشاكل والسلوكيات التي يعاني منها المجتمع وتسعى جاهدة للقضاء عليها والحد منها بتقديم نصائح للمتلقي للإقلاع عن هذه السلوكيات السلبية وأيضا حلول وبدائل للمشاكل الاجتماعية التي يعانيها المتلقي ويكون ذلك مع مراعاة عادات وتقاليد المجتمع وتعليم الدين الإسلامي لتجنب عزوف الفرد عن مشاهدتها إضافة الى استخدام هذا الإطار من أجل التأثير النفسي على المشاهد ومن أجل تسهيل قبول الرسالة والاقتناع بها.

- جاء المحايدون على العبارة السادسة "تعمل البرامج التفاعلية على تخلي المتلقي عن سلوكه وعاداته الاجتماعية السيئة" في المرتبة الأولى وذلك بنسبة 48%، في حين جاء الموافقون على العبارة بنسبة 42%، ثم المعارضون بنسبة 10%، في حين كان التكرار المرجح لهذه العبارة 2.32 ما يؤكد الاتجاه الإيجابي وموافقة المبحوثين على العبارة السادسة، فالبرامج التفاعلية محل الدراسة لها دور في المحافظة على استقرار المجتمع كونها عنصر من عناصره فهذه السلوكيات والعادات الاجتماعية السيئة التي تعالجها وتساهم في تخلي المتلقي عنها يمكن اعتبارها خلل في المجتمع فدور هذه البرامج تصحيح هذا الخلل والعمل على تغيير السلوك والعادات السلبية للمتلقي إلى أخرى إيجابية ومفيدة لنفسه ولمجتمعه.
- جاء المحايدون على العبارة السابعة" تساهم البرامج التفاعلية في ممارسة المتلقي لنمط حياة اجتماعية تتعارض ومجتمعه" بنسبة 38%، ثم الموافقون على العبارة بنسبة 32%، وأخيرا جاء المعارضون بنسبة 30%، في حين كان التكرار المرجح لهذه العبارة 1.98 ما يؤكد الاتجاه الإيجابي وموافقة المبحوثين على العبارة أعلاه، وترجع هذه النتيجة كون البرامج التفاعلية محل الدراسة قد تقدم مضامين قد تتعارض مع البناء المتكامل للواقع الاجتماعي للمتلقي ما يجعله يرفض أي رسالة إعلامية لا تنتمي إلى هذا الواقع الاجتماعي الذي تم تشكيله من خلال عناصر التنشئة الاجتماعية والتعليم و غير ذلك ويلبي حاجات واهتمامات المتلقي، خاصة إذا ما قلنا أن هناك مضامين هي نسخ معربة عن برامج أجنبية كبرنامج فو فويس The Voice ، كما يمكن أن تكون هذه البرامج تعمل على إحداث تغيير اجتماعي من خلال بناء ممارسات أو معتقدات جديدة من خلال الرسائل الإعلامية التي تقدمها ما يجعل المتلقي يرفض هذا التغيير أو الصراع.
- جاء المحايدون والموافقون للعبارة الثامنة " تساهم البرامج التفاعلية في تحسين سلوك المتلقي داخل وخارج الجامعة" بنفس النسبة والمقدرة بـ 44%، في حين جاءت نسبة المعارضون 12%، في حين كان التكرار المرجح لهذه العبارة 2.32 ما يؤكد الاتجاه الإيجابي وموافقة المبحوثين على العبارة الثامنة، وترجع هذه النتيجة المتوصل إليها أن تأثير المضامين الإعلامية التي تنشرها البرامج التفاعلية محل الدراسة يكون على مستوى تدعيم وتحسين أنماط السلوك الموجود بالفعل لدى المتلقي فهذا التحسن في السلوك الممارس داخل وخارج الجامعة إنما هو توظيف وترجمة عملية للمعلومات والمعارف المتحصل عليها.
- جاء الموافقون على العبارة التاسعة " تجعل البرامج التفاعلية المتلقي ينخرط ويشارك في مناسبات وتظاهرات اجتماعية " بنسبة 50%، بينما جاء المحايدون بنسبة 34%، في حين جاء المعارضون لهذه العبارة بنسبة 16%، في حين كان التكرار المرجح لهذه العبارة 2.34 ما يؤكد الاتجاه الإيجابي وموافقة المبحوثين على العبارة التاسعة، وترجع هذه النتيجة كون المعلومات تتدفق من البرامج التفاعلية لكي تؤثر في الأفراد فيما يعرف بالتنشيط الذي يعذ من أهم التأثيرات السلوكية للبرامج التفاعلية، فتعرض المتلقي

المستمر لرسائل البرامج التفاعلية محل الدراسة تشجعه على القيام بنشاطات اجتماعية معينة تكون هادفة ومفيدة.

- جاء الموافقون على العبارة العاشرة " المشاهدة المتواصلة للبرامج التفاعلية تشعر المتلقي بالكسل والخمول " بنسبة 42%، بينما جاء المحايدون بنسبة 32%، في حين جاء المعارضون على هذه العبارة بنسبة 26%، في حين كان التكرار المرجح لهذه العبارة 1.84 ما يؤكد الاتجاه الإيجابي وموافقة المبحوثين على العبارة العاشرة، وتؤكد هذه النتيجة على تأثير هذه البرامج على المتلقي فالتعرض المبالغ فيه للرسائل الإعلامية يسبب الخمول وعدم النشاط بتجنب القيام بالأفعال ما يؤدي إلى السلبية و الامتناع عن المشاركة في أنشطة قد تكون مفيدة.
- جاء المعارضون للعبارة الحادية عشرة "تخلف البرامج التفاعلية اضطرابات سلوكية يمكن أن تولد سلوكيات عنيفة تزيد من نسبة الجريمة" بنسبة 46%، بينما جاء المحايدون بنسبة 32%، في حين جاء الموافقون على هذه العبارة بنسبة 22%، في حين كان التكرار المرجح لهذه العبارة 2.24 ما يؤكد الاتجاه السلبي وعدم موافقة المبحوثين على العبارة أعلاه، وترجع هذه النتيجة كون البرامج التفاعلية محل الدراسة لا تقدم مضامين العنف والإثارة بقدر ما تسعى إلى تطوير وترقية الذات الإنسانية وبالتالي نتيجة التعرض لهذه الرسائل المقدمة لا تكون ضارة اجتماعيا، فأفراد العينة لديهم بناء متكامل للواقع الاجتماعي تم تشكيله عبر عناصر ومراحل مختلفة فحين يكون هذا الواقع محددا لن يكون هناك اعتماد و تأثير قوي على المتلقي وهذا ما يفسر عدم موافقة المبحوثين على أن البرامج التفاعلية يمكنها أن تولد العنف والاضطرابات.

خاتمة:

إن ظهور التفاعلية بأشكالها وأدواتها المختلفة في مختلف وسائل الإعلام طفرة حقيقة وتطور كبير فيما يخص رجع الصدى أو التغذية العكسية والذي يعتبر عنصر مهم من عناصر العملية الاتصالية، وظهورها بشكل خاص في مضامين القنوات التلفزيونية في إطار البرامج التفاعلية عمق من أهمية التفاعلية من جهة والبرامج التلفزيونية من جهة أخرى وزاد في عدد المتابعين لها وأتاحت فرصا أكثر ومساحة آمنة للتشارك والتفاعل والتعبير عن آرائهم في القضايا المجتمعية عبر هذه الوسائل التفاعلية المتاحة وتأتي في مقدمتها وسائل التواصل الاجتماعي، كما أن خصائص ومميزات التفاعلية التلفزيونية فتحت آفاقا واسعة للمشاهدين خاصة من فئة الشباب من أجل التفاعل مع ما يعرض من مضامين وبرامج في القنوات الفضائية و حتى مع بعضهم البعض من خلال مجموعات ومنتديات النقاش، فتعددت البرامج التفاعلية وتعددت عادات، أنماط ودوافع التعرض لها وزاد تفاعل المشاهدين معها بتعدد أدوات وأشكال التفاعلية المتاحة ضمنها خاصة ما تعلق منها بشبكات التواصل الاجتماعي التي أخذت حيزا كبيرا في تفاعل فئة الطلبة الجامعي مع مختلف القضايا التي تعرضها البرامج التفاعلية المفضلة لديهم في قناة MBC1 والتي تلبي حاجاتهم وتتقارب واهتماماتهم ويرجع ذلك لخصائصها المتميزة والفريدة مقارنة بأشكال وأدوات التفاعلية الأخرى التي تتيح فيها هذه البرامج فأثرت في تصوراتهم ونالت قبولهم إيجابيا.

بناء على النتائج المتوصل إليها في الدراسة المقدمة نوصي بـ:

- القيام بدراسات من زوايا أخرى كتحليل محتوى البرامج التفاعلية ودراسة القضايا المطروحة فيها مع دراسة أشكال التفاعلية التي توفرها مختلف هذه البرامج وعلاقة الجمهور بها واستخداماته لها.
- القيام بدراسات فيما تنقله البرامج التفاعلية من قيم، سلوكيات سواء التي تخدم المجتمع أو الدخيلة عن المجتمع الجزائري لإيجاد آليات للتدعيم والتغيير بما يضمن استقرار المجتمع والمحافظة على أصالته.

- القيام بدراسات على القائم بالاتصال للتعرف على أسس وأطر إعداد وتنفيذ البرامج التفاعلية في الفضائيات العربية، مع ضرورة تبني هذا الأخير لحاجات واتجاهات الجمهور بما يحقق مصالح الطرفين معا بإجراء بحوث المشاهدين بالأخص بحوث فئة الشباب والأطفال.
- القيام بدراسات وبحوث علمية لمعرفة الآثار الدينية، الثقافية الاقتصادية وغيرها سواء الإيجابية والسلبية للبرامج التفاعلية على المتلقي لغرض تقديم المعالجة والحلول للآثار السلبية منها، ودعم وتطوير الآثار الإيجابية لتعظيم درجة الاستفادة منها.
- تنظيم ندوات وملتقيات تهدف إلى رفع مستوى وعي الطلبة الجامعيين لمواجهة الآثار السلبية للبرامج التفاعلية في مختلف المجالات على أسس علمية ومدروسة.
- العمل على تصميم، إعداد وإنتاج برامج اجتماعية تفاعلية هادفة ترفع نسبة الوعي وتخدم الطلبة من قبل مختلف المؤسسات الإعلامية من أجل إعلام تفاعلي هادف مع إمكانية إشراكه في هذه العملية.
- التوظيف الجيد والإيجابي لشبكات التواصل الاجتماعي خاصة الفيس بوك بما يدعم مشاركة وتفاعل الطلبة مع البرامج التفاعلية لما يسمح به هذا الفضاء من زيادة مساحة الحرية للتعبير وإبداء الرأي.

المصادر والمراجع:

1- خليل أبو إصبع، صالح، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، ط5، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، 2006.
2- محمد جمال أبو شنب، البحث العلمي التصميم والتنفيذ التجريبي، ط2، دار المعرفة الجامعية، مصر 2007.
3- عبد الرزاق الدليمي، نظريات الاتصال في القرن الحادي والعشرين، ط1، دار اليازوري للنشر والتوزيع، الأردن، 2016.
4- السعيد بومعيزة، أثر وسائل الإعلام على القيم والسلوكيات لدى الشباب-دراسة استطلاعية لمنطقة البليدة-، رسالة دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2005، 2006.
5- رمزي جاب الله، القيم المتضمنة في صفحات الفيس بوك وأثرها في السلوك الاجتماعي للشباب الجامعي الجزائري - دراسة ميدانية لعينة من شباب جامعة باتنة1-، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الإعلام والاتصال وعلم المكتبات، جامعة باتنة1، الجزائر، 2017، 2018.
6- نوال رضا، واقع إخراج البرامج التفاعلية في الإذاعة الرقمية-إذاعة جيجل المحلية أنموذجا-، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الإعلام والاتصال، جامعة باتنة1، الجزائر، 2011، 2012.
7- خالد زعموم والسعيد بومعيزة، التفاعلية في الإذاعة، أشكالها ووسائلها، اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، 2007.
8- محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، ط3، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، مصر، 2004.
9- ربحي مصطفي عليان و محمد غنيم عثمان، أساليب البحث العلمي النظرية والتطبيق، ط5، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، 2013.
10- نصر الدين العياضي، التلفزيون دراسات وتجارب، د ط، دار هومة، الجزائر، د ت.
11- آمنة فجالي، التفاعلية في الصحافة الإلكترونية: دراسة في استخدامات وإشباعات النخبة الأكاديمية الجزائرية دراسة تحليلية ميدانية، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الإعلام والاتصال وعلم المكتبات، جامعة باتنة1، الجزائر، 2016، 2017.
12- عامر قنديلجي، البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والإلكترونية، ط1، عمان، دار الميسرة للنشر والتوزيع، الأردن، 2008.
13- ليا ليفرو، وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة، ترجمة هبة ربيع، ط1، المركز القومي للترجمة، مصر، 2016.
14- حسن عماد مكاوي وليلى السيد حسين، الاتصال ونظرياته المعاصرة، ط1، الدار المصرية اللبنانية للنشر والتوزيع، مصر، 1998.
15- حسن عماد مكاوي وعاطف عدلي العبد، نظريات الإعلام، د ط، مركز بحوث الرأي العام، مصر، 2007.
16- عمار إبراهيم محمد الياسري، البرامج التفاعلية التلفزيونية- تمظهرات الشكل وبناءه الدرامي والدلالي، ط1، دار الرضوان للنشر والتوزيع، الأردن، 2014.
17- حسنين شفيق، نظريات الإعلام وتطبيقاتها في دراسات الإعلام الجيد ومواقع التواصل الاجتماعي، د ط، الأردن دار فكر وفن للطباعة والنشر، الأردن، 2014.

18- علي عبد الفتاح، نظريات الاتصال والإعلام الحديثة، ط1، دار الأيام للنشر والتوزيع، الأردن، 2014.
19- رابط الموقع الرسمي لمجمع قنوات MBC، تاريخ التصفح 25 ديسمبر 2019.
https://www.mbc.net

الهوامش:

[1]- خالد زعموم والسعيد بومعيزة، التفاعلية في الإذاعة، أشكالها ووسائلها، اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، 2007، ص26.
[2]- رمزي جاب الله رمزي، القيم المتضمنة في صفحات الفيس بوك وأثرها في السلوك الاجتماعي للشباب الجامعي الجزائري - دراسة ميدانية لعينة من شباب جامعة باتنة باتنة1، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الإعلام والاتصال وعلم المكتبات، جامعة باتنة1، الجزائر، 2017، 2018، ص 53.
[3]- الموقع الرسمي لمجمعMBC ، متاح على الرابطhttps://www.mbc.net ، تاريخ التصفح 25 ديسمبر 2019.
[4]- ربحي مصطفي عليان ومحمد غنيم عثمان، أساليب البحث العلمي النظرية والتطبيق، ط5، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، 2013، ص 45.
[5]- عامر قنديلجي، البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والإلكترونية، ط1، عمان، دار الميسرة للنشر والتوزيع، الأردن، 2008، ص 99.
[6]- جاب الله رمزي، مرجع سابق، ص 72.
[7]- محمد جمال أبو شنب، البحث العلمي التصميم والتنفيذ التجريبي، ط2، دار المعرفة الجامعية، مصر 2007، ص 153.
[8]- خالد زعموم والسعيد بومعيزة، مرجع سابق، ص 14.
[9]- نصر الدين العياضي، التلفزيون دراسات وتجارب، د ط، دار هومة، الجزائر، د ت، ص 109.
[10]- ليا ليفرو، وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة، ترجمة هبة ربيع، ط1، المركز القومي للترجمة، مصر، 2016، ص، ص 20، 21.
[11]- آمنة فجالي، التفاعلية في الصحافة الإلكترونية: دراسة في استخدامات وإشباعات النخبة الأكاديمية الجزائرية دراسة تحليلية ميدانية، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الإعلام والاتصال وعلم المكتبات، جامعة باتنة1، الجزائر، 2016، 2017، ص 38.
[12]- آمنة فجالي، مرجع سابق، ص 167.
[13]- عمار إبراهيم محمد الياسري، البرامج التفاعلية التلفزيونية - تمظهرات الشكل وبناءه الدرامي والدلالي، ط1، دار الرضوان للنشر والتوزيع، الأردن، 2014، ص، ص 24، 25.
[14]- نوال رضا، واقع إخراج البرامج التفاعلية في الإذاعة الرقمية-إذاعة جيجل المحلية أنموذجا-، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الإعلام والاتصال، جامعة باتنة1، الجزائر، 2011، 2012، ص 47.
[15]- رمزي جاب الله، مرجع سابق، ص 31.
[16]- السعيد بومعيزة، أثر وسائل الإعلام على القيم والسلوكيات لدى الشباب - دراسة استطلاعية لمنطقة البليدة-، رسالة دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2005، 2006، ص، ص 196، 197.
[17]- حسنين شفيق، نظريات الإعلام وتطبيقاتها في دراسات الإعلام الجيد ومواقع التواصل الاجتماعي، د ط، الأردن دار فكر وفن للطباعة والنشر، الأردن، 2014، ص، ص 49، 50.
[18]- عبد الفتاح على، نظريات الاتصال والإعلام الحديثة، ط1، دار الأيام للنشر والتوزيع، الأردن، 2014، ص 239.
[19]- محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، ط3، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، مصر، 2004، ص 298.
[20]- عبد الرزاق الدليمي، نظريات الاتصال في القرن الحادي والعشرين، ط1، دار اليازوري للنشر والتوزيع، الأردن، 2016، ص 241.
[21]- محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص 298.
[22]- حسن عماد مكاوي وعاطف عدلي العبد، نظريات الإعلام، د ط، مركز بحوث الرأي العام، مصر، 2007، ص 419.
[23]- محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص، ص 302، 303.
[24]- عبد الرزاق الدليمي، مرجع سابق، ص 243.
[25]- حسن عماد مكاوي وليلى حسين السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، ط1، الدار المصرية اللبنانية للنشر والتوزيع، مصر، 1998، ص 329.
[26]- خليل أبو إصبع، صالح، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، ط5، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، 2006، ص 170.

مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 861 – 890
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

الجذب وفعاليّة التّأثير في البرامج التّلفزيونيّة
" دراسة في المفهوم والآليات"

The attraction and effective influence in tv programs
"Study in concept and mechanisms"

طالبة دكتوراه زوليخة لوصيف
كلية العلوم الإسلامية – جامعة باتنة 1
مخبر العلوم الإسلامية في الجزائر
geweter79@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2019/11/25 تاريخ القبول: 2021/11/25

الملخص:
من أكثر المواضيع التي شغلت الباحثين في حقل الاتّصال الجماهيري مسألة العلاقة بين وسائل الإعلام وجمهورها، وإذا كان هناك إجماع على وجود تأثير لوسائل الإعلام، فإن الاختلافات تدور حول نوعيّة ذلك التّأثير ودرجته وكيفيّة حدوثه، وقد كان التلفزيون ولا يزال واحدا من أبرز وسائل الاتصال الجماهيري، وأكثرها متابعة وتأثيرا في مختلف الفئات العمريّة، والشرائح المجتمعيّة؛ من أجل ذلك كان توصيل الرّسائل عبره أمرا يستدعِي العلم الملِمّ بأساليب وتقنيات وفنِّيات التأثير المتعلِّقة به، مع التحكّم الجيِّد بها، وبذلك جاءت هذه الورقة العلمية محاولة تتبع الدراسات والنظريات والنماذج والرؤى المتناثرة في هذا الموضوع لجمع شتات ما تفرق فيه وإجمال الحديث حوله، وتقديم خلاصة القول فيه.
الكلمات المفتاحية: الجذب؛ فعالية التّأثير؛ البرامج التلفزيونية.

Abstract:
One of the themes that preoccupied the researchers in the field of the mass media is the question of the relationship between the media and the public, if there is consensus on the existence of the influence of the media, the differences revolve around the quality and the degree of impact and how it occurs.

The TV has always been and remain one of the most prominent and most means of mass communication, follow-up to the most influential in the various age groups, and segments of the community, in order to connect the medium through it was necessary to science with knowledge of the methods and techniques of influence related to it, with good control to it. This scientific paper came to try to follow the studies and theories, and models and vues scattered in this topic; to collect the diaspora of what is superior to it and the total talk about it and provide a summury of it.
Key words: The attraction; effective; influence in tv programs.

مقدمة

عند الحديث عن التلفزيون، تحضر الصورة رفيقة للصّوت واللّون والحركة، فيكون الحديث عن سلاح فعّال إذا ما تمّ توظيفه والتحكم فيه بالشكل المناسب والمطلوب، إذ لم يعد خافيا على لبيب أهمية التلفزيون، وسعة انتشاره وشدة تأثيره، وما يقوم بتغطيته سواء في مساحات بثه الزمنية والمكانية، أو ما يشغله من خلايا الدماغ البشري ودقات قلبه، وقد باتت جَليّة المكاسب التي يحظى بها القائمون على البرامج التلفزيونية التي تتفاوت في نسب مشاهدتها وعمق تأثيراتها، وهنا تبرز الإشكالية التي يطرحها

هذا المقال، والمتمثلة في التساؤل عن سرِّ الجاذبية وفعالية التأثير في برامج تلفزيونية دون أخرى؟ وعن مقومات البرنامج التلفزيوني الناجح في تحقيق أهدافه؟ وهو ما تتفرع عنه جملة تساؤلات يمكن إيجازها فيما يلي:

ماذا يقصد بالجذب والتأثير التلفزيونيين؟ وما هي حقيقتهما؟ وهل هناك نظريات تحكمهما؟ وما هي أبرز الآليات والمقومات العاملة على تحقيقهما؟ والتي إن توافرت في أي برنامج تلفزيوني كانت بمثابة تأشيرة العبور إلى قلوب وعقول ومن ثم سلوكيات الجماهير؟

وتنبني أهمية هذا الموضوع أساسا على أهمية الإعلام في الوقت الحاضر عموما، وأهمية السمعي البصري منه خصوصا، وتزيد أهميته بالنظر إلى سيل الفضائيات العامة والمتخصصة التي تغزو كل بيوتات العالم، وما ينجَرُّ عنها من تأثيرات متفاوتة في مختلف شرائح المجتمع، وعلى مستوى مختلف الأصعدة، إضافة إلى ضياع معالم الذوق العام في اختيار البرامج المشاهدة، أمام طغيان سيل البرامج التافهة والمفرغة من القيم والأخلاق، على حساب البرامج الهادفة والبنّاءة.

من أجل هذا، جاءت هذه الورقة العلمية بهدف وضع اليد على ما يعزِّز ميل المشاهدات التلفزيونية نحو برنامج معين؛ من أجل توظيفها لصالح ما يخدم كفّة الإعلام التلفزيوني الهادف والبنّاء، وذلك على ضوء جمع ما تفرقت كتابته في هذا الموضوع، ليكون المحتوى النهائي مصبوبا في خمسة عناصر، سبقتها مقدمة وذيلتها خاتمة:

أولا: التعريف بالمصطلحات الأساسية للموضوع.

ثانيا: نظريات تأثير وسائل الاتصال الجماهيري.

ثالثا: طبيعة تأثير البرامج التلفزيونية.

رابعا: آليات الجذب وفعاليّة التّأثير المتعلّقة بشكل البرنامج التلفزيوني.

خامسا: آليات الجذب وفعاليّة التّأثير المتعلّقة بمضمون البرنامج التلفزيوني.

أولا: التعريف بالمصطلحات الأساسية للموضوع:

تتمحور هذه الدراسة حول مصطلحات مفتاحية، نبدأ بتعريفها لتتأسس عليها مضامينها، وهي "الجذب" و"الفعالية" و"التأثير" و"البرامج التلفزيونية".

أ- الجذب:

1- في اللّغة: جذب: جذبا: جرَّ،... حوَّل من موضعه... شدَّ إليه وسحب،... استمال وقرَّب إليه، ...استلب...، جذب القلوب: كان موضع حب، جذب الانتباه: أثاره واسترعاه، جذب الأنظار: لفتها... عمل جذّاب: يستميل النّفس أو القلب، ذو وقع مؤثّر أخّاذ،... فاتن يأخذ بالألباب، مثير، فالجذب هو: الإغراء، والجلب، وما... يأخذ بمجامع القلب[1].

وعليه يدور الجذب لغة على معاني الشد والسحب والجلب والإغراء والاستمالة والإثارة.

2- في اصطلاح الإعلام والاتصال: يأتي الجذب بمعنى إثارة الاهتمام، والتي "تعني تركيز الانتباه أو تركيز العملية العقلية شعوريا أو لا شعوريا تجاه المنبّهات، أو هو حالة من التّركيز العقلي حول موضوع معيّن أو معنى معيّن، وهي هدف أساسيّ في مختلف المجالات الإعلاميّة، فإثارة اهتمام المرء بالفكرة الجديدة يجعله يرغب في التعرّف على دقائقها، ويسعى إلى تنمية معلوماته بشأنها. وقد يكون الجذب باستثارة الرغبة، وهي محاولة التأثير في وعي ومزاج الجماهير العريضة لنشر الأفكار والشعارات عن

طريق التلاعب بالغرائز والحاجات الطبيعية والاجتماعية والنفسية، وتستعين بها وسائل الإعلام لتحقيق أهداف معينة"[2].

3- والمقصود في الدّراسة: الجذب هو لفت الانتباه، واستثارة الرغبة العقلية أو العاطفية في المتابعة.

ب- الفعاليّة:

1- **في اللّغة**: الأصل اللّغوي للفعاليّة هو الفعل "فعّل" الذي من مشتقاته "فعّال"... وهو اسم من أسماء الله الحسنى يدلّ على أنّ ما يريده تعالى وما يفعله في غاية الكثرة، وصيغ من هذا الاسم مصدر آخر هو "فاعليّة" وهو مصدر صناعي، اختاره مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، للدّلالة على وصف الفعل بالنّشاط والإتقان[3].

2- في اصطلاح الإعلام والاتصال: اختلف الباحثون في تعريف الفعاليّة وتحرير مصطلحها، نظرا لعوامل مختلفة، كما أن ثمّة تجاذبا بين مصطلحي الفاعليّة والفعاليّة، فالبعض يفرق بينهما، والغالبيّة يجعلونهما واحدا، ومن فرّق بينها قال أن الفاعليّة هي: فعل الشيء الصحيح، وهي الأثر لأفكارنا على أرض الواقع، فكل عمل أو قول لا يحقّق نتائج عملية يكون فاقد الفاعليّة، فهي النّجاح في تحقيق الأهداف وعادةً ترتبط بالكفاءة، التي هي فعل الأشياء بطريقة صحيحة، أما الفعاليّة: فهي التأثير والقدرة على إحداث أثر قوي[4].

وعموما الكفاءة أو الفعالية التي يوصف بها فعل معين تعكس استخدام أكثر الوسائل قدرة على تحقيق هدف معيّن، ولا تمثل خاصية فطرية في أي فعل من الأفعال، بل تتحدد عن طريق العلاقة بين الوسائل المتعددة والأهداف وفقا لترتيب أولوياتها[5].

ولقد عُرِّفت الفعاليّة بالقدرة على البقاء والتكيّف والنمو،... وعليه فإن الفعاليّة تكمن في القدرة على تحقيق الأهداف، وعلى التكيّف مع البيئة والاستمرار في البقاء، وعلى النمو والتطور باستمرار...والفعالية ترتبط بالأهداف، أما الكفاءة فترتبط بالوسائل، وهذا يعني إمكانية استخدام الكفاءة كأحد المؤشرات الدالة على الفعالية، فالفعالية أشمل من الكفاءة[6]. ولذلك تم اختيارها وتبنيها ضمن المصطلحات المفتاحية.

3- والمقصود في الدراسة: الفعّالية هي بلوغ الهدف على الوجه المطلوب والمخطَّط له أيّا كان هذا الهدف، وعلى أي مستوى كان، فهي تعني مدى نجاح القائم بالاتصال في ممارسته لمهنته، وتقاس بمدى تأثيره في الجمهور الذي يتوجّه إليه، وبمدى كفاءة أداء باقي عناصر عملية الاتصال، ولقد اختير هذا المصطلح في الدراسة باعتباره يشير في العادة إلى الدرجة التي تحقق بها الأهداف المحدّدة سلفا.

ج- التأثير:

1- في اللغة: قال الخليل: الأثر بقية ما يرى من كل شيء... وأثر السيف ضربته، والأثر: الاستقفاء والاتباع، وفيه لغتان : أثر وإثر[7]، أثرت فيه تأثيرا جعلت فيه أثرا وعلامة فتأثر أي قبل وانفعل[8]، وجاء في لسان العرب لابن منظور التأثير هو إبقاء وترك الأثر في الشيء... وائتثر منه وبه أي حصل فيه أثر منه[9].

2- في اصطلاح الإعلام والاتصال: التأثير بشكل عام هو بعض التغير الذي يطرأ على مستقبل الرسالة كفرد، فقد تلفت الرسالة انتباهه ويدركها، وقد تضيف إلى معلوماته معلومات جديدة، وقد تجعله يكون اتجاهات جديدة، أو يعدل اتجاهاته القديمة، وقد تجعله يتصرف بطريقة جديدة، أو يعدل سلوكه السابق، فهناك مستوات عديدة للتأثير، ابتداء من الاهتمام إلى حدوث تدعيم داخلي للاتجاهات، إلى حدوث تغيير على تلك الاتجاهات، ثم في النهاية إقدام الفرد على سلوك علني[10].

فالتأثير هو الهدف الذي يريد تحقيقه المرسل في المستقبل عبر الرسالة التي تضمنتها عملية اتصاله[11]. فمفهومه يعكس جدوى العملية الإعلامية في إطارها الفكري والمعنوي،... بالنسبة للفرد والمجتمع،... سواء كان ماديا أو معنويا،... والتأثيرات من وجهة نظر المتلقي هي نفسها الوظائف أو الأهداف من وجهة نظر القائم بالاتصال... والتعرض يعتبر مؤشرا أو مقدمة احتمالية لحدوث الاستجابات للرسائل الإعلامية أو تأثيراتها[12].

ومنه يعرف الأثر في الاصطلاح الإعلامي بأنه: "علاقة تفاعلية بين أفراد الجمهور ووسائل الإعلام"، إذ إن جوهر هذه العلاقة لا يتمثل بالتأثير الحتمي (الخطي) في سلوكيات واتجاهات المتلقي، وإنما يتفاعل مع هذه الرسائل انطلاقا من خصائصه ومكوناته النفسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية المختلفة، وهذا حسب الحاجات والرغبات التي تشبعها له هذه الرسائل، ففي الإطار العلمي لأثار وسائل الإعلام الجماهيرية عند المتلقين، تم تحديد مفهوم الأثر من طرف الباحثين على أنه تغيير الآراء والاتجاهات و... سلوكيات المتلقين،... فالأثر... هو "نتيجة الاتصال وهو يقع على المرسل والمتلقي على السواء[13].

وتعتبر التغذية الراجعة الوسيلة التي يتعرف من خلالها المرسل على مدى التأثير الذي أحدثته رسالته في المستقبل "الجمهور"، ويطلق عليها عدة مصطلحات مثل ردة الفعل، التغذية المرتدة، ورجع الصدى[14].

3- والمقصود في الدراسة: التأثير هو إحداث أي نوع من التغيير نتيجة التعرض للمضامين والرسائل التلفزيونية، أيا كانت درجته.

و**المقصود باقتران التأثير بالفعالية** في هذا الموضوع ما جاء في كتاب مباديء الاتصال: "فلا يتم الاتصال الفعّال لمجرد صدور الرّسالة من المرسل إلى المستقبل، وإنما يتحقق هذا إذا أحدث النتائج التالية: أن يستقبل المرسل إليه الرسالة، أن يفهمها، أن يفهم منها نفس المعنى الذي قصده المرسل، أن تحرك الرسالة المرسل إليه بالعمل وفقا لما جاء بمضمونها، وأن يأتي التحرك بالنتيجة التي ارتآها مرسل الرسالة"[15].

د- البرنامج التلفزيوني:

1- في اللغة: البرنامج: كلمة دخيلة فارسية الأصل، جمعها برامج، وهي في الأصل: الورقة الجامعة للحساب، أو خطة ونشرة يختطها المرء لعمل يريده، إنها منهج أو مخطط يوضع لغرض ما[16]، أما التلفزيون فهو كلمة مركبة من مقطعين، "تلي" وتعني: عن بعد، و"فزيون" ومعناها: الرؤية، وبهذا يكون معنى التلفزيون هو: الرؤية عن بعد[17]، وقد استعملت هذه الكلمة أول مرة عام 1900م[18].

2- في اصطلاح الإعلام والاتصال: برمج برمجة التلفزيون بمعنى: وضع أو نظم له برنامجا، والتلفزيون هو وسيلة نقل الصورة والصوت في وقت واحد، بطريق الدافع الكهربائي[19]، أي أن البرنامج التلفزيوني هو عرض محتوى معين عبر شاشة التلفزيون، أو هو المادة التي تقدم أو تذاع من التلفزيون[20]. فهو الفكرة أو مجموعة الأفكار تصاغ في قالب تلفزيوني معين، باستخدام الصورة والصوت بكامل تفاصيلها الفنية، لتحقيق هدف معين[21].

3- والمقصود في الدراسة بالبرنامج التلفزيوني: أنه عبارة عن فكرة تجسد وتعالج تلفزيونيا،... وتعتمد على الصورة المرئية سواء أكانت مباشرة أو مسجلة على أفلام وشرائط، وتتخذ قالبا واضحا ليعالج

بعض أو جميع جوانبها خلال مدة زمنية محددة، وتتطور برامج التلفزيون باستمرار، حيث يلاحظ ألوان جديدة وأشكال برامجية متميزة من وقت لآخر[22].

هـ- مركب الجذب وفعالية التأثير في البرامج التلفزيونية:

على ضوء مختلف التعريفات اللغوية والاصطلاحية السابقة يتبين أن موضوع هذه الوريقات يتمحور حول قدرة برامج التلفزيون على استمالة الجماهير عقليا وعاطفيا أولا، ومن ثم التأثير فيهم بما يخدم الأهداف المرجوة من جهة الإرسال القائمة على هذه البرامج ثانيا، مع ضمان ديمومة هذا التأثير ثالثا. فهو حديث عن عمل التلفزيون على ثلاثة مستويات هي: لفت الانتباه وجذب الاهتمام إلى البرامج الذي يبثها ابتداء، ثم تحقيق الانطباعات المطلوبة في فهم ووعي المتلقي، وصولا إلى الاستجابة العملية المرجوة لديه ختاما.

ثانيا: نظريات تأثير وسائل الاتصال الجماهيري:

أدى الاهتمام الكبير بتأثير وسائل الإعلام، والتّركيز المكثف على تفسير نوع ذلك التأثير وطبيعته إلى القيام بآلاف التجارب والدّراسات، التي أفرزت تعدد الرؤى والنظريات والنماذج التي تحاول تقديم تفسير مقنع للطريقة التي تتفاعل بها وسائل الإعلام مع الجمهور، والتي تبدو متداخلة من الناحية الزمنية، ومن ناحية طبيعة الأثر وقوته.

أ- نظرية التأثير المباشر أو قصير المدى "نظرية الحقنة أو الرصاصة": أعطت هذه النظرية الإعلام والاتصال قوة كبيرة في قدرته على التأثير فهي تنظر إلى الناس باعتبارهم مخلوقات سلبية يمكن التأثير المباشر والتلقائي فيهم بمجرد حقنهم بالرسائل الإعلامية والاتصالية، فالاستجابة فورية عندهم، والتأثر مباشر وتلقائي،... وتجدر الإشارة إلى أن الدراسات الأولى التي قامت عليها هذه النظرية استشهدت بحادثة عام 1939م، حينما انتاب الهلع بعض سكان الولايات المتحدة عندما اعتقدوا أن هناك غزوا قادما من المريخ، فتدافعوا بالآلاف الى الشوارع، وكان السبب في ذلك أنهم كانوا يستمعون إلى تمثيلية في الإذاعة باسم "حرب الكواكب"[23].

نقد وتقييم: إن عملية الاتصال عملية معقدة، تخضع لمجموعة من العوامل المتعددة، وهذه النظرية فيها تبسيط للطبيعة الإنسانية، والكيفية التي تعمل من خلالها النفس البشرية، خاصة في استحضار تأثيرات البيئة الاجتماعية والخبرات السابقة، ومتغيرات الوسيلة الإعلامية ومضامينها.

وبالفعل لم تلق هذه النظرية القبول لدى قطاع كبير من المهتمين في حقل الاتصال الجماهيري، واهتزت في الأربعينيات، ولم تصمد طويلا -خاصة أمام الدراسات الميدانية-، إذ لا شك أن هناك عوامل فنية وأخرى نفسية ساهمت في صنع حالة الهلع التي تعرض لها سكان نيويورك إثر استماعهم لذلك البرنامج الإذاعي، فالمؤثرات الصوتية التي استخدمت في ظل حالة الإحباط التي سببتها نذر الحرب التي بدأت تدق طبولها أجهزة الدعاية النازية في برلين، ساهمت في خلق حالة نفسية من التوجس والترقب، ومن ثم قابلية التأثر بعمل مثل هذا.

ب- نظرية التأثير على مرحلتين: يرى واضعو هذه النظرية أن المرحلة الأولى لانتقال المعلومات هي ما تبثه وسائل الإعلام للجمهور، وهو ما قد لا يؤثر فينا كثيرا بل لا نعيره أدنى اهتمام، وهنا تنتهي المرحلة الأولى، لتبدأ المرحلة الثانية مع من يسمون بقادة الرأي وهم كل الأشخاص البارزين داخل التجمعات الصغيرة في المجتمع، وذوو الرأي فيها، والذين يبدؤون بالحديث عما بث، ولكن بأسلوب أكثر إقناعا لما لهم من النفوذ المادي أو المعنوي أو كليهما في مجتمعاتهم، مما يجعل رؤيتهم الخاصة تجاه الرسالة الإعلامية مقبولة، ويؤدي إلى التأثر بها أو بجزء منها[24].

فمحور الفرضية هم قادة الرأي، الذين يمثلون دور الوسيط في انتقال المعلومات من وسائل الاتصال إلى الجماهير،... وتكمن أهميتهم في تقديم شرح وتفصيل للمعلومات التي تبثها وسائل الإعلام الجماهيرية، مع تقديم آراء أخرى مغايرة للمعلومات والآراء التي تبثها وسائل الإعلام المختلفة عنها[25].

وقادة الرأي قد يكونون أئمة المساجد أو المعلمين أو أساتذة الجامعات، أو كما جاء في دراسة... عام 1956م أن قادة الرأي والناس الذين يؤثرون فيهم ينتمون إلى نفس الجماعة الأساسية سواء أكانت العائلة أم الأصدقاء أم جماعة العمل، وأن قادة الرأي ذوي النفوذ والأتباع يمكن أن يتبادلوا الأدوار في ظروف النفوذ المختلفة، فقائد الرأي في المجال السياسي يكون تابعا إذا كان المجال رياضيا أو دينيا وغير ذلك، و... من التعميمات النظرية حول قادة الرأي... أنهم أكثر تعرضا من غيرهم لوسائل الإعلام والاتصال، وهم أكثر ابتكارية من أتباعهم وأكثر تبنيا للأفكار الجديدة، وهم أكثر اتصالا من غيرهم بالجهات المسؤولة عن برامج التغيير، ومركزهم الاجتماعي أكثر تميزا عن غيرهم، وهم أكثر مشاركة اجتماعية[26].

نقد وتقييم: في نظري لا تبدو هذه النظرية مستوعبة لجوانب التأثير التلفزيوني، إذ تثبت كثير من الدراسات التناسب الطردي بين تأثير الوسائل الإعلامية ودرجة الأمية، وأن الأميين أكثر تأثرا بما تبثه وسائل الاتصال الجماهيري من غيرهم، كما أن قادة الرأي قد لا يتوفرون في كل البيئات ولمختلف المتلقين، وربما تبدو هذه النظرية أكثر منطقية في وقت كانت فيه هاته الوسائل أقل انتشارا بحيث لا يتلقى محتواها إلا القليل، وهم من قد يمثلون بعد ذلك قادة الرأي.

ج- نظرية التأثير على المدى الطويل أو التراكمي[27]: يرى هذا الاتجاه أن تأثير ما تعرضه وسائل الإعلام على الناس يحتاج إلى فترة طويلة حتى تظهر آثاره من خلال عملية تراكمية ممتدة زمنيا، تقوم على تغيير المواقف والمعتقدات والقناعات، وليس على التغيير المباشر والآني لسلوك الأفراد، فالإنسان يحتاج إلى زمن طويل حتى يغير نمط تفكيره وأسلوب حياته وطريقة تعامله... في البيئة المحيطة به، هذا التحول... ينعكس على ممارسته في حياته اليومية، وهو ما نسميه السلوك، كما أن هذا... لا يتحقق إلا من خلال تعرضه لمصادر معلومات غير التي نشأ عليها...، وهو ما تحققه وسائل الإعلام كمصدر معلومات جديد يختلف في مضمونه بدرجات متفاوتة عما هو سائد في... البيت أو المدرسة أو غيرهما من مؤسسات المجتمع التقليدية التي تسهم في عملية التنشئة الاجتماعية لأفراد المجتمع.

إن استمرار تعرض الإنسان لوسائل الإعلام... يغير في أسلوب حياته متأثرا بما يعرض عليه، وبدرجة تختلف من فرد إلى آخر حسب تركيبة شخصيته، وحالته النفسية، والبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها ونوع الوسيلة الإعلامية التي يتعرض لها ومضمونها، والسياسة التي تسيرها.

فهذه النظرية ترى أن النظرية السابقة نظرت إلى تأثيرات وسائل الاتصال الجماهيري في مجالات المواقف والآراء، وركزت على التأثيرات قريبة المدى، واستبعدت التأثيرات بعيدة المدى، وأن لوسائل الاتصال في ظروف معينة تأثيرا عظيما، إذا تم استخدامها في حملات إعلامية منظمة، أعد لها بعناية حسب مباديء نظريات الاتصال، والتي من أهمها:

- التكرار بإعادة الرسائل الإعلامية والاتصالية على مدى زمني معين.
- التركيز على جمهور معين تستهدفه الرسالة الإعلامية الاتصالية.
- تحديد الأهداف بعناية لإنتاج رسائل منسجمة مع الأهداف.

وقد كتبت "اليزابث نويل نيومان" سنة 1973م تطالب بأبحاث طويلة المدى لدراسة تأثيرات وسائل الاتصال الجماهيري باعتبار ثلاثة عوامل: تراكم رسائلها بتكرارها، وشموليتها ومحاصرتها للإنسان في

كل مكان، وانسجام وتوافق القائمين بالاتصال مع مؤسساتهم مما يحدّ من فرص الجمهور في انتقاء اختياراته، فكل هذه العوامل تحد من فرص تكوين الفرد لرأيه المستقل...، ويؤكد الباحثان: "بيتر كلارك" و"جيرالد كلاين" أنه يجب تركيز الضوء على ما يتعلمه الناس من النشاط الاتصالي أكثر من البحث عن تأثيراته على صياغة المواقف والاتجاهات أو تغييرها، وهذا في حد ذاته جانب تأثيري هام[28].

وتحقيق التأثير المناسب سواء كان على مستوى المجتمع أم الجماعة أم الفرد يحتاج إلى الأخذ في الاعتبار كل العوامل التي يمكنها أن تتدخل في عملية الاتصال، ...فنجاح أو فشل هذا التأثير ينبع من جملة متغيرات ترتبط بالمتصل والرسالة والمتلقي والوسيلة والسياق الذي تتم به الرسالة[29].

نقد وتقييم: ربما يبدو جانب القصور في هذه النظرية في إغفالها للتأثير المباشر الذي لا يمكن أن تخلو منه وسائل الإعلام بشكل نهائي، والناتج عن نوعية معينة من المواضيع التي تلامس الكيان الشعوري للشعوب، كقضايا الرأي العام مثلا، خاصة ما يتعلق منها بالجانب الإنساني.

د- نظرية التطعيم أو التلقيح[30]: اشتق اسم هذه النظرية وفكرتها من الفكرة نفسها التي يقوم على أساسها التطعيم ضد الأمراض، والذي يتم من خلال الحقن بمصل يحتوي على جرثومة ضعيفة للمرض المراد تحصين الفرد ضده، ومن ثم يقوم نظام المناعة باحتواء تلك الجرثومة الضّعيفة والقضاء عليها وخلق حالة من الحصانة ضدها، فيكون تأثيرها لاحقا تأثيرا محدودا، إن لم يكن منعدما.

إن نظرية التطعيم هي من وجه آخر شبيهة بمفهوم التأثير على المدى الطويل، لأن التعرض المتواصل لبعض ما تبثه وسائل الإعلام يولد نوعا من التبلد وعدم الإحساس أو ما سميناه "الحصانة" في حالة التطعيم ضدّ المرض، فاستمرار تعرضنا لمشاهدة العنف والجريمة والجنس، مثلا يخلق لدينا حالة من اللامبالاة تجاهها وعدم النفور منها، فتصبح أمراً عادياً يجلس أمامها الطفل والكبير، المراهق والراشد، الرجل والمرأة.

المفارقة في نظرية التطعيم أو التلقيح هي أن "التطعيم الطبي" يحصّن ضد الأمراض بمشيئة الله، أما التطعيم الإعلامي فإنه يصنع في النفوس اللامبالاة وتبلد الأحاسيس ضد كثير من المنكرات والمشاهد المنحرفة التي تعرضها وسائل الإعلام، حتى يغدو الإنكار عليها والتحذير منها أمراً غريباً مستهجناً يوصف فاعله بالتشدد وضيق الأفق.

نقد وتقييم: باعتقادي أن في هذه النظرية لب القصيد الذي يراهَنُ عليه في تحقيق الأهداف المخَطَّط لها سلفا، في عمل التأثير التلفزيوني عندما يتعلق الأمر بما لا يستساغ فطرة أو شرعا أو خلقا أو عرفا، فهي وإن كانت تلتقي مع التطّعيم الطّبي في حقيقة الحقن الجرثومي، إلا أنها تتباعد عنه تماما في النتيجة المحصّلة، فالتطعيم الطبي يكسب الجسم الحصانة ضد الجرثومة، أما التطعيم الإعلامي فهو يكسب المتلقي التعود على الجرثومة وتقبلها، وشتّان بين النتيجتين، لكن من جهة أخرى يبدو من الضروري التنبيه على أن التحكم في مقدار الجرعة المقدمة في التطعيم الإعلامي هو من الأهمية بمكان، حيث أن الزيادة في الجرعة سيؤدّي حتما إلى نتائج عكسية تماما، حيث أن التشبع يؤدي إلى اللفظ خارجا في أغلب الأحيان.

هـ- نظرية تحديد الأولويات أو وضع الأجندة:[31] استعير اسم هذه النظرية من فكرة جدول الأعمال...، وفكرتها تقوم على أنه مثلما يحدّد جدول الأعمال في أي لقاء بترتيب المواضيع التي سوف تناقش بناء على أهميتها، تقوم وسائل الإعلام بالوظيفة نفسها، أي أنّ لها جدول أعمالها الخاص أو

أجندتها... وهو ما تبثه من برامج وما تعرضـــه من مواضـــيع حتى ليبدو للجمهور أن هذه البرامج أو المواضيع أهم من غيرها وأولى بالاهتمام...

حدّد الباحثون عدداً كبيرا من التعريفات لعملية وضع الأجندة في الإعلام، حيث يعرفها "Sanchez.M" بأنها: "العملية التي بواسطتها تحدد وسائل الإعلام بما نفكر وحول ماذا نقلق"، ويرى أنّ أوّل من لاحظ هذه الوظيفة هو: "Lippmann" في العشرينيّات من القرن الماضي، وأوضح أنّ الإعلام هو الذي يهيمن على خلق الصّور في أذهاننا، وأن ردّ فعل الجمهور يكون تجاه تلك الصّور وليس تجاه الأحداث الفعلية... ويعرفها "Straubhaar Joseph" بأنها: "قدرة وسائل الإعلام على تحديد القضايا المهمة".

إن نظرية "تحديد الأولويات" أو "وضـــع الأجندة" كما هي التّرجمة الحرفيّة لها، تلتقي مع القول المشهور لأحد علماء الاتصـال وهو: إنه مهم جدا لدرجة أنه حاضر دائما في وسائل الإعلام، والآخر تافه للحد الذي لا يرى إلا نادرا في وســائل الإعلام،... فإبراز وســائل الإعلام لقضــايا محدّدة وأشــخاص معينين لا يؤدي فقط إلى تضـخيم تلك القضـايا وأولئك الأفراد على حسـاب قضـايا وأفراد أهم، بل له آثاره البعيدة على الوعي المجتمعي العام بقضايا الآمة الحسّاسة، حيث يتمّ اختصار الحصيلة المعرفية للجمهور على مسائل محدّدة، لا تعدو في الغالب أن تكون رياضيّة أو ترفيهية أوّ عاطفيّة....، كما تصنع للجمهور نماذج وقدوات مزيّفة من عناصـــر المجتمع الهامشـــيّة وغير المنتجة، وتقدّم على أنّها تمثل الأبطـال والنّجوم. إن إدمان الجمهور على اســـتهلاك المواد الإعلاميّة التي تقدمها وســـائل الإعلام على أساس أجندتها يؤدي إلى تشكله وتأثره بما تشمل عليه تلك المواد من قيم وأنماط حياة وسلوك، وهذا وجه آخر للتأثير التراكمي لوسائل الإعلام.

ومن خلال ما ســبق يتّضـــح أن نظريّة "وضـــع الأجندة" هي عبارة عن إعادة صـــياغة الأحداث المحيطة بقالب جديد، يتمّ ترتيب أهميّتها في الوسيلة الإعلاميّة بما يتناسب مع السّياسة التّحريرية للمؤسسة الإعلامية بهدف إقناع الجمهور وتغيير اتجاهه بما يتوافق مع التوجّهات الأيديولوجية لتلك الوسيلة.

نقد وتقييم: الحقيقة أنـه لا يمكن إنكـار صـــوابيـة هذه النظريّة، إلا من جهة إغفالها للدور الانتقائي للمتلقي فيما يتابعه على وسـائل الإعلام، فلكلّ شـخص توجهاته وميولاته، إلا إن سـلمنا بوجود اتجاه واحد لكل وسائل الاتصال الجماهيري، وهذا ما لا يمكن تصوره إلا مع محدودية هذه الوسائل، وهو ماتم تجاوزه اليوم، مع السيل الجارف لمختلف القنوات الأرضيّة والفضائيّة.

و- نظرة حارس البوابة[32]: أتت فكرة هذه النظريّة من عمل الحارس الذي يقف على البوابة فيدخل من يشاء ويمنع من يشاء، وفي الغالب تتحكم الاعتبارات الشخصية في قرار هذا الحارس، وفي هذا المقام يقول أحد علماء الاتصال: "الأكثر أهمية ليس الذي تم عرضه على الجمهور، بل ذلك الذي لم يتم عرضه"، والنظرية من حيث استخدامها في الحديث عن تأثير وسائل الإعلام تنطلق من أن الأشخاص العاملين في وسائل الإعلام يتحكّمون فيما يصل إلى النّاس من مواد إعلامية، فيحددون للجمهور ما يجب أن يقراه أو يشاهده، ويحرمون الجمهور في الوقت نفسه من قراءة أو مشاهدة شيء آخر، فوظيفتهم ذات طبيعة مزدوجة.

إن دور حارس البوابة (الإعلامي) مؤثر في الجمهور من ناحيتين: من خلال ما يعرضه عليهم بناء على اعتبارات شخصية بحتة، قد تكون تلك الاعتبارات الشخصية سياسية إعلامية مقصودة يراد من خلالها إحداث تغيير ثقافي أو اجتماعي بالجمهور المستهدف، وقد تكون تلك الاعتبارات وجهة

نظر أملتها تنشئة ثقافية واجتماعية معينة لحارس البوابة، أياً كان موقعه في وسيلة الإعلام المعنية، والأمثلة فيما يخص هذه النظرية كثيرة جدا ضمن صراع الحضارات والازدواجية في الأحكام والانطباعات.

نقد وتقييم: هذه النظرية هي صورة طبق الأصل عن نظرية وضع الأجندة، وإن كان يبدو اهتمام هذه الأخيرة بالاتجاهات العامة للوسيلة الجماهيرية، بينما تخوض نظرية حارس البوابة في الجزئيات والتفاصيل، وما يقال عن هذه النظرية هو ما قيل عن سابقتها.

ز- نظرية الاستخدامات والإشباع: انطلقت فلسفة هذه النظرية من توقّعات الجمهور وتطلّعاته واستخداماته، فهي نظرية جديدة ومختلفة في حقل الأبحاث الإعلامية،[33] وهي ترى أن الجمهور يستخدم المواد الإعلامية لإشباع رغبات معينة له، كامنة أو معلنة، فليست وسائل الإعلام هي التي تحدد للجمهور نوع الرسائل الإعلامية التي يتلقاها، بل إن استخدام الجمهور لتلك الوسائل لإشباع رغباته يتحكم بدرجة كبيرة في مضمون الرسائل الإعلامية التي تعرضها وسائل الإعلام، ورغبات الجمهور قد تكون الحصول على معلومات أو الترفيه أو التفاعل الاجتماعي، أو حتى تحديد الهوية، واستخدام التلفزيون لإشباع هذا الميل يدعم التوجه لديهم أكثر فأكثر.

فالنظرية تنطلق من مفهوم التعرض الاختياري في علم الاتصال، ...هذه النظرية نشأت في الغرب وفي أمريكا بالذات، فهي متأثرة بمناخ الحرية السائد هناك، والذي نادى به المفكر الإنجليزي "جون ستيوارت مل" في قانونه الشهير: "السوق الحرة للأفكار"، الذي يقوم على الكسب المادي بأية وسيلة دون أي ضابط أخلاقي.[34]

وقد استعرض الأمريكي "جوزيف كلابر" أغلب الأبحاث التي أجريت عن تأثير الاتصال بالجماهير سنة 1960م، في كتابه: "تأثير وسائل الإعلام" وخرج بعدة تعميمات منها تفنيد القول بقدرة وسائل الإعلام على التأثير المباشر في الناس الذين يتعرضون لها، وأن وسائل الإعلام عامل مساعد، وليست عادة السبب الكافي أو الضروري لإحداث التأثير على الجماهير، ولكنها تعمل مع ومن خلال بعض العناصر والمؤثرات الوسيطة والمترابطة، وأن قوة وسائل الإعلام والاتصال وتأثيرها يجب أن ينظر إليها دوما من خلال العمليات الانتقائية، فتعرض المشاهدين انتقائي يتوافق مع أفكارهم واهتماماتهم، ويتجنبون المواد التي لا يتعاطفون معها، كما أن تصور الناس وتفسيرهم للرسائل الإعلامية والاتصالية وفقا لذواتهم ومصالحهم[35].

ولذلك عرف "كلابر" بمقولة اشتهرت عنه وعرف بها وهي مبدأ التأثير المحدود لوسائل الاتصال الجماهيري، ومن تبريرات ذلك أن الإنسان لا يتعلم أو يكتسب سلوكا معينا، إلا إذا كان لديه استعداد فطري لذلك[36].

نقد وتقييم: يظهر جليا انطلاق كل النّظرات السّابقة من افتراض تأثير وسائل الاتصال الجماهيري ابتداء في المتلقين، بينما تنطلق هذه النظرية من إثبات تحكم المتلقين في توجيه محتوى هذه الوسائل، وهو الأمر الذي لا يمكن إنكاره، فلابد لأية وسيلة تسعى إلى المتابعة والانتشار أن تراعي وتلبي متطلبات المتلقين، إلا أن هذا لا يمكن أن يمنع الوسيلة من فرض أجندتها الخاصة، والتي قد تتعارض مع الميل العام للمتلقين، ولو استدعى الأمر بعض التحايل والمراوغة.

والمتتبع لنظريات التأثير سيجدها أشبه بموجات تتداخل أو أنها تدور في حلقة، حيث ما تلبث أن تسُود نظرية ما إلى حين، حتى يظهر وكأن نظرية حلت محلها أو طوتها بين جنباتها،... وهي لا تمثل تناقضا

بقدر ما تعبر عن تعقيد عملية الاتصال، التي تتعامل مع البشر، بتفرد شخصياتهم واختلاف أفكارهم، وتنوع ثقافتهم ومواقفهم وسلوكهم ومصالحهم، وتتعامل مع بيئات سياسية واجتماعية واقتصادية مختلفة..."[37].

ثالثا: طبيعة تأثير البرامج التلفزيونية

يقول بطرس غالي الأمين العام السابق للأمم المتحدة: "... وتكمن القوة الإعلامية في عاملين هما على درجة من الأهمية: انتشار الوسيلة الإعلامية في أكبر عدد ممكن من الدول، والقدرة على إقناع المتلقي بما تبثه بشكل مستمر من أخبار وتعليقات"[38].

والحديث عن وسائل الإعلام وتأثيراتها... ليس جديدا،... ففي عام 1955م لخص كل من "لازار فيلد" و"ميرتون" أربعة أسباب ينبع منها قلق الناس وانشغالهم بوسائل الإعلام واختلافهم عليها، أولها انزعاج بعضهم من قدرتها على استدراج النّاس دون حيلة لهم معها، وثانيها الخشية من استغلال أصحاب المصالح والأهواء لهذه القدرة، وثالثها الهبوط بالنّظم الأخلاقيّة والقيم الجماليّة والذّوق والمستويات الثقافيّة العامّة للمجتمعات، ورابعها إلغاء المكاسب الاجتماعية التي تحققت للإنسان على مر الزمن[39].

وسائل الإعلام عامة تؤثر فينا، إما تأثيرات سلبية أو إيجابية، سواء شعرنا بذلك أم لم نشعر، فلا أحد محصـّن من تأثيرها، حتى الشخص الذي لا يتعرّض لها فإنه يتأثر بدرجة ما، من خلال زملائه وأقرانه والوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه[40].

وقد أشار الباحثون إلى عدة أنواع من التأثير فهناك التأثير الظاهر والكامن، وهناك التأثير الذي يهدف إليه القائم بالاتصال، وهناك الذي لا يهدف إلى تحقيقه، وهناك التأثير المباشر وغير المباشر، وهناك التأثير التراكمي وقصير المدى، ولعل هذا الاختلاف يعود إلى تعقد عملية الاتصال كعملية تتحكم فيها مجموعة من العوامل النفسية والاجتماعية والحضارية... فهي ليست ذات بعد واحد، وإنما هي عملية متعددة الأبعاد[41].

وتعتبر درجة اعتماد الأفراد على وسائل الإعلام هي الأساس لفهم المتغيرات الخاصّة بزمان ومكان تأثير الرّسائل الإعلامية التي يمكن إيجاز مجالات تأثيراتها المفترضة في: التأثيرات المعرفية... والتأثيرات الوجدانية... والتأثيرات الأخلاقية والمعنوية... وكذا التأثيرات السلوكية[42].

وأخطر ما في تلك الوسائل هو التّلفاز والسينما والفيديو حسبما أثبتته الأبحاث والدّراسات، خاصّة مع تفنن الإعلاميين في جذب المشاهد، حيث الصّور الملوّنة الجذّابة التي تخطف الأبصار، وحركات الكاميرا التي لا تسمح للعقل بالتركيز أو التفكير، إذ تتعاقب على بصره المشاهد العديدة السريعة، فلا تدع مجالا للنقد، بل تجذب عاطفته وتأسرُ لـبَّـه، وهذا مكمَن الخطر حيث يسلب من المرء فكره وعقله الذي يزن به الصالح من الطالح،... ويدخل في مخيلة المشاهد فيختزنه في بؤرة اللاشعور، ليخرج ويظهر عند مثير مشابه[43].

تؤكّد البحوث التي تناولت جمهور التّلفزيون في مختلف مناطق العالم، الانتشار الواسع الذي تعرفه هذه الوسيلة، وارتفاع الحجم الزّمني المخصّص لمشاهدتها، وآثارها المختلفة في جوانب متعددة[44]، إذ يعتبر أخطر وسيلة اتصالية في عالم اليوم، لأنه يجمع بين الصّوت والصّورة، وبإمكانه مخاطبة أعداد كبيرة من النّاس من مختلف مستوياتهم ولفترات مختلفة،[45] فهو يعد قوة عظمى، وصف في الموسوعة الأمريكية عام 1980م بأنه أصبح يمثل عين الإنسان وأذنيه في العصر الحديث فكان من أبلغ الأوصاف التي توضح مدى التأثير الذي يتركه التلفزيون[46].

وقد أحصى المركز الدوليّ للطّفولة أربع سيرورات... تدريجيّة لتأثير التّلفزيون، وهي[47]:

1- **التقليد**: وفيها يتقمص المشاهد الشخصية التي يتبنى آراءها في عملية محاكاة إرادية.

2- **التشبع** فيها تكون عملية التمثل والتقليد في صورة غير واعية ولا يختار المشاهد بطله.
3- **تبدّد التثبيط**: أو عدم الصدّ لغياب النّواهي الباطنية لجهة النشاط والتعبير، بحيث تشجع صور تلفزيونية معينة انتقال المشاهد إلى مرحلة الفعل.
4- **تبدّد التحسيس**: يتكيف المشاهد مع الفعل بتكراره ليصبح فعلا طبيعيا عنده، لا يتحسّس حسنه من قبحه.

وهكذا تستغرق المشاهد التلفزيونية الإنسان الذي يتلقاها حركيّا وانفعاليّا ولا شعوريّا وذهنيّا، فيتلقاها ليكملها بنفسه، ويضيف إليها عن طريق المعايشة والمعاناة بأحاسيس ووجدانيات تلفزيونية، وتأخذ آثار التلفزيون صفة العمق والتعقيد، والتنوع والتعدد بين الإيجابيّة والسّلبيّة، والتفاوت والاختلاف من مشاهد لآخر.

فللتلفزيون قدرة لا يستهان بها على الإقناع والتأثير والسيطرة، كونه قوة تدخل في مجال إعادة صياغة الإنسان، ولا أدل على ذلك من كلام"مارشال ماكلوهان" عن أن التلفزيون كأداة اتصال أهم من أي مضمون يذيعه، والنقاد الذين يهتمون بمضمون البرامج هم في الحقيقة يبتعدون عن النقطة الرئيسية، الناس سيشاهدون التلفزيون مهما كانت البرامج بحكم أنه يفرض سيطرته على البشر بعكس أية وسيلة اتصال جماهيرية أخرى[48].

تتحدّث "ماري وين" في كتابها: الأطفال والإدمان التلفزيوني فتقول: "التلفزيون مثله مثل المخدرات أو الكحول، يتيح للمشاهد محو العالم الحقيقي، والدخول في حالة عقلية سارة وسلبية، فصنوف القلق والهموم الواقعية تؤجل فعليّا عن طريق الاستغراق في برنامج تلفزيوني"[49]. ولو تصوّرنا نتاجين أحدهما تناوله التلفزيون، والثاني انتشر بطريق تقليدي، فلا بد أن الأول سيلاقي رواجا أكثر ويصبح مؤثرا وفعالا أكثر بكثير من الثاني، الذي سيكون انتشاره بطيئا ومحدودا[50].

يقول مارتن جروتيان: "إن معنى الحياة التّلفزيونية أننا لا نحيا حياتنا، وإنما يحياها التّلفزيون لنا،... وهو بذلك يعطّل قوى الفكر، ويعوق تطوّر الشخصية واستقلالها، فالنّاس لا يتمكّنون من تكوين آرائهم وبلورة أفكارهم"، ويتفق باركر ولايل وشرام على أن التّلفزيون يؤدّي إلى الانسحاب من الحياة الواقعيّة إلى العزلة والتفاعل مع شاشة العرض التي يستسلم لها المشاهد ويمتص ما تقدمه له، ويتشرّب ما تتضمنه من قيم، فهي تستغرقه وتهيمن عليه[51].

هذا، ويمكن للرسائل الاتصالية التي تحملها القنوات الفضائية التلفزيونية أن تؤثر في الصور العقلية للأفراد بثلاث طرق هي: أن تخلق صورا عقلية جديدة، أو أن تغيّر صورا عقلية موجودة، أو أن تعزز صورا عقلية موجودة[52].

والبرنامج التلفزيوني اليوم يتسم بأنه مختصر جدا، ومكثف جدا وسريع جدا حتى أصبح كالسندويتشة السّريعة التي تثير شهية الفرد وتحرضه على الأكل ولكن لا تشبعه، هكذا أصبح حال الإعلام، إذ أصبح يقدم المادة التي لا تحتاج إشغال الفكر، ولا تدفع إلى التأمل والنقد والتحليل[53].

تذكر "هيملويت" وزملاؤها بأن التلفزيون يمارس أثرا حينما يعرض الصور مرارا وتكرارا ولاسيما حين يتم ذلك في الإطار التمثيلي، بصورة تثير الانفعالات النفسية،... خاصة إذا اتصلت القيم والمقاييس المراد ترسيخها مع حاجات ورغبات الأفراد ومصالحهم الشخصية والآنية، ويمارس نفوذه حين لا تكون الصور والآراء التي يقدمها قد وقرت في الأذهان والقلوب من قبل، وحين يشيع من ألوان المعرفة

ما لم يكن قد سبق الظفر به من مصادر أخرى، ... وكلما عظم شغف المشاهدين باللون المعروض من المعرفة[54].

ويذكر تقرير صادر عن اليونسكو: "إن إدخال وسائل إعلام جديدة، وخاصة التلفزيون في المجتمعات التقليدية، أدى إلى زعزعة عادات ترجع إلى مئات السنين، وممارسات حضارية كرسها الزمن"، إن هذه الأجهزة والوسائل تستطيع تحوير الشخصية حسب ما يغلب عليها من معتقدات وبيئات أو أقل ما تفعله اهتزاز الشخصيات وأرجحتها[55].

ويؤكد الكثير من الباحثين أن كثرة مشاهدة التلفزيون تؤثر على فكر المشاهد فتضعف لديه ملكة التخيل،... وتتباطؤ العملية التحليلية الانتقادية نظرا لضعف المضمون المقدّم، ويؤكد بعض علماء النفس أن التلفزيون بما يعرضه من قيم ومبادئ على المشاهد يخلق عنده حالات من الصراع النفسي التي قد تؤدي إلى الإصابة بانفصام الشخصية أو الإحساس بالإحباط... هذا ويذكر "هاياكو" أن التلفزيون ينحو بالمشاهد نحو الانفعال واتخاذ القرارات غير العقلانية والهبوط في الذوق والإسراف في المظاهر الاستهلاكية على حساب الجوهر والقيم الخلقية[56].

تتضح جليا طبيعة التأثيرات المتفاوتة للتلفزيون على المستوى العقلي والنفسي والسلوكي للإنسان وبالوتيرتين السريعة والتراكمية معا.

رابعا: آليات الجذب وفعالية التأثير المتعلقة بشكل البرنامج التلفزيوني

الاتصال الناجح والفعال هو الذي يستطيع أن يجعل المثيرات قادرة على إحداث الاستجابات المرغوب فيها[57].

أ- آليات متعلقة بقالب البرنامج التلفزيوني: تصنف البرامج التلفزيونيّة وفق اعتبارات ومعايير عديدة، وفيما يبدو لي من خلال اطّلاعي على كتابات عدّة[58]، أنّ أهم أنواع هذا التّصنيف، هو التّصنيف حسب القوالب أو الأشكال الفنيّة، لأنه يستوعب أي برنامج، كما أنه يمثّل المدخل الذي يسهّل دراسة البنية الأساسية لبرامج التلفزيون، فلكلّ قالب مواصفات ومتطّلبات تتيح تمييزه عن غيره، وإن كان الملاحظ أن ثمّة خلطا بين أنواع البرامج ومواضيعها وقوالبها في كثير من الكتابات، إلا أنه يمكن تعريف قالب أو شكل البرنامج التلفزيوني على أنه الهيكل الذي يصبّ فيه موضوع معيّن أيا كان نوعه: سياسي، اقتصادي، اجتماعي، ثقافي،... بحيث يتماشى مع العرض التلفزيوني، وهذا القالب حسب تتبعي للبرامج التلفزيونية، وحسب ما اطلعت عليه من مصادر لا يعدو أن يكون واحدا ممّا يلي: - قالب الحديث المباشر- قالب الحوار أو المقابلة - قالب المائدة المستديرة (النّدوة) - قالب البرنامج الجماهيري "توك شو" - قالب الوثائقي - قالب التحقيق - قالب المجلة التلفزيونية - قالب الدراما "نوع من التعبير الأدبي المجسد الذي يؤدى تمثيلاً و تشخيصا كالمسلسلات والأفلام والمسرحيات" - قالب المنّوعات الموسيقية والغنائية - وكذا نقل المناسبات والأحداث، دون إغفال مواد الربط والتنويه التي تستخدم للانتقال بين البرامج، وشغل الفراغات بينها، وتضمّ الإعلانات سواء كانت تجاريّة أو توعويّة، ويحتوي التّلفزيون سواء كان شاملا أو متخصّصا على مختلف هذه القوالب.

وأشكال البرامج في التلفزيون ليست إطارا يحوي مادة البرنامج، ولا مجرّد طلاء خارجي يضفي على الفكرة، بل إنّه ليتوحّد معها، وهذا التوحّد هو ما يكسب البرنامج التلفزيوني قوته وقيمته وجاذبيته، فقد تكون الفكرة مبتذلة أو مطروقة أو جافة ومملّة، فيكسبها الشّكل الفني خصبا وثراء ينقلها من منطقة التّجريد

إلى مجال التصوير والتجسيد[59]، فصياغة القالب الجالب والمؤثّر هي البداية النّاجحة لتحقيق فعاليّة أيّة رسالة بعد ذلك.

وهنا يُذكر إجماع البحوث والدّراسات الميدانية على أن القوالب الكلاسيكيّة القديمة لم تعد تلبّي احتياجات الجمهور وتجتذب شرائحه المتعدّدة، وأنّ الأعمال الدراميّة تأتي ضمن البرامج المفضّلة في التّلفزيون، خاصّة وأنها تخاطب كل الشّرائح الاجتماعيّة، كما أنّها لا تحتاج إلى زاد معرفي خاص لمتابعها، وتعتبر الدراما تقنية إعلامية ذات تأثير كبير وعميق في حياة الناس وأفكارهم ومشاعرهم، بعكس البرامج الحوارية، التي تعتبر نوعا مما يسميه الفرنسيون: إذاعة مركبا عليها أفلام[60].

قال "لينين" في مؤتمر شيوعي: "السينما هي مدخلنا الثقافي والفني إلى الجماهير، وعشرة سينمائيين مَهَرَة يدعمون الحرب في حفلهم يرجحون بعملهم هذا تأثير مليون كتاب"، وقال الشيخ "محمد الغزالي": "أعطوني سينما واحدة وخذوا ألف واعظ"، ومازالت كلمات "شكسبير" ماثلة بقوتها وصراحتها حين قال: "أعطوني مسرحا أعطكم شعبا عظيما"،... ولا يكاد يختلف اثنان على أن الدراما قوّة ذات بعد تأثيري ساحر في نفوس المشاهدين...

وإذا أرادت محطة بيع برامجها لعدد دائم التزايد من المتابعين فينبغي عليها أن تعمد إلى الدراما، وإذا ما أريد ترسيخ قيمة معينة أو معنى أو مفهوم معين... فالسّبيل إلى ذلك مشهد تمثيلي تنتصر فيه هذه القيمة أو المعنى أو المفهوم...، لاسيما أن معدّلات الإقبال الجماهيري عليها ترتفع بدرجة تفوق الإقبال على غيرها.

وتكمن قوّة الدراما في تقديم المعاني والأفكار وترسيخها، في أن المتلقي يتلقّى المعلومة أو القيمة أو الخلق من غير تكلف، إذ ينساق إليه بانسياب وبكل أريحية، فضلا عن أن الدراما ما هي إلا انعكاس لأحوال المشاهد، وأوضاعه التي يحياها فهي تعالج مشكلاته، وتلامس واقعه وأحواله، وبذلك تكون قريبة منه وملهمة له في إيجاد الحلول.

وقد كشفت بعض الدّراسات التي تحدثت في التأثير الفاعل للدراما التلفزيونية أن نسبة تغيير السلوك تصل إلى 60 %، إذ تهدف الأدرمة إلى إثارة توتر انفعالي متبوع باسترخاء لدى المتلقين، ويشكل هذا المرور من التوتر إلى الاسترخاء الدافع الأساسي للمتعة، ...كما أن الأعمال الدرامية تثير في الإنسان غريزة من أهم الغرائز البشرية وهي غريزة المحاكاة والتقليد.... فالشّخصيات الممثلة تجسّد أنموذجا للمشاهد، يستوحي منه المعاني والسلوك والقيم، التي يخزنها في قاموسه المعرفي، ويقوم باستخدامها وتقليدها لاحقا... وقد أثبت الأسلوب الدرامي والأسلوب الكوميدي الخفيف نجاحهما أمام المشاهد في عدد كبير من المواقف...[61].

وفي هذا السياق هناك العديد من الأساليب الممكنة التّطبيق، فليس من الصعب الاستعانة بمشاهد تمثيلية تساهم في زيادة فاعلية البرامج، تقدم كبداية لها أو خلالها، تكون مقتبسة من أعمال درامية معروضة أو بتنفيذ عمل خاص يخدمها، أو تقمص مقدمي البرامج أنفسهم أدوارا مختلفة تمتزج فيها الجدية بالتسلية الدرامية، أو بدء الحلقة بمشهد درامي، وطرح الحلول بمشهد درامي، وبين المشهدين يكون دور المقدّم وضيوفه في الحديث عن الموضوع، خاصة في المواضيع الاجتماعية، بحيث يترك للدراما بناء أساسيات البرامج التي ينطلق منها الحوار وتعطي لها فرصة اختتام اللقاء لتبقي مشاهد الصّورة الدّرامية آخر ما رسخ في ذهن المشاهد.

ولا يفوتنا في سياق الحديث عن القوالب التلفزيونية الجذّابة والمؤثّرة الإشارة إلى قالب المجلة التلفزيونية، وهو قالب أو شكل تلفزيوني يعرض بصفة دوريّة، ويتضمّن فقرات متنوعة من حيث الشكل

والمضمون، تربطها وحدة عضوية، وتقدم بأسلوب يكسبها خصائص المجلة المطبوعة، وأحياناً يطلق على حلقة البرنامج اسم "العدد"، وتأخذ فقرات البرنامج عناوين المجلة المطبوعة،... وبصفة عامة فإنّ المجلة التّلفزيونية تجمع القوالب الأخرى بشكل مصغر، ففيها الحديث المصغر، والحوار المصغر، والخبر المصغر، والتقرير التلفزيوني المصغر.

ننوّه هنا أيضا على أهميّة القالب الإعلاني الذي لا غنى عن ولوجه من أجل ضمان الاستمرار، وتوفير الميزانية المستقرّة بحيث لا يلجأ إلى التنافس المحموم والترخص في المضامين[62].

هكذا نؤكد ضرورة الإبداع الدرامي وتنوع الطرح وروح المنافسة الواقعية.

ب- آليات متعلقة بتقنيات الصورة في البرنامج التلفزيوني: من سمات عصرنا الرّاهن أنه عصر الصّورة... والصّورة ليست أمرا مستجدا في التّاريخ الإنساني، وإنما تحوّلت من الهامش إلى المركز، ومن الحضور الجزئي إلى موقع الهيمنة والسّيادة على غيرها من العناصر والأدوات الإعلامية[63]، ولذلك يقال الصورة خير من ألف كلمة، ومبدئيا فإن الصّورة تحمل في طياتها أفكارا تجريدية هي أسرع استيعابا لدى المتعلم أو المتلقي من نصوص طويلة، كما أنها تبيح له تذكرا أفضل لتفاصيل عرض معين[64].

تمتاز الصّور والرّسومات بالقدرات التأثيرية التي تساهم في زيادة فعالية المادة الإعلامية، فالصورة تساعد على فهم المّادة، وتحرك المشاعر الإنسانيّة، وتؤدّي في حالات معيّنة إلى إيجاد انطباعات متباينة لدى جمهور المتلقين[65]. وتعمل على إشباع فضول المتلقي حول الأشخاص والأماكن.

من هنا يحظى التلفزيون بأهميته التأثيرية من خلال الصّور الحيّة المرئية التي هي من أهم وسائل الإقناع، فالإنسان يميل أكثر إلى تصديق ما يراه، والرؤية أو البصر أهم وأكثر حواس الإنسان استخداما في اكتساب المعلومات[66].

ومن ميزات الصورة التلفزيونية أنها صورة متحركة، ...ولا يخفى أن الجسم المتحرك يؤثر في العين قبل الجسم الساكن، فهو يشد الانتباه بحيويته ونشاطه، كما أن لنوع الحركة دورا تعبيريا مؤثرا خصوصا بالنسبة للأعمال الدرامية، ولا يُعنى بحركة الصورة التلفزيونية المعنى الحرفي، وإنما يقصد بذلك حركية المضمون ككل، الذي يكمن في المرئيات وفي الحوار وفي التعليق وفي المِؤثرات الصوتية، وفي الصور المتتابعة[67].

مُشَاهدُ التلفزيون يكون مأسورا ومسحورا ومركزا انتباهه على تتابع الصّور بسرعة، حيث لا يستطيع أن يحيد ببصره، خصوصا عندما تكون بقوتها وهيمنتها ودرجة سرعتها وسياقها وتسلسلها مركبة ومرسومة بعناية ودقّة في سبيل إحداث أقصى حدّ من التأثير،... أعمق وأكثر استمرارا[68].

يقول الصحفي التونسي اللبناني غسان بن جدو: حققت الفضائيّات العربيّة نقلة نوعيّة في الإعلام العربي بكل معنى الكلمة، واستطاعت أن تستثمر التقانة البصرية، وأن توظفها بشكل جيد، وبات المتلقي العربي يجد ذاته فيها[69].

ولعله من المناسب التّعريج هنا على وظائف الألوان في الصورة، والتي تتجلى في جذب الانتباه من خلال التباين اللّوني فيها، وإعطاء تأثيرات سيكولوجية من خلال الرّموز والإيحاءات في وظيفتها الاتصالية، كما أن اللّون يطوّر ارتباطات بأشياء معينة كسلع أو علامات تجارية، ويوجد حالة من التركيز والتذكر، ويوجد جوًّا مواتيًا لاستيعاب الرّسالة بسبب إثارة الانتباه[70].

وقد حظيت الألوان بدراسات مختلفة عن ماهيّتها وخواصها وصفاتها وقيمها ودلالاتها، نظرا إلى أهميتها في التّأثير في الإنسان وشعوره وحالته النفسيّة، فهناك الألوان الدّافئة التي تعتبر مثيرة ومنبّهة وتشعرنا بالدفء والحرارة، وهناك أيضًا الألوان الباردة التي تعبّر عن الهدوء، وتشعرنا بالبرود،...[71].

ينبغي ترشيح أماكن التّصوير حسب الموضوع المطروح، من أجل إضفاء الواقعية والمصداقية، مع ضرورة إجراء معاينات لأماكن التصوير، لمعرفة ظروف الإضاءة واتجاهات الهواء، وخلق ألفة مع أماكن التصوير، مع تحديد المواد المساعدة من مواد فيلمية حديثة، ووسائل إيضاح إلكترونيّة.

ج- آليات متعلقة بالمؤثرات الصوتية للبرنامج التلفزيوني: إن 65 % من جميع عمليات الاتصال الإنسانية إنما تحدث عن طريق الصوت، فنحن محاطون بالصوت مذ تدبّ فينا الحياة، وآذاننا تعمل حتى ونحن نائمون، لذلك يتطلّب البرنامج التلفزيوني مرافقته بمؤثرات صوتية توائم طبيعة السياق والمشاهد المرافقة، فهي تستثير في الإنسان الكثير من أوجه الاستجابات.

نسبة عالية من قيمة الجوانب الإعلامية والتربوية والترفيهية تكمن عي عامل الصوت بعناصره الثلاث، الكلمة المنطوقة والموسيقي والمؤثرات الصوتية... ولابد أن تعمل الصّورة مع الصّوت من أجل اتصال مؤثّر فعّال... ولتحقيق درجة نوعية للصوت لابد من استخدام ميكروفونات صغيرة بقدر الإمكان، وعالية الحساسية للأصوات المطلوبة، وقليلة الحساسية للأصوات غير المطلوبة، وأن تكون قوية وصالحة للاستخدام مع شخص أو أكثر، وأن تكون لاسلكية وبأحجار بطاريات صغيرة لأغراض الحركة[72].

كما يجب العمل على إخراج الأصوات من مخارجها الطبيعية الصحيحة لتكون واضحة ومفهومة، والمحافظة على الصوت وتمرينه، والكلام بهدوء وبطريقة تلقائية، وعدم رفع الصوت كثيرا لأن المايكات حساسة، واتباع تعليمات فني الصوت، ومعرفة آلية عمل المايك قبل دخول الأستوديو[73].

ولكل نوع برامجي الموسيقى والمؤثّرات الصوتية التي تتماشى معه... ونلاحظ أن البرامج الناجحة يحدث فيها نوع من الارتباط بين الجماهير والموسيقى الخاصة بهذه البرامج[74].

تكبر أهمية المؤثّرات الصوتية في العمل التلفزيوني بقدر حسن اختيارها بما يجذب الجمهور ويخدم الأداء، فكم من نغمات حملت تعبيرات عن مأساة داخل أعمال شخصية لا تستطيع الكلمات منافستها في الدّلالة والتّأثير، ذلك أن الإيقاع يخدم المضامين حزنا كان أم فرحا، فالصوت والموسيقى والمؤثّرات تكمل معنى الصّورة وهي تقنيات مساعدة في فهم الصّورة وانعكاس أثرها على المشاهد.

د- آليات متعلقة بمدّة ووقت عرض البرنامج التلفزيوني: لكل برنامج تلفزيوني إطار زمني يتحدد على خريطة الإرسال من حيث مدة الحلقة وتوقيت تقديمها، وقد أصبح عنصر الوقت مهمّا وضروريّا، ولابد من وضعه في الاعتبار أثناء التّسجيل أو العرض، ولعلّ أبرز المشكلات في هذا الخصوص ما يتعلّق بالبرامج المباشرة، من خلال إطالة الضيوف في الإجابات على الأسئلة، أو بالخروج عن الموضوع، أو تكرار الأفكار والبطء في الحديث، وكثرة فترات الصمت...[75].

وتتوقف مدة العرض على نوع البرنامج وهدفه وطبيعة الجمهور المستهدف، أما تحديد وقت العرض فيتعلق بنوعية الجمهور المستهدف بالدرجة الأولى.

وقت الذروة التلفزيونية هو الوقت الذي تكون فيه نسبة المشاهدة عالية جدا، ولكل منطقة في العالم أوقات ذروة في مشاهدة التلفزيون، لذلك يوزع القائمون على الفضائيات برامجهم حسب المنطقة الجغرافية التي يبثون منها، وفي العادة يمتد وقت الذروة -حسب دراسات تطبيقية- فيما بعد السابعة أو الثامنة مساء حتى العاشرة أو الحادية عشر ليلا وربما منتصف الليل في معظم الدول، وهناك أوقات ذروة لها علاقة

بشهور السنة أو في مناسبات محددة أو نهاية الأسبوع أو قبل يوم العطلة أو ما شابه، ويعدّ شهر رمضان شهر ذروة مشاهدة في العالم العربي، لذلك تبث كثير من البرامج المكلّفة خلاله، كما أن الشتاء يتميز بقدرة أكبر على المشاهدة والتركيز فيما يعرض؛ لأن فيه تقل الحركة والزّيارات، هذا، وتعتبر الجمعة ويوم الخميس ابتداء من المساء من أيام ذروة المشاهدة عند معظم المحطات في الوطن العربي لشعور النّاس بالاسترخاء لاعتبار اليوم الموالي يوم عطلة[76].

وفي الوقت نفسه هناك أوقات معينة تزداد فيها نسبة المشاهدين وفقا لتصنيفات معينة، فالأطفال مثلا يشاهدون التلفاز ما بين الساعة الثالثة والثامنة مساء، أو وفقا لموعد عودتهم من المدرسة، والنّساء يشاهدن التلفزيون أثناء أو بعد الانتهاء من الأعمال المنزلية إذا كنّ ربّات بيوت، أو مثلها مثل الرجل إذا كن عاملات، وفي الغالب وقت الذروة العام يشمل العائلة كلّها، ابتداء من السابعة مساء، حيث يكون الموظفون قد عادوا من أعمالهم، وجلسوا إلى التلفزيون بعد أن تناولوا طعامهم وارتاحوا. كما أنه في حالة الثلوج أو الأمطار الشديدة، تلجأ بعض القنوات إلى وضع برامج كوميدية خفيفة للترويح عن الناس، وفي حالات معينة يتم قطع البرامج الاعتيادية، وبث برامج خاصة لها علاقة بالأحداث التي تعصف بالبلدان[77].

وعموما، يفضّل دوما الرجوع إلى الدّراسات الحديثة التي تبين أوقات البث ونسبة المشاهدين في كل بلد، وتجدر الإشارة إلى أن من العوامل التي يراهن عليها في إنجاح برنامج معين هو عرضه في أوقات الذروة، بينما قد تؤدي برمجة أقوى البرامج في غير هذه الأوقات إلى تهميش هذا البرنامج.

خامسا: آليات الجذب وفعالية التأثير المتعلقة بمضمون البرنامج التلفزيوني

في عام 1932م كتب "هارولد لاسويل" جملة قصيرة ولكنها عميقة وذات دلالة لأنها تلخص بوجه عام كل فلسفة الاتصال ومجالات البحث فيه، إذ يقول عن عملية الاتصال عامة والاتصال الجماهيري خاصة، أنه يدور حول: "من يقول؟"، "وماذا يقول؟"، و"ولمن يقول؟"، و"لماذا يقول؟"[78]، ولقد كانت هذه العبارة منذ صدرت ولا تزال لحد الآن، تعتبر هي المبدأ الذي يوجه معظم البحوث في مجال الاتصال. لأنها تقدم أربعة أبعاد للمشكلة ينبغي البحث فيها في أية دراسة متعمقة.

أ- آليات متعلقة بالمواضيع المطروحة في البرنامج التلفزيوني: المتأمل لحال وواقع المشاهد التّلفزيوني يلحظ عموما أنه كي تكون المواضيع جاذبة ومؤثّرة يجب أن تكون عصريّة حاليّة مثيرة للفضول، قابلة للتشويق، تهم قطاعا كبيرا من الجمهور، وتتوفر لها المادة العلمية الكافية، والصور المصاحبة، مع وجود خبراء ومتخصصين مستعدين للإثراء، فلا يتحدث إلا في الموضوع الذي يعرف عنه المتصل الكثير، وتكون معلوماته فيه صحيحة وجديدة وصادقة وكافية، ومتصلة بالموضوع الرئيسي.

أكدت الإعلامية "نورة الكعبي" أن شاشة التلفزيون تحتاج لتطوير في البرامج سواء في العدد أو في المستوى، لأن عدد البرامج قليل كما أننا نحتاج إلى تنوع برامجي كبير... حتى يجد المشاهد فيها ما يرضي ذائقته وتوجّهاته[79].

واستنادا لذلك، فإنه يراعى عند التّخطيط لكل دورة آراء المشاهدين ورغباتهم، والمناسبات الهامّة في حياة الشعوب، وتقارير المتابعة البرامجية، ونتائج الدّراسات والبحث الميدانية[80].

وفي ذات السياق، يجدر التساؤل دائما عن الحيز المتاح لقضايا الأمة...، وعن مدى كفايته، خصوصا عندما... تغلب الموضوعات الفنية والترفيهية على غيرها، وينبغي مواجهة الذات بالقضايا التي تستنكف الفضائيات عن إثارتها، وفتح مساحة لها في برامجها؟... ينبغي تعميم الفضائيات لخطابها الإعلامي، بما

يتلاءم والقضايا الحيوية والمصيرية، دون مداهنة أو مهادنة لأية جهة كانت، خدمة للحقيقة ولا شيء غير الحقيقة[81].

لقد توفّرت التكنولوجيا ولكنّ الرسالة غابت،... لماذا تغيب اهتمامات الجمهور الحقيقية، وخاصة الفئات الجادّة والمثقّفة، ولا يتم الاسترشاد بآراء حملة الأقلام من قادة الرّأي وأصحاب الفكر الرّاجح، الذين يؤمنون بدور الكلمة في تنمية العقل وتغذية الوجدان؟ لماذا يغيب دور هذه القنوات في مخاطبة عقل الفرد ومَدّه بما يتطلّع إليه من محصّلة معرفيّة، وقاعدة معلوماتيّة، ومساعدته على امتلاك أدوات التفكير والتدرب على الحوار؟[82].

هذا، ولا ينبغي إغفال جانب التّرفيه والتّسلية والشّعور بالمتعة كعناصر يبحث عنها مشاهد التلفزيون فتجذبه من جهة، وتكون لها القدرة على إحداث التفاعل الجماهيري تجاه المادة الإعلامية من جهة أخرى، فضلا عن كون التلفزيون في الأساس جهازا ترفيهيا. وهنا "تؤكد الدراسات التربوية جدوى التعليم الترفيهيّ، حيث أضحى بديلا جديا ومجديا في عصرنا"[83].

وهنا يؤكد الإعلامي "مروان الحل" بمؤسسة دبي للإعلام أن "قوة البرامج أظهرت مذيعين كثر، ولولا الفكرة القويّة لما عُرف هؤلاء وانتشروا وأصبحت لهم قاعدة جماهيرية كبيرة، ما يؤكد أن الفكرة هي الأساس"[84]. فممّا يجذب الأشخاص التكلم في مواضيع لا يجرؤ الآخرون على طرحها[85].

ومن النقاط السلبية على مستوى معالجة الموضوعات العجز عن التخلص من الفكر المسبق أو من الخلفيات السياسية والإيديولوجية في طريقة التغطية ومنظورها للحدث، رغم الحرص على البروز بمظهر الأداء المهني[86]، إذ الأجهزة الإعلامية من الناحية الإيديولوجية يكمن مفهومها في تربية عقول البشر في العالم أجمع على أساس أحكام حتمية وأراء واتجاهات معينة تخدم استراتيجيات وآليات من يتحكم في المصدر الإعلامي[87].

فمع كثرة القنوات التلفزيونيّة أصبح من الضروري التحديد الدقيق للأفكار والموضوعات من خلال النظر بعين ثاقبة، انطلاقا من واقع البيئة المحيطة وأحداثها، من خلال حياة الناس وهمومهم ومشاكلهم واهتماماتهم، مرورا بمتابعة وسائل الإعلام والكتب والدراسات الحديثة واستشارة المختصين، مع مراعاة القيم والأعراف والتقاليد.

ب- آليات متعلقة بالقائم بالاتصال في البرنامج التلفزيوني: المهنة الإعلامية تعطي لصاحبها قيمة رمزية عالية، وتساعده على الانتشار في المجتمع، ونيل سمعة جيدة في غالب الأحوال، من أجل هذا ينبغي عليه الطموح الدائم إلى تطوير مهاراته وقدراته وصقلها. فلا يكاد يختلف الباحثون في أن القائم بالاتصال أو رجل الإعلام أو المرسل هو الحلقة الرئيسية في العملية الإعلامية، ومن أهم العناصر التي يترتب عليها نجاحها، ولعل ذلك يتبدى جليا وبشكل خاص في برامج الحديث المباشر والبرامج الحوارية، وحتى في الأعمال الدرامية التي تمثل فيها أسماء الأبطال العامل الأول لإقبال المتفرج أو إدباره.

ونستحضر هنا قول الإعلامي "عبد الله إسماعيل" المذيع في مؤسسة دبي للإعلام، وهو يتحدث عن علاقة متطلبات البرنامج بنوعه مشيراً إلى أن "البرامج الحوارية تختلف عن برامج المواهب في متطلباتها، إذ تعتمد البرامج الحوارية على المذيع أولاً وأخيراً، بغض النظر عن فكرة البرنامج وفخامة الديكور، إذ تفرض شخصيته نفسها دائماً بقوة أدواته ليبقى هو الأساس"، هذا ويؤكد الإعلامي مصطفى الآغا رئيس القسم الرياضي في "إم بي سي" على ذات الموضوع من خلال إشارته إلى أن علاقة المُحاوِر بالضيوف تؤثر بشكل كبير على قوّة البرنامج، وقال: "للعلاقات الاجتماعية أهميتها الكبيرة"،... وتذكر

"هدى صـــلاح" الممثلة والإعلامية على قناة "روتانا خليجية" أنّ أيّ برنامج يحتاج لعدّة عوامل ليضـــمن النّجاح، أهمها «كاريزما» المذيع[88].

والقائم بالاتصـــال التلفزيوني يجب أن تتوفر فيه عدة شـــروط، منها الطبيعيّة الفطريّة التي لا يمكن اكتسابها، ومنها ما يمكن العمل على تنميتها وتطويرها بالممارسة والتدريب:

- المصداقية والحيوية: فالمتحدث الصادق والموضوعي العادل في الحكم على الأشياء... هو الأبلغ تأثيرا[89]، إضافة إلى الحماس بأن يكون تواقًا للحديث عن موضوعه فيبدو حيويًا مقبلا نشطًا متفاعلا، يعرف كيف يدخل الجمهور إلى عالمه، وقد أثبت الدراسات أن الحماس والإيمان والصدق تأتي في رأس قائمة المميزات التي طلبها المتلقون في المحاضر، مع القدرة على التذكر وحضور الذهن وسرعة البديهة أثناء الحديث، والاتـزان والتحكم الانفعالي، والحرص على التلقائية، والقدرة على التحليل والابتكار، والاتجاه الطيب نحو الجمهور، باحترام المشاهدين وعدم الاستخفاف بعقولهم، والتعامل بمهنيّة وموضوعية وحياد في تقديم المعلومات، والتمتع باللباقة والذكاء الاجتماعي وذلك للنجاح في تكوين علاقات مع المسؤولين والزملاء والمصادر[90].
- العلم والدراية بأحوال العصر وقضايا الأمة، وسعة الثقافة والإلمام بمختلف العلوم، مع دوام الاطلاع على المستجدات ومتابعتها وتطوير الأفكار المتعلقة بها، وامتلاك مهارة البحث المتقدّم والدقيق في الوصول إلى المعلومة من مصادرها الموثوقة. مع المعرفة الكاملة بالشخصيّات العامّة والاعتبارية بمختلف تخصصاتها وتوجهاتها، وامتلاك عدد كبير من العلاقات والمصادر، إضافة إلى امتلاك العين النافذة والناقدة لما يدور حوله، والعلم بالاهتمامات المتغيرة للناس ومتطلباتهم بما يواكب العصر، وفهم ومراعاة اختلافات عقليات الجماهير وأمزجتهم المتباينة، ومعرفة خصائص الوسيلة الإعلامية المستخدمة، وكذا مهارة الكتابة والإعداد لها، والتمكن من آليات الإعداد البرامجي والمعرفة بأساسيّات الكاميرا والإخراج والتصوير والأمور الفنيّة الأخرى، والتطوير الدائم للمهارات والقدرات[91].
- امتلاك مهارات اتصالية عالية كالقدرة على الترميز بأبعاده المختلفة، عن طريق استخدام عنصريه اللفظي وغير اللفظي، الأمر الذي ينعكس على مدى قدرته في صياغة الرسالة المعبرة عن هدفه بوضوح، والمراعية في ذات الوقت لطبيعة المستقبل فكريا واجتماعيا ونفسيا، بحيث تكون مفهومة وجاذبة ومؤثرة[92]، ونابضة بالحياة[93]، إضافة إلى وضوح الصوت، والقدرة على إخراج الحروف من مخارجها لئلا تتشابك في الكلمة الواحدة أو الكلمتين المتتاليتين، مع ملاءمة نبرات الصوت لطبيعة الموضوع، وتناسب درجة ارتفاعه مع طبيعة المكان والجمهور والمناخ...، وكذلك التلوين والتنويع الصوتي[94]، مع الانتباه إلى النغمة التي ينبغي أن تكون في الإجمال متوسطة، وإلى الوتيرة التي يجب أن تكون هادئة لتدل على الاتزان والتمكن، وإلى الوضوح الذي يعطي للحروف حقها باللفظ، ولحجم الصوت الدرجة المناسبة من الجهارة والحدة.[95] إضافة إلى ضرورة الاستهلال الجديد والبدء بملخص سريع للنقاط التي سوف تناقش، والبدء بنقاط الاتفـــاق وتجنب التعميم والتسرع في إصدار الأحكام، واستخدام الجمل القصيرة وتجنب التطويل، والخاتمة الجيدة التي تبلور الموضوع، والسيطرة على دفـــة الحديث، وتجنب تقليد الآخرين، مع التمرن على التميز بإدخال الجديد، وطرح أسئلة لا يطرحها شخص آخر[96].
- من الضروري اهتمام القائم بالاتصال بهيئته، بضرورة ارتداء ما يوحي بالأناقة والرصانة، ويعطي انطباعا بالثقة والجدية، ويدخل تحت هذا ملاءمة اللباس لمقتضى الحال والمناسبة، فالمظهر اللائق ينبئ عن شخصية ذات حس جمالي، يؤثر في مدى تقبل المستمع للكلام، ويشير إلى احترامه له، كما يدل

الوقوف أو الجلوس في أثناء الكلام والإقبال بالوجه، واعتدال القامة، على الوضع المناسب، ما يوحي باهتمامه به[97].

فالإلمام ببعض التقنيات الخاصة حول الحضور "الطلة"، طريقة التكلم وآلية الإلقاء، كيفية إدارة الحوار، من الأهمية بمكان. ولا يتأتى ذلك إلا بقهر الخوف، واستجماع الشجاعة الأدبية والهدوء النفسي، إذ أن من جملة ما يخيف الإنسان هو المثول أمام جمهور أو إلقاء خطاب أمامهم، وشعوره بأنه تحت المراقبة، وقد تبين من بعض الملاحظات العلمية أن من بعض الذين اعتادوا الظهور بشكل مريح، تغلبوا على عقدة خوفهم قبل لحظات خروجهم عبر التحدث مع الموجودين في الكواليس بطرفة أو بتفكير إيجابي[98].

وفي سياق الحديث عن رجل الإعلام العربي يقول "نبيل دجاني" أستاذ الدراسات الإعلامية بالجامعة الأمريكية في بيروت لبنان: أن ما تفتقر إليه الفضائيات ليس المستوى التقني بل الكادر المهني القادر على استعمال تلك التقنيات...، بينما يرى الإعلامي العراقي "شاكر حامد" أن بعض الفضائيات العربية أصبحت مختبرا حقيقيا للكوادر التي تكونت، نشأة وتربية في إطار التلفزيونات الرسمية[99].

هذا، وتلفت الإعلامية "هدى صلاح" الانتباه إلى أن برامج معينة تختار مقدميها لوجود كيمياء تجمع بين الفكرة وشخصية المذيع، حيث تفرض روح المذيع نفسها، ويلاحظ وجود إعلاميين برعوا في تقديم نوعية من البرامج أكثر من غيرها[100]. ويعتقد الكاتب والصحفي الجزائري "سمير كرم" أن مسؤولية الإخوة العاملين في الفضائيات هي أكبر من مسؤولية المتابعين والدارسين، لأنهم داخل الظاهرة بينما يرى الدارس والمتابع تلك الظاهرة من خارجها، فمن المفيد أن يقول لنا من هو داخل الفضائيات نوع المشكلات والحدود الخضر والحمر التي يواجهونها[101].

ومن أجل وضع أفضل لرجل الإعلام يشير عميد كلية الإعلام بجامعة البترا الأردني "تيسير أبو عرجة" إلى ضرورة القيام بمهام التكوين المهني على أسس سليمة، بحيث يُراعي القدرات الشخصية، ويحتضن المواهب ويقدم المواد الدراسية ذات الصلة بتكوين الإعلامي المناسب الذي يتحرك على أرضية صلبة من التأهيل والتدريب والاستعداد لهذه المهنة ذات الطابع الخاص[102].

ج- آليات متعلقة بجمهور البرنامج التلفزيونية: الجمهور: مجموعة من الأفراد لا تقل عن اثنين، ويتحدد مفهومه في الاتصال الجماهيري بضخامة حجمه وكثرة عدده وانتشاره الكبير، بالشكل الذي لا يمكن معه تحقيق الاتصال المباشر مع القائم بالاتصال، ويتخالف أفراده في السمات والخصائص،...كما أن أفراده يعتبرون عناصر مؤثرة ومتأثرة في العملية الاتصالية[103].

الجمهور مفهوم اجتماعي يختلف من مجتمع لآخر حسب طبيعة وظروف كل مجتمع،... يمكن توجيههم والسيطرة عليهم وإسقاط المعلومات إليهم بهدف أن يكون سلوكهم بالاتجاه المرغوب فيه، وهو أنواع، فمنه[104]: البسيط الذي يتشكل بسرعة وينفض بسرعة، وينفعل بسرعة ويهدأ سريعا وليس لديه مستوى ثابت مثل جمهور الكرة وجمهور الأطفال، ومنه الجمهور الجاهل: الذي لا يقرأ ولا يكتب أو لديه إمكانية محدودة للقراءة والكتابة، ويتمسك ببعض العادات والتقاليد السلبية.

هناك أيضا الجمهور الذواق مرهف الحس المتجاوب المحترم للآخرين، المتعلم القادر على الاستيعاب والجدل،... والجمهور الرافض العنيد المتمسك بموقفه، المشبع بأفكار مضادة، وإن لم يكن ذكيا وذا معرفة، والجمهور الغامض، المتظاهر بغير ما بداخله، المخفي وراء هدوئه بركانا جارفا، والجمهور المثقف المالك قدرا مناسبا من المعرفة والعلم والإدراك والوعي، المحلل والمفسر للأشياء، الرافض لكل ما يتناقض مع وعيه وإدراكه.

ولهذا التنوع ينصح دائما في مجال الإعلام بالاستعلام عن ماهية الجمهور المستهدف: عقائده، درجة تعلُّمه، جنسه، أعماره، نمط ثقافته، مجال اهتمامه، شيء عن عاداته وتقاليده، توجهه الفكري، ولاءاته السياسية، المهن التي يقوم بها أكثريته، أبرز حاجاته المطلبية، ومشاكله الملحة[105].

والإنسان يتغير فيه كل شيء بحكم السن، فشخصية الصبي غير شخصية الشاب، غير شخصية الكهل، الذي تتباين شخصيته عندما يصل إلى مرحلة الشيخوخة،... كما أن نوعية الثقافة وكميتها، وتغير المكانة والوضع تغير الشخصية بكل مقوماتها السلوكية[106].

فمتغيرات الجمهور لها دلالة كبيرة في فعالية تأثير وسائل الإعلام، حيث يختلف الأفراد في ثقافتهم وخبراتهم وتعرضهم الانتقائي لوسائل الإعلام، وقابليتهم للتأثر، بل إنه أحيانا يستجيب الشخص الواحد بشكل مختلف لنفس المحتوى وفقا لظروفه الصحية أو النفسية أو الاجتماعية[107].

ومن النتائج المهمَّة التي توصَّل إليها العلماء أن الرائي يزداد تأثيره على نوعين من أفراد المجتمع: الأطفال، وذوي التعليم المنخفِض والأميين، وبصفة أن نسبة الأمية في المجتمع العربي مرتفعة، وأن عدد الأطفال وهم الذين بين الخامسة والرابعة عشر كبير، فإن الرائي يؤثِّر على نسبة كبيرة من أفراد المجتمع العربي، وخاصة وأن أجهزة الاستقبال تستطيع التِقاط أية محطة يُريدها المُشاهِد[108].

من جهة أخرى أثبتت الدراسات التي أجريت في كثير من الدول أن النسوة أقل اهتماما بالشؤون العامة من الرجال... وأن حجم مشاهدة نشرات أخبار التلفزيون يزداد فيما بين الذكور عن الإناث،... كما يختلف حجم المشاهدة باختلاف أعمار المشاهدين. واليوم بدأ الاهتمام يتزايد بأخبار التلفزيون بشكل غير عادي، خاصة وأنها تشغل أماكن متميزة وكبيرة بالنسبة لخريطة البرامج في التلفزيون، وأصبح الشخص العادي يشاهدها لمدة نصف ساعة يوميا[109].

د- آليات متعلقة بلغة البرنامج التلفزيوني: صوغ تعريف علمي شامل للغة ليس بالأمر اليسير، فأصل اللغة وثيق الاتصال بأصل الإنسان ذاته، وبتطور جسمه وعقله، ولعله يكفينا القول في هذا المقام أن اللغة مجموعة أصوات للتعبير عن الفكرة، أو أداة للتفاهم، أو وسيلة لنقل المعاني[110].

وتكمن أهمية اللغة الإعلامية في كونها توجه عبر وسائل الإعلام، إلى قطاعات واسعة من الجماهير على اختلاف مستوياتهم...، والمؤكد أن الواقع الذي تقدمه وسائل الإعلام هو واقع رمزي ينقل الأحداث والوقائع والظواهر ويعبر عنها باللغة التي لا تتطابق أحيانا مع الواقع الفعلي أو الحقيقة المفترضة، ناهيك عن الاعتبارات المرتبطة بالخلفية الإيديولوجية... وانعكاساتها على طريقة الصياغة والكلمات المنتقاة في التعبير عن الواقع[111].

فاللغة علامات ولكنها علامات تدلّ إذا حضرت وتدلّ إذا غابت، وعندما تحضر قد تدل بما تقول، وقد تدل بما توحي به، دون أن تقوله، وربما أوهمت أنها تقول وتعرف أن المتلقي سيستدرجه إيهامها، ولكنها تحتفظ بما به تنكر أنها أوهمت[112].

تنتشر اللغة ويتسع مجال استعمالها بمدى ما تتصف به من سهولة وبساطة ومسايرتها للواقع المتطور، ثم ما قد تحمله من رسالة،... ومع التطور التكنولوجي تطورت اللغة كذلك،...حيث يقع التنافس في اختيار الكلمة المناسبة للتأثير... وهذا التطور يختلف من منطقة لأخرى... ووسائل الإعلام ليست وحدها المتغير المهم في ذلك... فاللغة لا يمكن أن تنتشر عبر وسائل الإعلام، إذا لم تكن هناك سياسة تدعمها كلغة وطنية مقابل اللغات الأجنبية الزاحفة بقوة، بما تمتلكه من مؤهلات في ظل العولمة التي لا تعترف بالحدود ولا بخصوصيات الشعوب[113].

وفي حديثه عن وظيفة التلفزيون في المجتمع، يحذر الباحث "رينيه شنكر" من مغبة انحراف التلفزيون عن دوره وإسهامه في فساد الذوق اللغوي حيث يقول: "على التلفزيون أن يأخذ بعين الاعتبار أنه... يخترع لغة محادثة غير طبيعية، تؤثر حتما في سلامة اللغة الكلاسيكية التي نتعلمها في المدارس، فاللغة في التلفزيون تتعرض يوميا لموجات من التشويه والتحريف... تخترق حرمة اللغة الخاصة التي يكونها كل إنسان لنفسه وتتكون فيه من خلال عائلته وبيئته ووطنه[114].

ولجاذبية التلفزيون مقارنة بوسائل الإعلام الأخرى، فإنه يمثل الأداة الرئيسية لتعليم اللغة، خاصة لأولئك الذين لا يحسنون القراءة والكتابة، عن طريق الصورة والصوت وبأسلوب فني جذّاب... على أن التلفزيون لا يسلم من إبراز لغة على حساب لغة، أو لهجة على حساب لهجة، كسياسة معتمدة أو لانعدام البدائل في الإنتاج... وقد جاء في توصيات مؤتمر التعريب الرابع الذي عقد في طنجة بالمغرب سنة 1981م أن التعليم باللغة الأصلية ليس استجابة للمشاعر القومية... ولكنه استجابة للحقائق التربوية التي أثبتت أن تعليم الإنسان بلغته أقوى مردودا وأبعد أثرا[115].

فلخلق إعلام لغوي حديث جديد لابد من استعمال متخصصين في وسائل الإعلام، لأن هذا الجيل لا يطلع على الكتب في الغالب، بل يسمع ويرى، وتعتبر هذه الوسائل مصدرا مغذّيا للغة له وعن طريقها فقط[116]، فمما لا ريب فيه أن عملية إبداع التعبيرات المناسبة إعلاميا، والتي تؤدي الغرض اجتماعيا ليست عملية هيّنة، ولا تقوم على فعل إعلامي عابر مثلما يعتقد البعض، بل هي نتاج جهد يقوم به مختصون ببراعة كبيرة[117].

فلكي تؤدي وسائل الإعلام دورها الكامل في خدمة اللغة، لابد من ضمان جو مناسب لسيادتها، مع إنشاء جوائز سنوية تقدم من أجل التنافس حول خدمة ونشر اللغة، ولابد من تحسين مستوى البرامج المختلفة الناطقة باللغة الأصلية، مع دبلجة أو ترجمة البرامج الأجنبية لتكون المتابعة العفوية للدبلجة الصوتية أو الترجمة الخطية سببا لتحسين المستوى اللغوي[118].

والحقيقة أنه لا يُطلب من رجل الإعلام أن يتحدث إلى الجمهور بلغة سيبويه،... وإنما أقصى ما يُطلب منه هو احترام قواعد اللغة والمعايير المنظمة لها، مما يضفي على أسلوبه مسحة من الأناقة والجمالية، وينأى به عن الإسفاف والرّداءة والقصور،...بحيث يوصل محتوى رسالته إلى المتلقي دون التجنّي على اللغة تطرفا أو قصورا... ودون أن يصطبغ بلهجة مطاطة ومتعثرة تعبث بلفظ الحروف وتراكيب الكلمات، وتخلط دون مبرر بين العربية والفرنسية والإنجليزية[119]. وإن كانت إجادة التحدث والكتابة باللغات الأجنبية تعتبر من العناصر الأساسية في بناء الشخصية الإعلامية، وإن سلّمنا بحالة ازدواجية اللغة التي تعيشها البلدان العربية بسبب الحقبة الاستعمارية الطويلة.

الخاتمة:

بعد هذا العرض السريع لما كتب بالموضوع، يمكن رصد خلاصة القول في جملة من النتائج والتوصيات، فأما **النتائج** فأبرزها:

- دراسات المنخصِّصِين في التأثير الإعلامي لا تزال غامضة وقاصرة، مع عدم وجود نظرية إعلامية متكاملة المعالم محددة المفاهيم والمتغيرات، وقائمة على فرضيات تم اختبارها بمناهج ومقاييس علمية دقيقة، وهناك كثير من التداخل بين مختلف نظريات التأثير الإعلامي، إضافة إلى ظهور بعض التناقض بين بعضها، وهو لا يعكس شيئا بقدر ما يعكس التعقيد الذي يميز عملية الاتصال بشكل عام، والتي تتعامل

مع البشر، بكل تفردات شخصياتهم واختلاف أفكارهم، وتنوع بيئاتهم، إضافة إلى أن هناك تداخلا وتنازعا بين علوم الاتصال والإعلام وبين علوم أخرى، كعلم النفس والاجتماع والعلوم السياسية.

- البرنامج التلفزيوني هو عملية اتصالية ديناميكية، كل عنصر فيها يؤثر على العناصر الأخرى ويتأثر بها، وحيثيات التأثير من خلاله ليست ثابتة أو مستقرة وإنما هي متغيرة ومتطورة باستمرار.
- تفاوت البرامج التلفزيونية في قدراتها المالية والتقنية والبشرية وفرصها المتاحة، وحدود الرسالة التي تريد توجيهها، والأجندة المملاة عليها.
- نجاح أي برنامج تلفزيوني يقاس بمدى إقبال الناس على متابعته ابتداء، من خلال نسب المشاهدة العالية، ثم برصد أبعاد تأثيراته على المدى الطويل من خلال الدراسات التحليلية لمضمونه، والميدانية لجمهوره.
- إذا كان الأثر هو تلك العلاقة التفاعلية بين البرنامج التلفزيوني وجمهوره، فإن هذه العلاقة من جانب أفراد الجمهور تتميز بتعرضهم له لأسباب مختلفة باختلاف سياقاتهم الفكرية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وفقا لما تمثله بالنسبة إليهم محتويات البرنامج، ومدى قدرتها على إشباع حاجاتهم المختلفة، وهي تتميز من جانب البرنامج بمحاولة تكييف رسائله مع خصائص الجمهور الذي يتوجّه إليه بهدف استمالته لكي يتعرض لمحتوياته، ومن ثم لكي يغير شيئًا ما على المستوى المعرفي أو الوجداني أو السلوكي فيه.
- إنجاح أي برنامج تلفزيوني مرهون بتوفر جملة من العوامل الأساسية المجموعة في قالب إبداعي متكامل أهمها: تصيّد الفكرة المتميزة، الاختيار المناسب للقائم بالاتصال الموهوب والمحترف صاحب الكاريزما، الإعداد الجيد للمادة الإعلامية من خلال التكوين المهني لفرق الإعداد، استعمال الأشكال الفنية الأفضل والأنسب لتقديم البرنامج، اختيار التوقيت المناسب لبث الرّسالة الإعلامية، مراعاة طبيعة جمهور المتلقين، كل هذا في احتضان فريق إعداد متمرس، وقناة تلفزيونية منافسة لها اسمها وتاريخها، مع ضرورة التخلص من عشوائِيّة التواصل بين المشاهد والبرنامج التلفزيوني، من خلال تفعيل آليات الإعلام عن مواعيد البرامج وكل ما يتعلق بها بشكل مسبق.
- للقالب التلفزيوني الذي تختاره فكرة معينة للظهور به على شاشات التلفزيون أثره الكبير في إنجاح البرنامج، والذي يظهر بشكل جلي هو امتلاك كل من القالب الدرامي، وقالب التوك شو وقالب المجلة التلفزيونية لمؤهلات جذب الانتباه والمتابعة مقارنة ببقية القوالب.
- تجاوز البرامج التلفزيونية مرحلة الولادة إلى مستوى النُّضج يتطلب منها الاضطلاع بدور تشاركي مساعد في خدمة قضايا الأمة، ورفع مستوى وعي المواطن، مع إبلاء العناية للمكون الثقافي، ثم ضرورة صبِّ كل ذلك في قوالب شيقة وساخنة.
- اللغة الإعلامية هي كلمات ومصطلحات وجمل تلائم طبيعة البرنامج المقدم، وهي في العموم تحتاج إلى البساطة والرقي والإيجابية، وكذا المرونة والرشاقة وخفة الدم، والحيادية والبعد عن الشخصنة.
- العمل التلفزيوني في إطار مؤسسي من الأهمية بمكان، من أجل تمتين قواعده، وتعزيز التكامل بين مختلف البرامج، وخلق مدرسة لها دستورها الضابط والمصحِّح لكل المسْلكِيَّات المهنية، والذي يجب العمل على ضوئه مهما تغيّرت أو تداولت الإدارات.

وأما **التوصيات**: فقد أفرزت دراسة الموضوع العديد من النقاط التي وجب التنويه بأهمية العناية بها بحثا وبيانا وتجسيدا على أرض الواقع:

- العمل على التأسيس لكل ما من شأنه تجاوز الانفصال الراهن بين العمل الإعلامي الميداني، والدراسات العلمية الأكاديمية الجادة.

- إيلاء العناية باستقصاء كواليس العمل التلفزيوني العربي، من أجل الكشف عن الدّرجة الحقيقية لحجم التقانة السمعية البصرية المتوفرة والممكنة لخدمة أولويات قضايا الإعلام العربي الإسلامي، ومدى التناسب بين موارد هذا الإعلام وإنتاجيته، وهوامش الحرية المتاحة للعمل الموضوعي النزيه، وعن حجم المشاكل الفنية وأنواع الرقابة التي تواجه الأداء الإعلامي المهني، وحقيقة ومصدر الأجندة المملاة عليه، ومدى وجود محاولات جادة للانفلات قدر الإمكان من هذه الرّقابات والأجندة.
- ضرورة العناية بإقامة معاهد تقوم على اكتشاف وتدريب وتخريج كوادر إعلامية جديدة، من أجل التقليل من سياسة الاعتبارات المزاجية والعلاقات الشخصية في توظيف الكوادر، وكذا سياسة التكالب على خطف الكوادر الناجحة في القنوات المختلفة.
- إيلاء كبير العناية بتحسين مستوى إنتاج الأعمال التمثيلية الهادفة، وتكثيف كمّها العددي والنوعي، مع تقليص الحجم الزمني للخروج بأعمال إعلامية تكون بمثابة الكبسولات المركزة المفعول، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال الاهتمام بكل مرحلة من مراحل الإنتاج تنظيرا وتطبيقا، بدءا بما يخص كتابة السيناريو إلى تكوين الممثلين المحترفين الملتزمين، إلى التنفيذ المهني عالي الدّقة.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة:

1. الاتصال الفعال: مفاهيمه وأساليبه ومهاراته، هالة منصور، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2000م.
2. الاتصال والعلاقات العامة، ربحي مصطفى عليان وعدنان محمود الطرابلسي، دار الصفاء، عمان، الأردن، ط1، 2005م.
3. الإخراج الصحفي الحديث "الأسس العلمية والعملية"، تيسير أحمد أبو عرجة ونسرين رياض عبد الله، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 2014م.
4. أشكال البرامج التليفزيونية "فنون الإذاعة والتليفزيون"، عن موقع: https://www.eskchat.com، تاريخ التصفح: 2019//11/13م/ 02:05.
5. الإعداد الجيد سر نجاح البرامج التلفزيونية، محمود الحكيم، عن موقع الراية: https://www.raya.com/home/print/، تاريخ التصفح: 2019/09/17م/ 9:45.
6. إعداد وتقديم البرامج الإذاعية والتلفزيونية، محمد الجفيري وآخرون، دار صناع الإبداع.
7. الإعلام الإذاعي والتلفزيوني، إبراهيم إمام، دار الفكر العربي، الكويت، ط2، 1995م.
8. الإعلام المعاصر وتقنياته الحديثة، مجد هاشم الهاشمي، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006م.
9. الإعلام ونظرياته في العصر الحديث، جيهان رشتي، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1971م.
10. الأطفال والإدمان التلفزيوني، ماري وين، ترجمة: عبد الفتاح الصبحي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1999م.
11. البث المباشر "حقائق وأرقام"، ناصر سليمان العمر، عن موقع: https://www.noor-book.com/ تاريخ التصفح: 2019/11/16م/15:00.
12. البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، محمد عبد الحميد، عالم الكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2000م.
13. البرامج الثقافية في قناة: france24 العربية "دراسة تحليلية وسيميولوجية"، نعيمة عطوي، إشراف: عبد الله بوجلال، مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في الإعلام الثقافي، قسم علوم الإعلام والاتصال، كلية: أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر،2011-2012م.
14. البرامج الثقافية في القناة الفضائية الجزائرية الثالثة "دراسة تحليلية"، سامية قرابلي، إشراف: فضيل دليو، مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في الإعلام الثقافي، قسم: علوم الإعلام والاتصال، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر،2011-1012م.

15. البرامج الدينية في إذاعة سوق أهراس الجهوية "دراسة ميدانية تحليلية"، عز الدين غراب، إشراف: أبوبكر عواطي، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الدعوة والإعلام والاتصال، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر.
16. التربية الإعلامية: كيف نتعامل مع الإعلام، فهد بن عبد الرحمن الشميمري، مكتبة الملك فهد، الرياض، السعودية، ط1، 2010م.
17. التربية الإعلامية والمسؤولية الاجتماعية للإعلام الإسلامي، عدد من الباحثين، مراجعة وتقديم: طه أحمد الزيدي، بحوث وأوراق عمل المؤتمر العلمي الثالث للإعلام الإسلامي في العراق، دار النفائس، عمان، الأردن، دار الفجر، بغداد، العراق، ط1، 2013م.
18. تكنولوجيا الإعلام والاتصال وتأثيراتها على قيم المجتمع الجزائري "الشباب الجامعي لتلمسان أنموذجا"، كمال عايد، إشراف: محمد سعيدي، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في علم اجتماع الاتصال، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2016-2017م.
19. تعريف الفاعلية لغة واصطلاحا، همس الأبحاث العلمية والرسائل، منتديات همس المصريين، http://www.hmsmsry.com/vb/t66743/، تاريخ التصفح: 2019/11/20م/ 11:00.
20. التلفزيون النوعي، رفعت عارف الضبع، دار الفجر، القاهرة، مصر، ط1، 2011م.
21. الثقافة الهدامة والإعلام الأسود، نزيه الشنوفي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2005م.
22. الجماليات في الإعلام التلفزيوني، عبد الله محمود عدوي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، عن موقع: books.google.dz.
23. الحركة، محمد سامي عطا الله، مجلة الإذاعات العربية، اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، 2000م.
24. دراسات إعلامية، المنصف الشنوفي وآخرون، ذات السلاسل، الكويت، 1995م.
25. دور التلفزيون في التنشئة الاجتماعية، مالك شعباني، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع7، 2012م.
26. دور التلفزيون في نشر العنف والجريمة، رحيمة عيساني، إشراف: عمر عسوس، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في علوم الاتصال، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، 1999-2000م.
27. دور وسائل الإعلام في تعميم اللغة العربية في الجزائر، حسين قادري، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ع5، ديسمبر 2003م.
28. السياسة وسلطة اللغة، عبد السلام المسدي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، 2007م.
29. السينما وفنون التلفزيون، محمود سامي عطا الله، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط1، 1997م.
30. الشخص المناسب: هل تود أن تكون الشخص المناسب في المكان المناسب، مأمون طربيه، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2007م.
31. العرب والإعلام الفضائي "سلسلة كتب المستقبل العربي 34"، عبد الرحمن عزي وآخرون، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.
32. علم نفس الدعوة، محمد زين الهادي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط1، 1995م.
33. فعالية التكوين الجامعي في التشغيل، كربوش هشام، إشراف: رواق حمودي، رسالة مكملة لنيل شهادة الماجستير في السلوك التنظيمي وتنمية الموارد البشرية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2006-2007م.
34. الفنون الإذاعية والتلفزيونية وفلسفة الإقناع، مصطفى حميد كاظم الطائي، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ط1، 2007م.
35. قاموس اللغة "كتاب المصباح المنير"، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، نوبليس.
36. قضايا ودراسات إعلامية، تيسير أحمد أبو عرجة، دار جرير، عمان، الأردن، ط1، 2006م.
37. كيف تؤثر وسائل الإعلام "دراسة في النظريات والأساليب"، محمد بن عبد الرحمن الحضيف، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط2، 1998م.
38. كيف تعد وتقدم برنامجا تلفزيونيا، محمد أبو فروة الرحبي، مؤسسة الفرسان، عمان، الأردن، ط1، 2014م.

39. كيفية كتابة برنامج، نورا شيشاني،عن موقع موضوع: https://mawdoo3.com، تاريخ التصفح: 2019/09/17م/ 9:55.
40. اللغة الإعلامية من منظور قيمي، لحسن خشة، مجلة الدراسات الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، مطبعة الآفاق، غرداية، الجزائر.
41. مبادئ الاتصال "الأسس والمفاهيم"، محمد صاحب سلطان، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 2014م.
42. مخاطر وانعكاسات القنوات الفضائية وتأثيرها في الشباب، عبد الكريم لعيبي الربيعي، مجلة الأكاديمي، ع47.
43. المدخل إلى فنون العمل التلفزيوني، محمد معوض، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، ط1، 2013م.
44. مشاهدة التلفزيون وأثرها على القراءة التثقيفية لدى طلبة جامعة سكيكدة "دراسة ميدانية"، زكريا جقريف، إشراف: أبو بكر عواطي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الإعلام الثقافي، قسم الدعوة والإعلام والاتصال، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، 2009-2010م.
45. مصطلحات في الإعلام والاتصال، خضير شعبان، دار اللسان العربي، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2001م.
46. المعجم الإعلامي، محمد جمال الفار، دار أسامة ودار المشرق الثقافي، عمان، الأردن، ط1، 2006م.
47. المعجم الإعلامي، محمد منير حجاب، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2004م.
48. معجم الطلاب، محمد إسماعيل حسين وحيمور حسن يوسف، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان،1991م.
49. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1991م.
50. مفهوم الفاعلية، سعيد بن محمد آل ثابت، عن موقع الألوكة الاجتماعية: https://www.alukah.net/social/، تاريخ التصفح: 2020/02/09م/ 00:30.
51. المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط30، 1988م.
52. المنجد الوسيط في العربية المعاصرة، إشراف: صبحي حموي، دار المشرق، بيروت، لبنان.
53. منهجية البحث في عملية الاتصال الدعوي، أحمد عيساوي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، ط1، 2012م.
54. مهارات الإعداد والتقديم التلفزيوني "مقدمة عامة"، أسعد كاظم الربيعي، عن موقع النور: http://alnoor.se/ ، تاريخ التصفح: 2019/11/07م/ 01:15.
55. نجومية المذيع واستثنائية الفكرة لا يكفيان: البرنامج التلفزيوني نجاح مرهون بعناصر الإبداع، دارين شبير، دبي، عن موقع البيان: https://www.albayan.ae/ تاريخ التصفح: 2019/09/17م/ 8:50.
56. نظريات التأثير الإعلامي، شيماء محمد، 2016/10/22م، عن موقع قصة الفكر: https://mindstory.org/، تاريخ التصفح: 2019/11/10م/15:19.
57. نظريات الاتصال، مي العبد الله، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2006م.
58. نظريات الإعلام، بسام عبد الرحمن المشاقبة، دار أسامة، عمان، الأردن، 2014م.
59. نظريات الإعلام والاتصال، نسرين محمد عبده حسونة، 2015م. عن شبكة الألوكة: file:///C:/Users/USER/Downloads/ealam%20(1).pdf.
60. نظريات في اللغة، أنيس فريحة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1981م.
61. **وسائل الإعلام الجديد: أي تأثير؟ إلى أي مدى؟** مقاربة تحليلية متعددة الأبعاد، وداد سميشي، عن موقع: https://revues.univ-ouargla.dz/ ، تاريخ التصفح: 2019/11/19م/ 14:30.
62. وسائل الإعلام الجديدة، إريك جامت، آلان ليوري، ترجمة: محمد ياسر منصور، مجلة الثقافة العالمية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع105، 2001م.
63. وسائل الإعلام: الرائي (التلفزيون)، فهمي قطب الدين النجار، عن موقع الألوكة: https://www.alukah.net/culture/ ، تاريخ التصفح: 2019/10/29م/ 11:50.
64. وسائل الإعلام واللغة العربية "الواقع والمامول"، سلطان بلغيث، عن موقع ديوان العرب: http://www.diwanalarab.com/ ، تاريخ التصفح: 2019/11/08م/ 15:00.

الهوامش:

[1]- المنجد الوسيط في العربية المعاصرة، إشراف: صبحي حموي، دار المشرق، بيروت، لبنان، ص158-159.

[2]- المعجم الإعلامي، محمد منير حجاب، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2004م، ص26.

[3]- تعريف الفاعلية لغة واصطلاحا، همس الأبحاث العلمية والرسائل، منتديات همس المصريين، http://www.hmsmsry.com/vb/، تاريخ التصفح: 2019/11/20م/ 11:00.

[4]- مفهوم الفاعلية، سعيد بن محمد آل ثابت، عن موقع الألوكة الاجتماعية: https://www.alukah.net/social/، تاريخ التصفح: 2020/02/09م/ 00:30.

[5]- المعجم الإعلامي، محمد منير حجاب، مرجع سابق، ص393 و446.

[6]- انظر: فعالية التكوين الجامعي في التشغيل، كربوش هشام، إشراف: رواق حمودي، رسالة مكملة لنيل شهادة الماجستير في السلوك التنظيمي وتنمية الموارد البشرية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2007/2006م، ص69 و72.

[7]- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1991م/1411ه، المجلد1، ص54.

[8]- قاموس اللغة "المصباح المنير"، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، نوبليس، ج1، ص5.

[9]- تكنولوجيا الإعلام والاتصال وتأثيراتها على قيم المجتمع الجزائري "الشباب الجامعي لتلمسان أنموذجا"، كمال عايد، إشراف: محمد سعيدي، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في علم اجتماع الاتصال، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2016-2017م، ص34.

[10]- المعجم الإعلامي، محمد منير حجاب، مرجع سابق، ص114.

[11]- التربية الإعلامية والمسؤولية الاجتماعية للإعلام الإسلامي، عدد من الباحثين، مراجعة وتقديم: طه أحمد الزيدي، بحوث وأوراق عمل المؤتمر العلمي الثالث للإعلام الإسلامي في العراق، دار النفائس، عمان، الأردن، دار الفجر، بغداد، العراق، ط1، 2013م، ص103.

[12]- البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، محمد عبد الحميد، عالم الكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2000م، ص58-59.

[13]- المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط30، 1988م، ص3.

[14]- الاتصال والعلاقات العامة، ربحي مصطفى عليان وعدنان محمود الطرابلسي، دار الصفاء، عمان، الأردن، ط1، 2005م، ص61.

[15]- مبادئ الاتصال"الأسس والمفاهيم"، محمد صاحب سلطان، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 2014م، ص182.

[16]- انظر: المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط29، 1986م، ص36.

[17]- دراسات إعلامية، المنصف الشنوفي وآخرون، ذات السلاسل، الكويت، 1995م، ص210.

[18]- دور التلفزيون في التنشئة الاجتماعية، مالك شعباني، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، مقال من مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع7، 2012م، ص214.

[19]- المعجم الإعلامي، محمد منير حجاب، مرجع سابق، ص171.

[20]- معجم الطلاب، محمد إسماعيل حسين وحيمور حسن يوسف، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1991م، ص84.

[21]- التربية الإعلامية: كيف نتعامل مع الإعلام، فهد بن عبد الرحمن الشميمري، مكتبة الملك فهد، الرياض، السعودية، ط1، 2010م، عن موقع: http://www.saudimediaeducation.org/index.php، تاريخ التصفح: 2019/10/29م/ 12:10، ص221.

[22]- المعجم الإعلامي، محمد منير حجاب، مرجع سابق، ص103.

[23]- للمزيد انظر: الإعلام المعاصر وتقنياته الحديثة، مجد هاشم الهاشمي، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006م، ص19، و نظريات الاتصال، مي العبد الله، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2006م، ص266، و كيف تؤثر وسائل الإعلام " دراسة في النظريات والأساليب"، محمد بن عبد الرحمن الحضيف، مكتبة العبيكان، الرياض،

السعودية، ط2، 1998م، ص17، ونظريات التأثير الإعلامي، شيماء محمد، 2016/10/22م، عن موقع قصة الفكر: https://mindstory.org/، تاريخ التصفح: 10-11-2019م/ 15:19.

[24]- انظر: كيف تؤثر وسائل الإعلام، محمد الحضيف، مرجع سابق، ص20-21.

[25]- انظر: الإعلام المعاصر وتقنياته الحديثة، مجد هاشم الهاشمي، مرجع سابق، ص20، بتصرف.

[26]- انظر: نظريات الاتصال، مي العبد الله، مرجع سابق، ص266-271.

[27]- انظر: كيف تؤثر وسائل الإعلام، محمد الحضيف، مرجع سابق، ص18، والإعلام المعاصر وتقنياته الحديثة، مجد هاشم الهاشمي، مرجع سابق، ص21، ونظريات التأثير الإعلامي، شيماء محمد، مرجع سابق.

[28]- نظريات الاتصال، مي العبد الله، مرجع سابق، ص289-291 بتصرف.

[29]- المرجع السابق، ص304-305 بتصرف.

[30]- انظر: كيف تؤثر وسائل الإعلام، محمد الحضيف، مرجع سابق، ص19، نظريات الاتصال، مي العبد الله، مرجع سابق، ص305، ونظريات التأثير الإعلامي، شيماء محمد، مرجع سابق.

[31]- انظر: نظريات الإعلام والاتصال، نسرين محمد عبده حسونة، 2015م، ص4-5، عن شبكة الألوكة: file:///C:/Users/USER/Downloads/ealam%20(1).pdf، وانظر: كيف تؤثر وسائل الإعلام ، محمد الحضيف، مرجع سابق، ص23-24، ونظريات التأثير الإعلامي، شيماء محمد، مرجع سابق.

[32]- انظر: نظريات الإعلام والاتصال، نسرين محمد عبده حسونة، مرجع سابق، وانظر: كيف تؤثر وسائل الإعلام، محمد بن عبد الرحمن الحضيف، مرجع سابق، ص24-26.

[33]- نظريات الإعلام، بسام عبد الرحمن المشاقبة، دار أسامة، عمان، الأردن، 2014م، ص89.

[34]- انظر: الإعلام المعاصر وتقنياته الحديثة، مجد هاشم الهاشمي، مرجع سابق، ص19-23، وانظر: كيف تؤثر وسائل الإعلام، محمد بن عبد الرحمن الحضيف، مرجع سابق، ص26-27، وونظريات التأثير الإعلامي، شيماء محمد.

[35]- انظر: كيف تؤثر وسائل الإعلام مرجع سابق، ص18، والإعلام المعاصر وتقنياته الحديثة، مجد هاشم الهاشمي، مرجع سابق، ص21، ونظريات التأثير الإعلامي، شيماء محمد، مرجع سابق.

[36]- للمزيد انظر: كيف تؤثر وسائل الإعلام، محمد الحضيف، مرجع سابق، ص11-12، ونظريات الاتصال، مي العبد الله، مرجع سابق، ص267، والإعلام ونظرياته في العصر الحديث، جيهان رشتي، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1971م، ص158، والبحث العلمي في الدراسات الإعلامية، محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص60.

[37]- انظر: نظريات الاتصال، مي العبد الله، مرجع سابق، ص264.

[38]- الإعلام المعاصر وتقنياته الحديثة، مجد هاشم الهاشمي، مرجع سابق، ص68.

[39]- كيف تؤثر وسائل الإعلام، محمد بن عبد الرحمن الحضيف، مرجع سابق، ص10-11.

[40]- الإعلام المعاصر وتقنياته الحديثة، مجد هاشم الهاشمي، مرجع سابق، ص43.

[41]- دور التلفزيون في نشر العنف والجريمة، رحيمة عيساني، إشراف: عمر عسوس، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في علوم الاتصال، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، 1999-2000م، ص65-66.

[42]- **وسائل الإعلام الجديد: أي تأثير؟ إلى أي مدى؟** مقاربة تحليلية متعددة الأبعاد، وداد سميشي، عن موقع: https://revues.univ-ouargla.dz/index.php/numero-21ssh، تاريخ التصفح: 2019/11/19م/ 14:30.

[43]- علم نفس الدعوة، محمد زين الهادي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط1، 1995م، ص126-127، بتصرف بسيط.

[44]- مشاهدة التلفزيون وأثرها على القراءة التثقيفية لدى طلبة جامعة سكيكدة "دراسة ميدانية"، زكريا جقريف، إشراف: أبو بكر عواطي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الإعلام الثقافي، قسم الدعوة والإعلام والاتصال، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، 2009-2010م، ص2.

[45]- المعجم الإعلامي، محمد جمال الفار، دار أسامة ودار المشرق الثقافي، عمان، الأردن، ط1، 2006م، ص117.

[46]- الإعلام المعاصر وتقنياته الحديثة، مجد هاشم الهاشمي، مرجع سابق، ص 114.

[47]- دور التلفزيون في نشر العنف والجريمة، رحيمة عيساني، مرجع سابق، ص67.

[48]- دراسات إعلامية، المنصف الشنوفي وآخرون، مرجع سابق، ص209.
[49]- الأطفال والإدمان التلفزيوني، ماري وين، ترجمة: عبد الفتاح الصبحي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1999م، ص38.
[50]- البرامج الثقافية في قناة: france24 العربية "دراسة تحليلية وسيميولوجية"، نعيمة عطوي، إشراف: عبد الله بوجلال، مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في الإعلام الثقافي، قسم علوم الإعلام والاتصال، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، 2011-2012م، ص37.
[51]- الإعلام الإذاعي والتلفزيوني، إبراهيم إمام، دار الفكر العربي، الكويت، ط2، 1995م، ص252-253.
[52]- مخاطر وانعكاسات القنوات الفضائية وتأثيرها في الشباب، عبد الكريم لعيبي الربيعي، مجلة الأكاديمي، ع47، ص229.
[53]- الثقافة الهدامة والإعلام الأسود، نزيه الشنوفي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2005م، ص146.
[54]- دور التلفزيون في نشر العنف والجريمة، رحيمة عيساني، مرجع سابق، ص66.
[55]- انظر: البث المباشر "حقائق وأرقام"، ناصر سليمان العمر، ص34و40، عن موقع: https://www.noor-book.com/ ، تاريخ التصفح: 2019/11/16م/15:00، وانظر: علم نفس الدعوة، محمد زين الهادي، مرجع سابق، ص128.
[56]- دور التلفزيون في نشر العنف والجريمة، رحيمة عيساني، مرجع سابق، ص74،72،71.
[57]- الاتصال الفعال: مفاهيمه وأساليبه ومهاراته، هالة منصور، مرجع سابق، ص5.
[58]- ولمزيد من التفاصيل حول المحتوى التلفزيوني، وتعريف مختلف الأنواع والقوالب انظر: مهارات الإعداد والتّقديم التلفزيوني "مقدمة عامة"، أسعد كاظم الربيعي، 2015/03/28م، عن موقع النور: http://alnoor.se/article.asp?id=270842، تاريخ التصفح: 2019/11/07م/ 01:15، التربية الإعلامية، فهد الشميمري، مرجع سابق، ص222-225، وإعداد وتقديم البرامج الإذاعية والتلفزيونية، محمد الجفيري وآخرون، دار صناع الإبداع، ص21-24. وأشكال البرامج التليفزيونية "فنون الإذاعة والتليفزيون"، عن موقع: https://www.eskchat.com، تاريخ التصفح: 13//11/2019م/ 02:05.
[59]- البرامج الثقافية في القناة الفضائية الجزائرية الثالثة "دراسة تحليلية"، سامية قرابلي، إشراف: فضيل دليو، مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في الإعلام الثقافي، قسم: علوم الإعلام والاتصال، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر،2011-1012م، ص66.
[60]- العرب والإعلام الفضائي " سلسلة كتب المستقبل العربي 34"، عبد الرحمن عزي وآخرون، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص156 بتصرف.
[61]- للمزيد حول أهمية الدراما في تفعيل التأثير التلفزيوني انظر: الجماليات في الإعلام التلفزيوني، عبد الله محمود عدوي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، عن موقع: books.google.dz.
[62]- انظر: قضايا ودراسات إعلامية، تيسير أحمد أبو عرجة، دار جرير، عمان، الأردن، ط1، 2006م، ص19.
[63]- التربية الإعلامية، فهد الشميمري، مرجع سابق، ص78.
[64]- وسائل الإعلام الجديدة، إريك جامت، آلان ليوري، ترجمة: محمد ياسر منصور، مجلة الثقافة العالمية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،2001م، ع105، ص100.
[65]- الإخراج الصحفي الحديث "الأسس العلمية والعملية"، تيسير أحمد أبو عرجة ونسرين رياض عبد الله، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 2014م، ص157، بتصرف بسيط.
[66]- المدخل إلى فنون العمل التلفزيوني، محمد معوض، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، ط1، 2013م، ص11.
[67]- الحركة، محمد سامي عطا الله، مجلة الإذاعات العربية، اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، 2000م، ع3، ص71.
[68]- الجماليات في الإعلام التلفزيوني، عبد الله محمود عدوي، مرجع سابق.
[69]- العرب والإعلام الفضائي، عبد الرحمن عزي وآخرون، مرجع سابق، ص149 بتصرف بسيط.
[70]- الإخراج الصحفي الحديث، تيسير أحمد أبو عرجة ونسرين رياض عبد الله، ، مرجع سابق، ص172-173.
[71]- للمزيد ينظر: الجماليات في الإعلام التلفزيوني، عبد الله محمود عدوي، مرجع سابق.
[72]- السينما وفنون التلفزيون، محمود سامي عطا الله، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط1، 1997م، ص95-96.

[73]- انظر: كيف نعد وتقدم برنامجا تلفزيونيا، محمد أبو فروة الرحبي، مؤسسة الفرسان، عمان، الأردن، ط1، 2014م، ص148.

[74]- انظر: التلفزيون النوعي، رفعت عارف الضبع، دار الفجر، القاهرة، مصر، ط1، 2011م، ص310.

[75]- انظر: مبادئ الاتصال "الأسس والمفاهيم"، محمد صاحب سلطان، مرجع سابق، ص 182-184، والاتصال الفعال: مفاهيمه وأساليبه، ومهاراته، هالة منصور، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2000م، ص58-59.

[76]- انظر: كيف نعد وتقدم برنامجا تلفزيونيا، محمد أبو فروة الرحبي، مرجع سابق، ص88، والمدخل إلى فنون العمل التلفزيوني، محمد معوض، مرجع سابق، ص132.

[77]- كيف نعد وتقدم برنامجا تلفزيونيا، محمد أبو فروة الرحبي، مرجع سابق، ص88-90.

[78]- **وسائل الإعلام الجديد: أي تأثير؟ إلى أي مدى؟** وداد سميشي، مرجع سابق.

[79]- الإعداد الجيد سر نجاح البرامج التلفزيونية، محمود الحكيم، عن موقع الراية: https://www.raya.com/home/print/، تاريخ التصفح: 2019/09/17م/ 9:45.

[80]- منهجية البحث في عملية الاتصال الدعوي، أحمد عيساوي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، ط1، 2012م، ص114.

[81]- العرب والإعلام الفضائي، عبد الرحمن عزي وآخرون، مرجع سابق، ص146-148.

[82]- قضايا ودراسات إعلامية، تيسير أحمد أبو عرجة، مرجع سابق، ص20-21.

[83]- الجماليات في الإعلام التلفزيوني، عبد الله محمود عدوي، مرجع سابق.

[84]- نجومية المذيع واستثنائية الفكرة لا يكفيان: البرنامج التلفزيوني نجاح مرهون بعناصر الإبداع، دارين شبير، دبي، عن موقع البيان: https://www.albayan.ae/five-senses/mirrors/ تاريخ التصفح: 2019/09/17م/ 8:50.

[85]- الشخص المناسب: هل تود أن تكون الشخص المناسب في المكان المناسب، مأمون طربيه، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2007م، ص312-314 بتصرف.

[86]- العرب والإعلام الفضائي، عبد الرحمن عزي وآخرون، مرجع سابق، ص149 بتصرف بسيط.

[87]- الإعلام المعاصر وتقنياته الحديثة، مجد هاشم الهاشمي، مرجع سابق، ص68، 69.

[88]- انظر: نجومية المذيع واستثنائية الفكرة لا يكفيان، دارين شبير، مرجع سابق.

[89]- انظر: الاتصال الفعال، هالة منصور، مرجع سابق، ص58، وانظر أيضا: كيف تؤثر وسائل الإعلام " دراسة في النظريات والأساليب"، محمد بن عبد الرحمن الحضيف، مرجع سابق، ص49.

[90]- انظر: التربية الإعلامية، فهد الشميمري، مرجع سابق، ص195-197.

[91]- للمزيد انظر: البرامج الدينية في إذاعة سوق أهراس الجهوية "دراسة ميدانية تحليلية"، عز الدين غراب، إشراف: أبوبكر عواطي، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الدعوة والإعلام والاتصال، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، ص63-65. والإعداد الجيد سر نجاح البرامج التلفزيونية، محمود الحكيم، مرجع سابق.

[92]- الاتصال الفعال، هالة منصور، مرجع سابق، ص58-59.

[93]- التربية الإعلامية، فهد الشميمري، مرجع سابق، ص192.

[94]- منهجية البحث في عملية الاتصال الدعوي، أحمد عيساوي، مرجع سابق، ص113-114 بتصرف بسيط.

[95]- الشخص المناسب، مأمون طربيه، مرجع سابق، ص286-287 بتصرف.

[96]- انظر: التربية الإعلامية، فهد الشميمري، مرجع سابق، ص197، وانظر أيضا: الشخص المناسب، مأمون طربيه، مرجع سابق، ص 312-314.

[97]- منهجية البحث في عملية الاتصال الدعوي، أحمد عيساوي، مرجع سابق، ص113-114 بتصرف بسيط.

[98]- الشخص المناسب، مأمون طربيه، مرجع سابق، ص284.

[99]- العرب والإعلام الفضائي، عبد الرحمن عزي وآخرون، مرجع سابق، ص150-151.

[100]- انظر: نجومية المذيع واستثنائية الفكرة لا يكفيان، دارين شبير، مرجع سابق.

[101]- العرب والإعلام الفضائي، عبد الرحمن عزي وآخرون، مرجع سابق، ص150.

[102]- قضايا ودراسات إعلامية، تيسير أحمد أبو عرجة، مرجع سابق، ص18.

[103]- مصطلحات في الإعلام والاتصال، خضير شعبان، دار اللسان العربي، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2001م، ص77.
[104]- المعجم الإعلامي، محمد جمال الفار، مرجع سابق، ص130-132.
[105]- الشخص المناسب، مأمون طربيه، مرجع سابق، ص289.
[106]- العرب والإعلام الفضائي، عبد الرحمن عزي وآخرون، مرجع سابق، ص146-148.
[107]- التربية الإعلامية، فهد الشميمري، مرجع سابق، ص60.
[108]- وسائل الإعلام: الرائي (التلفزيون)، فهمي قطب الدين النجار، عن موقع الألوكة: https://www.alukah.net/culture/، تاريخ التصفح: 2019/10/29م/ 11:50.
[109]- المدخل إلى فنون العمل التلفزيوني، محمد معوض، مرجع سابق، ص132-133.
[110]- انظر: نظريات في اللغة، أنيس فريحة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1981م، ص15، ومبادئ الاتصال، محمد صاحب سلطان، مرجع سابق، ص205.
[111]- اللغة الإعلامية من منظور قيمي، لحسن خشة، مجلة الدراسات الإسلامية، قسم العلوم الإسلامية بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، ع13، سبتمبر 2013م، مطبعة الآفاق، غرداية، الجزائر، ص138.
[112]- السياسة وسلطة اللغة، عبد السلام المسدي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، 2007م، ص165.
[113]- دور وسائل الإعلام في تعميم اللغة العربية في الجزائر، حسين قادري، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ع5، ديسمبر 2003م، ص96-97 بتصرف.
[114]- وسائل الإعلام واللغة العربية "الواقع والمامول"، سلطان بلغيث، 2006/05/28م، عن موقع ديوان العرب: http://www.diwanalarab.com/ ، تاريخ التصفح: 2019/11/08م/ 07:57.
[115]- دور وسائل الإعلام في تعميم اللغة العربية في الجزائر، حسين قادري مرجع سابق، ع5، ص96،107-97.
[116]- مبادئ الاتصال "الأسس والمفاهيم"، محمد صاحب سلطان، ص 210 بتصرف بسيط.
[117]- اللغة الإعلامية من منظور قيمي، لحسن خشة، مرجع سابق، ص138.
[118]- انظر: دور وسائل الإعلام في تعميم اللغة العربية في الجزائر، حسين قادري، مرجع سابق، ع5، ص110-112.
[119]- وسائل الإعلام واللغة العربية "الواقع والمامول"، سلطان بلغيث، مرجع سابق.

مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 891 – 908
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

المعالجة الإعلاميّة لقضايا التّنمية الاقتصاديّة بالجزائر خلال جائحة كوفيد 19 ـ دراسة تحليليّة ـ

Media treatment of economic development issues in Algeria during the Covid 19 pandemic - Analytical study -

سمية بن عمر [1] **د/ كريمة عرامة**
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار عنابة
مخبر دراسات وأبحاث في الاتّصال
so.uma23000@hotmail.fr K.arama@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2021/01/04 تاريخ القبول: 2021/12/07

الملخص:
تهدف هذه الدّراسة إلى التّعرف على كيفيّة معالجة الإعلام التّلفزيوني الجزائري لقضايا التّنمية الاقتصاديّة خلال جائحة كوفيد19، من خلال تحليل مضمون البرنامج التّلفزيوني الأسبوعي "محاور واتّجاهات" بالقناة الجزائريّة الثالثة، وأجريت على عيّنة بثّت خلال الجائحة (فترة الحجر الصحي)، من12 أفريل إلى 15 أوت 2020، بالاعتماد على المنهج المسحي واستغلال أدوات جمع البيانات المتمثلة في: تحليل المضمون كأداة رئيسيّة، وتوصّلت الدّراسة إلى العديد من النتائج أهمّها: البرنامج التّلفزيوني بالقناة الجزائرية الثالثة يؤدّي دورا هامّا في معالجة القضايا التنمويّة، وفي المقابل عليه تطوير آليّات المعالجة، والعمل على ترقية مستوى الرسالة التنمويّة في الظروف العادية بشكل عامّ، وفي أوقات الأزمات بشكل خاصّ، وخُتِمت الدّراسة بجملة من التّوصيات أبرزها: توظيف آليات معالجة ناجعة لتبسيط المحتوى والوصول إلى نطاق واسع من مختلف الجماهير ثم الحرص على إشباع حاجة هذه الجماهير إلى معالجة إعلامية تحليلية وتفسيرية ونقدية لمختلف القضايا التّنمويّة.
الكلمات المفتاحيّة: الإعلام؛ التنمية؛ الاقتصاد؛ كوفيد 19؛ الجزائر.

Abstract:
This analytical study aimed to identify how the Algerian television media addressed economic development issues during the Covid-19 pandemic; By analyzing the content of television program "Axes and Trends" on the Algerian Channel Three, And it was conducted on a sample that were broadcast during the pandemic (the quarantine period); From April 12th to August 15th, 2020, depending on the survey method and exploiting data collection tools represented in: content analysis as a main tool, The study reached many results, the most important of which are: The television program on the Algerian Channel Three plays an important role in addressing development issues, In return, he must develop treatment mechanisms, The study concluded with a set of recommendations, most notably: working to satisfy the viewers' desires in an analytical, explanatory and critical media treatment of various development issues.
Key words: Media; Development; Economy; Covid 19; Algeria.

[1] – المؤلف المراسل.

مقدّمة:

يشهد العالم في الآونة الأخيرة مجموعة من التّغيّرات مسّت جميع المجالات، بسبب جائحة ألمّت بجميع الدّول وكان لها بالغ الأثر على العديد من المجالات، هذا الوباء العالميّ اختلف عن باقي الأوبئة على مرّ التاريخ نظرا لخطورته وسرعة تفشّيه وعدم انحصاره في منطقة معيّنة، إنّه وباء "كوفيد ـ 19" أو ما يطلق عليه بـ "فيروس كورونا"، حيث وصفته "منظّمة الصّحّة العالميّة" بأنّه جائحة عالميّة على الدّول مواجهته بكلّ صرامة باتّخاذ تدابير للحدّ من انتشاره، وأخذ الحيطة والحذر، وهو ما جعل الدّول تنفق أموالا طائلة لمعالجة المرضى والحدّ من تفشّيه برفع العديد من التّحديّات (طلحة، 2020، صفحة .5).

فبسبب امتداد أزمة "كوفيد 19" المستجدّ وضرورة متابعة الإجراءات المشدّدة للحدّ من انتشار الوباء أصبحت التحديّات الاقتصاديّة والإعلاميّة لا تقلّ أهميّة عن التّحديّات الصحيّة، لهذا اجتهدت وسائل الإعلام في كلّ أنحاء العالم في نقل الأخبار عن هذا الفيروس المستجدّ، ومناقشة قضاياه ومستجدّاته، وعلاقاته بقضايا أخرى كقضايا التّنمية الاقتصاديّة.

والجزائر كغيرها من دول العالم اتّخذت العديد من الإجراءات للحدّ من انتشار الفيروس المستجدّ بين المواطنين، وحاولت إبراز آثاره على القضايا الاقتصادية والعمليّة التّنموية، حيث عمل التلفزيون الجزائري على بثّ خطاب إعلامي يحمل في طيّاته العديد من المعاني والدّلالات، وخصّص برنامجا بالقناة الإخباريّة (القناة الثالثة) يحمل اسم "محاور واتجاهات " لمناقشة مختلف القضايا التنمويّة الاقتصاديّة.

1- الإشكاليّة:

انطلاقا من دور الإعلام في تسليط الضوء على مختلف القضايا لتحقيق التنمية المستدامة عملت القنوات الجزائرية العموميّة على معالجة القضايا التّنموية عبر برامجها التلفزيونية بأساليب وتقنيّات متنوّعة، وهو ما يدعو إلى رصد واقع هذه المعالجة وكيفيّتها، وأساليبها، وأثرها وتأثيرها خلال جائحة كوفيد 19.

وعليه يطرح التساؤل التالي: كيف عالج برنامج "محاور واتّجاهات" بالقناة الجزائرية الثالثة قضايا التنمية الاقتصادية خلال جائحة كوفيد 19؟

والذي تفرع عنه تساؤلات أهمّها:

ـ ما هي أهم القضايا الاقتصاديّة التّنمويّة التي عالجها البرنامج خلال جائحة كوفيد 19؟

ـ ما هي القيم التي تضمنتها معالجة البرنامج لقضايا التنمية الاقتصادية؟

ـ ما هي القوالب الإعلامية المعتمدة في معالجة القضايا التنموية الاقتصاديّة؟

ـ ما هي أساليب معالجة القضايا التنموية الاقتصاديّة خلال جائحة كوفيد 19؟

2- أهميّة الموضوع:

تتأكّد أهمية موضوع الدّراسة من خلال النّقاط التّالية:

ـ ارتباط الموضوع بجائحة كوفيد 19 - كظاهرة جديدة - وتداعياتها على كلّ المجالات.

ـ الوزن العلمي لموضوع "العلاقة الارتباطية" بين الإعلام والتّنمية الاقتصاديّة.

ـ اختيار التّلفزيون كوسيلة إعلاميّة مؤثرة بفضل تركيبتها الثلاثية: صوت، صورة، نص.

3- أهداف الدراسة:

ـ تسليط الضوء على واقع المعالجة الإعلامية لقضايا التّنمية الاقتصادية بالجزائر خلال جائحة كوفيد 19.

ـ لفت الانتباه إلى عدة أدوات وتقنيات ساهمت في تطوير وترقية الإعلام التّنموي.

ـ تقديم مجموعة من التّوصيات العمليّة التي تساعد على تعزيز دور التقنيّات الاتّصاليّة في المعالجة الإعلامية للقضايا التنمويّة.

4- مفاهيم الدراسة:

1- المعالجة الإعلاميّة:

المعالجة لغة: من عالج يعالج معالجة وعلاجا، وتحمل معاني الإصلاح، المزاولة، ودواء المشكلة (الزّاوي، 1980، صفحة 298.).

الإعلام لغة: من المصدر أعلم، يعلم، إعلاما بالأمر أي: أخبره به، كما يعني نشر معلومات رسميّة (جعفر و حداد، 2011، صفحة 148. - 149).

المعالجة اصطلاحا هي: اتّخاذ مادّة الدّراسة أو البحث وعرضها بطريقة منهجيّة، كمعالجة مشكل وتقديمه وعرضه (Hachette, 1993, p. 1656)

والمعالجة الإعلاميّة هي عمليّة كشف اتجاهات وطرائق واستراتيجيات التّغطية الإعلامية من قبل الجهات المعنية باتجاه قضية معيّنة، وهي عمليّة التّفكير الخاصة بالتعامل مع البيانات تحليلا أو تركيبا لاستطلاع ما تتضمنه هذه البيانات من مؤشرات من خلال تطبيق العمليّات الحسابية والطّرائق الإحصائية (حجاب، 2004، صفحة 505.).

والمقصود بالمعالجة الإعلاميّة في هذه الدراسة: تشخيص سمات العمل الإعلامي الذي يزاوله التّلفزيون الجزائري في تغطيته لمختلف قضايا التّنمية الاقتصاديّة خلال جائحة كوفيد 19، والتي يتمّ من خلالها عرض وقائع أو أحداث، وكيفيّة معالجتها، وإيجاد الحلول لها.

2- القضايا:

القضية لغة هي الحكم، وهي مسألة يتنازع فيها، وتتعرّض على القاضي أو القضاة للبحث والفصل، فالقضيّة قول مكوّن من موضوع يحتمل الصّدق والكذب لذاته، ويصحّ أن يكون موضوعا للبرهنة (المعجم الوسيط، 2005، صفحة 743.).

القضايا اصطلاحا هي: عبارة عن حدث معيّن في مجتمع ما، نتيجة تغيّرات طارئة عليه بفعل عوامل خارجية أو عوامل داخليّة، وكثير من الأحيان لا يوجد حلّ منطقي لها.(حجاب، الموسوعة الإعلاميّة، 2003، صفحة 1939.).

ويعرّفها "ليسلي" أنها: مسألة فيها خلاف، وتبدأ القضية في التّكون عندما تظهر علامات على تطوّر خلافات حول مسألة ما (حجاب، الموسوعة الإعلاميّة، 2003، صفحة 1940.).

3- التّنمية:

التنمية في اللغة من النموّ، أي ارتفاع الشيء من موضعه إلى موضع آخر، وهناك اختلاف في مفهوم " النموّ "ومفهوم " التّنمية "، فالأوّل يشير إلى التقدّم أو التزايد التلقائي مثل: نموّ الطّفل، نموّ القمح، نموّ المال...، والثّاني وهو "التنمية" فتعني عمليات غير تلقائيّة، فهي مقصودة تقوم بها المجتمعات لإحداث نموّ مخطّط له بسرعة في فترة زمنيّة محدّدة (عسل، 2006، صفحة 24.).

والتّنمية اصطلاحا هي: النّمو المدروس على أسس علميّة، وهي العمليّة التي تقوم بها المجتمعات بقصد وفق سياسة عامة لإحداث التطور والتّنظيم الاقتصادي للمجتمع وبالبيئة، كما تعتبر عملية مجتمعيّة تراكميّة، الإنسان هو هدفها الرئيسي وهو غايتها (الكفري، 2020)، وهي كذلك إحداث مجموعة من التّغيرات الجذرية في مجتمع بهدف إكسابه الرفاهية والتّطور المستمرّ.

والتّنمية المقصود بها في هذه الدراسة هي إقامة بناء تنمويّ اقتصاديّ جديد يسمح للأفراد والمؤسسات بتحقيق أكبر قدر ممكن من إشباع الحاجات الضرورية لديهم في مختلف المجالات في ظل الأزمات كأزمة كوفيد 19.

فالتّنمية الاقتصادية هي عمليّة مستمرّة في الزّمن للانتقال من وضع متخلّف إلى وضع متقدم، وتهدف بالتّالي إلى الرفع الدّائم في الإنتاج، ومنه في الدّخل الوطنيّ والفردي الحقيقيّ.

وقضايا التّنمية المشار إليها في هذه الدّراسة هي: كلّ المواضيع ذات الطّابع التّنمويّ الاقتصاديّ التي يبثّها التّلفزيون الجزائريّ في برامجه، والتي تحتاج إلى توضيح وتفسير وتحليل.

4- كوفيد 19: هو جائحة عالميّة ظهرت لأوّل مرّة بمدينة "أوهان" الصينيّة، وانتقلت بعدها لكلّ دول العالم، وهو مرض تتسبّب به سلالة جديدة من الفيروسات التّاجيّة "كورونا"، ويرتبط بعائلة الفيروسات نفسها التي ينتمي إليها الفيروس، والذي يتسبب بمرض المتلازمة التّنفسية الحادّة الوخيمة "سارز"، وبعض أنواع الزّكام العادي (اليونيسيف، 2020).

5- الدّراسات السّابقة:

للدّراسات السّابقة أهميّة كبرى لأي بحث علميّ، فهي تزوّد الباحث بالنتائج التي توصلت لها هذه الدراسات، لتبنى عليها الدّراسة الحاليّة، وهو الهدف الأساسي من إدراجها، وفي الآتي أهمّ الدّراسات المعتمدة:

الدّراسة الأولى: دور التلفزيون الجزائري في التّنمية الاقتصادية: دراسة وصفية تحليلية لحصة المؤشر، مذكرة ماجيستير (عباد، 2003 ـ 2004)، هدفت هذه الدراسة إلى محاولة معرفة مدى إسهام التلفزيون الجزائري في التنمية الاقتصاديّة خلال مرحلة التسعينيّات من خلال نموذج حصة "المؤشر" الأسبوعيّة، وانطلقت من الأسئلة التالية:

ـ ما هي مكانة الحصص الاقتصاديّة في التلفزيون الجزائري؟

ـ ما هي المواضيع الأساسية المطروحة في حصة المؤشر؟

ـ ما هو مضمون هذه المواضيع؟

ـ في أيّ قوالب صحفيّة تمّ معالجة مواضيع التنمية الاقتصاديّة؟

وطبقا لمتطلبات الدراسة استعملت الباحثة منهج المسح، باستغلال تحليل المضمون كأداة جمع للبيانات لعيّنة الدراسة القصدية التي تمثلت في حصة المؤشر طوال فترة زمنية حددت بـ "3 سنوات" ابتداء من الانطلاقة الرسمية البرنامج (تاريخ بداية البرنامج: 7 أكتوبر 1998).

ونظرا لطبيعة هذه الدراسة استقر الاختيار على عينة تتكون من "10 حصص" لأسباب دقيقة وتعالج في مجملها مواضيع اقتصاديّة متنوعة، وباعتبار أن مدّة الحصّة على الأقلّ 52 دقيقة، فإنّ الأمر سيستغرق وقتا أطول ممّا لو تمّ اختيار عيّنة من نشرة الثّامنة مثلا تعالج موضوعا اقتصاديّا أو موضوعين لا تتجاوز مدته ثلاث دقائق على أكثر تقدير.

وتوصّلت الباحثة إلى عدّة نتائج أبرزها:

ـ تركيز حصة "المؤشر" على الأخبار الاقتصادية الدولية لوضع المشاهد في واجهة الأحداث الاقتصادية الدولية.

ـ أسفرت الدراسة عن تخصيص حصة "المؤشر" لعدّة أعداد للحديث عن الاستثمار في الجزائر.

ـ تركيز حصة "المؤشر" على مواضيع التّنمية المحليّة في أكثر من مرّة، لإبراز المشاكل العالقة في البلديات والوقوف على المشاريع التّنموية الناجحة.

الدّراسة الثانية: المعالجة الصحفيّة لقضايا التّنمية الاقتصاديّة في الصّحافة العراقيّة ـ دراسة تحليليّة ـ (عبد العزيز و علي مراد، 2011)، جاءت هذه الدّراسة التي تتناول المعالجة الإعلاميّة لقضايا التّنمية الاقتصاديّة في الصحافة العراقيّة، لإبراز دور الصّحافة الاقتصاديّة، ووظائفها في تحقيق الأهداف التّنمويّة من خلال المضمون الذي يقدّم للقارئ العراقي، والمتعلّق بقضايا التّنمية الاقتصاديّة.

وانطلقت الدّراسة من إشكالية تمثلت أبرز تساؤلاتها فيما يلي:

ـ ما هي وظائف الصّحافة الاقتصاديّة؟

ـ ما هو المضمون الذي يقدّم للقارئ العراقيّ، والمتعلّق بقضايا التّنمية الاقتصاديّة؟

ـ ما هي أكثر أنماط فنون الكتابة الصحفيّة المصاحبة للقضايا الاقتصاديّة؟

وللإجابة على تساؤلات الدّراسة والوصول إلى نتائج حول مشكلة البحث اعتمدت الباحثتان على المنهج الوصفيّ، باستخدام أداة تحليل المضمون لجمع بيانات الدّراسة.

وتمّ اختيار عيّنة عمديّة تمثّلت في اختيار " جريدة المدى "، وتحديدا الخبر والتّقرير الإخباريّ كفنون صحفيّة تناولت مواضيع قضايا الاقتصاديّة في الصّفحة الاقتصاديّة للجريدة لأعداد الجريدة والبالغة 21 عددا.

وتوصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

ـ يختلف مفهوم التّنمية الاقتصاديّة حسب اختلاف المعايير أو المؤشّرات المستخدمة، فهناك المؤشرات الاقتصاديّة التّقليديّة، والمعايير غير الاقتصاديّة (المؤشّرات الاجتماعيّة والسّياسية والإعلاميّة).

ـ الصّحافة الاقتصاديّة التّنمويّة هي صحافة هادفة تسعى لخلق الأرضيّة المناسبة لإنجاح الخطط التّنمويّة.

ـ لازالت الصحافة العراقيّة بحاجة إلى أكثر من تخصّص في طريقة عرض المواضيع الاقتصاديّة.

أوجه الاتّفاق والاختلاف والاستفادة من الدّراسات السّابقة:

ويمكن تسجيلها كالآتي:

أوجه الاتّفاق بين الدّراسات السّابقة والدّراسة الحاليّة:

ـ الاهتمام بموضوع معالجة المضمون الإعلامي لقضايا التّنمية الاقتصاديّة.

ـ إبراز العلاقة بين الإعلام والتّنمية الاقتصاديّة.

ـ الاهتمام بالبعد الاقتصادي للتّنمية كبعد مهمّ له آثاره على الأبعاد التّنمويّة ومؤشّراتها الأخرى.

ـ الاعتماد على أداة تحليل المضمون الإعلامي لجمع البيانات.

أوجه الاختلاف بين الدّراسات السابقة والدّراسة الحاليّة:

ـ تختلف الدّراسة الأولى للباحثة " لويزة كريمة عباد " عن الدراسة الحالية في:

ـ تركيزها على دور التلفزيون الجزائري في التنمية الاقتصادية من خلال تحليل عينة من برنامج "المؤشر"، فاستخلصت نتائج تهمّ التنمية الاقتصادية لكنّها لم توضح كيفية إسهام الإعلام التلفزيوني في تحقيق هذه التّنمية التي تلقي بظلالها على مجالات أخرى.

ـ اهتمّت بقضايا التّنمية الاقتصاديّة في فترة ماضية وفي ظروف عادية، عكس الدّراسة الحاليّة التي تهتمّ بدراسة مضمون برنامج تلفزيوني في ظلّ أزمة صحيّة عالميّة خلّفها وباء كوفيد 19.

ـ تختلف الدّراسة الثانية للباحثتين " بتول عبد العزيز رشيد، وفاتن علي مراد ": عن الدّراسة الحاليّة في:

ـ اهتمامها بمعالجة صحفية لقضايا التّنمية الاقتصاديّة في العراق، فعيّنة الدّراسة تمثّلت في مضمون أخبار جريدة، عكس الدّراسة الحاليّة التي تهتمّ بمضمون رسالة إعلاميّة تلفزيونيّة.

أوجه الاستفادة من الدّراسات السابقة:

ـ استغلال نتائج الدّراسات السّابقة في تبريـر السّياق العام للدّراسة الحالية.

ـ الاستفادة من توظيف منهج البحث في الدّراسات الإعلامية.

ـ التّمكن من أبجديّات تحليل محتوى البرامج الإعلاميـة بالاستفادة من طرائق التّحليل المختلفة بالدراسات السابقة.

ـ الاستفادة من الرّصيد العلمي، والنّظري للدراسات السابقة.

6- الإعلام وقضايا التنمية:

يعتبر الإعلام من أهمّ أدوات التّنمية بمختلف أنواعها، إذ أنّه يخلق تلك الثقافة التنمويّة في أوساط المجتمع عن طريق انتهاجه لسياسة إعلاميّة توعويّة، توجّه السّامع أو القارئ أو المشاهد إلى القيام بأنشطة تسهم في دفع عجلة التّنمية إلى الأمام، ولقد أضحى الإعلام قوّة اقتصاديّة مهيمنة، وعاملا حاسما من عوامل التّنمية الحقيقيّة في أنحاء العالم (خلفلاوي، 2011، صفحة .2).

وأدّى الإعلام الاقتصاديّ والتّنمويّ دورا مهمّا لتقدّم مسيرات دول كثيرة، وتطوير أدائها بكفاءة واضحة، حيث أصبح الاقتصاد الجديد هو نتاج المحصّلة الفكريّة البشريّة التّراكميّة، فيما يطلق عليه رأس المال البشري، والذي يشكّل فيه الإعلام عنصرا حيويّا، فالإعلام التّنمويّ هو عمليّة يتمّ من خلالها إرسال مادّة أو رسالة تنمويّة معيّنة للمتلقّي مع ترقب نّتائج معينة أو تفاعل ما (الربيعي، 2007، صفحة .26).

1- ماهيّة الإعلام التّنموي: يرتبط البعد التّنموي للإعلام أساسا بتنمية العقل الاجتماعي المتمثل في القضاء على الأميّة والجهل وكافّة أشكال التّخلف، والمشاركة في التّوعيّة بحقوق الإنسان والمرأة والطّفل، ونصيب المجتمع من الديمقراطيّة والانخراط في المجتمع الدّوليّ المعاصر، والفاعليّة في تطويره (برقوق و زبيري، 2015، صفحة .78).

ويُعرَّف الإعلام التّنمويّ بأنّه: "المنظومة الإعلاميّة التي تعالج قضايا التّنمية (خضور، 2003، صفحة .12)، ويعدّ هذا الإعلام فرعا مهمّا من فروع النّشاط الإعلاميّ"، وبمعنى آخر الإعلام التّنمويّ هوّ العمليّة التي يمكن من خلالها التّحكم بأجهزة الإعلام ووسائل الاتّصال الجماهيريّ داخل المجتمع، وتوجيهها بالشّكل المطلوب الذي يتّفق مع أهداف الحركة التّنمويّة، ومصلحة المجتمع العليا.

فالإعلام التّنموي هو إعلام هادف وشامل، يسعى لتحقيق أهداف اجتماعية تنمويّة تخلق الأرضيّة المناسبة لإنجاح الخطط التنموية، ومرتبط بالنّواحي السّياسية والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة والتّربويّة، وهو إعلام واقعيّ يستند إلى الصّدق والوضوح والصّراحة في التّعامل مع الجمهور، والثّقة المتبادلة (هاشم، 2020).

ومن خلال التّعريفات السّابقة يتّضح أنّ الإعلام التّنمويّ يتّسم بجملة من الخصائص التي تميّزه عن أنواع أخرى من الإعلام، ومن أبرز هذه الخصائص:

ـ الإعلام التّنمويّ نشاط إعلاميّ هادف يسعى لتحقيق أهداف وغايات اجتماعيّة مستوحاة من حاجات المجتمع الأساسيّة، ومصالحه الجوهريّة.

- تتمحور أهدافه في فهم وإدراك ما يحيط بالإنسان من ظواهر وأحداث، ونقل التّراث الثقافي بكلّ مكوّناته من جيل لآخر، وتنمية الحسّ الوطنيّ والدّيمقراطيّة لدى الجماهير، وكشف الأفكار الهدّامة الدّاعية إلى تعميق التّخلف في المجتمع، والتّركيز على دور الشّباب وقضاياهم...
- أنّه إعلام مبرمج ومخطّط يرتبط بخطط التّنمية، ويدعم نجاح هذه الخطط.
- وهو إعلام متكامل، الهدف منه مخاطبة الرّأي العام، وإقناعه بضرورة التغيّر الاجتماعي الذي تقتضيه التّنمية.
- أنّه متعدّد الأبعاد بحيث يشمل البعد الاقتصاديّ، والاجتماعي، والسّياسّي والتّربوي، والماليّ والإداريّ.
- يجب أن يكون الإعلام التّنمويّ واقعيّا في الأسلوب والطّرح، وأن يقول الحقيقة بلا تجميل، وأن يستند على حجج وبراهين منطقيّة في إقناع الجمهور.
- أن يرتبط بالواقع في معالجته لمختلف القضايا وخاصة الاجتماعيّة، فأحد وظائفه الأساسيّة هي اكتساب ثقة أفراد المجتمع بدقّة المعلومات، والتّعبير الصّادق عن همومهم واحتياجاتهم.
- الإعلام التّنموي مصمّم بداية ليكون جزء من خطّة التّنمية، وعاملا جوهريّا لإحداث تغيير تنمويّ في المجتمع.
- الإعلام التّنمويّ هو إعلام متطوّر ومعاصر، فهو أحد محاور التّنمية الجوهريّة.
- الإعلام التّنمويّ إعلام مفتوح على العالم، يدعم ثقافة الحوار والاستفادة من التّجارب العمليّة لدول أخرى ونقلها، وتوفير قنوات التّواصل بين الجمهور المحلّي والدّولي (برقوق و زبيري، 2015، صفحة .82).

2- مستويات الأدوار التّداخليّة لوسائل الإعلام في العمليّة التّنمويّة: تساهم وسائل الإعلام بشكل رئيسيّ في العمليّة التّنمويّة من خلال عدّة مستويات أبرزها:

المستوى الرّسمي: ويكون بعرض الواقع الاقتصادي التّنمويّ بإيجابيّاته وسلبيّاته، وطرح الحلول العلميّة للمشكلات التّنمويّة، وعرض معوقاتها وأهدافها، فبات واضحا أنّ لوسائل الإعلام دور كبير في دفع عمليّة التّنمية الاقتصاديّة لأنّ وسائل الإعلام ترتبط ارتباطا مباشرا، بل أصبحت كلّ الخطط التنمويّة التي تغفل دور الإعلام ناقصة وتحتاج إلى تعديل، لأنّه بدون دعم إعلاميّ لا يمكن أن يكتمل الدّور التّنمويّ للدّولة (المصمودي، 1985، صفحة .115)، حيث تعمل وسائل الإعلام على تنفيذ الخطط والبرامج، وشرح معانيها ومصطلحاتها للجمهور، وتتعقّب نتائجها بعد التّنفيذ، وتكشف عن مواطن الخلل وتنادي بتقويم الأخطاء.

المستوى الشّعبي: ويكون بخلق وعي جماهيري بالسّياسات التّنمويّة، والتّوعية بأساليب النّهوض باقتصاد الفرد والأسرة والجماعة، ولا يتحقّق ذلك إلاّ من خلال شرح السياسات التّنمويّة بصورة مبسّطة يفهمها المواطن العادي والمتخصّص (زارع، 1984، صفحة .168)، وتوضيح مفاهيم الإنتاج الوطني، وقيمته بالنّسبة لتدعيم الإنتاج الاقتصاديّ، وترشيد الاستهلاك لدى المواطنين بكافّة طبقاتهم، وتنمية الوعي الادّخاري والاستثمار لديهم.

وهكذا يبرز أنّ لكلّ من وسائل الإعلام والتّنمية رسالة مشتركة تهدف إلى تطوير اجتماعي للمجتمع، وليس هذا التّطوير إلاّ عمليّة تغيير حضاري يقوم بها الشّعب لمراجعة اتّجاهاته وقيمه، ولذلك لم يعد الإعلام مجرّد إعطاء معلومات أو نشر المعارف التّنمويّة بين النّاس، وإنّما المقصود عمليّة التّحفيز والحثّ وتغيير الاتّجاهات، وهنا يكمن الدور الأساسي لوسائل الإعلام في بناء الإنسان والمشاركة في بناء المجتمع، بحيث تظهر طبيعة العلاقة بين الرسالة الإعلاميّة والخطط التّنمية الاقتصاديّة والاجتماعيّة.

3- أهداف الإعلام التّنموي: تتنوّع أهداف الإعلام التّنمويّ من مجتمع لآخر وفقا للظّروف التي تحيط بكل مجتمع، والهدف العام للإعلام التّنموي يتمثّل في التّأثير على الجماهير ومحاولة إقناعهم وتوعيتهم بأهميّة التّنمية، وضرورة الإسراع بها، وعموما يهدف الإعلام التنموي إلى:

ـ إيجاد وسائل اتصال فاعلة وقادرة على حمل الرسالة الإعلاميّة ونشرها إلى أبعد المستويات، وتخاطب كافة شرائح المجتمع (حجاب م.، 1998، صفحة .142).

ـ خدمة قضايا المجتمع، وتحقيق أهداف اجتماعية مستوحاة من حاجات المجتمع الأساسية ومصالحه الحيويّة، ويسهم أيضا في ترسيخ الوعي الحقيقي بالتّنمية القائم على المصارحة وتقديم الحقائق، ومن ثم تبنّي الخطط التنمويّة اللازمة.

ـ تأكيد أهميّة مبدأ الوحدة الوطنيّة، وتوسيع دائرة الحوار السّياسيّ، ودفع النّاس باتجاه المشاركة السّياسية، واتّخاذ القرار، وتوضيح الأبعاد الوطنيّة للتّنمية (محمود، 2004 ، صفحة .2).

وليحقّق الإعلام صفته التّنمويّة لابدّ له من تبنّي أهداف تحمل في جوهرها ودلالاتها مسؤوليّة المجتمع الذي ينشط في هذا الإعلام، وفيما يلي بعض الأهداف الأخرى للإعلام التنموي (خضور، الإعلام العربي على أبواب القرن الحادي والعشرين، 2000، صفحة .5):

ـ فهم وإدراك ما يحيط بالإنسان من ظواهر وأحداث.

ـ نقل التراث الثقافي من جيل إلى آخر.

ـ تنمية الحس الوطني والقومي لدى المواطنين.

ـ كشف الأفكار الهدّامة، والداعية إلى تعميق التّخلف في المجتمع.

ـ تنمية الحسّ الديمقراطي، وممارسة الديمقراطيّة.

ـ التّركيز على دور الشباب.

7- الإعلام التّنمويّ الاقتصادي وجائحة كوفيد 19:

في الوقت الذي يزداد فيه الاهتمام العالميّ بالأخبار الجديدة المتعلّقة بجائحة "كوفيد 19"، تشكّل هذه الأزمة اختبارا لوسائل الإعلام بشكل عام، والإعلام التّنموي الاقتصادي بشكل خاصّ لكسب ثقة الجماهير، والمحافظة عليها.

1- مدخل إلى الإعلام الاقتصادي: أصبح الإعلام الاقتصادي طريقة لرؤية الأشياء أكثر من أنّه مجموعة موادّ معالجة، فلم يعد يشكل مسألة المختصّين فحسب، بل توقّف عن هذا ليصبح مشكلة الجمهور الواسع، ولم يعد مجرد الفيض من المعلومات الذي ينساب فيما بين الأخصائيين فحسب، وإنّما هو أيضا اتّصال بل تواصل مع جمهور المستثمرين والمدخّرين على اختلاف أنماط تفكيرهم، وضروب سلوكهم، ومستويات ثقافتهم.

ويرى Solman Robert أنّ الإعلام الاقتصادي يرجع إلى معلومات من أصل خاصّ يبني من خلالها أصحاب المال والأعمال نشاطاتهم، والإعلام الاقتصاديّ أصبح يندرج ضمن الحاجات الضّروريّة للإنسان سواء كان فردا أو مسؤولا، أو صاحب مؤسّسة باعتباره طرفا متدخّلا في عمليّة الإنتاج والتوزيع والاستهلاك والاستثمار أو مواطنا تهمّه مصالح بلده فحسب، والملاحظ أنّ تحديد مفهوم الإعلام الاقتصاديّ ليس أمرا هيّنا طالما أنّ هذا الاختصاص يشمل أجناسا مختلفة من الإعلام، ويشمل هذا المفهوم علم الاقتصاد، وظواهر التّبادل والسّياسة المنتهجة في هذا المجال (مثناني، 1994، صفحة .12).

ينطلق "محمد حسن بهلول" في تعريفة للإعلام الاقتصاديّ من الإنتاج كموضوع العلاقة الاجتماعيّة بالنّسبة لأيّ نشاط اقتصادي فيقول: "إنّه المعلومات التي يستخرجها الإنسان كنتيجة موضوعيّة لنشاطه القائم على الإنتاج، ويضيف بناء على ذلك بأنه الوظيفة الإعلامية التي تحدّد، وتقيس وتوصل معلومات اقتصاديّة يمكن استخدامها في عملية التّقييم، واتّخاذ القرارات من طرف من يستخدمون هذه المعلومات"(مثناني، 1994، صفحة 15.)

وعموما يمكن القول أنّ الحديث عن الإعلام الاقتصاديّ لم يعد حديثا عن أرقام الاستثمار أو استقراض البرامج التي تتناول مواضيعها الاقتصاديّة، وإنّما يتجاوز الأمر إلى الجهد اليوميّ الذي تبذله وسائل الإعلام على اختلاف اختصاصاتها في تغطية الحدث الاقتصادي، وفي تبليغه للجماهير العريضة.

2- المعالجة الإعلامية لقضايا كوفيد 19: إنّ الحديث عن طبيعة المعالجة الإعلامية لقضايا كوفيد 19 هو حديث عن تغيير جذريّ طرأ على المشهد الإعلاميّ العالميّ بشكل عامّ، والجزائريّ بشكل خاصّ، حيث فرضت جائحة "كوفيد 19" غير المسبوقة أهميتها على الأجندة الإعلامية، وشغلت المساحة الأكبر من تغطيتها المتوالية بنسب متفاوتة، والتي تركّزت على ما يلي (سعد الدين، 2020):

- **مركزية القرار:** سارعت معظم دول العالم منذ تفشّي وباء كوفيد 19 عبر القارات لاتخاذ تدابير احترازية، وإجراءات وقائية تخصّ أمنها القوميّ لمواجهة الفيروس؛ تنوعت بين إغلاق الحدود وإعلان حالة الطوارئ والعزل الذاتيّ، وحظر التّجول والحجر الصحي ومنع التّجمعات، ووقف عمل المؤسّسات العامة والخاصة، ووقف الدّراسة مع اعتماد نمط التّعليم عن بعد، وإلغاء الأنشطة، ووقف حركة الطّيران جزئيّا أو كليّا، وتقييد الحركة التّجارية، وواكبت وسائل الإعلام حيثيات الأزمة بطرائق مختلفة...
- **الدولة القومية:** شغلت الدولة حيزا رئيسا في المشهد الإعلامي المضادّ للأزمة، بعدما وفّر فيروس "كوفيد 19" فرصّة تعزيز الوطنية، وتقوية مكانة الدّولة القوميّة في السّياسات المحليّة والدّوليّة، ومن أبرز مظاهرها: تعزيز قوّة الدّولة، سياسة أحاديّة الجانب، ونهاية العولمة.
- **السّيطرة على الرّعاية الصحية:** سلّطت وسائل الإعلام الضّوء على عمق الاختلالات الثّقيلة التي كشف عنها فيروس كوفيد 19 في نظم الرّعاية الصّحية، والبنى التّحتية لكثير من دول العالم، وسط غياب شبكة أمان صحيّ استباقيّ، نظير نقص التّجهيزات، والطّواقم الطبيّة المؤهلة؛ ما أدّى إلى ارتفاع عدد الضحايا، واتسّاع رقعة الوباء الذي لم تنجُ منه دول صناعيّة غنيّة إزّاء عدم استعداد نظمها للتعامل مع مثل هذه الأزمات، بينما تمكنت دول محدودة الموارد وأخرى فقيرة من إدارة الأزمة بفاعليّة، واستنفار طاقاتها البشريّة لمواجهة خطر انتشاره، بما يعكس ضعف نظم الحوكمة الاقتصاديّة والسّياسيّة على مدى الاستجابة للأزمة.(سعد الدين، 2020)

3- وظائف الإعلام في ظلّ أزمة كوفيد 19: يقع على عاتق وسائل الإعلام في ظل الأزمات ـ كأزمة كوفيد 19ـ الاضطلاع بالوظائف التالية تحقيقا لمغزى الرّسالة الإعلاميّة (الرياحي، 2020):

- **وظيفة الإخبار أو الإعلام:** من أهمّ الوظائف وأوّلها، لأنّ كلّ فرد في المجتمع يبحث عن معرفة ما يدور حوله من أحداث وقضايا، وخاصّة في ظلّ ما قد يعرفه المجتمع من حالات استثنائية.
- **وظيفة التّوعية والتثقيف:** إذ الإعلام هو المورد الأكبر للمعلومات التي تثقف المشاهد وتوعيه بالمخاطر التي قد تعترضه وبالمكاسب والحقوق التي يجب أن يتمتع بها، وهنا نشير إلى أهمية التوعية في وسائل الإعلام عند الأزمات.

ـ **وظيفة التّوجيه:** في حالات كثيرة يكون النّاس في حاجة ماسّة لمن يوجّههم ويرشدهم، وقد عاينا مساهمة الإعلام في توجيه الناس في ظلّ الأزمة الحاليّة بقوالب إعلاميّة مختلفة تحقّق التّنوع والتّكامل، وهنا نشير أنّ هذه الوظيفة قد تحتلّ المرتبة الأولى في ظلّ الأزمات والكوارث وانتشار الأوبئة، حين تكون الدّولة في أمسّ الحاجة إلى توجيه نداءات، وتوجيهات معيّنة للشّعب.

ـ **وظيفة التّسلية والتّرفيه:** هذه الوظيفة تؤديها بشكل أكبر وسائل الإعلام الفضائية، المطلوب منها خلق نوع من التّوازن، من أفلام هادفة وأنشطة رياضية ومسابقات ثقافية ومسرحيّات.

ـ **وظيفة الرّقابة والنّقد والتّغيير:** من الوظائف التي يجب على وسائل الإعلام أن تمارسها خدمة للصالح العام، عبر الرّقابة، والتّقييم لكلّ ما يجري داخل المجتمع تصحيحا للسّياسات الخاطئة، وسعيا لتحقيق للمصلحة العليا للوطن (الرياحي، 2020).

وعموما يمكن القول أنّ الإعلام الحقيقي والنّاجح يقوم بدور مفصليّ في الكثير من الأحداث، إذ يسلّط الضوء على القضايا التي تهم المجتمعات، ويحرص على حسن الأداء فيها ومعالجتها وفقا للمعايير المهنية، إنصافا للحقيقة من جهة، وخدمة لانشغالات الناس واهتماماتهم من جهة أخرى، لذلك نجده دائما المتصدّر في التّصدّي لمختلف الأزمات التي تواجهها المجتمعات (شلبي، 2020).

فمع ظهور فيروس "كوفيد 19" فجأة وتسارع وتيرة ضحايا هذه الجائحة التي لم يتم وضع حد لها إلى الآن، حاول التّلفزيون الجزائري تحمل مسؤوليته تماما كما يتحملها الأطّباء، نظرا لدوره الكبير في هذه الظّروف الصّعبة التي يمرّ بها العالم بأكمله.

وبنظرة استطلاعيّة بسيطة تبيَّن أنّ الأساليب التي اتّخذها التّلفزيون الجزائريّ للتّصدي لجائحة كوفيد 19 كما يلي (بن عمر، 2020):

ـ تغطية الأحداث المحليّة والوطنية والدّولية التي تهتمّ بوباء كوفيد 19.

ـ تخصيص برامج تعريفية بفيروس كوفيد 19، وإبراز طرائق الحماية والوقاية.

ـ مساعدة الجماهير لتوسيع درجة الوعي الفردي والمجتمعي، وبناء مناعة للحدّ من انتشار الفيروس.

8- الدراسة التحليليّة:

نتعرض فيما يلي إلى الخطوات الإجرائية للدّراسة وتحليلاتها:

1- طبيعة الدراسة وإجراءاتها المنهجيّة: تندرج هذه الدراسة ضمن **الدراسات الوصفية التفسيرية التحليلية** التي تسعى إلى تفسير ظاهرة موجودة، وهي "المعالجة الإعلامية لقضايا التنمية الاقتصاديّة خلال جائحة كوفيد 19"، وذلك من خلال وصف الظاهرة وتفسيرها وتحليلها وصولا إلى نتائج دقيقة وموضوعية.

ـ **منهج الدراسة:** تستوجب كلّ دراسة الاعتماد على منهج علمي واضح لكي تتصف بالعلمية، ونستطيع الوثوق بنتائجها (بوحوش و محمود ، 1995، صفحة .58)، وانطلاقا من موضوع الدراسة استخدمنا" المنهج المسحي "الذي يعدّ أنسب المناهج العلمية وأكثرها استخداما في الدراسات الوصفيّة التي تستوجب الحصول على البيانات والمعلومات عن الظاهرة موضوع البحث في واقعها المكاني والزّماني، بهدف تحليلها وفهم علاقاتها الداخلية والخارجية، ولاسيّما المادة المعرفية الخاصة بمتغيرات: المعالجة الإعلاميّة، قضايا التنمية الاقتصادية، كوفيد 19، وهي خطوة قاعديّة توضح مفاهيم الدراسة وتضبطها.

ويذهب "موريس" إلى اعتبار المسح منهجا لتحليل ودراسة أيّ موقف أو مشكلة اجتماعية أو جمهور باستخدام طريقة علميّة منظمة.

وعلى العموم تتلخّص أهم خطوات المنهج المسحي في النقاط التالية (بدر، 1996 ، صفحة .34):

- تحديد الغرض من المسح لتحديد المشكلة والاعتبارات العلمية.
- رسم خطّة سير البحث بتحديد مجال المسح من حيث العيّنة والمكان والزّمان.
- جمع البيانات والمعلومات باستخدام أداتي: الملاحظة وتحليل المضمون.
- تحليل البيانات تحليلا إحصائيا وتفسيرها عن طريق القياس المنطقي.

- عيّنة الدراسة: تمّ الاعتماد على المسح بالعيّنة، أي أنّ التّحليل لم يجر على جميع مفردات المجتمع محل الدراسة "المضامين السّمعية البصريّة للتلفزيون الجزائريّ"، بل على عينة تمثلت في أعداد من البرنامج الأسبوعي "اتجاهات ومحاور"، بمعنى جميع الأعداد التي بثّت خلال جائحة كوفيد 19، وكان العدد الإجمالي 12 عددا، من 12 أفريل إلى 15 أوت 2020.

- أدوات جمع البيانات: انطلاقا من إشكاليّة الدراسة وتساؤلاتها والأهداف المسطّرة، استخدمنا أسلوب أساسيّ لجمع البيانات تمثل في "تحليل المضمون" والذي نعني به" أسلوب بحث يهدف إلى تحليل المحتوى الظاهري لمادة الاتصال عن طريق تبويب خصائص المضمون وتصنيفها عن طريق العدّ والإحصاء، وكذلك الاهتمام بجوانب المعاني، والعلاقات بين المعاني" (عبد الحميد، 2008، صفحة .148)، أي أنّ تحليل المضمون لا يكتفي بالمعاني الظّاهرة فقط.

ويرى "بيرلسون " أنّ تحليل المحتوى هو " أحد الأساليب البحثيّة التي تستخدم في وصف المحتوى الظّاهر أو الضّمنيّ للمادّة الإعلامية وصفا موضوعيّا وكميّا (عدلي العبد، 2006، صفحة .46 - 47)"، حيث يهتمّ التّحليل الكمّي بالجوانب الإحصائيّة الأكثر دقّة وموضوعيّة، بينما التّحليل الكيفي يهتمّ بالسّياق الذي يجمع بين أجزاء النصّ (Bardin, 2007 , p. 147)، ويعتمد هذا الأسلوب البحثيّ على ما يسمّى بـ"استمارة التّحليل " التي تعتبر أداة هامّة لا غنى عنها، وعليه تضمّنت الاستمارة فئات ماذا قيل؟ التي تخصّ المضمون، وفئات كيف قيل؟ التي تخصّ فئات الشّكل.

2- تفريغ وتحليل البيانات: وهذا من خلال:

تحليل البيانات المتعلقة بفئات المضمون:

- فئة المواضيع:

جدول رقم (01): المواضيع المعالجة بالبرنامج

المواضيع	التكرار	النسبة
دور المجتمع المدني أيام الأزمات	03	% 25
الفلاحة الصحراويّة	01	% 08,33
الصناعة الصيدلانيّة	01	% 08,33
الإنعاش الاقتصادي في زمن الأزمات	02	% 16,66
دور الرقمنة في الاقتصاد	02	% 16,66
الطاقة المتجدّدة	01	% 08,33
عودة النشاط الاقتصادي بعد الحجر المنزلي	02	% 16,66
المجموع	12	% 100

المصدر: من إعداد الباحثتين

يمثّل الجدول رقم (01) نتائج الدّراسة المتعلّقة بالمواضيع المعالجة خلال جائحة كوفيد 19 ببرنامج "محاور واتجاهات" بالقناة الجزائريّة الثالثة، والملاحظ أنّ موضوع "دور المجتمع المدني أيام الأزمات " تصدّر قائمة المواضيع بنسبة 25 %، حيث تمّ تخصيص أعداد من البرنامج تسلطّ الضّوء على الدّور الفعال للمجتمع المدني أيّام الأزمات بشكل عامّ، وأزمة كوفيد 19 بشكل خاص، وتأكيد أهميّة مساهماته في تحقيق التّنمية، وتشجيعه في مبادراته للمزيد من العطاء، ونسبة 16.66 % لكلّ من مواضيع "الإنعاش الاقتصادي في زمن الأزمات" و"دور الرّقمنة في الاقتصاد" و"عودة النّشاط الاقتصادي بعد الحجر المنزلي "باعتبارها مواضيع متزامنة مع جائحة كوفيد، حيث استعرض البرنامج في معالجته لهذه المواضيع دور السّلطات في مكافحة الوباء لإنعاش اقتصاديّ يحقّق التّنمية، في حين احتلّت مواضيع "الفلاحة الصّحراويّة" و"الصّناعة الصّيدلانيّة" و" الطّاقة المتجدّدة" ذيل التّرتيب، وحصدت أقلّ نسب المعالجة المتمثلة في 08.33 %، وهذا راجع لطبيعة الأحداث الوطنية في مجال القضايا التنمويّة، ومستجدّات وباء كوفيد 19 وآثاره على الاقتصاد الوطني، كما يبرز الخطّ الافتتاحي للقناة التلفزيونية الجزائرية الثالثة (الإخباريّة).

ـ فئة الشخصيّات:

جدول رقم (02): يبين أهم الشخصيّات الفاعلة في البرنامج

الشخصيات	التكرار	النسبة
شخصيات رسميّة	06	% 50
شخصيات من المجتمع المدني	02	% 16,66
شخصيات أكاديميّة	04	% 33,33
شخصيات عامة	00	% 00
المجموع	12	% 100

المصدر: من إعداد الباحثتين

يبيّن الجدول رقم (02) نتائج البحث المتعلقة بالشخصيّات حيث تصدرت الشخصيّات الرسميّة قائمة الشخصيات بنسبة 50 % فكان حضور ممثلي الدولة بشكل مكثف، ونسبة قدّرت بـ 33,33 % للشّخصيّات الأكاديميّة للباحثين المهتمين بقضايا التنمية بمختلف تخصّصاتهم العلميّة، ثم شخصيّات من المجتمع المدني بنسبة 16,66 %متمثلة في رؤساء جمعيّات نشطين في الميدان، في حين انعدم حضور الشّخصيّات العامّة (من المواطنين) بالبرنامج.

فالأرقام المتوصل إليها تعكس طبيعة المواضيع المعالجة، التي تهتمّ أساسا بالشخصيّات الرسمية ثم الشخصيات الأكاديمية حسب نوع الموضوع المعالج، كما توجّه إلى أنّ البرنامج لم يعتمد أسلوب المشاركة في معالجة القضايا.

- فئة الأهداف:

جدول رقم (03): الأهداف المرجوّة

الأهداف	التكرار	النسبة
تقديم أخبار	02	% 16,66
مناقشة أحداث	06	% 50
تأييد إجراءات	03	% 25
انتقاد ممارسات	01	% 08,33
المجموع	12	% 100

المصدر: من إعداد الباحثتين

يبرز الجدول رقم (03) نتائج البحث المتعلقة بالأهداف المرجوّة، حيث تصدّر هدف "مناقشة أحداث" القائمة بنسبة 50 %، وهذا راجع لأنّ الشخصيّات المستضافة تناقش الأحداث حسب الموضوع وحسب المحور والاتجاه الذي تسطره المؤسسة الإعلاميّة، ثم نسبة 25 % لهدف "تأييد الإجراءات" فيما يخصّ الإجراءات التي تسطّرها الدولة في إطار مكافحة آثار كوفيد 19 على الاقتصاد لتحقيق التّنمية، ثم نسبة 16,66% لتقديم الأخبار المخصصة لجديد الموضوع المعالج، ونسبة 08,33 % لانتقاد ممارسات تعيق مسار التّنمية.

وتؤكد هذه الأرقام تنوّع أهداف البرنامج في وقت الأزمة، تلبيتها حاجة الجمهور للاستماع إلى المناقشات المختلفة والاطّلاع على المستجدات وتفسير ما يحدث من طرف المختصين، وهذه الطريقة في المعالجة هي التي تجعل المؤسسة الإعلامية تتحمل مسؤوليتها في تقديم مضامين تفسر الأحداث وتربطها بأهم القضايا التي تأثرت بها.

- فئة القيم:

جدول رقم (04): يبين أهم القيم المتضمنة في البرنامج

القيم	التكرار	النسبة
تبادل الآراء	05	% 41,66
احترام الآخر	06	% 50
السخرية	01	% 08,33
الصراعات	00	% 00
المجموع	12	% 100

المصدر: من إعداد الباحثتين

يمثل الجدول رقم (04) نتائج البحث المتعلقة بالقيم المتضمنة ببرنامج "محاور واتجاهات"، حيث تباينت هذه القيم لكنّ قيمة "احترام الآخر" تصدّرت الترتيب بنسبة 50 %، ثم قيمة "تبادل الآراء" بنسبة 41,66 %، في حين احتلت قيمة "السخرية" نسبة ضئيلة وقيمة "الصراعات" بنسبة منعدمة، والأرقام المتوصل إليها تبرز وعي الضيوف واحترامهم لأنفسهم والآخرين، فرغم اختلافهم من حيث التوجّه والفكر والتخصّص أحيانا إلا أنهم يناقشون موضوع العدد ويتبادلون الآراء، وهو ما يبرز أهميّة توفّر القيم الإيجابيّة في المعالجة الإعلاميّة أثناء الأزمات.

ـ فئة الاتّجاه:

جدول رقم (05): الاتّجاه بعيّنة الدراسة

الاتجاه	التكرار	النسبة
إيجابي	08	% 66,66
حيادي	03	% 25
سلبي	01	% 08,33
المجموع	12	% 100

المصدر: من إعداد الباحثتين

يمثل الجدول رقم (05) نتائج البحث المتعلقة باتّجاه مضمون برنامج "محاور و اتجاهات" بالقناة الجزائرية الثالثة، حيث كان الاتجاه الإيجابي هو الغالب على المضمون بنسبة 66,66 % فيما يخص جهود الدولة لمكافحة وباء كوفيد 19 والإجراءات المقدمة لتحقيق التنمية، في حين حمل الاتجاه المحايد نسبة 25% اتجاه بعض القضايا، والاتجاه السلبي جاء في المرتبة الأخيرة بنسبة 08,33 %، وتثبت هذه الارقام أنّ الدولة الجزائريّة تعمل على تحسين صورتها في الإعلام من خلال الجهود المقدّمة لمكافحة الوباء، وأنّ هناك تعاون مع المؤسسة الإعلامية لتأكيد الانسجام بين مؤسسات الدولة وأهمية تعاونها فيما بينها خاصة أثناء الازمات.

تحليل البيانات المتعلقة بفئات الشّكل:

ـ فئة القوالب الإعلامية:

جدول رقم (06): القوالب الإعلامية بعيّنة الدراسة

القوالب الإعلامية	التكرار	النسبة
الحديث الصحفي	10	% 66,66
الروبورتاج	01	% 06.66
التقرير الإعلامي	04	% 26,66
المجموع	15	% 100

المصدر: من إعداد الباحثتين

يبيّن الجدول رقم (06) نتائج البحث المتعلقة بالقوالب الإعلامية المستغلة في برنامج "محاور واتجاهات" بالقناة الجزائرية الثالثة، حيث تباينت هذه القوالب الإعلامية بين حديث صحفي وربورتاج وتقرير إعلامي، وتصدّر "الحديث الصحفي" قائمة القوالب الإعلامية بنسبة 66,66 %، إضافة للاعتماد على التقرير الصحفي بنسبة 26,66 %، والروبورتاج بنسبة قدّرت بـ 06,66%، ويمكن تبرير أنّ نسبة الحديث الصحفي كانت الغالبة كون البرنامج حواريّا، فطغيان طابع الوصف والحديث عن إجراءات تحقيق التنمية في ظل الجائحة هو محور عيّنة الدّراسة، كما يبرر بحاجة الجمهور إلى المضامين الحوارية هذه الطريقة في المعالجة التي تمتلك قدرة فائقة على التفسير والتوضيح.

ـ فئة نوع اللّغة المستخدمة:

جدول رقم (07): يبين مستويات اللغة المستخدمة في البرنامج

نوع اللغة المستخدمة	التكرار	النسبة
العربية الفصحى	10	% 62,50
العاميّة	04	% 25
الأجنبيّة	02	% 12,50
المجموع	16	% 100

المصدر: من إعداد الباحثتين

يبرز الجدول رقم (07) نتائج البحث المتعلقة بنوع اللغة المستخدمة بعيّنة الدّراسة، ومن خلال الأرقام المتوصل إليها يمكن القول أنّ البرنامج عالج القضايا التنمويّة الاقتصاديّة بلغة عربية فصحى، ضمّت أكبر تكرار، وبنسبة كبيرة جدا من حيث الأفكار التي قدمت بها، حيث تقدر النسبة بـ 62,50 %، في حين كان استخدام العاميّة والأجنبية ضعيفا نوعا ما، حيث قدرت نسبة الأولى بـ 25%، والثانية بـ 12,50%، وهو ما يبرز أنّ مقدّمة البرنامج تستخدم اللغة العربية الفصحى في كثير من الأحيان، كما يشير إلى أنّ ضيوف البرنامج يلجؤون أحيانا لاستخدام العامية لتصل إلى كل أصناف المجتمع، واستغلال اللغة الأجنبية أحيانا أخرى في سياق الخطاب العلمي الأكاديمي.

ـ فئة أساليب الإقناع:

جدول رقم (08): أساليب الإقناع التي وظفت في المعالجة الإعلامية

الأساليب الإقناعيّة	التكرار	النسبة
العاطفيّة	07	% 58,33
الدينيّة	01	% 08,33
المنطقيّة أو العقلية	03	% 25
التخويفيّة	01	% 08,33
المجموع	12	% 100

المصدر: من إعداد الباحثتين

يمثل الجدول رقم (08) نتائج البحث المتعلقة بالأساليب الإقناعية المعتمدة في برنامج "محاور واتجاهات" بالقناة التلفزيونية الجزائرية الثالثة، حيث تباينت هذه الأساليب بين منطقية ودينية وعاطفية وتخويفيّة، وترأست "الأساليب العاطفيّة " قائمة الأساليب بنسبة 58,33 %، وهوما يدلّ على أنّ المعالجة الإعلامية للبرنامج تعتمد بشكل كبير على أساليب التّعبير العاطفي، من خلال مخاطبة عواطف الجمهور المستهدف، وهذا راجع إلى حساسية الظرف-جائحة كورونا- وحساسية المواضيع التي تم معالجتها في البرنامج، مع التركيز على النّتائج الإيجابية التي ستعود عليه نتيجة استخدامه للخدمة، وتوجّهه للسلوك التّنموي، مع اعتماده "أحيانا" على أساليب إقناعيّة أخرى حسب الهدف الإعلاميّ المراد تحقيقه.

خاتمة:

بعد إجراء الدراسة التحليلية، تم التوصل للعديد من **النتائج** أهمّها:

1- يهتم برنامج "محاور واتجاهات" بالقناة التلفزيونية الجزائرية الثالثة بالدرجة الأولى بموضوع "دور المجتمع المدني أيام الأزمات "وبمواضيع "الإنعاش الاقتصادي في زمن الأزمات" ودور "الرقمنة في الاقتصاد" و"عودة النشاط الاقتصادي بعد الحجر المنزلي" باعتبارها مواضيع متزامنة مع جائحة كوفيد، وعمل الحكومة والاجتماعات الوزارية في سبيل تحقيق التنمية الاقتصادية.

2- تعتمد القناة التلفزيونيّة الجزائريّة الثالثة على الشخصيات الرسمية والحكومية، إلى جانب الشخصيّات الأكاديمية للمساهمة في معالجة قضايا التنمية الاقتصاديّة.

3- يهدف البرنامج المدروس إلى "مناقشة أحداث" مع "تأييد الإجراءات" فيما يخصّ ما تسطّره الدولة في إطار مكافحة آثار كوفيد 19 على الاقتصاد لتحقيق التّنمية، وتقديم الأخبار المخصصة لعرض جديد الموضوع المعالج إلى جانب انتقاد ممارسات تعيق مسار التّنمية.

4- تباينت القيم ببرنامج "محاور واتجاهات"، لكنّ قيمة "احترام الآخر" تصدّرت القائمة بالإضافة إلى قيمة "تبادل الآراء".

5- الاتجاه الإيجابي هو الغالب على مضمون برنامج "محاور واتجاهات" بنسبة 66,66 % فيما يخص جهود الدولة لمكافحة وباء كوفيد 19.

6- تنوّعت القوالب الإعلامية المستغلة بالبرنامج بين حديث صحفي، وربورتاج، وتقرير إعلامي.

7- عالج برنامج "محاور واتجاهات" القضايا التنمويّة الاقتصاديّة بلغة عربية فصحى، ضمّت أكبر تكرار وبنسبة كبيرة جدا من حيث الأفكار التي قدمت بها.

8- اعتمد البرنامج محل الدراسة على أساليب إقناعيّة متباينة بين منطقية ودينية وعاطفية وتخويفيّة، وترأست "الأساليب الإقناعيّة العاطفيّة " قائمة الأساليب بنسبة 58,33 %، وهو ما يدلّ على أنّ المعالجة الإعلامية للبرنامج تعتمد بشكل كبير على التّعبير العاطفي الذي يخاطب مشاعر الجمهور المستهدف بالدرجة الأولى، مع اعتماده أحيانا على أساليب إقناعيّة أخرى.

وفي ختام هذه الدراسة يمكن القول أنّ للإعلام الجزائريّ دورا جوهريّا في معالجة القضايا التّنموية في ظلّ الأزمات، كأزمة كوفيد 19 التي خلفت آثارا على العديد من المجالات، ويبقى عليه تكثيف جهوده لمعالجة أشمل.

وعليه نورد جملة من **التوصيات** التي تدفع بالتلفزيون الجزائري إلى تطوير آليات المعالجة والعمل على ترقية مستوى الرسالة التنمويّة في الظروف العادية بشكل عام، وفي أوقات الأزمات بشكل خاص:

- الحرص على إشباع رغبات المشاهدين في معالجة إعلامية تحليلية وتفسيرية ونقدية لمختلف القضايا.
- المواكبة الدائمة والدقيقة للتغير الحاصل في ميدان الأزمة.
- اعتماد أسلوب الحوار التنمويّ، وفتح المجال لشخصيّات متنوعة للمشاركة في إثراء ومناقشة القضايا التنمويّة.
- إقامة تعاون جادّ وحقيقي مع الأطراف الناشطة في المجال التنموي عامة والتنمية الاقتصاديّة خاصّة.
- تفعيل دور الجمعيّات التّوعويّة، وإدراج برامج التّنمية في نشاطاتهم.
- تخصيص مساحة زمنية أكبر للبرامج التنمويّة.

قائمة المصادر والمراجع:

أوّلا: الكتب

1- المصمودي مصطفى، 1985، النظام الإعلامي الجديد، الكويتن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

2- بدر أحمد، 1996 ، أصول البحث العلمي ومناهجه، القاهرة، المكتبة الأكاديمية.

3- بن مرسلي أحمد، 2005، مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال، ط2، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

4- بوحوش عمار ومحمود محمد، 1995، مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

5- حجاب محمد منير، 1998، الإعلام والتنمية الشاملة، ط1، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع.

6 ـ حجاب محمد منير، 2003، الموسوعة الإعلامية، ط5، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع.

7- خضور أديب، 2000، الإعلام العربي على أبواب القرن الحادي والعشرين، ط1، دار المقتبس، دمشق.

8- خضور أديب، 2003، الإعلام المتخصص، ط1، دمشق: المكتبة الإعلامية.

9- طلحة، أحمد الوليد، 2020، التّداعيات الاقتصاديّة لفيروس كورونا المستجدّ على الدول العربيّة، الإمارات العربيّة المتّحدّة: صندوق النقد العربي.

10- زارع أحمد، 1984، الإعلام والتّنمية، ط1، القاهرة، مطبعة شمس.

11- عبد الحميد، محمد،2008، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام والاتصال، ط1، بيروت، دار الهلال.

12- عدلي العبد عاطف، 2006، استطلاعات وبحوث الإعلام والرأي العام، الأسس النظرية والنماذج التطبيقية، القاهرة: دار الفكر العربي.

13- عسل إبراهيم حسين، 2006، التّنمية في الفكر الإسلامي: مفاهيم، عطاءات، أساليب، بيروت: مؤسسة مجد للدراسات الجامعية.

14- Laurence Bardin, 2007, L'analyse de contenu, France Universitaire, Presses.

ثانيا: القواميس والمعاجم

15- الزاوي، الطاهر أحمد، 1980،ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، ط3، بيروت: دار الفكر.

16- المعجم الوسيط، 2005، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية.

17- جعفر حسان وحداد، عصام، 2011، المنبع الموسع، قاموس عربي، لبنان، دار صبح.

18- حجاب محمد منير، 2004، المعجم الإعلامي، القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع.

19- Hachette, 1993, Dictionnaire de français, Algérie.

ثالثا: المقالات

20- برقوق، سالم وزبيري رمضان، 2015، الإعلام التنموي ودوره في تحقيق التنمية المستدامة، مجلة دراسات، المجلد 2، جامعة قسنطينة 2.

21- خلفلاوي، شمس ضيات،2011، دور الإعلام في تحقيق التنمية، مجلة الحقيقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 10، رقم 19، جامعة أحمد دراية أدرار.

22- مثناني رضا، 1994، دور وسائل الإعلام في الإفصاح عن المعلومات بالبورصات العربية، المجلة التونسية للاتصال، العدد 25، تونس.

23- محمود، جمال جاسم، 2004، دور الإعلام في تحقيق التنمية والتكامل الاقتصادي العربي، مجلة جامعة دمشق،

24- عبد العزيز بتول، علي مراد فاتن،2011، المعالجة الصحفيّة لقضايا التنمية الاقتصادية في الصحافة العراقيّة ـ دراسة تحليلية لجريدة المدى نموذجا، العدد 99، بغداد، مجلة كلية الآداب.

رابعا: الرّسائل الجامعيّة

25- عباد لويزة كريمة، 2003 ـ 2004، دور التلفزيون الجزائري في التنمية الاقتصادية: دراسة وصفية تحليلية لحصة المؤشر، ماجيستير، جامعة الجزائر، كلية العلوم السياسية والإعلام، قسم علوم الإعلام والاتصال.

26- كحط محمد عبد الربيعي، 2007، الدور الثقافي للقنوات الفضائية العربية: دراسة تحليلية ميدانية، ماجستير، الدنمارك، الأكاديمية العربية المفتوحة.

خامسا: المواقع الإلكترونيّة

27- الرياحي محمد، دور وسائل الإعلام في مواجهة فيروس كورونا، 2020، متوفر على الموقع:
https://al3omk.com/514581.html
تاريخ الزيارة: 08 - 08 - 2020،

28 ـ الكفري مصطفى عبد الله، 2003، التنمية البشرية هي الغاية والنمو الاقتصادي هو الوسيلة لتحقيقها، متوفر على الموقع الإلكتروني:
http://www.m.ahewar‹org/s.asp?aid=9257&r=0

29- الموقع الرسمي لمنظمة اليونيسيف، 2020:
www.unicef.org

30- سعد الدين نادية، 2020، الإعلام في ظلّ متطلبات مواجهة وباء كورونا، متوفر على الموقع الإلكتروني:
https://arabaffairsonline.com/author/nadia-saad/

31- شلبي منى، 2020، دور الإعلام في التصدّي لكورونا، متوفر على الموقع الإلكتروني:
https://elaph.com/Web/opinion/2020/04/1288686.html

32- هاشم زاهر، 2019، الإعلام وقضايا التنمية والمجتمع، مجلة أجيال الإلكترونية، مقال متوفر على الموقع :
www‹ajeal.net/media/3652

مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 909 – 920
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

جائحة كورونا ووسائل الإعلام: قراءة في آليات التأثير

Corona Pandemic and the Media: A Reading in The Mechanisms of Impact

د/ منيـر طبـي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة العربي التبسي تبسة
mounir.tabbi@univ-tebessa.dz

تاريخ الإرسال: 2021/01/01 تاريخ القبول: 2021/05/31

الملخص:

عالج هذا المقال كيفية تأثير جائحة كورونا في الإعلام بشقيه التقليدي والميديا الجديدة، من خلال التعرض لكيفية تأثير الجائحة إيجابيا على العمل الصحفي، وتغير خارطة غرف الأخبار في مختلف المؤسسات الإعلامية السمعية والبصرية والمكتوبة وحتى الإلكترونية، إلى جانب مختلف التأثيرات السلبية على هذه المؤسسات سواء تعلق الأمر بطبيعة الإنتاج الإعلامي أو عوائد الإعلان أو التعامل مع الصحفيين وتعامل هؤلاء مع طبيعة العمل الصحفي، إضافة إلى تناول بعض الدراسات التي وضحت جانب آخر لتأثير الجائحة على الإعلام، من خلال دراسة وتحليل المصادر التي يعتمد عليها الجمهور للحصول على الأخبار المتعلقة بالجائحة، أو المصادر التي يثقون بمعلوماتها، إلى جانب المنصات الرقمية التي يعتمدون عليها لمتابعة الأخبار.

الكلمات المفتاحية: جائحة كورونا؛ الإعلام التقليدي؛ الميديا الجديدة؛ المؤسسات الإعلامية.

Abstract:

This article deals with how the Corona pandemic affects the media, both traditional and new, by examining how the pandemic affects positively on journalistic work, and changing the map of newsrooms in various audio-visual, written and even electronic media institutions, in addition to the various negative effects on these institutions, regardless of the matter. The nature of media production, advertising revenues, or dealing with journalists and their treatment of the nature of journalistic work, in addition to dealing with some studies that clarified another aspect of the impact of the pandemic on the media, by studying and analyzing the sources that the public relies on to obtain news related to the pandemic, or the sources they trust With their information, as well as the digital platforms they depend on to follow the news.

Key words: Corona pandemic; Traditional media; New media; Media institutions.

مقدّمة:

المعروف أن الإعلام بأشكاله المختلفة؛ السمعية والبصرية والمكتوبة وحتى الإلكترونية يقوم بدور مهم تجاه مجتمعاته، وهذا الدور يظهر في حالة السلم كما في حالة الأزمات، وعندما تحدث هذه الأخيرة يزيد في الغالب الاهتمام بالأحداث، ويزيد معها دور الإعلام في تغطية ومعالجة تلك الأحداث، تماشيا مع اهتمام الناس بها على اختلاف مشاربهم الفكرية والثقافية والاجتماعية، وهذا ما يسميه المختصون في علوم الإعلام والاتصال بإعلام الأزمات، أي الإعلام الذي يهتم بالأزمة من خلال التعرض لأسبابها ومسبباتها وحيثياتها ونتائجها والحلول الممكنة، لكن أن يقع الإعلام في حد ذاته في أزمة نتيجة وجود أزمة، فهذا الذي يتعرض

له المقال من خلال دراسة جوانب تأثر الإعلام التقليدي والميديا الجديدة بأزمة جائحة كورونا من خلال عدة مستويات، والتي أظهرت جوانب سلبية عديدة على غرار الإيجابية منها على المؤسسات الإعلامية.

رؤية جديدة للعمل الصحفي وغرف الأخبار

كانت وسائل الإعلام ومازالت في الوقت الراهن قوة هائلة لما تمارسه من هيمنة ثقافية واقتصادية وسياسية وأيديولوجية ودينية، تفرض نفسها ومكانتها في حياتنا اليومية، وخاصة منها الإعلام الجديد الذي تغلغل إلى منازلنا دون سابق إنذار، وأصبح لا يمكن الاستغناء عنها، حيث اخترقت الحدود الزمنية والمكانية، وأصبحت حتمية تكنولوجية تفرض نفسها في حياتنا اليومية وخاصة في ظل إدارة أزمة فيروس كورونا، ومما لا شك فيه أن وسائل الإعلام سواء التقليدية (التليفزيون، الراديو، الصحف والمجلات...) أو الحديثة (مواقع الأنترنت، مواقع التواصل الاجتماعي، التطبيقات والوسائط، تكنولوجيا الإعلام والاتصال...) لها العديد من التوجهات القيمية والأخلاقية والثقافية والدينية والسياسية والفكرية، التي يصبح لها تأثير كبير (إيجابي/سلبي) في مواجهة الأزمات ومنها أزمة جائحة كورونا[1].

غير أن طبيعة وخصائص الأزمات في حد ذاتها تجعل الكثير من وسائل الإعلام تضع تلك التوجهات جانبا، وتسعى إلى مجابهة تلك الأزمة بكل موضوعية وحيادية ومهنية، لأن الطلب على المعلومة التي تحمل تلك المعايير مطلوب من قبل الجماهير في مثل هذه الأوقات (حدوث الأزمات).

فلم تترك وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية والإلكترونية شاردة أو واردة متعلقة بفيروس كورونا، منذ الإفصاح عن اكتشافه وانتشاره إلا وأتت عليها بحثا وتفصيلا وتحليلا وتدقيقا، وقد شكل هذا الجهد الاستثنائي غير المسبوق في تاريخ الإعلام، من حيث وحدة موضوعه ومن حيث الاهتمام به، قاسما مشتركا التقت عنده وسائل الإعلام كلها على اختلاف صنوفها ولغاتها ومشاربها ومواقعها الجغرافية واستراتيجياتها، فصدمة جائحة كورونا وتهديدها للإنسان ولمفردات ومقومات وجوده بلا تمييز، بدت كصرخة مدوية في عمق الوعي البشري عموما، وتجلى صداها في المنابر الإعلامية كأحد أهم أذرع المواجهة مع كورونا بشكل خاص، حيث جندت إمكاناتها وعقول القائمين عليها ومهاراتهم بمختلف مواقعهم الجغرافية والمهنية، مذيعين، مراسلين، محاورين، كتاب...إلخ، لتحفيز وعي الرأي العام وتنوير العقول وتغذيتها بما ينفع ويساهم في تطوير مهارات الإنسان، ومنحه وسائل مواجهة تحديات الطبيعة والتحديات التي تفرضها سيرورة وتطور الوباء[2].

وهذه هي الرسالة المنوطة بالإعلام وأشكاله المختلفة، فكما ذكرنا سابقا عادة ما يزيد الاهتمام بوسائل الإعلام أثناء حدوث الأزمات في المستوى العادي، أما أن تكون الأزمة في اتصال مباشر مع الجمهور وإمكانية تأثره بها هو كذلك، فهذا يجعل مستوى الاهتمام في أعلى درجاته، فالحاجة للأمن والسلامة الجسدية تجعل الجمهور يبحث عن الحقيقة والمعلومة الأكيدة عبر مختلف وسائل الإعلام.

فقد قالت مديرة الإعلام في BBC التي تشهد مستويات حضور قياسية: "في إطار الوضع الصحي الطارئ، توفير أنباء جديرة بالثقة ودقيقة أمر حيوي"، مؤكدة أن هذه المؤسسة الإعلامية البريطانية العامة "لديها دور أساسي لتلعبه"، أما "ريكاردو كيرشبوم" الذي يعمل في صحيفة "كلارين" اليومية الأرجنتينية الأوسع انتشارا في البلاد، فقال إن "القراء يبحثون عن تحليلات إضافية وخدمات إخبارية وشهادات"، وقالت "مارينا ووكر" من "مركز بوليتزر" المنظمة غير الحكومية الأميركية التي تدعم الصحافة، إنها "ليست مرحلة ملائمة للسبق الصحفي والعمل كالعادة"، وأضافت: "نحن جميعا نواجه العدو نفسه، إنها فترة

تضامن والعمل في العمق، والبرهنة على أننا نكتب لقراء وليس لأجندات سياسية أو لمصالح اقتصادية"[3].

وهذه الشهادات من أهل الاختصاص ما هي إلا دليل على أن كبر حجم وتأثير أي أزمة وخاصة الأزمات الصحية مثل جائحة كورونا، لها التأثير البالغ في تغير أنماط العمل الصحفي وأساسياته نحو طبيعة جديدة، تتلاءم والظرف الذي يمر به الإعلام والجمهور على حد سواء.

ووفق هذا الأساس تحاول وسائل الإعلام على اختلاف أشكالها؛ السمعية والبصرية والمكتوبة وحتى الإلكترونية التكيف مع أزمة جائحة كورونا، من خلال جعل منتوجها الإعلامي يناسب تطلعات الجمهور الذي أصبح متلهفا على المعلومة الصحية الأكيدة والحقيقية، وفي هذا الصدد يحاول الباحث ياسر عبد العزيز شرح أهم خمسة تأثيرات لجائحة كورونا على الإعلام من خلال[4]:

- شجعت جائحة كورونا الصناعة على إجراء تغيير جذري في آليات عملها، وصولا إلى ما يمكن وصفه بأنه "نموذج أعمال جديد"؛ حيث سيتم تخفيف أعداد العاملين، والاعتماد على مناوبات لبعض الوقت، والسماح لأعداد كبيرة من الكوادر بالعمل من المنزل، والقيام بتغطيات "ميدانية" عن بعد، وتصميم دورة عمل (Workflow) أكثر ذكاء واعتمادية تقنية؛
- إعادة صياغة أولويات الجمهور وصناع الأجندات الإعلامية، فقد أمكن اختبار قدرة الجمهور على الإخلاص لأولويات جادة، صحيح أن ذلك حدث في أجواء الغموض والخطر، التي تأخذ الجمهور حتما إلى البحث عن البدائل ضمن التغطيات الموثوقة، لكنه كان تمرينا صحيا على أجندة أولويات لا تتصدرها المعالجات الترفيهية والأخبار الخاطفة للاهتمام والخالية من المعنى؛
- إعادة الاعتبار لوسائل الإعلام الموصوفة بـ"التقليدية" في مواجهة تلك المعروفة بـ"الجديدة"، هنا سيعود الفضل مجددا لأجواء الغموض والخطر التي يزيد فيها ميل الجمهور بحسب خبراء الإعلام، إلى البحث عن المصادر الأكثر صدقا والتي تخضع لنمط من المحاسبة والمساءلة بطبيعتها؛
- يبدو أن قطاعات غالبة من الجمهور انخرطت طوعا في ورشة "تربية إعلامية" (Media Literacy) كبرى، فباتت تلك القطاعات أكثر وعيا واهتماما بطبيعة الوسائل التي تحصل منها على المعلومات وبسمعتها المهنية، وأكثر تدقيقا في صحة المصادر، وأكثر رغبة في الاعتماد على مصادر متنوعة موثوقة، وأقل قابلية للتلاعب؛ وهي كلها من نتائج "التربية الإعلامية" الفعالة، التي تستهدف إجمالا تعزيز قدرات الجمهور على التعامل مع وسائل الإعلام؛
- يبدو أن وسائل الإعلام ستُمنى بخسائر اقتصادية كبيرة نتيجة لتراجع عوائد الإعلان وصعوبات عمليات الإنتاج، فقد تتوقف بعض الصحف المطبوعة عن الصدور تحت وطأة الأزمة المستجدة التي تضافرت مع المشكلات المزمنة، وستقلص بيوت إنتاج كبرى عملياتها، وسيتم صرف بعض العاملين.

هل من آثار جانبية للكورونا على الإعلام؟

في هذه النقطة تشير تقارير مكاتب متخصصة في الإعلان إلى أن مداخيل القنوات التليفزيونية الأميركية الكبرى، ستنخفض بنسبة 13% حسب تقرير أصدره مكتب الدراسات Magna، وفي 2021 تتوقع الدراسات ارتفاعا بنسبة 0.8% للمؤسسات التليفزيونية، وانخفاضا كبيرا في مستوى إيرادات القنوات المحلية، ولكن في المقابل فإن الإعلان السياسي (المقدر بـ 5 مليارات دولار) يمكن أن يعوض جزئيا هذه الخسائر، ويبدو جليا أن التأثيرات الأكثر حدة ستشمل الميديا غير الربحية حتى إن بعض التوقعات المستقبلية تتحدث عن اندثار البعض منها، وفي تقرير عن تأثيرات الأزمة صادر عن معهد Poynter، فإن تراجع

الإيرادات الإعلانية أدى إلى تأثيرات خطرة، خاصة على المجلات الأسبوعية التي تمثل صحافة بديلة عن الصحافة السائدة الإخبارية، مما سيدفع بجزء من المجلات الإخبارية للتوقف عن الصدور، وترى بعض التحليلات أيضا أن الأزمة ستقتل لا محالة الصحافة المكتوبة المحلية، التي كانت تعتمد على قطاعات مثل توزيع السيارات والتجارة بالتفصيل والسينما[5]. وهذه القطاعات متصلة بشكل كبير بالصحافة المكتوبة المحلية، من خلال تعاقدات الإعلان والدعاية، والتي هي بدورها تأثرت بجائحة كورونا التي استدعت في كثير من المرات الإغلاق الجزئي والتام لبعض الولايات الأمريكية، مما أثر على جمهورها ومبيعاتها وأسواقها التجارية وحركة إعلاناتها ودعايتها.

وفي فرنسا تفيد معطيات نشرتها صحيفة "لوموند" عن ميزانياتها أن إيراداتها من الصحافة الورقية تمثل 79%، أما على مستوى مؤسسة "لوموند" التي تتكون من عدة صحف ومواقع، فإن التوزيع يمثل 68% من إيرادات المؤسسة، و20% من الإعلان، و12% من مصادر أخرى، ويمكن أن تكون الأزمة مسرعة للتحولات التي يشهدها قطاع الصحافة والميديا، في مستوى التخلي تدريجيا عن التوزيع الورقي لصالح التوزيع الرقمي من جهة أولى، وتطوير مصادر الدخل القائمة على الاشتراك والتخلي تدريجيا عن الإشهار أو الإعلان كمصدر من مصادر دخل الصحافة، لكن هذا المسار نحو الرقمي يرتبط بعدة متغيرات، منها حسب Jean Marie Charonمتغيران أساسيان: يتصل المتغير الأول بالموارد الاقتصادية التي تتمتع بها المؤسسات، وبطبيعة المجموعات الاقتصادية التي تكون مرتبطة بها، والتي يمكن أن توفر لها الموارد الضرورية للابتكار والاستمرار، أما المتغير الثاني فيرتبط بطبيعة الجمهور الذي تتوجه إليه الصحافة؛ فكلما كان الجمهور متعلما ومترفا ماديا كان لمؤسسة الميديا إمكانات لتطوير مضامين تحريرية رقمية، بمقابل على عكس الصحافة التي تتوجه إلى جمهور شعبي محدود الموارد الاقتصادية[6].

فالمتغير الأول (المؤسسات الإعلامية) متأثر أصلا بالجائحة وتراجع عائدات الإعلان، إلى جانب المجموعات الاقتصادية المرتبطة بها والتي تأثرت عائداتها المالية هي الأخرى نتيجة الإغلاق الجزئي أو التام في فرنسا، أما المتغير الثاني فهو متأرجح تأرجح القدرة الشرائية والمستوى الاقتصادي العام للجمهور نتيجة الأزمة على المستوى المحلي والأوروبي والدولي، ومن هنا تظهر نسبية الانتقال من الورقي إلى الرقمي في فرنسا جراء هذه الأزمة.

كما حفلت وسائل التواصل الاجتماعي بقصص عن فقدان عدد كبير من الصحافيين لوظائفهم، وإعلان مؤسسات تلفزيونية عربية وأجنبية، عن تسريح عدد كبير من موظفيها، فيم وجد بعض الصحافيين في الولايات المتحدة طرقا لمساعدة زملائهم على دفع الإيجار أو شراء البقالة لأنهم فقدوا (أو خفضت) رواتبهم، بسبب حالات التسريح من العمل والإجازات غير المدفوعة، بحسب وكالة "أسوشيتد برس"، كما أفادت دراسة نشرها الاتحاد الدولي للصحافيين، بأن ظروف عمل الصحافيين والمراسلين حول العالم تدهورت خلال جائحة كورونا، وبحسب تلك الدراسة فإن الاتحاد تواصل مع 1308 صحافيين في 77 دولة، وقال إن 3 من كل 4 صحافيين واجهوا قيودا أو عرقلة أو تخويفا أثناء تغطيتهم لأزمة الفيروس، وقال أن ما يقرب من 1 من كل 4 صحافيين يكافحون من أجل الوصول إلى المعلومات، واشتكى كثيرون من القيود المفروضة على حرية الحركة أو طرح الأسئلة خلال المؤتمرات الصحفية خصوصا الافتراضية، كما أثر العمل وسط أزمة الفيروس على الصحة العقلية للصحافيين، حيث بات أكثر من نصفهم يعانون من التوتر والقلق، وفي هذا الصدد قال الاتحاد إن أكثر من ربع المراسلين قالوا إنهم يفتقرون إلى المعدات المناسبة للعمل من المنزل

في ظروف آمنة، وسط إجراءات الإغلاق التي طبقت على نطاق واسع لإبطاء انتشار الفيروس[7]. ما يشير إلى تأثر الصحفيين والإعلاميين بالجائحة على كل المستويات (تحريرية، عملية، وظيفية، نفسية...).

وحفلت الأنباء التي تداولتها وسائل الإعلام بالرقابة المشددة التي فرضتها بعض الدول على أخبار الجائحة، في روسيا وتركيا وإيران، غير أن الصين وقفت على رأس اللائحة بعدما باشرت فرض تعتيم على تفشي المرض، وحتى في الولايات المتحدة لم يسلم الصحافيون من المساءلة التي كانت في معظمها من مؤسسات خاصة، ومع أنها لا تشير إلى نهج سلطوي ترعاه الحكومة الأميركية، فإنها كشفت عن مدى تأثير الهجوم المتواصل الذي يشنه الرئيس "دونالد ترامب" على الإعلام، واصفا إياه بـ"الإعلام الكاذب"، فقد رفعت جامعة "ليبرتي" دعوى على اثنين من الصحافيين يعملان بالقطعة مع صحيفتي "بروبابليكا" و"نيويورك تايمز"، وطالبت بحبسهم لما يصل إلى عام بتهمة التعدي الإجرامي، والدخول من دون تصريح، والقيام بمقابلة شهود، لإجراء تحقيق في أواخر شهر مارس الماضي عن أسباب إبقاء فرع الكلية الإنجيلية في ولاية "فيرجينيا" أبوابه مفتوحة جزئيا، رغم أوامر الإغلاق بسبب تفشي فيروس كورونا[8].

وفي إفريقيا تتراجع الإيرادات وتزداد حالات التسريح من العمل، بعدما كانت تكافح لتوفير التمويل وسط معاناة معتادة، وشكل الاستغناء الأخير عن الموظفين أنباء مفاجئة ومؤلمة للصحافيين في اثنتين من أكثر الصحف المستقلة شعبية في نيجيريا، عندما أعلنت صحيفتا "ذا بنش" و"فانغارد" قراراتهما الفترة الماضية، وهذه القرارات هي الأخيرة التي تهز الصحافة النيجيرية التي تعد واحدة من الأكثر حيوية في القارة، بعدما تسببت التداعيات الاقتصادية للوباء في انخفاض عوائد المبيعات والإعلانات، وقال رئيس اتحاد الصحافيين في "لاغوس" العاصمة النيجيرية "قاسم أكينريتي": "ما يحدث في نيجيريا ليس غريبا بالنسبة لنا، العالم كله يشعر بالتأثير"، وتابع: "بالنسبة لنا في وسائل الإعلام النيجيرية القصة هي نفسها، فقدنا مئات الوظائف في الأشهر الماضية"، وفي كينيا، خفّضت بعض شركات الإعلام الأجور بما يصل إلى النصف، وفي أوغندا توقفت مطبوعة أسبوعية رائدة عن طباعة أعدادها، وفي ناميبيا تم تخفيض ساعات العمل وتسريح الموظفين الزائدين عن حاجة العمل، وأثارت سرعة وشدة الأزمة الحالية دعوات لخطة إنقاذ حكومية، وخصصت الصحف الخاصة في الكاميرون يوما "للصحافة الميتة"، للتنديد بعدم اتخاذ إجراءات من قبل الحكومة.[9] الشيء الذي يزيد من متاعب الصحافة والإعلام في إفريقيا والتي كانت موجودة أصلا قبل الجائحة، من حيث قلة الإمكانيات وضعف التمويل وصعوبة ظروف العمل وضعف المستوى الاقتصادي للأفارقة بشكل عام، وهو ما من شأنه التأثير بشكل مباشر في الأسواق التجارية وحركة البيع والشراء، ومن ثم ضعف التعاقدات الإعلانية والتي تعتبر العصب الأساسي للمؤسسات الإعلامية بشكل عام.

جائحة كورونا تُصالح الجمهور مع الإعلام التقليدي

أعاد فيروس "كورونا" المستجد الاعتبار لوسائل الإعلام التقليدية، بعدما باتت منابرها المتمايزة مصدرا معتبرا للمعلومة، ومرفدا مهما للتغطية الأشمل منسوبا وتنوعا للأزمة، غداة "هجرة" الجمهور "الجزئية" منها إلى منصات الشبكة العنكبوتية، ولكنه شكل أيضا موضع تحد وازن بالنسبة لها، مما انعكس في خطاب التعاطي الإعلامي مع الجائحة، التي لا يزال العالم يُقارع تبعات تفشيها المتسارعة حتى الآن[10].

فقد أشار استطلاع أجراه معهد "إيبسوس" لموقع "أكسيوس" الإخباري إلى أنه للاطلاع على التطورات المرتبطة بالفيروس، ما زال نصف الأميركيين يثقون بوسائل الإعلام التقليدية، بينما تثق نسبة أقل بكثير

بشبكات التواصل الاجتماعي.[11] وهذا قد يرجع بالأساس إلى سببين أساسيين؛ أولهما أن الجمهور لا يزال لا يثق كثيرا بالأخبار المتداولة عبر مختلف المنصات الإلكترونية إلا الرصين والمعروف منها، وثانيهما أن الجمهور ذو الأعمار فوق الأربعين أي بعد مرحلة الشباب مازالوا متعلقين بوسائل الإعلام التقليدية، والتي يكاد يتابعها الشباب في أغلبهم مقارنة بالفئات السنية الأخرى.

وفضلا عن الحسنات العديدة التي حملها معه فيروس كورونا إلى العالم، ولعل أهمها يكمن في تسريع وتيرة رقمنة مختلف مناحي الحياة والخدمات الاجتماعية، فقد أعاد "ثقة" اعتُبِرتْ إلى زمن قريب "مفقودة" أو "هشة"، بين وسائل الإعلام الجماهيرية التقليدية وفئات واسعة من مستهلكي الأخبار عبر العالم، لا سيما الشباب أقل من 35 عاما، إنه معطى واقعي يجد تفسيره التجريبي فيما توصل إليه "معهد رويترز لدراسة الصحافة" التابع لجامعة "أكسفورد" البريطانية، من نتائج وخلاصات في تقريره السنوي لعام 2020 حول الأخبار الرقمية، أكدت تحقيق القنوات التلفزيونية في 6 دول من مختلف القارات، شملها استبيان أجري مطلع أفريل 2020، قفزة -يمكن اعتبارها كبيرة- في نسب اعتمادها كمصدر للأخبار، مقارنة بشهور قليلة قبلها[12]. وهنا وجب التنويه على أهمية هذه الدراسات أو التقارير التي تجرى قبل وبعد الأزمات والأحداث، والتي تعطي مؤشرات جد قريبة من الواقع، ويمكن على أساسها قراءة الواقع واستشراف المستقبل.

ويستند التقرير في جانب منه على استبيان أجري مطلع شهر أفريل في 6 دول حول العالم وهي المملكة المتحدة، الولايات المتحدة الأميركية، ألمانيا، إسبانيا، كوريا الجنوبية والأرجنتين، بمقارنة مع استبيان سابق أجري في شهر جانفي مطلع العام، أي قبل بدء جائحة كورونا، وأبرز ما أظهره التقرير هو تغير سلوكيات الجمهور في الحصول على الأخبار بشكل كبير وفي كافة المجالات، سواءً في المصادر التي يعتمدها الجمهور للحصول على الأخبار المتعلقة بفيروس كورونا، أو الجهات التي يثقون بمعلوماتها، وكذلك المنصات الرقمية التي يعتمدونها لمتابعة الأخبار، وحسب أرقام التقرير فإن الاعتماد على القنوات التلفزيونية كمصدر للأخبار، ارتفع بما نسبته 5٪ في الدول الست، خلال شهر أفريل، مقارنة بالأرقام في شهر جانفي مطلع العام الجاري، أي أن جائحة فيروس كورونا قد أعادت جزءا من اعتماد الجمهور على القنوات التلفزيونية كمصدر للأخبار، وبنسبة قربتها جدا من مصادر الأخبار الرقمية التي بقيت المصدر الأكثر اعتمادا[13].

جدول يوضح نسب اعتماد الجمهور على وسائل الإعلام المختلفة كمصدر للأخبار في ست دول حول العالم Reuters Institute Digital News Report [14]

PROPORTION THAT USED EACH AS A SOURCE OF NEWS IN THE LAST WEEK (APRIL 2020) – SELECTED COUNTRIES

	Online (incl. social media)	TV	Social media	Radio	Print (incl. mags)
UK	79%	71%	47%	35%	18%
USA	73%	60%	47%	21%	16%
Germany	69%	72%	39%	41%	26%
Spain	83%	71%	63%	24%	28%
South Korea	85%	65%	51%	14%	19%
Argentina	90%	77%	78%	24%	30%
Average change from January	+2	+5	+5	+2	-2

بالنسبة لنسب اعتماد الجمهور على وسائل الإعلام المختلفة (الأنترنت، التلفزيون، مواقع التواصل الاجتماعي، الإذاعة، الصحافة المطبوعة)، كمصدر للأخبار في زمن جائحة كورونا بالدول الستة مكان الدراسة (المملكة المتحدة، الولايات المتحدة الأمريكية، ألمانيا، إسبانيا، كوريا الجنوبية، الأرجنتين)، يلاحظ بشكل واضح معدل الزيادة في الاعتماد على التلفزيون ومواقع التواصل الاجتماعي كمصدر للأخبار (+5%) لكل منهما، مقارنة بالإذاعة وشبكة الأنترنت (+2%)، فيم نلاحظ تراجع الاعتماد على الصحافة المكتوبة كمصدر للأخبار (-2%)، وهذا مقارنة قبل ظهور الجائحة، أي أن الاعتماد على وسائل الإعلام التقليدية والحديثة باستثناء الصحافة المطبوعة، زاد كمصدر للمعلومة خلال جائحة كورونا مقارنة بما قبلها، وبالنسبة للتفاوت بين الدول في حد ذاتها فيلاحظ زيادة الاعتماد على التلفزيون وشبكة الأنترنت في كل الدول محل الدراسة مقارنة بمواقع التواصل الاجتماعي والإذاعة والصحف المطبوعة بشكل عام، وهذا يرجع بشكل أساسي لخصائص تلك الوسائل (التلفزيون وشبكة الأنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي) الاتصالية (صورة، فيديو، صوت، تفاعل)، مقارنة بالإذاعة والصحف المطبوعة التي تقل فيها التفاعلية والخصائص الاتصالية، التي يمكن أن يتفاعل ويستفيد منها الجمهور في موضوع يحتاج إلى كثير من التفاصيل مثل موضوع جائحة كورونا.

رسم بياني يوضح سلوك الفئات السنية للجمهور تجاه مصدر الأخبار المعتمد لديهم في شهر أبريل مقارنة مع شهر يناير مطلع العام Reuters Institute Digital News Report [15]

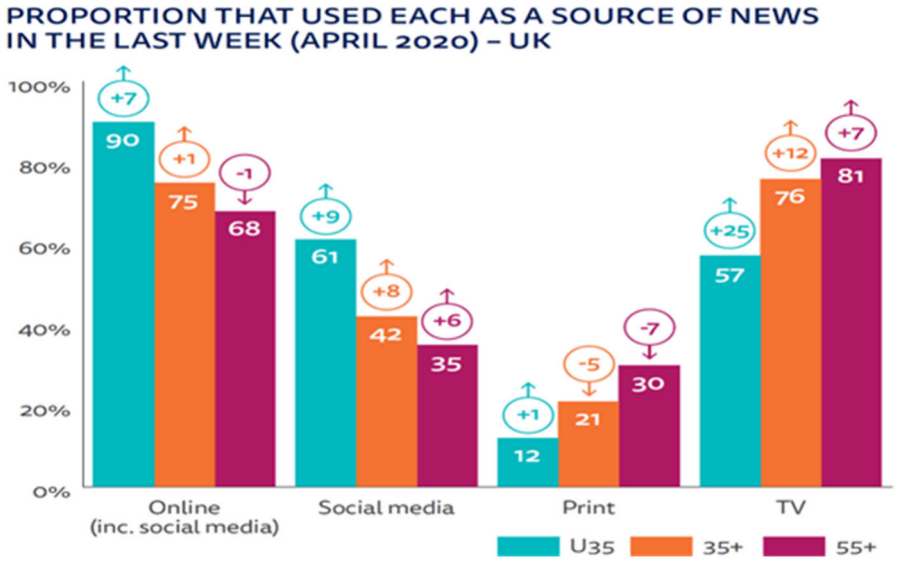

بالنسبة لسلوك الجمهور تجاه مصدر الأخبار المعتمد لديهم في المملكة المتحدة خلا جائحة كورونا، نجد أن الفئة السنية الأقل من 35 سنة لها اتجاه إيجابي بنسبة كبيرة (+25%) نحو التلفزيون ثم مواقع التواصل الاجتماعي (+9%) ثم شبكة الأنترنت (+7%) ثم الصحف المطبوعة (+1%)، أما بالنسبة للفئة السنية الأكثر من 35 سنة فنجد أن لها اتجاه إيجابي نحو التلفزيون أولا (+12%) ثم مواقع التواصل الاجتماعي (+8%) ثم شبكة الأنترنت (+1%)، فيم لديها اتجاه سلبي نحو الصحف المطبوعة (-5%)، أما بالنسبة للفئة السنية أكثر من 55 سنة فاتجاههم إيجابي أولا نحو التلفزيون (+7%) ثم مواقع التواصل الاجتماعي (+6%)، فيم لديهم اتجاه سلبي نحو الصحف المطبوعة على حد السواء (-7%) ثم شبكة الأنترنت (-1%)، والملاحظ بشكل عام على هذا الرسم البياني هو اتفاق جميع الفئات السنية على الاتجاه الإيجابي نحو التلفزيون بدرجة أولى ثم مواقع التواصل الاجتماعي بنسب مختلفة، أما الاتجاه السلبي فكان للصحف المطبوعة لجميع الفئات عد الأقل من 35 سنة، وهذا يؤكد نتائج الجدول السابق الذي أكدنا فيه أهمية التلفزيون ومواقع التواصل الاجتماعي وخصائصهما الاتصالية زمن جائحة كورونا، مقارنة بالصحف المطبوعة التي تفتقر إلى مثل هذه الخصائص والتي تجعل الاتجاهات سلبية نحوها أكثر من غيرها.

وللميديا الجديدة نصيب أيضا

لقد صاحب تفشي جائحة كورونا زيادة ملحوظة في استهلاك الأخبار والإقبال على المصادر الرقمية، للاطلاع على معلومات حول الوباء المستجد والتعرف على الوضع الصحي، وكيفية التعامل مع الوباء في ظل حالة الخوف والقلق من الإصابة، فقد اختلفت توجهات القراء في زمن الحجر الصحي كما وكيفا، وصاحب تضاعف الزيارات تغير في طريقة متابعتهم وولوجهم للمواقع الإخبارية المختلفة، فصيغة التلقي حسب المتخصصين تراوحت بين الترقب والأمل؛ فالمتابعة كثيفة للمواد المتعلقة بتطورات الوباء وعداد ضحاياه وطرق الوقاية منه، فيما تراجعت محتويات كانت تتصدر قائمة اهتمامات القراء مثل الرياضة؛ وذلك بسبب توقف أنشطتها، فضلا على متابعة أخبار تطوير لقاحات وعلاجات الفيروس بشغف في بداية

الأزمة، لكن تراجع الاهتمام مع الوقت بسبب تكرار الحديث عن اللقاحات والأدوية دون أن يرى الناس إنتاج لقاح فعليا، فباتوا متشككين، لكنهم ما زالوا يتصفحون أخبارها.[16] أي أن التعرض للمصادر الرقمية مازال يحافظ على صدارته حتى أنه ينافس في بعض الأحيان المصادر التقليدية، وهذا ما قد يحتاج مستقبلا لدراسات وأبحاث تقيس الأسباب والمسببات لهذا التعرض الكثيف خاصة أثناء الأحداث والأزمات، بالرغم من أن المصادر الرقمية كثيرا ما تنتقد في ضعف مصداقيتها وموثوقيتها أثناء الأحداث والأزمات، ومع ذلك وأثناء جائحة كورونا زاد التعرض لها بشكل كثيف!!!، والرسم البياني أدناه يوضح هذه المفارقة.

وبالحديث عن محتويات وأشكال الميديا الجديدة التي حظيت باستهلاك كبير في ظل الأزمة، نجد محتوى الفيديو سواء كانت مقاطع أو بثا مباشرا، المنصات المتخصصة ولا سيما الطبية، والمحتوى التفسيري الشارح المرتبط بتحليل أداء الحكومات في مكافحة الوباء، القصص الإنسانية في ظلال الجائحة، استخدام الأدوات التفاعلية لتحليل الأرقام وشرح تطور منحنى الوباء، وعقد المقارنات بين دولة وأخرى أو تطور الإصابات بين فترة زمنية وأخرى، كذا الخدمات المتعلقة بالمحتوى الترفيهي والعروض على تطبيقات المشاهدة، وكيفية قضاء وقت الحجر، علما بأن نسبة كبيرة من زوار المواقع الإلكترونية مؤخرا جاءت عبر الزيارات المباشرة عبر محرك البحث، دون أن تقتصر فقط على الدخول عبر صفحات المواقع ومنشوراتها على منصات التواصل الاجتماعي[17].

والملاحظ على طبيعة وأشكال هذه المحتويات أنها تقدم معلومات وبيانات تزيد من درجة اهتمام وتعرض الجمهور للمصادر الرقمية، تبعا للخصوصية التي تتميز بها جائحة كورونا كأزمة صحية، لكن رغم ذلك مازالت ثقة الجمهور في هذه المصادر ضعيفة إلى حد ما مقارنة بباقي المصادر الأخرى، وهذا ما يوضحه الرسم البياني أدناه الذي كان نتيجة الدراسة التي أجراها "معهد رويترز لدراسة الصحافة"، حيث أن المصادر الرقمية جاءت في مؤخرة ترتيب المصادر في درجة الموثوقية، فمحركات البحث جاءت بنسبة موثوقية (45%)، ثم مواقع الفيديو (29%)، ثم مواقع التواصل الاجتماعي(26%)، ثم مواقع التراسل(24%)، مقارنة بالمصادر الأخرى مثل العلماء والأطباء (83%)، ثم المنظمات الصحية الوطنية (76%)، ثم المنظمات الصحية العالمية (73%)، ثم المؤسسات الإعلامية والحكومات الوطنية (59%) لكل منهما، ثم المعارف الشخصية (43%)، ثم السياسيين (35%)، وأخيرا الأشخاص غير المعروفين(17%).

رسم بياني يوضح نسبة ثقة الجمهور بمصادر المعلومات فيما يتعلق بالمعلومات حول فيروس كورونا Reuters Institute Digital News Report [18]

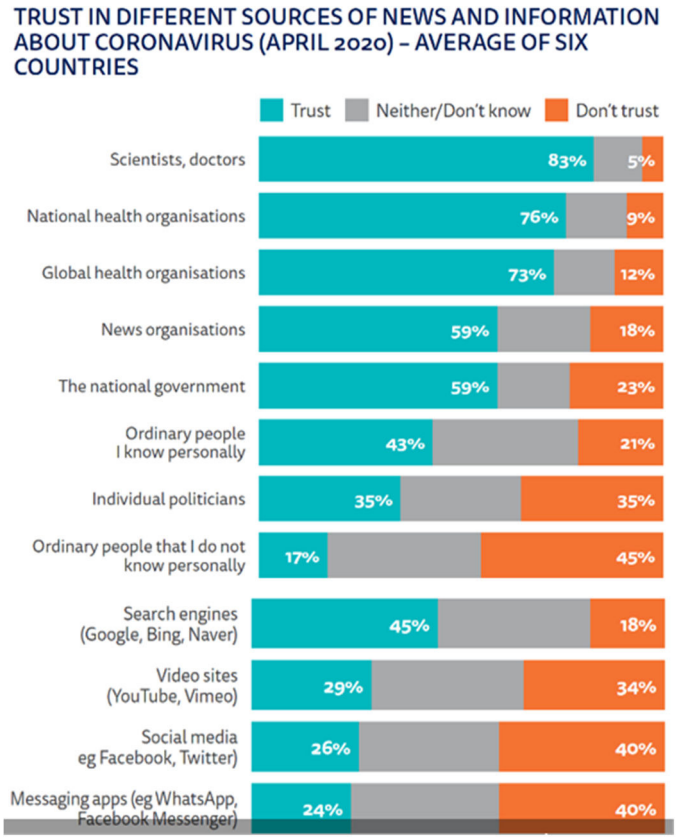

رسم بياني يبرز حضور كلمة "فيروس كورونا" في الميديا الفرنسية[19]

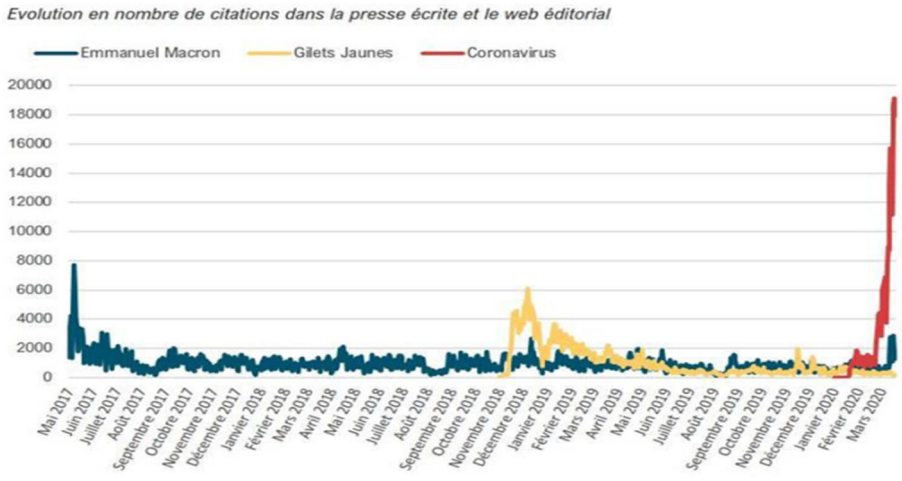

وفي فرنسا مثلا ومن خلال الرسم البياني أعلاه، نلاحظ كيف أن كلمة "فيروس كورونا" ظهرت وتوسعت بشكل كبير في وسائل الإعلام الفرنسية التقليدية والحديثة، مقارنة بنشاطات الرئيس الفرنسي "إيمانويل ماكرون" واحتجاجات "السترات الصفراء"، حيث أن أهمية الجائحة من جهة وأجندة وسائل الإعلام من جهة أخرى غطت

على الموضوعين الآخرين ابتداء من شهر جانفي إلى شهر مارس من عام 2020، فكان الاهتمام بالجائحة كبير جدا في وسائل الإعلام، رغم أن موضوع احتجاجات "السترات الصفراء كان الطاغي على وسائل الإعلام ابتداء من شهر نوفمبر 2018، ونشاطات الرئيس الفرنسي ابتداء من منتصف عام 2017.

خاتمة

أخيرا وليس آخرا، نخلص إلى أن الإعلام كأحد القطاعات المهمة في أي مجتمع، هو قطاع يؤثر ويتأثر بما حوله، والأزمات واحدة منهم وبالتالي ظهر من خلال عدة دراسات منها ما قدم في هذا المقال، أن الإعلام التقليدي والميديا الجديدة كلاهما تأثر بالجائحة، سواء على مستوى صناعة الأخبار أو من حيث علاقته بالجمهور أو من حيث سلوك واتجاه الجمهور نحو هذا الإعلام، ومهما كان حجم هذا التأثير وجب التنويه على ضرورة البحث في هذا المجال "إعلام الأزمات"، من حيث المفهوم والأبعاد والأسباب والنتائج والتقييم والتقويم، لأنه تخصص مهم ومؤثر مع أنه مناسباتي ولا يحدث دائما مثله مثل الأحداث المهمة والأزمات.

قائمة المصادر والمراجع:

- أحمد شعبان، إعلام ما بعد "كورونا"... أي مستقبل يفرضه الوباء؟ موقع مصراوي، 2020، استخرج في 2020/11/16، على الرابط https://www.masrawy.com/news/news_various/details/2020/6/23/1815956/إعلام-ما-بعد-كورونا-أي-مستقبل-يفرضه-الوباء-تقرير-
- الصادق الحمامي، الصادق، كيف غيرت جائحة كورونا صناعة الصحافة والميديا، دراسات إعلامية، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، قطر، 2020.
- العربي الجديد، وسائل الإعلام في أفريقيا تعاني جراء تداعيات كورونا، 2020، استخرج في 2020/11/15، على الرابط https://www.alaraby.co.uk/وسائل-الإعلام-في-أفريقيا-تعاني-جراء-تداعيات-كورونا
- إيلي يوسف، «كورونا» يضاعف أعباء مؤسسات الإعلام والصحافيين، جريدة الشرق الأوسط، 2020، استخرج في 2020/11/15، على الرابط https://aawsat.com/home/article/2277521/«كورونا»-يضاعف-أعباء-مؤسسات-الإعلام-والصحافيين
- دويتشه فيلله، التلفزيون الألماني الناطق بالعربية، جائحة كورونا تشكل تحدياً لوسائل الإعلام في العالم، 2020، استخرج في 2020/11/15، على الرابط https://www.dw.com/ar/جائحة-كورونا-تشكل-تحدياً-لوسائل-الإعلام-في-العالم/a-52948459
- عبد الحميد توفيق، الإعلام وكورونا... تحفيز الوعي سبيل النجاة، موقع العين الإخبارية، 2020، استخرج في 2020/11/15، على الرابط https://al-ain.com/article/media-and-corona-stimulating-awareness-escape
- مجموعة دار الشرق، أزمة كورونا تشكل اختبارا لوسائل الإعلام، 2020، استخرج في 2020/12/15، على الرابط https://al-sharq.com/article/29/03/2020/أزمة-كورونا-تشكل-اختبارا-لوسائل-الإعلام
- محمد خمايسة، في زمن كورونا الصوت الأعلى للتلفزيون... قراءة في تقرير معهد رويترز، مجلة الصحافة، معهد الجزيرة للإعلام، 2020، استخرج في 2020/11/15، على الرابط https://institute.aljazeera.net/ar/ajr/article/1114
- نادية سعد الدين، الإعلام في ظل متطلبات مواجهة وباء "كورونا"، مجلة شؤون عربية، الأمانة العامة، جامعة الدول العربية، 2020، استخرج في 2020/11/16، على الرابط https://arabaffairsonline.com/الإعلام-في-ظل-متطلبات-مواجهة-وباء-كورو/
- وليد محمد عبد الحليم محمد عاشور، تأثير وسائل الإعلام على التوعية الأسرية لمواجهة فيروس كورونا COVID-19 دراسة ميدانية، مجلة الدراسات الإعلامية، العدد الحادي عشر، المركز الديمقراطي العربي، برلين، ألمانيا، 2020.
- ياسر عبد العزيز، أثر «كورونا» في الإعلام جوهري، جريدة الشرق الأوسط، 2020، استخرج في 2020/11/15، على الرابط https://aawsat.com/home/article/2206291/أثر-«كورونا»-في-الإعلام-جوهري

- يوسف يعكوبي، وسائل الإعلام ما بعد أزمة "كوفيد 19"... المستقبل يبدأ الآن! مجلة الصحافة، معهد الجزيرة للإعلام، 2020، استخرج في 2020/11/15، على الرابط https://institute.aljazeera.net/ar/ajr/article/1213

الهوامش:

[1]- وليد محمد عبد الحليم محمد عاشور، تأثير وسائل الإعلام على التوعية الأسرية لمواجهة فيروس كورونا COVID-19 دراسة ميدانية، مجلة الدراسات الإعلامية، العدد الحادي عشر، المركز الديمقراطي العربي، برلين، ألمانيا، 2020، ص535.

[2]- عبد الحميد توفيق، الإعلام وكورونا... تحفيز الوعي سبيل النجاة، موقع العين الإخبارية، 2020، استخرج في 2020/11/15، على الرابط:
https://al-ain.com/article/media-and-corona-stimulating-awareness-escape

[3]- دويتشه فيلله، التلفزيون الألماني الناطق بالعربية، جائحة كورونا تشكل تحدياً لوسائل الإعلام في العالم، 2020، استخرج في 2020/11/15، على الرابط https://www.dw.com/ar/جائحة-كورونا-تشكل-تحدياً-لوسائل-الإعلام-في-العالم/a-52948459

[4]- ياسر عبد العزيز، أثر «كورونا» في الإعلام جوهري، جريدة الشرق الأوسط، 2020، استخرج في 2020/11/15، على الرابط https://aawsat.com/home/article/2206291/أثر-«كورونا»-في-الإعلام-جوهري

[5]- الصادق الحمامي، كيف غيرت جائحة كورونا صناعة الصحافة والميديا، دراسات إعلامية، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، قطر، 2020، ص10-11.

[6]- المرجع السابق، ص11-12.

[7]- إيلي يوسف، «كورونا» يضاعف أعباء مؤسسات الإعلام والصحافيين، جريدة الشرق الأوسط، 2020، استخرج في 2020/11/15، على الرابط https://aawsat.com/home/article/2277521/«كورونا»-يضاعف-أعباء-مؤسسات-الإعلام-والصحافيين

[8]- المرجع السابق.

[9]- العربي الجديد، وسائل الإعلام في أفريقيا تعاني جراء تداعيات كورونا، 2020، استخرج في 2020/11/15، على الرابط https://www.alaraby.co.uk/وسائل-الإعلام-في-أفريقيا-تعاني-جراء-تداعيات-كورونا

[10]- نادية سعد الدين، الإعلام في ظل متطلبات مواجهة وباء "كورونا"، مجلة شؤون عربية، الأمانة العامة، جامعة الدول العربية، 2020، استخرج في 2020/11/15، على الرابط https://arabaffairsonline.com/الإعلام-في-ظل-متطلبات-مواجهة-وباء-كورو/

[11]- مجموعة دار الشرق، أزمة كورونا تشكل اختبارا لوسائل الإعلام، 2020، استخرج في 2020/12/15، على الرابط https://al-sharq.com/article/29/03/2020/أزمة-كورونا-تشكل-اختبارا-لوسائل-الإعلام

[12]- يوسف يعكوبي، وسائل الإعلام ما بعد أزمة "كوفيد 19"... المستقبل يبدأ الآن! مجلة الصحافة، معهد الجزيرة للإعلام، 2020، استخرج في 2020/11/15، على الرابط https://institute.aljazeera.net/ar/ajr/article/1213

[13]- محمد خمايسة، في زمن كورونا الصوت الأعلى للتلفزيون... قراءة في تقرير معهد رويترز، مجلة الصحافة، معهد الجزيرة للإعلام، 2020، استخرج في 2020/11/15، على الرابط:
https://institute.aljazeera.net/ar/ajr/article/1114

[14]- المرجع السابق.

[15]- المرجع السابق.

[16]- أحمد شعبان، إعلام ما بعد "كورونا"... أي مستقبل يفرضه الوباء؟ موقع مصراوي، 2020، استخرج في 2020/11/15، على الرابط https://www.masrawy.com/news/news_various/details/2020/6/23/1815956/إعلام-ما-بعد-كورونا-أي-مستقبل-يفرضه-الوباء-تقرير

[17]- المرجع السابق.

[18]- محمد خمايسة، مرجع سابق.

[19]- الصادق الحمامي، مرجع سابق، ص8.

مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 921 – 932
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

تحقيق حادثة حرق طارق بن زياد لجثث الأسرى في فتح الأندلس

An Investigation of the incident of Tariq Bin Ziyad's burning of the prisoners in his conquest of Andalusia

طالب دكتوراه صالحي جلول[1] د/ عبد الباسط دردور
كلية العلوم الإسلامية - جامعة باتنة 1
مخبر العلوم الإسلامية في الجزائر تاريخها، مصادرها، أعلامها
djelloul.salhi@univ-batna.dz bassetderdour@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/04/12 تاريخ القبول: 2021/10/03

الملخص:
هذا المقال هو عبارة عن تحقيق في حادثة تنسب إلى أحد قادة المسلمين الكبار وهو طارق بن زياد فاتح الأندلس مفادها أنه قتل الأسرى ثم أحرق جثثهم، وهي غير مستفيضة، وذكرت في ثلاثة مصادر متقدمة فقط، وقد خلص المقال إلى إبطال هذه الحادثة من ناحيتين سندها ومتنها.
الكلمات المفتاحية: طارق بن زياد؛ جثث الأسرى؛ حرق.

Abstract:
This article is an investigation into an incident attributed to a Muslim commander, Ṭāriq ibn Ziyād the Conqueror of Al-Andalus, according to which he killed the prisoners of war and then burned their corpses, which are not exhaustive.This incident was mentioned in the three previous sources, and the article concluded that this incident was nullified in two ways, sanad and matan.
Key words: Ṭāriq ibn Ziyād; the corpses of the war prisoners; burned.

مقدمة:

مصادر التاريخ الإسلامي الأصيلة غنية جدا بما تحمله من أخبار وروايات كثيرة عن الماضين وعن الدول والأمم والرسل والملوك والطوائف والأديان والحروب وبما تحمله عن الأرض وجبالها وأوديتها وأنهارها ووصف المخلوقات التي تعمرها، وبما تحمله من كم كبير من العلوم الأخرى المادية كالفلك والفيزياء والطب وغيرها، والأدبية كالشعر والقطع النثرية الرائعة والنحو والبلاغة وغيرها، ولكن وربما بسبب كثرة هذه الموارد جعلت من كتب التاريخ أن يروي أصحابها القصة ونقيضها أحيانا وهي أي كتب التاريخ لا تخلوا من الغرائب والأساطير والخوارق، كما أنها لا تخلوا من سرد الواقع ونثر الحقائق، وفي هذا المعنى يقول سيد قطب عن كتب التاريخ العربية الإسلامية: [فهي نَثَّار من الحوادث والوقائع والحكايات والأحاديث والنتف والملح والخرافات والأساطير والروايات المتضاربة والأقوال المتعارضة على كل حال، وإن كانت بعد ذلك كله غنية كمصدر تاريخي بالمواد الخامة التي تسعف من يريد الدراسة ويوهب الصبر ويحاول الغربلة][1]، ولذلك إذا وقعت أنظارنا على ما يريب في تاريخنا فالأولى بنا فحص ذلك لا محاولة

[1]- المرسل المؤلف.

تبريره، قال الألباني: [وقد يظن بعضهم أنَّ كلّ ما يروى في كتب التاريخ والسيرة أنَّ ذلك صارَ جزءاً لا يتجزأ من التاريخ الإسلامي، لا يجوز إنكار شيء منه! وهذا جهلٌ فاضح، وتنكرٌ بالغ للتاريخ الإسلامي الرائع، الذي يتميز عن تواريخ الأُمم الأخرى؛ بأنه -هو وحده- الذي يملك الوسيلة العلمية لتمييز ما صح منه مما لم يصح، وهي نفس الوسيلة التي يُميَّز بها الحديث الصحيح من الضعيف...، ولذلك لما فقدت الأمم الأُخرى هذه الوسيلة العظمى، امتلأ تاريخها بالسخافات والخرافات][2].

بيان أهمية موضوع البحث:

تكمن أهمية هذا الموضوع في محاولةٍ ضمن كثير من المحاولات في تنقية التاريخ الإسلامي من شوائبٍ كثيرة علقت به طيلة فترات تدوينه على مَرِّ الأزمنة والأمكنة، إذ لا بُدَّ من الوقوف عند الروايات التي تعج بها بطون الكتب ليؤخذ ما ثبت ويرفض ما لم يثبت ويُبْطَلَ، وهذه الرواية "رواية موضوعنا" وجدت في كتب التاريخ الإسلامي، لكن لا يعني وجودها صحتها.

إشكالية البحث وأسئلته:

كثيرا ما نتصادم مع حوادث تاريخية مبثوثة في المصادر الإسلامية غير أنها ليست صحيحة، لكن قد يستغلها بعض الأعداء ليلزموا بها المؤرخين المسلمين، أو ليشوهوا بها صورة الإسلام، فيقال حينئذ أثبت العرش ثم انقش، لأن القصة غير الثابتة لا تصلح حجة علينا.

المبحث الأول: مصادر القصة "الرواة، والمتون"، من المتقدمين:

المطلب الأول: الرواة من المتقدمين:

ظهرت هذه الرواية مبكرة في المدرسة المصرية وهي مدرسة ابن عبد الحكم وعلى يده ظهرت الرواية كما سنرى، كما أن هذه الرواية لم تستفض في كتب التاريخ المتقدمة، فقد ظهرت في مراجع محدودة جدا، وحسب الاستقصاء فهذه أهم المصادر التي ذكرتها وهي ثلاثة فقط:

أول من ذكرها حسب ما اطلعت عليه من مصادر في شأن الأندلس هو المؤرخ عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، أبو القاسم المصري (ت: 257هـ)، في كتابه "فتوح مصر والمغرب"[3].

ثم يليه - فيما أعلم- المؤرخ أبو بكر محمد بن عمر القرطبي الشهير بابن القوطية (ت 367هـ) في كتابه تاريخ افتتاح الأندلس[4].

وذكرها أيضا عبد الملك بن محمد التوزري المعروف بابن الكردبوس (كان حيا في عام 575هـ) في كتابه الاكتفاء في أخبار الخلفاء[5].

وأشار إليها أيضا شهاب الدين المقري التلمساني (ت: 1041هـ) في كتابه "نفح الطيب"[6].

المطلب الثاني: متون القصة كما ذكرت عن المتقدمين:

في هذا المطلب سأوثق المواضع التي ذكرت القصة كما هي دون تصرف، إذن هذه هي متون القصة كما يلي:

متن "نص" ابن عبد الحكم: قال: [وقد كان المسلمون حين نزلوا الجزيرة، وجدوا بها كرّامين، ولم يكن بها غيرهم، فأخذوهم، ثم عمدا إلى رجل من الكرّامين فذبحوه، ثم عضّوه وطبخوه، ومن بقى من أصحابه ينظرون، وقد كانوا طبخوا لحما في قدور أخر، فلما أدركت طرحوا ما كان طبخوه من لحم ذلك الرجل، ولا يعلم بطرحهم له، وأكلوا اللحم الذي كانوا طبخوه، ومن بقى من الكرّامين ينظرون إليهم، فلم

يشكّوا أنهم أكلوا لحم صاحبهم، ثم أرسلوا من بقى منهم، فأخبروا أهل الأندلس أنهم يأكلون لحم الناس، وأخبروهم بما صنع بالكرّام][7].

متن "نص" ابن القوطية: قال: [فلما جاوز طارق وصار بعُدوة الأندلس وكان أول ما افتتحه مدينة قرطاجنة[8] بكورة الجزيرة فأمر أصحابه بتقطيع من قتلوه من الأُسَراء وطبخ لحومهم بالقدور][9].

متن "نص" ابن الكردوس: قال: [ورحل لذريق[10] قاصداً قرطبة يريد طارقاً، فلما تدانَيا، تخَيَّر لذريقُ رجلاً شجاعاً عارفاً بالحروب ومكائدها، وأمرَه أن يدخل في عسكر طارق فيرى صفاتهم وهيئاتهم، فمضى حتى دخل في محلة المسلمين، فأحس به طارق فأمر ببعض القتلى أن تقطع لحومهم وتُطبخ، فأخذ الناس القتلى فقطعوا لحومهم وطبخوها، ولم يشك رسولُ لذريق في أنهم يأكلونها. فلما جَنَّ الليلُ أمر طارق بهرق تلك اللحوم ودفنها، وذبْحِ بقرٍ وغنمٍ وجعل لحومها في تلك القدور. وأصبح الناس فنُودي فيهم بالاجتماع إلى الطعام فأكلوا عنده، ورسول لذريق يأكل معهم. فلما فرغوا انصرف الرسول إلى لذريق، وقال له: أتتك أمة تأكل لحوم الموتى من بني آدم، صفاتهم الصفات التي وجدناها في البيت المقفل][11].

متن "نص" المقري: وذكر في النفح إشارة أخرى بإرسال لذريق جاسوسا له يقص له الأخبار اسمه "تدمير"، فقال: [كان لذريق ملك الأندلس استخلف عليها شخصاً يقال له تدمير، وإليه تنسب تدمير بالأندلس، فلمّا نزل طارق من الجبل كتب تدمير إلى لذريق: إنّه قد نزل بأرضنا قومٌ لا ندري أمن السماء هم أم من الأرض][12].

أما ابن خلكان[13] فقد ذكر أن لذريق كان قد استخلف "تُدمير" على مرسية وخرج إلى بعض غزواته، ولم يكن قد بعثه إلى جند طارق وهذا نصه: [وكان لذريق المذكور قد قصد عدواً له، واستخلف في المملكة شخصاً يقال له تدمير، وإلى هذا الشخص تنتسب بلاد تدمير بالأندلس وهي مرسية وما والاها، وهي خمس مواضع تسمى بهذا الاسم، واستولى الفرنج على مرسية سنة اثنتين وخمسين وستمائة فلما نزل طارق من الجبل بالجيش الذي معه كتب تدمير إلى لذريق الملك إنه قد وقع بأرضنا قوم لا ندري من السماء هم أم من الأرض، فلما بلغ ذلك لذريق رجع عن مقصده في سبعين ألف فارس][14].

وهذا يؤيده ما جاء عند ابن قتيبة في الإمامة والسياسة وهذا نصه: [وقد كان لذريق قد غزا عدوا يقال له البشكنس واستخلف ملكا من ملوكهم يقال له تدمير فلما بلغ تدمير مكان طارق ومن معه من المسلمين كتب إلى لذريق إنه قد وقع بأرضنا قوم لا ندري أمن السماء نزلوا أم من الأرض نبعوا][15].

لكن هذه إشارة فقط بإرسال الجاسوس ولم يرد عند المقري وابن قتيبة ما هو صريح في حرق الجثث.

وقد ذكر هذه الإشارة عبد العزيز سالم في كتابه "تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط قرطبة"[16].

المطلب الثالث: أصحاب الرواية في ميزان الجرح والتعديل:

ابن عبد الحكم:

ترجمته: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم أبو القاسم: مؤرخ من أهل العلم بالحديث مصري المولد والوفاة، من كتبه فتوح مصر والمغرب والأندلس وهو ابن عبد الله الفقيه صاحب سيرة عمر بن عبد العزيز[17]. قال أبو الحسن بن قديد توفي في محرم سنة سبع وخمسين ومائتين وسنة نحو السبعين[18].

الذين روى عنهم: روى عن جملة من العلماء منهم أبوه وشعيب بن الليث وشعيب بن يحيى التجيبي وأشهب وأسد بن موسى وإسحاق بن بكر ابن مضر والحصيب بن ناصح وسعيد بن أبي مريم وأبي صالح كاتب الليث وسعيد بن عفير وسعيد بن تليد وعلي بن معبد الرقي والنضر بن عبد الجبار وأبي زرعة وهب

الله بن راشد وجماعة وعنه النسائي وأبو حاتم وعلي بن أحمد علان وإبراهيم بن يوسف الهسنجاني وعمرو بن أبي الطاهر بن السرح ومكحول البيروتي وأبو بكر الباغندي وأبو بكر بن أبي داود وعلي بن الحسن بن قديد وآخرون[19].

أقوال العلماء فيه: قال أبو حاتم صدوق وقال النسائي لا بأس به وقال ابن يونس كان فقيها والأغلب عليه الحديث والأخبار وكان ثقة، قلت وذكره ابن حبان في الثقات، وقال القضاعي كان من أهل الحديث عالما بالتواريخ صنف تاريخ مصر وغيره[20].

ابن القوطية:

ترجمته: محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم الأندلسي، أبو بكر، المعروف بابن القوطية، مؤرخ، من أعلم أهل زمانه باللغة والأدب، أصله من إشبيلية[21]، ومولده ووفاته بقرطبة[22].

سمع بإشبيلة من حسن بن الزبيدي وغيره وبقرطبة من محمد بن مغيث وأسلم بن عبد العزيز وغيرهما وتقدم في فن الأدب، له مشاركة قوية في الفقه والحديث أثنى عليه بن الحذاء وابن عبد البر وغيرهما[23].

أقوال العلماء فيه:

وقال ابن الفرضي: [لم يكن بالضابط لروايته في الحديث ولا له أصول وكثيرا ما كان يقرأ عليه مالا رواية له به على سبيل التصحيح، قال وكانت فيه غفلة وسلامة وذكر أنه كان يدلس في حديثه][24].

وقال ابن خلكان في ترجمته: [وكان حافظا للفقه والحديث والأخبار ولم يكن بالضابط مات سنة سبع وستين وثلاث مائة وقد أضر][25].

قال المؤرخ محمود شاكر: متَّهَم بالشعوبية وإعطاء صفات للقوط[26] تفوق صفات غيرهم من الشعوب[27].

ابن الكردبوس:

ترجمته: عبد الملك بن قاسم ابن الكردبوس التوزري، ابن مروان: مؤرخ، نسبته إلى "توزر[28]" بتونس صنف "الاكتفاء في أخبار الخلفاء"[29].

ولد بتوزر بتونس، ورحل إلى الإسكندرية لطلب العلم فسمع من علمائها، ولقي بها الحافظ أبو طاهر السِّلَفي[30].

ذكر ابن الأبار، أنه سمع الموطأ من محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي من أهل فاس[31].

وذكر أيضا أنه سمع كتاب القربة لابن بشكوال من عبد الوهاب بن علي بن عبد الوهاب من أهل قرطبة[32].

أقوال العلماء فيه: لم أهتد إلى كلام العلماء فيه، لكن وجدت إشارتين واحدة ذكرها المؤرخ عبد الحليم عويس، يقول فيها: [أنه كان مجرحا، وأنه لم يكن ثقة في كثير مما يكتبه وربما كان يعتمد على الأقوال الشائعة التي تشبه الحكايات والأساطير في عهده][33].

والرواية الأخرى للمؤرخ محمود شاكر قال فيها: [مولع بإيراد الغرائب والقصص المنسوجة من الخيال][34].

المبحث الثاني: تحقيق القصة

ما يَرِدُ في التاريخ من روايات ليس شرعا أو قرآنا منزلا يقابل بالتسليم ولا يناقش ولا ينتقد، خاصة إذا كانت تلك الرواية تخالف حكما شرعيا ثابتا، ولهذا جاء المبحث الثاني ليلقي نظرة فاحصة في هذه الرواية القائلة بأن طارق بن زياد عمد إلى الأسرى فقتلهم وطبخ لحمهم، وفي غفلة من جواسيس لذريق استبدل

اللحم بآخر من الطيب المباح "غنم وبقر" أو "غنم وإبل"، وأمر جنوده بالأكل منها، في حضرة جواسيس لذريق، فلم يشك جواسيس لذريق بأنهم يأكلون لحوم البشر فداخلهم رعب شديد.

المطلب الأول: ظهورها، رواتها، ومدى موافقتها للشريعة الإسلامية

الفرع الأول: ظهورها

القصة على كل حال ظهرت مبكرا وفي كتاب ابن الحكم وهو ثقة، ولكن القصة غير مسندة، رغم أن عادة ابن الحكم إسناد الحوادث التي يرويها ذلك أنه كان من المحدثين المشتغلين بالحديث غير أنه غلب عليه العناية بالتاريخ والأخبار أكثر وهو مصري المولد والوفاة.

ثم ظهرت القصة عند ابن القوطية الأندلسي وهو في الزمن بعيد من ابن الحكم إذ بين وفاة الأول ووفاة الثاني مئة عام تامة، ويليهما ابن الكردبوس التونسي، ومن ثم نقلت إلى المصادر الأخرى.

فهؤلاء الثلاثة ينتمون إلى عصور مختلفة وإن كانت في مجملها تعتبر من العصور الأولى في التاريخ الإسلامي، فابن الحكم توفي عام 257هـ، وابن القوطية توفي عام 367هـ، وابن الكردبوس توفي عام 575هـ، لكن الملاحظة الواضحة هي أنه بينهم مدد متفاوتة، بما يوحي أنه لم يأخذ الواحد منهم من الآخر خلال حياته، بل أخذ فقط من كتابه، وهذا يعني أن الروايةَ قد يكون مصدرها واحدًا.

الفرع الثاني: رواتها

إذا استثنيا ابن الحكم فإن رواة القصة عند أهل الحديث غير موَثَّقين، لكن يرد علينا هنا إشكال آخر وهو أن هذه القصة ليست من قبيل الحديث النبوي، ومعلوم أن التاريخ يُتَسامح فيه ما لا يتسامح في الحديث النبوي، فإذا قبلناها من جهة رواتها بعدم اتهامهم بتعمد وضعها - وهذا وارد ومنطقي- فإنه يكون لدينا بعدها احتمالين هما:

- أنهما أُتِيَا من جهة من رووها عنه أو ممن سمعوها منه وهنا تكون العهدة على الراوي الأول وهو هنا أيضا مجهول الحال والعين.
- وأما الاحتمال الثاني فهو دراستها من جهة متنها فالنكارة والغرابة موجودة في المتن أيضا مثلما وجدت الجهالة والاضطراب في السند.

وبالتالي فهي من جهة السند واهية ولا يعول على رواتها.

وأما من جهة متنها ففيها مخالفة ظاهرة لحكم الشريعة الإسلامية وهذا هو ما سيبين في الفرع القادم.

الفرع الثالث: مدى موافقتها للشريعة

بعد أن رأينا سندها فإنه لا بدَّ من عرضها على الأحكام الشرعية هل توافق ذلك أم لا؟

ذكر الفقهاء في حكم معاملة الأسرى عدة أحكام، وكذلك في معاملة جثث القتلى، وهذه هي مختصرة:

أولا- حكم الأسرى:

ذهب الإمام مالك رحمه الله وجمهور أهل العلم إلى أن الإمام - الحاكم أو نائبه- مخير في الأسرى بين خمسة أشياء: إما أن يقتل، وإما أن يأسر ويستعبد، وإما أن يمن فيعتق، وإما أن يأخذ فيه الفداء، وإما أن يعقد عليه الذمة ويضرب عليه الجزية[35].

وهذا ليس في جميع الأسرى بل هو مخصوص بالأسرى المقاتلة، قال النفراوي: [وهذا في الأسرى المقاتِلة، وأما الذراري والنساء فليس إلا الاسترقاق أو المفاداة][36].

ومنه يقال أن الأسرى الذين أسرهم طارق كانوا مقاتِلة، وهنا زال الإشكال في حكم قتلهم لأن القيادة لطارق وهو من يملك الحكم عليهم بأحد الأحكام الخمسة التي نص عليها المالكية وغيرهم.

ولْنَنتقل إلى الإشكال الثاني والذي هو بيت القصيد ومربط الفرس - كما يقال-.

ثانيا: حكم معاملة جثث الأسرى

وفي جملة ما يحرم في الحرب بين المسلمين والكافرين كما قال خليل - من علماء المالكية- في المختصر، قال مبينا جملة ما يحرم في الحرب: [والمُثْلَةُ][37].

قال الخرشي شارح مختصر خليل: [يعني أن المُثْلة وهي النَّكال عند القدرة على الكافر حرام علينا لنهيه عليه الصلاة والسلام عن ذلك، وأما قبل الظَّفَر عليه فيجوز لنا أن نقتله بأي وجه من وجوه القتل][38].

وقال الدردير - من علماء المالكية – مبينا حكم المُثلة: [وحَرُمَ بعدَ القدرة عليهم المثلة العقوبة الشنيعة كرَضِّ الرأس، وقطع الأذن أو الأنف إذا لم يمثلوا بمسلم، وإلا جاز][39].

إذن يتبين لنا أن المثلة والتنكيل بجثة الأسير بعد قتله محرمة، وهذا الحكم يشمل أيضا المحارب الذي قتل في المعركة فإنه لا يمثل به ومن بابِ أولى تقطيعه أو تحريقه أو طبخ لحمه، وهذا لعموم حديث رسول الله ﷺ الذي هو نص في النهي عن التمثيل بالجثث: [نهى النبي ﷺ عن النهبى[40]، والمثلة][41].

وهؤلاء المأسورين في القصة قَدَرَ عليهم طارق فلم يَجُز له النكال بهم من هذه الجهة، وهؤلاء المأسورين من جهة ثانية لم يمثِّلوا بقتلى المسلمين لأن المعركة الكبرى لم تقع بعد[42]، فلم يجز لطارق أيضا أن يمثل بهم فيما يسمى بالمعاملة بالمثل.

المطلب الثاني: إبطالها "سندا ومتنا"

الفرع الأول: بطلانها من حيث السند ومن حيث المتن ومن جهة مخالفتها لأحكام الأسرى

ذهب إلى القول ببطلانها عدد من المؤرخين، ولم تذكرها الغالبية الساحقة من المؤرخين الذين كتبوا في التاريخ الأندلسي خاصة المتأخرين، ولم يتمسك بها إلا بعض المستشرقين في كتاباتهم عن تاريخ فتح الأندلس.

وهذه أهم النقولات في إبطال هذه القصة:

يقول عبد الحليم عويس: [وبديهي أن هذه القصة لم تقع][43]، وليس هذا القول مجرد رأي أو ميل بل هو مبني على معطيات تاريخية ودينية.

وأهملها المؤرخ حسين مؤنس كما في كتابه فجر الأندلس، وكذلك أغفلها المؤرخ محمد عبد الله عنان في كتابه دولة الإسلام في الأندلس، وكذا المؤرخ أحمد مختار العبادي، في كتابه المسمى في تاريخ المغرب والأندلس، وضربت الصفح عنها كل من موسوعة التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، وموسوعة التاريخ الإسلامي لمجموعة من المؤرخين (الكعبي وغيره)، وموسوعة التاريخ الإسلامي لأحمد شلبي والموسوعة التاريخية لمجموعة من الباحثين بإشراف السقاف.

وللمؤرخ محمود شاكر كلمة سجلها في موقع سطور وغيره، مفيدة جدا في إبطال هذه القصة من أساسها.

الفرع الثاني: القصة محتملة للتأويل مع تأويلها ووضعها في إطارها الصحيح

هذه القصة محتملة للتأويل هذا إن تُنُزِّل وقيل بحدوثها، وما دام التأويل سائغا فإن مثل هذه القصص حين تكون صحيحة تحمل على أحسن وجه وأكمل صورة لا العكس، ولهذا سنبين في هذا الفرع الاحتمالات التي تتحملها هذه القصة مع وضعها في الاحتمال المناسب منها -أي من تلك الاحتمالات-.

والذي يظهر والله أعلم أن هذه القصة لها احتمال واحد مفاده أن طارق لما أحس بعيون لذريق في جيشه، أراد أن يبث الرعب في قلوبهم ولينقلوا الخبر إلى لذريق حين عودتهم والمعنى أنها حيلة عسكرية حربية بحتة وأن الأسرى لم تقطع لحومهم ولم تطبخ أبدا وإنما قتل من قتل وبقي في الأسر من بقي، وتظاهر

طارق بأنه طبخ لحومهم وما هي في الحقيقة إلا لحوم بقر وغنم وظن جواسيس لذريق أنهم الأسرى وهكذا تم لطارق بث الرعب في قلوب الأعداء، وهذا نَقْلٌ من المؤرخ عبد الحليم عويس يؤيد ذلك فقد قال: [إنما هي حيلة من طارق بن زياد في تحطيم الروح المعنوية للخصم إذ إنه أراد أن ينقل هذه الصورة عن طريق الجواسيس الذين كان يعلم بوجودهم][44].

وقال أيضا: [الحرب تقوم على الخدعة يباح فيها مثل هذا اللون من الخداع وغيره][45].

وغاية ما يمكن أن تدل عليه هو أنه تظاهُرٌ من طارق فقط بحرق جثث الأسرى، لا أنه أحرقها حقيقة، فهو تظاهر منه لإخافة العدو، ونقل صورة تدل على أنه قادر على خوض الحرب، وليس خائفا منها أو مترددا فيها.

ولذلك فإنها على فرض صحتها لن تكون إلا من هذا القبيل.

والحقيقة التي ينبِؤ عنها سند القصة ومتنها أنها باطلة لا تصح، وإن ظهرت في ثلاثة مصادر من كتب التاريخ الإسلامي القديمة.

ولهذا قال محمود شاكر: إن هذه القصة قد وردت إلينا عن طريق غير ثقة إذ ذكرها ابن القوطية وعنه نقلها بعض المؤرخين، وإن هذه القصة وأمثالها سواء اتُّخِذَت وسيلة للحيلة وإلقاء الرعب في نفوس الأعداء أم لغيره فإنها لا تصح، لأن تقطيع لحوم الموتى والعبث فيها إنما هو نوع من المُثْلة وهو لا يصح في ديننا إذ نهى رسول الله ﷺ عنه.

وقال أيضا موضحا ومبينا: ولم يحدث ما يُشير من قريب أو من بعيد عن وقوع القصة...، ووصلت إلينا عن طريق غير الثقاة، فالحادثة مختَلَقَة لا صحة لها أبدًا[46].

خاتمة:

من خلال ما سبق عرضه من الكلام حول نقلة الرواية، ومن خلال كلام المؤرخين المعاصرين حول الرواية نفسها يتبين لنا عدة أحكام يمكن إجمالها في ما يلي:

- أن القصة باطلة لا تصح نسبتها لا إلى طارق بن زياد ولا إلى غيره من القادة المسلمين.
- أن القصة لو حدثت لاستفاضت واشتهرت في كتب التاريخ
- رواة القصة من المؤرخين - ابن القوطية وابن الكردبوس كانا غير موَثَّقَيْن من علماء الحديث-، وهذا إسنادا.
- القصة مخالفة لأحكام معاملة الأسرى في الشريعة الإسلامية، وليس طارق رحمه الله بما معه من أهل العلم بالذي يخفى عليه هذه الأحكام وقد عرف بالتقوى والالتزام التام بأحكام الشرع.
- القوط وقائدهم كانوا على معرفة تامة بالمسلمين وبأخلاقهم طيلة حروبهم في شمال إفريقيا فليس هناك داع لإرسال جاسوس يأتي بأخبارهم.
- فضلا عن أن الجاسوس هذا مجهول الحال والأغرب أن من فطن له هو طارق فقط بينما الآخرون لم يتفطنوا، قال شاكر: يستبعد أن يكون من القوط، لأنه لا يمكن أن يدخل إنسان عسكراً لا يعرف لغتهم، ولا يطَّلع على أوضاعهم، ويجلس ليأكل معهم في الصباح، ولم ينتبه أحد إليه، إذ لم ينتبه إلا القائد[47].
- لو كانت القصة صحيحةً لكانت مخالفة واضحة من القائد طارق، ولضجّ بها الجند، ووصلت إلى القيادة بل وإلى أمير المؤمنين، ولسُئِل طارق وحوسب، ونال ما يستحق من عقوبة على هذه المخالفة لتعاليم الإسلام -إذ ليس غريباً أن تقع مخالفة أو يرتكب قائد خطأ فهو ليس بمعصوم-، غير أنه لم يتكلم أحد في هذه القصة ممن كان في جنده، أو من الثقات في ذلك العصر[48].

- طارق بن زياد رحمه الله عرف عنه من خلال الأخبار التي دونتها كتب التاريخ، ومن خلال سيرته التي اشتهرت بين القادة المسلمين، أنه من أشد القادة ورعا وتقوى، وأنه من أحسن الناس معاملة للعدو فضلا عن الصديق، ولذلك فإن نسبة هذه القصة إليه وهي رواية مطعون في ناقليها تخالف ما اشتهر عنه من ورع وزهد وتقوى وحسن معاملة للأعداء، وبالتالي فيقال حينئذ أنها ضعيفة لأنها رواية من طريق مغمورة، مقابل الروايات المستفيضة المشهورة، في تقوى طارق وحسن معاملته للخصم.
- كذلك القادة المشهورين والفاعلين في التاريخ الإسلامي وخاصة أصحاب الفتوحات الكبيرة والحاسمة في تاريخ المسلمين، تعرضوا للتشويه من قبل كتابات وتأريخ الخصوم، ولا يُشك أن البحث عن مثل هذه القصص لإخراجها وإلصاقها بأمثالهم -أي هؤلاء القادة- أمر مقصود ولا يشك أيضا أن طارقا واحد من هؤلاء الكبار المدونة أسماؤهم بأحرف من ذهب في سجل تاريخ الإسلام العظيم.
- التمثيل بالجثث لم يكن من خلق المشركين في الجاهلية، فكيف يكون من خلق المسلمين في الإسلام، خاصة ونحن نتكلم عن القرون الأولى التي كان الإسلام فيها مطبقا، وتعاليمه ظاهرة يلتزم بها القادة والجيوش والعامة على حد سواء.

وعليه إذن فالقصة باطلة من أساسها، ولم تصح عن طارق بن زياد رحمه الله أبدا، والله أعلم.

قائمة المصادر:

1- أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي (ت: 1126هـ)، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، دار الفكر،دون طبعة، سنة: 1415هـ، 1995م.

2- أبو بكر محمد بن عمر القرطبي الشهير بابن القوطية (ت: 367هـ)، تاريخ افتتاح الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري القاهرة ودار الكتاب اللبناني بيروت، ط:2، 1410هـ، 1989م.

3- خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي المالكي المصري (ت: 776هـ)، مختصر خليل، تح: أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، ط:1، 1426هـ/2005م.

4- خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: 1396هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، ط: 15، 2002م، 313/3.

5- محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (ت: 1230هـ)، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار الفكر، ط: دون طبعة ودون تاريخ، 179/2.

6- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه المعروف بصحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط:1، 1422هـ.

7- محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي ابن الأبار، (ت: 658هـ)، التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان، ط: 1415هـ- 1995م.

8- محمد بن عبد الله الخرشي المالكي أبو عبد الله (ت: 1101هـ)، شرح مختصر خليل للخرشي، دار الفكر للطباعة، بيروت، ط: دون طبعة، ودون تاريخ.

9- دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان (ت: 1406هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: جـ1، 2، 5/ الرابعة، 1417هـ- 1997م، جـ3، 4/ الثانية، 1411هـ - 1990م.

10- محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط:1، 1405هـ، 1985م.

11- ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: 1420هـ)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط:1.

12- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: 681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، طبع مجزأ ، ج1، 2، 3، 6 ط: 1990، ج4 ط:1 سنة 1971، ج5، 7 ط:1 سنة 1994.
13- عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، أبو القاسم المصري (ت: 257هـ)، فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، عام النشر: 1415هـ.
14- عبد الحليم عويس، أسطورة إحراق طارق بن زياد للسفن دراسة نقدية"، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط: 2010م.
15- عبد الملك ابن الكردبوس، الإكتفا في أخبار الخلفا، تح صالح بن عبد الله الغامدي، ط: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1429ه، 2008م.
16- عبد الملك ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس ووصفه لابن شباط "نصان جديدان"، تح: أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية مدريد، ط1971م.
17- أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط:1، 1326هـ
18- أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، لسان الميزان، تح: دائرة المعرف النظامية، الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، لبنان، ط:2، 1390هـ /1971م.
19- ابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (ت276هـ)، الإمامة والسياسة "المعرف بتاريخ الخلفاء"، تح: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ط: 1410هـ، 1990هـ.
20- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط قرطبة، دار المعارف لبنان، د ط.
21- سيد قطب، في التاريخ فكرة ومنهاج، دار الشروق، مصر، ط:6، 1403هـ، 1983م.
22- شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت: 1041هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر بيروت لبنان ص. ب 10، ط:1، 1968.
23- أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت: 520هـ)، المقدمات الممهدات، دار الغرب الإسلامي، ط:1، 1408هـ، 1988م.

المواقع والروابط الإلكترونية:

مقال: "المنطلق الأساسي في التاريخ الإسلامي"، محمود شاكر، عن موقع الفسطاط، على الرابط: https://udefense.info/threads/، نقلا عن منتدى التحالف لعلوم الدفاع، تاريخ الدخول: 2021/03/28، الساعة: 11:53 مساء.

الهوامش:

[1]- سيد قطب، في التاريخ فكرة ومنهاج، دار الشروق، مصر، ط:6، 1403هـ، 1983م، ص42.

[2]- ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: 1420هـ)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط:1، مكتبة المعارف، 331/5.

[3]- عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، أبو القاسم المصري (ت: 257هـ)، فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، عام النشر: 1415هـ، ص234.

[4]- أبو بكر محمد بن عمر القرطبي الشهير بابن القوطية (ت: 367هـ)، تاريخ افتتاح الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري القاهرة ودار الكتاب اللبناني بيروت، ط:2، 1410هـ، 1989م، ص35.

[5]- عبد الملك ابن الكردبوس، الإكتفا في أخبار الخلفا، تح صالح بن عبد الله الغامدي، ط: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1429ه، 2008م، ص1010.

[6]- شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت: 1041هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر بيروت لبنان ص. ب 10، ط:1، 1968، 240/1

[7]- ابن عبد الحكم، أبو القاسم المصري (ت: 257هـ)، فتوح مصر والمغرب، ص234

[8]- يحمل هذا الاسم "قرطاجنة" ثلاث مدن كما في الروض المعطار، ص462، وهي هنا المدينة الاسبانية الساحلية التي تقع في منطقة مرسية جنوب شرق إسبانيا وتنطق بالاسبانية "كارتاخينا".

[9]- أبو بكر محمد بن عمر القرطبي الشهير بابن القوطية (ت367هـ)، تاريخ افتتاح الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري القاهرة ودار الكتاب اللبناني بيروت، ط:2، 1410هـ، 1989م، ص35.

[10]- هو آخر ملوك القوط في اسبانيا، قتل على يد طارق بن زياد، حكم بين 710 و 712م، وبالاسبانية يقال "رودريكو".

[11]- عبد الملك ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس ووصفه لابن شباط "نصان جديدان"، تح: أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية مدريد، ط1971م، ص46 و47،

[12]- شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت: 1041هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 240/1.

[13]- هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكيّ الإربلي، ولد في إربل (608/ 681هـ، 1211/ 1282م) مؤرخ حجة، وأديب ماهر، صاحب "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" وهو أشهر كتب التراجم ومن أحسنها ضبطا وإحكاما، أنظر الأعلام للزركلي، 220/1.

[14]- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: 681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، طبع مجزأ، ج1، 2، 3، 6 ط: 1990، ج4 ط:1 سنة 1971، ج5، 7 ط:1 سنة 1994، 321/5

[15]- ابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (ت276هـ)، الإمامة والسياسة "المعرف بتاريخ الخلفاء"، تح: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ط: 1410هـ، 1990هـ، 86/2، 87.

[16]- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط قرطبة، دار المعارف لبنان، د ط، ص75.

[17]- خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: 1396هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، ط: 15، 2002م، 313/3.

[18]- أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1، 1326هـ، 208/6.

[19]- ابن حجر، تهذيب التهذيب، 208/6

[20]- ابن حجر، تهذيب التهذيب، 208/6

[21]- مدينة كبيرة عظيمة وتسمى حمص أيضا، وبها قاعدة ملك الأندلس وسريره، وهي غربي قرطبة بينهما ثلاثون فرسخا، وإشبيلية قريبة من البحر يطل عليها جبل الشّرف، وهو جبل كثير الشجر والزيتون وسائر الفواكه، ومما فاقت به على غيرها من نواحي الأندلس زراعة القطن فإنه يحمل منها إلى جميع بلاد الأندلس والمغرب، وهي على شاطئ نهر عظيم قريب في العظم من دجلة أو النيل، وفي كورتها مدن وأقاليم.

[22]- الأعلام، الزركلي (ت: 1396هـ)، 6/**312**

[23]- لسان الميزان، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، تح: دائرة المعرف النظامية، الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، لبنان، ط:2، 1390هـ /1971م، 325/5

[24]- ابن حجر، لسان الميزان، 325/5

[25]- ابن حجر، لسان الميزان، 325/5**.**

[26]- أمة من شعوب شرق أوربا، جرمانيَّة اسكندنافية، يقول المؤرخ المصري محمد عنان: [والقوط هم إحدى هذه القبائل أو الشعوب البربرية. التي هبطت من شمال أوربا، وقوضت صروح الإمبراطورية الرومانية. وتقول الأساطير القديمة إنهم نزحوا من اسكندناوة، وهي رواية يؤيدها كثير من القرائن والشواهد]، دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان (ت: 1406هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: جـ 1، 2، 5/ الرابعة، 1417هـ- 1997م، جـ3، 4/ الثانية، 1411 هـ - 1990 م، 28/1

[27]- مقال: "المنطلق الأساسي في التاريخ الإسلامي"، محمود شاكر، عن موقع الفسطاط، على الرابط: https://udefense.info/threads/، نقلا عن منتدى التحالف لعلوم الدفاع، تاريخ الدخول: 2021/03/28، الساعة: 11:53 مساء.

[28]- مدينة في أقصى إفريقية من نواحي الزاب الكبير من أعمال الجريد، معمورة، بينها وبين نفطة عشرة فراسخ، وأرضها سبخة، بها نخل كثير وهي مدينة عليها سور مبني بالحجر والطّوب، ولها جامع محكم البناء وأسواق كثيرة، وحولها أرباض واسعة، وهي مدينة حصينة لها أربعة أبواب، كثيرة النخل والبساتين، ولها سواد عظيم، تقع حاليا بتونس.

[29]- الزركلي (ت: 1396هـ)، الأعلام، 312/6

[30]- محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط:1، 1405هـ، 1985، 158/4.

[31]- محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي ابن الأبار (ت: 658هـ)، التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان، ط: 1415هـ- 1995م، 162/2.

[32]- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، 109/3.

[33]- عبد الحليم عويس، أسطورة إحراق طارق بن زياد للسفن دراسة نقدية"، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط: 2010م، ص113.

[34]- محمود شاكر، المنطلق الأساسي في التاريخ الإسلامي، رابطه: https://udefense.info/threads/، مرجع سابق.

[35]- أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت: 520هـ)، المقدمات الممهدات، دار الغرب الإسلامي، ط:1، 1408هـ، 1988م، 365/1.

وانظر: مختصر العلامة خليل، خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي المالكي المصري (ت: 776هـ)، تح: أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، ط:1، 1426هـ/2005مـ، ص89.

[36]- أحمد بن غانم بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي (ت: 1126هـ)، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، دار الفكر، دون طبعة، سنة: 1415هـ، 1995م، 1/ 398**.**

[37]- خليل بن إسحاق المالكي المصري، مختصر خليل، ص88.

[38]- محمد بن عبد الله الخرشي المالكي أبو عبد الله (ت: 1101هـ)، شرح مختصر خليل للخرشي، دار الفكر للطباعة، بيروت، ط: دون طبعة ودون تاريخ، 115/3**.**

[39]- محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (ت: 1230هـ)، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار الفكر، ط: دون طبعة ودون تاريخ، 179/2.

[40]- أخذ الشيء من أحد عيانا وقهرا.

[41]- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه المعروف بصحيح البخاري، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط:1، 1422هـ، كتاب المظالم والغصب، باب النهبى بغير إذن صاحبه، 135/3

[42]- وإنما هي مناوشة من فريق استطلاعي أرسله لذريق لجس النبض.

[43]- عبد الحليم عويس، أسطورة إحراق طارق بن زياد للسفن دراسة نقدية"، ص 121.

[44]- عبد الحليم عويس، أسطورة إحراق طارق بن زياد للسفن دراسة نقدية"، ص 122.

[45]- عبد الحليم عويس، أسطورة إحراق طارق بن زياد للسفن دراسة نقدية"، ص 122.

[46]- المنطلق الأساسي في التاريخ الإسلامي، محمود شاكر، رابطه: https://udefense.info/threads/، مرجع سابق.

[47]- المرجع نفسه، رابطه: https://udefense.info/threads/

[48]- المرجع نفسه، رابطه: https://udefense.info/threads/.

مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 933 – 942
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

جهود الخلفاء الموحدين في تطوير مجالهم الدفاعي

Les efforts des califes unis dans le développement de leur champ de défense

د/ مصطفى سالم
جامعة باتنة 1
مخبر الجزائر دراسات في التاريخ والثقافة والمجتمع
mostapha.salem@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال: 2021/01/27 تاريخ القبول: 2021/09/16

الملخص:
عرف المغرب الإسلامي والأندلس منذ العصر الموحدي، تشييد عدد كبير من التحصينات الدفاعية، من أسوار وأبواب وأبراج وقصبات وقلاع وخنادق، وقد عمد الخلفاء الموحدون إلى بنائه نظرا لما كانوا يعرفونه من تهديدات داخلية تتمثل في ثورات القبائل على الحكم، أو أخطار خارجية. إن العدد الهائل من هذه المنشآت الدفاعية التي بناها هؤلاء الخلفاء لكفيلة بإعطائنا فكرة عن تطور هذه العمارة الحربية، من خلال تنوع عناصرها المعمارية ومواد بنائها وتقنياته، على اعتبار أن هذه العمارة أحد أشكال هيبتها وسطوتها، أو دليل على موقعها في مسار التاريخ، أو تأثيرها في التراث الإنساني.
الكمات المفتاحية: الخلفاء الموحدين؛ التحصينات؛ الأسوار؛ العمارة الحربية.

Résume :
Le Maghreb islamique et l'Andalousie ont connu depuis l'ère des Almohades unifiée, la construction d'un grand nombre de fortifications défensives, de murailles, de portails, de tours, de forteresses et de fossés. Les successeurs des Almohades ont eu recours à ces constructions défensives à cause des menaces internes, en l'occurrence des révoltes tribales contre le pouvoir, et des dangers extérieurs. Le nombre considérable de ces réalisations défensives, construites par les Almohades est susceptible de nous donner une idée sur l'architecture de guerre, à travers la variété de ses éléments architecturaux des matériaux de construction et leurs techniques. Que cette forme architecturale sujette d'un prestige et d'influence ou la preuve de sa position au cours de l'histoire et son impacte dans le patrimoine de l'humanité.

مقدمـة:

لقد كان الأساس لدى الموحدين في تشييد الحصون ورفع الأسوار ونصب الأبراج وإحكام الأبواب وبناء القلاع، والثغور المحصنة على جهة البر والبحر، أمر بالغ الأهمية، وإنتاج تلك المنشآت الدفاعية. قام لضرورة وبدعم مورث حضاري، ساهمت فيه كل الظروف الاجتماعية والسياسية والجغرافية لكي يوجد، ويعكس لنا الفكر الموحدي العسكري. من خلال تلك العمارة التي قدمت لنا هوية مستقلة متميزة وانطلاقاً من هذا الكلام، يمكننا طرح الإشكالية التالية: ماهية الاستراتيجية التي اتبعها الخلفاء الموحدون في تطوير مجالهم الدفاعي؟

عمـارة الموحديـن الحربيـة في نطاق فلسفتهـم الجهادية:

تعتبر الدولة الموحدية[1] دولة عسكرية بامتياز، حيث أولت جل اهتمامها لقضايا – الجهاد- داخليا وخارجيا، وإذا علمنا مدى شساعة المجال كان على الدولة الموحدية أن تراقبه وتدافع عنه ضد المنافقين والخصوم، أدركنا ولا شك أهمية القوة العسكرية الواجب توفرها[2].

فالملك عند ابن خلدون، يبنى على أساسين لا بد منهما، الشوكة والعصبية، وهو المعبر عنه بالجند وثانيهما، المال الذي هو توأم أولئك الجند، ولعل ما كان يزيد من حضور الحرب في الحياة اليومية للراعي والرعية على حد سواء، اعتبار الموحدين أنفسهم أصحاب العقيدة الصحيحة أما غيرهم فليسوا في نظرهم، سوى مجسمة كفار تجب محاربتهم وقتالهم لردعهم وردهم إلى جادة الصواب[3]، وليس غريبا أن نأخذ كل حروب الموحدين طابعا جهادياً فإمامهم ومنظرهم محمد بن تومرت خصص ضمن كتابه أعز ما يطلب بابا كاملا في الجهاد وما يرتبط به من قضايا وما يترتب عنه من مشاكل. فلقد تمكن ابن تومرت بواسطة الأطر القيادية التي وضعها من فرض نظام اعتمد فيه الصرامة تارة والوعظ أو الإغراء بالغنائم تارة أخرى، لقد جعلت مبادي ابن تومرت من الموحدين، بأنهم يعملون على نشر مبدأ حق، ويكافحون الكفر طوغيته، وأن معتقداتهم يبيح لهم دماء أعدائهم وأموالهم وأن الموت في سبيل ذلك شهادة ترفع شهيدهم إلى جنان الله الخالدة، فاجتمعت للموحدين قوتان دافعتان هما:

الروح المعنوية العالية ، والدافع المادي، فانطلقوا كالإعصار يحطمون أعدائهم ونشرون مبادئهم ، وفق الاستراتيجية العسكرية التي اتبعها ابن تومرت في قتاله مع المرابطين ، وقد ساعدته وعورة أرضه، على عدم مواجهة أعداد كبيرة من جيوش المرابطين دفعة واحدة، كما الجيوش المهاجمة عادة، تحتاج لوقت للتأقلم على ساحة المعركة الجديدة بينما كان ابن تومرت واتباعه يقاتلون على أرض خبروها وعرفوا مسالكها، وهذا عامل مهم من عوامل نصر الجيوش، والاهم من ذلك أن أتباع ابن تومرت، كانوا يقاتلون بمعنويات عالية، بعد أن بايعوا ابن تومرت على المهدي[4].

هذا وقد تركزت استراتيجية ابن تومرت على استنزاف قوى الدولة المرابطية باستخدام حرب العصابات، وتجنب الدخول معها في معارك فاصلة.

كما تمكن من فرض تقليد جديد يتمثل في إقامة استعراضات عسكرية يجبر من خلالها أهالي الأطلس المعروفين بعدم انضباطهم على الخضوع لعملية تمييز دورية، الغاية منها معرفة درجة انضباط القوات المتوفرة، وقد اتبع الخلفاء الموحدين من بعده هذه الأطر في تسيير شؤونهم خاصة منها العسكرية[5].

ويبدو هذا الاهتمام المتزايد بالحروب وأمور الجهاد في النقوش التي زخرف بها الموحدون بعض بناياتهم، فقد دونوا على باب القصبة الشرقية للرباط. الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (10) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (11)﴾ (الصف: 10-11)، كما نقشوا على احدى نوافذ صومعة حسان المطلة على البحر، بسيفين متجهين نحو السماء[6] اعتماداً على هذه الأمثلة وغيرها والتي تبين كلها ارتقاء الحرب لدى الموحدين إلى مستوى العقيدة كان لابد وإن يطغى الميدان العسكري على بقية الميادين، وأن تتربع المؤسسة العسكرية على قمة الهرم الاجتماعي بل أن المغرب الإسلامي حسب رأي أحد الباحثين الأجانب[7]، لم يعرف بعد الموحدين تلك القوة العسكرية، وذلك التصميم الحربي اللذين كانتا سمتين بارزتين من سمات العصر الموحدي.

إن خطورة الحرب على الدولة الموحدية أصبح من الأمور التي لا يرقى إليها الشك، فيكفي أن نشير إلى أن أغلب المؤرخين يقرنون بداية الدول ونهايتها بحدث عسكري، فنهاية المرابطين بدأت في الأفق بعد مقتل الأمير تاشفين بن علي على يد القوات الموحدية بمدينة وهران[8] أو إلى تأسيس مدينة عسكرية كما حدث في تينمل مهد الموحدين إن إعادة التفكير في إشكالية الحرب والمنشآت العسكرية خلال عهد الموحدين بمنظور جديد يتجاوز السرد الكرونولوجي للأحداث العسكرية، إلى الحفر في نتائجها المعمارية، لكفيلة بالكشف عن معطيات جديدة ستغنى البحث الأثري ولا شك، وإذا كنا نجهل عدد المنشآت العسكرية التي اقيمت في المغرب الأقصى خاصة والأقاليم الواقعة تحت سلطة الموحدين عامة بسبب ندرة الإحصائيات والأرقام في الحوليات الوسيطية على العمران العسكري خصوصاً في هذه الفترة محل دراستنا.

وذلك راجع إلى عدة عوامل، فالبرغم من تعرض الميدان العمراني للكثير من الضرر الناتج عن عمليات الهدم والتخريب، فهذا عبد المؤمن بن علي نجده يلجأ إلى تطبيق سياسته هدم الأسوار المحيطة بالمدن المفتوحة مبرراً بذلك قوله الذي عدا مشهوراً، أننا لا نحتاج إلى سور، وإنما أسوارنا عدلنا وسيوفنا[9]حيث تم تهديم أسوار مدن فاس، وسلا وسبة، وهو ما أورده الشريف الإدريسي، وهو أحد معاصريهم، حينما ذكر أن المصامدة هدموا إلى حد الاندراس والمحو مدينتين كانتا تقعان إلى الشمال من فاس، وهما صالح وبني تاودا[10]، لكن عمليات الهدم التي كانت تلحق بالمآثر العمرانية المرابطية خاصة هي التي تفسر أعمال البناء والتشييد خلال فترة الموحدين، هذا فضلاً إلى الاضطرابات السياسية وما تمخض عنها من حروب وتطاحنات من العوامل التي ساعدت الاهتمام بالمنشآت العسكرية.

ومهما كان فإن أسلوب الإنتاج الحربي، كان هو الأسلوب المهيمن على المجتمع الموحدي، وذلك من أجل خدمة السياسة الحربية والمذهبية للدولة.

-تأسيساً على ما سبق، يبقى مطروحا على البحث الأثري في هذه الفترة المراد دراستها، تركيز الاهتمام على لم شتات الحلقة المفقودة من آثار المنشآت العسكرية خاصة في عاصمة ملكهم، حيث تبقى هذه الحلقة من أهم الحلقات التي يجب دراستها وإحياءها، ذلك أن بوسعها أن تفسر العديد من النقاط الغامضة، التي تلف تلك المنشآت خلال تلك الحقبة والحقب التي تليها.

هذه المنشآت التي قامت بدور رئيسي في تمكين دولتهم المترامية الأطراف، سواء في مرحلة التكوين والتأسيس أو مرحلة القوة والازدهار، أو حتى مرحلة السقوط التي أصبحت العمارة الحربية إطارا ضروريا لمختلف الأنشطة العمرانية والبشرية والاقتصادية.

من المتعارف عليه أن مسألة الدفاع شكلت منذ القدم هاجسا لدى الإنسان حيث ظهر مفهوم التحصينات الدفاعية منذ انشغاله بالاستقرار واستشعاره بضرورة وضع حد للهجمات والاعتداءات، فلم يتوان في البحث عن أساليب مختلفة تقيه الخطر المحدق، فانتقل من تحصينات بسيطة، ببساطة فكره إلى اعتماد الصخور والأشجار، والانتقال في مراحل تاريخية لاحقة إلى اعتماد طرق ومناهج تتخذ من الهندسة والعلوم المصاحبة سنداً في تطوير استحكاماته الدفاعية بنوعيها الخفيفة الوقتية أو القوية الدائمة[11] والتي كان الغرض الأصلي منها هو تقوية مواقع الدولة.

كالمعابر والثغور البحرية، والتي يلزم لأجل الوثوق بتملك هذه المواضع المهمة والاستمرار على الاستحواذ عليها أن يشيدوا بها في مبدأ الأمر حصوناً حصينة تكون فيها قابلية لمقاومة كل التأثيرات الطبيعية المخربة، وجميع المجهودات الناشئة عن هجوم منتظم[12]، إن خاصية الاستحكامات القوية هي دلالتها على درجة محققة من القوة تكون معلومة من قبل وهذه الدرجة تتحصل باستعمال الوسايط المعلومة الجيدة لأجل

الوصول إلى الغرضين المذكورين أنفا بشرط أن يستغرق في إنشاء هذه الاستحكامات ما يلزم لها من المدة ويصرف عليها ما تحتاج إليه من النقود[13].

1- تطور المجال الدفاعي للدولة الموحدية

إن التطور الذي عرفته الدولة الموحدية في مجال التحصينات واختيار مواقع بنائها اختلف بحسب المراحل التاريخية، ومدى حاجة الدولة للدفاع عن وحدتها المترامية الأطراف، والتي ضمت بين جناحيها أمم إفريقية والمغرب الأوسط والأندلس، وبنظرة تأملية في هذه التحصينات يمكن الاطلاع على ذلك التطور سواء من خلال اختيار المكان[14]. أو الجانب الهندسي والمعماري وطبيعة مواد البناء فيها[15]. وهو ما سنلاحظه عند ابن تومرت عند اختياره لمدينة تينمل- كعاصمة سياسية وعسكرية في نفس الوقت، وهو ما ينم عن استراتيجية الدفاع المحصن الطبيعي[16]، وإشرافها على عدة طرق هامة مؤدية إلى بلاد المغرب، فهي تقع في طريق تارودنت- إلى مدينة اغمات وريكة من جهة، واستجابة للمفهوم العام لاختيار الموقع الطوبوغرافي في علاقته بالمجال الدفاعي العسكري من جهة أخرى.

وتعتبر تينمل مهد الدولة الموحدية ففيها نشأة دعوة ابن تومرت واشتد ساعدها، ومنها خرجت جيوشها للحرب والقتال، وبهذه الاستراتيجية العسكرية التي جاء بها ابن تومرت، ستخضع للعناصر المرتبطة بتحقيق شرط الدفاع، وتأمين الموقع، واختيار المجال بناء على دفع المضار وجلب المنافع، وتسهيل المرافق حسب ما حدده ابن خلدون في إطار حديثه عن جغرافية المدن[17].

نستطيع القول أن الموحدين تفوقوا على المرابطين في فنون الدفاع، وهم في بداية ثورتهم، حيث احسنوا اختيار الموقع، فاتخاذهم جبل درن موطنا لثورتهم نظرا لحصانته، ثم بعد ذلك المدينة سوروها وحفروا حولها خندقاً وتشييدهم برجا للمراقبة.

وقد لازمتهم هذه الميزة الدفاعية، عندما تحولوا من الدفاع إلى الهجوم[18] فنجد رباط تازة[19]، الذي كان المعبر الأساسي بين الجانبين الشرقي والغربي للمغرب الأقصى، ثم بعد ذلك بناءهم رباط تيط، وذلك من أجل القضاء على بقايا البرغواطيين في تامسنا من جهة ووقوعه على ملتقى الطرق وخصوبة تربته من جهة أخرى[20].

لقد كان الهدف من خطتهم هذه حراسة محاور الطرق الاستراتيجية ومراقبة القبائل وتدعيم سيطرتهم عليها والحد من تحركاتها وقد سار الخلفاء الموحدين على هذا النهج، فقد شيدوا سلسلة من الحصون والقلاع والقصبات وحرصوا على تثبيت سيادتهم بالارتكاز على تنظيم عسكري محكم باعتبار أن أساس الدولة هو التنظيم العسكري السليم، وهنا يجدر بنا الوقوف على ظاهرة ابتكار المربع القتالي[21] لعبد المؤمن بن علي، صاحب هذه الفكرة، التي لم يقتصر على السكة الفضية فحسب، بل تجاوزتها إلى مجالات التحصينات، خاصة الأبراج البرانية، ذات الشكل المربع، فأغلبية الأبراج المحيطة بالأبواب ذات تخطيط مربع ويرجع ذلك إلى سهولة بنائها ومتانتها من جهة أخرى.

كما أتقن الموحدون الأبراج المتحركة التي لها في أغلب الأحيان، أربعة أدوار أولها من الخشب وثانيها من الرصاص وثالثها من الحديد ورابعها من النحاس الأصفر، ويتحرك هذا البرج على عجلات، تصعد على طبقاته الجنود لنقب الحصون وتسلق الأسوار[22].

هذا وكان ابرز ما يعرف به الموحدون التكثير من اتخاذ الطبول لاستعمالها للإيذان بنشوب الحرب إلى جانب الأفراح والمسرات وقد اتخذت الطبول مختلف الأحجام والأشكال، وقد غلب عليها المربع الذي يرجع إلى عهد ابن تومرت هذا بالإضافة إلى المستدير الكبير[23].

كما لازم الموحدون العدد أربعة في اتخاذهم الأعلام والروايات الملونة بالأحمر والأبيض والأصفر والأخضر، وكان لهذه الرايات قصد بها ارهاب العدو وتثبت نفوس المقاتلين، كما أن الاستراتيجية العسكرية لعلم الوحدة -الأبيض- يهدي المقاتل متى يثبت ومتى يقدم ومتى يتراجع[24].

الواقع أن عبد المؤمن بن علي عمد على نهج سياسة دفاعية عبرت عن حسن استراتيجي ذو وعي دفاعي، خاصة بعد الاستقرار الذي شهدته دولته سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، فاتساع جغرافية إمبراطورتيه بمشروعيتها الدينية أو السياسية، حيث توحد المغرب الإسلامي في عهده من برقة وطرابلس إلى المحيط الأطلسي، كما استقرت الأوضاع بالأندلس، وهذا طبعا بفضل جيش قوي محكم التنظيم، وهنا تتراءى لنا عبقرية وفكر عبد المؤمن في هذه النقطة، فقد رأى الإمبراطورية تحتاج إلى أساس معنوي غير القهر أو العصبية للحكم واستقراره، وأن هذه الدولة مهما كانت قوتها، لا بد لها من طاقات بشرية من الجنود والحاميات لأنه حين ينفذ هذا العدد تتوقف الدولة على التوسع، فانتهج سياسية الحلم اتجاه العرب، وحاول أن يجعلهم أكثر ارتباطاً بشخصه[25]، كما اعتمد على قبيلة كومية، ومنه نجد أن هذا الاتساع والتنوع في البيئات في نطاق الإمبراطورية، كان له دور في حركة العمران وانتظام عجلة الحياة وتطورها وانتعاشها، كما كان له الدور في الأخذ والعطاء والتأثير والتأثر.

يحسن بنا القول أن عبد المؤمن بن علي، لم يكن مؤسسا لدولة عسكرية وسياسية عظيمة، بل كان أيضا مبدعاً وموحيا لطراز معماري فريد من نوعه تجلى في ضخامة عمارته العسكرية خاصة، وإلى حسن اختيار الموضع والموقع على حد سوى لهذه المنشآت[26].

فبعد مسح جميع أراضي الدولة والذي كانت له أبعاد سياسية واقتصادية وحضارية، فهو بذلك حصل من الولاة على بيانات دقيقة على سكان كل ولاية وعن خواصها وثرواتها وعلاقتها حيث قدر الجانب الجبائي لها[27]، كما أمر بإمداد مملكته بالجيش وسفن ويؤتى بها من افريقية والمغرب الأوسط والأندلس، أما الفرسان والخيول والدواب الحمل من المناطق الصحراوية، أما المناطق الأخرى فتقدم الجند، هذا من جهة من أخرى فهو عمد في بناء الثغور والرباطات على حسب موضع كل منطقة، وهي عبارة على حصون وأبراج تبنى على حدود الإمبراطورية، وذلك إما لدفع العدو، وصد هجماته، أو لاتخاذها قاعدة انطلاق لمهاجمة العدو. هذا بالإضافة إلى إقامة قواعد التموين الهائلة التي تعتبر المحرك الأساسي للتوسع ومواصلة الفتوحات، دون توقف[28].

ولدينا أمثلة نسوقها من خلال الكلام الأنف ذكره فنجد عبد المؤمن بن علي يأمر بناء جبل الفتح وتحصينه، وقد ارتبط هذا الجبل في الفترة الموحدية باسم جبل فتح تيمنا باستئناف عملية الفتوح الموحدية في اتجاه الأندلس، ويلاحظ أن الموحدين بخلاف المرابطين الذين ركزوا على جزيرة الأندلس مباشرة كانوا يرغبون من خلال اختيار موقع جبل ذارق أن تكون المدينة منفصلة عن الأندلس، لتمكن قادة الجيش بوضع خططهم العسكرية قبل الإقدام على أي مغامرة في الداخل، وبغض النظر عن التضارب الكبير في مسألة بناء هذه القاعدة وحول الخليفة الذي تولى بناءها، فإن الرواية الأقرب إلى الأخذ هي رواية ابن صاحب الصلاة الذي كان معاصرا للأحداث، والتي زكت صحتها الرسالة التي أرسلها عبد المؤمن قبل جوازه، والتي تفيد أن البناء كان قبل الجواز أي سنة 555هـ/1160م[29]، لقد أدرك الموحدون مدى الخطر الذي يتهدد الأندلس وبلاد المغرب من الجهة الغربية، حيث كان يرابط فيه الأسطول البرتغالي ، فارتأوا أي يتخذوا من إشبيلية عاصمة لهم في الأندلس عوض قرطبة عاصمة المرابطين من قبل، ولهذا نجد أن الموحدين لم يقتصروا على القواعد القديمة، وإنما سعوا إلى تنويع محطات نزولهم بين العدوتين، وكان

الغرض منه جعله مركزاً للعبور ومنزلاً للجيوش الموحدية المتجهة إلى عدوة الأندلس هذا بالإضافة إلى جعله قاعدة أمامية للدفاع عن بلاد المغرب، وهنا يخبرنا ابن صاحب الصلاة عن الاجتماع التمهيدي الذي ضم عدداً مهماً من المهندسين والعرفاء كأبو إسحاق براز والمهندس الحاج يعيش.. والعريف بن باسة، وحضر جميع الذين تمس حاجة البناء إليهم من البنائين والجيارين والنجارين والعرفاء إلى جانب القواد والكتاب وأهل الحساب الذين يشرفون على تقييد الأشغال والإنفاق على الأعمال[30]. وهذا إن دلّ عن شيء إنما يدل على حسن استراتيجي وتطلع مستقبلي لهذا الخليفة المحنك الذي انتخب الوظيفة الحربية، وفق موضعها الجيد، الذي يحقق شرط التكتيك، فهو يجمع بين خط الدفاع والهجوم الأمامي وضمان الارتداد والحماية، أي خط خلفي.

وقد طبقت هذه الاستراتيجية العسكرية على المدن الساحلية كتلمسان وبجاية وتونس وغيرها فهي تعتبر الخط الدفاعي الأول عن أراضي البابسة.

الواضح أن الموحدين قد حققوا ثورة معمارية مست الجانب الدفاعي، إذ اعتبرت أرقى ما وصل إليه الفكر العسكري خلال هذا العهد.

فقد تجاوزوا المعضلات الهندسية يوضح مخططات ورسوم وزخارف تدل على مستوى عال من المعرفة بالعلوم الرياضية والهندسية[31] كهندسة الري التي بلغت الذروة من الازدهار وخصوصا السواقي وجلب المياه وإقامة الجسور والقناطر للربط ما بين ضفاف الأنهار وماله من أهمية ودور خاصة في حصار المدن أو الدفاع عنها في حالة الحروب، وأحياناً كثيرة تعطي الأولوية لبناء القناطر قبل الأسوار، فهذا المنصور يؤسس القناطر في مختلف أرجاء دولة الشاسعة وبنائه للملاجئ من منطقة سوس إلى بني مدكود، بطرابلس، كما تذكر عنه المصادر والمراجع الأثرية خصوصاً[32]. وكان اقتباسهم من الأساليب الأندلسية، لاسيما في بناء السواقي وجلب المياه، ووضع القنوات من أجل نقل المياه إلى مدنهم مثل: سلا- رباط الفتح- وغيرها من المدن الموحدية[33].

وقد شكلت تلك المنشآت الدفاعية حزاماً أمنيا ضد أي تدخل خارجي أو قبلي لنيل من سلطتهم، وبذلك لجأ الموحدون إلى تحديد تقنيات التصميمات، كما هو الأمر في الأبراج ذات التصميم المتعدد الزوايا، وسيادة الحصون ذات التصميم الرباعي أو شبه مستطيل، كما استعملوا البرج المسمى على نحو منتظم في بناء أبراجهم البرانية وهو ما يعرف بالأبراج الخارجية عن نطاق السور[34].

كما تميزت هندسة أبواب الموحدين بالضخامة التي تعكس الثراء المتنوع من حيث التخطيط والدلالة على عظمة ورهبة هذه الخلافة، خاصة إذا لاحظنا التعقيد الذي أسس نظام الأبواب ذات المرافق حيث أنشأوا أبواباً مرافقها مزدوجة، وأخرى بثلاثة مرافق[35]، كما أنهم لم يسقفوا الممرات حتى تتاح الفرصة للجند بالإشراف من عال على المهاجمين وقذفه بالنبال والزيت المغلي كل هذا يبرز بجلاء شخصية وعبقرية المهندس والبناء المغربي في هذه الفترة والتي يعدها.

هذا ونجد أن الفنان المعماري الموحدي قد طور مواد البناء وطرقه التي استعملت من أجل إنشائها فنجد طريقة الطابية، وقد استخدمت بشكل فعال جدا في الأسوار الموحدية التي مازالت توجد أجزاء منها ماثلة بفاس القديم، والطابية هي عبارة عن خليط من التراب والحصى والجير والماء يحضر بنسب متفاوتة على حسب درجة صلابة البناء المنشودة، فكلما كانت نسبة الجير أكبر كلما كان البناء صلبا، ولكن في الوقت نفسه كان المعماري الموحدي يراعي نسب المواد الأخرى حتى لا تقع شقوق في الأسوار فيما بعد، ويتم بناء هذا النوع من الأسوار عن طريق ما يعرف بوحدات البناء وهي طريقة تعتمد على الارتفاع بالسور

رويدا رويدا من خلال قوالب خشبية وهذه التقنية جاءت لتعويض الحجر بالنسبة للتحصينات العسكرية والتي أثبتت فعاليتها وجودتها منذئذ الصلابة في البناء والسرعة في التنفيذ[36].

إن هاجس الأمن والبحث عن الاستقرار وإخضاع المجال الطبيعي والبشري، دفع بحكام الخلافة إلى خلق أنظمة دفاعية في المدن والأرياف فبنوا الحصون والقلاع والقصبات والأسوار وما إلى ذلك من تلك الأنظمة التي ابدع فيها الفنان المغربي الذي أثبت عبقريته في تلك الأشكال الهندسية المتبعة في العمارة الحربية إلى جانب تطويره في طبيعة مواد البناء وطرقه[37].

إن تلك المنشآت المعمارية الحربية المنتشرة والمتوزعة عبر أقاليم هذه الإمبراطورية توضح لنا الإمكانيات التي كانت تتوفر عليها الخلافة الموحدية وتوظيفها في المجال العسكري والبناء الذي كان جزءا أساسيا من البيئة السكنية والمعمارية والحربية.

خاتمة:

إن حركة بناء المنشآت الدفاعية التي اتبعها الخلفاء الموحدون، كانت تتبع بالضرورة إلى اتساع نفوذهم، فما كان يستقر بال هؤلاء الخلفاء حتى يحيطوا قصورهم وقصباتهم ومدنهم بأسوار عالية محصنة بأبواب، وأبراج منيعة، ثم يأمرون ببناء المدن الجديدة، حتى يحرصوا على صلابة أسوارها وقوتها من جهة من والدفاع عن أقاليمها من جهة أخرى.

ومن البديهي القول إن انتشار هذا البناء وتقنية عالية قدا أدى إلى صمود العديد من المعالم في وجه التطورات الطبيعة والشرية، وما بعض الحصون والأسوار والقصبات التي ماتزال قائمة إلى الأن الدليل على ذلك، والتي من شأنها أن تساهل في إنارة الكثير من لقضايا الخاصة بالفكر العسكري لخلفاء الدولة الموحدية، الذين كان لهم دور كبير في تطوير مجالهم الدفاعي وبالتالي قراءة توظيفية لتلك العمارة ومحاولة فهم أدوارها، ووظائفها وذلك من خلال ربطها بمجموعة من المعطيات الاقتصادية والبشرية والسياسية والعسكرية.

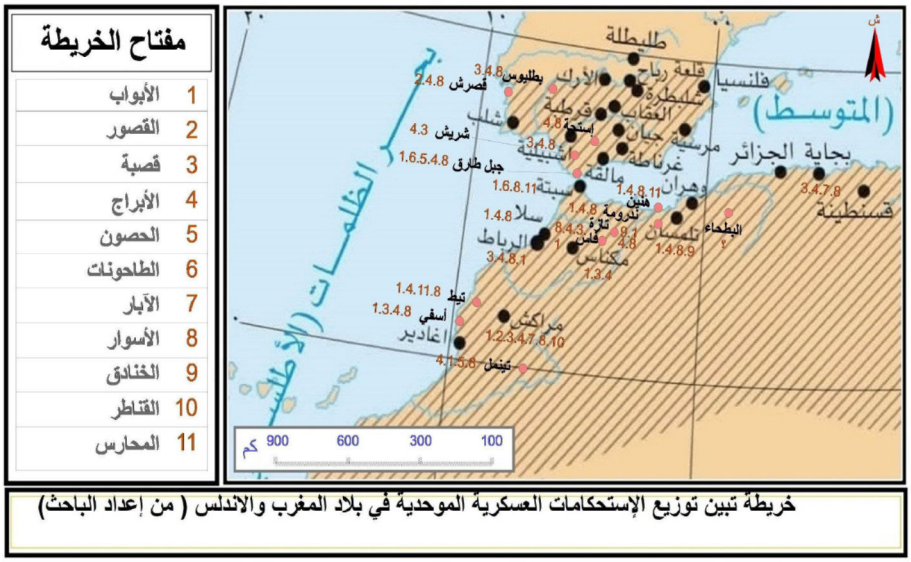

خريطة تبين توزيع الإستحكامات العسكرية الموحدية في بلاد المغرب والاندلس (من إعداد الباحث)

الهوامش:

(1) نشأة حركة الموحدين في جنوب المغرب الأقصى، سنة 515ه 1121م، وكانت الحركة أساسا لقيام أقوى دولة عرفها المغرب في القرون الوسطى، لإخضاع الموحدين جميع بلاد المغرب وجزء من بلاد الأندلس، وحكمت دولتهم من 541ه/1146م، سقوط مراكش حاضرة المرابطين في أيديهم_ إلى سنة 668ه-1269م وفرضوا على سكان المغرب والأندلس الاعتراف بنظرية محمد بن تومرت فترة تزيد عن القرن: لمزيد من الاطلاع بنظر: روجر لي تورنو، حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، تعريب أمين الطيب، ط2، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء 1998م.

(2) أبي بكر بن علي البيذق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971، ص35-37-38-51.

(3) المصدر نفسه، ص 51.

(4) البيدق، المصدر السابق، ص ص 35-38.

(5) لمزيد من الاطلاع ينظر: محمد ابن تومرت، أعز ما يطلب، تقديم تحقيق عبد الغني أبو العزم، مؤسسة النشر، الرباط، المغرب، 1997، ص 413-473.

(6) لقد رمز الموحدون لعلو همتهم في الجهاد برمزين ناطق وصامت فالناطق يتمثل في الآيات التي كتبوها على باب القصبة الشرقي بالرباط، والصمات هو نقش حول احدى نوافذ صومعة حسان جهة البحر، وهما يعبران عن إرهاب العدو المهاجم من البحر، ورمز إلى التهيؤ له والاستعداد. لمزيد من الاطلاع ينظر: مصطفى سالم، الاستحكامات العسكرية الموحدية في بلاد المغرب والأندلس - دراسة تاريخية أثرية- رسالة دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله ، معهد الآثار، السنة الجامعية 2017-2018 ، ص ص 75-78.

(7) Montagne (R) les berbères et le MAZERR, Dans le sud du MAROC Casablanca, 1989, P61.

(8) ابن عذارى المراكشي، البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، الطبعة الأولى، تحقيق، محمد إبراهيم الكتاني، محمد تاوبيت، محمد زنيبر، عبد القادر زمامة، ج 3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1406هـ - 1985، ص20-21.

- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1978، ص202-203.

(9) الجزنائي أبو الحسن علي، كتاب جني زهر الآس في بناء مدينة فاس تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، الطبعة الثانية، المطبعة الملكية، الرباط، 1995، ص210-215.

- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط 1972، ص189.

- ابن القاضي أحمد، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، المطبعة الحجرية الفاسية، 1309، ص34.

(10) الادريسي أبو عبد الله الشريف: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، تحقيق دوزي، مطبعة ليدن، 1862، ص101-102.

- أنظر كذلك مقال: السيني عبد الأحد علامات المدينة المغربية في الأدب الجغرافي الوسيط، دلالات الخراب، ضمن كتاب التاريخ واللسانيات، منشورات كلية الآداب، الرباط، العدد 90، 1992، ص11-25.

(11) هي مجموعة من المنشآت والموانع والستائر تقام لتقوية موقع ما وحمايته من الهجمات، وهناك نوعان من التحصينات، الدائمة أو الثابتة وغالباً ما تبنى في وقت السلم، وتتمثل في الأسوار والمداخل والأبراج والمزاغل، بالإضافة إلى القصبات والقلاع والممرات الخارجية والخنادق، أما التحصينات الميدانية فتقام إثناء المعركة.

- الهيثم مقدم الأيوبي: موضوع التحصينات الموسوعة العسكرية، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، ج1، بيروت 1977، ص257-258.

(12) المطالب المنفية في الاستحكامات الخفيفة، ترجمة من الفرنسية إلى اللغة العربية، راجي توفيق السيد صالح مجدي، المطبعة العامرة، القاهرة 1278هـ، ص7-8.

(13) المرجع نفسه، ص07.

(14) يجب أن تراعى شروط في اختيار المكان لإقامة المدن والتي من بينها أن تكون على هضبة متوعرة من الجبل أو باستدارة بحر أو نهر حتى لا يصل إليها إلا بعد العبور على جسر أو قنطرة لمزيد من الاطلاع حول هذه الشروط: ينظر:

- ابن الأزرق أبو عبد الله، بدائع السلك في طبائع الملك تحقيق: محمد عبد الكريم، ج2، الدار العربية للكتاب، بيروت، 1977، ص 764-766

- عبد الرحمن ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج 01، دار الفكر، بيروت، 1988، ص405

(15) El omariRochid :Architecture militaire de sale propositions des Resauroion on INSAP Rabat, 1995, PP82-85.

- بوجبار نعيمة الخطيب: المدن الأثرية القديمة مطبعة فضالة الجديدة. المحمدية الدار البيضاء، 1977، ص59-60.

(16) وقع اختلاف كبير في رسم ونطق لفظ تينمل – حيث كتبت في المصادر التاريخية الجغرافية بأشكال مختلفة منها: تينمال في الحلل الموشية، ص 112. وتينمل في كتاب أخبار المهدي ص 34، وتانملت عند الادريسي، ص 64، وتامللت في كتاب الروض المعطار ص 128. وتينمل في نظم الجمان، ص 224. وقد رسمها أحيانا ابن صاحب الصلاة كلمتين – تين – ملل- وهي تعني بالبربرية ذات الحواجز تقع في سفوح الجبال لجعلها صالحة للزراعة والسقى، ينظر: مصطفى سالم ، المرجع السابق، ص 87.

(17) عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص405-406.

(18) ففي هجومهم الأول على مراكش سنة 524هـ، بنوا سوراً حول معسكرهم وفي فاس عملوا سوراً وحفروا خندقاً حول محلة خليفتهم وكذا فعلوا في مكناسة والمرية والمهدية، لمزيد من الاطلاع حول فنون الحصار والتحصين المؤقت: ينظر:

- ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي دار الغرب الإسلامي 1990، ص88.

- مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر ومامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء 1979، ص136.

(19) كانت في الأصل "تيزي" بكسر التاء وتشديد الزاي ومعناها البربري "الثنية" أي العقبة ويؤدي هذا أن كلمن صعد إلى مكان مرتفع تظهر له هذه الثنايا من كل الجهات وهناك ثناي تطل على مكناسة الشرقية وثنايا تطل على ملوية وثنايا مكناسة الغربية أنظر: عبد الهادي التازي، رسائل مخزنية، مطبعة فضالة المحمدية 1985، ص 12-13.

(20) عبد العزيز بنعبد الله: الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، معلمة المدن والقبائل، ملحق 2، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، المحمدية، 1977، ص159.

(21) ينسب المؤرخون إلى عبد المؤمن بن علي، اختراع تشكيلة المربع التي اتخذت من ذلك الوقت أساسا لخطط الدفاع الموحدية، فيذكر لنا صاحب الحلل الموسية حيث يقول: «... لما نزلنا من جبل تلمسان نريد بلاد زنانة... فصنعنا دارة مربعة في البسيط جعلنا فيها من جهاتها الأربع، صفاً من الرجال بأيديهم القنا الطوال، والطوارق المانعة، ووراءهم أصحاب الدرق والحراب صفا ثانيا من ورائهم ووراءهم أصحاب المخالي فيها الحجارة ووراءهم الرماة بقوس الرجل، وفي وسط المربعة الخيل، فكانت خيل المرابطين إذا دفعت اليهم لا تجد إلاّ الرماح الطوال الشارعة... فحينما تولى من الدفع وتدبر تخرج خيل الموحدين من طرق تركوها... فتصيب من أصابت... وكان هذا اليوم يعرف بيوم منداس، فقد فيه من جيوش المرابطين مالا يحصى وفي ذلك اليوم ظهر أمر عبد المؤمن بن علي...»، ص132.

(22) إضافة إلى هذه الأبراج المتحركة نجد أن الموحدين قد تفننوا في استعمال سلم الحصار الذي يساعد الجنود على اعتلاء الأسوار وفتح مغاليق الحصون، وقد وصف لنا صاحب الحلل الموشية حصار الموحدين لمدينة مراكش واعتلاء أسوارها بالسلالم، حيث أمر عبد المؤمن بعمل السلالم لارتقاء السور، ثم قسمها على القبائل فدخلت هنتاتة من جهة باب دكالة، ودخلت صنهاجة وعبيد المخزن من باب الدباغين ودخلت هسكورة وغيرها من جهة باب أغمات، ص138.

(23) قد تنوعت الطبول وتعددت ففي حالة الاستقبال يضرب طبل مربع يرجع إلى عهد ابن تومرت بينما في الرحيل يضرب طبل كير مستدير الشكل دوره خمسة عشر ذراعاً منشأ من خشب أخضر اللون مذهب وفي حالة تعيين والي تضرب أربعة طبول.

- ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، وظهور الإمام المهدي بالموحدين على الملثمين، تحقيق عبدة الهادي التازي، ط 3، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1987، ص320.

(24) قد اهتم الموحدون بالبنود والرايات لدرجة أنه كان لهذه الدولة رايات متعددة، حتى أنهم كانوا ينصبون راية على رأس كل مائة جندي، وقد اتخذ ابن تومرت لواء أبيض يكون رمزا لجيشه كتب على أحد وجهيه- الواحد الله محمد رسول الله المهدي خليفة الله، وكتب على الوجه الآخر وما من إله إلا الله وما توفيقي إلاّ بالله، وأفوض أمري إلى الله

- ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس- دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط، 1972، ص ص 201 -202.

(25) لقد برهن عبد المؤمن بن علي على معرفة تامة بنفسية البدو فقد خاطبهم شعراً، إلى جانب تذكيرهم بحقوق الجهاد في سبيل الله ركز على ما سينالونه من غنائم ومكاسب مادية وقد استجاب لنداء عبد المؤمن الجم الغفير من العرب، ففي عام جبل الفتح رتب بعضهم في نواحي قرطبة واشبيلية، ونقل أعدادا إلى المغرب وفي استعداده لغزو النصارى نقل إلى المغرب ألفاً من كل قبيلة من قبائل جشم

- ليفي بروفنسال: مجموع الرسائل الموحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية لليفي بروفنسال، الجزء 01، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، الرباط، 1941، ص112-113.

(26) أقام عبد المؤمن وخلفاءه على أرض خلافته المترامية الأطراف سلسلة من القلاع والحصون، وذلك لأحكام السيطرة على مناطقه، ومراقبة القبائل خشية عصيانها وتمردها وقد انتشرت من مراكش في الجنوب حتى مدينة فاس في الشمال ومن تلمسان الشرق إلى طنجة في الغرب

(27) لما تولى عبد المؤمن شؤون الخلافة الموحدية التزم بسياسة ابن تومرت في الاكتفاء بالمصادر التي حددها الشرع، حتى سنة 555هـ-1160 لجأ إلى فرض الخراج على أرض المغرب وبقية المناطق التابعة للدولة وذلك من أجل مواصلة أعمال الجهاد، وما تحتاجه هذه الأقاليم من حماية ورعاية لمزيد من التفاصيل ينظر:

- عنان محمد عبد الله: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الثاني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1964 ص620-624.
- حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي للنشر، مصر، 1980، ص194-218.

(28) كانت هذه المراكز العسكرية الدائمة تضم عادة ثكنات لإسكان الجند وهي تختلف بحسب القيمة التعبوية والاستراتيجية للمدينة التي ترتبط الثكنة بها هذا إلى جانت الإصطبلات ومستودعات من المخازن التي تحفظ التجهيزات من أسلحة وطعام كما تحتوي هذه المراكز على ديوان وهو عبارة عن سجل خاص يضبط أسماء الجند وعددهم وأعطياتهم ويشرف عليها كاتب مختص.

لمزيد من الاطلاع أنظر: فتحي زغروت، الجيوش الإسلامية وحركة التغير في دولتي المرابطين والموحدين، المغرب والأندلس، الطبعة الأولى، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة 2005، ص147-155.

(29) ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 84-85.

(30) ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص85-86.

(31) من بين المهندسين الذي مازال التاريخ يذكرهم ويذكر إبداعاتهم ولمساتهم الرائعة أمثال: المهندس الشهير أحمد بن باسه الإشبيلي، والمهندس المغربي علي الغماري، والمهندس ابن جبير والمهندس الحاج يعيش المالقي، لمزيد من الاطلاع ينظر:

- عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، المجلد السادس، مطابع فضالة، المحمدية، 1987، ص68-74.

(32) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 216-217.

- ليوبولدو بالباس: الفن المرابطي والموحدي، ترجمة سيد غازي، نشر منشأة المعارف الإسكندرية 1979، ص 89-90، أنظر كذلك: مالكاجان بيير، الرباط بين الأسس واليوم، مراجعة عبد العزيز بنعبد الله مرسم الرباط، 2002، ص 101-102.

(33) عبد العزيز بنعبد الله، رباط الفتح بين عاصمة شالة وعاصمة القصبة، منشورات جمعية رباط الفتح، 1990، ص 40-41.

Benstimane J.H Salé etudearchitecturele de trois maissions traditionnelles Rabat, 1979, P80.

(34) عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى الجزء الثالث، عصر دولة الموحدين، الطبعة الأولى، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 1993، ص117.

(35) المرجع نفسه، ص 123-126.

Allain (CH) et Deverdin(G) : les portes anciennes de Marrakech, DsHesp, T.X.L.U 1957, P119.

(36) منير أقصبي: العمارة العسكرية بفاس عبر التاريخ، مطابع إفريقيا الشرق الدار البيضاء، 2016، ص203.

- Marçais (G): L'Art de l'islam. Paris 1950, P220.

(37) منير أقصبي: المرجع السابق، ص203-204.

- ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص372-374.

مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 943 – 956
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

القبائل العربية بالمغرب الإسلامي (ق 5هـ-11م)
التواجد الهلالي بين القطيعة السياسية والأزمة الاقتصادية

The Hillali tribes in Islamic Maghreb (05h-11ad)
Between the political rupture and the economic crisis

طالب دكتوراه أحمد بن بلخير[1] د/ عبد القادر بوعقادة
جامعة علي لونيسي – البليدة 2
مخبر الدراسات التاريخية والمتوسطية عبر العصور، جامعة يحيى فارس - المدية
Benbelkheir28@gmail.com bouagada_aek@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2021/01/10 تاريخ القبول: 2021/10/28

الملخص:
شكّل دخول القبائل العربيّة الهلالية والسليميّة إلى إفريقية والمغرب منتصف القرن05ه/11م حدثاً مهمّاً في تاريخ بلاد المغرب، إذ ترتّب عليه العديد من النتائج التي يراها البعض إيجابيّة – كتعريب المنطقة -، بينما يراها الطرف الآخر والمتمثّل أساساً في المستشرقين- أمثال جورج مارسيه وروبر برانشفيك- ومن تبعهم بنقطة انحطاط الحضارة الإسلامية وقد سمّاها بعضهم- الهادي روجي إدريس- الكارثة الهلالية، ولئن اعتبر المؤرخون أنّ القطيعة هي السبب الرئيس لهجرة تلك القبائل، فإنّ هناك عاملاً آخر لا يقلّ أهمية عن الأوّل ألا وهو الأزمة الاقتصادية الخانقة التي شهدتها مصر أواخر القرن 4هـ/10 م وبداية القرن 5هـ/11م.

وُصفت هذه القبائل العربيّة بعد دخولها إلى المغرب بالمخرّبة لكل أنواع الحضارة والعمران، لكن يبدو أنّ أمراء صنهاجة بفرعيها الزيري والحمّادي قد ساهموا بدورهم في ذلك التخريب الذي طال العديد من المدن المغربيّة كالقيروان مثلاً، وأكبر دليل على ذلك موقعتي جبل حيدران 443هـ، وموقعة سبيبة 457هـ، الأولى أدت إلى دخول الهلاليين إلى القيروان والثانية انتشرت فيه القبائل الهلالية بالمغرب الأوسط انتشاراً كبيراً.

وقد خلُصنا من خلال هذه الدراسة إلى أمرين اثنين: أوّلهما أن القطيعة بين الطرفين والتي أدّت إلى تأزّم العلاقات بينهما كان لها كبير الأثر في عبور القبائل العربية الهلالية إلى المغرب، ثاني هذه النتائج هي أنّ الأزمة الاقتصادية الخانقة التي عانى منها المشرق الإسلامي في تلك الفترة شكّلت عاملاً مهمّا في تهجير الهلاليين، كما ساهمت بشكل عكسي في التخفيف من الضغط المفروض على بلاط الفاطميين بمصر، هذا كلّه جعل من التغريبة الهلالية حقلاً واسعاً لأقلام المستشرقين.

الكلمات المفتاحية: بني هلال؛ القبائل العربية؛ القطيعة السياسيّة؛ الأزمة الاقتصادية؛ المغرب الإسلامي.

Abstract:

The entry of the Arab tribes of Bani-Hilal and Soulaimi to the Ifriqiya and Almaghreb in Mid of the 05h /11 century; was a landmard in the history of this areas because of its various consequences – some see it as positive (arabisation of this area); while others consider it as negative – mainly orientalists like George marselle and Robert Branchfek – because they

[1] المرسل المؤلف.

consider it as the decadence of the Islamic civ; and some like Alhadi Roger Idriss; went be y ond this and labeled it as “the Hilali catastrophy”.

After their arrival; the Hilalians were depicted as Destructive and plundering hords to all from of Civilized life and Urbanism; but what should be noticed is the contribution of Sanhaji rulers (Zirids and Hammadi) to the ruining of Maghreb cities like Kairouan manifesting in Battles like “Haydaran 443 AH ; and Sabiba 457 AH “ , the first led to the entry of Bani Hilal to Kairouan , while the secand opened the door to the spread of Hilalians in the Central Maghreb.

We concluded through this study to two things; the rupture between the two sides was a prime cause to the immigration of Bani-Hilal to the Almaghreb; and the second factor is the economic crisis that suffocated the eastern Islamic countries and this made Taghribt Bani-Hilal a large field for orientists to write about.

Key words: Bani hilal; Arab tribes; The political rupture; the economic crisis; Islamic Maghreb.

مقدّمة:

شهدت مصر منتصف القرن 5هـ/11م حدثا مهمّاً تمثّل في عبور القبائل العربية نحو المغرب الإسلامي، هذه القبائل التي سكنت صعيد مصر وأفسدت فيه نشبت بينها العديد من الحروب وأصبحت تشكّل خطراً على أمن البلاد المصريّة، ممّا أدّى بالخليفة الفاطمي المستنصر إلى ترحيلها نحو إفريقية والمغرب متحجّجاً بالقطيعة السياسيّة التي أعلنها المعزّ بن باديس الذي خاطب وزير الفاطميين اليازوري بالفلاّح، ولكن يبدو أنّ تلك القطيعة لم تكن وحدها السبب، بل هناك سبب آخر لا يقل أهمية ألا وهو الأزمة الاقتصادية التي ضربت العالم الإسلامي في شقّه الشرقي بما في ذلك مصر، هذه الأزمة التي تمثّلت أهمّ مظاهرها في كثرة الأوبئة والمجاعات وغلاء الأسعار أضرّت بمصر كثيراً وأدّت إلى اضطراب في خزينة الدولة بالإضافة إلى ازدياد نفقات الجيش نتيجة الحروب.

ومن هنا يمكن أن نطرح السؤال التالي:

- هل كانت هجرة القبائل العربية - بني هلال وبني سُليم - من مصر إلى المغرب الإسلامي نتيجة العلاقة المتوتّرة بين الدولتين الزيريّة والفاطمية، والتي تمثّلت في قطع العلاقات السياسيّة بينهما؟ أم تداعيات الأزمة الكبيرة التي شهدتها مصر في تلك الفترة؟ أم الأمرين معاً؟
- وما مدى مساهمة صنهاجة بفرعيها الزيري والحمادي في تخريب إفريقية والمغرب؟

نروم من خلال هذه الورقة البحثية تبيان الأسباب الحقيقية لعبور تلك القبائل العربية الهلالية والسّليمية إلى إفريقية والمغرب، إذ يُعتبر هذا الحدث فيصلاً في تغيير مجريات الأحداث ببلاد المغرب بدء من القرن 5هـ/11م، حتى أصبح المستشرقون وهم كُثر يتكلمون عن بداية انحطاط الحضارة الإسلامية بدخول القبائل الهلالية ووصفوها بالكارثة.

وقد حاولنا أن نجيب على هذه التساؤلات في هذه الورقة البحثية من خلال النقاط التالية:

- بيان الموطن الأول لتلك القبائل ومن خلاله نستطيع ولو بنسبة الحكم على ذهنية المجتمع العربي الهلالي، وهل أنّ الخراب الذي طال مدن وعمران إفريقية حصل بالفعل أم لا؟، تناولنا في هذه النقطة الموطن الأول للقبائل العربية الهلالية والسليميّة، بدء من شبه الجزيرة العربية إلى مصر والمغرب، وكذا سياسة التحالفات التي عقدتها تلك المجموعات القبليّة وخاصّة مع القرامطة.

- تناولت النقطة الثانية مشكلة القطيعة السياسية التي كانت بين المعز الصنهاجي والمستنصر الفاطمي، والسبب الرئيس في تطوّر الأحداث وصولاً للقطيعة بعد خطاب المعزّ ابن باديس للوزير اليازوري، وتحديد السنة التي حصلت فيه القطيعة.
- بعد الكلام على الحالة السياسية بين الدولتين، نذكر في هذه النقطة السبب الاقتصادي الذي كان إلى جانب السبب الأول- القطيعة السياسيّة- أحد أهمّ العوامل التي دعت بالمستنصر إرسال القبائل العربية إلى المغرب، هذا السبب الاقتصادي يتمثّل أساساً في الظروف العامة لمصر قبيل هجرة القبائل العربية، وأهمّ مظاهرها -الأزمة الاقتصادية-: توقّف حركة القوافل، وكثرة الأوبئة والمجاعات، وإرهاق خزينة الدولة من خلال الاهتمام بالجانب العسكري.
- أما النقطة الأخيرة فاستدعت منّا النظر بتمعّن في مدى مساهمة أمراء صنهاجة في الخراب الذي طال مدن المغرب، ومحاولة إنصاف تلك القبائل العربيّة والتخفيف من وطأة الهجمة الشرسة التي تعرضّت ولازالت تتعرّض لها القبائل الهلاليّة.

1- المواطن الأولى للقبائل العربية الهلالية:

تعتبر شبه الجزيرة العربية الموطن الأول للقبائل الهلالية[1]، فقد ورد في المصادر التاريخية أسماء الأماكن التي كانت تسكنها كحرّة بني سليم والتي تبعد عن المدينة بعشر فراسخ [2]، ويتكلم اليعقوبي عن مكة وأحوازها فيقول: "ولمكّة من الأعمال رعيلاء الهوذة ورعيلاء البياض وهي معادن سليم وهلال وعقيل بن قيس، وحول مكة من قبائل العرب من قيس: بنوعقيل وبنو هلال وبنو نمير وبنو نصر"[3]، أما ابن خلدون فيوضح لنا أن بنو عامر بن صعصعة كلهم كانوا بناحية نجد، فأمّا بنو هلال فكانوا في بسائط الطائف ما بينه وبين جبل غزوان[4] أما بنو سليم فممّا يلي المدينة[5].

تكاد تتفق المصادر على أن القبائل الهلالية عاشت على هامش مناطق الحضر والاستقرار، بل أن البداوة صفة لازمة فيها، ومنه نجد أنها اعتمدت في كسب عيشها على الإغارة فوصفهم ابن خلدون بقوله " يُغيرون على الضواحي ويُفسدون السابلة ويقطعون على الرفاق، وربّما أغاروا على الحجاج أيام الموسم وأيام الزيارة بالمدينة "[6]، وكذلك وصفهم حسين مؤنس[7]، ويبدو أن ابن خلدون قد كان قاسياً في الحكم على تلك القبائل فإن هذه القبائل لم تكن مصدراً للفوضى ولم تذكرها المصادر بهذه الصفة إلا بعد تحالفهم مع القرامطة وذلك بدءً من القرن الرابع الهجري / العاشر ميلادي وهذا على حدّ قول الباحث إبراهيم جدلة[8].

1-1- الهلاليين وسياسة التحالفات: انضمّت القبائل الهلالية (وبالأخصّ بنو سُليم) إلى حركة القرامطة في القرن 4هـ/10م[9]، واشتركت في الحرب ضدّ العبيديين، ولكن بعد تغلّب العبيديين تمّ إسكانهم بالجانب الشرقي لصعيد مصر بأمر من العزيز بن المعزّ لدين الله الفاطمي[10]، ولكن السؤال المتبادر هنا هو: لماذا نقل العزيز الفاطمي تلك القبائل إلى صعيد مصر مع علمه بالضرر الذي سيلحقه منهم ؟

حقيقة لم تعطنا المصادر التي بين أيدينا تفسيرا لذلك، لكن نجد بعض الإشارات فيما ذكره مبارك الميلي في قوله: "ولم يُبق أحد منهم بنجد سوى العاجز عن الحرب"[11]، إذ نستفيد من هذا النصّ أن العزيز إنما نقل تلك القبائل إلى صعيد مصر ليتقوّى بهم في حروبه، وممّا يدلّ على ذلك هو تركه لكلّ عاجز عن الحرب بنجد.

1-2- الاستقرار بمصر: تشير المصادر التاريخية أن الهلاليين قد كانوا بمصر قبل القرن 4هـ/10م، فقد نزلت من بني سُليم مائة أسرة في بلبيس سنة 109هـ، وظلّ هؤلاء يشتغلون بالزراعة، وظهر منهم من مارس السياسة مثل يزيد بن أُسيد الذي ذكره ابن خلّكان أنّه تولّى مصر سنة 154هـ[12]، كذلك ذكر الميلي أن طائفة من بني سُليم قد نزلت مصر في ولاية عبيد الله بن الحبحاب واتبعتهم أحياء من بني هلال وغلب عليهم الاشتغال بالكسب والزراعة[13]، كما أن هناك قبائل عربية من بني هلال قد استقرّت ببرقة منذ القرن 2هـ/8م[14]، ويُؤيّد ذلك ما ذكره ابن عُذاري المراكشي في البيان المُغرب من أنّ السيدة أمّ ملال وهي أخت نصير الدولة باديس قد أرسلت إلى أخت الحاكم بأمر الله هديّة، فلمّا وصلت تلك الهدايا إلى جهة برقة استولى عليها وأخذها العرب[15]، ويبدو أن العرب الذين كانوا بناحية برقة هم بنو قرّة بن هلال بن عامر بن صعصعة ذكرهم المقريزي ممّن رحلوا من البحيرة من أرض مصر إلى برقة مع كبيرهم مختار بن قاسم[16]، وأكّد ذلك ابن خلدون بقوله: "وكانت برقة آخر موطن للعرب، وكان فيها بنو قرّة بن هلال بن عامر"[17] وكما أسلفنا سابقاً أن العزيز أمر بإسكان هؤلاء بصعيد مصر، ولكن الذي حصل أن تلك القبائل قد أضرّت بالبلاد وأفسدت ونشبت بينها حروب طاحنة[18].

أمّا في المغرب فيبدو أنّ جماعات من بني سُليم وبني هلال قد استقرّت بالمغرب الإسلامي قبل القرن 5هـ/11م، بل أنّ هناك من ولي بعض المدن من قِبل بعض أمراء وسلاطين الدويلات التي قامت بالمغرب، فنجد إشارات في كتاب البلدان لليعقوبي حينما وصف مدينة ميلة بقوله "ميلة عامرة مُحصّنة لم يلها وال قطّ، ولها حصن دون حصن، فيه رجل من بني سُليم يُقال له موسى بن العباس بن عبد الصّمد من قبل ابن الأغلب"[19].

1-3- القطيعة السياسية بين الزيريّن بالمغرب والفاطميين بمصر: الكثير من المؤرخين والباحثين جعل هجرة القبائل الهلالية مرتبطاً بالقطيعة السياسيّة الحاصلة بين المعزّ بن باديس الصنهاجي من جهة والمستنصر ووزيره اليازوري من جهة أخرى، هذه القطيعة في القرن 5هـ/11م قد سبقتها محاولات الاستقلال والانفصال من طرف الزيريّن وكذا محاولة الهيمنة والسيطرة على المغرب من طرف الفاطميين بعد رحيلهم إلى مصر سنة 362هـ، ويحدّثنا حسين مؤنس بأنه في عهد المعزّ لدين الله كان يعلم بمطامع الصنهاجيين ولكنّه ساير ذلك من خلال سياسة المهادنة، وعلى العكس من ذلك كان خلفُه العزيز ثاني الخلفاء حيث اتّجه نحو سياسة خلق الفوضى بالمغرب، وذلك من خلال إرساله لداعية شيعي يُدعى أبا الفهم الذي قام بإثارة قبائل كتامة على المنصور الزيري، لكن محاولته باءت بالفشل ليعود إلى سياسة سلفه المهادنة والمصانعة[20]، وكذلك حدث مع الحاكم بأمر الله مع محاولة واليه على برقة السيطرة على طرابلس بعلمه ففشلت المحاولة، ليُعيد الكرّة مرّة أخرى مع فلفل بن سعيد الزناتي للسيطرة على المدينة، ولكن المحاولة فشلت هي الأخرى ليعود إلى المصانعة والمهادنة[21].

ويبدو أن تلك السياسة المنتهجة من طرف الخلفاء الفاطميين بدءً بالخليفة الأول بمصر المعزّ لدين الله (341ه-365ه) وخلفه من بعده إنّما كانت محاولة منهم لردع أمراء بني زيري وتخويفهم وتحذيرهم من مغبّة الانفصال والاستقلال، فكان الردّ من أمراء صنهاجة بالقضاء على تلك الفتن، حتى كان عصر المعزّ بن باديس الصنهاجي الذي حدثت في ولايته القطيعة السياسيّة وسارت فيه العلاقات بين الطرفين نحو التأزّم.

1-4- سبب قطع العلاقات مع بلاط الفاطميين: يمكن إرجاع سبب القطيعة بين الدولة الزيريّة الصنهاجية والدولة الفاطمية إلى الخطاب الذي أرسله المعزّ بن باديس إلى وزير المستنصر اليازوري، فقد خاطبه بما لم يُخاطب به أسلافه كالجرجرائي، فقد كانت خطاباته لهم مليئة بعبارات تُعلي من مقامهم، إلّا أنه في كلامه

للوزير المذكور خاطبه بصنعته ومهنته وهي الفلاحة والتبانة[22]، وقد حصل إثر ذلك من المغاضبة والمباعدة بينهما الشيء الكثير.

لكن يبدو أنّ القطيعة كانت قبل ذلك بكثير (وإنّما الخطاب كان سبباً مباشرا)، ففي سنة 407هـ أورد ابن الأثير نصّاً فيه "أنّ المعزّ ركب ومشى في القيروان، والنّاس يُسلّمون عليه ويدعون له فاجتاز بجماعة فسأل عنهم فقيل هؤلاء رافضة يسبّون أبا بكر وعمر فقال: رضي الله عن أبي بكر وعمر، فانصرفت العامّة من فورها إلى درب المقلى من القيروان، وهو تجتمع فيه الشيعة فقتلوا منهم... "[23]، ولا نستغرب من هذا الكلام إذا علمنا أن تأديب المعزّ بن باديس وتعليمه إنّما كان على يد رجل من أهل العلم بالسُنّة على مذهب الإمام مالك ألا وهو ابن أبي الرجال[24]، ولكن ما يدعو للحيرة هو السنّ التي كان فيها المعز فهو في سنة 407هـ لم يتجاوز التاسعة من عمره، فهل كانت له القدرة والجُرأة على أن يقطع علاقة الدولة مع الفاطميين بهذه السهولة؟

يجيب ابن عذاري في بيان ذلك بأنّ ما ساعد على قطع العلاقة هو ما كان في نفوس النّاس من الكراهة لبني عبيد، فقد كانت نفوسهم مُهيّأة لذلك يقول ابن عُذاري: " ظلّت صنهاجة تخطب لبني عبيد دهراً على المنابر وتذكر أسماؤهم وكان النّاس كارهون لذلك، فكان بعضهم إذا بلغ المسجد قال سرّاً (اللّهم اشهد، اللّهم اشهد) ثمّ ينصرف، فيُصلي الجمعة ظهراً، وانتهى بهم الحال حتى لم يحضر الجمعة من أهل القيروان أحد، فتعطّلت الجمعة دهراً"[25]، ولُعن بعدها بنو عبيد على المنابر بأمر من المعزّ[26].

وحاول بعض المستشرقين منهم جورج مارسيه تفسير القطيعة السياسية اعتماداً على الانتماء العرقي، فأرجع السبب الرئيس في ذلك إلى نفور البربر من العرب والعداء الكبير الذي يُكنّونه لهم[27]، ولكن هيهات له هذا البيان والتفسير إذ تُجيب عليه القرون الطويلة من التعايش بين العرب والبربر في ظل حكم الدويلات المتعاقبة.

1-5- تحديد سنة القطيعة: لا يمكن الجزم بسنة معينة للقطيعة الحاصلة بين الزيريين والفاطميين نظراً للاختلاف الكبير الموجود في المصادر التي تكلّمت على تلك الحوادث، فهناك من يجعل من سنة 407هـ بدايةً للقطيعة مع قيام المعزّ بالترضّي على الشيخين وإظهار السنّة وقتل الشيعة[28]، لكن ابن الأثير يعود ليضع القارئ أمام تاريخ آخر وهو سنة 435هـ، ذكر في حوادث هذه السنة أنّ المعزّ قطع الخطبة للفاطميين وأظهر الدعاء للقائم بأمر الله العباسي، فوردت عليه الخلع والتقليد وسمّاه بـ (الملك الأوحد، ثقة الإسلام وشرف الإمام وعمدة الأنام، ناصر دين الله، قاهر أعداء الله، ومؤيّد سنّة رسول الله ﷺ، أبي تميم المعزّ بن باديس وليّ أمير المؤمنين بولاية جميع المغرب، وما افتتحه بسيف أمير المؤمنين) وهو ما ذكره المقريزي كذلك[29].

وهناك من يرى أن سنة 433هـ سنة إظهار الدعوة للعباسيين[30]، أمّا ابن خلدون فقد جعل من مخاطبة المعز للوزير اليازوري بالفلاّح سببا في قطع العلاقة وكان ذلك سنة 437هـ[31].

لنجد أنفسنا أمام تاريخ آخر وهو 440هـ، وهو قول ابن الأثير[32] وابن عذاري في البيان المغرب33، وتبعهما كلٌّ من حسين مؤنس ومبارك الميلي[34]، قال ابن عذاري "أنّ المعزّ كان يُعمل فكره في قطع العلاقة"[35]، وقال في موضع آخر: "أن الخطبة قُطعت لصاحب مصر وأُحرقت البنود وكان ذلك سنة 440هـ"[36].

ويورد صاحب النجوم الزاهرة في حوادث سنة 443 ه أنّ المعزّ أقام الدعوة للعباسيين وأبطل الدعوة لبني عبيد خلفاء مصر ووافقه على ذلك ابن عذاري مُستدلّاً بلبس السواد في القيروان[37].

تردُ إشارة قويّة عند ابن عذاري وتعتبر دليلاً قويّاً على قطع العلاقة، ألا وهي ضرب السكّة، ففي سنة 441هـ ضُرب الدينار المُسمّى النجاري، وضُربت منه دنانير كثيرة، وبُثّ في النّاس قطع سكّة بني عبيد وإزالة أسمائهم من الدنانير والدراهم وكذا البنود والأعلام38، وهو دليل قويّ على القطيعة، إذ لا يكفي قطع العلاقة السياسيّة لنُسمّي ذلك بالقطيعة إذ لابدّ من إتباع ذلك بالقطيعة الاقتصادية وهو ما حصل فعلاً في سنة 441هـ وفق قرينة قويّة وهي ضرب السكّة باسم أمراء بني زيري وإلغاء عملة الفاطميين.

2- الظروف العامّة لمصر قبيل هجرة القبائل العربية:

رحل الفاطميون إلى مصر سنة 362هـ، ولم تكن ظروف مصر القادمين إليها بأحسن ممّا خلّفوه بإفريقية والمغرب، فقد حالت الظروف الجديدة بمصر بينهم وبين إحكام قبضتهم على إفريقية، حتى أنّ حسين مؤنس وصف تلك الفترة بقوله "... فقد غرقوا في شئون مصر ومشاكلها"[39].

إنّ استقراء مختلف المصادر ومنها ما كتبه المقريزي، والسيوطي، وابن تغري بردي، والتي تكلّمت عن حالة مصر الاقتصاديّة في القرن 5هـ/11م، تكاد تجزم بأن الحالة كانت جدّ سيئة على جميع الأصعدة، يمكن تبيانها من خلال النقاط التالية:

2-1- توقف حركة القوافل: وذلك بفعل القبائل القاطعة للطريق، فقد ذكر السيوطي أنّ القبائل الهلاليّة في حدّ ذاتها قطعت على الحجيج بمصر الطريق وأُخذ من تلك القافلة عشرون ألف بعير بأحمالها وأموالها، هذه الحادثة جرت قبل تولّي الفاطميين شئون البلاد أي سنة 355هـ[40]، وتواصل نشاط تلك القبائل بعد تولّيهم زمام الأمور، ففي سنة 363هـ قطعت طائفة من بني هلال الطريق على حجيج مصر وقتلوا منهم، وسلبوا ما عندهم حتى تعطّل الحج تلك السنة[41]، ويبدو أنّ هذه الحوادث تكرّرت كثيراً بدليل توقّف حركة الحجيج من وإلى مكّة، مع عِظم تلك الرحلة في نفوس النّاس، فكيف بما دون ذلك من الرحلات التجاريّة لابدّ أنّها قد تعطّلت هي الأخرى، وهو ما سينعكس سلبا على الحياة اليوميّة لسكان مصر والوضع الداخلي للبلاد متجلّياً ذلك في ظهور الأوبئة والمجاعات وغلاء الأسعار.

2-2- الأوبئة والمجاعات: إن استقراء بسيطا للأوبئة والمجاعات التي حصلت بمصر في القرنين 4 و5هـ/10-11م تبيّن مدى كثرتها، هذه الأوبئة والمجاعات (مجاعات 444هـ، 446هـ، 448هـ، 455هـ، وغيرها) أدت في النهاية إلى انهيار اقتصادي كبير، وعجّلت برحيل القبائل الهلالية إلى المغرب منتصف القرن 5هـ/11م، ولا يُستبعد أن يكون ترحيل المستنصر لتلك القبائل إنّما لتخفيف الشدّة على بلاده[42]، ففي سنة 444هـ حدث غلاء كبير بمصر[43]، وكذلك نقص النيل وتزايد الغلاء وتبعه وباء شديد سنة 446هـ[44]، وحدث سنة 448هـ قحط شديد شأنه يتجاوز الوصف "وقيل أنّه ورد كتاب من مصر بأن ثلاثة من اللصوص نقبوا داراً ودخلوا، فوُجدوا عند الصباح موتى، احدهم على الباب والآخر على رأس الدرجة، والثالث في الدّار"[45]، فانظر إلى توالي هذه السّنون العجاف على مصر، وممّا زاد الطّين بلّة هو ابتداء الوباء والقحط الذي دام سبع سنين[46] وصفه السيوطي بأنّه لم يُسمع به من قبل منذ عهد يوسف عليه السلام، وذكر المقريزي أنّ ابتداؤه كان سنة 457هـ[47]. ولعظم هذا البلاء بعث أحد الشعراء وهو ابن الفضل إلى الخليفة العباسي يهنّئه، فأنشد قائلاً[48]:

وقد علم المصريّ أنّ جنوده سنو يوسف هولاً وطاعون عمواس
أقامت به حتى استراب بنفسه وأوجس منها خيـــفة أيّ إيجـــــــــاس

واشتد هذا الغلاء سنة 465هـ حتى قيل أنّ أهل البيت كانوا يموتون في ليلة[49]، ورُويت في ذلك قصصٌ تحار منها العقول، فالسودان كانوا يقفون في الطرقات يصطادون النساء بالكلاليب فيأكلون لحومهنّ[50].

والأمر الأكثر سوء أن هذا الغلاء والأوبئة والمجاعات لم تستثن أحداً، فقد عانت طبقة الخاصة من ذلك أيضاً، يقول صاحب النجوم الزّاهرة: "وحتى أنّ المستنصر هذا بقي يركب وحده وخواصّه ليس لهم دوابٌّ يركبونها، وإذا مشوا سقطوا من الجوع، وحدث أن استعار المستنصر بغلةً يركبها من صاحب ديوان الإنشاء..."[51]، ولا نستغرب إذا علمنا أن ذلك قد مسّ الخليفة وأهله "وكذلك نزحت أمّ المستنصر وبناته إلى بغداد خوفاً من الموت بالجوع"[52]، وازدادت الأمور سوء ببيع الخليفة كلّ ما في قصره من ذخائر وثياب وأثاث وسلاح وغيره وصار يجلس على حصير واحتاج إلى بيع حِلية قبور آبائه[53].

وكنتيجة لما سبق، فقد وصف ابن تغري بردي فترة حكم الخليفة المستنصر بقوله: " وعاش المستنصر سبعاً وستين سنة وخمسة أشهر في الهزاهز والشدائد والوباء والغلاء والجلاء والفتن... "[54].

2-3- إرهاق خزينة الدولة: فقد عرفت الخزينة نفقات كثيرة جُلّها كان يُصرف على الجيوش والحروب، مثل ما حدث في فتنة انقسام جيش المستنصر إلى فئتين: فئة الأتراك وفئة العبيد، وكان المستنصر يميل إلى الأتراك، فلمّا علم الأتراك بذلك قويت نفوسهم وكثرت أعدادهم وبالتالي: "زادت كُلفة أرزاقهم فخلت الخزائن واضطربت الأمور "[55]، وممّا يزيد في النفقات تجهيز الجيوش وإعدادها للحروب فإنّ ذلك يتطلّب أموالاً طائلة تُصرف من الخزينة، كما وقع في موقعة البُحيرة بين جيش المستنصر وبني قرّة من بني هلال، حيث انهزم فيها جيش المستنصر ممّا تطلّب الاستعانة بالعرب من طيء وكِلاب، وهو مالا يكون إلاّ بالنفقة عليهم[56].

وما يدلّ على حالة التخبّط التي عاشتها حكومة الفاطميين في تلك الفترة ما قامت به من إرسال القبائل الهلالية أو بالأحرى رؤوس القبائل الهلالية إلى المغرب وإعطاء لكل عابر بعير ودينار، ولم يكن عددهم بالمهمّ، ولكن عند نزول هؤلاء بأرض برقة ورؤيتهم لتلك الأراضي الرعوية الهامّة، أرسلوا إلى إخوانهم ممّن لم يجز، ولكن الحكومة المصريّة منعت ذلك إلاّ بأداء كل عابر لدينارين، فأخذوا أضعاف ما أعطوا، ونزل ممّن قدر على العبور إلى برقة حتى ضاقت بهم[57].

2-4- توجيه القبائل الهلالية إلى المغرب: كما أسلفنا سابقاً، فإنّ الأزمة الاقتصادية كانت قد ازدادت سوء بمصر، تزامن مع ذلك الدعوة إلى القطيعة السياسيّة من المعزّ بن باديس، فكان هذا سبباً في إرسال القبائل الهلاليّة بدعوى تأديب الأمير الزيري وإحكام السيطرة على إفريقية من جديد، يرى الباحث عبد الحميد خالدي 58 بأنّ هجرة تلك القبائل كان لسببين اثنين هما:

- الأزمة الاقتصادية التي شهدتها مصر والتي مسّت العالم الإسلامي في شقّه الشرقي.
- الرّخاء الذي تمتّع به نوعاً ما المغرب الإسلامي في نفس الفترة، ممآ رغّب تلك القبائل للهجرة نحو أراضي رعويّة جديدة.

رغم أن صاحب البيان المغرب ذكر أنّ إفريقية شهدت سنة 447هـ مجاعة عظيمة وجهد مفرط، وكذلك سنة 469 هـ "مجاعة عظيمة ووباء عظيم مات فيه من الناس خلق كثير"[59]، لكن يبدو أنّ المجاعات والأوبئة التي مسّت إفريقية في القرن 5هـ/11م لم تكن بنفس الحدّة والقسوة.

2-5- العبور نحو المغرب: كانت القبائل الهلالية بصعيد مصر تعيش في فقر وضيق، وكانت كثيراً ما تنشب بينها حروب طاحنة متتالية، فأصبحت تُشكّل خطراً على أمن الدولة المصريّة وعبئاً على خزينتها[60].

قام المستنصر بخطوة عظيمة كان لها الأثر الكبير في نجاح توجيه تلك القبائل إلى الضفة الأخرى من النيل ومن ثمّ إلى إفريقية والمغرب، هذه الخطوة تمثّلت في الإصلاح بين تلك القبائل المتناحرة فأنهى ما كان بينها من الضغائن والحروب ولو بصفة مؤقّتة (مثل ما كان بين زغبة ورياح)[61]، كما وعدهم بأنّ ما

يُفتح فهو لهم (وهو ما كان يُمثّل أكبر غاية في الحصول على أراضي رعوية جديدة)، وأرسل الوزير المقهور (الذي خاطبه المعزّ بصنعته ومهنته) يُهدّد المعز بقوله: "أمّا بعد: فقد أرسلنا إليكم خيولاً فحولاً، وحملنا عليها رجالاً كهولاً ليقضي الله أمراً كان مفعولاً"[62].

وكما ذكرنا سالفا اختلاف المؤرّخين في تحديد سنة القطيعة، كذلك نجد بعض الاختلاف في سنة دخول الهلاليين إلى إفريقية، فابن عذاري يحدّدها بسنة 443هـ[63]، أمّا ابن كثير فيجعل سنة 442هـ كبداية لاجتياح القبائل الهلالية لإفريقية[64]، ويخالف ذلك مبارك الميلي إذ يرى أن سنة دخول الهلاليين 441هـ وفي نظره "للظفر والانتقام من المعزّ"[65]، وأيّاً كانت سنة دخول تلك القبائل لإفريقية، فإنّها قد اجتاحت إفريقية بعد المعركة مع الزيريين بحيدران سنة 443هـ، كما أنّها انتشرت بقوّة بالمغرب الأوسط بعد هزيمتها للناصر بن علناس في موقعة سبيبة سنة 457هـ.

وقد تتبّع الميلي الجهات التي دخل منها الهلاليّون إلى المغرب الأوسط وكان على ثلاثة جهات هي:

- جهة الساحل حيث قبائل كتامة[66].
- جهة ما بين الأطلس التلّي والصحراوي حيث القبائل الصنهاجيّة.
- جهة الصحراء حيث القبائل الزناتيّة[67].

وكما ذكرنا سابقاً فإن تلك القبائل دخلت إلى إفريقية والمغرب بحثاً عن أراضي رعوية وزراعيّة جديدة ولم يكن همّها تخريب المدن وجمع الغنائم، وما أورده المقريزي في اتعاظ الحنفا فيه كفاية إذ يقول: "ووصل كثيرٌ ممّا نُهب من قصور بني باديس من الأسلحة والعُدد والآلات والخيام وغيرها إلى القاهرة"[68]، إذ لو كانت تلك القبائل تبحث عن الغنائم لما أرسلتها إلى بلاط الفاطميين بمصر بهذه الكميّة.

وبهذا تمّ دخول الهلاليين إلى المغرب، فاستقرّ بنو سُليم ببرقة بينما مضى بنو هلال إلى الغرب نحو إفريقية، وقد وصفهم ابن خلدون بوصف ينمّ عن كثرتهم بقوله "كالجراد المنتشر"[69].

3- حقيقة إفساد العرب بإفريقية ومدى مساهمة صنهاجة في ذلك:

تصوّر لنا بعض المصادر تلك الصورة السوداويّة للقبائل الهلالية، وتصفها بالهمجيّة وتطنب في ذكر الفساد الكبير الذي طال المدن جرّاء دخول الهلاليين كالقيروان مثلاً، وتبعهم في ذلك بعض المستشرقين الذين وصف بعضهم تلك القبائل بالكارثة وبداية انحطاط الحضارة بالمغرب الإسلامي - الهادي روجي إدريس، جورج مارسيه، روبار برنشفيك... -، ولكن نسي أولئك أو تناسوا الدور الذي لعبه أمراء صنهاجة من الزيريين والحمّاديين في تلك الحوادث، فعند نزول الهلاليين أرض إفريقية كانت أوّل محاولة من المعزّ بن باديس في استمالة وتقريب رئيس رياح مؤنس ين يحيى وضمّ قبيلته ضمن جنده وذلك ضدّ بني عمومته الحمّاديين، فقام المعزّ بإكرامهم وبذل لهم الشيء الكثير[70].

لقد كان للموقف الذي وقفه المعزّ من أمير رياح الأثر الكبير في تخريب القيروان، فبعد أن حذّره مؤنس من مغبّة دخول العرب إلى افريقيّة، قام المعز باتّهام مؤنس بتأليب العرب عليه، فقبض على أهله وسجنهم، فما كان من مؤنس إلاّ إعلان الحرب قائلا بعد أن بسط لهم رداءه: هل يستطيع أحد أن يبلغ وسطها دون أن يطأ حواشيها، قالوا: لا، فقال: كذلك القيروان لا نملكها إلاّ إذا ملكنا ضواحيها[71]، وبعدها كانت الهزيمة للمعزّ وجيشه وكان سبباً في دخول القيروان وتخريبها، وهنا نجد ابن خلدون يحاول تفسير محاولة المعزّ الاستعانة بمؤنس في قوله: "فحاول المعزّ استمالته واستدعاه واستخلصه لنفسه وفاوضه في استدعاء العرب من قاصية وطنه للاستغلاظ على نواحي بني عمّه"[72].

ومن أهمّ مظاهر مساهمة صنهاجة في الخراب الذي مسّ المغرب بصفة عامّة، سياسة التحالفات التي انتهجتها الحكومات بالمغرب مع تلك القبائل، فنجدها تارة مع هذه القبيلة وتارة مع قبيلة أخرى مثل ما وقع في موقعة سبيبة 457هـ[73]، كذلك ما قام به تميم بن المعز من الاستعانة بالعرب من زغبة ورياح في قتال صاحب مدينة صفاقس حمو بن ومليل[74]، وما قام به هذا الأخير من استعانته بالعرب وسيره بهم لمحاصرة المهديّة 75، وما قام به أمراء بني زيري مثلاً: تميم بن المعزّ حين محاصرته مدينة قابس، فضيّق على أهلها "وعاثت عساكره في بساتينها المعروفة بالغابة فأفسدوها"[76].

وأمر المعز ابن باديس بأن يتحوّل أهل صبرة وسوقتها إلى القيروان، وأن ينتقل العسكر من القيروان إلى صبرة، فخربت العمارة العظيمة في ساعة واحدة[77].

إذا فليس من الإنصاف إسقاط اللّوم فقط على القبائل الهلاليّة، إذ لابدّ من الأخذ بعين الاعتبار الطبيعة البدويّة لتلك القبائل وكذا التكوين الأنثروبولوجي لها، والموطن الأوّل للهلاليين، قال ابن الأثير "وبالتالي تمّ للعرب ملك البلاد، فقد جاءوا في ضيق وفقر وقلّة دواب، فاستغنوا وكثرت دوابهم وسلاحهم"[78]، كما لا يمكن إغفال الدور الذي لعبته صنهاجة بفرعيها الزيري والحمّادي، فالأوّل كان السبب في دخولهم للقيروان وإفريقية، والثاني كان السبب في انتشارهم بالمغرب الأوسط.

ويبدو أنّ البداوة لم تكن صفة للقبائل الهلالية فقط، فهناك من يرى أنّها صفة حتى لأمراء صنهاجة كالباحث حسين مؤنس في قوله "وإذا كانوا لم يُوفّقوا في الوصول ببلادهم إلى أحسن مما استطاعوا فإنّ الذنب كلّه لم يكن ذنبهم، وإنّما يرجع ذلك إلى قلّة نصيبهم من الحضارة والتثقيف، فقد كانوا رؤساء قبليين في ثياب أمراء"[79].

3-1- ما هو السبب في الهجمة الشرسة على العرب الهلاليّة؟ تعرضت القبائل الهلالية على مدى قرون من الزمن لهجمة شرسة، تتّهمها بالخراب الكبير الذي مسّ المغرب، ولكي يكون المرء موضوعيا في طرحه لابدّ من معرفة سبب هذه الهجمة، لعلّنا نلخّصها فيما يلي:

يُجيب مبارك الميلي على ذلك بقوله: "أنّ هؤلاء المؤرخون أو الذين كتبوا عن قبائل بني هلال كتبوا لدول بربريّة، بينما لم يكن للهلاليين حكومة تطمعهم في إنعامها، ومن جهة أخرى لم يكن للهلاليين من اهتم بدعاية سياسيّة تنشر لهم أو عليهم"[80].

كذلك يُحدّثنا الباحث الطاهر بونابي عن سبب آخر تحامل فيه المؤرخون على تلك القبائل ولعلّه سبب يُبعد صفة التخريب عنها، ألا وهو: استنكاف مؤرخي المناقب السلطانيّة عن كشف جرائم ومعايب مولاه أو تحميله تبعات الخراب المتواصل[81]، بل بالعكس من ذلك نجد الهلاليين فيما بعد قد أسهموا في مجال الحرف ومختلف الأنشطة كالفلاحة والحياكة وغيرها، واشتهر سلاطين بنو زيّان باقتناء البُسط (جمع بساط) الملوكيّة[82].

هناك سببٌ آخر يُفسّر لنا تهويل صورة خراب القيروان، هو صدمة النُّخبة القيروانيّة بهزيمة المعزّ وفقدان السيادة على المدينة، فكانت مأساتهم هي مأساة القيروان فقط، ومن هؤلاء: محمد بن سعدون بن علي بن بلال (ت 485هـ) الذي ألّف كتاباً سمّاه: تعزية أهل القيروان بما جرى على البلدان من هيجان الفتن وتقلّب الزمان، وكذلك ابن شرف الذي نقل عنه ابن عذاري نصوصاً تُبيّن لنا ما ألمّ به من فاجعة[83].

3-2- إسهامات الهلاليين في الجانب الديني: رغم كلّ ما قيل عن القبائل الهلالية من تخريب للمدن وفساد وقتل وغيرها، إلاّ أنّنا نجد في كثير من النصوص الواردة في طيّ المصنّفات التاريخية ما يوحي

بذلك الشعور الديني وكذا الإحساس بالانتماء للدين الإسلامي، وهو ما تجسّد في كثير من المواقف التي تُحسب لتلك القبائل العربية.

ما يؤكّد ذلك شعر بدر التهامي يترجى بواب قصر شكر صاحب مكة وزوج الجازية، إذ الملاحظ فيه هو ذاك الشعور الديني الخالص والحبّ الكبير لزيارة قبر النبيّ ﷺ[84]، كذلك ما ذكره ابن الأثير من أنّ روجار عرض على العرب الهلالية (الأثبج- رياح- عدي- زغبة وغيرها) أن يمدّهم بخمسة آلاف فارس من الفرنج لقتال عبد المؤمن بن علي، فشكروه وقالوا له: "ما بنا حاجة إلى نجدته ولا نستعين بغير المسلمين"[85].

وأهمّ من ذلك مساهمة تلك القبائل في حركة الجهاد ضدّ النصارى فقد أسهموا في صدّ هجمات النورمان على المهدية سنة 517هـ وسنة 561هـ، كما كانوا جنداً في جيوش الموحّدين ضدّ نصارى الأندلس[86].

وقد خرج من بين هؤلاء الهلاليين دعاة وعلماء ذاع صيتهم، منهم سعادة الرياحي والذي كان بطولقة من أرض الزاب، تفقّه على أبو إسحاق التسولي، ثمّ عاد إلى مسقط رأسه ليعلّم ويقيم السنّة[87]، ومن العلماء العالم الزاهد قاسم بن مرا بن أحمد من بني كعب، له طريقة على مذهب شيخه بالقيروان شيخ الصلحاء أبو يوسف الدّهماني، وأخذ في محاربة العرب ممّن يقطعون السابلة والمفسدين[88].

ومن مظاهر تمسّك الهلاليين بالدين بناؤهم للزوايا، فقد ذكر التيجاني في رحلته من أنه اجتاز على زاوية تُعرف بزاوية أولاد سهيل قومٌ من العمور، وصفها بقوله "وهي رابطة حصينة يحفّ بها شجرٌ كثير من التّين والرمّان والخوخ وغيرها، ولها أرضٌ متّسعة تُعرف بالسابرية"[89]، وكانت بداخلها الكتب الكثيرة[90]، كما ذكر زاوية أخرى أكبر من الأولى تُعرف بزاوية أولاد سنان لصاحبها: عبد الله بن دباب بن أبي العزّ بن صابر بن عسكر بن حميد بن جارية[91].

الخاتمة:

من خلال كل ما سبق ذكره يمكن أن نستنتج ما يلي:

يبدو أنّ القطيعة السياسية الحاصلة بين الزيريين والفاطميين كانت سبباً مهماً في ترحيل المجموعات القبلية الهلالية إلى المغرب الإسلامي، من جانب آخر أسهمت الأزمة الاقتصادية التي شهدتها مصر في القرنين 4هـ-5هـ/10-11م والتي لاحت بظلالها على كل مستويات الحياة اليومية لسكان مصر في عبور القبائل العربية نهر النيل ومن ثمّ إلى برقة وإفريقية والمغرب ككلّ، وكان توجيه تلك القبائل من طرف الحكومة المصرية لفكّ الضغط وتخفيف وطأة تلك الأزمة ومظاهرها المتمثّلة في المجاعات والأوبئة وغلاء الأسعار وغيرها.

كما لا يمكن تحميل الهلاليين كل ما جرى من التخريب والتدمير الذي طال مدن وعمران المغرب، إذ لابدّ من الأخذ بعين الاعتبار المواطن الأولى لتلك المجموعات القبلية، وكذا مدى مساهمة أمراء صنهاجة في خراب المدن المغربيّة، إذ نجد أنّ هؤلاء الأمراء بحثوا عن سياسة التحالفات مع القبائل العربية من أوّل وهلة، وهو ما حدث للمعز الصنهاجي مع مؤنس الرياحي، هذا الأخير استباح القيروان بعد بطش المعزّ بأهله، وخير دليل على ذلك معركتي جبل حيدران 443هـ، وسبيبة 457هـ.

وفي الأخير يمكن القول بأنّ دخول الهلاليين إلى أرض المغرب كان سببه اجتماع السببين معا: القطيعة بين صنهاجة والفاطميين، وكذا الأزمة الاقتصادية الخانقة التي عاشتها مصر آنذاك ممّا جعل ترحيل تلك القبائل أمراً لابد منه ومتنفّساً للحكومة المصريّة.

ويجدر بنا في الأخير التذكير بذلك البعد الديني للقبائل العربية الهلالية - السليميّة، والحسّ والشعور الديني لتلك القبائل، ما جعلها تنضمّ في حركة الجهاد ضد النصارى في الأندلس، وهذه النقطة يجب الغوص فيها والاستثمار البحثي الكثيف اتجاهها وأفراد ورقة بحثيّة خاصة بها.

الهوامش:

[1]- غلب اسم القبائل الهلالية على القبائل العربية الداخلة إلى المغرب الإسلامي رغم أن غالبيتهم كانت من بني سليم، قال حسين مؤنس: "ومع أنّ العرب الذين دخلوا مصر واستقرّوا فيها كانت غالبيتهم من بني سليم فإنّ اسم بني هلال غلب عليهم جميعاً، لأنهم كانوا أوغل قي البداوة وأعنف من بني سليم في معاملة الناس وإنزال الضرر بهم، فأصبح الكلّ ينسبون إلى هلال بن عامر بن صعصعة وسمّوا هلاليين أو هلاليّة"، حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، مصر، ط 5، 2000، ص 168.

[2]- أحمد بن أبي يعقوب الشهير باليعقوبي (ت284 هـ)، البلدان، تحقيق محمد أمين ضنّاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص 151.

[3]- نفسه، ص 154.

[4]- عبد الرحمان ابن خلدون (ت808هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ط)، 2000، ج 6، ص 15.

[5]- نفسه، ج 6، ص 18.

[6]- نفسه، ج 6، ص 18.

[7]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 166.

[8]- إبراهيم جدلة، دراسات حول تاريخ بعض مدن إفريقية وقبائلها في العصر الوسيط، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، (د.ط)، 2018، ص97.

[9]- ابن خلدون، المصدر نفسه، ج 6، ص 18.

[10]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 167؛ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت 845هـ)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمّة الفاطميين الخلفا، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، لجنة إحياء التراث بوزارة الأوقاف، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1971، ج2، ص 216.

[11]- مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، (د.ط)، 2004، ج2، ص 179.

[12]- عبد الله خورشيد البري، القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د.ط)، 1992، ص 134.

[13]- مبارك الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 179.

[14]- إبراهيم جدلة، المرجع السابق، ص 97.

[15]- ابن عذاري المراكشي (متوفي بعد سنة 762هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س كولان، وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط 3، 1983، ج 1، ص261.

[16]- تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص 68.

[17]- عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر نفسه، ج 6، ص 06.

[18]- تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص 216.

[19]- أحمد بن أبي يعقوب الشهير باليعقوبي، المصدر السابق، ص 190.

[20]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 165.

[21]- نفسه، ص 165.

[22]- عز الدين بن الأثير (ت637هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1987، ج8، ص295؛ عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر نفسه، ج 6، ص 19؛ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص ص 212-213.

[23]- عز الدين بن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص114؛ ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص 268؛ ابن كثير (ت 744هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، مصر، ط 01، 1998، ج 15، ص 570.

[24]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص ص 273-274.

[25]- نفسه، ج 1، ص 277.

[26]- نفسه، ج 1، ص ص 277-278.

[27]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص ص 163-164.

[28]- عز الدين بن الأثير، المصدر السابق، ج08، ص 114؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج 15، ص 570؛ ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص 268.

[29]- عز الدين بن الأثير، المصدر السابق، ص 266 - تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص 190 . ابن كثير، المصدر السابق، ج 15، ص690.

[30]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص 275

[31]- عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر نفسه، ج 6، ص 19.

[32]- عز الدين بن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 295

[33]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص 274.

[34]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 165؛ مبارك الميلي، المرجع السابق، ج 2، ص 180؛ شمس الدين الذهبي (ت 748هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1993، ج 29، ص 337.

[35]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص 274.

[36]- نفسه، ج 1، ص 277.

[37]- جمال الدين ابن تغري بردي (ت 874 هـ)، النجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تقديم: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1992، ج 5، ص 52؛ ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص 280.

[38]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص 278.

[39]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 162.

[40]- جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط 1، 1968، ج 2، ص279.

[41]- نفسه، ج 2، ص 280.

[42]- فوزية كرراز، السيطرة الاقتصادية الهلالية بالمغرب الإسلامي، مجلة كان التاريخية، العدد 12، يونيو 2011، ص 51.

[43]- تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت 845هـ)، إغاثة الأمة بكشف الغمّة، تحقيق: كرم حلمي فرحات، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، ط 1، (د.ت)، ص 93.

[44]- شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج 30، ص 18.

[45]- نفسه، ج 30، ص 25.

[46]- جلال الدين السيوطي، المصدر السابق، ج 2، ص 288؛ شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج 30، ص 297.

[47]- تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، إغاثة الأمة، ص 98.

[48]- شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج 31، ص 09.
[49]- جلال الدين السيوطي، المصدر السابق، ج 2، ص 288.
[50]- نفسه، ج 2، ص 288؛ جمال الدين ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج 5، ص ص 19-20؛ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، إغاثة الأمة، ص 98.
[51]- جمال الدين ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج 5، ص 04.
[52]- نفسه، ج 5، ص 04.
[53]- تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، إغاثة الأمة، ص ص 98-99.
[54]- جمال الدين ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج 5، ص 05.
[55]- شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج 31، ص 18.
[56]- عز الدين بن الأثير، المصدر السابق، ج08، ص ص 302-303.
[57]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص 288؛ عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر نفسه، ج 6، ص ص 19-20، مبارك الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 180.
[58]- عبد الحميد خالدي، الوجود الهلالي السليمي في الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، 2007، ص ص 108-109.
[59]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص 294 وص 300.
[60]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 167
[61]- عز الدين بن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 296.
[62]- عز الدين بن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 296؛ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص 216.
[63]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص 291
[64]- ابن كثير، المصدر السابق، ج 15، ص 316.
[65]- مبارك الميلي، المرجع السابق، ج 2، ص 180
[66]- نفسه، ج 2، ص 182.
[67]- نفسه، ج 2، ص184؛ عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص ص 158 -159.
[68]- تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص 215.
[69]- عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر نفسه، ج 6، ص 20.
[70]- عز الدين بن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص ص 296-297؛ مبارك الميلي، المرجع السابق، ج 2، ص 181.
[71]- مبارك الميلي، المرجع السابق، ج 2، ص 181.
[72]- عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر نفسه، ج 6، ص 20.
[73]- عز الدين بن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص ص 372-373؛ ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص 290 عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 21؛ شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج 30، ص 289.
[74]- عز الدين بن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 363؛ ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص 299.
[75]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص 363.
[76]- نفسه، ج 1، ص 426.
[77]- عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص 118؛ إبراهيم جدلة، المرجع السابق، ص ص 34-35.
[78]- عز الدين بن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص ص 372-373
[79]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 175.
[80]- مبارك الميلي، المرجع السابق، ج 2، ص 186.

[81]- الطاهر بونابي: مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، سلسلة الكتب الأكاديمية لكليّة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة المسيلة، الجزائر، (د.ط)، 2017، ج 8، ص173.

[82]- نفسه، ج 8، ص 180.

[83]- إبراهيم جدلة، المرجع السابق، ص 36.

[84]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 169.

[85]- عز الدين بن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 390.

[86]- إبراهيم جدلة، المرجع السابق، ص 105.

[87]- عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر نفسه، ج 6، ص 51.

[88]- نفسه، ج 6، ص106.

[89]- عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني (ت حوالي 717هـ)، رحلة التجاني، تقديم: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، (د.ط)، 1981، ص 212.

[90]- نفسه، ص 213.

[91]- نفسه، ص214.

مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 957 – 978
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

الفقر والجريمة في المغرب الأوسط - جدل السببية والحتمية- ق2-10هـ/ 8- 16م

Poverty and Crime in the Middle Maghreb-Causality and Determinism Controversy - C2-10H / 8-16AD

بزة نوال[1] **د/ عشي علي**
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة باتنة1
مخبر الجزائر دراسات في التاريخ والثقافة والمجتمع
nawal.bezza@univ-batna.dz maktoob72@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/01/07 تاريخ القبول: 2021/06/22

الملخص:
نسلط الضوء في هذه الدراسة على آفتين إحداهما وليدة الأخرى، فالجريمة تكون نتاج أسباب عدة أبرزها الفقر، حيث يعتبر المناخ الملائم لتنامي الإجرام على نطاق واسع بعيدا عن أعين السلطات التي تبقى في الأساس بعيدة عن هاته الفئة المهشمة، وبينت هذه الورقة البحثية أهم أسباب هاتين الظاهرتين، التي تراوحت بين الطبيعة والسياسة والاقتصاد، مع ذكر نماذج من الجريمة المتولدة عن العوز والاحتياج، وتقدمتها السرقة واللصوصية التي تفضي في بعض الأحيان إلى القتل، وكانت الأعمال المخلة بالشرف في الريادة كونها تكسب المرأة بسهولة، في حين استغلت فئة من النصابين سذاجة الساكنة فمارسوا الاحتيال عليهم عن طرق الشعوذة والسحر، وخلصت في نهايتها إلى مختلف الجهود المبذولة سواء من طرف الحكام أو الفقهاء والمتصوفة للقضاء على الفقر والجريمة.
الكلمات المفتاحية: الجريمة؛ الفقر؛ السلطة؛ الفقهاء؛ المتصوفة.

Abstract:
In this study, we shed light on two pests, one of which is a product of the other. Crime is the result of several causes, the most prominent of which is poverty, as the environment conducive to the growth of crime on a large scale is far from the eyes of the authorities that remain mainly far from this marginalized group. Which ranged between nature, politics and economics, with mentioning examples of crime generated from want and need, and its progression of theft and robbery that sometimes lead to murder. On them by means of sorcery and magic, in its end, it concluded with the various efforts exerted by rulers, jurists and Sufis to eradicate poverty and crime.
Key words: crime; Poverty; Authority; Jurists; Sufis.

مقدّمة:

يعتبر الفقر من الآفات التي تصيب المجتمع خلال فترات الحروب والأزمات الاقتصادية والكوارث الطبيعية التي تحل بمنطقة ما، وفي هذه الأوقات العصيبة تنتشر الجريمة بشكل واسع خصوصا لدى الفئة الفقيرة مما يدفعنا للتساؤل: **هل الجريمة هي نتيجة حتمية للأوضاع المزرية التي عاشها المجتمع أم هي وليدة سلوكيات منحرفة مارسها سكان المنطقة خلال فترات الأزمات؟**

[1] – المؤلف المراسل.

وتهدف الدراسة إلى محاولة معرفة العلاقة بين الفقر وانتشار الجريمة في مجتمع المغرب الأوسط، من خلال تسليط الضوء على الفقر بكونه المنطلق لبعض الممارسات غير الأخلاقية التي تصدر عن بعض الشرائح الاجتماعية، والتي ستكون نتيجة حتمية لهذه المعضلة.

أما عن المنهج المتبع، فإن طبيعته تحتم استخدام المنهج التاريخي باعتبارنا نتحدث عن أحداث تاريخية تعود إلى الفترة الوسيطة، إضافة إلى استخدام الوصف لإعطاء أمثلة عن الجريمة في مجتمع المغرب الأوسط وأهم الجهود المبذولة لمحاربتها.

تعريف الفقر:

يعتبر الفقر من الآفات التي تهدد المجتمعات منذ القدم، وحاولت إيجاد حلول لها، الفقر من فقر، فقرا أي صار فقير[1]، وهو المحتاج[2]، وهو العدم وسوء الحال[3]، والحاجة واشتداد الأمر[4]، وفقد ما يحتاج إليه[5]، وهو الذل وفقدان الكرامة[6]، وانكسار للظهر والقعود عن العمل[7].

لقد ارتبط الفقر في الشرع بالزكاة ودرجة الاحتياج، فمن الفقهاء من يرى أن المسكين أفضل حالا من الفقير[8]، استنادا على أن الفقير هو الذي لا شيء له أما المسكين فهو الذي له مالا لا يكفيه[9]، وفريق آخر منهم قال بأن المسكين أحوج من الفقير كونه يتعفف سؤال الناس[10]، عكس المسكين المتذلل بسؤال للناس[11]، ومنهم من يراهما سواء في العوز[12].

والفقر من المشكلات الاقتصادية، فهو عجز الفرد عن توفير متطلباته[13]، لعدم حصوله على دخل يؤمن به الغذاء[14]، وإشباع حاجاته الضرورية من طعام ولباس ومسكن[15]، أو ما يرفع مستواه المادي والمعنوي والاجتماعي والعلمي[16]، لذلك كان الفقراء أدنى شرائح طبقة العامة[17].

والجلي أن الفقر يتولد عنه الجهل والحرمان العلمي والوعي الثقافي، وبذلك تنعدم التقوى والورع والمثل الأخلاقية العليا فتنتشر السرقة الاغتصاب والقتل ومختلف الآفات الاجتماعية التي تنخر المجتمع من أساسه[18]، وبهذا يكون الفقر مشكلة إنسانية وسياسية يولد أزمات حادة للمجتمع.

تعريف الجريمة:

تتلاقى الجريمة بعدة مصطلحات في اللغة العربية مثل الإثم، الخطيئة والمعصية، التي تعطينا معنا متقاربا، وهي كل فعل غير مستحسن، موجب للعقاب[19].

فـ"الجرائم محظورات شرعية زجر الله تعالى عنها بحد أو تعزيز"[20]، وهي كل فعل يوجب حدا أو عقوبة القتل أو القطع أو النفي[21]، ويزخر النص الديني الإسلامي بالكثير من النواهي عن ارتكاب الجريمة، فقال تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: 32)، وقال:﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (الأعراف: 56)، وقال الرسول ﷺ: «بايعوني ألا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببرهان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف»[22].

وتعتبر الجناية المصطلح المرادف للجريمة خصوصا على الأفعال الواقعة على نفس الإنسان أو أطرافه وهي القتل والجرح والضرب والإجهاض، وعمم الفقهاء المصطلح على جميع الجرائم هانت أم عظمت[23].

الفقر والجريمة ـ قراءة في الأسباب-: لقد اختلفت في المغرب الأوسط وتعددت الأسباب المؤدية إلى الإعتياز والتي دفعت في كثير من الأحيان إلى ارتكاب الجريمة، ويمكن ذكر بعضها والمتمثلة في:

الطبيعة بين العطاء والشح: علينا التطرق لأهم الأسباب المؤدية إلى القضاء على غذاء الإنسان التي ينتج عنها إفقاره وحدوث المجاعات والأزمات الاجتماعية.

يتوقف مخزون الطعام على كمية المطر فكلما كثف التساقط كانت الصابة وعم الرخاء، والعكس في حالة الجفاف[24]، كما أن التساقط الغزير يقضي على الغذاء من زروع وثروة حيوانية[25]، وبالتالي يعجز الناس عن تلبية حاجاتهم فتنتشر السرقة والقتل.

فالموقع الجغرافي وطبيعة المناخ السائدة به، هما المسؤولان عن الرفاهية والجوع، مما يؤثر بشكل مباشر على الأحوال الاقتصادية والاجتماعية للبشر[26]، فيسبب أزمات اقتصادية[27]، مفرزة مشكلات اجتماعية عويصة[28]، فالمؤكد أنه إذا لم ينزل المطر في شهر أكتوبر فلا وجود للحصاد[29]، مما يعرض أغلبية الساكنة للجوع، فيسود قانون الغاب وانتشار الجنايات، ومن أمثلة ذلك ما وصفه ابن حوقل عن مدينة تاهرت التي ساءت أحوالها بسبب دوام القحط وكثرة الموت والجريمة[30].

أما ابن خلدون فتحدث عن المناخ وتأثيره على أقوات الناس وسلوكهم، مدافعا عن الحتمية المناخية[31]، في إشارة منه إلى أن الاختلاف الحاصل في طبيعة العيش والغذاء مرجعه اختلاف المناخ والتضاريس بين الصحاري والسهول والبوادي والحواضر[32].

كما أن تهاطل الأمطار بغزارة، وارتفاع كمياتها ونزولها في غير أوقاتها، ينتج آثارا لا يحمد عقباها ويزداد الأمر سوءا عندما تتزامن مع إحدى الفتن أو الاضطرابات الاجتماعية[33]، حيث تتسبب في هدم الجسور والقناطر وإغراق بعض المساكن وتهديمها[34]، ومنع الحرث، وإتلاف الزرع[35]، مثلما حدث سنة 315هـ وبالقرب من سوق إبراهيم وكثرة الأوحال[36]، وفيضانات نهر سيرات[37]، وسيول عام 342هـ التي أتلفت المحاصيل الزراعية ومنعت الحرث والبذر، وتميز عام 442هـ بنزول البرد والثلج بشكل كبير، أفسد الثمار[38].

وبذلك تكون الأمطار نقمة، تقضي على غذاء الإنسان، وتفقيره وتهجيره، وامتهان البعض للسرقة وقطع الطريق لأجل الحصول على الزاد.

ولم تتوقف الطبيعة عند هذا الحد من الإتلاف والإفقار بل تعداه إلى آفات خطيرة هددت غذاء البشر كالجراد المهاجر من المناطق الصحراوية الحارة، فتأتي على الأخضر واليابس متسببة في مجاعات وأمراض سوء التغذية[39]، إضافة إلى الفراش الذي يؤدي إلى إتلاف المزروعات[40].

ويظهر تأثير الطواعين للإنسان المغربي الوسيط واضحا من خلال غذائه ومستواه المعيشي[41]، وكذا نمط تكوينه المجتمعي، ولعل أهمها الطاعون الذي ضرب سنة 307هـ وبلغ حدود مصر[42]، والوباء العظيم الذي طال المغرب والأندلس عام 344هـ وهلك فيه خلق عظيم[43]، بسبب فساد الهواء والماء[44]، ووباء 588هـ ببجاية[45]، وكان أسوؤها الطاعون الأسود الجارف بين سنوات 749هـ- 750هـ الذي لم يسلم منه لا غني ولا فقير.

لقد تمخض عن الأوبئة أمراض وأزمات اقتصادية أضرت بالمجتمع من خلال غلاء الأسعار وركود الحركة التجارية[46]، ومما لاشك فيه أنه أفرز أوضاعا اجتماعية صعبة.

الحروب والتوترات السياسية:

يعتبر العامل السياسي أحد المسببات الحقيقية للفقر كون الصراعات الناشئة حول السلطة تؤدي إلى هوان الحكم، وبالتالي الابتعاد عن التفكير بأمور الاقتصاد والرعية، زد إلى ذلك كثرة النزاعات والحروب التي ميزت الفترة الوسطية، والتي تنشأ عنها التدمير والتخريب للمناطق محل الصراع[47].

مارس الفاطميون سياسة العنف والشدة ضد خصومهم[48]، فعمدوا إلى ظلم الرعية لفرض سلطانهم، وأمام جور سياستهم المالية[49]، لتعزيز سلطتهم العسكرية، خصوصا الفترة الممتدة من (325هـ-329هـ) تولد النقم لدى الرعية[50]، خصوصا لما أقدم إسماعيل المنصور الفاطمي (334 هـ- 341هـ) على إحراق مدينة غديروان (قرب قلعة بني حماد) وقتل سكانها وإحراق مزارعها، وسلب أغنامها[51]، فتفشى الفقر بسبب تعاظم الفتن وكثرة القتل والموت[52].

فانطلقت ثورة صاحب الحمار من جبل أوراس[53]، سنة 332هـ وساد فيها القتل وسفك الدماء[54]، اعتمد فيها الفاطميون تجويع الأهالي ونهب أموالهم[55]، فتدهورت أحوال الأهالي من الحصار المطبق من طرف أبي يزيد، ومات الناس جوعا[56]، ومن دون شك ساد الهرج والمرج والانفلات الأمني وقطعت السابلة جراء ذلك.

ولما غادر الفاطميون باتجاه مصر خلفوا مكانهم بنو زيري، وتركوهم غارقين في ثورات قبلية بعدما أججوا نيران العصبية بينهم[57]، مثل بطون عجيسة وزناتة[58]، إذ أوصى المعز بلكين بأن لا يرفع الجباية عن أهل البادية، والسيف عن البربر[59].

وعلى إثر هجوم بن زيري على زناتة وقتل أهلها[60]، خرجوا عن طاعة الزيريين وقامت الثورات مثل حركة أبي الفهم الخراساني (376هـ)[61]، التي خلقت الكثير من الفقر والمجاعات مما أثر في الوضع الاقتصادي والاجتماعي[62]، وبسبب الصراع بين ابن باديس وحماد ابن بلكين عرف المغرب الأوسط فوضى واضطرابات أثرت سلبيا على الفلاحة وعم النهب[63].

وبمجرد قطع المعز ابن باديس (ت453هـ) الدعوة للفاطميين وإعلانه المذهب السني[64] حتى عاقبوه بالغزوات الهلالية والسليمية[65]، الذين كانوا كالجراد المنتشر في زحفهم على المغرب الأوسط[66]، وانتصروا على زناتة[67]، فاستولوا على سهول الزاب وقلعة بني حماد[68] فكانت نتيجتها طرد سكانها المحليين[69]، ومارسوا السلب والنهب[70]، فلحق الخراب الأماكن التي تغلب عليها الهلاليون مثل بونه وطبنة والقل ودار ملول، وتهديم الحصون الواقعة بين بجاية والقلعة[71].

وشهدت الدولة في عهد يحي بن العزيز أخر الخلفاء الحماديين أطماعا خارجية على حساب أراضيها من طرف الموحدين، وملوك صقلية، بالإضافة إلى ركون الملوك إلى اللهو والترف نتج عنه انقلابا في جميع المجالات[72].

لقد اتسمت بداية عهد المرابطين بالرخاء كونها قامت على أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[73]، فألغوا جميع الضرائب غير الشرعية في بداية حكمهم[74]، لكنها تميزت بالظرفية لجعل الرعية تلتف حول السلطة، وأمام الظروف التي عرفتها المرحلة الأخيرة وسوء العلاقة بين الرعية والدولة وساد الفقر وانهار المجتمع[75].

ورثت السلطة الموحدية في أوائل عهدها آفات نتيجة الفقر أواخر عهد المرابطين، لكنها سرعان ما استغلتها لصالحها، فعرفت إصلاحات في مختلف المجالات[76]، إلى غاية نهاية القرن السادس الهجري[77]، لتبدأ بوادر الضعف بالظهور خصوصا عندما تولى الحكم خلفاء صغار في السن[78]، وانغماس بعضهم في اللهو والملذات[79] والترف[80]، فأفرغوا خزينة الدولة من مواردها[81]، وكذا قيام صراعات حادة بين أبناء الأسرة الحاكمة، وانتشار نفوذ ذوي قرباهم، لتنهار بذلك الأوضاع الاقتصادية[82]، والمنظومة المجتمعية جراء ذلك.

زد إلى ذلك كثرة القلاقل والفتن والثورات التي ثارت بسبب ظلم الحكام بعد عبد المؤمن، التي استنزفت طاقة وموارد الدولة الموحدية منها ثورة محمد بن عبد الله بن هود الماسي[83] وثورة بني غانية[84]، التي نتج عنها تراجع وتخريب للمدن وتدهور للزراعة وازدياد لنفقات الجيش[85]، لتأتي معركة حصن العقاب (609هـ) والهزيمة النكراء التي لحقت بالموحدين ليزداد الوضع سوءا وانفلاتا.

وبقيام المرينيين والزيانيين والحفصيين عادت الصراعات القبلية والعداء والحروب، كل هذا انعكس بالسوء على سكان المنطقة[86]، وكثيرا ما أدت الحروب الناشئة إلى عمليات السلب والنهب في المزروعات والأنعام[87]، بالإضافة إلى التخريب والنسف والحرق وإتلاف الزروع كما أنها تهدد السكان بالجوع والفقر[88].

فقد تأثرت الزراعة في تلمسان مثلا بالحالة السياسية فكانت المزروعات تتعرض للدمار والسلب والنهب من قبل المهاجمين للمدينة، وضيقت قبائل توجين بمدينة تلمسان لأخذ ثأرهم، فقطعوا الثمار والجنات وخربوا الديار، وأفسدوا الزروع[89].

الضرائب ومناكر السوق:

لعل ما يفقر الإنسان هو قلة موارده المالية التي لا يستطيع من خلالها مواجهة الغلاء في الأسعار، علاوة على ذلك الضرائب التي كانت الدولة تفرضها من حين لآخر، كونها مربوطة بعمر الدولة التي تلجأ إليها خصوصا في طور الأفول مما يخلق اختلالا مجتمعيا[90]، نتيجة تخلى الناس عن أراضيهم[91]

لقد أحدث الفاطميون ضرائب عدة، تضررت منها الساكنة خصوصا الأرياف، فتراجعت الزراعة والأقوات وثارت الحروب وقطعت الطرق وانتشرت المجاعات.

أما الحماديون فاعتمدوا سياسة رشيدة في بداية عهدهم لكن هذا الأمر لم يدم طويلا[92]، فسرعان ما فرضوا ضرائب إضافية[93]، تعرض الممتنعون عن أدائها لتعسف الجباة[94]، وأضطر الكثيرون إلى بيع ممتلكاتهم، وكان عمال السلطان يستحوذون على العشر ثم يفرضون الضرائب على الناس بلا موجب شرعي واختلسوا الأموال[95].

وورثت الدولة الموحدية من المرابطين أوضاعا مزرية[96]، مما دفع بعبد المؤمن بن علي يعد أهل قسنطينة بإلغاء الضرائب غير الشرعية، لكن بعد غزو بني غانية لبجاية غلت الأسعار، وبدأ الموحدون بفرض الضرائب الإضافية[97]، فتراجع الاقتصاد وبدأت الأزمات الاجتماعية بالظهور خصوصا مطلع القرن 7هـ[98].

باضمحلال الدولة الموحدية لم تسلم المناطق الشرقية الواقعة تحت حكم الحفصيين من الشطط الضريبي، فكثر المكس في بجاية، ومختلف الخطايا والمغارم كالغرامة التي يدفعها المسجون عند إطلاق سراحه، ولم تكن الدولة الزيانية أحسن حالا، فاتخذت من اليهود أعوانا لجباية الأموال وتعدوا على الرعية وأكلوا أموالهم بالباطل[99]، وهذا ما أضر بالرعية فظهرت المشاكل الاجتماعية.

ويعتبر الاحتكار أحد الأسباب التي تفقد الإنسان القدرة على الحصول على لقمة العيش، كونه استغلال لحاجة الإنسان للقوت، فيدفع أي ثمن لأجل تحصيل الطعام[100]، مما يزيد من حدة التدهور الاقتصادي للسكان مضاعفة أثمان السلع من طرف التجار[101]، خصوصا زمن الحروب، وهو في حد ذاته جريمة كونه يؤدي إلى انزلاقات مجتمعية خطيرة.

هذا السلوك الذي اعتمده التجار قصد تحقيق الربح السريع، جعل الإنسان يعيش في رهان غير عادي، مما اضطر الكثير منهم اللجوء إلى أساليب أخرى لتحصيل القوت كالنهب واللصوصية لسد جوعهم و فقرهم نتيجة هذه السلوكيات المتكررة[102].

الجرائم الناتجة عن الفقر: شهد المغرب الأوسط العديد من الجرائم المتولدة عن الفقر كأزمة اقتصادية واجتماعية أهمها:

انتشار البغاء:

لما تعذرت سبل العيش الكريم وتفاقمت الحاجة قررت بعض النسوة بيع عرضهن وأجسادهن علهن يضفرن ببعض الدريهمات[103].

فالبغاء وسيلة من وسائل كسب العيش لدى العاهرات، اللاتي كن يغنين ويرقصن في الأعراس، وكن يلجأن إلى التحايل والتسكع لكسب المال[104]، ولكون بجاية تحتوي أكبر سوق نخاسة في المغرب انتشرت ظاهرة الزنا بالجواري والإماء فكانت الجارية تشترى ويبيت معها صاحبها ليلة ذلك اليوم دون استبرائها[105].

وفي بعض الأحيان يتم دفع الجواري للدعارة قصد كسب الأموال، فانتشرت بيوت الفساد، ويقوم النخاسون ببيع أولاد الجواري الناتجين عن الزنا[106]، وكذلك انتشرت ظاهرة هروب النسوة مع أزواج آخرين غير أزواجهن مقابل مبلغ من المال، إضافة إلى تطليق بعض الأزواج زوجاتهم مقابل مبالغ مالية، وهناك من ابتزت من هربت معه إلى الجبل، ثم ادعت اغتصابها، مقابل سكوتها على ذلك، والقصد كان كسب المال[107].

لقد اتخذت النسوة من بيع أجسادهن مهنة يكتسبن منها وفي نفس الوقت يقدمن المتع الجنسية لطالبها مقابل مبالغ مالية[108]، وأطلق عليهن اسم الخرجيات[109] والعاهرات[110]، وانتشرت ظاهرة النساء اللائي يشجعن على الدعارة فكن يوظفن نسوة تقمن بهذا العمل مقابل فائدة مادية لهن، وهن السفيرات أو القوادات، ومهنتهن جلب الرجال الذين يدفعون المال (ولهن بالسفارة في الفقراء علاقة)[111].

ويتضح أن الفقر أوصل بعض فئات المجتمع إلى ارتكاب المعاصي والشاذ من الأخلاق مقابل سد الرمق.

الغصب وقطع الطريق والقتل:

تعتبر اللصوصية نتيجة حتمية للتمايز الاجتماعي والفقر، والطبقية التي ولدت شرائح متدنية ومهمشة[112]، ناقمة على الأوضاع، امتهنت التعدي على أموال الناس واللصوصية[113]، وعدت وسيلة من وسائل التكسب والثراء في كثير من الأحيان، بحيث لجأ البعض إلى تأليف عصابات كانت تعترض طريق التجار وأصحاب المال، وزادت حدة الظاهرة بوصول الهلاليين للمنطقة[114]، ويبدو أن تكوينها يبدأ باتحاد مجموعة من الناس لها نفس الظروف، وتدريبها لكي تكون أقدر على السلب والنهب[115]، وحتى القتل في كثير من الأحيان.

ونتيجة ضعف الدولة يستغل قطاع الطرق الفراغ الأمني، لسفك الدماء والاعتداء على التجار، وهتك الأعراض، ونشر الخوف، والقتل لذلك تراجعت التجارة البرية[116].

أشارت إحدى نوازل الونشريسي إلى كثرة الغصب والنهب من طرف القبائل الهلالية من خلال السؤال عن مدى جواز شراء ما يغصبه قطاع الطرق[117]، دلالة على امتهانهم اللصوصية وقطع الطريق، بل وتمادوا في ذلك إلى الإغارة على المدن، حتى أن السلطة الموحدية لم تتمكن من كبح جماحهم، وآثر ضعاف القوم من مغادرة ديارها هربا من بطشهم[118].

كما ذكر العبدري في رحلته صعوبة الطريق الرابط بين تلمسان ورباط تازة، ووصفها بالموحشة لا تخلو من قطاع الطرق، ووصفهم بشرار الخلق، وأقلهم خلقا ومروءة، ويعتدون على الناس بلا رحمة[119]، ويشمل الاعتداء على الأموال والأنفس.

ويبدو أن اللصوص اتخذوا من المقابر[120]، والأماكن المقفرة، والغابات[121]، والصحاري أمكنة لهم، للإغارة والانقضاض على المارة من تجار ومسافرين، فقلت الحركة التجارية في هذه المناطق مما جعل السلطة وفقهاء يستنكرون ذلك محاولين القضاء على هذه الظاهرة.

السحر والشعوذة – بين الابتداع والتكسب-:

يعتبر الإيمان بالخوارق والانسياق وراء السحر والشعوذة من أثار الجهل الذي تعاني منه الفئة السحيقة من المجتمع، حيث أصبح التشبث بالمشعوذين من أهم وسائل الخلاص من بعض الأمراض آملين في تغيير أوضاعهم السيئة، فقد سعى المشعوذون أنفسهم اللجوء إلى حيل لاستخراج الأموال من جيوب أصحابها، فكانوا يحصلون على عيشتهم بالتمويه والتحايل، وبعض الألعاب التي يعرضونها أمام الجمهور، ومنهم من تظاهر بمعرفة الغيب ليصل إلى جيوب المغلفين أو بعض النساء اللائي يردن كسب محبة أزواجهن[122].

ولقد أخذ عدة تسميات منها خط الرمل حيث يستطيع منتحله معرفة أشياء تحصل في المستقبل، وبه يجري نحوه الجهلة من الناس، أو علم الكشف الذي اشتهرت به زناتة[123].

وأورد ابن خلدون (وانتحل هذه الصناعة كثير من البطالين للمعاش في المدن وصنفوا فيها التصانيف المحصلة لقواعدها وأصولها كما فعله الزناتي منهم وغيره)[124]، واستسلم بعض العوام لفئة المشعوذين أمام براعتهم في إقناعهم بتحقيق أحلامهم وكانوا يبيعون للجهلة أوراقا صغيرة كتبت عليها كلمات ووصفات ضد مختلف الأوجاع، فكان أهل مرسى الخرز يمتازون بصفرة ألوانهم، يضعون التمائم حول أعناقهم أملا في الشفاء[125].

وانتشرت أيضا الخرافات بين المعوزين والفقراء الآملين في تحسين أوضاعهم، مما يدفعهم إلى تصديقها أو اختراعها ونشرها ومن أمثلتها: قصة الرجل المقتول في الطريق المؤدي إلى بسكرة في وسط كهف ولا يزال يقطر دما رغم موته منذ زمن بعيد، وكذلك يوجد في أعلى جبل الكتف الذي يقبع على مقربة من تبسة مغارة لا يقدر الوصول إليها أحد وأن به مالا عظيما، فإذا نزلت الطيور به تتساقط منه الدنانير الذهبية[126].

ولقد عمد مجتمع المغرب الأوسط إلى المداواة بطقوس ألا وهي السحر والطلسمات فقد كتب البوني كتابا بعنوان الأنماط وهو عبارة عن جداول وأسرار وحروف وعالج الناس بعض الأمراض بواسطتها، وكتب ابن الحاج التلمساني كتابا في السحر سماه شموس الأنوار وكنوز الأسرار الكبرى، وذكر فيه أساليب عديدة للعلاج بطرق سحرية لعدة أمراض[127].

إن التصديق بالسحرة والشعوذة هو انعكاس لظواهر شهدتها الفترة الوسطية، وامتهانها كان محاولة للتخلص من المعضلات التي عاشها الإنسان في تلك الفترة.

جريمة بيع الأبناء ـ الاسترقاق-:

يعد الجوع من الأسباب التي تقف وراء تحول الأشخاص من الحرية للعبودية، خصوصا من له أولاد حيث يلجأ بعضهم إلى بيع أحد أولاده أو نفسه مقابل مبلغ من المال للوقوف دون الهلاك بسببه.

أشارت المصادر نادرا إلى الظاهرة، إلا أن هذه الشذرات تؤكد وجودها زمن الشدة، فقد وجدت نازلة من نوازل المازوني مفادها أن رجلا باع مملوكة له زمن المسبغة ثم تبين أنه باع ابنته[128]، وفي ذات الموضوع وردت لدى الونشريسي نازلة بخصوص من اشترى وصيفته قبل الاثغار وحبس البائع أمها وذلك في عام المسبغة وقد لحق الوصيفة ضرر عظيم حتى أن مبتاعها ما حملها إلا على ظهره لما بها من الجوع فأراد بعض الناس فسخ هذا البيع للتفرقة، فهل له ذلك أم لا، فأن قلتم بفسخه فهل للمبتاع رجوع على

البائع بما كان أنفق على الوصيفة أم لا ؟، فكان الجواب بأن (البيع فاسد يجب فسخه، ولا رجوع للمشتري بما أنفق)[129].

جهود السلطة الزمنية والمكانية للقضاء على الفقر والجريمة: لقد تكاثفت جهود الدولة من خلال حكامها وهيئاتها، ومختلف الفاعلين في المجتمع من صوفية وفقهاء للقضاء على جريمة من خلال الوقوف في وجه الفقر والتقليل من عدد الفقراء

جهود السلطات المتعاقبة على المغرب الأوسط:

لقد كان المغرب الأوسط مجالا واسعا للصدامات العسكرية والكوارث الطبيعية التي ولدت أزمات اقتصادية واجتماعية، فما كان على الدول المتعاقبة على المنطقة سوى رفع لواء التحدي، والوقوف في وجه الفاقة ومختلف المظاهر الاجتماعية الناتجة عن ذلك.

لقد سعى الفاطميون إلى البناء والعمارة وإحياء الفلاحة رغم سياسة القسوة مع معارضيهم[130]، فإسماعيل المنصور الفاطمي أسقط الخراج عن الفلاحين فازدهرت الفلاحة وتحسنت أحوال الرعية[131]، وانتهج المعز لدين الله سياسة صارمة على الولاة والعمال الفاسدين ومنهم العامل الذي استعمله على الزاب جراء اشتكاء الرعية منه عزله، رغم أنه أدخل مالا كثيرا للدولة[132].

واستطاعت الدولة الحمادية أن تتخطى جميع العقبات التي وقفت في وجه التطور الاقتصادي، فتمكنت من توفير الأمن والاستقرار الذي يساعد على الازدهار والرخاء، فعقد حماد هو الصلح بينه وبين المعز، مما أتاح له إعادة إعمار وترميم دولته[133].

ومع تزايد الأعمال التخريبية لبني هلال حاولت الدولة إتباع سياسة رشيدة، لتوفير الأمن وسد حاجات السكان من الغذاء، حيث قام الناصر بن علناس بعقد الصلح مع الهلاليين، واسترجع الأراضي التي خرجت عن طاعته[134]، ونقل عاصمته إلى بجاية الأكثر حصانة[135]، ذات الميناء البحري الحربي والتجاري لتدارك الخسائر التجارية التي لاقتها الدولة جراء انتشار اللصوصية والسلب والنهب الهلالي وتراجع التجارة الخارجية والداخلية[136].

أما المرابطون الذين تمكنوا من السيطرة على تلمسان (473هـ-1080م) ووصل نفوذهم إلى حدود بجاية[137] فقاموا بإلغاء الضرائب غير الشرعية كالمكوس مثلا[138].

فانتهجوا سياسة شاملة بدأت بالاستقرار الأمني ثم الازدهار الزراعي، بحيث تحسنت أحوال الفلاحة وتضاعفت المساحات المزروعة، وتحكموا في الطرق التجارية خصوصا تجارة الذهب كما سعوا لحفظ أمن ومصالح الفلاحين، ووفروا الأمن، وحاولوا القضاء على اللصوصية[139]، لكن هذا الأمر لم يدم طويلا، فسرعان ما طرأت أحداث جديدة على الدولة دفعتها للعودة إلى فرض الضرائب الإضافية.

واتخذت السلطة الموحدية العديد من الإجراءات كتشجيع الصدقات وساعدت الطبقات السحيقة[140]، وخففوا الضرائب المرهقة للرعية[141] ومن أمثلة ما قام به الحكام الموحدون توزيع عبد المؤمن بن علي للنقود مرة أو مرتين في الشهر واستطلاع أخبار الناس عند مجيئهم لقصره لقضاء حاجاتهم، وكرر هذا الفعل عدة مرات في السنة وحتى في الشهر[142].

وحرصت السلطة الموحدية على أمن رعيتها، فأولو لذلك عناية فائقة خاصة مع تنامي ظاهرة اللصوصية، وقطع الطرق، فلم تتهاون في الفتك بهم[143]، وحاربت أيضا المنكرات التي نتجت عن الحاجة والعوز[144]، ولكي لا يرهق عبد المؤمن الرعية بالضرائب اكتفى بتحصيل الأموال الضرورية من خلال

جمع الزكاة والأعشار وأخماس الغنائم، فاغتنت الخزينة العامة وتأمنت الطرق وانتعشت الحياة الاقتصادية وتحسنت أحوال الناس[145].

وعمل سلاطين بنو زيان على توفير كل ما تحتاجها الرعية ومن الشدائد[146]، فقاموا بتوفير الأمن والاستقرار خصوصا عهد السلطان يغمراسن الذي حارب عناصر الفوضى والفساد، وأرغم الأعراب على الطاعة والخضوع[147].

ولجأ أبو حمو موسى الأول وولي عهده أبو تاشفين إلى تحصين المدن وأعادوا إعمارها[148]، وبفضل هذه السياسة اجتازوا أزمات كادت أن تقضي على الحياة في أكبر الحواضر[149]، علاوة على ذلك حارب الحكام الزيانيون اللصوص الذين كانوا يهجمون على أماكن الزرع وسرقة المحصول وقطع الطرق ونهب الأموال، وبضائع التجار والمسافرين[150].

وقد حرص هذا السلطان على تحسين أوضاع العامة من الناس المستضعفين والفقراء والمحتاجين، فكانت تقدم الأموال للمعوزين والمساكين وترد المظالم، ويتم إكرام العلماء والصلحاء[151]، وحارب الاحتكار بوضع محتسب يراقب السوق، وعمليات البيع والشراء ويفرض عقوبات على المحتكرين فحدوا من غلاء الأسعار[152].

كما عمل الحكام الذين تعاقبوا على حكم المغرب الأوسط على رسم سياسة، يصلح بها حال المجتمع على عدة مستويات فكان للخطط الشرعية نصيب وافر من الاهتمام، فكان القضاء من أهم الركائز التي تقوم عليها الدول، فسهر القضاة على الحياة اليومية، وأقاموا الحدود وحاربوا الجريمة في المغرب الأوسط.

ففصلوا في النزاعات ومختلف الجرائم بعد التحقيق والإشهاد[153]، فإن ثبت ذلك أقاموا الحدود ومختلف التعازير، فطبقوا حد السرقة، وأصدروا حكم القتل والحبس[154].

وكانت الحسبة من الخطط المساعدة للحكام في فرض النظام والتحرر من الجريمة في السوق خاصة، وردع الغشاشين والمدلسين[155]، وتغيير المناكر في الطرقات والمساكن والمزابل، وينهي الرجال عن الوقوف أمام البيوت، والفصل بين الجنسين، كما انه يمنع البدع والأهواء[156].

وعملت الشرطة على مراقبة حركة قطاع الطرق، من خلال الأماكن العالية[157]، ويبدو أن هؤلاء كانوا مصحوبين بالكلاب خاصة في عهد الحماديين[158]، وراقبوا مداخل المدن لتجنب دخول المشبوهين والجرمين، وسهروا على مدى الإلتزام بقواعد إقامة الحدود[159].

وتمثل النظام العقابي في تطبيق الحدود الشرعية بمختلف أنواعها، والتعازير التي تراوحت بين التوبيخ والضرب والتشهير، والنفي، وكان السجن أشدها[160]، وأكثرها استعمالا خصوصا في حق معتادي الجريمة، لكن قبل تطبيق كل ما سلف من عقوبات وجب سد جميع الثغرات والمسببات التي تؤدي إلى شيوع المفسدة والجريمة من بينها الفقر.

جهود المتصوفة:

تعتبر الكرامات ظاهرة سلوكية مرتبطة بقوى غيبية ومشاهدات سحرية وخرافية[161]، بحيث ظهرت الكرامات بشكل متعدد من رؤية الموتى والكلام معهم، وتسخير الحيوان والجماد، والمشي على الماء والطيران في الهواء والتنبؤ بالمجهول[162].

وارتبط ظهور الفكر الكرامي ونشاطه بوقت الأزمات خصوصا إبان القرن السادس للهجرة، عندما احتدم التوتر الاجتماعي مما ولد انحلالا خلقيا، وظواهر غريبة في المجتمع[163].

لعبت الكرامة دورا فعالا لحل مشاكل الشريحة المستضعفة في المجتمع والتخفيف من معاناتها، فقد كانت بمثابة وسيلة سلمية استخدمتها المتصوفة للتعبير عن رفضهم لتلك الظروف والمشاكل التي يتخبط فيها المجتمع، آملة في إيجاد حلول أو تغيير للواقع المتردي على الأقل[164].

تعتبر الكرامة تعبيرا عن تطلعات الفقراء، وفي نفس الوقت هي محاربة لمظاهر الترف والطبقات الثرية[165]، فرموزها لها دلالات ومعاني روحية وأخلاقية واجتماعية وسياسية[166]، وتكون عادة بشكل إجابة الدعاء أو خرق قوانين الطبيعة كتوفير الماء أوقات الجفاف وغيرها[167]، كما ركزت الكرامة على مبدأ الإحسان، ووجهت خطاباتها لفئة الأغنياء ليتصدقوا على الفقراء[168].

كما تطلعت الكرامات إلى تكوين مجتمع خال من المتناقضات، وهاجمت التفسخ، والميوعة الأخلاقية، متطلعة لمجتمع لا وجود للرذائل فيه، عن طريق أسلوب المكاشفات[169]، الذي استعمل كسلاح لهداية المنحرفين من اللصوص، ومعاقري الخمر، حتى أن بعضهم صار صوفيا[170].

لقد برز التكافل الاجتماعي لدى المتصوفة وقت الأزمات التي تعرض لها المجتمع خصوصا أوقات القحط والجفاف والمجاعات وظهور آفات دخيلة على المجتمع، وعجز السلطة عن إيجاد حلول لها، فقد اعتبروا المشكلات الاجتماعية ناتجة عن العوز، فكانوا يعتبرون أن المال يسخر في خدمة الفقراء والمحتاجين، فخففوا من آلامهم وتولي أمورهم، كما وضعوا كراماتهم لمناهضة الجور والاعتداء على حقوق الغير وخاصة الأيتام[171].

شهد المجتمع الزياني تضامن الأولياء والفقهاء أثناء المسبغة ومنهم أبو العباس أحمد بن مرزوق الذي كانت له مطامير من القمح والفحم والخليع والزيت، وعمد إلى فتحها أمام المحتاجين والتصدق طوال يومه[172]، كما كافحوا الرذيلة والدعارة وشرب الخمر والسرقة وللحد من الزنا، حيث قام أبو عبد الله بن الحجام بتجـهيز وتزويج البـنات الفقيرات[173].

إن للمتصوفة دور هام في إزالة الفوارق بين الفئات المختلفة للمجتمع، حيث ساهموا في تحسين المستوى المعيشي للمعوزين، فقضوا بذلك على الجريمة المتولدة عن ذلك، وحسنوا من أخلاق المرأة كونها أساس المجتمع.

جهود الفقهاء:

لقد اضطلع الفقهاء بالدور الإرشادي والتعليمي والشورى داخل مجتمعهم كل حسب اختصاصه ضمن حلقات الدرس، وتكفلوا بالدعوة للمعروف والنهي عن المنكر، والتعريف بالدين الصحيح والممارسات الصحيحة[174]، كما أنهم وقفوا ضد كل تشويه مذهبي أو ديني خصوصا زمن الفاطميين، كللت بتوحدهم في مواجهة السياسة المذهبية للفاطميين ضمن حركة صاحب الحمار[175].

ونجد على مستوى متابعة حالة الرعية الفقيه عبد الله بن جبل خريج تلمسان الذي كان يجلس للنظر في الشكاوي المرفوعة إليه من طرف الرعية[176]، ومنهم محمد عبد الجليل بن ويحلان الذي درس الناس مدة ثلاثين سنة دون أجر محتسبا علمه لله[177].

وظهر دور الفقهاء جليا في الفترة المرابطية حيث لعبوا دورا كبيرا في تصحيح سلوكيات وأخلاق المجتمع، وحاربوا البدع والجريمة الأخلاقية نتاج تسرب اللهو والطرب[178]، من زنا وأنكحة فاسدة[179]، وواجهوا قطاع الطرق بإصدار الفتاوى بعدم التعامل معهم، ووصل الأمر إلى إصدار فتوى بالجهاد ضدهم[180].

خاتمة:

يعتبر الفقر من الآفات الاجتماعية التي تصيب المجتمع، وهي بدورها تفرز ظواهر مجتمعية منافية للأخلاق، وتتعداها إلى ارتكاب جرائم يعاقب عليها كل من الدين والقانون.

يؤدي الجفاف وعدم انتظام سقوط الأمطار إلى جفاف الزرع وانعدام الغلات، وغلاء الأسعار وبالتالي ظهور المجاعات، وسيادة الفقر والاحتياج والاقتتال على الغذاء مما يجعل الجريمة من بين المشاهد اليومية المتكررة لسد الرمق، كما تشترك في زيادة حدة الأزمة كل الحروب وفساد الحكم وتذبذبات الأسواق.

تمخض عن الفقر بروز الجريمة خصوصا في أوساط الفقراء من بيع للعرض مقابل المال، وسرقة وحرابة وتعداه إلى القتل في بعض الأحيان للاقتيات، وهناك من احترفها للكسب والثراء، في المقابل امتهن البعض السحر والكهانة في خرق سافر لقواعد الشرع، وجعلته أسلوبا للتكسب والاحتيال على الجيوب.

إن الجهود المختلفة من طرف الدول المتعاقبة على حكم المغرب الأوسط كانت منصبة لأجل محاصرة الفقر، والحد من الجريمة المرتبطة به، ومساعدة الطبقات الدنيا في المجتمع خصوصا أوقات الأزمات، فكان التضامن والتكافل الاجتماعي، أبرز حدث عرفه المجتمع، وقد أبلى بعض الحكام بلاءا حسنا فقاموا بإلغاء الضرائب الإضافية والتخفيف من أثرها وكذا استتباب الأمن والقضاء على الفوضى .

دافعت الكرامات الصوفية عن الشرائح الدنيا التي تعيش واقعا اجتماعيا مزريا من مرجعية دينية، وكان المغزى الحقيقي لها تخفيف الأزمة نفسيا على المجتمع، أما هدفها السامي فهو تحقيق مجتمع خالي من التفكير الدنيوي، كما أخذ الفقهاء على عاتقهم تثقيف وتوعية المجتمع وإرشاده، وكذا بإصدار الفتاوى والأحكام الفقهية ضد مرتكبي الجريمة.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1- المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، مطابع الأهرام التجارية، قليوب، ج1.

2- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1972.

3- ابن الخطيب: معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار، تح محمد كمال شبانة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د ط، 1423 هـ - 2002 م.

4- ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، ط2، د ت.

5-ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح الإمام عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المكتبة السلفية، ج1

6- ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، مصر، د ط، د ت.

7- ابن حوقل: صورة الأرض، منشورات مكتبة دار الحياة بيروت، د ط، 1992.

8- ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر أيام العرب والعجم والبربر من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (تاريخ ابن خلدون)،اعتنى به صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولي، د ط، د ت.

9- ابن خلدون: المقدمة، المقدمة، تح عبد الله محمد الدرويش، ط1، 1425ه- 2004م، ج1.

10- ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، تح وتع شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة، ط 4، د ت، ج1.

11- ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح ج س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1983،ج1 .

12- ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تح محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1985.

13- ابن مرزوق الخطيب: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن تح ماريا خيسوسبيغيرا، تق محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1481 هـ /1981 م.
14- ابن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تح محمد أبي شنب، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 1986.
15- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1، 2000، ج10.
16- الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تح مجموعة من الباحثين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د ط، 1422 هـ - 2002 م، ج1.
17- البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب جزء من كتاب المالك والممالك مكتبة، المثنى، بغداد، د ط، د-ت،
18- التادلي ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، ت أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب، الرباط، ط2، 1997م.
19- الداودي المالكي: كتاب الأموال، تح محمد رضا سالم شحاذة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 1429 هـ - 2008
20- الدباغ: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تع أبو الفضل أبو القاسم الشوجي، تح إبراهيم شيوخ، مكتبة الخانجي، مصر 1968،ج1.
21- الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، تج إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ج2.
22- الرصاع: شرح حدود ابن عرفة، الموسومة الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية، تح: محمد أبو الأجفان، الطاهر المعموري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1993
23- الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تح حسين نصار، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1394 هـ– 1974 م، ج13.
24- الزجالي: أمثال العوام في الأندلس، تح محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي (د ت) ، (د ط)،ج 1.
25- السلاوي: الإستقصا في أخبار المغرب الأقصى، تح جعفر الناصري، محمد الناصري دار الكتاب، الدار البيضاء، د ط، 1418هـ- 1997م، ج 1.
26- العبدري : الرحلة المغربية، تح سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، د ط، 1428ه- 2007م.
27- الفيروزآبادي: القاموس المحيط، تح مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 1426 هـ /2005 م.
28- القاضي النعمان: المجالس والمسايرات، تح الحبيب الفقي إبراهيم شيوح، محمد اليعلاوي، دار المنتظر، بيروت، لبنان، ط 1، 1996.
29- القاضي عياض: مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، ت محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، د ط، د ت.
30- الماوردي: الأحكام السلطانية و الولايات الدينية (طبعة إلكترونية د ط ، و د ت).
31- الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء، إشراف محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، 1401ه- 1981م،ج 5 .
32- عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرح واعتناء، صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1426هـ- 2006 م
33- مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، ط1، 1399 هـ /1993 م.
34-الشيخ أحمد رضا: معجم متن اللغة، مكتبة دار الحياة، بيروت، د ط، 1379 هـ - 1960 م، م4.

المراجع:

1- الحسين بولقطيب: جوانح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، منشورات الزمن،الرباط، دط، دت.
2- إبراهيم القادري بوتشيش: المهمشون في تاريخ العرب الإسلامي، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2014م.
3- إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عهد المرابطين، دار الطليعة بيروت، د ط، د ت.

4- إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المجتمع- الذهنيات- الأولياء، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1993.
5- إبراهيم القادري بوتشيش: تاريخ المغرب الإسلامي، قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1999.
6- الحسن السايح: الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط2، 1986.
7- الحسين أسكان: الدولة والمجتمع في العصر الموحدي (518- 668ه/ 1125- 1270م)، المعارف الجديدة، الرباط، د ط،2010.
8- السيد أبو مصطفى كمال: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، د ط،1992.
8- الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 الهجريين/ 12 و 13 الميلاديين، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، (د. ط)، (د. ت).
10- الهادي روحي إدريس: الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 13م، تر حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ج1.
11- آية الله مرتضى الحسيني الشيرازي: استراتيجية مكافحة الفقر في منهج الإمام علي ابن أبي طالب (عليه السلام)، هيئة محمد الأمين ﷺ، ط1، 1433 هـ -2012م.
12- جودت ع الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10 م)، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، د ت.
13- حسن جلاب: الدولة الموحدية، أثر العقيدة في الأدب، منشورات الجامعة، د ط،1985.
14- حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار ومطابع المستقبل، القاهرة، ط 1، 1980.
15- رشيد بوروبية: الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط،1397هـ/1977م.
16- روجي لي تورنو: حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، تر أمين الطيبي، شركة المدارس للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط 2، 1419 هـ -1998م.
17- عباس نصر الله سعدون: دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1985.
18- عبد الإله بنمليح: ظاهرة الرق في الغرب الإسلامي، منشورات الزمن، د ط، 2002.
19- عبد الحليم عويس: دولة بني حماد صفحات رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة، القاهرة ط2، 1411هـ/1991م.
20- عبد السلام الخرشي: فقه الفقراء والمساكين في الكتاب والسنة، بحث لنيل شاهدة الدكتوراه في القرآن والحديث، مؤسسة الرسالة، دار المؤيد، بيروت، لبنان، ط 2، 1423 هـ / 2002 م.
21- عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر، الجزائر، د ط، 2002، ج1.
22- عبد العظيم حمدي: فقر الشعوب بين الاقتصاد الوضعي و الاقتصاد الإسلامي، مطبعة العمرانية للأوفستا، د ط، 1415 هـ - 1995 م.
23- عبد المجيد القدوري: وقفات في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب، الرباط، ط1، 2001.
24- عبد الهادي البياض: الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس) ق6- 8ه/ 12- 14م)، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2008.
25- عمر بن عميرة: النوازل والمجتمع ـ مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالمغرب الأوسط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، د ط،2012.
26- فرحات الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب (296 هـ - 363 هـ /909 م -975 م)، التاريخ السياسي والمؤسسات، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامية، بيروت، لبنان، ط1، 1994م.
27- محمد أبو زهرة: الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، دار الفكر العربي، د ط، 1998.
28- محمد الأمين البزاز: تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإسلامية، جامعة محمد الخامس الرباط، د ط،1992.

29- محمد الأمين بلغيث: نظرات في تاريخ العرب الإسلامي، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2007
30- محمد الطمار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 2010.
31- محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، مؤسسة مناهل الفرقان، بيروت، 1976، ج1.
32- محمد عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، دار الشروق بيروت، ط 1، 1413 هـ، 1993م.
33- محمد فتحة: النوازل الفقهية والمجتمع، أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي من القرن 6 إلى 9ه / 12- 15م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، د ط، 1999.
34- محمود إسماعيل عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، رسالة دكتوراه، دار الثقافة الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 1406 هـ /1985 م.
35- موسى لقبال: الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، نشأتها وتطورها، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1971،1.
36- يوسف القرضاوي: دور الزكاة في حل المشكلات الاقتصادية و شروط نجاحها، دار الشروق، القاهرة، ط 1، 1422هـ /2001 م.
37-عبد الهادي البياض: أثر الكوارث الطبيعية في المجال الاقتصادي بالمغرب والأندلس، كتاب المجلة العربية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

الرسائل الجامعية:

1- أحمد عبد الرزاق عبد العزيز: الفقراء في القاهرة في القرنين السادس والسابع الهجريين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجيستر في الأب، جامعة الزقازيق، 1432 هـ / 2011 م.
2- بختة خليلي: الفقر بالمغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (ق15/13م) واقعه وآثاره، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر،2016/2015م.
3- بسام كامل عبد الرزاق: تلمسان في العهد الزياني (633 هـ - 962 هـ / 1235 م – 1555 م)، رسالة استكمال درجة الماجستير في التاريخ، بكلية الدراسات العليا من جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين 1422 هـ - 2002 م، ص175.
4- بصديق عبد الكريم: البيوع والمعاملات التجارية في المغرب الأوسط وأثرها على المجتمع ما بين القرنين (6-9هـ /15/12م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الوسيط الإسلامي، جامعة أحمد بن بلة، وهران،2017 -2018 م.
5- حورية سكاكو: التحولات الاقتصادية في المغرب الأوسط خلال العهدين الموحدي والزياني من القرنيين (6-10 هـ / 12-16م)، دراسة مقارنة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان،2013-2014 م.
6- رضا بن النية: صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر (80هـ /699م-362هـ/973م)، دراسة اجتماعية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة متنوري، قسنطينة 2005 -2006 م.
7- رفيق بوراس: الأوضاع الاجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية (296هـ-362هـ/908م-972م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة متنوري، قسنطينة،2007-2008م
8- رفيق خليفي: البيوتات الأندلسية في المغرب الأوسط من نهاية القرن 3ه إلى نهاية ق 9هـ، شهادة لنيل الماجستير في التاريخ والحضارة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2007- 2008م.
9- رقية بن خيرة: الآفات الاجتماعية في الأندلس ما بين القرنين الخامس والسادس هجري، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، 2016-2017، جامعة معسكر.
10- سمية مزدور: المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588 – 927 هـ /1192-1520م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة متنوري، قسنطينة، 2008- 2009 م.
11- طاهر بخدة: الهجرة في المغرب الأوسط واقعها وآثارها في منتصف القرن السادس إلى أواخر القرن الثامن الهجري (ق 12 – 14م)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة وهران، 2016-2017 م.

12- عادل يديرة: بادية المغرب الأوسط في العصر الوسيط (دراسة للواقع الاقتصادي والاجتماعي وتأثيرها على السلوك والذهنيات) من القرن 4 إلى القرن 7هـ-13م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، 1438 هـ -1439 هـ / 2017 – 2018 م.
13- عبد الحفيظ حيمي: نظام الشرطة في الغرب الإسلامي ق2- 6هـ (8- 12م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة وهران، الجزائر، 2014- 2015م.
14- عبد العزيز رشيد: زراعة الحبوب في المغرب الأوسط منذ الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين (50 هـ -668 هـ /670 م – 1269)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص تاريخ وسيط ، جامعة الجزائر 2، 1433 هـ -1434 هـ/ 2012-2013 م.
15- عميور سكينة: ريف المغرب الأوسط بين القرنين (5 و 6 هـ /11 و 12 م)، دراسة اقتصادية واجتماعية، ـ مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، جامعة قسنطينة -2-، 2012 -2013م
16- مسعود كربوع: النظام المالي للدويلات الإسلامية بالمغرب الإسلامي (من القرن الثاني إلى التاسع هجري)، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه علوم في التاريخ الوسيط، جامعة باتنة، 2018/2017.
17- مصطفى بن عريب: مجتمع المغرب الأوسط المتغيرات والعلائق من القرن الرابع الهجري إلى سقوط دولة الموحدين 668هـ /1269 م (القرن العاشر، القرن الثالث عشر ميلادي)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جـامعة محمد بوضياف، مسيلة، 2016-2017 م
18- نوال بلمداني: نظام الرعي في المغرب الأوسط خلال القرنيين (3-5 هـ /10-11م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة وهران 2013 م -2014 م.
19- هناء شقطمي: الخطاب الفقهي والريف في المغرب الأوسط من خلال الدرر المكنونة في نوازل مازونة، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص تاريخ الريف والبادية، جامعة قسنطينة 2، 2012- 2013م.
20- واعظ نويوة: أثر ثورة بني غانية على الدولة الموحدية (580هـ - 1184م/633 هـ -1235م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، بوزريعة، الجزائر 2007-2008 م.
21- يمينة كباس: الدور السياسي والعلمي للفقهاء في عهد الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي (296هـ-361هـ/ 909م-972م)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2015-2016م،

المجلات العلمية:

1- الطيب لحيلح، محمد جصاص: الفقر ...التعريف ومحاولات القياس، أبحاث اقتصادية وإدارية، العدد السابع، جوان 2010.
2- بشير بوقاعدة: سياسة بني حماد لتأمين الغذاء أيام الحصار العربي الهلالي لمدن المغرب الأوسط، مجلة الباحث، م8، ع2.
3- دوادي الأعرج: سياسة الدولة الزراعية وأثرها على الفلاحة في المغرب الأوسط مابين القرنين الرابع والسادس الهجريين، الحوار الفكري، المركز الجامعي نور البشير، البيض.
4- علاوة عمارة: الحكم والاقتصاد والمجتمع في المغرب الحمادي، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، ع4، رمضان 1425 هـ / أكتوبر 2004.
5- علاوة عمارة: الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير البيئة الاجتماعية لبلاد الزاب، مجلة الآداب، ع 18
6- علي أحمد: القضاء في المغرب والأندلس من الفتح إلى وحتى نهاية القرن التاسع الهجري، دراسات تاريخية، ع 53- 54، تموز- كانون الأول1995.
7- متعب بن حسين القثامي: أضواء على الرعي والفلاحة وأنظمتها في المغرب الأوسط من خلال كتاب النوازل للونشريسي، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات المتوسطية، العدد الثاني، شتاء 1436 هـ -2015م.

الهوامش:

[1]- الشيخ أحمد رضا: معجم متن اللغة، مكتبة دار الحياة، بيروت، د ط، 1379 هـ - 1960م، م4، ص 20.
[2]- الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تح حسين نصار، مطبعة حكومة الكويت، ط 2، 1394 هـ– 1974 م، ج13، ص335.
[3]- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1، 2000، ج10، ص 335.
[4]- الفيروزآبادي: القاموس المحيط، تح مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 1426 هـ /2005 م، ص 519.
[5]- محمد عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، دار الشروق بيروت، ط 1، 1413 هـ، 1993 م، ص 434.
[6]- عبد السلام الخرشي: فقه الفقراء والمساكين في الكتاب والسنة، بحث لنيل شاهدة الدكتوراه في القرآن والحديث، مؤسسة الرسالة، دار المؤيد، بيروت، لبنان، ط 2، 1423 هـ / 2002 م، ص 20.
[7]- الزبيدي: المصدر السابق، ج 13، ص 338.
[8]- محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، مؤسسة مناهل الفرقان، بيروت، 1976، ج1، ص 543
[9]- الماوردي: الأحكام السلطانية و الولايات الدينية (طبعة إلكترونية د.ط، د. ت)، ص 156، الداودي المالكي: كتاب الأموال، تح محمد رضا سالم شحاذة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 1429 هـ - 2008م، ص 151
[10]- محمد عمارة: المرجع السابق، ص 435.
[11]- الداودي: المصدر السابق، ص 151.
[12]- الفيروزآبادي: المصدر السابق، ص 475.
[13]- يوسف القرضاوي: دور الزكاة في حل المشكلات الاقتصادية وشروط نجاحها، دار الشروق، القاهرة، ط 1، 1422 هـ /2001 م، ص 17.
[14]- الطيب لحيلح، محمد جصاص: الفقر ... التعريف ومحاولات القياس، أبحاث اقتصادية وإدارية، العدد السابع، جوان 2010، ص 170.
[15]- عبد العظيم حمدي: فقر الشعوب بين الاقتصاد الوضعي و الاقتصاد الإسلامي، مطبعة العمرانية للأوفستا، د ط، 1415 هـ - 1995م، ص 10 .
[16]- آية الله مرتضى الحسيني الشيرازي: استراتيجية مكافحة الفقر في منهج الإمام علي ابن أبي طالب (عليه السلام)، هيئة محمد الأمين ﷺ، ط1، 1433 هـ - 2012 م، ص 20.
[17]- أحمد عبد الرزاق عبد العزيز: الفقراء في القاهرة في القرنين السادس والسابع الهجريين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجيستر في الأب، جامعة الزقازيق، 1432 هـ / 2011 م، ص 3.
[18]- آية الله السيد مرتضى الحسن الشيرازي: المرجع السابق، ص 18- 19.
[19]- محمد أبو زهرة: الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، دار الفكر العربي، د ط، 1998، ص 19.
[20]- الماوردي: المصدر السابق، ص 322.
[21]- الرصاع: شرح حدود ابن عرفة، الموسومة الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية، تح: محمد أبو الأجفان، الطاهر المعموري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص 632.
[22]- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح الإمام عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المكتبة السلفية، ج1، ص64.
[23]- عبد القادر عودة: المرجع السابق، ص 67، 68.
[24]- عبد الهادي البياض: أثر الكوارث الطبيعية في المجال الاقتصادي بالمغرب والأندلس، كتاب المجلة العربية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص11.
[25]- محمد الأمين البزاز: تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإسلامية، جامعة محمد الخامس الرباط، د ط،1992، ص 34.

[26]- الحسين بولقطيب: جوانح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، منشورات الزمن، الرباط، د ط، د ت، ص18، 21.
[27]- عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر، الجزائر، د ط، 2002، ج1، ص 253.
[28]- سمية مزدور: المرجع السابق، ص 107.
[29]- عبد العزيز رشيد: زراعة الحبوب في المغرب الأوسط منذ الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين (50 هـ -668 هـ /670 م – 1269)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص تاريخ وسيط، جامعة الجزائر 2، 1433 هـ -1434 هـ/ 2012-2013 م، ص 134.
[30]- ابن حوقل: صورة الأرض، منشورات مكتبة دار الحياة بيروت، د ط، 1992، ص 93.
[31]- ابن خلدون: المقدمة، المقدمة، تح عبد الله محمد الدرويش، ط1، 1425هـ- 2004م، ج1 ، ص196.
[32]- سمية مزدور: المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588 – 927 هـ /1192-1520م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة متنوري، قسنطينة، 2008- 2009 م، ص 105.
[33]- الحسين بولقطيب: المرجع السابق، ص61.
[34]- جودت ع الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10 م)، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، د ت، ص 455 .
[35]- متعب بن حسين القثامي: أضواء على الرعي والفلاحة وأنظمتها في المغرب الأوسط من خلال كتاب النوازل للونشريسي، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات المتوسطية، العدد الثاني، شتاء 1436 هـ -2015 م، ص 88.
[36]- ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح ج س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1983، ج1، ص191.
[37]- دوادي الأعرج: سياسة الدولة الزراعية وأثرها على الفلاحة في المغرب الأوسط ما بين القرنين الرابع والسادس الهجريين، الحوار الفكري، المركز الجامعي نور البشير، البيض، ص130.
[38]- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1972، ص100، 102.
[39]- عبد الهادي البياض: الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس) ق6- 8هـ/ 12-14م)، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2008، ص 63.
[40]- السيد أبو مصطفى كمال: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، د ط،1992، ص 64.
[41]- الحسين بولقطيب: المرجع السابق، ص 50.
[42]- ابن عذارى: المرجع السابق، ج 1، ص 181.
[43]- السلاوي: الإستقصا في أخبار المغرب الأقصى، تح جعفر الناصري، محمد الناصري دار الكتاب، الدار البيضاء، د ط، 1418هـ- 1997م، ج 1، ص 253.
[44]- الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، تج إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ج2، ص 440
[45]- ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تح محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص 181.
[46]- بصديق عبد الكريم: البيوع والمعاملات التجارية في المغرب الأوسط وأثرها على المجتمع ما بين القرنين (6-9هـ /15/12 م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الوسيط الإسلامي، جامعة أحمد بن بلة، وهران،2017 -2018 م، ص469-470.
[47]- الحسين أسكان: الدولة والمجتمع في العصر الموحدي (518- 668هـ/ 1125- 1270م)، المعارف الجديدة، الرباط، د ط، 2010، ص169.
[48]- مصطفى بن عريب: مجتمع المغرب الأوسط المتغيرات والعلائق من القرن الرابع الهجري إلى سقوط دولة الموحدين 668هـ /1269م (القرن العاشر، القرن الثالث عشر ميلادي)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جـامعة محمد بوضياف، مسيلة، 2016-2017 م، ص 60.

[49]- محمود إسماعيل عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، رسالة دكتوراه، دار الثقافة الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 1406 هـ /1985 م، ص 234.

[50]- فرحات الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب (296 هـ -363 هـ/909 م -975 م)، التاريخ السياسي والمؤسسات، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامية، بيروت، لبنان، ط1، 1994 م، ص 245.

[51]- ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت، ص 72، 73.

[52]- نوال بلمداني: نظام الرعي في المغرب الأوسط خلال القرنيين (3-5 هـــ/10-11م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة وهران 2013 م -2014 م، ص71.

[53]- المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، مطابع الأهرام التجارية، قليوب، ج1، ص77.

[54]- ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص216، 218..

[55]- القاضي النعمان: المجالس والمسايرات، تح الحبيب الفقي إبراهيم شيوح، محمد البعلاوي، دار المنتظر، بيروت، لبنان، ط 1، 1996، ص493.

[56]- رفيق بوراس: الأوضاع الاجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية (296هـ-362هـ/908م-972م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة متنوري، قسنطينة، 2007-2008م، ص114.

[57]- حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار ومطابع المستقبل، القاهرة، ط 1، 1980، ص136.

[58]- علاوة عمارة: الحكم والاقتصاد والمجتمع في المغرب الحمادي، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، ع4، رمضان 1425 هـ / أكتوبر 2004، ص 272.

[59]- عبد الحليم عويس: دولة بني حماد صفحات رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة، القاهرة ط2، 1411هـ/1991م، ص 39.

[60]- رضا بن النية: صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر (80هـ /699م-362هـ/973م)، دراسة اجتماعية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة متنوري، قسنطينة 2005 -2006 م، ص 89.

[61]- محمد الطمار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 2010، ص 4.

[62]- عميور سكينة: ريف المغرب الأوسط بين القرنين (5 و 6 هـ /11 و 12 م)، دراسة اقتصادية واجتماعية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، جامعة قسنطينة 2، 2012 -2013م، ص39.

[63]- داودي الأعرج: المرجع السابق، ص 128.

[64]- عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرح واعتناء، صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1426هـ- 2006 م، ص 250 .

[65]- مصطفى بن عريب: المرجع السابق، ص 90-91.

[66]- ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر أيام العرب والعجم والبربر من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (تاريخ ابن خلدون)، اعتنى به صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولي، د ط، د ت، ص 1532.

[67]- رشيد بوروبية: الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط،1397هـ/1977م، ص 54-55.

[68]- الهادي روحي إدريس: الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 13م، تر حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ج1، ص 289.

[69]- علاوة عمارة: الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير البيئة الاجتماعية لبلاد الزاب، مجلة الآداب، ع 18، ص 10.

[70]- علاوة عمارة: الهجرة الهلالية، المرجع السابق، ص 19.

[71]- الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تح مجموعة من الباحثين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د ط، 1422 هـ - 2002 م، ج1، ص 260-261-263-264

[72]- طاهر بخدة: الهجرة في المغرب الأوسط واقعها وآثارها في منتصف القرن السادس إلى أواخر القرن الثامن الهجري (ق 12 – 14م)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة وهران، 2016-2017 م، ص 27-28-29.

[73]- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص157.
[74]- ابن عذارى: المصدر السابق، ج 4، ص 15.
[75]- حسن جلاب: الدولة الموحدية، أثر العقيدة في الأدب، منشورات الجامعة، د ط، 1985، ص 30.
[76]- مسعود كربوع: النظام المالي للدويلات الإسلامية بالمغرب الإسلامي (من القرن الثاني إلى التاسع هجري)، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه علوم في التاريخ الوسيط، جامعة باتنة، 2018/2017، ص 211-222.
[77]- حورية سكاكو: التحولات الاقتصادية في المغرب الأوسط خلال العهدين الموحدي والزياني من القرنيين (6-10هـ/ 12-16 م)، دراسة مقارنة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2013-2014 م، ص 37.
[78]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص237.
[79]- روجي لي تورنو: حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، تر: أمين الطيبي، شركة المدارس للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط 2، 1419 هـ -1998 م، ص89.
[80]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص235.
[81]- بختة خليلي: الفقر بالمغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (ق13/15م) واقعه وآثاره، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة مصطفى إسطمبولي، معسكر، 2016/2015م، ص65.
[82]- حورية سكاكو: المرجع السابق، ص38.
[83]- مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، ط1، 1399 هـ /1993 م، ص146.
[84]- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص176.
[85]- واعظ نويوة: أثر ثورة بني غانية على الدولة الموحدية (580هـ-1184م/ 633 هـ -1235م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، بوزريعة، الجزائر 2007-2008 م، ص69.
[86]- بختة خليلي: المرجع السابق، ص65، 67.
[87]- عادل يديرة: بادية المغرب الأوسط في العصر الوسيط (دراسة للواقع الاقتصادي والاجتماعي وتأثيرها على السلوك والذهنيات) من القرن 4 إلى القرن 7هـ-13م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، 1438 هـ -1439 هـ / 2017 – 2018 م، ص133.
[88]- سمية مزدور: المرجع السابق، ص96.
[89]- بسام كامل عبد الرزاق: تلمسان في العهد الزياني (633هـ- 962 هـ/1235م – 1555م)، رسالة استكمال درجة الماجستير في التاريخ، بكلية الدراسات العليا من جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين 1422 هـ - 2002 م، ص175.
[90]- ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ج1، ص468.
[91]- عمر بن عميرة: النوازل والمجتمع ـ مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالمغرب الأوسط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، د ط، 2012، ص154.
[92]- نفسه، ص130.
[93]- سكينة عميور: المرجع السابق، ص194.
[94]- الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج 2، ص228.
[95]- نفسه: ص 299 – 231.
[96]- دوادي الأعرج: المرجع السابق، ص133.
[97]- سكينة عميور: المرجع السابق، ص197، 199.
[98]- حورية سكاكو: المرجع السابق، ص 78،77.
[99]- سمية مزدور: المرجع السابق، ص 74- 78.
[100]- ابن خلدون: المقدمة، ص431.
[101]- صديقي عبد الجبار: المرجع السابق، ص 139 – 140.
[102]- خليلي بخته: المرجع السابق، ص 143.

[103]- بختة خليلي: المرجع السابق، ص244.
[104]- إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عهد المرابطين، دار الطليعة بيروت، د ط، د ت، ص193.
[105]- الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 الهجريين/ 12 و 13 الميلاديين، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، (د. ط)، (د. ت)، ص99-100
[106]- عبد الأله بنمليح: ظاهرة الرق في الغرب الإسلامي، منشورات الزمن، د ط، 2002، ص 91-92
[107]- الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء، إشراف محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، 1401هـ - 1981م، ج 5، ص 235-236.
[108]- رقية بن خيرة: الآفات الاجتماعية في الأندلس ما بين القرنين الخامس والسادس هجري، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، 2016-2017، جامعة معسكر، ص 157
[109]- الزجالي: أمثال العوام في الأندلس، تح محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي (د ت)، (د ط)، ج 1، ص260
[110]- ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، تح وتع شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة، ط 4، د ت، ج1، ص384.
[111]- ابن الخطيب: معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار، تح محمد كمال شبانة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د ط، 1423 هـ - 2002 م، ص106.
[112]- عبد المجيد القدوري: وقفات في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب، الرباط، ط1، 2001، ص40.
[113]- إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص190.
[114]- نفسه، ص190.
[115]- رفيق بوراس: المرجع السابق، ص71.
[116]- علاوة عمارة وآخرون: مغرب أوسطيات، دراسات في تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الإسلامي الوسيط، مؤسسة حسين رأس الجبل، قسنطينة، ط1، 2013، ص133.
[117]- الونشريسي: المصدر السابق، ج5، ص93.
[118]- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص326.
[119]- العبدري : الرحلة المغربية، تح سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، د ط، 1428ه- 2007م، ص 212.
[120]- إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 191.
[121]- التادلي ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، ت أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب، الرباط، ط2، 1997م، ص 288.
[122]- إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 192-193.
[123]- جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص 312.
[124]- ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص227.
[125]- البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب جزء من كتاب المالك والممالك مكتبة، المثنى، بغداد، د ط، د-ت، ص55.
[126]- عادل بديرة: المرجع السابق، ص147.
[127]- سمية مزدور: المرجع السابق، ص 184- 185.
[128]- نفسه، ص219-220.
[129]- الونشريسي: المصدر السابق،ج 5، ص 100-101.
[130]- دوادي الأعرج: المرجع السابق، ص 123.
[131]- الدباغ: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تع أبو الفضل أبو القاسم الشوجي، تح إبراهيم شيوخ، مكتبة الخانجي، مصر 1968، ج1، ص26.
[132]- القاضي النعمان: المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص 465، 470، 472، 496.
[133]- عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص219-220.

[134]- دوادي الأعرج: المرجع السابق، ص128.
[135]- إبن خلدون العبر، المصدر السابق، ص1641
[136]- بشير بوقاعدة: سياسة بني حماد لتأمين الغذاء أيام الحصار العربي الهلالي لمدن المغرب الأوسط، مجلة الباحث، م8، ع2، ص 189
[137]- محمد الأمين بلغيث: نظرات في تاريخ العرب الإسلامي، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2007، ص7.
[138]- عبد العزيز رشيد: المرجع السابق، ص104.
[139]- دوادي الأعرج: المرجع السابق، ص131-132.
[140]- سمية مزدور: المرجع السابق، ص70.
[141]- نفسه: ص146.
[142]- حورية سكاكو: المرجع السابق، ص118.
[143]- إبن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، ط2، د ت، ص197.
[144]- البكري: المصدر السابق، ص164.
[145]- عبد العزيز رشيد: المرجع السابق، ص104-105.
[146]- حورية سكاكو: المرجع السابق، ص118.
[147]- بخته خليلي: المرجع السابق، ص304.
[148]- سمية مزدور: المرجع السابق، ص 145.
[149]- حورية سكاكو: المرجع السابق، ص118.
[150]- كمال أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 50.
[151]- بختة خليلي: المرجع السابق، ص 309 .
[152]- نفسه، ص314.
[153]- القاضي عياض: مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، ت محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، د ط، د ت، ص31.
[154]- علي أحمد: القضاء في المغرب والأندلس من الفتح إلى وحتى نهاية القرن التاسع الهجري، دراسات تاريخية، ع 53-54، تموز- كانون الأول1995، ص 154، 155، 156.
[155]- ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص407.
[156]- موسى لقبال: الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، نشأتها وتطورها، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1971، ص71.
[157]- عبد الحفيظ حيمي: نظام الشرطة في الغرب الإسلامي ق 2- 6هـ (8- 12م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة وهران، الجزائر، 2014- 2015م، ص113.
[158]- الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج2، ص136.
[159]- عبد الحفيظ حيمي: المرجع السابق، ص 126- 127.
[160]- محمد فتحة: النوازل الفقهية والمجتمع، أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي من القرن 6 إلى 9هـ / 12- 15م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، د ط، 1999، ص64- 65.
[161]- إبراهيم القادري بوتشيش: المهمشون في تاريخ العرب الإسلامي، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2014م، ص 183-184
[162]- إبراهيم القادري بوشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المجتمع- الذهنيات- الأولياء، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1993،ص 141.
[163]- إبراهيم القادري بوشيش: تاريخ المغرب الإسلامي، قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1999، ص107.
[164]- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 179
[165]- إبراهيم القادري بوشيش: المهمشون، المرجع السابق، ص 186.

[166]- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص179.
[167]- إبن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تج محمد أبي شنب، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 1986، ص111.
[168]- إبن مرزوق الخطيب: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن تح ماريا خيسوسبيغيرا، تق محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1481 هـ /1981 م، ص 420.
[169]- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص181-182.
[170]- نفسه، ص183.
[171]- إبراهيم القادري بوشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المرجع السابق، ص148، 149.
[172]- عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص255.
[173]- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 191.
[174]- محمد فتحة: المرجع السابق، ص126، 135.
[175]- يمينة كباس: الدور السياسي والعلمي للفقهاء في عهد الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي (296هـ- 361هـ/ 909م-972م)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2015-2016م، ص282.
[176]- رفيق خليفي: البيوتات الأندلسية في المغرب الأوسط من نهاية القرن 3هـ إلى نهاية ق 9هـ، شهادة لنيل الماجستير في التاريخ والحضارة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2007- 2008م، ص142.
[177]- إبراهيم القادري بوتشيش: المهمشون، المرجع السابق، ص182.
[178]- الحسن السايح: الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط2، 1986، ص161.
[179]- عباس نصر الله سعدون: دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1985، ص22.
[180]- هناء شقطمي: الخطاب الفقهي والريف في المغرب الأوسط من خلال الدرر المكنونة في نوازل مازونة، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص تاريخ الريف والبادية، جامعة قسنطينة 2، 2012- 2013م، ص 56.

مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 979 – 990
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

النظرة إلى الموت بالمغرب الأوسط خلال القرنيين 7-9هـ/13-15م

Overview at death in the Middle Maghreb between the 7th and 9th centuries-the13 and 15ad

د. بكاي عبد المالك
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة سطيف2
bekaiabdelmalek@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2021/01/06 تاريخ القبول: 2021/12/23

الملخص:
يعتبر البحث في تاريخ الذهنيات من الأمور الملغزة خاصة في ظل صيام المصادر والمراجع عن الحديث في مثل هذا التاريخ، فهذا النوع من المواضيع يصنف في خانة التاريخ المسكوت عنه، وإن كانت الدراسة الحديثة قد بدأت تعير اهتمامها لهذه المواضيع من خلال تنبيه مدرسة الحوليات الفرنسية، ولم يبق البحث التاريخي في هذا المجال حكرا على المدرسة الحوليات، بل اشتغلت علية المدرسة الايطالية والمدرسة الألمانية، وقد التفتت المدرسة العربية إلى البحث في مثل هذه المواضيع إلا أن البحث فيها بقي محتشما.
وحسب علمنا فإن الحديث عن الموت في المغرب الأوسط لم يحظ بالبحث التاريخي، لكن هذا لا يعني النفي المطلق فباحتكاكنا ببعض المختصين في علم الآثار علمنا أن هناك الكثير من الأثريين الذين يسعون لنفض الغبار عن ما هو متعلق بالموت و متقاطع مع علم الآثار كالبحث عن المقابر و وشواهد القبور، وكذا سعي بعض علماء الأنثروبولوجيا لترميم ثغرات هذا الموضوع حسب ما يتماشى و طبيعة البحث الأنثروبولوجي.
الكلمات المفتاحية: الموت؛ العصر الوسيط؛ المغرب الأوسط؛ المقابر.

Abstract:
The research in the history of the mind is one of the most embarrassing things, especially in light of the fasting of the sources and the references on this date.
This type of subject is classified as a date of silence, although the recent study has begun to pay attention to these topics by alerting the school of French sophomores, However, the research remained modest.
As far as we know, the talk of death in central Magreb did not enjoy historical research, but this does not mean absolute negativity. Some of our archaeologists know that there are many archeologists who seek to dust off what is related to death and intersect with archeology such as the search for tombs And tombstones, as well as the pursuit of some anthropologists to repair gaps in this subject in line with the nature of anthropological research.
key words:death , the Middle Ages , the Middle Maghreb , cemeteries.

مقدّمة:
لم تتطرق الكتابة التاريخية للحديث عن موضوع الموت، وهو من المواضيع التي عاشها ساكنة المغرب الأوسط وتعايشوا معها كونها ظاهرة يومية الحدوث، وأمام حتمية الوقوع ووجوب المعايشة سعى إنسان المغرب الأوسط إلى البحث عن تفسيرات للظاهرة، وكذا البحث عن تبشيرات لما يظهر على جسد الميت أو أثناء موته أو بعد دفنه، وبذلك التمني للميت بالحياة البرزخية السعيدة ونيل الدرجات العليا من الجنة، غير أن ما يجب الإشارة إليه هنا هو أن جل ما تم التعامل معه من مصادر هي مصادر منقبية كون الألوان

الأخرى لم تعر هذا الجانب أهمية، وهو ما كان له تأثير على بناء المقال كونه ركز على فئة المتصوفة وأهم المكونات الأخرى للمجتمع كالعامة وخاصة المجتمع.

يحاول هذا المقال الإجابة عن مجموعة من الإشكالية لعل أهمها ما دام الموت قضية حتمية حتمت التعامل معها فكيف نظر إليه الصالحون وهم من تنبؤا بدنو أجلهم، واعتبروا ذلك من دلائل الصلاح، وما هي حقوق الموتى على الأحياء، وهل استمرت العلاقة بين الأموات والأحياء؟

يعتمد هذا المقال على المنهج الوصفي وذلك أثناء الحديث عن طرق التشيع وتغسيل ودفن الموتى، كما يعتمد على المنهج الاستقرائي من خلال استقراء بعض النصوص التي تدلل على بعض الظواهر التي تتحدث عن ما صاحب الجنائز من أمور منكرة.

1- تعريف الموت:

إذا أردا البحث عن تعريف للموت نجد أن المعاجم اللغوية تتفق على أنه نقيض الحياة[1]، في حين عرفه ابن عربي بقوله "اعلم أن الموت عبارة عن مفارقة الروح الجسد الذي كانت به حياته الحسية، وهو طارئ عليهما بعد ما كانا موصوفين بالاجتماع الذي هو علة الحياة"[2].

وهناك من يعرفه على أنه "طلوع الروح، أو هو طلوع سر الإله، أو هو الانتقال إلى حياة أخرى، كما نجد من يصف الموت بأنه حق، أو إنّه نهاية كل إنسان، أو أنه راحة من تعب الحياة، أو إنّه هادم اللذات ومفرق الجماعات"[3].

وتعرف العامة الموت على أنه مفارقة الروح الجسد، أي أن الموت لا ينزل بالإنسان ولا يقال أنه مات إلا بعد أن تفارق الروح الجسد كله[4].

وما يمكن قوله أن الموت قدر محتوم لا مفر منه لأنه خاتمة لحياة كل البشر ومن ميزاته أنه لا يفرق بين قوي وضعيف وغني وفقير وسيد ومسود وتقي وزنديق ولا يقبل الفداء بمال ولا بنفس، لذلك على الناس القبول به والتسليم له، وهو ما دفع إلى تشبيه الموت بالسهم يصيب ضحاياه من بعيد دون أن يخطئ[5].

وقد عكف الفقهاء أثناء حديثهم عن الموت إلى محاولة التعريف بملك الموت أو عزرائيل الذي كلف بسلب الأرواح التي خلقها الله، وأن له مساعدين من الملائكة ودورهم هو إخراج الروح من الجسد وإيداعها عند الله أو إيصالها إلى الحنجرة فيأخذها ملك الموت، وكذا الحديث عن مسألة الروح[6].

لقد كان للموت في المجتمع المغرب أوسطي وقع كبير وبذلك خلف الكثير من المواقف والطقوس المتبعة في الجنائز وما بعدها.

2- التنبؤ بالموت:

قبل الحديث عن الموت و ما ينتج عنه وجبت الإشارة إلى ظاهرة التنبؤ بالموت والتي كثرت خاصة عند المتصوفة، فنظر إلى التنبؤ بالموت على أنه دليل على صدق الولاية وكرامة من الكرامات بل وعلى أنه علامة على حسن الخاتمة[7] ، ومن الذي أعلموا بيوم وفاتهم فالمتصوف أبو زكريا يحي بن علي الزواوي فقد قام للناس ووعظهم وقال "يا أيها الناس إني راحل عنكم فظنوا أنه يسافر عنهم" وبعد صلاة الجمعة دخل موضع خلوته فلما دخلوا عليه وجدوه ميتا[8]، وكان الزاهد يوسف بن يعقوب البويوسفي قد أعلم بسنة موته[9]، كما أعلم المتصوف ابن حرزهم بيوم وفاته وقد كان من المترددين على الحمام وفي يوم وفاته قال لخدام الحمام "اليوم بقي لكم و تستريحون مني" وخرج من الحمام إلى بيته و استلقى فجاء بعض تلامذته ليوقظوه فوجدوه ميتا [10]، ومن الذين تنبؤا بالموت رجل مصمودي من المتصوفة اجتمع بأربعين رجل من أصحابه فتوجه إليهم وقال "يا إخواني أما اشتقتم إلى لقاء المحبوب ؟ أما تحبون لقاء الله إن كنتم صادقين في المحبة؟

فاسألوا الله أن لا يمر عليكم ستة أشهر إلا و جميعكم قد لقوا به و أكون أنا أولكم"، فما حضروا من الليلة المقبلة إلا وقد دفنوه و ماتوا جميعا قبل الأجل المذكور[11].

ومثلت الأحلام الوسيلة الثانية للتنبؤ بالموت بحيث تؤول ويحدد على ضوء ذلك موعد الوفاة فالمتصوف أحمد بن محمد الخضر البادسي رأى في منامه النبي ﷺ يصب الماء على رأسه وأبو بكر يمشط رأسه بمشط ففسر ذلك على أنه طهارته من الدنيا، فمات بعد أسبوع من تلك الرؤيا[12]، ومن وسائل التنبؤ بالموت سماع أصوات يسمعها المعني بالموت، فقد مر المتصوف أبو ويعزان يبريدن الايلاني برجلين يحفران قبرا فطلبا منه أن يقيسه لهما بقامته فلما فعل أخبراه أنه قبره[13].

ولم يكن التنبؤ مقتصرا على الميت فقط بل هناك من تنبأ له غيره ، فلما بويع السلطان أبو يحي أبو بكر الحفصي سنة 710هـ/1310م في قسنطينة تقدم منه الشيخ الزاهد أبو مسعود بن عريف المعروف بسيدي يعقوب وهو من جبال الشلف وقال له "تطول مدتك و تأمن من القتل" فحكم مدة ستة وثلاثين سنة ومات بسبب المرض ، وقد كان هذا الأمير لا يحذر في حروبه ويقول "سيدي يعقوب وعدني بالموت على سرير العافية"، وفي سنة وفاته دخل عليه في غرة رجب وقال "لا إله إلا الله دخل رجب" وكررها عدة مرات و أشار إلى الأمير بحضور أجله في ذلك الشهر فمات في رجب سنة 747 هـ/1346م[14]، وقد تنبأ لجد محمد بن مرزوق بوفاته بعد أن يولد له ولده وهو والد محمد، فقد قال لزوجته" قيل لي: سيولد لك ولد، وهو خليفتك، وإنما تعيش بعدها ستة أشهر خالصة، و تلقى ربك"[15].

وعلى الرغم من أن كتب المناقب تزخر بأمثلة عن قضية التنبؤ بالموت، ومعرفة قرب الأجل، وما يترتب عن ذلك من وجوب الاستعداد للرحيل وضرورة التجهز له، إلا أن هذا الأمر يحمل في طياته الكثير من المبالغة، وخاصة أن من دون هذا النوع من المصادر يكون في الغالب من المريدين على المتصوف ومن ثم يحاول نقل هذه الشخصية من مصاف الإنسانية الخطاءة إلى مكانة الإنسان المتنزه عن الخطأ، فاعتبر ذلك من دلالات صدق الولاية.

فحضور الموت بقوة في أذهان المغاربة وكونه مصير حتمي لا مفر منه هو ما جعله أكثر ألفة وصار الناس يتقبلونه بصدر رحب، بل وأصبح هناك من يفضله على الحياة المليئة بالتقلبات، فكثيرا ما كان الناس يدعون الله بأن يميتهم بأقرب وقت، وآخرون يقبلون على الموت ببسالة خاصة المجاهدين والحكام المدافعين عن ملكهم، وكانت نظرة المجتمع إلى هذه التصرفات نظرة إكبار وإعجاب وامتدحت أصحابها لوقت طويل وعكس ذلك استهجنت الضعف أمام الموت وسخرت ممن أظهر ذلك[16]، وقد سعى من تُنبأ له بالموت بالاجتهاد في العبادة، فبعد أن تنبأ شخص لجد محمد بن مرزوق بوفاته بعد أن يولد له ولد بستة أشهر فقد قضى تلك الأشهر في العبادة، ولم ينم قط واجتهد فيها أيما اجتهاد فقبضت روحه وهو يقرأ القرآن[17]، وحالة التعبد لم تكن خاصة بمن تنبأ له بالموت، بل من اقتنع به سواء عندما يصل إلى الشيخوخة وما يدل عليها كالشيب، أو عند تعرضه لما يدل على قرب أجله كالمرض، ففي هذه الفترة بالذات يحضر الشعور بالندم وبضرورة التوبة والتراجع عن كل التصرفات المشينة التي ارتكبها في ما مضى[18].

وكان الاعتقاد السائد أن الموت كان يترافق بمجموعة من الأوجاع والآلام والتي حاول الفقهاء التهوين منها، من خلال محاولة الحديث على أن لحظة الموت هي لحظة هادئة جميلة يعرف فيها المؤمن المؤدي لواجباته الراحة التامة فتكون سهلة طيبة يسهلها الأمل في الدخول إلى الجنة، ولا تكون عصيبة إلا على الكافر[19]، ورغم محاولات العلماء التخفيف من وطأة الموت إلا أن صداه كان بالغا فقد اقترن بالرعب

والجزع والخوف الكبير، فذكره يدفع المستمع إلى استحضار كل هذه المعاني دفعة واحدة وهو ما يمكن أن نستخلصه من هذين البيتين الشعريين:

قالوا صف الموت يا هذا وشدته فقلت وامتد مني عندها الصوت

يكفيكم منه أن الناس إن وصفوا أمرا يروعهم قالوا هو الموت[20].

ولم يتوقف الاستعداد للموت على الجوانب الروحية بل تجاوزه إلى الأمور المادية فالخطيب حسن بن الخطيب: وهو والد ابن قنفد القسنطيني أعد ما يحتاج إليه بعد الموت من كفن ونعش وتعين نفقة[21].

في حين سعى البعض الآخر إلى البحث عن ما يدفنه معه، فهناك من أوصى أن يدفن معه القرآن الكريم أو أحاديث نبوية أو أدعية حسنة[22]، في حين هناك من أوصى أن تدفن معه إجازته[23].

وكانت تتم عملية التبليغ عن الوفاة وعن مكان الدفن من منابر المساجد والتي اعتبرت المكان الأمثل لهذه العملية، رغم اعتبار الفقهاء النداء من المساجد لمثل هذه الأمور من البدع المنكرة الواجب محاربتها[24].

3- حقوق الميت على الأحياء:

ومن الأمور الواجبة على الأحياء تجاه الميت:

- **تغسيله**: وتكون طريق الغسل على الشكل التالي "وليس في غسل الميت حد، ولكن ينقى ويغسل وترا بماء وسدر ويجعل في الأخيرة بكافور وتستر عورته ولا تقلم أظافره ولا يحلق شعره ويعصر بطنه عصرا رفيقا، وإن وضئ وضوء الصلاة فحسن وليس بواجب ويقلب لجنبه في الغسل أحسن وإن اجلس فذلك واسع"[25]، ومكان التغسيل في منزل الميت، أما الفقراء والغرباء والمجاذيم ومن لا أهل لهم فقد كانوا يغسلون في المساجد والمقابر[26].

- **التحنيط:** من الأمور التي راعاها أهل الميت أن يزف ميتهم ورائحة جسمه طيبة ولذلك عملوا على تحنيطه، وما يؤكد هذا الانتشار الواسع لتجار يبيعون الحنوط، رغم أنها من المهن الممقوتة في المجتمع فهناك قول شائع يقول "لا تدخل ولدك جزارا ولا حناطا ولا بائع كفن، قيل في الجزار يلازم القساوة، وفي الحناط أو بائع الحنوط والكفن لما يلازم ذلك من حب غلاء الأسعار على تأويل أو حب كثرة الموت الواقع في الناس"[27]، و"الحنوط ينبغي أن يكون بين أكفان الميت وفي جميع جسده ومواضع السجود منه"[28].

- **التكفين**: يعتبر عنصرا أساسيا في عملية تجهيز الميت ، وقد كان يراعى في عملية شراء الكفن أن يكون من مال حلال[29]، وأن يكون متماشيا مع السنة وهو على الشكل التالي "يستحب أن يكفن الميت في وتر ثلاثة أثواب أو خمسة أو سبعة وما جعل له من أزرة و قميص وعمامة فذلك محسوب في عدد الأثواب الوتر وقد كفن النبي ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية أدرج فيها إدراجا ﷺ، ولا بأس أن يقمص الميت ويعمم"[30]، وقد سعى البعض إلى توفير كفنه في حياته فالخطيب حسن بن الخطيب وهو والد ابن قنفد القسنطيني توفي سنة 750هـ/1349م أعد ما يحتاج إليه من كفن ونعش وتعين نفقة قبل موته[31]، ورغم أن الموت هو انتقال من الحياة إلى الفناء فقد استعمل البعض الحرير والذهب في الكفن، وهو ما جعل الفقهاء يحرمون هذا الكفن للرجل ويبيحونه للمرأة وهناك من أفتى بكراهيته للمرأة لما فيه من إظهار للدنيا وزخرفها[32].

في حين الكثير من الناس لم يجدوا ما يكفنون به موتاهم، وهو ما دفع في بعض الأحيان أن يتكفل بذلك بعض المحسنين أو بعض الأمراء خاصة في أوقات المجاعات والأوبئة[33]، وكان الكفن يحاط ببعض التصرفات الغريبة والتي شخّص منها الونشريسي الحالة التالية هناك من طلب بتكفينه بثوب غسل بماء زمزم، وهو ما رفضه الفقهاء وقالوا بوجوب غسله بالماء قبل تكفينه به[34]، وأوصى بعض الأموات إلى دفن

بعض الأشياء معهم ومنها عهد يكتب للموتى ويجعل بين أكتافهم وهو ما اعتبر محرما بإجماع من الفقهاء[35]، ومنهم من أوصى أن يدفن معه القرآن أو جزءا منه أو أحاديث نبوية، أو أدعية حسنة[36].

- **الصلاة على الميت**: ومن حقوق الأموات على الأحياء الصلاة عليهم، ومن دفن بدون صلاة فيصلى على قبره[37]، وصلاة الجنازة أربعة تكبيرات ترفع اليدين في الأولى، ولا حرج في رفعهما في كل التكبيرات ويقف الإمام وسط الرجل وعند كتفي المرأة ، وتنهى الصلاة بتسليمة واحدة خفيفة للإمام والمأموم[38]، وتكون الصلاة على الجنازة في أماكن متعددة مثل الصلاة المفروضة، لكن سكان بلاد المغرب اعتاد الصلاة على الموتى في المساجد التي تحتوي غالبا على قاعة مخصصة لصلاة الجنازة يفتح لها باب يسمى باب الجنائز وقد اعتبره الفقهاء بأنه ليس من المسجد[39]، ومن الذين صلوا عليهم بالمسجد محمد بن مرزوق (ت842هـ/1440م) وكان ذلك بمسجد تلمسان[40]، أو في المقابر وهي العادة الأكثر شيوعا ومن الذين كانت الصلاة عليهم في المقابر محمد بن النجار (ت846هـ/1443م) بتلمسان[41].

- **التشييع**: الجنازة تشد إليها أكبر عدد من المشيعين ولم تكن مقتصرة على أهل الميت بل شارك فيها حتى من لا علاقة له بالميت إلا بالسكن في نفس القرية وبل وحتى من الغرباء والأعداء والمنافسين واعتبر العامل المحرك في إتباع الجنائز هو الوازع الديني[42]، فلما توفي الشيخ الحسن أبركان في أواخر شوال سنة 857هـ/1453م كانت جنازته من "الأيام المعدودة والمحاضر المشهودة" وقد حضر جنازة هذا الشيخ الأمير التلمساني أبو العباس أحمد العاقل (834-866هـ/1431-1462م)وامتلأت الشوارع بالنساء والرجال، وتزاحم الناس على نعشه متبركين به وباكين على فقده[43]، أما جنازة المتصوف أبو عبد الله بن عيسى فقد شهدها كل من سمع بها ولم يتخلف عن حضورها أحد ومما وقع في هذه الجنازة أنه لما و ضع على شفير قبره تساقط الطير عليه و أكثره من الخطاف و لما أدخل في قبره منع الحافرون من أن يهيلوا عليه التراب إلا بعد مدة[44].

وكان أغلب الحاضرين إلى الجنائز يكونون راجلين، لكن هذا لا ينفي أن هناك من يأتي إلى الجنائز راكبا، ففي جنازة الفقيه أبو الحسن علي يخلف التنسي (ت 700ه/1301م) الذي دفن بقرية العباد حضر جنازته الأمير المريني أبو يعقوب يوسف (685-706هـ/1285-1307م) مع رجال دولته راكبين[45].

وقد خلف الموت أثار جانبية تظهر في العادات المتبعة في تشيع جنازة الميت حيث كانت مناسبة لعادات وأعراف ليست لها أي علاقة بوصايا الإسلام ، فكان الناس في طريقهم إلى المقبرة يقرؤون القرآن[46]، فقد ورد في مخطوط الجواهر للزياتي ما نقله عنه محمد مزين "إنسان يوصي عند موته بأن يعطي لمن يحضر جنازته من الطلبة كذا وكذا من الدراهم أو غيرها ليقرئوا عليه فيحضر الطلبة جنازته وفيهم من يحفظ القرآن كله، ومن يحفظ نصفه، ومن يحفظ ربعه، ومن يحفظ أحزابا كالخمسة والستة ، ومنهم الملتزم بالدين ومنهم المدمن لشرب الخمر"[47]، ومنهم من يهللون ويبشرون وينذرون بصوت واحد[48]، ومن الصيغ التي كانت متداولة في مثل هذه الأماكن ترديد عبارة "لا إله إلا الله محمد رسول الله"[49]، وأهل الميت من الرجال ينوحون ويصرخون، أما النساء فكن يحلقن شعورهن ويسلخن وجوههن بالإضافة إلى الصراخ والعويل، وكانت العادات في بعض القرى تحتم عليهن تلطيخ وجوههن بالروث والشد على رأسهن بحبل ، ومن العادات المنتشرة صراخ النساء وكفرهن بالله وإطلاق الزغاريد، كما انتشرت ظاهرة استئجار محترفات للبكاء على الميت، وقد لاقت هذه العادات استهجان من الفقهاء الذين انتقدوها وهناك من حرمها نهائيا[50].

4- المقابر وشكل القبور:

من حقوق الميت على الأحياء الدفن، ولذا دفن الأموات في الغالب، لكن الواقع شهد العكس في بعض الأحيان، فكل شخص يموت وهو مغضوب عليه فدفنه غير مؤكد أو يدفن في أجواء مهينة[51]، على غرار ما قام به المأمون الموحدي (624-629هـ/1227-1232م) لما صلب مجموعة من الشيوخ الموحدين وعلق رؤوسهم على أبواب مراكش[52]، كما قام صاحب تلمسان أبو عبد الله محمد المتوكل (866-873ه/1462-1468م) على شنق ستة من الأسرى وتعليق رؤوسهم على أبواب تلمسان[53].

وقد سعى المسلمون إلى توفير أماكن لدفن مواتهم تعرف بالمقابر حيث يعملون على تحبيس الأراضي لذلك الغرض، فقد قام أبو عبد الله محمد بن حسان التاونتي المعروف بابن الميلي (ت 590هـ/1194م) ،في بلدته تاونت بأحواز تلمسان بمنح كل الأراضي التي كانت ملك له لأهل قرية باستثناء " فدانا قريبا من حصن تاونت حبسه لدفن موتى المسلمين"[54]، كما ذكر الونشريسي في المعيار قضية تحبيس الأراضي على المقابر وهو دليل على انتشارها في كل بلاد المغرب[55]، ولم يكن التحبيس فقط هو وسيلة الحصول على أراضي للدفن بل وصل الحد حتى سلب أراضي وجعلها مقابر، وقد أكدت على ذلك نازلة مفادها تحبيس فدان على مدرسة فدفن الناس فيها موتاهم[56]، وهناك من دفن بالمسجد الذي كان يؤم فيه على غرار أبو عبد الله محمد بن أبي محمد عبد الله الصفار الذي دفن في مسجد باب القنطرة في قسنطينة[57].

كما اعتاد سكان المغرب الأوسط على دفن موتاهم في أماكن خاصة بالأسرة ، و كانت هناك محاولات جادة من أجل لم شمل جميع أفراد الأسرة الواحدة في مكان متجاور، وهو ما أدى إلى نقل الموتى من مكان الوفاة إلى مكان الدفن ولو كان بعيدا[58]، وتحولت هذه العادة إلى عرف وأصبح الأحياء يدافعون عنها و كأنها ملك خاص بهم وهو ما دفع بالفقهاء إلى السماح بذلك[59]، وهذه العادات أثارت بعض النزاعات بين أهل الزوجة و زوجها وأبنائها على المقبرة التي تدفن فيها [60]، في حين تخطى البعض هذه الأعراف وبحث عن بركة مكان الدفن وذلك بأن يوصي بمكان دفنه، فالمتصوف إبراهيم بن عيسى بن أبي داود الذي توفي سنة 650هـ/1253م أوصى بأن يدفن في المكان الذي يسمى بوروجون بضواحي تلمسان وهو مكان يدفن فيه الصالحون حبّسه أحدهم لذلك[61]، كما كان بجوار قبر أبو مدين شعيب بالعباد " قبور كثيرة متزاحمة لالتماس بركة الشيخ"[62]، وطلبا لبركة الدفن أيضا فقد أوصى السلطان الزياني يغمراسن بن زيان (633-681هـ/12351282م) أبنائه ومنهم السلطان أبو سعيد عثمان الأول (681-703هـ/1282-1303م) قبل وفاته قائلا "ليس لي إليكم حاجة ، إلا أن سيدي عبد الله بن مرزوق، إذا مات تدفنوه إلى جانبي ، لعل الله أن يرحمني بجواره"[63].

وقد تخصص أناس بحفر القبور مقابل أجرة يتقاضونها من أهل الميت ، وقد أوجب الإسلام دفن الموتى على جنبهم الأيمن وهم مستقبلي القبلة وهو ما جعل أرجلهم إلى الشمال والرأس إلى الجنوب ومن ثم فالقبر يكون ضيق أما الطول فعلى حسب طول الميت ، والعمق يكون على حسب تقدير الحفار ومدى صلابة الأرض[64]، ومن القبور المعروفة في العصر الوسيط القبور المسواة بالأرض ففي ضريح أبي مدين شعيب بقرية العباد يوجد قبر أبي موسى بن يلبخت الذي توفي (703هـ/1303م) فهو "لاطئ بالأرض وسط قبة بين قبري أبي شعيب وابنه الناسك الورع أبي محمد"[65]، ولم تكن كل القبور مسواة بالأرض وإنما هناك الكثير من القبور رفعت عنها وهذا العمل أثار حفيظة الفقهاء فقد أفتى القاضي عياض بهدم قبر رفع عن الأرض بعشرة أشبار[66]، وقد أجازوا ترك البعض من البناء بغرض تميز القبر فلا يدفن شخص آخر في

موضع القبر الأول لكن القباب والسقائف والروضات محرمة ومنهي عنها حتى و إن كانت من وصايا الميت فإنها لا تنفذ[67]، كما تسامحوا مع وضع الشواهد التي تعرف بصاحب القبر وتمنع من اختلاطه بغيره[68].

5- العلاقة بين الميت والأحياء:

استمرت العلاقة بين الأموات والأحياء فمن العادات التي انتشرت بعد الفراغ من الدفن حمل الناس التراب من القبر بغرض التبرك، وقد اختلف في ذلك فاعتبره بعض الفقهاء من الأمور الجائزة، مستدلين في ذلك على أن الناس كانوا يحملون تراب من قبر حمزة بن عبد المطلب فكيف لا ينهاهم عن ذلك علماء أهل المدينة، وأما من نهى عن ذلك فالعلة خشية أن يكون خالطه جزء من أجزاء الميت الذي اعتبر نجاسة[69].

كما كانت هناك علاقة خاصة و مستمرة بين الأحياء والأموات ، تجسدت في جعل قبره قبلة للزيارة من أهله وأصدقائه، وكانت الزيارة تتم خلال السبع أيام الأولى من الوفاة[70]، ثم بعد تلك الأيام تصبح أكثر تنظيما ويصبح لها أوقات محددة وخاصة يوم الجمعة[71]، وكانت النساء أهم زوار القبور والمعتادين عليها وكانت كثيرا ما تطلن الجلوس في المقابر ووصل الحد ببعضهن إلى نصب الخيام على القبور قصد التستر على المارة[72]، وصاحب زيارة القبور الكثير من التصرفات سنحاول حصر بعضها :ومنها البكاء العالي عند القبر فرادى وجماعات[73]، وهناك من كان يدعو عند قبور الموتى وخاصة منهم الزهاد، وقد روى لنا أبن قنفد القسنطيني زيارته إلى قبر أبو مدين شعيب سنة 776 هـ /1374م، وكانت سنة مجاعة عظيمة، ودعا عند قبره ورحل فتحول الحال "من انقلاب الشر خيرا ما كان يتعجب من شاهده"[74]، كما كان يصلى ويقرأ القرآن ويسبح ويهلل عند القبور[75]، وتحولت قبور الصالحين إلى مكان يقصده الناس للاستشفاء والتبرك[76].

ومن دلالات استمرارية العلاقة محاولة الأحياء إقامة بعض الطقوس الهدف منها تذكر الميت ، فيذكر الونشريسي في المعيار أنه كان يصنع طعام يقدم للقراء الذين يقرؤون على الميت بعد تمام يوم السابع من الوفاة وهو ما اعتبر بدعة مخالفة للسنة[77]، وهناك من كان يقرأ القرآن ويهدي ثوابه إلى الميت وهو ما نفاه الفقيه عز الدين بن عبد السلام والذي قال أن ثواب القراءة يكون للقارئ لا للميت مستدلا بآية القرآنية ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ (النجم: 39)[78]، في حين أبو عبد الله الحفار قال أن الثواب يصل إلى الميت إذا قرأ القارئ لنفسه ويهب الثواب الذي يجزيه الله به إلى الميت[79]، وكان انتشار ظاهرة إهداء قراءة القرآن في غالب الأحيان مرتبطا برؤى وأحلام[80]، وقد روى الونشريسي: "أن رجلا معروف بالخير والفضل ،فرأى في منامه كأنه في مقبرة .... وكان الناس قد نشروا من قبورهم وكأنه مشى خلفهم ليسألهم عن الذي أوجب نهوضهم إلى الجهة التي توجهوا إليها، فوجد رجلا على حفرته قد تخلف عن جماعتهم، فسأله عن القوم إلى أين يريدون فقال الرحمة جاءتهم يقتسمونها، فقال له فهلا مضيت معهم، فقال قنعت بما يأتيني من ولدي عن أن أقاسمهم فيما يأتيهم من المسلمين. فقلت له وما الذي يأتيك من ولدك؟ فقال يقرأ ﴿قُلْ هُوَ الله أَحَد﴾ (الإخلاص: 1) كل يوم عشر مرات ويهدي إلي ثوابها "ولما سمع ابن غلبون الفقيه بهذه الرؤيا أصبح يقرؤها على والديه كل يوم عشر مرات حتى مات أبو العباس الخياط فجعل يقرأ عنه هذه السورة كل ليلة عشرة مرات ويهدي إليه ثوابها مدة من الزمان حتى عرض له عارض حبس عنه ذلك ،فرأى أبا العباس في منامه وقال له "يا أبا الطيب لم قطعت عنا ذلك الشكر الخالص الذي كنت توجه به إلينا " فأفاق من منامه ولم يقطع عنه منذ ذلك اليوم قراءة السورة"[81]، ومن التصرفات التي ربطت الأحياء بالأموات إحياء ليلة الأربعين وهي بمناسبة مرور أربعين يوما عن وفاة الميت وما يصاحبها من عادات ومنها تلاوة القرآن وترديد لأدعية وأذكار وكذا إطعام الطعام وما يصاحبه من احتفالية الهدف منها المباهات والتفاخر، وهو ما

يظهر في ارتداء النساء المعزيات للجلباب الأبيض مع التفنن في اختيار نوعه ثوبا وخياطة، وعلى ذكر اللون الأبيض فإن المغاربة ألفوا في أفراحهم و أحزانهم لبس البياض على نحو مما التزمت به النساء اللائي كن في عدتهن، وقد قيل أن سبب لبس البياض في كونه مرتبط بلون الكفن وكأن هناك ترابط وجداني يُربط بلون اللباس ، لكن هناك من حاول أن يثبت أن الأمر لا يتعدى أن يكون أثرا أمويا الذي اتخذوا البياض شعارا لهم الذي يقابله السواد شعارا للعباسيين[82].

6- النظرة إلى مصير الأرواح:

ومن الأمور التي أثارت الكثير من الجدل مصير الأرواح والأجساد بعد الموت، فالونشريسي يرى أن أرواح المؤمنين بعد الموت ترتفع إلى عليين على شكل طيور بيضاء تبقى إلى يوم القيامة حيث تساق إلى الجنة، أما أرواح الكفار فتصير إلى أجواف طيور سود فتبعث إلى سجين وتحمل هذه الأرواح إلى جهنم يوم الحساب[83]، وكان الفقيه أحمد بن عيسى البجائي يصنف أربعة أرواح تكون في أربعة مراتب فأرواح السعداء تذهب إلى علين وأرواح الشهداء تطير في الجنة و تأوي إلى قناديل وأرواح العصاة والكفار مصيرها إلى سجين[84]، وكانت العامة تعتقد أن الأرواح تصير طيورا تبقى في القبر وقد تظهر بعض تصرفاتها وهي تعود إلى البيت في أيام السبع للمأتم وتشاهد ما يفعله الأحياء ثم تعود إلى القبر، وهي تعيش مع الأحياء ولا يمكنهم رؤيتها إلا في الأحلام[85]، فلاتفاق كان سائدا بين العلماء والعامة على أن الأرواح تتحول إلى طيور لكن الاختلاف بينهم كان حول مكان تواجدها فالعلماء يرون أنها تصير إلى الجنة أو النار أما العامة فيرون أنها تبقى في القبر.

7- طقوس منافية للشرع ارتبطت بالجنائز:

صاحبت الجنائز في بلاد المغرب العديد من الطقوس والعادات المنافية للشريعة الإسلامية، غير أن تجذرها في المجتمع كان سببا من أسباب استمراريتها، ومن أمثلة ذلك أن توقد المصابيح في بيت الميت سبعة أيام، وقد اعتبر الفقهاء هذا العمل بدعة منكرة وجب تغيرها والنهي عنها[86]، كما انتشرت بدعة في نظر الفقهاء تمثلت في قراءة سورة يس جماعة عند تغسيل الميت، وقد رفضت على اعتبار أن ما جاء في قراءة يس عند الاحتضار ولم ترد في غيرها[87]، كما انتشرت عادة تصبيح القبر سبعة أيام بعد الدفن، وهو ما كان يعرف بالمأثم وهو في نظر الفقهاء بدعة منكرة[88]، و كان من عادة بعض المغاربة المبيت في المقابر في الأيام الأولى من الجنازة، وهو ما اعتبره الفقهاء من البدع الواجب الكف عنها[89].

خاتمة:

من خلال رصدنا للمادة الخبرية المتعلقة بالنظرة إلى الموت خلصنا إلى عدة نتائج نذكر منها:

- الانتشار الواسع لظاهرة التنبؤ بالموت والذي أخذ عدة أشكال سواء من خلال الرؤى التي ترى في المنام، أو من خلال التسريح بها دون أن يربط ذلك برؤيا أو حادثة وإنما يكون التنبؤ تلقائيا وقد كانت هذه الميزة خاصة بالمتصوفة، كما أن التنبؤ بالموت لم يخص الشخص وحده بل تعداه إلى التنبؤ لغيره بالموت.
- ما يمكن الخلوص إليه أيضا من هذا العرض أن الميت قد نال مكانة مميزة مراعاة لمكانة الإنسان حيا أو ميتا، وهو ما دفع أهل الميت إلى إتباع السنة في التغسيل التكفين و التشيع الجنازة غير أن ذلك لم يكن في كل الجنائز، فهناك من حاول ابتداع بدعا سواء في التكفين أو في الدفن فسعى البعض إلى تكفين موتها بالحرير والبعض الآخر بثوب غسل بماء زمزم وهو ما أثار حفيظة الفقهاء واعتبروا ذلك من البدع المحرمة، وفي التشيع سعى البعض أن يدفن مع الميت القرآن الكريم أو صحيح البخاري وغيرها من الكتب المقدسة لدى المسلمين وهو ما رفضه الفقهاء أيضا.

- رغم أن المكون الإباضي يعتبر جزء من المغرب الأوسط إلا أن المصادر الإباضية لم تتناول هذه الأمور، كما أن الدراسات التي تدرس هذا وجدت نفسها عاجزة أمام هذا الموضوع، بسب سكوت المصادر من جهة والانغلاق الذي يعرف عن المجتمع الإباضي من جهة ثانية، وكذا الفترة المدروسة كانت نهاية العصر الوسيط والذي يقل فيه الحديث عن المجتمع الإباضي.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن صعد التلمساني (ت901هـ 1496)، مروضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، مراجعة وتح: يحي بوعزيز، منشورات ANEP، الجزائر، ط1، 2004.
- محي الدين ابن عربي (ت 638ه/1240م)، الفتوحات المكية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985.
- ابن قنفد القسنطيني (ت810ه/1407م)، أنس الفقير وعز الحقير في التعريف بالشيخ أبي مدين وأصحابه رضي الله عنهم، تح أبي سهيل نجاح عوض صيام تقديم علي جمعة، دار المقطم للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2002.
- محمد ابن مرزوق (ت781ه/1371م)، المناقب المرزوقية، دراسة وتح: سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، ط1، 2008.
- محمد ابن منظور (ت711ه/1311م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1990.
- ابن أبي زيد القيرواني (ت386ه/996م)، الرسالة، نشر مع الترجمة الفرنسي ليون بـارشي، المكتبة العربية الفرنسية، مكتبة الشعب العسكرية، الجزائر، ط5، 1968.
- عبد الحق البادسي (ت722ه/ 1322م) المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تح سعيد أعراب، المطبعة الملكية الرباط، ط2، 1993.
- ابن الزيات التادلي (ت627هـ/1230م)، التشوف إلى رجال التصوف، تح علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، ط1، 2006.
- عبد الباسط خليل (ت قبل 920ه/1514)، الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، نشره روبار برنشفيك، مكتبة لاروز، باريس، 1936.
- الطرطوشي، (530ه/1135م)، كتاب الحوادث والبدع، ضبط وتع علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1 1990.
- ابن عذارى المراكشي (كان حيا 712ه-1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)، تح: محمد بن تاويت آخرون، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985.
- القاضي عياض (ت544ه/1149م)، مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، تح محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990.
- مجد الدين الفيروزبادي (ت817ه/1414م، القاموس المحيط، دار الجيل بيروت، ط1، 1995.
- أبو الحسن علي القلصادي (ت891هـ/ 1487)، متمهيد الطالب ومنتهى الراغب المعروف بالرحلة، تح محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية، تونس، 1978.
- أحمد المقري (ت1041ه/1631م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب تح احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968.
- أحمد المقري (ت1041ه/1631م)، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تح: سعيد أعراب، محمد بن تاويت، عبد السلام هراسمطبعة فضالة، المحمدية، 1978.
- أبو العباس الونشريسي (ت914هـ/1509م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل الأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1981.
- عباس الجراري، الحضور الديني في العادات والتقاليد المغربية، مقال في كتاب العادات والتقاليد في المجتمع المغربي مقال في العادات والتقاليد في المجتمع المغربي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2008.
- محمد حقي، الموقف من الموت في المغرب والأندلس في العصر الوسيط، مطبعة مانبال بني ملال، المملكة المغربية، 2007.

- محمد أحمد حلمي، الموت الشرعي والطبي والأحكام الفقهية المترتبة عليها، مقال في حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، المجلد الأول من العدد الحادي والثلاثون
- محمد مزين، الموت في مغرب القرن العاشر، من خلال كتاب الجواهر للزياتي، تاريخ وأدب النوازل دراسات تاريخية مهداة للفقيد محمد زنيبر، انجاز الجمعية المغربية للبحث التاريخي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط جامعة محمد الخامس، مطبعة فضالة المحمدية، ط 1، 1995.
- طراورية عمر، تجربة الموت في الفكر الصوفي... تمثلا وصياغة، مقال في مجلة لوغوس، مخبر الفينومينولوجيا وتطبيقاها، العدد 7-8، جامعة أبوبكر بلقايد تلمسان.

الهوامش:

[1]- محمد ابن منظور (ت711ه/1311م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1990، ج2، ص 90، مجد الدين الفيروزبادي (ت817ه/1414م)، القاموس المحيط، دار الجيل بيروت، ط1، 1995، ج1، ص 164.

[2]- محي الدين ابن عربي ت 638ه/1240م الفتوحات المكية، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1985، ج2، ص 618.

[3]- طراورية عمر، تجربة الموت في الفكر الصوفي... تمثلا وصياغة، مقال في مجلة لوغوس، مخبر الفينومينولوجيا وتطبيقاها، العدد 7-8، جامعة أبوبكر بلقايد تلمسان، ص58.

[4]- محمد أحمد حلمي، الموت الشرعي والطبي والأحكام الفقهية المترتبة عليها، مقال في حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، المجلد الأول من العدد الحادي والثلاثون، ص564.

[5]- محمد حقي، الموقف من الموت في المغرب والأندلس في العصر الوسيط، مطبعة مانبال بني ملال، المملكة المغربية، 2007، ص12.

[6]- محمد مزين، الموت في مغرب القرن العاشر، من خلال كتاب الجواهر للزياتي، تاريخ وأدب النوازل دراسات تاريخية مهداة للفقيد محمد زنيبر، انجاز الجمعية المغربية للبحث التاريخي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط جامعة محمد الخامس، مطبعة فضالة المحمدية، ط 5، 1199، ص 106.

[7]- محمد حقي، الموقف من الموت (م، س)، ص 17.

[8]- ابن الزيات التادلي (ت 627هـ/ 1230م)، التشوف إلى رجال التصوف، تح علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، ط1 2006، ص 357.

[9]- ابن قنفد القسنطيني (ت 810ه/1407م)، أنس الفقير وعز الحقير في التعريف بالشيخ أبي مدين وأصحابه رضي الله عنهم، تح أبي سهيل نجاح عوض صيام تقديم علي جمعة، دار المقطم للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2002، ص 83.

[10]- ابن قنفد القسنطيني، أنس الفقير (م، ن)، ص47.

[11]- محمد ابن مرزوق ت 781ه/1371م، المناقب المرزوقية، دراسة وتح سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، ط1، 2008، ص158.

[12]- عبد الحق البادسي ت722ه/ 1322م المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تح سعيد أعراب، المطبعة الملكية الرباط، ط2، 1993، ص 127.

[13]- التادلي، التشوف إلى رجال التصوف (م، س) ص 360، محمد حقي، الموقف من الموت (م، س)، ص 20.

[14]- ابن قنفد، أنس الفقير (م،س)، ص 78-79

[15]- ابن مرزوق، المناقب المرزوقية (م، س)، ص 165.

[16]- محمد حقي، الموقف من الموت (م، س)، ص 20.

[17]- ابن مرزوق، المناقب المرزوقية (م، س)، ص166

[18]- محمد حقي، الموقف من الموت (م، س)، ص 24.

[19]- محمد مزين، الموت في مغرب القرن العاشر (م، س)، ص ص 106-107.

[20]- أحمد المقري (ت1041ه/1631م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب تح احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ج6، ص50.

[21]- ابن قنفد، أنس الفقير (م، س)، ص 87.
[22]- أبو العباس الونشريسي (ت 914هـ/1509م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل الأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1981، ج9، ص394.
[23]- الونشريسي، المعيار (م، ن) ج1، ص 319.
[24]- الونشريسي المعيار (م، ن)، ج1، ص 337.
[25]- ابن أبي زيد القيرواني (ت386ه/996م)، الرسالة، نشر مع الترجمة الفرنسي ليون بـارشي، المكتبة العربية الفرنسية، مكتبة الشعب العسكرية، الجزائر، ط5، 1968، ص 104.
[26]- الونشريسي المعيار (م، س)، ج7، ص 150، محمد حقي، الموقف من الموت (م، س)، ص 53.
[27]- محمد حقي، الموقف من الموت (م، ن)، ص 56.
[28]- ابن أبي زيد القيرواني، الرسالة (م، س)، ص 106.
[29]- ابن الزيات، التشوف لرجال التصوف (م، س)، ص168، محمد حقي، الموقف من الموت (م، س)، ص 60.
[30]- أبن أبي زيد القيرواني، الرسالة (م، س)، ص 106
[31]- ابن قنفد، أنس الفقير (م، س)، ص 87.
[32]- الونشريسي، المعيار (م، س)، ج1، ص345.
[33]- الزيات، التشوف إلى رجال التصوف (م، س) ص 318، محمد حقي، الموقف من الموت (م، س)، ص 60.
[34]- الونشريسي، المعيار (م، س) ج1، ص9.
[35]- محمد مزين، الموت في مغرب القرن العاشر (م، س)، ص 109
[36]- الونشريسي، المعيار (م، س)، ج9، ص 394
[37]- ابن أبي زيد القيرواني، الرسالة (م، س)، ص 112.
[38]- ابن أبي زيد القيرواني الرسالة (م، ن)، ص 108
[39]- الونشريسي، المعيار (م، س)، ج1، ص 17.
[40]- أبو الحسن علي القلصادي (ت 891هـ/ 1487م)، تمهيد الطالب ومنتهى الراغب المعروف بالرحلة، تح: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية، تونس، 1978، ص 97.
[41]- القلصادي تمهيد الطالب (م، ن)، ص 102
[42]- محمد حقي، الموقف من الموت (م، س)، ص 71.
[43]- ابن صعد التلمساني (ت 901هـ 1496م)، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، مراجعة و تح يحي بوعزيز، منشورات ANEP، الجزائر، ط1، 2004، ص 142
[44]- ابن مرزوق، المناقب المرزوقية (م، س)، ص177.
[45]- أحمد المقري (ت1041ه/1631م)، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تح سعيد أعراب، محمد بن تاويت، عبد السلام هراس مطبعة فضالة، المحمدية، 1978، ج5، ص 13
[46]- الونشريسي، المعيار (م، س)، ج1، ص 336.
[47]- محمد مزين، الموت في مغرب القرن العاشر (م، س)، ص 111.
[48]- الونشريسي المعيار (م، س)، ج1، ص 313
[49]- عباس الجراري، الحضور الديني في العادات والتقاليد المغربية، مقال في كتاب العادات والتقاليد في المجتمع المغربي مقال في العادات والتقاليد في المجتمع المغربي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2008، ص 56.
[50]- محمد مزين، الموت في مغرب القرن العاشر (م، س)، ص 110.
[51]- محمد حقي، الموقف من الموت (م، س)، ص 81.
[52]- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين) تح: محمد بن تاويت آخرون، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985، ص290.

[53]- عبد الباسط خليل، الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، نشره روبار برنشفيك، مكتبة لاروز، باريس، 1936. ص 43.
[54]- التادلي، التشوف (م، س)، ص 303.
[55]- الونشريسي، المعيار (م، س)، ج7، ص150.
[56]- الونشريسي، المعيار (م، ن)، ج7، ص 334.
[57]- ابن قنفد، أنس الفقير (م، س)، ص 57
[58]- محمد حقي، الموقف من الموت (م، س)، ص 111.
[59]- الونشريسي، المعيار (م، س) ج7، ص 35-36-984
[60]- الونشريسي المعيار (م، س)، ج1، ص319.
[61]- البادسي، صلحاء الريف (م، س)، ص 62
[62]- ابن قنفد، أنس الفقير (م، س)، ص 151
[63]- ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، (م، س) ص 167.
[64]- محمد حقي، الموقف من الموت (م، س)، ص 114
[65]- محمد حقي، الموقف من الموت (م، ن) ص 117.
[66]- القاضي عياض (ت544ه/1149م)، مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، تح محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990، ص 300-301.
[67]- الونشريسي، المعيار (م، س)، ج1، ص 318، ج9، ص 395، ج11، ص 152.
[68]- القاضي عياض، مذاهب الأحكام (م، س)، ص 303.
[69]- الونشريسي، المعيار (م، س)، ج1، ص330.
[70]- الونشريسي، المعيار (م، ن)، ج1، ص319.
[71]- الونشريسي، المعيار (م، ن)، ج6، ص 419.
[72]- محمد حقي، الموقف من الموت (م، س)، ص 93.
[73]- الونشريسي، المعيار (م، س)، ج6، 420.
[74]- ابن قنفد،أنس الفقير(م، س)، ص 150
[75]- ابن قنفد، أنس الفقير (م، ن)، ص 150، الونشريسي، المعيار، (م، س)، ج1، ص321-322.
[76]- ابن مرزوق، المناقب المرزوقية (م، س)، ص176، ص 187.
[77]- الونشريسي، المعيار (م،س)، ج1، ص313-317.
[78]- الونشريسي، المعيار (م،س)، ج1، ص 323.
[79]- الونشريسي، المعيار (م،ن)، ج1، ص 331.
[80]- الونشريسي، المعيار (م،ن)، ج1، ص 323.
[81]- الونشريسي، المعيار (م، س)، ج1، ص332-333.
[82]- عباس الجراري، الحضور الديني (م، س)، ص 56.
[83]- الونشريسي، المعيار (م، س)، ج1، ص 324-325.
[84]- الونشريسي، المعيار (م، ن)، ج1، ص 125.
[85]- التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، (م، س)، ص167، محمد حقي، الموقف من الموت، (م، س)، ص 103.
[86]- الونشريسي، المعيار (م، س)، ج1، ص323.
[87]- الونشريسي، المعيار (م، ن)، ج1، 328.
[88]- الونشريسي، المعيار (م، ن)، ج1، 328.
[89]- الطرطوشي، (530ه/1135م)، كتاب الحوادث والبدع، ضبط وتع علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1990، ص175.

مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 991 – 1004
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

مدينة بلزمة: دراسة في دور الحاضرة في العصر الوسيط

Belezma, A study on the role of the city in the The Middle Age

د/ طويل الطاهر
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة باتنة 1
مخبر الجزائر دراسات في الثقافة والتاريخ والمجتمع
tahar.touil2@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2021/01/09 تاريخ القبول: 2021/04/26

الملخص:
إن جغرافية العالم الإسلامي كما تتجلى لدى الجغرافيين وكتب الرحالة يمكن استنباطها والوقوف على تفاصيلها من خلال جغرافية المدن لأن ما يتوفر فيها من مادة ومعطيات ميدانية موثقة يقرب المواقع من القارئ ويمكنه من تمثلها والوقوف على خصائصها. وجغرافية المدن تعتبر بابا أساسيا في الجغرافية الوصفية العربية لأنها تمكن الجغرافية من عرض الأقاليم والتعريف بها من خلال مدنها وحواضرها. لذلك فإن التعريف بالكل يتم عبر الأقاليم والمجالات المتفرقة في إطار نظام عالم الخلافة الإسلامية.
مدينة بلزمة تعتبر أحد الحواضر الطرفية التي استوطنتها قبيلة بني تميم ومن بعدهم قبيلة مزاتة عهد الدولة الأغلبية، وكان لسقوطها سببا مباشرا لانهيار الدولة الأغلبية وقيام الخلافة الفاطمية. فهذه المنطقة لا زالت تحتفظ بأهميتها طيلة العصر الوسيط رغم إحجام المصادر التاريخية عنها، والتي تحتاج إلى المزيد من البحث والدراسة.
الكلمات المفتاحية: جغرافية المدن؛ العمران؛ بلزمة؛ المغرب الأوسط.

Abstract:
Town's geography is a main entry to the Arab descéptive geography because it enables geography to show areas and make them known through their towns. Knowing the who legoes first thorught its different parts, the nits related part. The Islamic word geography, which is obvious with the routs geographers, maybe deduced and its defails maybe know through towns geography because of its maerial and documented field facts that get the reader closer to the sites, imagine them and know about their characteristics.
Key words : Geography of cities; Urbanization; Belezma; Middle Age.

مقدّمة:

على الرغم من الاهتمام الكبير الذي حظيت به المدن والحواضر ببلاد المغرب في العصر الوسيط من طرف الجغرافيين والرحالة وتوفر كم هائل من النصوص التاريخية المتعلقة بروايات تأسيس المدن بعد الفتوحات الإسلامية[1]، تبقى بعض الحواضر الهامشية والطرفية البعيدة عن المركز أقل حضورا في هذه المتون التراثية.

فقد أولى الجغرافيون المدن أهمية كبرى لأنها تستقطب كل الأنشطة الحيوية وتساهم في تقدير أهمية البلدان وتعميرها. ولم ينظر الجغرافيون إلى المدن في ذاتها بل بصفتها مراكز عمرانية تحيط بها عديد القرى والبوادي، فالمدن عند المقدسي كالجند والقرى كالرجالة وهي تستقطب السكان لكثرة خيراتها وتوفر

أسباب العيش فيها[2]. وقد كان الجغرافيون على وعي تام بأن المدن ليست بنفس الدرجة من الأهمية سواء من حيث الموقع والمساحة، أو من ناحية القيمة العمرانية والسياسية والاقتصادية والتاريخية والثقافية والدينية فميزوا بين مختلف المدن[3]. غير أن الإشكالية التي نجدها في التأريخ لبعض المدن والحواضر هي مسألة تحديد البدايات الأولى لنشأتها، يضاف إلى ذلك قلة المصادر خاصة التاريخية والجغرافية والأدبية، التي تؤرخ لها أو انعدامها في الكثير من الحالات.

أما **منهجيا** فقد اعتادت الدراسات التاريخية التعامل مع هذا الموضوع برؤية وبمنهج تجزيئي، وإغفال عنصر الاستمرارية أو المسار التاريخي والحضاري، وهكذا تناولت الدراسات تاريخ المدينة وأصلها على شكل نماذج، فهي تناولت مدينة قرطاجة كنموذج للمدينة الفينيقية البونيقية، وتناولت مدينة وليلي بالمغرب، وتيمقاد بالجزائر كنموذج للمدينة الرومانية، وتناولت مدينة القيروان وفاس وغيرها كنموذج للمدينة الإسلامية. لكن يبقى السؤال المطروح وهو: هل يعني ذلك أن المدينة والمدنية تشمل عنصر القطيعة إلى هذا الحد؟ أليس هناك ميراث حضاري مديني مستمر على مستوى المعمار وتخطيط المدينة وتطورها[4].

لقد اعتقد سابقا أن ظاهرة التمدن بشمال إفريقيا قد نشأت كثمرة لسياسة روما التمدينية، وأن مدنها قد ازدهرت ازدهار الحضارة الرومانية بالمنطقة[5]، غير أنه إذا ما استثنينا بعض المراكز الحضرية التي نشأت في البداية كمعسكرات رومانية أو بهدف دفاعي كتيمقاد مثلا، فإنه على عكس الفرضيات السابقة، لم تقم روما بتشييد المدن وتأسيسها شمال إفريقيا، بل أن المدن الإفريقية وبحكم الاستيطان الروماني بها تبنت طابع العمارة والفن المعماري الروماني[6].

بلزمة من المدن الرومانية القديمة التي استمر دورها في العصور التالية للمرحلة الرومانية، فمن الواضح أنه لم يتم تدمير معظم المدن البيزنطية أو التخلي عنها في أعقاب الفتوحات الإسلامية. وبدلا من ذلك، أصبحت العديد من هذه المدن مراكز هامة في القرون الوسطى، ولفترة طويلة من الزمن ظلت تلعب أدوارا مختلفة على مختلف الأصعدة[7]. ولعل مدينة بلزمة أحد هذه الحواضر التي وإن أحجمت المصادر التاريخية عن ذكرها، إلا أنه لا ينكر دورها خاصة في أحداث القرن 03هـ/ 09م في منطقة إفريقية والمغرب الأوسط.

أما بالنسبة لموقع المدينة فإنه يدرج ضمن سلسلة الحصون الممتدة على الحواف الغربية لجبل الأوراس على الطريق الرومانية للمحور الذي يمر على مدينة بلزمة، ويربط بين قرطاج، تبسة، ماسكولة، لمباز، بلزمة، زراي[8]، وهي في مجملها حصون استخدمت كوسيلة للسيطرة والتحكم والتوسع غربا وجنوبا للإحاطة بكتلة جبل الأوراس، فقد مدت طريق قرطاج تيلبت (thélepte قرب فريانة بتونس)، نحو تبسة، وتم ربط هذه الأخيرة بالمدينة الساحلية هيبون (عنابة) عبر المادور (مداوروش) وتاقست (سوق اهراس). ومن تبسة أيضا ستمد الطريق غربا عبر خط يمر بيوكس(aquaecaesaris) وعين زوي (vazaivi) وماسكولة (خنشلة)، إلى تازولت ومنه إلى مروانة (lamasba) وزراي (zarai)، ومنها إلى مركز الليمس الموريطاني.

مدينة بلزمة[9]:

1- إرث الزراعة ونظم الري بشمال إفريقيا: تاريخيا لا نعرف تاريخا محددا لتأسيس مدينة بلزمة. فالقيام بمهمة تحديد البدايات الأولى لنشأة المدينة بشمال إفريقيا أمر صعب للغاية خاصة إذا ما تناولناها من وجهة نظر النصوص التاريخية الأدبية. ومن المعروف أن هاته الصعوبة لا تقتصر فقط على المدن السحيقة في القدم التي تعود نشأتها إلى قرون عديدة قبل الميلاد، ولكن الصعوبة تشمل أيضا بعض المدن الإسلامية

التأسيس والنشأة مثلما هو الشأن بالنسبة لفاس بالمغرب الأقصى، وأيضا بالنسبة للمدن القديمة التي استمرت كحواضر مهمة بعد الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا، وهي كثيرة[10]. أما بالنسبة لمدينة بلزمة فتجمع المصادر التاريخية والنصوص الجغرافية أنها كانت ذات أهمية كبيرة في العهد الروماني أو مركزا تجاريا حيث تنتج المنطقة موادا مختلفة وغنية بسهل بلزمة ومنطقة الحضنة، ومنها تخرج الطرق إلى معظم المدن القريبة منها مثل سطيف، وزراية، وعين قيقبة. ولها طريق أخرى نحو قسنطينة عبر زانة (ديانة) وجنوبا إلى طبنة ونقاوس[11]. وقد أهلها موقعها الجغرافي والسهل الذي كانت تتمتع به لتحظى بتلك الأهمية.

فقد كانت منطقة بلزمة موضوع الكثير من الأبحاث الأثرية؛ ففي أوائل 1877 سافر ماسكراي (masqueray) إلى سهل بلزمة، شمال غرب باتنة، واكتشف على أنقاض المدينة الرومانية القديمة لماصبا (lamasba مروانة حاليا) ما تبقى من نقش طويل يتعلق بتسوية الري بالمنطقة (عثر على قطعتين حجريتين من النقيشة)، ثم وجدت ديساو(dessau) قرب نفس المكان آثار ديباجة يربط بين القطعتين الأثريتين[12].

اكتشاف ماسكراي عام 1877 للوحتين الحجريتين بمروانة أدرجت في مجال دقيق يخص نظام الري، وهي الوحيدة في شمال إفريقيا التي تتضمن تفاصيل وافية للطريقة الهيكلية والوظيفية لأهم أنماط الإنتاج في المجال الزراعي المتعلقة بأنظمة الري التي كانت منتشرة في المغرب القديم[13]، وكانت تتضمن النقيشة الطريقة التي توزع بها المياه بسهل بلزمة، مع جدول النطاق لكل مستفيد، ونصابه من المياه ووقت السقي حسب التاريخ والوقت من اليوم أو الليل، والمدة الزمانية من ساعة البداية إلى النهاية[14].

أما عن كيفية التوزيع فتتم انطلاقا من وادي مروانة، فبعد امتلاء قناة الري توزع حسب القائمة الاسمية للمستفيدين من نظام السقي والتي تكون موزعة حسب حجم العقارات التي يمتلكها المزارعون وتكون مقسمة بجوار بعضها البعض في شكل حدائق ومجموعات منفصلة تربط بينها قنوات المياه. وتكون هذه القنوات موزعة حسب طبوغرافية المنطقة المنخفضة والمرتفعة[15].

وتكشف لنا نقيشة مروانة مراسيم مكتوبة لتنظيم عام لمشاريع الري المكتوبة وبالتفصيل، وهي وسيلة لتنظيم توزيع مياه الري في الأراضي المجاورة لمدينة لماصبا، ولا يستبعد أن تكون هذه النقيشة نتيجة لضبط أعراف قديمة كانت تحكم توزيع المياه بالمنطقة، ثم نظمت بطريقة قانونية، وأسفرت عن تكوين نقيشة الري المكتوبة التي عثر عليها... كما تبين النقيشة جانبا آخر من خطورة الصراع على الماء، وذلك باللجوء إلى لجنة خاصة بالتحكيم لوضع مقياس واحد وموحد لجميع المستفيدين، ذلك أن معظم التنظيمات الأخرى كانت منتشرة وسائدة دون تسجيل الترتيبات التفصيلية لتوزيع المياه على العامة. لذلك تبقى فرضية أن تكون هذه الوثيقة عبارة عن تسجيل لتنظيم نمط إنتاج قديم كان موجودا فعلا[16].

2- بلزمة واستقرار بنو تميم بعد الفتح الإسلامي: استمرت بلزمة في العهد الإسلامي محافظة على دورها الدفاعي أيضا، كحصن يقع على الطريق الرابط ما بين القيروان إلى الزاب مرورا على محور باغاية- طبنة. لمراقبة القبائل البربرية لمنطقة غرب الأوراس، ورغم أهميته فإن المصادر التاريخية لا تشير إليه في أثناء حملات القادة الفاتحين لبلاد المغرب. إذ من المرجح أنه استخدم كملجأ للروم الفارين من حملاتهم الناجحة بالمنطقة (خاصة حملات عقبة بن نافع الذي عرف عنه الاستخدام المفرط في القوة العسكرية في توسعاته). ولا يرد ذكر للمدينة إلى غاية ظهور الدولة الأغلبية، التي كان يشغلها تأمين حدودها الغربية. إذ ستكون هذه المدينة أحد أهم نقاط الدفاع عن الحدود الغربية للدولة الأغلبية.

ومثل باقي مدن وحواضر المناطق الطرفية الهامشية، تنعدم النصوص المكتوبة الخاصة بأوضاع المدينة باستثناء ما ذكر حول الحامية التي تسكنها؛ فقد سكنها الجند المسلمون من قبيلة بني تميم، ومواليهم،

والذين ذكرهم اليعقوبي الذي أغفل وصف المدينة لكنه أشار إلى سكانها عند ذكره لمدن الزاب "ومدينة يقال لها بلزمة أهلها قوم من بني تميم"[17]، وموالي لبني تميم وقد خالفوا على ابن الأغلب في هذا الوقت"[18].

أما البكري فقد أشار إلى أن المدينة هذه عبارة عن حصن ويحيط به مجموعة من القرى "بلزمة لمزاتة[19]، حصن أولي وهو في بساط من الأرض، كثير المزارع والقرى، وفي قراه حصون كثيرة"[20]. تبعد المدينة عن بجاية بمرحلتان[21] وبعض. وعن قسنطينة تبعد مسافة يومان، ولها مجموعة طرق تربطها بمدن نقاوس في الاتجاه نحو مدينة طبنة، وعبر باغاي إلى القيروان، وعبر سطيف إلى مدينة بجاية[22].

فالحصون البيزنطية قد رممت واستخدمت من جديد، وواصلت القيام بدور الدفاع عن الإمارة الأغلبية[23]. وبالنسبة لحصن بلزمة فقد وصفه الإدريسي أنه "حصن لطيف وفي أهله عزة ومنعة ولها ربض وسوق وبها آبار طيبة وماؤها أيضا غدق، وهو في وسط فحص أفيح وبناؤه بالحجارة الكبار القديمة. ويذكر أهل تلك الناحية أنه من أيام السيد المسيح. والمدينة في ذاتها مردومة بالتراب والأحجار، فإذا نظر الناظر إلى السور من خارج رأى سورا كاملا وإذا دخل المدينة لم يجد لها سورا لأن أرض الحصن مساو للشرفات...وهذا غريب في البناء"[24]. وهذا ما يعني أن بناء المدينة يعود للعهد السابق للفترة الرومانية حسب هذا الوصف.

فهذه المنطقة لا زالت تحتفظ بالآثار والنتائج التي ترتبت عن معارك حروب الفتح الإسلامي، وغيرت من طبيعة المنطقة كليا؛ إذ توافدت مجموعة من القبائل التي أصبحت حاميات بتلك الحواضر، فاختارت نفزة الاستقرار بحصن بلزمة إضافة الى حي بني مالك من بني تميم. فيما استقرت قبيلة ورفجومة بطبنة، لكنهم انتفضوا بعد موت عمر بن حفص على يزيد بن حاتم عند قدومه على إفريقية سنة 157هـ/ 773م"وسرح إليهم يزيد العساكر مع ابنه وقومه فاثخنوا فيهم، ثم انتفضت قبيلة نفزاوة على أبيه ودعوا إلى دين الإباضية، وولوا عليهم صالح بن نصر منهم. فرجعت العساكر إليهم متراسلة وقتلوهم ابرح قتل"[25].

لم تصمد هذه الثورات طويلا وقمعت في الأخير عام 164هـ/ 741م. وتؤكد هذه الرواية على الخيط الرفيع الذي كان يفصل هذه القبائل التي كانت على مذهب الخوارج الصفرية، وتحولها إلى المذهب الإباضي رغم ما كان بينها من صراعات وانقسامات. كما أن طبيعة هذه الانتماءات هي التي ستتحكم في طبيعة العلاقة بين هذه المجالات مع القيروان.

3- دور المنطقة بعد القرن الثاني الهجري: بعد انتهاء عمليات الفتح الإسلامية واستقرار الحاميات العربية في الكثير من الحواضر وامتلاكها للأرض، سرعان ما تحولت هذه الحاميات إلى أقليات حاكمة احتكرت السلطة والمُلك، ولم تجد القبائل البربرية أمام التحولات الجديدة في السلطة غير سبيل الاحتجاج والثورة على الأوضاع التي رسمها الأسياد الجدد.

وأمام تزايد نشاط حركات الدعوة المذهبية فقد ارتبطت الإباضية بالأوراس بالقبائل التي كانت تريد المشاركة في الملك ولو أن هذه القبائل الطرفية أو الحدودية قد تمتعت بنوع من الاستقلال الداخلي في مجالاتها المتعلقة بجغرافية الجبل. إلا أن مبادئ الإباضية المتوافقة مع الجماعة لا مع الأمة قد رأت فيها فرصة للمشاركة في الكثير من الأحداث السياسية والثورات. وكانت هذه الثورات قد تركت آثار سلبية على المجتمع وعلى الاقتصاد، فقد استنزفت جهود الولاة ومواردهم المالية بإنفاقهم أ الكثير على إعداد الجيوش ومضاعفة العطاء لمواجهة هذه الثورات[26]، كما أسفرت هذه الاضطرابات نتائج سلبية على الحواضر والمدن أدت في بعض الأحيان إلى هدم العمائر والأسوار مما حتم الولاة عناء ترميمها أو إعادة بنائها.

وقد توسع المجال الإباضي في الأوراس، واستمر حتى زحفة بني هلال، وقد انتشرت فيه الصفرية أولا ثم تحول أهلها إلى الإباضية في عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم[27]، مع الإشارة إلى وجود بطون من قبيلة نفزاوة بمدينة بلزمة قبل هذا التاريخ. وكان شرق الأوراس الذي سيكون منطلق ثورة أبي يزيد مخلد كيداد، بعد أن لجأ إليه، سيشهد أيضا وقعة باغاية سنة358هـ/ 968م، وستكون أيضا محطة لانتهاء "إمامة الدفاع" التي كانت لأبي خزر يعلى بن زلتان[28]، والذي رافق المعز في رحلته إلى مصر حيث استقر هناك[29].

وفي هذا المجال يشير البكري إلى حصن باغاية الذي كانت تقطنها العديد من القبائل الاباضية "ويسكن في حصن هذه المدينة قبائل مزاتة وضريسة، وكلهم إباضية، وهم يظعنون في زمن الشتاء..."[30]. وقد ازدهرت هذه المذاهب التي كانت تتوسع بين القبائل البربرية بجوار الإمارة الأغلبية التي كانت تختلف مذهبيا وتسعى إلى تثبيت سلطتها على الكثير من المجالات بالأوراس التي جعلتها مجالا حدوديا بتحصين الكثير من حصونه ومدنه وكانت بلزمة أحد أهم هذه الحصون.

4- مجزرة بلزمة تعجل بسقوط دولة الأغالبة: سمح موقع مدينة بلزمة الذي كان يشرف على إقليم كتامة بجانب ميلة وسطيف جعلها مثل باقي الحصون القريبة منها محل مراقبة شديدة من طرف الأغالبة الذين يخشون من انفصالها، فقد كانت الحصون التي استغلها الأغالبة في منطقة الزاب قد أوكلت لها مهمة رقابة جبال أوراس، وهي الحصون التي حرست وحاصرت منذ العصور القديمة المنافذ بنجاح متفاوت، أي بالخصوص، حصون باغاية وبلزمة وطبنة وتهودة، وهي التي كانت تشكل الحزام الواقي للولاية، ولم ترضخ في النهاية إلا لسيوف العلويين[31].

وإذا كانت طبنة عاصمة الزاب قد تمتعت بعلاقة وطيدة بالقيروان، فإن بلزمة كان لها نوع من الاستقلال عن المركز، وهذا ما يمكن استنتاجه من خلال محاولة عبد الله الشيعي معرفة أوضاع المدن الحدودية لإقليم كتامة بعد سؤاله الكتاميين:"قال: فلسلطان إفريقية بها عمال؟ قالوا: لا، فإنما بها رجال ملكوها ما له عندهم أكثر من الدعوة على المنابر، وهم له طاعة في معصية"[32].

فهل كان الكتاميون يُرغبون عبد الله الشيعي ويشجعونه على الإجهاز على هذه المدن عندما كان بتازروت يعد جيشه للثورة على الأغالبة؟ أم أنهم يقرون بالواقع الذي كانت عليه هذه الأمصار؟ إذ أن العلاقة بين بلزمة وإقليم كتامة لم تكن على أحسن حال. بالإضافة إلى ما ميز علاقة بلزمة بالقيروان. والسبب يعود إلى سطوة جند بلزمة على المنطقة؛ فالمصادر التاريخية تشير إلى أن "أهل بلزمة كانوا قد أذلوا كتامة واتخذوهم خولا وعبيدا. وفرضوا عليهم العشور والصدقات وأن يحملوا ذلك على أعناقهم"[33]. وقد يعني هذا أن الحامية التي تقطن بلزمة بدأت تُظهر نوع من الاستقلال عن العاصمة القيروان، أو أنها كانت تجبي تلك الأموال لبسط النفوذ الأغلبي على قبيلة كتامة.

ومهما يكن فإن تطور الأحداث التاريخية ستجعل من تصرفات هذه الحامية نقمة عليهم، إذ أن قبيلة كتامة ستصبح بالتحالف مع عبد الله الشيعي صاحبة السيف في الدولة العبيدية، في حين أن الأغالبة سيقدمون على ارتكاب مجزرة في حق خيرة الجند البلزمي. وهو ما سيعجل بنهاية المدينة في نفس الوقت، وهذا بدوره يؤدي إلى سقوط الدولة الأغلبية.

كانت سياسة الدعوة الإسماعيلية أواخر حكم الأغالبة هي الرغبة في استغلال حالة التذمر التي كانت سائدة خاصة بين الحاميات الغربية، والتي كانت تريد التخلص من السيطرة والخضوع الضريبي لعمال الإمارة الأغلبية، وهذا ما جعل بعضها يتحالف مع حركة عبد الله الداعي، أو على الأقل تساهلوا في فترة

توسع جيوش الكتاميين، ونتيجة لذلك أصبحت الحدود الغربية للإمارة الأغلبية تتداعى شيئا فشيئا نتيجة السياسة التي طبقها الأمراء الأواخر ضد سكان منطقة الزاب بطبنة وبسكرة.

ففي عهد ولاية أبي الغرانيق (250 -261 ه/ 864م-874مـ) الذي "كانت في أيامه حروب وفتن"[34]؛ لم تستثن هذه الفتن بلاد المغرب الأوسط فكانت قبائل بلزمة من الذين سيساعدون قائده أبا خفاجة على تهدئة الثورات والفتن بالزاب بعد "اضطراب ثغر الزاب عليه. فأخرج إليه أبا خفاجة محمد بن إسماعيل في عسكر عظيم، ففتح فتوحات عظيمة في طريقه، وخافه جميع البربر ولم يقم أحد له... ثم نهض إلى طبنة. وأتى حي بن مالك البلوي في خيل بلزمة فصار في عسكره"[35]. وقد حاول الأمراء الأغالبة التخلص من التميميين ببلزمة بنقل الكثير منهم إلى صقلية في ظل حروب الأغالبة بالمنطقة، من أجل انشغالهم بالحرب والتقليل من شوكتهم، فقد كانت السلطة تخشى جانبهم.

بالإضافة على حالة عدم الاستقرار والاضطرابات، حدث في سنة (268 هـ/881م) أن "اشتد القحط وغلت الأسعار حتى بلغ قفيز[36] القمح ثمانية دنانير. والقفيز مقدار إردب[37] وربع بالمصري. فهلك الناس حتى أكل بعضهم بعضا"[38]. ثم قام إبراهيم أخ أبو الغرانيق و"فتك بأهل الزاب، فقتلهم وقتل أطفالهم، وحملوا على العجل إلى الحفر، فألقوا فيها"[39].

وبعد عشر سنوات في عام (278هـ/ 891م)، يقوم إبراهيم بن أحمد أخو أبي الغرانيق بأكبر مجزرة في حق الجند الذي ببلزمة وكان ذلك أهم حدث يتسبب في إسقاط هذا الحصن الأغلبي، والذي سيكون له أثره في نجاح الدعوة الشيعية هناك. وسبب هذه المجزرة تتمثل في استجارة هارب من أهل باغاية ببني مالك ببلزمة كان إبراهيم بن أحمد قد سجنه ورفض عامل بلزمة تسليمه للأغالبة[40]، وهو ما أثار حفيظتهم فجهز حملة على مدينة بلزمة، لكنه فشل في اقتحامها ما جعله يلجأ إلى المكر والإيقاع بنحو من ألف من خيرة جندها[41] الذين دعاهم إلى مدينة رقادة "فأنزلهم ووسع عليهم، وبنى لهم دارا كبيرة تشتمل على دور ترجع إلى باب واحد وأسكنهم فيها. فلما سكنوا واطمأنوا، جمع ثقات رجاله لأخذ أرزاقهم، ثم أمرهم بمصاحبة ابنه عبد الله لما أمره به، فلما اجتمعوا إليه، ركب إلى دار البلزميين في الجند، فقتلهم عن آخرهم، بعد أن دافعوا عن أنفسهم إلى وقت العصر"[42].

ويرى ابن عذارى أن هذه المجزرة كانت من "أسباب انقطاع دولة بني الأغلب، إذ كان أهل بلزمة في نحو ألف رجل من أبناء العرب والجند الداخلين إلى إفريقية عند افتتاحها وبعده، وكان أكثرهم من قيس، وكانوا يذلون كتامة. فلما قتلهم إبراهيم، استطالت كتامة، ووجدت السبيل للقيام مع الشيعي على بني الأغلب"[43].

لا شك أن هذه المجزرة التي تعرض لها خيرة جند بلزمة قد أربكت باقي الحاميات الأغلبية بمختلف مدن وحصون المغرب الأوسط التابعة للسلطة الأغلبية، بكل من ميلة وسطيف وباغاية ونقاوس ومقرة[44]، حيث كان لمجزرة بلزمة أثر مباشر على انهيار الجبهة الغربية للأغالبة وثورة الناس عل إبراهيم الثاني. الذي ينتهي به الأمر للتنازل عن العرش لفائدة ابنه أبي العباس عبد الله الثاني 289هـ/ 902م، فقد أججت تلك الواقعة حقد السكان على بني الأغلب وأنذرت بقرب انقراض دولتهم، والواقع أن مقتل "جند" حصن بلزمة الذي كان أصحابه العرب يسيطرون على كتامة من البربر، وكان يشرف على بلادهم، قد فتح في الناحية الغربية من إفريقية ثغرة واسعة في الجهاز الدفاعي الأغلبي.

وإثر هذه الفاجعة وجدت الدولة الأغلبية نفسها-كما كان الشأن في عهد زيادة الله الأول أثناء ثورة منصور الطنبذي- على قاب قوسين أو أدنى من سقوطها. ولكن هذه المرة لم تتحرك العناصر المتمردة من

الجند، بل أن سكان المدن والأرياف هم الذين شقوا عصا الطاعة في وجه السلطة. فقد ثارت أولا تونس والجزيرة ثم الأربس وباجة وقمودة، وما لبثت ان اشتعلت نيران الثورة في كامل البلاد، ما عدا منطقة الساحل والشريط الساحلي الشرقي حتى طرابلس. فانزوى إبراهيم الثاني أول الأمر داخل الخنادق التي حفرها حول رقادة، ثم تمكنت جيوشه المعززة بالخصوص بالعناصر المخلصة من حرسه الأسود من تدارك الوضع تدريجيا فاستقر الأمير في تونس التي افتتحها من جديد بحد السيف[45]. وقد تفاقم نفور الناس من إبراهيم الثاني، مما دفع الخليفة العباسي، المعتضد الذي بلغته شكوى من أهل تونس، إلى مطالبة تابعه بتحسين سلوكه مع البشر[46]. وتعتبر هذه الأحداث من سمة الدول في مراحل هرمها قبل وصولها إلى مرحلة السقوط، حسب التحليل الخلدوني للمُلك.

وكانت لهذه الأحداث أثر كبير وسلبي في التطور الديموغرافي للحواضر والمدن، إلا أن غياب التاريخ الإحصائي يجعل من تتبع هذه التطورات متعذرا، كما يصعب تقدير عدد سكان هذه الحواضر تقديرا حسنا. فما نملكه من نصوص وروايات حول ديموغرافية مدينة بلزمة لا يتجاوز الرقم الهام من أبطال فرسانها الذين قضي عليهم برقادة، كما نجهل توطن هؤلاء الجند هل هو في المدينة نفسها، أم كانت للمدينة حصون وقلاع تحرسها. فلا شك وأن المدينة قد نظمت وفق ما تقتضيه حاجة هؤلاء وأسرهم، فالمدينة قديمة، وتخطيطها روماني، وكانت تتمتع بسهل واسع يحتوي على خيرات كثيرة، وهو ما يرجح وجود شرائح اجتماعية أخرى بجانب هؤلاء الجند بالمدينة، مثل التجار والمشتغلين بالفلاحة والحرفيين في مختلف أنواع الصنائع وغيرهم. ففي أثناء الحصار الفاطمي للمدينة كان بالمدينة "رجل من أهل مجانة يعرف بأبي عبد الله له لسان، وكان يحملهم على العناد والإصرار ويصنع لهم المجانيق والعرادات وآلات الحروب"[47]. وهو ما يدل على وجود صناعات وحرفيين بالمدينة، غير أن عدم عثورنا على النصوص المكتوبة وانعدام الشواهد الأثرية يجعل دراستنا لمثل هذه المدن غير مكتملة.

بعد سيطرة الفاطميين على المنطقة وسقوط أهم الحصون القوية، لم تتمكن السلطة الجديدة من فرض الأمن وضمان التبعية وولاء قبائل البربر المنهزمة، فقد كانت مجالات الزاب والحضنة في البداية تحت سيطرة القبائل البربرية الإباضية (خاصة قبيلة ورفجومة وهوارة بفروعها)، التي أسست ممالك مستقلة، وتحكمت في محور الطريق شرق- غرب، الذي يمر بمحاذاة المنحدر الجنوبي للتل، وعلى الخصوص منافذ الطرق الصحراوية. وسمح الفتح الفاطمي وسيطرتها على المنطقة (بعد فشل ثورات الخوارج) لجوء هؤلاء الاباضية إلى الجنوب ومناطق الواحات وقاموا بتنشيط التجارة الصحراوية. غير أن إخضاع المناطق الجنوبية في القرن 4هـ/ 10م، لا يشير إلى عودة الطاعة الكاملة للحكم المركزي بهذا الحد. وبداية من ظهور سلطة بجاية الحمادية، ندرك أن التحكم بهذا القفل كان هدفا للتنافس والصراع المستمرين. ففيما مضى وجب على الناصر الحمادي الكفاح ضد زناتة التي عارضت حكمه في الجنوب، ووصول القبائل العربية عقد نوعا ما الرهان. وظهرت الأهمية الاستراتيجية لهذه الجهة بطريقة جلية في أثناء فترة مغامرة بني غانية الذين استولوا على الجهة وجعلوها واحدة من أهم قواعدهم الخلفية. وكانت السلطة فيما بعد تولي في كل مرة أهمية كبيرة للتحكم بهذه المنطقة الجنوبية[48].

5- حصار المدينة وحرقها من طرف الإسماعيلية عام (287هـ/ 900م): استمرت الغارات الشيعية على بلزمة ثلاث سنوات من أجل نهب محصولاتها الزراعية وإتلاف خيراتها. وشجعت انتصارات عبد الله الشيعي الأخيرة على طبنة للقيام بهجوم على الحصن. وقد أبدى سكان بلزمة من العرب التميميين مقاومة مستميتة، ولقي رئيسهم حي بن تميم مصرعه أثناء الحصار. ومع ذلك فقد أبلوا البلاء الحسن في الدفاع عن

أنفسهم بواسطة آلات الحرب، مثل المجانيق والعرادات التي كان يصنعها لهم رجل من أهل مجانة. واستعمل الكتاميون بدون جدوى الدبابات والأبرجة لقتالهم، فكانوا يحرقونها من أعلى سور مدينتهم بواسطة القذائف المحرقة. ولم يضعفوا إلا من شدة الجهد وغلبة الجوع عليهم فاستسلموا في آخر الأمر، بعدما نفذ كل ما لديهم من مؤونة. وفتح الكتاميون المدينة عنوة ونهبوها...[49].

منذ هذه الحادثة التي أحدثت قطيعة نهائية بين مدينة بلزمة والسلطة الأغلبية، سيكون لها أثرها كذلك في فشل المدينة في الوقوف أمام الزحف الفاطمي الذي حاصر المدينة من خلال قطع الصلة بين المدينة وأرباضها التي لم تجد من يدافع عنها، لأن جند المدينة قضي عليهم برقادة قبل هذا الحدث.

فقد أصبحت هذه المدن بين فكي كماشة، التشدد الأغلبي من الشرق سعيا من أمراء القيروان الهيمنة على إقليم الزاب الحيوي، ومن الغرب سيكون التهديد الشيعي أكثر جدية في اقتحام هذه المدن خاصة وأن الأغالبة قد سهلوا لهم المهمة من حيث عملهم على إضعاف مدن الزاب والفتك بحامياتها ظنا منهم أنها تهدد السلطة القائمة.

حصار هذه المدينة اعتبر طريقة جديدة في طريقة الحرب التي سلكها الفاطميون في تخريبهم للمدن فبعد تشديد الحصار وإفساد الزروع هوجمت الأسوار بدواليب متنقلة قذفت منها القلعة بقذائف مشتعلة حشيت فيها النار، فأمكن بذلك اقتحامها، وقتل كل من بقي من المقاتلين، باستثناء النساء والأطفال واحتجزت كل أمتعتهم وأموالهم[50].

تسقط بلزمة أمام عبد الله الشيعي الذي لم يفشل أمام المقاومة التي وجدها بهذا الحصن مما جعله يلجأ إلى حصارها، والإغارة عليهم في مواسم الصيف إذ عرفت بلزمة بزراعتها المزدهرة وكثرة مواشيها. "وقاتل أهل بلزمة قتالا شديدا ودافعوا مدافعة عظيمة ونصب أبو عبد الله عليهم الدبابات والأبرجة فأحرقوها..."، ويضيف القاضي النعمان أن شدة الحصار الذي دام ثلاث سنوات بلغت أن السكان: "أكلوا كل ما عندهم من الحيوان ثم أكلوا جلودها، ثم لما نفذ ذلك كله عادوا إلى درقهم فكانوا يقطعونها ويبلونها ويطبخونها ويأكلونها إلى أن غلب عليهم الجوع فاستأسروا... وأمر أبو عبد الله بهدم سورها فهدم"[51].

وإذا كانت نهاية المدينة التي سيطرت ردحا من الزمن على إقليم كتامة بهذه البشاعة، فإن عبد الله الشيعي أرادها أن تكون كذلك، ومثلما يرى محمد طالبي؛ فإنه ينبغي البحث عن السبب في الضغائن الهائلة المتراكمة منذ أجيال في قلوب كتامة على حصن سقاهم طويلا كأس الإهانة حتى الثمالة[52]، ويكون الجند الكتامي قد عبث بالمدينة وغنم كل ما وجدوه من الأثاث والأمتعة وغيرها مثلما يخبرنا القاضي النعمان، الذي وصف حالة الحصار وتدمير هذا الحصن المنيع.

لقد توالت الأزمات على الحدود الغربية للإمارة الأغلبية لكن بسقوط مدينة بلزمة وطبنة تصبح سنة (293ه/ 906م) سنة نحس بالنسبة إلى الجيش الأغلبي. فقد فتح الكتاميون ثغرة في الحصون الغربية التي كانت تحمي إفريقية، ولم يبق منها سوى حصن باغاية الذي ما زال يسد الطريق الرئيسية الواقعة بين جبال قسنطينة وأوراس والمفضية إلى داخل البلاد عبر تبسة ومجانة وبعد استيلائهم على طبنة وبلزمة، لن يتأخروا على الهجوم على باغاية ثم الاستيلاء عليها[53].

انخرط جنود الحاميات الثغور الأغلبية في جيش المهدي، إذ كان عدد كبير من الجنود العرب يعملون في الجيش الفاطمي في مستهل عهد المهدي. ذلك أن بعض جنود الثغور كانوا ينتظرون سقوط آخر أمراء بني الأغلب للانضمام إلى الداعي والدخول في طاعة الإمام الذي كانت إفريقية تعلم أنه موجود في سجلماسة على استعداد لدخول رقادة وراء الداعي وأولياؤه الكتاميين. فلم يتردد حينئذ بنو أبي خنزير من جند ميلة

وبنو مالك من جند بلزمة، وبنو ملاس في الأربس، وحامية طبنة وقائدها أبو المقري، حين فتح أبو عبد الله إفريقية، في خلع طاعة بني الأغلب وقد كانوا لا يعترفون بسلطتهم إلا اسميا، وذلك منذ وفاة إبراهيم الثاني[54].

بعد القرن 05هـ/ 11م ساهم الخوارج في ربط العديد من الحواضر الواحية والصحراوية بمجالات التل الأعلى، وبشبكة خطوط تجارة القوافل بعدما عجزت سلطة الخلافة الفاطمية السيطرة عليها. وقد عرفت منطقة غرب الأوراس انتعاشا في ظل سلطة الحماديين استفادت منه مدينة بلزمة قبل وصول الزحف الهلالي على المنطقة، وعمت الاضطرابات، وانقطعت أخبار مدينة بلزمة بعد ذلك، نتيجة تغير آليات الصراع حول النفوذ والتحكم في المجال الذي أصبح تتحكم فيه قبائل البدو. وأدى ذلك إلى تتغير خطوط المسالك شمالا نحو مدن الساحل.

خاتمة:

بعد القرن الأول الهجري/ 06م انخرطت بلاد المغرب في منظومة جديدة من شبكة العلاقات داخل الخلافة الإسلامية، وأصبحت تشكل الجزء الغربي منها، وكانت إفريقية غنية بالعمران والمدن القديمة المنشأ، ولم تتعرض هذه المدن للتخريب أو التهديم، بل أصبحت مع الوقت حواضر إسلامية استقرت فيها الحاميات العربية الإسلامية، ومن هذه الحواضر انطلقت عملية الأسلمة لتحدث أكبر انقلاب وتحول حضاري لدى قبائل البربر، مست خاصة جوانب اللغة والعقيدة وانخراط السكان في الحياة السياسية.

ووفق تعاليم الدين الجديد فإن التغيرات مست جوانب العمران والمدن القديمة وذلك بالتخلي عن بعض المرافق كالمعابد والمسارح التي أصبحت لا تلائم الدين الإسلامي، فيما تأسست مرافق جديدة كالمساجد ودور الإمارة، وكانت هذه التغيرات تجري وفق عملية تحول بطيئة زمانيا لكنها ستصبح عميقة الأثر، إذ سيتغير طابع العمران نهائيا. ومن خلال دراستنا لمدينة بلزمة في العصر الوسيط نسجل غياب الدراسات المتعلقة بمرافق المدينة، وشكل تخطيطها، وانعدام الحفريات بها، وهي التي تسمح لنا بمعرفة حجم المدينة ومساحتها، خاصة ونحن نعرف أن العوامل الطبيعية أدت إلى تناقص وتآكل آثار المدينة التي أهملت، وأصبحنا أمام وضع لمدينة مندرسة رغم ما لها من أهمية تاريخية في العصر الوسيط.

على مستوى آخر وبحكم أن المدينة قديمة، فإنها استمرت في تطورها بعد الفتح الإسلامي؛ ففي النصف الأول من القرن الثاني الهجري/ 08م ستعرف الكثير من التحولات الديموغرافية والسياسية والمذهبية؛ فقد كانت مستقر لقبيلة بني تميم اليمينة ومواليهم، والتي كان لها دور كبير في العمليات العسكرية للفتوحات الإسلامية، ونتيجة لقوة هذه القبيلة واحتفاظها بتقاليدها العسكرية، فقد انخرطت في مرحلة حكم الولاة ببلاد المغرب في الصراعات القبيلة والمذهبية بالمنطقة مستغلة جغرافية غرب الأوراس، وستصبح حامية بلزمة في عداء مع الأمراء الأغالبة الذين كانوا يرون في قوتها تهديدا لسيادتهم على هذه المدينة. فكانت لهذه العلاقة المتوترة انعكاسات سلبية على مدينة بلزمة وكانت سببا مباشرا في نكبتها وتهديم أسوارها في نهاية القرن الثالث الهجري/ 09م.

غير أن هذه الحاميات العربية التي استقرت في الحواضر والتي ستصبح أقليات حاكمة، كانت قليلة العدد مقارنة بقبائل البربر التي تشكل أغلبية السكان والتي لا نجد أخبارها في المتون التاريخية العربية (وهي ظاهرة عامة تخص كامل بلاد المغرب) خاصة فترة العصور الوسطى المبكرة، كما أن هذه القبائل لم تدون تاريخها الخاص بها. لذلك تبقى الكثير من الأسئلة المطروحة حول: التاريخ المحلي لمجال المدينة، ومعرفة بنية السكان والتطور الاجتماعي الذي حدث بعد استقرار المسلمين بهذه الحاضرة، وطبيعة العلاقات بينهم وبين السكان المحليين، وكيف حدثت المرحلة الانتقالية بين النظم والموروثات القديمة ومجتمع المدينة

الجديد وغيرها من التحولات الأخرى، وتبقى هذه الأسئلة بحاجة إلى المزيد من البحث في هذا المجال. خاصة إذا عرفنا دور وحجم هذه الحاضرة في القرون التالية لمرحلة الفتح الإسلامي.

وفي الأخير نقول إن دراسة تاريخ العمران (والمدن والحواضر تحديدا) ببلاد المغرب لا يقتصر على العواصم لما كانت تتمتع به من ثقل اقتصادي واجتماعي بحكم أنها كانت تمثل مركز السلطة، بل أن الاهتمام بدراسة تاريخ المدن الطرفية التي تمثل الهامش تسمح لنا بإعادة رسم جغرافية العمران لفترة هامة من تاريخ العصر الوسيط. لذلك فإن دراسة التحولات التاريخية التي عرفتها مدينة بلزمة في العصر الوسيط لا يمكن أن نفصلها عن علاقة المدينة بالسلطة وبالتغيرات المذهبية والصراع الذي كان بين مختلف الفرق خاصة الخوارج والشيعة الإسماعيلية الذي انعكس سلبا عليها. وإذا كانت الدراسة تطرح بعض العوائق كنقص المصادر أو أحجامها عن التطرق لبعض المدن المندثرة فإن ذلك لا يعفينا من تنويع آليات ومناهج البحث.

قائمة المصادر والمراجع

1- ابن الأثير عز الدين (ت 630هـ/ 1232م)، اللباب في تهذيب الأنساب، ج 01، دار صادر بيروت، 1980.

2- ابن الرقيق، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت 420هـ/ 1029م)، تاريخ إفريقية والمغرب، تح: عبد الله العلي الزيدان وعز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 01، 1990.

3- ابن الصغير المالكي (ق03هـ)، أخبار الأئمة الرستميين. تح: بحاز إبراهيم ومحمد ناصر. دار الغرب الإسلامي، 1986.

4- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت 456هـ/ 1063م)، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001.

5- ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت378هـ/ 988م)، صورة الأرض، دار صادر، بيروت، ط 02، 1938.

6- ابن عذارى المراكشي (ت حوالي 695هـ/ 1295م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. تح: ج س كولان وإليفي بروفنصال، دار الثقافة، بيروت، ط 02، ج 1، 2، 1980.

7- أبو عبيد بن قاسم بن سلام (ت224هـ/ 838م)، كتاب النسب، تح مريم محمد خير الدرع، دار الفكر، 1989.

8- الإدريسي، أبو عبيد الله محمد بن محمد بن عبد الله الحسني (ت560هـ/ 1164م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ط 01، 1989.

9- البتي، أبو جعفر أحمد بن عبد الولي البلانسي (ت488هـ/ 1095م)، تذكرة الألباب في أصول الأنساب. تح محمد مهدي الموسمي الخراساني، مؤسسة المواهب بيروت، 2001.

10- البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت487هـ/ 1094م)، المسالك والممالك، ط 1، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.

11- الحازمي، أبو بكر محمد بن أبي عثمان الهمذاني (ت584هـ/ 1188م)، عجالة المبتدئ وفضالة المنتهي في النسب، تح عبد الله كنون، دار الأفاق العربية، القاهرة، 2002.

12- عبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ/ 1405م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. دار الفكر، بيروت، ج 4، ج6، ج7، 2000.

13- القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون التميمي (ت363هـ/974م)، رسالة افتتاح الدعوة، تح: وداد القاضي، دار الثقافة، بيروت، ط01، 1970.

14- محمد عبد المنعم الحميري (ت 900هـ/ 1495م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط 02، 1984.

15- المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت 380هـ/ 990م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تح: محمد أمين الضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 01، 2003.

16- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ/ 1333م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ج 24، 1983.

17- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، البلدان (ت 284هـ/ 897م)، ط 01، تح: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.
18- بوبة مجاني، مدينة قسنطينة في الفترة الإسلامية.
19- الحسين إسكان، الدولة والمجتمع في العصر الموحدي، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية.
20- دومنيك فاليريون، بجاية ميناء مغاربي، ترجمة: عمارة علاوة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربي، الجزائر، 2015.
21- شاكر مصطفى، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، إحصاء للمدن الإسلامية ودراسة اجتماعية اقتصادية لها، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط2، ج1، 1997.
22- صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي، دراسة اقتصادية واجتماعية، منشورات جامعة تونس، 2006.
23- عبد المجيد بن حمدة، المدارس الكلامية بإفريقية، دار العرب، تونس، 1986.
24- عمرو خليفة النامي، دراسات عن الإباضية.
25- فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة، كامل العسلي، ط 02، مكتبة الأسد، دمشق.
26- فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب 296-365هـ/909-975م التاريخ السياسي والمؤسسات، ترجمة، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994.
27- لطفي دبيش، الإنسان والمكان في الثقافة العربية الإسلامية. قراءة في نصوص الجغرافيين والرحالين والمسالكيين العرب إلى القرن الخامس الهجري، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة تونس 2011.
28- محمد الطالبي، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي (184-296هـ/800-909م)، ترجمة: المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1985.
29- محمد العميم، إشكالية أصل المدينة بشمال إفريقيا، المدينة في تاريخ المغرب العربي، أشغال الندوة المنظمة من 24 إلى 26 نوفمبر 1988، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية 2 ابن مسيك، الدار البيضاء.
30- محمد حسن، القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط.
31- المنصف قوجة، تاريخ الإباضية الديني والسياسي. الدار التونسية للكتاب، 2014.
32- ناصر الدين سعيدوني، الإنسان الأوراسي وبيئته الخاصة، دراسة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدنية الأوراس قبل وأثناء العهد العثماني، مجلة الأصالة العدد 60-61، أوت سبتمبر 1978.
33- Brent D Shaw. Lamasba : an ancient irrigation community. Antiquités africaines, 18, 1982.
34- Charles Féraud. Conquète de bougie par les espagnols d'après un manuscrit arabe d'abouali ibrahim el-merini. R f 70 71.1868.
35- Corisande Fenwick. From Africa to ifrı¯qiya: settlement and society in early medieval North Africa (650–800) al-masa¯q, 2013. vol. 25, no. 1.
36- M. F. G. De Pachtere. Le règlement d'irrigation de Lamasba. Mélanges d'archéologie et d'histoire. T. 28, 1908.
37- Paul – louis cambuzat, l'évolution des cites du telle en efrikia du 7 em au 11 em siècle, office des publications universitaires, Alger, 1986.
38- Philippe Leveau, L'urbanisme des princes clients d'auguste, l'exemple de caesarea de maurétanie, Coll. E.F.R. N66. 1983.
39- Stephan Gsell. « Les monuments antiques de l'Algérie ». Tome premier. Paris 1901.
40 -Atlas archéologique de l'Algérie tome1. Texte, 2 éditions, Algérie, 1997.
41- W. ragot. Le Sahara de la province de Constantine. Recueil des notices et mémoire de la société archéologique de la province de Constantine, dixième volume, 1866 challomel, aineéditeur, Paris.

الهوامش:

[1]- مع تطور الكتابات التاريخية أصبحنا نجد لكل مدينة إسلامية كبرى مؤرخها الذي يصف لنا مكوناتها ومرافقها وتاريخ نشأتها...، وإحصائيا لفت شاكر مصطفى إلى أنه يمكن تسجيل ما يزيد على مائة وثلاثين مؤلفا للمدن كتبت فيما بين القرنين الثالث والسابع الهجري في مدن المشرق وحده، أي ما بين العراق وأقصى الصغد. فضلا عن بلاد المغرب والأندلس أو عن التواريخ المحلية للمناطق كالعراق وفارس وخراسان، أو تلك المؤلفات التي كتبت باللغة الفارسية في هذه الفترة. شاكر مصطفى. المدن في الإسلام حتى العصر العثماني. إحصاء للمدن الإسلامية ودراسة اجتماعية اقتصادية لها. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط2، 1997، ج1، ص 39. كما أنه من التقاليد والقواسم المشتركة في تخطيط المدينة الإسلامية رواية أساطير في بناء المدينة، مثل هذه الروايات والأساطير التي كانت موجودة في التقاليد اليونانية والرومانية، فهذه الأساطير تدور حول تمجيد وتقديس المكان من جهة والقائد الرائد من جهة أخرى وما ينسب إليه من بركة إلهية وقوة غيبية خارقة. محمد حباني. الأسباب والأساطير المرتبطة بتأسيس المدن الإسلامية بالمغرب. المدينة في تاريخ المغرب العربي. أشغال الندوة المنظمة من 24 إلى 26 نوفمبر 1988. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية 2 ابن مسيك. الدار البيضاء. ص 70.

[2]- المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط 01، تح محمد أمين الضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص 35. ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي. صورة الأرض. ط 02 دار صادر، بيروت، 1938، ص 149.

[3]- لطفي دبيش، الأنسان والمكان في الثقافة العربية الإسلامية، قراءة في نصوص الجغرافيين والرحالين والمسالكيين العرب إلى القرن الخامس الهجري، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس 2011، ص 463- 464.

[4]- محمد العميم، إشكالية أصل المدينة بشمال إفريقيا، المدينة في تاريخ المغرب العربي، أشغال الندوة المنظمة من 24 إلى 26 نوفمبر 1988، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية 2 ابن مسيك، الدار البيضاء، ص 61- 62.

[5]- محمد العميم. إشكالية أصل المدينة بشمال إفريقيا، المدينة في تاريخ المغرب العربي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية 2 ابن مسيك، الدار البيضاء، نوفمبر 1988، ص 69.

[6] - Philippe Leveau, l'urbanisme des princes clients d'auguste, l'exemple de caesarea de Maurétanie. Coll. E.F.R. N66. 1983. P 349.

[7] - Corisande fenwick, from africa to ifrı-qiya: settlement and society in early medieval north Africa (650–800) al-masa-q, 2013, vol 25, 1. P 15.

[8]- حول هذه المدن ينظر:

Stephane Gsell. « Les monuments antiques de l'Algérie », Tome premier, Paris 1901, P 345 346 347. Atlas archéologique de l'Algérie tome1, Texte, 2eédition. Algerie. 1997.

[9]- تقع بالقرب من مدينة مروانة حاليا على مسافة حوالي 05 كلم، لكنها اندثرت وبقيت فيها آثار قديمة، والراجح أن مدينة بلزمة توجد على أنقاض تلك الآثار، التي لم تجري فيها أية حفريات تعود للفترة التي ندرسها، عكس الفترة السابقة (الرومانية) حيث توجد العديد من الدراسات خاصة بنظام الري فيها.

[10]- حمد العميم، المرجع السابق، ص 62.

[11] - W. ragot. Le Sahara de la province de Constantine, Recueil des notices et mémoire de la société archéologique de la province de Constantine, dixième volume, 1866 challomel, aine éditeur, paris, p 236-237.

[12] - M. F. G. De Pachtere, Le règlement d'irrigation de Lamasba, Mélanges d'archéologie et d'histoire T. 28, 1908, p 373.

[13] - Brent D Shaw. Lamasba : an ancient irrigation community, Antiquités africaines, 18, 1982, P 61.

[14] - M. F. G. De Pachtere, op. cit, p 374.

[15] - M. F. G. De Pachtere, ibid, p 378-379.

[16] -Brent D Shaw, op. cit, p 68.

[17]- حول قبيلة بني تميم ينظر أبو عبيد بن قاسم بن سلام، كتاب النسب، تح: مريم محمد خير الدرع، دار الفكر، 1989، ص 231؛ ابن الأثير عز الدين. اللباب في تهذيب الأنساب، ج 01، دار صادر بيروت، 1980، ص 222 -224؛ البتي. أبو جعفر أحمد بن عبد الولي البلانسي، تذكرة الألباب في أصول الأنساب، تح: محمد مهدي الموسمي الخراساني، مؤسسة المواهب بيروت، 2001، ص 81. الحازمي، أبو بكر محمد بن أبي عثمان الهمذاني، عجالة المبتدئ وفضالة المنتهي في النسب، تح عبد الله كنون، دار الأفاق العربية، القاهرة، 2002، ص 60.

[18]- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، البلدان، ط 01، تح: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص 190.

[19]- حول نسب مزاتة ينظر ابن حزم. جمهرة أنساب العرب، ص 498. عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر، بيروت، 2000، ج 06، ص 152-153.

[20]- البكري، المسالك والممالك، ط 1، تح جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ج 2، ص 227.

[21]- حول المسافات والأطوال، ينظر: فالترهنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، ط 02، مكتبة الأسد، دمشق.

[22]- الإدريسي، نفسه، ج 1، ص 260-270.

[23]- محمد الطالبي، المرجع السابق، ص 144.

[24]- الإدريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 270.

[25]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 151.

[26]- عبد المجيد بن حمدة، المدارس الكلامية بإفريقية، دار العرب، تونس، ص 82.

[27]- ابن الصغير المالكي، أخبار الأئمة الرستميين، تح: بحاز إبراهيم ومحمد ناصر، دار الغرب الإسلامي. 1986، ص 111.

[28]- المنصف قوجة، تاريخ الإباضية الديني والسياسي، الدار التونسية للكتاب، 2014، ص 57.

[29]- البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 329.

[30]- محمد عبد المنعم الحميري. الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط 2، 1984، ص 76-77.

[31]- الرقيق 119 ابن عذاري، ج 1، ص 59.

[32]- القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن حيون التميمي (ت363هـ/974م)، رسالة افتتاح الدعوة، تح: وداد القاضي، ط 1، دار الثقافة، بيروت، 1970، ص 64-65.

[33]- النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 131.

[34]- بن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص 114-115؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 257.

[35]- النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 126.

[36]- القفيز: أقفزة جمع قفيز، وحدة وزن كانت في عهد الحجاج تساوي صاع النبي ﷺ، أي ما قيمته: 4,2125 لتر وكانت تساوي بالقيروان القفيز الواحد 32 ثمنا كل ثمن 6 أمداد من أمداد النبي ﷺ 201 ,877 لتر. فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ص 66-68.

[37]- الإردب هو مكيال مصري للحنطة يتألف من 06 ويبات، كل ويبة 08 أقداح أو 16 قدحا صغيرا، ويصعب تحديد الإردب بدقة، وقد أشار إلى هذا المكيال كل من المقدسي، وبعده في القرن 08هـ/ 14م ابن فضل الله العمري، ثم القلقشندي في القرن 09هت/ 15م، فالتر هانتسن المرجع نفسه، ص 58-59.

[38]- النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 130.

[39]- ابن عذارى المراكشي، المصدر نفسه، ج 1، ص 119.

[40]- القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 88.

[41]- رثى الشاعر محمد بن رمضان من نفطة أهل بلزمة عن هذه النكبة في قصيدة نقلها القاضي النعمان في رسالة افتتاح الدعوة، ص 89. يهجو فيها الأغالبة ويتوعدهم بقرب قدوم المهدي للانتقام لهم. و فيما يلي بعض ما قاله حول هذه المجزرة:

جل المصاب لئن كان الذي ذكروا مما أتتنا به الأنباء والــخبر
عن ألف أروع كالآساد قد قـتلوا لساعة من سواد الليل إذ غدروا
قل لابن أحمد إبراهيم مألـكة عن الخبير بما يأتي وما يذر
جرعت ضيفك كاسا أنت شاربها عما قليل وأمر الله ينتـظر
فدولة القائم المـهدي قد أزفت أيامها والذي أنبا بـه الأثـر.

ينظر: محمد الطالبي، المرجع السابق، ص 328، هامش 2.

[42]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص 123. النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 131.

[43]- محمد الطالبي، المرجع نفسه، ص 723.

[44]- ابن عذارى المراكشي، السابق، ج 1، ص 123.

[45]- ابن عذارى المراكشي، السابق، ج 1، ص 123.

[46]- فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب 296-365هـ/909-975م التاريخ السياسي والمؤسسات، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994، ص 35-36.

[47]- فرحات الدشراوي، المرجع نفسه، ص 36.

[48]- القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 164.

[49]- دومنيك فاليريون، بجاية ميناء مغاربي، ترجمة: عمارة علاوة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربي، الجزائر، 2014، ص 180-181.

[50]- فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص 135.

[51]- محمد الطالبي، المرجع السابق، ص 722-723.

[52]- القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 165.

[53]- فرحات الدشراوي، المرجع السابق. 135-136.

[54]- فرحات الدشراوي، المرجع نفسه، ص 547.

مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 1005 – 1018
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

الجزائريون والمسألة الرّبوية الاستعمارية الفرنسية 1900 – 1830

The Algerians And The French Colonialist Usurious Issue 1900-1830

د/ شقرة محمد
جامعة باتنة1
مخبر الجزائر دراسات في التاريخ الثقافة والمجتمع
chagramohammed5@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/01/01 تاريخ القبول: 2021/02/19

الملخص:
تهدف الدراسة إلى إبراز علاقة الإدارة الاستعمارية الفرنسية بالمأساة الرّبوية في الجزائر التي عرفت منحى تصاعديًا مع بداية الاحتلال بعد أن كانت تُمارس في نطاق ضيق خلال العهد العثماني وتطورت بشكل واسع بعد تراجع المقاومة الشعبية.
و يُعد الرّبا أحد الأدوات التي استخدمتها الإدارة الاستعمارية لإخضاع الشعب الجزائري والتسلط عليه والزيادة في مأساته وإفقاره بعد الاستيلاء على أرضه مصدر معيشته خاصة وأن غالبية الجزائريين يقطنون في الريف. وقد استغل اليهود وكبار المستوطنين الأوروبيين الرّبا للاستحواذ على ممتلكات الجزائريين وخاصة الفلاحين منهم واستغلالهم لخدمتهم المباشرة بعد أن تحولوا إلى خماسين وعمال أجراء لديهم نتيجة فقدانهم لأرضهم بفعل الرّبا الفاحش، كما قامت الإدارة الاستعمارية بعد تثبيت تواجدها بالجزائر بوضع سلطتها المباشرة على عمليات الرّبا المختلفة التي كانت تمارس بدون حسيب أو رقيب عن طريق سن قوانين مُنظمة لها حتى تجعل منها وسيلة من وسائل بناء النظام الاستيطاني في الجزائر.
الكلمات المفتاحية: الرّبا؛ القروض؛ الإدارة الاستعمارية؛ اليهود؛ البؤس.

Abstract:

This study is aimed to reveal the common relationship between the French adminstration and the usurious tragic transactions that was taking an upward trend in Algeria during the earliest years of the colonization. Sub-prime loans used to be existed during the Ottman rule but it was taking place in a small-scale then it has started to recede by the backing away of popular resistance.

Usurious transaction was one of a thousands ways that french colonization has followed for taming the Algerian community and making its living conditions pathetic and miserable. It was a tricky way so that they would be owed for the French authorities as long as they lived after seizing their properties and lands since the majority of them used to live in the countryside.

Jews and European businesses forced the Algerians and farmers in particular to deal with usurious transaction in terms of sub-prime loans so that they can get their properties under basis of full legality by making them deep in debts and use them later as labours after they were landowners.

Just by the imposition of the complete domination, French authorities set the control all over the usurious transactions that Jews and European businesses used to rule so that it can be passed as one of the primary economic laws and regulations to maintain the occupation and constructiong the the new rulling system as well.

Key words: Usury; sub-prime loans; colonial administration; jews; misery.

مقدّمة:

عمدت الإدارة الاستعمارية الفرنسية بعد أن تمكنت من تقويض أركان الدولة الجزائرية وتطبيق نظام إداري جديد يتماشى مع طموحاتها في السيطرة على الجزائر وخيراتها إلى فرض وسائل جديدة تمكنها من اغتصاب أراضي الجزائريين دون اللجوء إلى القوة العسكرية. وهو الهدف الأساسي الذي أراد الاحتلال الفرنسي الوصول إليه منذ بداية الغزو بواسطة القوة العسكرية متخذا أسلوب القمع والإبادة والتهجير وغيرها ،لكن هذه السياسة أصبحت غير مجدية ولا تستقطب المستوطنين الأوروبيين للعيش في الجزائر والإسهام في بناء إمبراطورية استيطانية في شمال إفريقيا نظرا للمقاومة الشديدة التي لم تتوقف رغم الصعوبات التي واجهتها ، فغير منظرو الاستعمار الفرنسي سياستهم من خلال دعم نظامهم الإداري الجديد الذي يتوافق مع نظرياتهم التوسعية في الجزائر بأدوات فعّالة تمكنهم من السيطرة على الأرض وتحقيق منفعة مالية كبيرة من وراء ذلك. فكان إيقاع الجزائريين في فخ الرّبا وغض الطرف على التعاملات الرّبوية التي استفحلت بشكل خطير من طرف اليهود وكبار الملاك الأوروبيين وحتى المسؤولين الإداريين ومن والاهم من القُياد ومعاونيهم مستغليين الظروف الصعبة نتيجة السنوات العجاف والجوائح التي تسببت فيها السياسة الاستعمارية الظالمة وهو ما أدخل الجزائريون في دائرة الفقر والبؤس وعمّت المجاعة مناطق واسعة من الجزائر.

وعليه فقد كانت إشكالية دراستي تتمحور حول: كيف أثرّت المأساة الرّبوية في الواقع الجزائري خلال العهد الاستعماري الفرنسي بداية من الاحتلال والى غاية نهاية القرن التاسع عشر؟ وما هو دور الإدارة الاستعمارية في انتشارها؟ وما هي انعكاساتها السلبية على المجتمع الريفي الجزائري؟

تكمن أهمية الموضوع في أنه يسلط الضوء على الرّبا بوصفه وباءً أخلاقيا استخدمه الاستعمار الفرنسي في الجزائر للاستيلاء على أراضي وممتلكات الشعب الجزائري والذي خلف أثارًا وخيمة على المجتمع الجزائري سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وحتى أخلاقيا.

وتهدف هذه الورقة البحثية إلى:

- التعرف على علاقة الإدارة الاستعمارية بالمأساة الرّبوية في الجزائر.
- مدى استفادة اليهود من المعاملات الرّبوية واستغلالها كورقة ضغط على الإدارة في الحصول على الجنسية الفرنسية بموجب قانون كريميو، مما جعلهم يتحكمون في السلطة المدنية في الجزائر بالتحالف مع المستوطنين الأوروبيين.
- استخلاص الآثار السلبية للربا على الجزائريين من خلال اغتصاب أراضيهم، ونزع ملكيتها من طرف المرابين.

تناولت العديد من الدراسات الجزائرية موضوع الرّبا بطريقة غير مباشرة نخص منها ما كتبه: صالح العنتري حول مجاعات قسنطينة ودور الرّبا في استفحالها ودراسة ليحي بوعزيز بعنوان: المجاعة بالجزائر أواخر عقد الستينات من القرن 19 ومواقف وآراء الجزائريين من ادّعاءات الفرنسيين حول أسبابها وغيرها.

غير أن الدراسات الاستعمارية الفرنسية تناولت هذا الموضوع بشكل واسع لكن من الوجهة التي تخدم مصلحة المستوطنين نذكر منها ما كتبه:

- Mirante Jean, La France et les œuvres indigènes Algérie, cahier des centenaires de l'Algérie.
- Joseph Lecoq, Les Sociétés Indigènes de Prévoyance de Secours et de Prêt Mutuels Des Communes D'Algérie.
- Charles Robert Agéron, Les Algerins Musulmans et la France (1871-1919).

بالإضافة إلى الصحافة الاستعمارية التي عالجت المسألة الرّبوبة بشكل كبير مركزةً على دور اليهود في استفحالها بقوة ومن بين الصحف التي كتبت حول هذا الموضوع نذكر: La Tafna وLa liberté de bone وL'impercial و L'indépendant de Mascara وغيرها.

1- تعريف الرّبا في الشريعة الإسلامية:

أ- لغة: هي الزيادة والنموَ والعلّو والارتفاع، حيث يقول ابن منظور: « الرّبا في اللغة معناه الزيادة والنمو، من ربا المال إذا زاد »[1]. ويقول صاحب القاموس المحيط: «الرّبا لغة الزيادة والنماء والعلو، تقول العرب: ربا الشيء يربو إذا زاد وأربت الحنطة زكت ويقال ربيته إذا غذوته، لأنه إذا ربا نما وزاد»[2]، وبهذه المعاني اللغوية جاء النّظم القرآني: في قوله سبحانه: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (الحج: 5).

ب- اصطلاحا: عرّفه الفقهاء المتقدمون على أنه كل زيادة بين بدلين متجانسين من غير أن تقابل هذه الزيادة بعوض، أو هو زيادة عين مال شرُطِتْ في عقد البيع[3]، وهي محرمة في جميع الأديان السماوية، ودليل تحريمها في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ (البقرة: 275).

2- التعريف الاقتصادي للرّبا:

يطلق الاقتصاديون على الرّبا مصطلح الفائدة وهو المال الذي يحصل عليه المُقرِض – الدائن – من المُقْتَرِض المدين مقابل استخدام الدين، أوهي الفائدة التي يحصل عليها المُقْرِض من المُقْتَرِض مقابل المُخاطرة في إقراض ماله "ويتحدد سعر الفائدة وفقا لقانون الطلب والعرض في السوق على الأموال، أي هو السّعر الذي يوازن بين التفضيل الزمني للمدّخرين والتفضيل الزمني للمستثمرين[4].

3- الإدارة الاستعمارية الفرنسية والمأساة الرّبوية في الجزائر:

حاول الاستعمار الفرنسي الاستثمار في مسألة الرّبا وتهيئة الظروف لإيقاع الجزائريين فيها وإيجاد المبررات الاقتصادية والاجتماعية التي تدفعهم لتقبلها والتعامل بها عن طريق تحطيم ما لديهم من مبادرات تعاونية تقليدية ومعاملات مالية وذلك بنفي وجود تنظيم اجتماعي واقتصادي وحتى أي نوع من المبادرات التعاونية الشخصية والمساعدات الاجتماعية لديهم لتبرير وجوده وسياسته في الجزائر، عكس ما هو موجود في أوروبا التي تأثرت بالنشاط الفكري للفلاسفة والمفكرين خلال القرن الثامن عشر الذين أرادوا خلق نوع من التوازن الاقتصادي والاجتماعي وكذا إحداث تنظيم اجتماعي يرتكز على أسس وقواعد تمكن هذه المجتمعات من الحفاظ على وجودها في حالة ظهور أزمات مختلفة[5].

ركز مُنظرو الاستعمار من سياسيين وعسكريين وإداريين وحتى من الكتّاب والمؤرخين على الترويج لهذه الأُطروحات في بداية الاحتلال لتبرير الوجود الاستعماري والسياسة التي بدأ في تطبيقها في الجزائر والتي تعمل بالتوازي مع التوسع العسكري وكذا التنظيمات الإدارية الجديدة، فكل فشل اقتصادي واجتماعي يُرجعه هؤلاء إلى الجزائري الذي لم يتطور في نظرهم وبقي حبيس الأفكار القديمة الموروثة

على الشريعة الإسلامية، حيث يقول ميرانت: «الدولة المحمدية دولة توسعية قاسية محدودة الأفكار غير قابلة للتغيير والتطور، ذات تفكير بدائي لها طابع حُكم القرون الوسطى...»[6]، ويبدو أن البعض منهم قد استندوا في ذلك إلى رأي مونتيسكيو الذي يقول: «إن أخطر أنواع الاستبداد هو الذي يحتمي تحت عباءة الشرعية ... »[7]، وهو ما يؤكد أن الاحتلال الفرنسي وبواسطة هؤلاء المنظرين أراد التخلص من كل ما يمت بصلة إلى الشريعة الإسلامية وخاصة في المعاملات المالية، فالرّبا أو نسبة الفائدة كما يسمونها من الأسس التي تُبنى عليها نظرياتهم المالية والتي لا يمكن الاستغناء عنها.

وصف هوغو الرّبا بقوله: «... الرّبا هو ذلك الوحش الرهيب ... إنه مثل الأخطبوط له مخالب لها جذور وامتدادات في كل مكان، كل من يحتضنه يضيع بسببه ...»[8].

يُعد الرّبا مأساة أخلاقية بأتم معنى الكلمة خلال العهد الاستعماري، واليهود أول من تعامل بالرّبا خاصة في عهد الأتراك[9]، وهم أحد الأسباب الرئيسية لانتشار الرّبا في الجزائر[10]، ولكن نشاطهم تقلص كثيرا في عهد الأمير عبد القادر بسبب تمسك الجزائريين بدينهم، وتطبيق الأمير عبد القادر للشريعة الإسلامية بعد تأسيس دولته.

يدعي بعض المؤرخين الفرنسيين أن الجزائري يتعامل بالرّبا بحيث يقترض"الأهلي"ولا يأبه بالعواقب ويقوم بتأجيل تسديد الدين مما يجعل المرابي يفرض شروطه عليه ويصبح تحت رحمته، فيصل إلى درجة الإفلاس بسبب عجزه عن تسديد الدين لارتفاع نسبة الفائدة، ويزعم جوزيف لوكوك بأن القبائل من التجار وبني ميزاب كانوا ينافسون اليهود في التعاملات الرّبوية الناتجة عن القروض[11]. غير أن هذه الأقوال تبقى عارية من الصحة نتيجة عدم وجود وثائق تدل على صحتها وهو ما يؤكد عليه شارل روبير أجيرون[12]، كما أنه إذا افترضنا وجود هذه المعاملات فيعود ذلك إلى الوضعية الاجتماعية السيئة التي كان يعاني منها الجزائريون بسبب تسلط السلطات الاستعمارية وتحكمها في كل مناحي الحياة، مما يجعلهم يلجأون إلى القروض الرّبوية نظرا لحالة البؤس والفقر وفي كثير من الأحيان لا يؤدون ما عليهم من ديون وفوائدها بسبب العجز عن الدفع ورفضهم لهذه المعاملات المحرمة في الشريعة الإسلامية.

لقد وقف الإمبراطور نابليون الثالث بنفسه على هذه المأساة الاجتماعية التي أصبح يعاني منها الجزائريون، حيث يذكر جول دوفال (Jules Duval): « لقد أظهر السكان الأصليون للإمبراطور مدى حالة البؤس التي كانوا يعيشونها وذلك بالتجمع حول سيارته حيث بدأ موكبه يلقي حفنات من النقود الذهبية والفضية ... وهي من العادات العربية القديمة، وهو دليل على التدهور المادي والأخلاقي الذي وصلوا إليه، فالصورة التي رآها الإمبراطور لم يكن يتصورها بهذه الحدة...»[13]، ويبدو أن شاهد العيان يريد أن يقنعنا بأن العرب والمسلمين كانوا يمتهنون كرامة الفقراء والمساكين عندما شبّه حالة هؤلاء البؤساء بما كان يفعله الخلفاء والأمراء في السابق، لكن هذا القياس لا يمكن أن يعتدّ به على الغالب خاصة وأن فعل الخلفاء كان يخص الأشخاص الذين يقومون بمدح سيرتهم وأفعالهم تجاه الرعية وخاصة الشعراء.

وقد أرجع الإمبراطور نابليون الثالث هذه الحالة إلى:

- الرسوم القضائية الباهضة التي كان يدفعها الجزائريون.
- ارتفاع ثمن كراء العقارات المختلفة.
- الضرائب المرتفعة.
- عمليات نزع الملكية وانخفاض مساحة الأراضي الصالحة للزراعة والمراعي.
- الرّبا الفاحش الذي ازداد بشكل رهيب خلال هذه الفترة[14].

يقول الصحفي الفرنسي المعروف باسم جون البليدي (Jean de Blida) : «إن البؤس الذي تعاني منه الجزائر ليس سببه انعدام الأمن والاستقرار مهما كان هذا الأخير خطيرا ويؤدي إلى كوارث فضيعة وحتى قسوة القوانين الفرنسية على "الأهالي" تؤثر مثلما تؤثر فيهم الرّبا... »[15]، قد نتفق معه فيما ذكره، لكن بؤس الجزائريين سببه سياسات الإدارة الاستعمارية الفرنسية التسلطية والقمعية بواسطة قوانينها الظالمة، بالإضافة إلى التعاملات المالية القاسية ومنها الرّبا التي شجعتها الإدارة الاستعمارية بشكل كبير منذ بداية الاحتلال وبالتالي فكل الإجراءات التي فرضت على الجزائريين من هذه الإدارة الجديدة أدت إلى حالة البؤس والفقر ثم المجاعة التي انتشرت في أوساطهم بشكل رهيب غايتها من ذلك إخضاعهم وقتل روح المقاومة في نفوسهم وجعلهم أداة طيّعة في خدمة "السيد الجديد" ولتثبيت مشاريعه في الجزائر . والرّبا هو أحد أدوات ووسائل هذه الإدارة وجزء من سياستها في الجزائر كانت له آثار سلبية اقتصادية واجتماعية وحتى أخلاقية، حيث ينتهي بالجزائري في نهاية المطاف إلى بيع أرضه بأبخس الأثمان أو انتزاعها منه بقوة القوانين الفرنسية فيصبح أجيرا أو خمّاساً عند المالك الجديد لأرضه.

لقد انتشر البؤس بشكل رهيب في المجتمع الجزائري ويعود بالأساس إلى الطرق المعتمدة في مختلف المعاملات الاقتصادية والمالية على الخصوص المستمدة من القوانين الفرنسية والتعاملات اليهودية، خاصة وأن الجزائريين لم تكن لهم وسائل لاستثمار أموالهم نظرا لاشتغال معظمهم في القطاع الفلاحي .وبسبب الوضعية الاجتماعية والاقتصادية البائسة للأهالي" أصبح اللجوء إلى الاقتراض بدون تروي والذي تزايد بشكل كبير.ويؤكد الجنرال مارتيمبراي"Martimpry" أن مسؤولية الاحتلال الفرنسي في تطور الاقتراض الرّبوي حقيقة لاجدال فيها وقد بين ذلك بأن الحاجة إلى الاقتراض من أجل تسديد الضرائب أو لتلبية الضروريات اليومية[16].

لقد كانت الضرائب وسيلة أساسية استخدمتها الإدارة الاستعمارية لإضعاف المجتمع الجزائري، وهو ما أدى إلى إحداث اختلالات على طرق التعامل وأُفقر الشعب الجزائري خاصة بعد 1850 عندما فرض الاستعمار إجبارية تسديد الضرائب نقدا ، مما جعل الاحتياطات النقدية لدى الجزائريين تظهر وتتحرك، هذا الإجراء أجبر الجزائريين وخاصة الفلاحين منهم على اللجوء إلى مدخراتهم السابقة التي كانت تمثل عنصر ضمان لمواجهة السنوات الصعبة، وهو ما كانت الإدارة تتوجس منه باستغلال الجزائريين لهذه المدخرات في شراء الأسلحة والذخيرة واستخدامها في الثورة عليها[17].

نوع الضريبة	المبلغ
الحكور	477.777
الزكاة	2.516.118
العشور	2.074.086
اللزمة	947.929
الضريبة على الرؤوس	1.302.043
المجموع	7.317.953

مجمل المداخيل الاستعمارية الفرنسية من الضرائب المختلفة سنة 1898[18].

وتعد الزكاة الضريبة الأكثر مداخيلا للسلطات الاستعمارية والتي وضعتها تحت سيطرتها رغم علاقتها بالشريعة الإسلامية، نظرا لما تدره عليها من أموال طائلة، ما يبين أن الاستعمار الفرنسي لم تكن تهمه الشريعة الإسلامية في حد ذاتها بل كيفية الحصول على الأموال والاستحواذ على ممتلكات الجزائريين

لبناء الحركة الاستيطانية وتوطيد أركانها في الجزائر. وقد بلغ مجموع ما دفعه الجزائريون من ضريبة الزكاة 5.551.550 ف.ف سنة 1896 وارتفع المبلغ إلى 5.689.932 ف.ف سنة 1897[19].

لقد استفحل الرّبا خاصة وأن البؤس فرض نفسه كواقع معيش، فأصبح التعامل بالقروض الرّبوية ضرورة لا مناص منها، ومن المعلوم أن الرّبا عند الجزائريين أخذ أشكالاً متعددة، حيث تصل النسب المئوية السنوية إلى مبالغ مرتفعة تتراوح بين25% و50% وقد تفوق ذلك لتصل إلى 100% أو أكثر[20] سواءً كان المقرض يهودي أو أوروبي أو حتى مسلم في بعض الأحيان، حيث تحدد الفائدة حسب المدة فتتراوح بين 25و40% إذا كانت المدة المتفق عليها ثلاثة أشهر وبين 100و160% إذا كانت سنة [21] وهذا ما يفسر عدم وجود وسائل مراقبة لهذه الفوائد وخاصة البنوك، فيدخل الجزائري في دائرة الإفلاس ويجعله تحت سيطرة المرابي اليهودي. وبالرغم من المقت الشديد الذي يكنه الجزائريون لليهود، بسبب الطرق الملتوية التي يتعاملون بها وكذا لمسؤوليتهم الكبيرة في الاحتلال الفرنسي للجزائر ثم حصولهم على الجنسية الفرنسية بموجب مرسوم كريميو 24-10-1870، إلا أن الحاجة إلى الأموال جعلتهم يلجأون إليهم. فالرّبا اليهودي بلغ حجماً خيالياً في تعاملاتهم مع الجزائريين وهو ما يؤكده إدوارد دريمون من خلال حادثة وقعت في شهر نوفمبر 1861 في دوارين من قبيلة جبالة (أغاليك مستغانم)، فبسبب الجفاف لجأ أعيان هاذين الدوارين وعلى رأسهم"القائد"إلى يهودي من مستغانم، هذا الأخير قبل أن يعطيهم الشعير بثمن مرتفع يقدر ب 36 فرنك فرنسي للقنطار، هذا المبلغ يجب تسديده في الحصاد المقبل عينا لا نقدا بثمن السوق، لكن في شهر أوت 1862 الشعير كان يقد ب 7 فرنك فرنسي لذا اضطر "أهالي" الجبالة أن يسددوا ستة قناطير مقابل قنطار واحد، وهذا يعني أن القرض يقدر بـ 600%[22].

هناك مسألة أخرى قد يغفل البعض عنها وهي جهل معظم"الأهالي"بعواقب السقوط في مخالب المرابيين بما أن الإدارة الاستعمارية عمدت منذ البداية إلى تطبيق سياسة التجهيل في نطاق واسع من المجتمع الجزائري، والسيطرة على الشؤون الإسلامية من وقف، وزكاة، وعشور، مما جعل"الأهالي" يسقطون في فخ الرّبا دون التفكير في عواقب ذلك بسبب الحاجة، وهذا بالإمضاء على أي وثيقة دون معرفة شروط الاستدانة وأثارها، فنسبة القرض كانت مرتفعة جدا تستخلص من المحصول السنوي للفلاحين الجزائريين على أساس مساحة الأرض التي يقوم بمسحها الطبوغرافي، والذي يتحصل بدوره مع كاتب العقود على نسبة تتراوح بين 20% و30% من مبلغ السند، ويتجدد العقد كل ثلاثة أشهر، وترتفع العمولة والفوائد على كل محصول سنوي، بحيث يجبر المدين على دفع خمسة أكياس من القمح مقابل كل 100 فرنك من السند وهو ما يعادل 25% فائدة مما يجعل المحصول في نهاية المطاف في يد الدائن، وفي النهاية يستولي هذا الأخير على أرضه بسبب عجزه عن التسديد، مما يؤدي به كأجير عند الدائن. وفي كثير من الأحيان يلجأ المرابي إلى المحاكم لاسترداد أمواله، ونضرب مثال على ذلك ما حدث سنة1891 حيث حكمت محكمة تلمسان في قضية استدانة بين" أهليين" وبنكيين فرنسيين هذه القضية يمكن اعتبارها كنموذج للممارسات الرّبوية في الجزائر. ومادام معظم المرابيين من اليهود وبعض المستوطنين الذين لا يفقهون العمل في الزراعة يقومون ببيع الأراضي المصادرة بسبب الرّبا الفاحش إلى الإدارة الاستعمارية الممثلة في الحكومة العامة[23]، وهو ما يؤكد على أن اليهود لم يكونوا وحدهم فقط من يمارس الرّبا بل حتى الملاك من المستوطنين وحتى المتدينين الكاثوليك إذ أن العديد منهم أصبح ثريا بفعل تعاملاته الرّبوية. يقول أحد شهود العيان:« أعرف رجلا "صالحا" في الجزائر العاصمة وصل إلى المستعمرة بدون ثروة ... نجح بفضل الرّبا إلى تحقيق دخل قدره 80.000ألف فرنك، إنّه متدين للغاية حيث تجد في الطاولة الخاصة به

الكتاب المقدس بجانب النظارات، كل صباح يذهب لحضور القداس بالكاتدرائية...»[24]، كما مارس المسؤولون والإداريون الفرنسيون عمليات الرّبا بشكل علني وبنسب تصل إلى 40%، حيث يذكر جون البليدي : «... أعرف قرية في ضواحي الجزائر العاصمة ثلث أعضاء مجلسها البلدي أصبحوا أثرياء بفعل الرّبا الذي كانوا يتهمون اليهود فقط بالتعامل به... »[25]، وهذا دليل على تواطؤ الإدارة الاستعمارية مع المرابيين والتي تقوم بإنشاء مستوطنات عليها لإسكان المهجرين الأوروبيين إلى الجزائر كما حدث في تلمسان[26] وفي جميع المناطق ذات الأراضي الخصبة في شمال الجزائر، فبسبب مأساة الرّبا الفاحش تم تهجير العديد من الجزائريين بعد تجريدهم من أراضيهم إلى الجبال والتلال والوديان وفي المناطق المحاذية لأراضيهم التي استولى عليها المرابون فتجدهم يقيمون في مساكن هشة غير صالحة تعرف "بالقربي" ويزرعون بعض الأراضي غير الصالحة في أغلبها ، هؤلاء البؤساء الذين خربت الرّبا حياتهم هم العرب أصحاب الأرض التي استولى عليها المرابون، حيث شبههم جون البليدي بقوله: «... هؤلاء الضحايا مثل الذباب العالق في بيت العنكبوت لا أحد يعيره اهتماما، سيظل يتألم في صمت ولن يهتم به أي أحد... »[27]

لقد انخفض مستوى معيشة الجزائريين إلى درجة لا تطاق، فأصبحوا في حالة يأس وبؤس يفكرون في الهجرة والابتعاد عن بلادهم التي أصبح فيها اليهودي والمستوطن الأوروبي أسياداً بتواطؤ من الإدارة الاستعمارية[28]. فظاهرة الرّبا التي مصّت دماء الجزائريين الذين سقطوا في مخالب المرابيين اليهود وغيرهم والذين يجنون ثروات طائلة على أنقاض الآخرين[29] الذين وصفهم الاستعمار بالأطفال الكبار بسبب تعاملاتهم الرّبوية ووقوعهم بسهولة تحت سطوة المرابين نظرا لحاجتهم للزرع وكذا ضروريات الحياة البسيطة كالمأوى والأكل واللباس وفي أغلب الأحيان يجهلون طرق هذه القروض ولا يكترثون بالفوائد الرّبوية[30].

تضاعفت التعاملات الرّبوية بشكل كبير مع حلول الأزمات والمصائب خاصة في نهاية الستينات من القرن التاسع عشر مما أدى إلى نفاذ مدخراتهم المالية[31]، وقد أرجع العنتري أسباب هذه الأزمة إلى:

- حدوث الجوائح التي نزلت بالزرع والنباتات وأتلفتها.
- انتشار مرض "الرهمة" التي أهلكت المواشي سنة 1867 لقلة العلف والتبن في فصل الشتاء.
- زحف الجراد على البلاد سنة 1868، وما أحدثه من تلف بالزروع والأشجار والنباتات، وقد أدى ذلك إلى آثار وخيمة على السكان منها:
  - انعدام الحبوب في الأسواق.
  - موت المواشي.
  - ارتفاع أسعار الحبوب ارتفاعا كبيرا طيلة ثلاث سنوات.
  - انتشار وباء الكوليرا والتيفيس وغيرها من الأمراض الفتاكة.
  - ضياع الأملاك والثروات التي تركت أصحابها السابقين فقراء[32].

بيّنت هذه الأزمة الدور الكبير الذي كانت تؤديه مخازن الاحتياط المعروفة بالمطامير، وما يبذله أصحابه من تبرعات طوعية وفقا لتعاليم الشريعة الإسلامية[33]، ما يؤكد أن استيلاء الإدارة الاستعمارية عليها وجعلها في خدمة جنود الاحتلال خلال عمليات التوسع العسكري داخل الجزائر قد أحدث خلخلة كبيرة في أوساط المجتمع الجزائري، وأدى إلى توسع المجاعة وانتشارها بشكل رهيب خلال هذه الفترة.

استفحلت ظاهرة الرّبا بشكل رهيب من طرف اليهود الذين استغلوا مجاعة 1868-1869 لتنمية ثرواتهم وأرباحهم عن طريق القروض التي كانوا يمنحونها للمنكوبين بفوائد مرتفعة جدا قد تصل إلى

140% لمدة شهرين أو ثلاثة فقط، مما جعل الكثير من الجزائريين يفقدون أملاكهم ويتحولون إلى عمال أجراء أو خمّاسين، وهو ما أكده العنتري بقوله: «إذا تأملت ذلك وجدت كثيرا من الأملاك قد خرجت من يد أهلها تحت تأثير العقود الرّبوية التي عقدوها مع المرابين، وبدافع الحاجات القاهرة التي لم يكونوا قادرين على التخلص منها إلا بالاقتراض»[34]. لقد وقع "الأهالي" في فخ الرّبا الذي نُصب لهم بسبب هذه الأزمة الشديدة وهم الذين اعتادوا على المعاملات عن طريق التبادل ولم يكونوا يتعاملون بشكل كبير بالنقود إلا للضرورة القصوى وذلك ببيع حبوبهم لدفع الضريبة[35]. وقد نبّه إلى ذلك أحد الأوروبيين بوهران في رسالة وجهها إلى نابليون الثالث في 1865/05/15 حول هذه المأساة قائلا: «... وأحيط جلالتكم علما أن الشعب "الأهلي" بعمالة وهران يدفع لصالح اليهود ربا يساوي أربعة أضعاف ما يدفعونه لفرنسا بعنوان الضرائب »[36]، وهو ما يوضح أن الإدارة الاستعمارية أصبحت تتحين الفرص لتقنين عمليات الرّبا وجعلها تابعة لسلطتها بهدف قطع الطريق أمام اليهود وباقي المرابين وتقليم أظافرهم ليس حبا في الجزائريين أو من أجل إنقاذهم من مخالب هؤلاء بل من أجل جعل هذه الأموال تحت رقابتها المباشرة، ويبدو أن الإدارة الاستعمارية قد استغلت تظلمات العديد من الجزائريين في عهد نابليون الثالث لمواصلة إصدار القوانين المنظمة لعمليات الربا في الجزائر وجعلها تابعة للسلطة الاستعمارية، حيث لفت الجنرال مونتودون (Montandon) انتباه الحاكم العام شانزي (Chanzy) في سنة 1878 إلى الخراب الذي أحدثته الرّبا في أوساط الجزائريين ، وكتب يقول: « يدفع سكان بعض المناطق الجزائرية لليهود فوائد ربوية تصل إلى أربعة أضعاف أو أكثر، ثم وصف البؤس الذي كان عليه الفلاحون والقادة أنفسهم مقارنة بالثراء الفاحش الذي حققه المرابون»، مما نتج عنه زوال الطبقة المتوسطة في مختلف القبائل بفعل الرّبا الفاحش[37]، هذه المسألة كان قد أكد عليها العنتري حيث لاحظ أن جميع ملاكي العقارات والأراضي الفلاحية أصبحوا في سنة 1870 مدينين متضايقين من مصير أملاكهم نتيجة عمليات الرّبا المتواصلة[38]، وبسبب الانتشار الكبير للرّبا صادر اليهود العديد من المستوطنات وأملاك الجزائريين في منطقة الساحل والهضاب العليا[39].

لقد توسع نطاق التعامل بالرّبا بشكل كبير وهو ما يؤكده جوزيف لوكوك بقوله: «الرّبا في الجزائر يتعامل به بكل الأشكال، الرهن، البيع بالقرض، الاقتراض من أجل شراء البذور أو الحصول على سلع...»[40]. وفي الحقيقة لم تكن تلك القروض إلا سرقة مقننة خاصة بعد تطبيق السلطات الاستعمارية العديد من الإجراءات المالية لتقنيين الرّبا، غير أن نسب الفائدة بقيت على حالها وربما ارتفعت أكثر لعدم وجود إرادة صارمة لمحاربتها، ومراقبتها للتقليل من أخطارها.

4- الإدارة الاستعمارية وتقنيين الرّبا في الجزائر:

حاولت الإدارة الاستعمارية في الجزائر تطبيق القوانين الفرنسية من أجل تقنيين الرّبا ومراقبة القروض الرّبوية، وفرضها على الجزائريين والأوروبيين على حد سواء بعد أن استفحل أمرها. حيث أكدت على ضرورة التطبيق الصارم لهذه القوانين لمكافحة الرّبا باعتباره أحد المآسي التي علقت بالمستوطنة[41]، فبدلا من القضاء عليها للسماح للجزائريين بتجاوز أزماتهم المالية، والاقتصادية، والاجتماعية، ادعت الإدارة الاستعمارية بأن هذه الإجراءات ماهي إلا بغرض رفع الغبن عن الأهالي"خاصة وأن فرنسا على رأي بعض غلاة الاستعمار كان لديها قوانين صارمة ضد الرّبا منذ القديم، وكأن الفوائد الرّبوية تقاس حسب نسبتها، فإذا كانت مرتفعة وغير مراقبة أو مقننة – أي يعمل بها خارج القانون- تعتبر ربا، وإن كانت بسيطة وفي إطار القانون الفرنسي فلا تعتبر ربا، بالرغم من أن الإسلام يحرم الرّبا قليله أو كثيره، لكن حقيقة الأمر غير ذلك فهذه القوانين كانت بهدف إخضاع باقي الممتلكات الفردية التي لا تزال تحت سلطة الجزائريين

للقوانين الفرنسية، والتي ينبغي أن تمتد لتشمل جميع الممتلكات الريفية البعيدة عن مراقبتها وسيطرتها، لقد أرادت الإدارة الاستعمارية وضع أكثر من 60 مليون هكتار تحت سلطتها المباشرة[42].

كان موضوع الرّبا موضع اهتمام الإدارة الاستعمارية من خلال مجموعة من المراسيم والقرارات منها:

- المرسوم الملكي الصادر بتاريخ 07-12-1835 ينظم الاتفاقية الخاصة بالأحزاب حول قانون القرض بالفائدة، حيث ينص في مادته الثانية على أن الفائدة المشروعة لا تتعدى 10% في التعاملات المدنية والاقتصادية.
- القرار التنفيذي الصادر بتاريخ 04-11-1848 يقرر أن الفائدة المتفق عليها لا تتعدى 10%.
- قرار جديد بتاريخ 11-11-1848 يلغي سابقه، ويفعل المرسوم الملكي لسنة 1835، إلى غاية صدور قانون 27-08-1881 الذي حدد نسبة الفائدة ب 06% لكنه لا يضبط الاتفاقيات الحرة. [43]
- المرسوم الصادر في 1898/01/29 المتعلق بتحديد نسبة الفائدة وقمع الرّبا في الجزائر الذي ينص على أن نسبة الفائدة يجب أن لا تتجاوز 10%، وأي ممارسة مخالفة لنص هذه المادة تعتبر ربا.[44]
- قانون 13-04-1898 جاء لتطبيق تعليمات القانون الفرنسي فيما يخص القروض الرّبوية في الجزائر، حيث يحدد في مادته 61 أن الفائدة المتفق عليها في الجزائر لا تتجاوز 08% في الجانب المدني والاقتصادي، أما الفائدة المشروعة في الشق المدني والاقتصادي المحددة ب 06% بموجب قانون 27-08-1881 فقد خفضت إلى 05%. [45]

أصبحت مسألة الرّبا قضية أساسية ومحورية لدى سلطات الاحتلال الفرنسي التي ابتغت من القوانين التي استصدرتها وضع قبضتها على القروض، وإخراجها من دائرة سلطة المرابين حتى تستفيد من المداخيل المالية المترتبة عنها بشكل مباشر هذا من جهة ، ومن جهة أخرى الاستيلاء على كل الأراضي الجيدة التي لا يستطيع أصحابها رد القروض والفوائد المترتبة عنها، وجعلها في خدمة الاستيطان والمستوطنة الناشئة ، حيث تحول الجزائريون إلى عمال أجراء أو خمّاسين يعانون من البؤس الذي ادّعت الإدارة الاستعمارية أنها تريد إخراجهم منها بعد تقنينها لعمليات الرّبا.

5- فشل الإدارة الاستعمارية في التحكم في الرّبا:

أدت هذه السياسة إلى زيادة أعمال ونشاطات المرابين الوسطاء بين الإدارة الاستعمارية والمقترضين وخاصة القيّاد ومسؤولي المكاتب العربية من الضباط والإداريين، فكل جزائري يريد الحصول على قرض عليه أن يدفع 5 أو 10 أو 20 ف.ف أو أكثر إلى هؤلاء[46]، حتى يحصل على قرض يلبي احتياجاته الاجتماعية والاقتصادية وهو قرض قصير المدى لا يتجاوز ثلاثة أشهر وفي بعض الأحيان يصل إلى سنة، مما يؤدي به إلى الفقر والبؤس أكثر مما كان عليه.

لقد هلّلت الإدارة الاستعمارية لهذه القوانين وادعت أنها جاءت لوضع حدٍ لسطوة المرابين وحماية المستدينين، وذلك بتطبيق عقوبات على المرابين وفق القوانين الفرنسية في حالة تجاوزهم نسب الفائدة المتفق عليها.

وبالرغم من صدور هذه القوانين إلا أن عمليات الرّبا تواصلت أكثر من أي وقت مضى نظرا لعدم وجود وسائل لمراقبتها وإجراءات صارمة لقمع المتعاملين بها، ناهيك عن الصعوبة التي يجدها الجزائري في الحصول على قرض من المؤسسات البنكية وهو ما يجعله يلجأ مضطراً إلى المرابي، وقد تهكّم أحد الفرنسيين من هذه المراسيم المنظمة للرّبا بقوله: «... يزعمون أن العلاج الوحيد لهذا الشّر سيكون في تطبيق

المرسوم الخاص بمعدل الفائدة... الأمر أكثر تعقيدا من ذلك، يبدو أن مقدمي هذه النصائح يشبهون كثيرا الطبيب الذي ينصح الفقير البائس بأكل اللحوم المشوية مع الشراب الأحمر...»[47].

تواصل تخريب ما بقي قائما لدى الفلاح الجزائري من إمكانيات بواسطة الرّبا رغم صدور القوانين المسيرة لها وهي السياسة التي أدت إلى إفلاس سكان الريف الذي جرّدوا من أملاكهم، فانخفضت المساحة الزراعية التي كانت تحت سيطرتهم من 8.188.410 هكتار سنة 1883 إلى 5.791.255 هكتار سنة 1903، وانخفض إنتاجه من الحبوب خاصة القمح الذي كان يمثل 80% من الإنتاج عام 1860 إلى 72% سنة 1900، وتقلصت المساحة المخصصة لزراعة الحبوب بسبب السياسة الزراعية التي اعتمدها المستوطنون القائمة على التصدير[48].

خاتمة:

شكّلت الأرض محور الصراع الأساس بين الإدارة الاستعمارية الفرنسية والشعب الجزائري منذ اليوم الأول للاحتلال ومادام الاستعمار قد ركز كل جهوده في اغتصابها وانتزاع ملكيتها من أصحاب الحق لتوطين العنصر الأوروبي فيها ومنحه كل الإمكانيات لاستغلالها والاستفادة من خيراتها، فقد استخدم كل الوسائل للحصول عليها سواء عن طريق إصدار قوانين نزع الملكية أو إرهاق أصحابها بالضرائب الباهضة وإذلال الجزائريين بواسطة تشجيع المعاملات الرّبوية لإغراقهم في الديون والفوائد المترتبة عليها والتي أصبحت تمارس على نطاق واسع من طرف اليهود والأوروبيين وأعوانهم فأصبح الجزائري رهين لهؤلاء المرابين الذين تمكنوا من السيطرة على الأراضي بسهولة لعجز أصحابها على رد القروض وفوائدها الرّبوية.

بينت هذه الدراسة أن:

- الرّبا هو أحد الوسائل التي استخدمتها الإدارة الاستعمارية الفرنسية للتحكم في الجزائريين واغتصاب أراضيهم وإذلالهم.
- تفاقم الوضعية الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر وانهيارها بسبب استفحال ظاهرة الرّبا.
- تقلص ممتلكات الجزائريين وتراجعها بشكل كبير لصالح الطغمة الجديدة التي طوقت رقابهم وتحكمت في أرزاقهم.
- انتشار الفقر والبؤس والمجاعة التي حصدت مئات الآلاف من الجزائريين.
- تحول معظم الجزائريين إلى عمال أجراء وخماسيين لدى الملاك الجدد لأراضيهم.
- تأثر نفسية الجزائريين بسبب هذا الوباء الذي استشرى في أوساطهم وطوق رقابهم وجعلهم رهينة لدى المستوطنين.
- تكوين المستوطنين واليهود لثروات طائلة بفعل عمليات الرّبا.
- تحالف المستوطنين مع اليهود من أجل التحكم في المستوطنة الناشئة بعد انهزام فرنسا في حربها ضد بروسيا سنة 1870 وتطبيق النظام المدني في الجزائر وحصول اليهود على الجنسية الفرنسية بموجب قانون كريميو 1870/10/24فتمكنوا من السيطرة على الجزائر واستقلوا بها ماليا مع بداية القرن العشرين.
- توظيف اليهود أموال الرّبا في تمويل نشاطات الحركة الصهيونية العالمية لشراء الأراضي في فلسطين وتشجيع الهجرة اليهودية إليها تحقيقا لحلم إقامة وطن قومي لهم في فلسطين.
- زيادة الوعي الوطني الجزائري بخطورة الاستعمار وسياسته المطبقة في الجزائر.

تبقى هذه الدراسة قابلة للنقاش والتحليل ومفتوحة للبحث لأن الإدارة الاستعمارية في هذا المجال ظلت تحاول الضغط على الشعب الجزائري بكل الوسائل تطبيقا لاستراتيجيتها منذ بداية الاحتلال لإذلال الشعب الجزائري وجعله أداة طيعة في خدمة مصالحها.

قائمة المصادر والمراجع:

باللغة العربية:

القرآن الكريم

1. ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مادة ربا، ج18.
2. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1993م.
3. شارل روبير أجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا (1871-1919)، تر: م.حاج مسعود، أ.بكلي ، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ج1، 2005.
4. صالح العنتري (ت:1870م)، مجاعات قسنطينة، تحقيق وتقديم رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
5. كريم ولد النبية، الجزائريون والإدارة المحلية الاستعمارية في عمالة وهران1866-1947، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة سيدي بلعباس، السنة الجامعية، 2005-2006.
6. كمال الدين بن الهمام، شرح فتح القدير، دار إحياء التراث، بيروت، ج6.
7. مصطفى البغا، فقه المعاوضات، مطبعة جامعة دمشق، ج2.
8. يحي بوعزيز، المجاعة بالجزائر أواخر عقد الستينات من القرن 19 ومواقف وآراء الجزائريين من ادّعاءات الفرنسيين حول أسبابها، الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، العدد33، ماي 1976.
9. يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

باللغة الأجنبية:

1. A.N.O.M, G.G.A,Organisation du crédit Agricole indigène.
2. Achard Andrien, Guerre à l'usure, L'impercial, 5ème Année, N°224, 30/12/1894.
3. Ahmed Henni, La Colonisation Agraire et le sous Développement en Algérie, S.N.D.D, Algie, 1982.
4. Bonzon Lucien, Du Rigime Fiscal en Algérie, Ses conséquence sur la situation et le développement de cette colonie, Librairie Nouvelle de droit et de jurisprudence, Paris, France, 1899.
5. Bulletin Officiel de ministère de l'intérieur française.
6. Charles Robert Agéron , Les Algerins Musulmans et la France (1871-1919), Presses Universitaires de France , 108, boulevard Saint-Germain, Paris, France, T2, 1968.
7. De Samie Emlle, Sociétés indigènes de prévoyance, l'indépendant de Mascara, 9ème Année, N°838, 26/06/1892.
8. Duval Jules, Réflexions Sur La Politique De L'empereur En Algérie, Chalamel Aine, Librairie, Editeur commissionnaire pour L'Algérie et Létranger, Paris, France, Janvier 1866.
9. Edouard Drument, La France Juive, Essai d'histoire contemporaine, Quarante Troisième Edition, C.Marponet , Eflammaion Editeurs, Paris, France, T2.

10. Hugonnet Léon, La crise Algérienne et La démocratie, Armand Le chevalier Editeur, Paris, France, 1868.
11. Jean De Blida, Les Usuriers, La Tafna, 2ème Année, N°563, 18/04/1894.
12. Joseph Lecoq , Les Sociétés Indigènes de Prévoyance de Secours et de Prêt Mutuels Des Communes D'Algérie, A.Pedone Editeur, Paris, France, 1903.
13. L, L'usure en Algérie, Le Nouveau Progrès de l'Algérie, 2ème Année, N° 142, 25/06/1891.
14. La Revue de statistique Recueil Hebdomadaire de document Economique, Commerciaux, Industriels, Agricoles, Administration et Financière, 1er Année , N°20, Paris, France, 18/09/1898.
15. Maurice Maris,Le crédit Agricole Coopératif organise au profit des indigènes d'Algérie, Revue des études coopératives,problèmes d'Economie Nationale et Internationale,Questions Sociales,73ème Année,N°11, Imprimerie Des Presses Universitaire de France, Paris,France.
16. Mirante Jean, La France et les œuvres indigènes Algérie, cahier des centenaires de l'Algérie, Imprimerie Apiglet, 8, Cie Orléons.
17. Rédacteur en chefs, Correspondance, La venir de bougie, 2ème Année, N°115, 19/06/1886.
18. Rédacteurs en Chefs, Réponse au questionnaire de la commission d'étude des questions Algérienne, La liberté de bone, 4ème Anné N°435, 29/08/1891.

الهوامش:

[1]- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مادة ربا، ج18، ص1572.

[2]- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1993م، ص1659.

[3]- كمال الدين بن الهمام، شرح فتح القدير، دار إحياء التراث، بيروت، ج6، ص ص 146-150.

[4]- مصطفى البغا، فقه المعاوضات، مطبعة جامعة دمشق، ج2، ص ص15- 19.

[5]- Mirante Jean, La France et les œuvres indigènes Algérie, cahier des centenaires de l'Algérie, Imprimerie Apiglet, 8, Cie Orléons, p24.

[6]- Ibid, p24.

[7]- Hugonnet Léon, La crise Algérienne et la démocratie, armand, Le chevalier éditeur, Paris, France, 1868, p22.

[8]- Jean De Blida, Les Usuriers, La Tafna, 2ème Année, N°563, 18/04/1894, p01.

[9]- Joseph Lecoq, Les Sociétés Indigènes de Prévoyance de Secours et de Prêt Mutuels Des Communes D'Algérie, A.Pedone Editeur, Paris, France, 1903, pp9-10.

[10]- Rédacteurs en Chefs, Réponse au questionnaire de la commission d'étude des questions Algérienne, La liberté de bone, 4ème Anné N°435, 29/08/1891.

[11]- Ibid, pp9-10.

[12]- Charles Robert Agéron, Les Algerins Musulmans et la France (1871-1919), T2, Presses Universitaires de France, 108, boulevard Saint-Germain, Paris, France, 1968, p865.

[13]- Duval Jules, Réflexions Sur La Politique De L'empereur En Algérie, Chalamel Aine, Librairie, Editeur commissionnaire pour L'Algérie et Létranger, Paris, France, Janvier 1866, p48.
[14]- Ibid, p59.
[15]- Jean De Blida, Les Usuriers, La Tafna, p01.
[16]- Charles Robert Agéron , Les Algerins Musulmans et la France (1871-1919), T2, pp370-371.
[17]- Ahmed Henni, La Colonisation Agraire et le sous Développement en Algérie, S.N.D.D, Algie, 1982, p94.
[18]- La Revue de statistique Recueil Hebdomadaire de document Economique, Commerciaux, Industriels, Agricoles, Administration et Financière, 1er Année, N°20, Paris, France, 18/09/1898, p460.
[19]- Bonzon Lucien, Du Rigime Fiscal en Algérie, Ses conséquence sur la situation et le développement de cette colonie, Librairie Nouvelle de droit et de jurisprudence, Paris, France, 1899, p24.
[20]- Charles Robert Agéron, Les Algériens Musulmans et la France (1871-1919), T2, pp370-371.
[21]- A.N.O.M, G.G.A, Organisation du crédit Agricole indigène, p2.
[22]- Edouard Drument, La France Juive, Essai d'histoire contemporaine, T2, Quarante Troisième Edition, C.Marponet , Eflammaion Editeurs, Paris, France, pp13-14.
[23]- Joseph Lecoq, Les Sociétés Indigènes de Prévoyance de Secours et de Prêt Mutuels Des Communes D'Algérie, pp12-14
[24]- Rédacteur en chefs, Correspondance, La venir de bougie, 2ème Année, N°115, 19/06/1886, p2.
[25]- Jean De blida, Les Usuriers, La Tafna, p01.
[26]- Joseph Lecoq, Les Sociétés Indigènes de Prévoyance de Secours et de Prêt Mutuels Des Communes D'Algérie, pp12-14
[27]- Jean De blida, Les Usuriers, La Tafna, p01.
[28]- كريم ولد النبية، الجزائريون والإدارة المحلية الاستعمارية في عمالة وهران1866-1947، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة سيدي بلعباس، السنة الجامعية، 2005-2006، ص212.
[29]- Edouard Drument, La France Juive, Essai d'histoire contemporaine, T2, p13.
[30]- Joseph Lecoq, op-cit, p13.
[31]- Charles Robert Agéron, Les Algériens Musulmans et la France (1871-1919), p371.
[32]- صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، تحقيق وتقديم رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص17.
[33]- Maurice Maris, Le crédit Agricole Coopératif organise au profit des indigènes d'Algérie, Revue des études coopératives, problèmes d'Economie Nationale et Internationale, Questions Sociales, 73ème Année , N°11, Imprimerie Des Presses Universitaire de France , Paris, pp299-300.
[34]- صالح العنتري، المصدر السابق، ص19.
[35]- Hugonnet Léon, La crise Algérienne et La démocratie, Armand Le chevalier Editeur, Paris, France, 1868, pp23-24.

[36]- يحي بوعزيز، المجاعة بالجزائر أواخر عقد الستينات من القرن 19 ومواقف وآراء الجزائريين من ادّعاءات الفرنسيين حول أسبابها، الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، العدد33، ماي 1976، ص13.

[37]- شارل روبير أجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا (1871-1919)، تر: م. حاج مسعود، أ. بكلي، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ج1، 2005، ص998.

[38]- صالح العنتري، المصدر السابق، ص19.

[39]- Achard Andrien, Guerre à l'usure, L'impercial, 5ème Année, N°224, 30/12/1894, p2.

[40]- Joseph Lecoq, op-cit, p18.

[41]- Rédacteurs en Chefs, Réponse au questionnaire de la commission d'étude des questions Algérienne, La liberté de Bone, p02.

[42]- Rédacteurs en Chefs, Réponse au questionnaire de la commission d'étude des questions Algérienne, La liberté de Bone, p02.

[43]- Joseph Lecoq, op-cit, p19.

[44] Bulletin Officiel de ministère de l'intérieur française, p70.

[45] Joseph Lecoq, op-cit, p19.

[46] De Samie Emlle, Sociétés indigènes de prévoyance, l'indépendant de Mascara, 9ème Année, N°838, 26/06/1892, p01.

[47] L, L'usure en Algérie, Le Nouveau Progrès de l'Algérie, 2ème Année, N° 142, 25/06/1891, p1.

[48]- يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص36.

مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 1019 – 1036
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

الحاكم العام الفرنسي في الجزائر الجنرال بيجو وأثر سياسته على الجزائريين 1841-1847

The French Governor General in Algeria, general Bugeaud, and the impact of his policy on the Algerians 1841-1847

بن عمارة زوينة[1] أ.د/ لونيسي إبراهيم
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس
مخبر الجزائر دراسات في التاريخ الثقافة والمجتمع
lounicib@yahoo.fr benamarazouina7@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/01/02 تاريخ القبول: 2021/04/24

الملخص:
جاءت هذه الدراسة لفهم سياسة الاحتلال الشامل التي تبناها الحاكم العام الفرنسي الجنرال بيجو في الجزائر وبيان أثرها على الجزائريين إبان الفترة 1841-1847؛ والتي امتزجت بين سياسة أسلافه وسن قوانين أخرى تبنتها الحكومات الفرنسية التي تعاقبت على حكم الجزائر في مرحلة لاحقة، بحيث كانت تصب في إطار خدمة المصالح الاستعمارية بغية تكريس الهيمنة الفرنسية على الجزائر أرضا وشعبا، وعليه، فقد كان الجزائريون مجرد حقل تجارب لسياسة الاحتلال الشامل التي سلكها الجنرال بيجو ضدهم، والتي فرضت عليهم كواقع ملزم لهم في مختلف الجوانب العسكرية، الإدارية، الاجتماعية، الثقافية والاقتصادية، إذ لم يراعي فيها الأخير تحقيق متطلباهم واحتياجاتهم بقدر ما ركز فقط على إخضاعهم والتحكم بهم.
الكلمات المفتاحية: الجزائر؛ الجزائريين؛ الجنرال بيجو؛ الحاكم العام الفرنسي؛ سياسة.

Abstract:
This study came to understand the comprehensive occupation policy adopted by the French governor general, general Bugeaud in Algeria, and to explain its impact on the Algerians during the period 1841-1847; which was mixed between the policy of his predecessors and the enactment of other laws that were adopted by the French governments that succeeded in ruling Algeria at a later stage, so that it was intended to serve the colonial interests in order to consolidate French hegemony over Algeria, land and people, Accordingly, the Algerians were just a testing ground for the comprehensive occupation policy that general Bugeaud pursued against them, which was imposed on them as a binding reality for them in various military, administrative, social, cultural and economic aspects, the latter did not take into account the fulfillment of their requirements and needs as much as he focused only on subjugating and controlling them.
Key words: Algeria; Algerians; General Bugeaud; French Governor General; Policy.

مقدّمة:

[1]- المرسل المؤلف.

عرفت الجزائر تجربة مريرة مع احتلال شرس منذ سنة 1830، أنكر شرعية وجودها على أرضها، كما انتهج ضدها سياسات تعددت أوجهها؛ من سياسة النفي إلى الإبادة، التجهيل والتنصير وغيرها من السياسات التي شملت مختلف الميادين العسكرية، الإدارية، الاجتماعية، الثقافية والاقتصادية، إذ كانت الغاية من ورائها القضاء على الجزائر أرضا وشعبا، وبناء على ذلك، تعتبر سياسة الاحتلال الشامل التي عُرف بها الجنرال الفرنسي بيجو مثالا واضحا عن ما طُبق على الجزائريين من أشكال القمع والترهيب، والتي بلغت مستويات خطيرة منذ تقلد الأخير منصب الحاكم العام في الجزائر، إذ هدفت إلى تكريس الهيمنة الفرنسية، هذه السياسة التي عبر عنها الجنرال في مذكراته كما جسدها على أرض الواقع، اعتبرت بداية لعهد استعماري جديد كان له تأثيرات عميقة على الجزائريين. ومن هذه المعطيات يتم طرح **الإشكالية** التالية:

هل كان الحاكم العام الفرنسي الجنرال بيجو في الجزائر من خلال سياسته المعروفة بالاحتلال الشامل منفذا لسياسات مرسومة من هرم السلطة في بلاده، أو راسما لسياسات جديدة، أو أنه اعتمد كليهما خلال الفترة 1841-1847؟

تكمن **أهمية اختيار هذا الموضوع** لما يكتسيه من أهمية بالغة، كونه يندرج ضمن سياق التاريخ الوطني الجزائري خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية، والذي كان بداية لعهد استعماري جديد على الجزائريين تمثل في بروز سياسة الاحتلال الشامل للماريشال الفرنسي بيجو، بحيث عمل من خلالها على تجسيد هذه السياسة كواقع ملزم للجزائريين بهدف إخضاعهم والتحكم بهم.

وفيما يتعلق بالمنهج المستعمل في هذا البحث والذي يتناسب مع طبيعة الموضوع فقد تم اعتماد **المنهج التاريخي**، لأنه يعتمد على ربط الحقائق التاريخية المتوفرة وتحليلها لتكوين صورة متكاملة، ثم إن التشخيص الموضوعي للسياسة التي سلكها الجنرال بيجو في الجزائر يقتضي النفاذ لمذكراته بغية فهم الرؤية الحقيقية للسياسة التي تبناها هذا الأخير.

والحقيقة أنه لم يكن هناك **دراسات سابقة** تناولت الموضوع بصيغته الحالية، فضلا عن ذلك كانت مجمل الدراسات مقتصرة على تناول جانب دون آخر؛ من ذلك الدراسة التي قدمها الأستاذ لونيسي ابراهيم بعنوان: الفكرة الاندماجية في الجزائر 1830-1945 بين الطرح الفرنسي والموقف الجزائري بمجلة الرؤية في العدد الثالث والتي يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1854 في الجزائر لسنة 1997، والتي تم الإفادة منها في ما يخص السياسة الاستيطانية، أو ما يخص السياسة الإدارية، لذلك كان من الضروري وضع دراسة شاملة تضم مختلف الجوانب التي ركز عليها الجنرال الفرنسي في تطبيق سياسة الاحتلال الشامل.

وقد جاءت هذه الدراسة لبيان مظاهر وأشكال سياسة الاحتلال الشامل التي اعتمدها الحاكم العام، وإبراز مدى تأثيرها العميق على الجزائريين، والتي طبقتها الحكومات الفرنسية التي تعاقبت على حكم الجزائر، فمحاولة فهم هذه السياسة يساعد على فهم سلوكيات المستعمر ضمن سياقها التاريخي، كسند تاريخي يستعان به في تحديد العلاقة به اليوم، ثم إن التشخيص الموضوعي لسياسة الجنرال يقتضي النفاذ لمذكراته بغية فهم أهدافه الحقيقية من تطبيقه لها.

إن الدراس لهذه القضية يلاحظ أن سياسة الاحتلال الشامل التي انتهجها الماريشال بيجو أثناء توليه منصب الحاكم العام في الجزائر اتخذت أشكالا متباينة، سيتم بيان أبرز مظاهرها.

السياسة العسكرية:

قام الجنرال بيجو[1] بالعديد من الحملات العسكرية الهادفة لفرض السيطرة الفرنسية على كامل التراب الجزائري، معتمدا في ذلك على جيش يتراوح ما بين 75 إلى 80 ألف رجل[2]، وكان على يقين بأنه لن يحقق ذلك إلا بالقضاء على المقاومة الشديدة التي قادها ضده الأمير عبد القادر، هذا الأخير الذي أرسل رسالة إلى الماريشال بيجو يقول فيها: (ما الذي دفع بفرنسا التي تقول عن نفسها إنها أمة قوية ومسالمة، أن تأتي إلى بلادنا وتعلن الحرب علينا؟ أليس لديها ما يكفيها من الأراضي؟ إنها ستمضي ونتراجع، ولكنها بدورها ستضطر إلى التراجع، وعندئذ سنعود)[3]. إلا أن الأحداث اللاحقة بينت توجه ميزان القوى بجانب قوات العدو الذي استطاع السيطرة على مختلف مراكز قوة الأمير، من جانب آخر، كانت سلطات الاحتلال ترغب في تجنيد الجزائريين في صفوفها بهدف إدماجهم التدريجي ضمن قواتها وهذا ما سار عليه الجنرال بيجو، فبصدور مرسوم 7 ديسمبر 1841 نُظم على أساس جديد هذه القوات، بحيث تقرر إنشاء ثلاث كتائب من الأهالي في كل محافظة من المحافظات الثلاث، ثم تطور الأمر مع المرسوم الملكي في 21 جويلية 1845 الذي نص على إجبار جميع الجزائريين على التجنيد لمدة 3 سنوات مع إعادة ارتباط اختيارية لمدة سنتين[4]، وهذا يعني أن قيام سلطات الاحتلال بهذا الإجراء يكفل لها إدماج الجزائريين في صفوفها لكي يسهل عليها التحكم بهم.

السياسة الإدارية:

نظام المكاتب العربية: كان من أكبر اهتمامات الجنرال بيجو مسألة التنظيم الإداري للعرب[5]، لذلك استُحدث فكرة المكاتب العربية كهيئة محلية بقرار وزاري مؤرخ في 1 فيفري 1844[6]، وقد أسست هذه المكاتب في مناطق التقسيمات وفي كل النقاط التي احتلها الجيش، كما كانت تضم مكتب سياسي يقع في الجزائر إضافة لمكاتب التقسيمات الفرعية ومكاتب المقاطعات، فضلا عن ذلك، تم وضع تقسيم إداري معين للمناطق وتم تنصيب قائد عليها حسب أهمية كل منطقة؛ إذ أسندت قيادة الدوائر الكبيرة إلى الخلفاء والباش أغوات، كما قسمت الدوائر بدورها إلى أقسام بقيادة الأغوات، وفي الأغاليك كان كل قبيلة يقودها قايد، وقد تُقسم القبيلة إلى فرق بقيادة شيوخ، وهؤلاء القواد والمشايخ المعينين من قبل الجنرالات يتمتعون بامتيازات فيما يتعلق بالضرائب والغرامات[7]، ولا يخفى كذلك أن النظام الإداري الذي اعتمده الحاكم العام كان نفس النظام الذي تبناه الأمير عبد القادر المبني على معرفة عميقة بخصوصية المنطقة وسكانها؛ فالأمر الذي زاد من تعزيز سلطة الأمير هو التنظيم الإداري القبلي الذي قامت عليه بعد توسعها؛ بحيث قسم هذه المقاطعات إلى دوائر ووضع في كل منها آغا، وهذه الدوائر تشتمل على قبائل وكل قبيلة تحتوي على بطون وعشائر، فجعل على كل قبيلة قائد وعلى كل بطن وعشيرة شيخا[8]، فتجميع القبائل داخل هذا الإطار الهرمي الصارم يبرز كفاءات الأمير والذي تشكل فيه القبيلة قاعدة البناء، وكان هذا التنظيم الهرمي للإدارة على أساس قبلي يسمح بسرعة المبادرة وتفويت الفرص على المستعمر، كما تفطن الأمير إلى اختيار رؤساء الجند من ذو الشخصية القوية نظرا للأهمية التي يمثلونها للأفراد[9]، وهذا ما طبقه عليه الحاكم العام مثلما جاء في قوله في أمر مؤرخ في 17 سبتمبر 1844: (يجب أن نعين الرجال الذين لديهم نفوذ على القبائل، لا يزال النسب يمارس أثرا عظيما بين الأهالي، لذلك يجب دائما أخذه بعين الاعتبار).[10] من زاوية أخرى، شهدت الخدمة العربية منحى جديد في عهد الجنرال بيجو، من خلال صدور المرسوم الوزاري في 1 فيفري 1844، والذي نصت المادة 1 منه على أن كل فرقة عسكرية بالجزائر ستكون تحت السلطة المباشرة للضابط العام، بحيث سيتم إنشاء مكاتب عربية في كل شعبة تحت أوامر مباشرة من قائد الأركان العامة، وذلك بهدف إحكام

السيطرة على الجزائريين والتحكم بهم، أما بخصوص المادة 2 فقد نصت على أن المكاتب العربية ستقسم وفق فئتين؛ فئة من الدرجة 1 في الأماكن الرئيسية للتقسيم، وفئة من الدرجة 2 في النقاط الثانوية للتقسيم[11]، فإنشاء مكاتب الشؤون العربية في الدوائر والتقسيمات كان بهدف التجسس على الجزائريين لتوفير المعلومات المهمة للسلطات الفرنسية[12]، أما ما يتعلق بالمادة 3 فقد نصت على أن مديريات الأقسام والمكاتب الخاضعة لولايتها ستكون مسؤولة عن تقديم معلومات إلى الحكومة حول الوضع السياسي والإداري للبلد[13]، وهذا يؤكد أن جميع الشؤون العربية ستكون تحت المراقبة، ولكي تحقق هذه السياسة أهدافها يقول الجنرال بيجو: (يجب اختيار المسؤولين سياسيا وإداريا)، بمعنى أن القادة المعينين في هذه المناصب السياسية والإدارية ينبغي أن يكون من الموالين لفرنسا، فالقايد مثلا له دور عسكري ومدني وسياسي للقبيلة، وعلى هذا الأساس، كانت المكاتب العربية هيئة مستقلة تتمتع بمختلف الصلاحيات[14] والتي كانت كلها تصب في مصلحة الاحتلال. وما تجدر الإشارة إليه كذلك، صدور المرسوم الملكي سنة 1845 الذي يميز في الجزائر بين ثلاث مناطق؛ مدنية ومختلطة وأهلية؛ وقد شملت المناطق المدنية المدن الرئيسية في التل وضواحيها وكانت تدار من قبل السلطات المدنية، أما الأراضي المختلطة والأهلية فعهدت إلى السلطة العسكرية[15].

النظام القضائي: عرفت مسألة تنظيم الشؤون القضائية للجزائريين اهتماما ملحوظا من طرف السلطات الفرنسية، ففي الفترة الأولى من الاحتلال تميزت بترك القضاة المسلمين يتصرفون في كل القضايا والأحكام ما داموا ملتزمين بالتوجه المرسوم لهم من قبل الحكومة الفرنسية، إلا أنه منذ سنة 1841 انتزع الحكم في الجنايات والجنح من أيدي القضاة المسلمين وحول إلى قضاة المحاكم الفرنسية[16]، وعلى هذا الأساس، استكمل الحاكم العام مخططه بتجاوزات أخرى خطيرة في هذا الميدان، فعلى صعيد قانون العقوبات أصدر تعميم 12 فيفري 1841 الذي شكل قانون حقيقي للأندجينا إذ يعتبر الأخير أول من مهد له، إضافة لذلك ما جسده مرسوم 2 جانفي 1844 الذي نص على أنه عند ارتكاب جريمة لم يُعثر على مرتكبها يتم تغريم القبيلة بأكملها إذا لم تسلم الجاني في غضون شهرين[17]، فضلا عن ذلك، ما نص عليه المرسومين 28 فيفري 1841 و 26 سبتمبر 1842 لإنشاء محاكم جنائية مدنية[18]، بحيث أصبح كل ما يتعلق بالمسائل الجنائية للمسلمين كالجرائم مثلا كان المسؤول عنها هو القضاء الفرنسي فقط[19]، ولم تكن هناك أي سلطة لدى القضاة المسلمين، كما لم يكن للجزائريين أي حق في الاعتراض على هذه الإجراءات، ولكي يتجنب الماريشال عداء القبائل له ولتهدئة الرفض الجزائري لهذه القوانين التعسفية ما ذهب إليه في حديثه: (يجب أن نحافظ على تضامن القبائل من خلال عدم تطبيق العقوبة التي يستحقها واحد فقط على الجميع، إن معاقبة المذنبين الحقيقيين أكثر فائدة من جلب آلاف الفرنكات إلى خزينة الدولة التي يدفعها الأبرياء)[20].

السياسة الاجتماعية والثقافية:

السياسة الاجتماعية: هدف الجنرال بيجو منذ بداية عهده في الجزائر إلى إخضاع العرب، وقد عبر عن ذلك من خلال المرسوم الصادر في 6 مارس 1841، الذي أكد فيه إلزام جميع العرب الذين يتنقلون داخل منطقة الهدوء بارتداء ميدالية سداسية من المعدن الأبيض وذلك لتمييزهم عن الأوروبيين، ولا يخفى كذلك أن الحاكم العام اعتمد على الحنكة لإنجاح مخططه وهذا ما يبرزه مقتطف من خطابه بتاريخ 29 جويلية 1843 الذي يقول فيه: (لدى الحاكم العام معلومات تفيد بأن الأوروبيين يعاملون العرب بطريقة سيئة، عربي يعامل باحتقار يحمل الغضب لقبيلته ويجعلهم يشاركونه، يأمل الحاكم العام أن يكون لفت الانتباه لهذه النقطة، لجعل جميع سكان المدينة أكثر رقة اتجاه شعب نرغب في الحكم به حتى يتم إدماجهم)[21]، لذلك تنوعت صور السياسة التي طبقها الماريشال ضد الأهالي مثل **سياسة حشد القبائل في معتقلات** خاصة،

والتي يرجع تطبيقها لفترات متقدمة من الاحتلال الفرنسي، بحيث لم تكن بالسجن المتعارف عليه ولكنها المحتشد الذي يستطيع أصحابه أن يمارسوا نشاطا فلاحيا ورعويا في منطقة شاسعة، ولكنهم كانوا فاقدي الحرية لأنهم محاطون بحراسة مشددة من القوات الفرنسية،[22] إضافة لذلك سلك الجنرال **سياسة النفي؛** والتي كانت صورة عن سياسة من سبقه مثل كلوزيل، تم تبنيها لكي لا يبقى في الجزائر من يعترض على أحكامه الجائرة، وكان أبرز من قام بنفيهم من أعيان قسنطينة كجك علي وسعيد بخوش إلى جزيرة سان مارغريت سنة 1842، والتي نفي إليها كذلك مفتي المالكية مصطفى بن الكبابطي سنة 1843[23].

السياسة التعليمية: جعلت الإدارة الفرنسية من النظام التعليمي أهم أدوات تحقيق سياستها الاستعمارية، فبعد قيامها باستعمار الأرض جاء الدور على المدرسة من أجل استعمار الإنسان ونقله من نموذج ثقافي معين إلى نموذج ثقافي مختلف تماما، وفي هذا الشأن، عمل الجنرال بيجو بفكرة ليون روش الهادفة لدمج أبناء الرؤساء الجزائريين في المعاهد التي يلتحق بها الأوروبيون حتى يتسنى لهؤلاء الأخيرين التحكم بالجزائريين بعد أن يتعرفوا على نمط حياتهم وتفكيرهم، إلا ان الحاكم العام كتب سنة 1842 إلى وزير الحرب يخبره عن فشل هذه الفكرة، باعتبار أنه لم يعثر على زعيم جزائري يقبل بإرسال ابنه، بحيث أجاب أحد أعيان الجزائر لنفس الجنرال عندما طلب منه هذا الأخير إيفاد أبنائهم إلى باريس، يقوله: (يكفي أن أطفالنا يعرفون أداء الصلاة وركوب الخيل واستعمال الأسلحة)[24]، وعليه كان رفض الجزائريين واضحا لهذه المحاولة الاستعمارية للمسخ الثقافي، ونتيجة لذلك لم يبق في المعهد الفرنسي إلا تلميذين اثنين في سنة 1846-1847، وذلك بسبب التعسف الفرنسي الذي شمل التلاميذ والمؤسسات التعليمية، فقد كان يتواجد بالجزائر حتى سنة 1840 ما يقرب من 24 مدرسة قرآنية تستقبل أكثر من 600 تلميذ، ومنذ سنة 1846 انخفض عدد هذه المدارس إلى 14 مدرسة تشتمل على 400 تلميذ، وما تجدر الإشارة له كذلك أن التعليم العربي بقي تابعا لوزارة الحرب الفرنسية إلى غاية سنة 1848، بينما التعليم في المدارس الأوروبية كان يتبع وزارة التربية والتعليم في فرنسا[25].

السياسة الدينية: كان عهد الماريشال بيجو في الجزائر عهدا للغزو الديني والفكري، باعتبار أن الأخير كان يهدف لدمج الجزائر في فرنسا حضاريا، ومن أجل ذلك جند كل الطاقات لفرنسة الجزائر دينيا ولغويا، وعليه ازدهرت إبان فترة حكمه الكنيسة الكاثوليكية بحيث أصبحت تشكل الطابور الخامس للجيش والإدارة الاستعمارية، وانطلقت المحاولات الأولى للغزو الفكري عن طريق أخذ الرهائن العرب إلى فرنسا وإدخالهم في الثقافة الفرنسية[26]، إضافة لذلك تم احتلال المقدسات الدينية كأوقاف الجامع الكبير سنة 1843، كما تم القيام بهدم مؤسسات دينية عديدة في شتى أنحاء الجزائر أو بيعها للأوروبيين، منها جامع القائد علي الذي أعطي للجمعية التبشيرية المعروفة باسم أخوات القديس يوسف[27]، وعلى هذا الأساس، جردت المساجد من ممتلكاتها وجمعت في يد السلطة الفرنسية حتى لا تترك في أيدي الأئمة كوسيلة للتحريض ضد الهيمنة الفرنسية، أو لتحويل إيرادات المساجد إلى صالحهم، كما كانت مهمة تعيين المفتي من صلاحيات الإدارة الفرنسية[28]. من زاوية أخرى، وباعتبار أن عملية التبشير لها دور فعال في عملية السيطرة وتوجيه الجزائريين الوجهة التي تخدم المصالح الفرنسية فقد تم منح المبشرين مختلف المساعدات لتحقيق هذا الغرض، وهو ما قام به الجنرال بيجو بحيث قدم امتيازات كبيرة للمبشرين أدت لازدياد نفوذهم في هذه الفترة، إذ وجدوا كل الدعم من العسكريين والسياسيين على حد سواء، ومن أمثلة ذلك ما حصل سنة 1843 مع إرسال جمعية آباء الترابيست الدينية إلى الجزائر[29]، والتي منح لها من خلال ما نص عليه المرسوم الوزاري الصادر في 11 جويلية 1843 ما مساحته 1020 هكتار تقع في مدينة سطاوالي، كما منحت إعانة

قدرها 62000 فرنك، فضلا عن إعفائها من الضرائب لمدة 10 سنوات[30]، في هذا الإطار، وفي إحدى هجومات بيجو على إحدى القرى الجزائرية شرّد 250 طفلا بضواحي الجزائر العاصمة، ثم قام بتقديم هؤلاء الأطفال إلى الأب بريمو مخاطبا إياه: (إنهم يتامى لقطوا في ساحات الوغى، ربوهم واجعلوهم مسيحيين)[31]، وعليه، لم يدخر الحاكم العام أي جهد لإنجاح مخططاته الهادفة للقضاء على الهوية والثقافة الجزائرية.

السياسة الاقتصادية: كشفت الأحداث التي أعقبت الاحتلال الفرنسي للجزائر أن مسألة الاستحواذ على الأراضي الزراعية للجزائريين من بين أهم الاهتمامات التي ركزت عليها الإدارة الاستعمارية، وبذاك كانت المسألة الزراعية أحد العناصر الفاعلة في جوهر الصراع بين المجتمعين الجزائري والفرنسي، والذي يظهر من خلاله المكانة التي تحظى بها الزراعة في التوجه العام للسياسة الفرنسية في الجزائر، فإلى غاية سنة 1842 كانت رؤية الاحتلال أن الاحتفاظ بالجزائر لن يكون ممكنا حتى يتم احتلال الأراضي الزراعية وتثبيت مستوطنين بها[32]، في هذا الصدد، يعتبر الجنرال بيجو المؤسس الحقيقي للاستيطان في الجزائر، وذلك باستحداث ما سمي بعهد الاستعمار العسكري[33]، الذي يقوم على مبدأ تحويل الجنود إلى مزارعين، مع الأخذ بعين الاعتبار توفير الشروط اللازمة لتحقيق الرفاهية لهم[34]، إلا أن هذه العملية فشلت فمن بين 800 جندي منحوا أراضي الاستيطان لم يستقر منهم سوى 60 شخصا، أما الباقي فرحلوا إلى فرنسا بمجرد انتهاء خدمتهم العسكرية[35]. من خلال هذه الإشارات يتبين بأن العسكريين كانوا المحور الأساسي في عملية الاستيطان، إذ لعبوا الدور الاقتصادي والعسكري في تهيئة الأراضي الزراعية للكولون المدنيين فيما بعد، وبالموازاة مع ذلك، كانت الرؤية من وجهة النظر الاقتصادية تقوم على شرط أن النجاح في عملية الاستيطان يكمن في وجود أراضي زراعية خصبة، وفي نظام يكفل انتقال الأراضي من أصحابها الأصليين إلى المستوطنين بطريقة سهلة ونهائية[36]، وعلى هذا الأساس، أصدر الجنرال بيجو في 18 أفريل 1841 قرار يتضمن 15 مادة تشرح شروط الاستفادة من الأراضي الزراعية في الجزائر، وكذلك الكيفية التي يتم بها إنشاء مراكز جديدة للاستيطان، فضلا عن ذلك تم صدو المرسوم الملكي في 21 جويلية 1841 الذي يعمل على الاستحواذ على الأراضي الزراعية للجزائريين[37]، إضافة لمجموعة مراسيم أخرى صدرت سنة 1844 تخدم نفس الغرض[38]، وقد أدت هذه المراسيم إلى زيادة عدد المراكز الاستيطانية من 7 مراكز سنة 1842 إلى 17 مركز سنة 1844[39]. كما تجدر الإشارة إلى أن الحاكم العام استخدام أساليب جديدة لنزع ملكيات الجزائريين ومن ذلك صدور قرار سنة 1843 الذي قرر الاستيلاء على أراضي الحبوس وأملاك البايلك، فضلا عن القرار الصادر سنة 1845 الذي تم بموجبه الاستيلاء على أراضي القبائل المعادية للفرنسيين، استحوذت الإدارة الفرنسية وفقه على نصف مليون هكتار، ثم تبعه إصدار أمر آخر سنة 1846 للاستيلاء على أراضي القبائل المشاعة إذا عجز ملاكها عن إثبات ملكياتهم بعقود تعود إلى ما قبل جويلية 1830، وعليه، أصبح هناك 109400 مستوطنا أوروبيا يقطنون الجزائر منهم 27247 من أصل فرنسي سنة 1847[40]. من زاوية أخرى، تجدر الإشارة إلى تبني الجنرال بيجو **لسياسة الأرض المحروقة**، بغية إبادة العنصر الأصلي للبلد وإنهاء المقاومة، سلك من أجل تحقيق هذا الهدف كل الأساليب بغض النظر عن مشروعيتها، من خلال تنظيم هجوم مباغت على القبائل والاستحواذ على أملاكها، وحرق زرعها، وقد لجأ لهذه السياسة بعدما فشل في القضاء على المقاومة الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر؛ ومن صور ما قام به بيجو في هذا الصدد ما حدث سنة 1844 إثر مهاجمة قبيلة فليسة، حيث أشعل النار في القرى التي مر عليها،

كما قطع أشجار البساتين، ثم قام بإطلاق كتائبه في جميع الجهات، وقد أدت هذه العملية لخسائر فادحة في أملاك وأرواح الجزائريين[41].

السياسة التجارية: كان الجنرال بيجو يعرف بالدور الكبير الذي تمثله التجارة في تطور الأوضاع بالجزائر، لذلك سلك أسلوب ضرب المصالح التجارية الجزائرية، وهذا ما أشار له (Duvivier) بقوله: (إن التجارة هي التي ستخضع العرب، بحيث ستكون وحدها قادرة على ربط السكان بنا، فكل عربي يزداد ثراء سيصبح نصيرنا)[42]، وعلى هذا الأساس، صرح الجنرال بيجو في 6 مارس سنة 1841 (بالنهي عن التجارة مع أي من القبائل التي لم تتصالح مع فرنسا)، وهذا يعني أن القبائل التي ليست خاضعة أو موالية لفرنسا سيتخذ ضدها إجراءات قاسية؛ ومن ذلك الحملات المتعددة ضد الأمير عبد القادر، كالحملة الثلاثية على معسكر، بحيث سلك فيها منع العرب من الحصول على محاصيلهم الزراعية[43]، وعلى هذا الأساس، استمر الجنرال بيجو في عملية ضرب المصالح التجارية الجزائرية، وذلك بجعلها تخدم المصالح الفرنسية داخل الجزائر أو خارجها، بحيث تحولت الأخيرة إلى سوق لمنتجاتها، وفي هذا الشأن يقول: (هنا التجارة عبارة عن عمل يستحق الاهتمام، الحياة الحيوانية عبارة عن دخل جد مهم، سأعمل على الحصول على نفس الأرباح في الجزائر)[44]. وما تجدر الإشارة له كذلك ما قامت به المكاتب العربية من دور لخدمة للمصالح الفرنسية في الميدان التجاري[45]، من ذلك أن الأهالي كانوا يدفعون الضرائب كالحكور والعشور سواء أكانوا يملكون الأراضي التي يزرعونها أو لا، بحيث أن هذه الضرائب كانت مفروضة عليهم، إذ يقوم القايد بدفعها عند أول طلب أو أن الحصاد سيتم بيعه بالمقابل، وهذا يعني أنه بدلا من حماية الزراعة وتشجيعها فإنها ستصبح مستحيلة[46]، في هذا الصدد، يشير الجنرال (Duvivier) في حديثه عن المصالح الفرنسية بإفريقيا في قوله: (إن المصالح الخاصة في إفريقيا تعبر عن بداية جدية للاستعمار، هؤلاء الأربعون ألف أوروبي مستعدون للقيام بالاحتلال التجاري للبلاد، هذا الحشد من العقارات المبنية، هذه المؤسسات الصناعية، هذه المؤسسات التجارية التي تذهب بعيدا بين العرب تبيع منتجاتنا، وتبحث عن سلع للاستهلاك والتصدير، هذه رؤوس الأموال العديدة بالفعل تشكل اليوم عنصرا جديدا للاستعمار)[47]، ومن هذا القول يتبين أن الجزائر أصبحت مجرد سوق لتصريف المنتجات الفرنسية من جهة، ولتلبي احتياجات الأوروبيين من مواد أولية لخدمة تجارتهم من جهة أخرى، ضمن هذا التوجه، ومن خلال مناقشات الأطراف الفرنسية لمشروع دمج الجزائر مع فرنسا، أخذ (Genty de Bussy) زمام المبادرة في مجلس النواب من خلال قوله: (أيها السادة، إن القضية الجزائرية هي أكبر قضية لفرنسا اليوم، وأنا مقتنع بأنه في المستقبل غير البعيد ستكون وسيلة قوية للتأثير في البحر المتوسط، وسبب الازدهار التجاري الذي يصعب تحديد حدوده) ويضيف: (بأن الطريقة الوحيدة للسير نحو الاستعمار على نطاق واسع، هو تمرير قانون يعلن الجزائر أرض فرنسية، وبهذا القانون سيكون للمستوطنين الحاليين والمستقبليين كل الضمانات، إذ سوف يجلب رأس المال)[48]. وعليه، كانت الجزائر دائما أرض استغلال لفرنسا،[49] فكل الجهود ارتكزت حول خدمة مصالح فرنسا والأوروبيين، ولم يكن هناك أي اهتمام بشؤون الجزائريين.

أثر سياسة الجنرال بيجو على المجتمع الجزائري:

كان لسياسة الاحتلال الشامل التي انتهجها الجنرال بيجو في الجزائر صدى وتأثير واسع على المجتمع الجزائري، هذه السياسة التي قضت على دولة الأمير عبد القادر، الأمر الذي انجر عنه آثار عميقة مست المجتمع الجزائري نتيجة الأعمال الإرهابية التي اقترفها الجنرال بيجو ضده والتي ترجع لعظم الوسائل التي كانت بيده، ومن ذلك اعتماده على القوة العسكرية الكبيرة لتنفيذ عمليات الإبادة التي لا يمكن

مقارنتها بمرحلة سبقت عهده، وما زاد من شدة الوضع مطامع المعمرين التي تسببت في التقهقر الاجتماعي للجزائريين اجتهد الاستعمار في إبقائها على النحو الذي يخدم أطماعه في المنطقة[50]، كما تم القضاء على كيان إدارة مركزية تمثلت في التنظيم الإداري القبلي الذي سار عليه الأمير عبد القادر في تسيير شؤون المجتمع الجزائري، والذي استنسخه عنه الجنرال بيجو بغرض التجسس والتحكم في الجزائريين لا غير. وبجانب ذلك استخدم الماريشال وسائل كانت عميقة المفعول في القضاء على الاقتصاد الجزائري بطريقة لا تسمح له بالنهوض في بعض المناطق التي لا تهم المعمرين، فلا ريب أن التوازن السكاني قد اختل بسبب عمليات حرق وإتلاف المحاصيل الزراعية للجزائريين،[51] كما كانت الخسائر التي تصيب المنكوبين في أموالهم وأنفسهم كبيرة من جراء هذه الغزوات، إذ كانوا مجبرين على أداء الجزية التي يفرضها عليهم المعتدون، فضلا عن ذلك، كان لهذه السياسة دور كبير في انتشار الجهل والأمية والخرافات والبدع في أوساط المجتمع الجزائري نتيجة تدمير المساجد والزوايا والكتاتيب في القرى والمدن.

المواقف الدولية والإقليمية من سياسة الجنرال بيجو:

كان لسياسة الجنرال بيجو التي انتهجها في الجزائر ردود أفعال مختلفة سواء على المستوى الدولي أو الإقليمي؛ **فبريطانيا** مثلا تمثل موقفها في محاولتها لعب ورقة الأمير عبد القادر بحيث تعترف به في حالة انتصاره أو تعترف بالاحتلال الفرنسي حال تتأكد هزيمته وقد اختارت الخيار الثاني، مع أن الأمير جدد محاولة إقامة علاقات تجارية معها برسالتين لكن دون جدوى، وانتهى الأمر بقيام بريطانيا سنة 1842 حث كل من السلطات العثمانية والمغربية بعدم تقديم المساندة للمقاومة الجزائرية وقد تم تنفيذ الأمر[52]، أما ما يتعلق **بموقف الدولة العثمانية** فقد كان متخاذلا برز في امتناعها عن دعوة الأمير عبد القادر لها بدعمه ضد فرنسا مع دخوله في طاعتها وذلك في 3 رسائل مؤرخة في 10 ديسمبر 1841، وقد اكتفى السلطان بأن رد عليه برسالة حثه فيها بمواصلة الجهاد دون منح وعد بتقديم مساعدة، وانتهى الأمر بالدولة العثمانية في الأخير بالتسليم بضياع الجزائر حين أهملت ذكراها في جدول الولايات العثمانية في أول حولية تنشرها سنة 1847،[53] وبخصوص **موقف المغرب** فقد تعاونت السلطات المغربية وعلى رأسها السلطان عبد الرحمان مع الأمير زمنا، فزودته بالأسلحة والذخائر والأموال، كما سمحت للمجاهدين بالاحتماء بها دون إغفال تبرعات الشعب المغربي للمجاهدين، لكن السلطان لم يلبث أن شرع منذ سنة 1842 بالتضييق على الأمير حين أصدر ظهيرا يمنع المغاربة من إقامة أي علاقات ودية مع الجزائريين، ثم انقلب عليه كلية سنة 1845 تحت وطأة التهديد الفرنسي ولخشيته من تعاظم شعبية الأمير داخل المغرب، لذلك قام بمحاربته سنة 1847، وكانت هذه الطعنة في الظهر من أهم الأسباب التي دفعت الأمير لوضع السلاح[54]، أما ما يتعلق **بموقف تونس** فقد تجلى في تأييد حكام تونس للعدوان الفرنسي على الجزائر، ولما اتصل بهم الأمير لتوحيد الجهود ضد العدو لم تكن هناك استجابة، وبلغ الأمر بالباي أحمد بن مصطفى بتأنيب وكيله بجبل طارق لإعانته الأمير لشراء بعض الأسلحة[55].

خاتمة:

بناء على ما تم عرضه من معطيات في هذه الدراسة التي شملت مظاهر وأشكال سياسة الاحتلال الشامل التي انتهجها الجنرال بيجو في الجزائر أثناء توليه منصب الحاكم العام نخلص إلى أن الحاكم العام سار على نمط السياسات المرسومة من هرم السلطة في بلاده من خلال انتهاج سياسة أسلافه الذين سبقوه في حكم الجزائر؛ ومن ذلك ما تعلق بسياسته العسكرية والاجتماعية التي انتهج فيها أسلوب إبادة الجزائريين بغض النظر عن مدى مشروعية هذه الأساليب، إضافة لذلك، قام برسم سياسات جديدة تخدم المصالح

الاستعمارية منها ما تعلق بسياسته الاقتصادية التي كانت تصب في خدمة مصالح المستوطنين، وبناء على ذلك، هدف الحاكم العام من خلال سياسته التي امتزجت بين سياسة أسلافه وما سن من قوانين أخرى إلى خدمة المصالح الفرنسية وتكريس الاحتلال والهيمنة وبالمقابل ونتيجة لذلك دفعت الجزائر أرضا وشعبا ثمنا غاليا.

بناء على ما تقدم من نتائج يمكن تقديم التوصيات التالية:

ضرورة أن تحظى الأحداث والوقائع الجزائرية أثناء الحقبة الاستعمارية بدراسات معمقة وبأقلام جزائرية، خاصة وأن جل هذه الدراسات كتبت بأقلام فرنسية موجهة لوجهة تمجيد الوجود الفرنسي بالجزائر بالرغم من الجرائم الرهيبة التي قاموا بها ضد الجزائريين، إضافة لذلك، وجب العمل على توعية الرأي العام الجزائري بكل الوسائل السمعية والبصرية والمكتوبة لإبراز التجاوزات التي قامت بها سلطات الاحتلال لاتخاذ موقف واضح في تحديد العلاقة اليوم بين الجزائر وفرنسا، وذلك بالعمل بكل الوسائل لجعل الأخيرة تعترف وتعتذر وتعوض عن كل ما قامت به من تجاوزات، ويتم ذلك بالتنسيق بين رجال القانون والتاريخ من خلال استعمال الوثائق التي تدينها بذلك.

الملاحق:

ملحق 1: المرسوم الملكي الذي أنشأ تحت اسم بيجو قرية في دائرة عنابة على جبل (L'Edough).

Vu l'art. 3 de notre ordonnance du 21 juillet 1845 ;
Sur le rapport de notre Ministre Secrétaire-d'État au département de la guerre,
Nous avons ordonné et ordonnons ce qui suit :
Art. 1er. Il est créé un village de vingt-quatre feux dans la circonscription civile de Bône, sur la montagne de l'Edough, au lieu dit Aïn-Barouaga.
Ce village portera le nom de *Bugeaud*.
Art. 2. Il sera affecté à ce centre un territoire de cent soixante-deux hectares, conformément au plan ci-annexé.
Art. 3. Notre Ministre Secrétaire-d'État de la Guerre est chargé de l'exécution de la présente ordonnance.
Fait à Paris, le 3 juin 1847.

Signé : LOUIS-PHILIPPE.
Par le Roi :
Le Pair de France, Ministre Secrétaire-d'État de la guerre,
Signé : TRÉZEL.
Pour ampliation :
Le Sous-Secrétaire-d'État de la Guerre.
Par autorisation spéciale :
Le Chef du bureau des Lois et Archives,
Signé : ROUSSEAU.
Vu pour être promulgué en Algérie :
Le Lieutenant-Général, Gouverneur-Général, par intérim,
Par son ordre,
Et ponr le Directeur des Affaires civiles, en congé,
Le Maître des Requêtes, Directeur-Général, par intérim,
Signé : Baron BALLYET.
Pour copie conforme :
Le Chef du Secrétariat à l'Administration centrale,
Vte L. DE DAX.

المصدر:

Guyot. E, Colonisation. Ordonnance royale du 3 juin 1847, qui crée sous le nom de Bugeaud un village de 24 feux dans la circonscription civile de Bône sur la montagne de l'Edough, Bulletin officiel des Actes du gouvernement, Imprimerie du gouvernement, Alger, n°258, 17 juillet 1847, p 199.

ملحق 2: المرسوم الوزاري المؤرخ في 21 جويلية 1846 والذي يعتبر أهم وثيقة عن الملكية في الجزائر، تم ذكر 15 مادة الأولى من 54 مادة.

« Art. 1er. Notre ministre de la guerre déterminera par des arrêtés spéciaux le périmètre des territoires dans l'étendue desquels les titres de propriété rurale devront être vérifiés, conformément à la présente ordonnance.

« Ne seront pas compris dans ces territoires :

« 1° Pour le district d'Alger, les communes d'Alger, d'El-Biar, de Mustapha-Pacha, de Birmandreïs, de Draria, de Birkadem, de Kouba, de Dely-Ibrahim, de Bouzarea, de la pointe Pescade, et la partie de la commune de Hussein-Dey, située sur la rive gauche de l'Arrach ;

« 2° La commune de Blidah, telle qu'elle a été délimitée par notre ordonnance du 29 octobre 1845 ;

« 3° La commune d'Oran, telle qu'elle a été délimitée par notre ordonnance du 29 octobre 1845 ;

« 4° La commune de Mostaganem, telle qu'elle a été délimitée par arrêté ministériel du 18 juillet 1845 ;

« 5° Le territoire communal et civil de Bone, tel qu'il avait été constitué par l'arrêté ministériel du 28 juillet 1838.

« Art. 2. Chaque arrêté sera affiché aux lieux ordinaires dans toutes les villes, bourgs ou villages existant dans le périmètre déterminé, et spécialement à la porte de la mairie ou du siège de l'autorité qui remplace le maire.

« Le maire ou l'autorité qui le remplace dressera procès-verbal de l'apposition des affiches.

« Le même arrêté sera inséré au *Moniteur universel*, à Paris, et au *Moniteur algérien*, à Alger.

« L'insertion au *Moniteur algérien* rappellera la date du procès-verbal d'affiche.

« Art. 3. Dans les trois mois de cette double insertion, tout Européen ou indigène qui se prétendra propriétaire de terres comprises dans le périmètre déterminé, déposera ses titres de propriété, pour l'arrondissement d'Alger, entre les mains du directeur des finances et du commerce, et, pour les autres localités, entre les mains du receveur du domaine.

« Le vendeur non payé, ainsi que le bailleur à rente perpétuelle, ou leur concessionnaire, et généralement toute personne

prétendant un droit réel sur l'immeuble, seront admis à faire ou à compléter le dépôt des titres de propriété.

« Le délai de trois mois courra contre les interdits, les mineurs et les femmes mariées, sauf leur recours contre qui de droit.

« Art. 4. Le déposant sera tenu de faire élection de domicile, pour la province d'Alger, à Alger ; pour les autres provinces, au lieu de la résidence du receveur du domaine. Toutes les significations tendantes à l'exécution de la présente ordonnance seront valables à ce domicile élu, sans qu'il soit besoin d'observer les délais des distances, à raison du domicile réel du réclamant. A défaut d'élection de domicile, toutes ces significations seront valablement faites au parquet du procureur du roi ou à l'autorité qui le remplace.

« Art. 5. Les terres comprises dans le périmètre déterminé par notre ministre de la guerre, en vertu de l'article 1er, et dont la propriété n'aura pas été réclamée, et conformément à l'article 3 ci-dessus, seront réputées vacantes et sans maître, et l'administration pourra en faire immédiatement concession, aux clauses et conditions qu'elle jugera convenables.

« Art. 6. La vérification des titres produits sera faite par le conseil du contentieux.

« Art. 7. Les receveurs du domaine enverront dans la huitaine au directeur des finances et du commerce les titres dont ils auront reçu le dépôt.

« Le directeur des finances et du commerce transmettra au conseil du contentieux, après inventaire et dans le délai de huit jours, à partir de la réception ou du dépôt, les titres envoyés par les receveurs du domaine et ceux qui lui auront été remis directement.

« Art. 8. Le conseil du contentieux déclarera réguliers dans la forme les titres remontant, avec date certaine, à une époque antérieure au 5 juillet 1830, et constatant le droit de propriété, la situation précise, la contenance et les limites de l'immeuble.

« La même décision ordonnera que l'un des membres du conseil du contentieux ou des auditeurs autorisés à participer aux travaux de ce conseil se transporte sur les lieux, pour y

faire l'application des titres, avec l'assistance d'un ou plusieurs experts nommés d'office par le conseil du contentieux si la descente a lieu dans la province d'Alger, et par le membre délégué si la descente se fait dans une autre province.

« Art. 9. Le membre délégué rendra dans le plus bref délai une ordonnance pour fixer le jour et l'heure de la descente sur les lieux. Cette ordonnance sera notifiée en la forme administrative.

« 1° A la partie qui aura produit les titres au domicile élu, conformément aux prescriptions de l'art. 4;

« 2° Dans la province d'Alger, au directeur des finances et du commerce; dans les autres provinces, au receveur du domaine;

« 3° Aux experts;

« 4° Aux propriétaires riverains dont les titres auront été reconnus valables.

« Art. 10. Le transport ne pourra s'effectuer que huit jours après la notification de l'ordonnance mentionnée au précédent article.

« Art. 11. Un agent de l'administration des domaines, désigné pour la province d'Alger par le directeur des finances et du commerce, pour les autres provinces par le receveur du domaine, et toutes autres parties appelées, devront se présenter sur les lieux au jour et à l'heure indiqués pour assister à la délimitation.

« Art. 12. Le membre du conseil du contentieux délégué recevra sur les lieux le serment préalable des experts.

« Art. 13. Les experts, parties présentes ou dûment appelées, détermineront par des bornes les limites, le périmètre, la contenance de la propriété, et en lèveront le plan.

« Art. 14. Au cas de contestation, le plan devra figurer l'objet précis de la réclamation.

« Art. 15. Il sera dressé procès-verbal de l'opération.

« Ce procès-verbal mentionnera :

« Le jour et l'heure où l'opération aura commencé;

« La date des notifications faites conformément à l'article 9;

« La présence ou l'absence des parties appelées ou intervenantes;

المصدر:

Tomas-Robert Bugeaud, Histoire de l'Algérie Française précédés d'une introduction sur les dominations carthaginoise, Romaine, Arabe, et Turque et suivi d'un précis historique sur l'Empire du Maroc et d'une appréciation sur les divers modes de colonisation adoptés en Algérie jusqu'à nos jours, Henri Morel et c, libraires éditeurs, Paris, 1850, Tom 3, pp 104-106.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب العربية والأجنبية:

1. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992، ج1.
2. أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرر 1830-1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2007.
3. أندري برنيان، أندري نوشي، إيف لاكوست، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة: اسطنبولي رابح ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
4. بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر من 1830 إلى 1989، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ج1.
5. شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974.
6. عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1999.
7. عدة بن داهة، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962، المؤلفات للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013، ج1.
8. محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، المطبعة التجارية، الإسكندرية، 1903، ج1.
9. مصطفى الأشرف، الجزائر: الأمة والمجتمع، ترجمة: حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.
10. يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830- 1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
11. Amédée. Desjobert, L'Algérie en 1844, Guillaumin libraire-éditeur, Paris, 1844.
12. Antoine-Vincent Passole, L'Algérie et l'assimilation des indigènes musulmans, éditeur militaire, Paris, 1903.
13. Arthur Girault, Principes de la colonisation et de législation coloniale, AFR/ Nord-Algérie, Paris, 5°éd, 1927, 3°partie.
14. Féray Bugeaud d'Isly, Lettres inédites du maréchal Bugeaud duc d'Isly (1808-1849), Emile-Paul frères-éditeurs, Paris, 1922.
15. Ferd Hugonnet, Français et Arabes en Algérie, Imprimerie de l'tinterlin, Paris, 1860.
16. Franciade Fleurs Duvivier, Algérie quatorze observations sur dernier mémoire du général Bugeaud, H-L delloye éditeur, Paris, 1842.
17. Louis Moll, Colonisation et agriculture de l'Algérie, Imprimerie de Duverger, Paris, 1845, Tome 1.
18. Maurice Wahl, L'Algérie, Librairie germer baillière, Paris, 1882.
19. Maurice Wahl, L'Algérie, Félix Alcan-éditeur, Paris, 4 éditions, 1903.
20. P. Bernard et F. Redon, Histoire, colonisation, géographe et administration de l'Algérie, Imprimeur-libraire-éditeur, Alger, 1906.
21. The Count Henri Ideville, Memoirs of marshal Bugeaud from the private correspondence and original documents 1784-1849, Hurst and blackett publishers, London, 1884, Vol 2.

22. Tomas-Robert Bugeaud, Histoire de l'Algérie Française précédés d'une introduction sur les dominations carthaginoise, Romaine, Arabe, et Turque et suivi d'un précis historique sur l'Empire du Maroc et d'une appréciation sur les divers modes de colonisation adoptés en Algérie jusqu'à nos jours, Henri Morel et c, libraires éditeurs, Paris, 1850, Tom 3.
23. Victor Foucher, Les bureaux Arabes en Algérie, Imprimerie de Schiller ainé, Paris, 1858.
24. Victor Piquet, La colonisation Française dans l'Afrique du Nord, Algérie-Tunisie-Maroc, édition revue et augmentée, Paris, 1914.

المجلات العربية والأجنبية:

1. إبراهيم لونيسي، الفكرة الاندماجية في الجزائر 1830-1945 بين الطرح الفرنسي والموقف الجزائري، مجلة الرؤية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1854، الجزائر، العدد الثالث، السداسي الأول 1997.
2. حميد قرليفة، محاولة لفهم البعد السوسيولوجي في دولة الأمير عبد القادر (مقاربة سوسيولوجية خلدونية)، مجلة مقاربات، جامعة الجلفة، العدد 28، المجلد 2، 2017.
3. Guyot. E, Colonisation. Ordonnance royale du 3 juin 1847, qui crée sous le nom de Bugeaud un village de 24 feux dans la circonscription civile de Bône sur la montagne de l'Edough, Bulletin officiel des Actes du gouvernement, Imprimerie du gouvernement, Alger, n°258, 17 juillet 1847,
4. H. Peut, Des cercles de juridiction en Algérie, Extraits du Journal l'Afrique, Imprimé par E. Brière, Paris, 24 novembre 1845, 1845.
5. H. Peut, L'Algérie et Irlande, Extraits du Journal l'Afrique, Imprimé par E. Brière, Paris, 22 novembre 1845, 1845.

رسائل جامعية منشورة:

1. Albert Ringel, Les Bureaux Arabes de Bugeaud et les cercles militaires de Gallieni, Doctorat 3°cycle en Droit, Université de Paris, Paris, 1903.
2. F. Riols de Fonclare, Les diverses politiques coloniales et leurs applications pratiques a l'Algérie, Doctorat 3°cycle en Droit, Université de Toulouse, Toulouse, 1919.

الهوامش:

[1] ولد في ليموج في 15 أكتوبر 1784، توفي بباريس في 10 جوان 1849، توماس روبير بيجو لقب بدوق إسلي، ينتمي لعائلة ميسورة الحال تمتهن حرفة الحدادة، جند في الجيش في جوان 1804، ثم ارتقى إلى رتبة ملازم أول في خط المشاة في 30 جوان 1808، عين ملازما عاما في 2 أوت 1836، وحاكما لمقاطعة وهران، هذا الأخير الذي أرغم أن يعقد معاهدة التافنة مع الأمير سنة 1837، تم استدعاؤه لمنحه رتبة ماريشال سنة 1840 وتعيينه حاكما عاما على الجزائر وقائد أعلى لجيش إفريقية، لمزيد من المعلومات ينظر:

J. T, Bugeaud, Thomas-Robert, Duc d'Isly-Maréchal de France 1784-1849, Limoges illustré (publication bimensuelle : artistique et littéraire, Imprimerie Ducourtieux et Gout, Limoges, 1 avril 1906, 1906, p 2081.

بسام العسلي، مشاهير قارة العالم المارشال بيجو 1784-1849 المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1982، ص 69.

[2] Louis. Moll, Colonisation et agriculture de l'Algérie, Librairie agricole de la maison rustique, Paris, 1845, Tome 1, p 90.

[3] شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974، ص 193.

[4] Antoine-Vincent Passole, L'Algérie et l'assimilation des indigènes musulmans, éditeur militaire, Paris, 1903, pp 30-34-35.

[5] The Count H Ideville, Memoirs of marshal Bugeaud from the private correspondence and original documents 1784-1849, Hurst and blackett publishers, London, 1884, Vol 2, p 289.

[6] Victor Foucher, Les bureaux Arabes en Algérie, Imprimerie de shiller ainé, Paris, 1858, p 15.

[7] Maurice Wahl, L'Algérie, Librairie germer baillière, Paris, 1882, pp 239, 240.

[8] محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، المطبعة التجارية، الإسكندرية، 1903، ج1، ص 200.

[9] حميد قرليفة، محاولة لفهم البعد السوسيولوجي في دولة الأمير عبد القادر (مقاربة سوسيولوجية خلدونية)، مجلة مقاربات، جامعة الجلفة، العدد 28، المجلد 2، 2017، ص ص 83، 84.

[10] Victor Foucher, Les bureaux Arabes en Algérie, Op-cit, p 18.

[11] Ibid, p 15.

[12] Maurice Wahl, L'Algérie, Félix Alcan-éditeur, Paris, 4 éditions, 1903, p 292, 293.

[13] Victor Foucher, Op-cit, p 15.

[14] Albert Ringel, Les Bureaux Arabes de Bugeaud et les cercles militaires de Gallieni, Doctorat 3°cycle en Droit, Université de Paris, Paris, 1903, pp 28-36-96.

[15] P. Bernard et F. Redon, Histoire-colonisation-géographe et administration de l'Algérie, Imprimeur-libraire-éditeur, Alger, 1906, p 56.

[16] أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرر 1830-1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2007، ص74.

[17] Arthur Girault, Principes de la colonisation et de législation coloniale, AFR/ Nord-Algérie, Paris, 5°éd, 1927, 3°partie, pp 286-290.

[18] F. Riols de Fonclare, Les diverses politiques coloniales et leurs applications pratiques a l'Algérie, Doctorat 3°cycle en Droit, Université de Toulouse, Toulouse, 1919, p 204.

[19] Victor Foucher, Op-cit, p 29.

[20] Albert Ringel, Les Bureaux Arabes de Bugeaud et les cercles militaires de Gallieni, Op-cit, p 37.

[21] The Count H Ideville, Memoirs of marshal Bugeaud from the private correspondence and original documents 1784-1849, Op-cit, Vol 2, pp 5-283.

[22] أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرر 1830-1962، (م.س)، ص 38.

[23] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992، ج1، ص ص 224-249.

[24] عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،ط1، 1999، ص 42.

[25] عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، (م.س)، ص ص 39-42-44.

[26] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، (م.س)، ص 232.

[27] نفسه، ص ص 248-250-251.

[28] Victor Foucher, Op-cit, p 31.

[29] The Count H Ideville, Op-cit, Vol 2, p 293.

[30] Amédée Desjobert, L'Algérie en 1844, Guillaumin libraire-éditeur, Paris, 1844, p 102.

[31] عبد القادر حلوش ، المرجع السابق، ص 68.

[32] عدة بن داهة، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962، المؤلفات للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013، ج1، ص 40.

[33] أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرر 1830-1962، (م.س)، ص 80.

[34] Féray Bugeaud d'Isly, Lettres inédites du maréchal Bugeaud duc d'Isly (1808-1849), Emile-Paul frères-éditeurs, Paris, 1922, p 286.

[35] ابراهيم لونيسي، الفكرة الاندماجية في الجزائر 1830-1945 بين الطرح الفرنسي والموقف الجزائري، مجلة الرؤية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1854، الجزائر، العدد الثالث، السداسي الأول 1997، ص 109.

[36] عدة بن داهة، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962، المرجع السابق، ص ص 44-50.

[37] نفسه، ص ص 54، 55.

[38] مصطفى الأشرف، الجزائر: الأمة والمجتمع، ترجمة: حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 15.

[39] Victor Piquet, La colonisation Française dans l'Afrique du Nord, Algérie-Tunisie-Maroc, édition revue et augmentée, Paris, 1914, p149.

[40] يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830- 1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص ص 9، 10.

[41] Ferd Hugonnet, Français et Arabes en Algérie, Imprimerie de l'tinterlin, Paris, 1860, pp 76, 77.

[42] Franciade Fleurs Duvivier, Algérie quatorze observations sur dernier mémoire du général Bugeaud, H-L delloye éditeur, Paris, 1842, p 97.

[43] The Count H Ideville, Op-cit, Vol 2, pp 5-30.

[44] Féray Bugeaud d'Isly, Lettres inédites du maréchal Bugeaud duc d'Isly (1808-1849), Op-cit, p 246.

[45] Victor Foucher, Op.cit, p 33.

[46] H. Peut, Des cercles de juridiction en Algérie, Extraits du Journal l'Afrique, Imprimé par E. Brière, Paris, 24 novembre 1845, 1845, pp 130, 131.

[47] Franciade Fleurs Duvivier, Algérie quatorze observations sur dernier mémoire du général Bugeaud Op.cit, p 28.

[48] Tomas-Robert Bugeaud, Histoire de l'Algérie Française précédés d'une introduction sur les dominations carthaginoise, Romaine, Arabe, et Turque et suivi d'un précis historique sur l'Empire du Maroc et d'une appréciation sur les divers modes de colonisation adoptés en Algérie jusqu'à nos jours, Henri Morel et c, libraires éditeurs, Paris, 1850, Tom 3, p 83.

[49] H. Peut, L'Algérie et Irlande, Extraits du Journal l'Afrique, Imprimé par E. Brière, Paris, 22 novembre 1845, 1845, p 89.

[50] أندري برنيان، أندري نوشي، إيف لاكوست، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة: اسطنبولي رابح ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 278.

[51] أندري برنيان، أندري نوشي، إيف لاكوست، الجزائر بين الماضي والحاضر، المرجع السابق، ص ص 278-280.

[52] بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر من 1830 إلى 1989، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ج1، ص ص 97، 98.

[53] بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر من 1830 إلى 1989، المرجع السابق، ص 96.

[54] نفسه، ص ص 98، 99.

[55] نفسه، ص 99.

مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 1037 – 1054
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

وسائل الاستشراق الفرنسي في الجزائر أثناء الاحتلال اللجان والجمعيات أنموذجا

Means of French orientalism in Algeria during the occupation Committees and associations as example

طالبة دكتوراه زوليخة معنصري د/ خضرة بن هنية
كلية العلوم الإسلامية – جامعة الجزائر 1
مخبر مناهج البحث في الدراسات الإسلامية
benheniakh@yahoo.fr z.mansri@univ-alger.dz

تاريخ الإرسال: 2020/10/25 تاريخ القبول: 2021/05/16

الملخص:
اهتم الغرب بالاستشراق وذلك من خلال التعرف على شعوب الشرق وثقافتهم ومعتقداتهم وآدابهم وأساطيرهم، والحديث عن الاستشراق يقودنا إلى الحديث عن الاستعمار نظرا لما لهما من صلة، وباعتبار الجزائر مستعمرة فرنسية فقد كانت محور اهتمام المستشرقين تمهيدا للتأثير على هذه البلاد وأهلها، فقد سخرت فرنسا جيوش من المفكرين والمترجمين والكتاب والخبراء، للقيام بدراسات تخدمها من الناحية السياسية والاستعمارية، واستخدم المستشرقون في ذلك وسائل كإنشاء اللجان العلمية والجمعيات لتحقيق أهدافهم ونواياهم وغايتهم، فتوغلوا في الجزائر، وبسطوا نفوذهم فيها مبكرا، وذلك لخدمة الإدارة الاستعمارية الفرنسية.
الكلمات المفتاحية: الاستشراق الفرنسي؛ الاستعمار؛ الوسائل؛ اللجان؛ الجمعيات.

Abstract:
The western interest in orientalism, and that is through get to know the orientalism peoples and their culture, beliefs, decency and their legends, and when we talk about the orientalism lead us about colonization Due when the two have a connection, and us Algeria is a France settlement it has been like a Focus attention of orientalists as a beginning to effect about this country and their people, and France has mad an armies thinkers, translators, writers and experts to do a studies that serve it from the politique and colonization side and the they use many means like create scientists committees and associations for achieve their goals and their intentions. So they penetrate in Algeria and they extend their influence early so to serve the French colonial administration.
Key words: French orientalism; Colonization; Means; Committees: Associations

مقدمة:
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

فإن حركة الاستشراق وليدة الصراع الذي نشأ بين الشرق والغرب من أجل سيطرة أحدهما على الآخر، عسكريا واقتصاديا وثقافيا وعقائديا، منذ أقدم العصور إلى العصر الحديث، ولقد لعب الاستشراق دورا خطيرا في حياة الأمة الإسلامية عبر قرون من الزمن، كما لعب الاستشراق الفرنسي هذا الدور إبان

احتلال الجزائر، ومن البديهي أن يهتم المستشرقون الفرنسيون بالبلد والشعب المستعمر دينا ولغة وعادات وآثارا وتاريخا، وهذا ما يُفسر عدم توقف أبحاثهم عند الشرق الجغرافي، بعد تعدت إلى الشرق الهُوية، وقد تطور هذا الاهتمام حسب حاجة الإدارة الاستعمارية وحاجة الدولة الفرنسية.

فبالرغم من جهود المستشرقين في دراسة التراث، وتحقيق بعض المخطوطات تحقيقا علميا، إلا أن فريقا منهم قد عمل مستشارا في وزارات الخارجية والحربية للاستعمار، حيث كان لهم الأثر البارز في الحركة الاستعمارية، ولهذا الغرض أُنشئت لجان وجمعيات، ونالت الدعم المادي والمعنوي، وقد شُكلت في أواخر الثلاثينات من القرن التاسع عشر وذلك لدراسة أوضاع الجزائر في مختلف مظاهرها.

لذلك فقد جاء هذا المقال لتعريف القارئ ببعض الوسائل التي استخدمها المستشرقون الفرنسيون - طلائع الاستكشاف-، لإنجاز بحوثهم العلمية والتاريخية والأدبية والأثرية، التي خدمت الجانب المعرفي أحيانا، ومهدت ومكنت للاستعمار في كثير من الأحيان، فلا غرابة إذا ما همت الحكومة الفرنسية بغزو بلد وقف بعضهم إلى جانب الجيش الغازي، ومثال على ذلك احتلال مدينة الجزائر ودور دي ساسي (De Sacy)[1] الذي نقل بيان فرنسا إلى الجزائريين إلى اللسان الدارج بمساعدة دوبيانشي (De Bianchi)[2].

وبما أن المدرسة الاستشراقية الفرنسية لها ارتباط وثيق بالاستعمار-وهذا ما سنثبته لاحقا- من أجل خدمة المصالح السياسية والاقتصادية والدينية لفرنسا، سنقف على هذه المدرسة، ونبيّن ظروف نشأتها والخصائص التي تُميزها عن المدارس الاستشراقية الأخرى، وبطبيعة الحال نُركز على اللجان والجمعيات العلمية التي هي محور بحثنا.

وعلى هذا يمكن أن تصاغ إشكالية البحث على النحو التالي: ما أوجه النشاطات المعرفية والسياسية لّلجان والجمعيات الاستشراقية الفرنسية في الجزائر، وما مدى تفاعلها تاريخيا مع الإدارة الاستعمارية؟

كما أن لهذا الموضوع أهمية تكمن في التعرف على بعض وسائل المستشرقين الفرنسيين-اللجان والجمعيات- والتي استخدمت لأغراض معرفية سياسية واستعمارية، وإن إطلاع الباحثين عليها ومعرفة ظروف نشأتها وانشغالاتها، والدور الذي لعبته في الجزائر أثناء الاحتلال لمن الأهداف التي يصبو إليها البحث.

تأسيس مفاهيمي

قبل أن ندخل في صياغة البحث نؤسس له مفاهيميا، حيث نعرف الاستشراق والاستعمار لغة واصطلاحا، وننظر في نشأة الاستشراق وخصائصه.

1- مفهوم الاستشراق:

أ- الاستشراق لغة: جاء في لسان العرب في مادة شرق، شرقت الشمس شروقا طلعت، واسم الموضع المشرق، والتشريق الآخذ من ناحية المشرق، وشرقوا ذهبوا إلى المشرق أو أتوا المشرق[3].

وقيل: الشرق الضوء الذي يدخل في شق الباب، وشرقت الشمس شرقا وشروقا طلعت وأضاءت وانبسطت على الأرض[4]، أما في المعجم الوسيط شرقت الشمس شرقا، شروقا أي طلعت[5]، وبعض المصادر اللغوية الحديثة تقول: "استشرق: طلب علوم الشرق، ولغاتهم[6].

ب- الاستشراق اصطلاحا: الاستشراق عند الباحث إدوارد سعيد الاستشراق هو فرع من فروع المعرفة الذي تناول به الشرق بطريقة منظمة من حيث هو موضوع للتعلم والاكتشاف والتطبيق[7]، وقد يكون الاستشراق مطلب استعماري حيث يدرس الشرق سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وإيديولوجيا وعلميا لهدف استعماري[8].

2- مفهوم الاستعمار:

أ- الاستعمار لغة: جاء في لسان العرب: العمارة يعمر به المكان، اعمرتها وجدتها عامرة، واعمره المكان، استعمره فيه: جعله يعمره وفي التنزيل العزيز: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود: 61)، أي أذن لكم في عمارتها واستخراج قومكم منها وجعلكم عمارها[9].

ب- **الاستعمار اصطلاحا**: هو استيلاء دولة على قطر من الأقطار وإدارة شؤونه والعمل على استثمار مرافقه المختلفة، إما بأيدي مهاجرين يرحلون إليه أو بأيدي سكانه الأصليين أو باشتراك كلا الفريقين، والدولة المستعمرة تضمن في هذا العمل لنفسها ولقومها أعظم فائدة تستطيع الحصول عليها [10]، ويرى حبنكة الميداني أن الاستعمار هو تعبير أطلق على استيلاء شعب بالقوة العسكرية على شعب آخر لنهب ثراوته واستغلال أرضه وتسخير طاقات أفراده لمصالح المستعمرين[11].

3- نشأة الاستشراق الفرنسي وخصائصه:

أراد الفرنسيون التطلع إلى شمس الشرق المعرفية واكتشاف كنوزه وخباياه، ولهذا الغرض أقبلوا على تعلم اللغات الشرقية، ومن ثم العكوف على الدراسات العربية الإسلامية، هذه الأخيرة قد ميزت المدرسة الفرنسية عن غيرها من المدارس.

أ- نشأة الاستشراق الفرنسي: يُعد الاستشراق الفرنسي من أهم المدارس الاستشراقية وأقدمها تاريخا، فقد نشأت صلات بين فرنسا والشرق الأدنى منذ غزا العرب مقاطعات منها، واستمرت في محاولة تعاون الرشيد وشارلمان على الخلافة الأموية في قرطبة والإمبراطورية البيزنطية[12]، أما الاهتمام الكبير لفرنسا بالعالم العربي والإسلامي، فكان في مرحلة الحروب الصلبية les croisades، التي كان لفرنسا الدور الفعال فيها[13].

وقد اختلفت الرؤى حول بداية الاستشراق الفرنسي فمنهم من يرى أن البداية تعود إلى مؤتمر فينا الكنسي سنة 1311م[14]، في حين هناك من يعتبر الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798 م هي البداية الحقيقة للاستشراق الفرنسي حيث قام المستشرقون بدراسات مختلفة نشرت في كتاب "وصف مصر"، أما الاستشراق الفرنسي ببعديه السياسي والاستعماري يعود إلى عهد الملك فرانسوا الأول (François ler) سنة 1547م ، الذي يُعد أول سياسي يفكر في أهمية تعليم اللغات الشرقية وخاصة العربية.[15]، كما أنشأ كرسيا للغة العربية والعبرية سنة 1519م، ومعهد فرنسا كوليج دو فرانس (Collége de france) سنة 1530م تجاه السوربون (Sorbonne).[16]

ب- خصائص الاستشراق الفرنسي: تميزت المدرسة الفرنسية بسمات نذكر منها:

- لعبت جامعة السوربون دورا مهما في تنشيط الدراسات الشرقية في فرنسا.
- ترعرع الاستشراق الفرنسي في معهد اللغات الشرقية.
- اعتماد الاستشراق الفرنسي على الرهبان والقساوسة[17].
- ترك بصماته الواضحة على التعليم في إفريقيا وخاصة في شمالها[18].

بعد هذا التأسيس المفاهيمي، ندخل صلب الموضوع حيث نتناول نشاطات هذه اللجان والجمعيات، وكذا علاقتها بالإدارة الاستعمارية، تلك الإدارة التي انطلقت الجيوش الفرنسية بأمرها، فسار علم الاستشراق وراء هذه الجيوش الغازية، وكذلك وراء السفن التجارية، منيرا سبيلها، وباحثا عن الشعوب المهيمن عليها، وهكذا فقد ساهم غزو الفرنسيين لبعض بلاد الشرق -ومنها الجزائر- خلال الثلث الأول من القرن التاسع

عشر في حصولهم ولحساب الاستشراق على كميات هائلة من المصادر المعرفية المتعلقة بهذه البلاد[19] لذلك شرعوا في جمع المعلومات وترجمة الكتب، عن طريق اللجان العلمية والجمعيات المختصة.

أولا- لجان الاستشراق الفرنسي: بادرت سلطات الاحتلال في إنشاء جامعة الجزائر سنة 1830م، وقد تفرعت عن هذه الجامعة معاهد، اشترك فيها للدراسة والتدريس مستشرقون وضباط ومستكشفون، وهذه المعاهد كانت تساندها في أبحاثها لجان علمية متخصصة بدورها، تمس مختلف جوانب الحياة أرضا وشعبا ومناخا[20].

1- لجنة الاكتشاف العلمي للجزائر: تعتبر أعمال اللجنة الإفريقية التي حلت بالجزائر بتاريخ 2 سبتمبر 1833م هي المعلم الأول للدارسات الاستشراقية الفرنسية في الجزائر، وهذا بطلب من وزير الحربية "الماريشال سولت soult "، وكان هدفها الأساسي جمع المعلومات المختلفة عن حالة الجزائر، مما أوحى للإدارة الاستعمارية إنشاء الجمعيات -بلغ عددها 19 جمعية- واللجان العلمية بمساعدة المستشرقين[21].

أما لجنة الاكتشاف العلمي للجزائر فقد تأسست في 14 أوت 1837 م من طرف وزارة الحربية، ونجد فيها مختلف المتخصصين وكان أغلبهم من العسكريين[22]، الذين بذلوا فيها جهود علمية جماعية خلال الأربعينات، حيث خُصصت لهذا المشروع ميزانية خاصة[23]، وقد قدِم هؤلاء العسكريون إلى الجزائر لمساعدة الإدارة الفرنسية بخبرتهم بغية تأكيد الهيمنة الاستعمارية على الشعب الجزائري[24]، ولهذا فقد أولت السلطات الفرنسية اهتماما كبيرا بمشروع اكتشاف الجزائر العلمي، وهذا من خلال ترجمة البارون دوســلان (Le Baron De Slane)[25] مقدمة ابن خلدون(811ه/1408م)[26].

وقد نجح في المهمة التي أسُندت إليه خلال الفترة ما بين (1843م/1845م)، وهي إرسال إلى وزير المعارف تقارير هامة، عن مجموعة المخطوطات ذات الأهمية في المكتبات الخاصة بالجزائر، حيث زار مكتبة مدينة الجزائر، وبحث وتفحص 650 مخطوطا، وأسفرت هذه الزيارة عن إرسال تقرير إلى وزير التعليم العمومي مرفقا بفهرس لأهم المخطوطات العربية بمكتبة مدينة الجزائر[27]، ونظرا للجهود العلمية عيّنته فرنسا مترجما رئيسيا للجيش الفرنسي بالجزائر سنة 1846م، وبذلك أصبح هو الذي يصوغ نصوص البلاغات الرسمية والمراسلات العربية للحكومة في الجزائر مع الأهالي، وأعطيت له رخصة لتدريس العامية الجزائرية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس وذلك في سنة 1863م[28].

وهذه اللجنة قد أنُشئت من طرف وزارة الحربية، حيث قامت بنشر دراسات هامة في عدة أجزاء من الآثار والعلوم الطبيعية والتاريخ وعلم الأنساب، كما قام باحثوها بنشر أعمالهم في التاريخ المحلي تتضمن اللهجات والطرق والنظم[29]، وهذه بعض الأعمال التي قامت بها اللجنة:

- أدريان بر بروجر(Adrien Ber Brugger)[30] الذي كان محافظا بمكتبة الجزائر العامة، باعتباره آثريا، قام بزيارة شرشال المسماة في القديم جوليا القيصرية، وهي إحدى المدن الأربع الكبيرة في العهد الروماني، وقد سجل ملاحظاته، ورسم الكتابات القديمة ونسخ بعضها، كما زار القالة ودرس تاريخ تجارة المرجان، كما قام بإنشاء المكتبة العامة الجزائرية، وهذا بأمر من الحاكم العام الجنرال كلوزيل (CLAUSEL)، وعُين محافظا لها سنة 1835م[31] .
- أما دي رينو (Dy Reinaud) الذي كان ضابطا في الجيش باعتباره في التاريخ الحديث والنظم والعادات، حيث كتب مذكرات تاريخية عن الحملات الأوروبية ضد ساحل شمال إفريقيا، وتحدث عن المنشآت التي كانت على هذا الساحل، سيما الفرنسية، ووصف جغرافية الجزائر في القديم وفي العهد الإسلامي، وحياة

الكنيسة المسيحية القديمة، وسبب اختفاء المسيحية، ووجود الخرافات والأساطير الشائعة لدى السكان، وعن الرق وعن عناصر السكان والنظم والعادات عندهم.

- درس كاريت (Carette) - وهو أيضا من الضباط الفرنسيين والذي كان اختصاصه في الجغرافية القديمة- إقليم قسنطينة واهتم بالآثار هناك، واستفاد من حملات الجيش الفرنسي في المنطقة ليجمع هو ملاحظاته، ووضع خريطة للطرق الرومانية القديمة، وكذا بعض المدن والمراكز العسكرية، واهتم أيضا بالتقسيم الجغرافي والإقليمي الذي وضعه الرومان لبلاد البربر في القديم، وله أيضا دراسات حول بلاد القبائل[32].
- تولى اونفنتان (unaventan) بتصنيف السلالات البشرية التي تقطن الجزائر، طبقا لاختلاف اللسان والوضع الجغرافي والتاريخي، ودرجة التأثير المعنوي الذي يمارسه السكان على بعضهم البعض، كما قام بدرس الدين والتقاليد والعادات وقوانين الجزائريين، وإذا ما أخذ هؤلاء السكان من الثقافة الفرنسية.
- أما وارنييه (warnier) الذي شغل طبيب جراح في الجيش، وكان مكلفا بالإحصاءات والبحث في السكان فقد قام بدراستهم من الوجهة السياسية والإدارية وبالأخص إقليم قسنطينة، واهتم بكيفية التسيير الإداري في بسكرة والمسيلة والمناطق المجاورة، وتعميق المعرفة حول الشاوية، وما يمكن لفرنسا أن تفعله إزاء السكان في كل جزء من الأجزاء المذكورة[33].

كما قام باحثوها بنشر أعمالهم في التاريخ المحلي، تتضمن اللهجات، والطرق والنظم وطبائع السكان والزوايا والحياة القبلية، ونلاحظ أن هذه الأعمال كانت تقوم على جهود العسكريين بالدرجة الأولى، كما أن بعض هذه الأعمال كانت مليئة بالحقد على العرب والمسلمين مثل تآليف كاريت (carret)[34] التي تكاد تخلو من الروح العلمية.

2- لجنة الاحتفال المئوي بالاحتلال: إذا كان مشروع لجنة الاكتشاف العلمي للجزائر قد جرى تنفيذه على يد العسكريين غالبا وكان في ظروف سياسية وعسكرية لا تسمح لأعضاء اللجنة بالمسح الشامل لبوحثهم، فإن لجنة الاحتفال المئوي قد أتيح لها ظرف أكثر مناسبة للبحث والدراسة حيث نصب الحاكم العام موريس فيوليت (viollette Maurice)[35] سنة 1925م، لجنة النشر للاحتفال المئوي برئاسة رئيس الجامعة شارل تيار صاحب كتاب (الجزائر في الأدب الفرنسي)، والمميز لهذه اللجنة هو إسناد المهام لأساتذة جامعة الجزائر الذين تولوا البحث والتأليف[36]، والهدف من إسناد المهام لهؤلاء الأساتذة هو مساعدة الخبراء العسكريين وغيرهم في حكم البلاد، فهي بذلك تحول الجامعة الجزائرية إلى أداة لاحتكار المعرفة واضطهاد لتاريخ الجزائر والمغرب العربي ووسيلة للسيطرة الاستعمارية[37].

وقد حظي مشروع الاحتفال السنوي بالاحتلال أهمية بالغة عند إدارة الاحتلال، علقت عليه فرنسا آمالها وسعت لإنجاحه، إثباتا لتواجد فرنسا بالجزائر وتوطيدا لهذا الوجود.

وقد كانت موسوعة اكتشاف الجزائر تقليدا من الفرنسيين لقائدهم في إخضاع الجزائر عسكريا، كذلك استكشافها علميا عن طريق موسوعة لجنة اكتشاف الجزائر، والتي أشار فيها الفرنسيون إلى أهدافهم[38].

ومن المهام التي أُسندت لهم:

- إنشاء الإذاعة الجزائرية وإقامة النصب التذكارية.
- إنشاء قاعة للفنون الجميلة والتي كانت تدعى قاعة بيير بورد (ابن خلدون حاليا).
- إنشاء المدارس والورشات الخاصة بالفنون التقليدية.
- نشر الأعمال والبحوث[39]، إلى جانب هذا كلفت الحكومة العامة المؤرخين بوضع دراسات عن تاريخ الاستعمار بالجزائر، وكانت نتيجتها صدور أبحاث عرفت بمجموعة 100 سنة، ويدل هذا التوافق

والانسجام بين الحكومة الفرنسية والمؤرخين الفرنسيين في جامعة الجزائر على تواطؤ هؤلاء مع الإدارة الاستعمارية وخدمتهم لأغراضها[40].

وخلال عشر سنوات نشرت لجنة النشر حوالي 50 كتابا، يعالج كل منها موضوعا متخصصا كالمالية والتشريع والاقتصاد السياسي، والعلوم والاستعمار، والآثار، والتاريخ والفنون، ومن الأساتذة من قام بعمل منفرد وهناك من اشترك مع غيره في عمل جماعي، مثل كتاب (التاريخ ومؤرخو الجزائر) الذي ضم بحوثا في مختلف العصور التاريخية للجزائر بأقلام متخصصة من أساتذة الجامعة.[41]

3- لجنة ترجمة الكتب العربية: أُسست هذه اللجنة من طرف الحاكم العام جول كامبون (Jules Cambon) سنة 1894م، والغرض منها هو نقل الكتب العربية إلى الفرنسية، وكان المشرف على اللجنة هو بيرسفيل (Persville)، كاتب عام الحكومة العامة، وقد ضمت في عضويتها أساتذة فرنسيين في اللغة العربية، ومدراء ومترجمين عسكريين تابعين للحكومة[42]، ولم يكن الهدف المنشود حينذاك استقطاب وتوظيف مترجمين يتقنون اللغتين الفرنسية والعربية فحسب، وإنما أيضا تشكيل سلك من الإداريين الذين يجمعون بين معرفة القوانين الفرنسية وأعراف العرب وقوانينهم، فحدث وأن تبوء العديد من هؤلاء المترجمين مناصب هامة على رأس مصالح حساسة مثل: مصلحة الجمارك، الصحة، الميناء وغيرها من القطاعات[43].

ودور التراجمة في احتلال الجزائر دور واسع وخطير يعود إلى ما قبل الاحتلال، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر، أن صاحب خطة احتلال مدينة الجزائر هو كليرمونت دوتونير (Clermont.D) الذي عرض الخطة التفصيلية لاحتلال مدينة الجزائر على البرلمان الفرنسي بحضور الملك شارل العاشر، وذلك سنة 1827م[44]، أما أثناء الاحتلال فقد تم تنصيب المترجم دوبينيوز (D'aubignose)، ملازما عاما على رأس الشرطة، كما ترأس جيراردا (Gèrardin) مصلحة هامة تمثلت في مصلحة دومين الدولة (Domaines de l'Etat)، في حين أوكلت مهمة دراسة موارد وإيرادات البلد لأوسبيب دي سال (Eusébe de salles)، كما تقلد الضابط المترجم جون ميرونت (jean merante) منصب شؤون الأهالي في الحكومة العامة بالجزائر[45].

ولأن الترجمة كانت وسيلة لاطلاع الغرب على خصائص هذا المجتمع الثقافية والدينية والاجتماعية والتاريخية، فقد أقبلت هذه اللجان على ترجمة الكتب العربية نذكر منها:

- ترجمة البارون دوسلان (Le Baron De Slane) لمقدمة ابن خلدون، لمعرفة علاقة الفرد الجزائري بالدين الإسلامي[46]، حيث تعرض هذا المستشرق للمقدمة وكتاب العبر بالنقد من الداخل، وقام بإعداد طبعة لتاريخ الإمارات البربرية بإفريقية المنوه بها، ضمن كتاب العلامة ابن خلدون بأمر من وزير الحرب بالذات[47]، أما الذين تعرضوا لنشر النص والترجمة ومن خلالها للمحتوى فهو المستشرق دوزي (Dozy reinhart)[48].
- ترجمة دوسلان النص العربي لتاريخ البربر لابن خلدون وطبعه، كما رخص له وزير الحرب إضافة بعض الفصول المتعلقة بوقائع إقليم المغرب الأوسط - الجزائر- للقرون الثلاثة الأولى بعد الفتح الإسلامي[49].
- ترجم دوسلان أيضا قاموس السير"وفيات الأعيان" لابن خلكان (681 ه/1284م)، أما شيربونو (Cherbonneau)[50] فقد اقتطع مقتطفات من كتاب عنوان "الدراية في علماء بجاية" لأبي العباس أحمد بن محمد الجبائي الغبريني (704هـ/1304م)، وكان الكتاب ضمن مصادر ابن خلدون في تاريخ البربر[51]،

إلى جانب ترجمته لمقتطفات من كتاب عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (257هـ/871م) " فتوح مصر وإفريقية والأندلس".

- ترجم برنييه (Bresnier)[52] نشرة الأجرومية لابن آجروم (723هـ/ 1323م) وطبعت، كما طبعت ألفية ابن مالك (672 هـ/ 1273م) عدة مرات برعاية De sacy [53].
- تكليف وزير الحرب، الدكتور بيرو (perron) بترجمة وطبع "مختصر خليل" المعروف بمختصر سيدي خليل للفقيه المالكي خليل بن إسحاق الجندي (767هـ/1374م)، ومع حلول سنة 1855م، كان قد صدر مرسوم تنظيم المحاكم في الجزائر، وأرسل النص العربي لطبعة سيدي خليل إلى محكمة مدينة الجزائر، وتمت الموافقة عليه مع إرفاقه بجملة من التعديلات[54]، وهذا إن دّل فإنما يدل على عناية المستشرقين الفرنسيين والساسة العسكريين بالمذهب المالكي، لا سيما "مختصر سيدي خليل" للاستعانة به في المحاكم الفرنسية بالجزائر.
- أما هوداس (Houdas.O) فقد ترجم أرجوزة في الفقه المالكي، تقع في ألف وستمائة وثمانية وتسعين بيتا تتحدث عن العقود لابن عاصم الأندلسي (ت 287ه)[55].
- قام أدموند فابيان (Fagnan Edmond) بترجمة كتاب الرسالة لابن أبي زيد القيرواني (386هـ/996م)، وهو من أعلام المذهب المالكي وذلك عام 1912م، كما ترجم كتاب الأحكام السلطانية للفقيه أبي الحسن الماوردي (ت 525ه)[56]، الذي يُعد من أهم الكتب المؤلفة في السياسة الشرعية والأحكام السلطانية، وعليه فإن التشريع الإسلامي قد كان بالنسبة للإدارة الاستعمارية في الجزائر موضوع دراسة، فمعرفة تشريعات المسلمين كانت ضرورية لفهم تاريخهم وحياتهم الداخلية.
- ترجم بيرج (Barges) كتاب "تاريخ ملوك تلمسان" لأحد فقهاء وأدباء تلمسان وهو الإمام أبو عبد الله بن عبد الجليل (899ه/1494م)[57].
- ترجم دي رينو (Dy Reinand) كتاب "تاريخ إفريقية والمغرب" لرقيق القيرواني (420 هـ/1029م).
- ترجم وليم مارسيه (William Marçais) بمساعدة هوداس (Houdas) جزء من صحيح البخاري (ت 256ه/870م) وذلك في عام 1902م[58].
- ترجم جويار (Guyard) فتاوى ابن تيمية (ت 728ه/1328م)، ورسالة في القضاء والقدر للسمرقندي (ت 333ه/983م)[59].

ثانيا- جمعيات الاستشراق الفرنسي

بدأ إنشاء الجمعيات الفرنسية الاستشراقية منذ القرن الثامن عشر، وقد أسهمت في جمع جهود المشتغلين بالدراسات الاستشراقية، وكانت بمثابة نقطة الانطلاق الكبرى للاستشراق، منها الجمعيات الفرنسية التي ظهرت في فرنسا والتي ظهرت في الجزائر، وقد تعددت هذه الجمعيات العلمية وقدمت خدمات كبيرة للبحث، رغم انتمائها للإدارة الاستعمارية، حيث كانت ضيقة الأفق منطلقة من وجهة نظر عنصرية.

أ- الجمعيات الفرنسية التي ظهرت في فرنسا

لقد ظهرت قبل الجمعيات التي أنشئت في الجزائر، جمعيات في فرنسا خصصت اهتماما كبيرا للاحتلال الفرنسي في الجزائر، وسنحاول إيضاح تأسيس وأهداف هذه الجمعيات وهي كالآتي:

1- الجمعية الأسيوية: يعود الفضل في إنشائها إلى الكونت دو لاستيري De lasteyrie [60]، حيث اقترح هذا الأخير على ريموزا (Remusa) وسان مارتان (Saint-martin) ضرورة إنشائها، فتم تأسيسها في الفاتح من أفريل 1822م برئاسة المستشرق دي ساسي (De Sacy) المتوفي سنة 1838م، وقد شارك

في هذه المجلة عدد غير قليل من المستشرقين الفرنسيين الذين استقروا بالجزائر منهم بنجامين، فانيان، شاربون[61].

وقد أصدرت الجمعية المجلة الأسيوية journal asiatique أما عنوانها الكامل فهو" مجموع أبحاث وخلاصات وحواجز تتعلق بالتاريخ والفلسفة والعلوم والآداب ولغات شعوب الشرق"، تهدف إلى الاتصال بالمحيط الخارجي، وكانت مجلة نصف سنوية مختصة في تتبع الآثار العربية والمطبوعات ذات الأهمية العلمية، غطت بنشاطها كل فروع الاستشراق الفرنسي وغيره، مع نشر تعريفات بالكتب الجديدة، إضافة إلى ترجمة النصوص ونشرها[62]، وقد فتحت هذه المجلة صدرها للدراسات والمقالات والمذكرات والأخبار القادمة من الجزائر، من مستشرقين نشيطين أمثال شيربونو (Cherbonneau) وفانسان (Vincent) وغيرهما[63].

وليس من المبالغة في شيء إذا قلنا إنه لم يحدث أن شغل كاتب بكتابه مستشرقي المجلة الآسيوية مثلما شغلهم عبد الرحمن بن خلدون وكتابه العبر، ولا سيما المقدمة كما أسلفنا؛ فقد لفت انتباههم منذ مطلع القرن 19 ونشروا مقاطع من الكتاب، وقد قدمت المجلة تحليلا أوليا للأبواب الخمسة الأولى من المقدمة، ويُعد دي ساسي (De sacy) أول من نشر مقاطع منها[64]، وكان اهتمام الحكومة الفرنسية بهذا الكتاب الذي خصته بكثير من الجوائز، لشعورها بأهمية التزود بوسائل توضيحية وامتلاك معطيات تاريخية عن المنطقة.

2- الجمعية الشرقية: تأسست في باريس سنة 1841م، وجاء في قانونها الأساسي أنها تُنسق بين أعضاء المعهد الفرنسي والقناصل والرحالة، وهي تهتم بكل ما يهم حاضر ومستقبل بلدان الشرق، التي تمثل أهمية كبيرة للمستعمر لما تقدمه من فوائد وامتيازات، فإقليم الشرق يتميز بحدود مفتوحة على كل الجهات، إذ تنتهي إليه طرق الصحراء ومركز انطلاق إلى تونس وطرابلس، وفي الشمال بتوفر ساحله على موانئ طبيعية متفتحة على السواحل الأوروبية[65]، وتقول الفقرة صراحة: "يجب أن نبذل جهدنا للهيمنة عليها (أي بلدان الشرق) لصالح الحضارة وكذلك الجزائر، هذه الأرض الافريقية الواسعة التي كانت من قبل متوحشة (باربار barbare) ومتمردة وها هي اليوم تفتخر بقوانيننا وفنوننا وعاداتنا وصناعتنا، وهي تحث الخطى نحو التقدم"[66].

كما أن لهذه الجمعية مجلة خاصة، والذي يرجع إليها يجد الاهتمام بالجزائر ممثلا في المقالات والأخبار والتعاليق والمشاريع، ولا غرابة بأن تصبح المجلة تسمى" مجلة الشرق والجزائر".

3- **الجمعية الجغرافية**: فقد تأسست أيضا في باريس سنة 1821م، وكان جل اهتمامها استكشاف دول المغرب العربي، تسهيلا لعملية الاستعمار الفرنسي[67]، ولقد كان على المقاومة الشعبية أن تتسع وتتحد لمواجهة مشروع الهيمنة الفرنسية على الأرض الجزائرية، بالرغم من قلة إمكانياتها ونقص تنظيمها وتشتت قوتها[68]. كما تجدر الإشارة إلى أن الباحث دافيزاك (Davisac) نشر فيها ترجمة لرحلة الأغواطي في وصف بعض المناطق الصحراوية.

ب- الجمعيات الفرنسية التي ظهرت في الجزائر: بعد ظهور جمعيات في فرنسا، كان الغرض منها استعماري بالدرجة الأولى، ظهرت جمعيات داخل الجزائر نذكر منها:

1- الجمعية الأثرية لقسنطينة société géographie: أقدم الجمعيات في الظهور هي الجمعية الآثرية في قسنطينة-هذا إذا استثنينا الجمعيات الماسونية والجمعيات السرية لا سيما منذ 1848م- التي تأسست في ديسمبر 1852م من طرف العقيد كروللي (Crowley) والمستشرق شيربونو (Cherbonneau)؛ الذي كان أستاذا لحلقة اللغة العربية في المدينة، وشارل بروسلار (Charles Brosselarard) الذي كان رئيسا

للمكتب العربي[69]، فقد كانت الجمعية مؤلفة من عسكريين ومدنيين، فيهم الجنرالات والعقداء في الجيش، وفيهم المعلمون والأطباء ورجال الكنيسة وعلماء اليهود.

وقد قامت هذه الجمعية بإصدار تقويم عام لنشاطاتها عام 1853م، والجمعية تتمحور أساسا في دراسة واكتشاف الآثار الرومانية[70] كما رسمت لنفسها هدفا منذ البداية، وهو استكشاف البقايا الكثيرة التي خلفتها الهيمنة القرطاجية والنوميدية والرومانية والعربية على أرض هذا الإقليم، ومن ذلك أن (Judas) نشر مقالا تناول فيه تسع عشرة كتابة نقشية نوميدية بونيقية جديدة اكتشفت بإقليم قسنطينة ونسخت[71]، وهذا إن دل فإنما يدل على ربط المستشرقين الفرنسيين الحضارة الإسلامية بالحضارات الأخرى، خاصة الحضارة الرومانية.

ومنذ 1953م أخذت الجمعية تنشر مجلة باسم الحولية (أنوير)، ثم غيرت اسمها بعد عشر سنوات إلى مجموعة (روكاي) للبحوث والمذكرات، ونلاحظ أن كُتاب المجلة رغم اختلافهم في التكوين والمهنة فإنهم يلتقون حول إنجاح الاحتلال ودراسة التحول الاجتماعي.

وقد درس فايست (Vayssettes) تاريخ قسنطينة تحت حكم الأتراك، كما قدم ديجا (Dugat)[72] ترجمة وتعليقات عن كتاب " ذكرى العاقل وتنبيه الغافل" للأمير عبد القادر (ت 1883م)[73].

أما مرسييه إرنست (Ernest Mercier) تناول خصوصيات الشرق الجزائري منها السكانية، وخص مدينة قسنطينة بمقالات جديدة في الجانب التاريخي والعمراني وكذا الجانب السكاني[74]، وفي عام 1870م شارك في إخماد ثورة المقراني وقاد كتيبتين من الميلشيا، ولم يكتف بالمشاركة في العمل العسكري بل تعداه إلى الكتابة عنه.[75]

وقد قام أحد الباحثين بإجراء دراسة تقييمية نقدية لمجلة جمعية قسنطينة الأثرية بين 1853-1876م وقد خرج منها بالنتائج الهامة التالية:

- أن كتابها كانوا ينظرون إلى مدينة قسنطينة نظرة نصفية نصف حي يسكنه الفرنسيون، ونصف ميت متعلق بالسكان الجزائريين ومدنهم وأحيائهم وتجمعاتهم.
- ركزت المجلة على الآثار الرومانية والآثار البونيقية لأسباب سياسية، أما الآثار الإسلامية فقد تجاهلتها ونظرت إليها نظرة احتقار.
- ركزت على دراسة مدينة قسنطينة من وجهة نظر تخدم المصالح الاستعمارية الفرنسية في الجزائر[76].

2- **الجمعية التاريخية الجزائرية société historique algérienne:** تأسست هذه الجمعية بمبادرة من الجنرال الفرنسي راندون (Randon) وذلك يوم 7 أفريل 1856م[77]، والذي أصبح الرئيس الشرفي لها وقد جاء في قانونها أن الهدف من إنشائها هو "دراسة كل المعلومات المتصلة بتاريخ إفريقية ولا سيما المعلومات التي تهم الجزائر، من العهد اللوبي(الليبي) إلى نهاية العهد التركي[78]، وقد أصدرت الجمعية مجلة عُرفت باسم "المجلة الإفريقية" التي ظهر أول عدد لها في أكتوبر 1856م واستمرت إلى غاية مارس 1962م، وقد توقفت عن الصدور خلال الحرب العالمية الأولى لظروف أمنية[79].

ومن الأهداف المعلنة للمجلة نشر المخطوطات المحلية والعربية، وتسليط الضوء على تاريخ الجزائر في مختلف عصوره، ومحاولتها الوصول إلى أن تصبح مكتبة تاريخية إفريقية تكمل ما يقوم به علماء أوروبا من دراسات وبحوث حول تاريخ إفريقيا والمستعمرات، أما الأهداف الخفية التي لم تفصح عنها هي كتابة تاريخ الجزائر من منظور استعماري، وذلك بتشويه كل ما هو إسلامي، والطعن في النبي صلى الله عليه وسلم ووصفه في كتاباتهم "بالنبي المزعوم"[80].

وقد كانت المجلة توزع مجانا على الأعضاء العاملين والمراسلين، حيث ظهر عددها الأول في أكتوبر 1856م ثم أخذت تظهر كل شهرين ثم أصبحت مجلة فصلية تصدر كل ثلاثة أشهر منذ 1888م. وقد طبع بعض الرؤساء والكُتاب المجلة بطابع اهتمامهم فجُعلت ميدانا لدراسة تاريخ الجزائر، أما الكاتب العام فانيان (Fagnan)[81]، فقد جعلها تهتم بالترجمة عن الأدب العربي والتاريخ العربي، وكان جورج ليفير (Georges L) متخصصا في التاريخ الاستعماري للجزائر، واهتم دوتيه (Dottie) في كتاباته بالعادات والدين والمرأة في الجزائر[82]، كما حظيت رحلات محمد بن عبد الله بن محمد الطنجي الشهير بابن بطوطة (780 ه/1378م)، بإصدار شربونو (Cherbonneau)، حيث علق على القسم المتعلق برحلته عبر المغرب الأوسط (الجزائر)، في مطلع القرن 8ه/14م[83]، وقد نُشرت هذه الرحلة وتُرجمت من طرف دوفرمري (Defremery)[84].

3- جمعية البحث العلمي - أكاديمية هيبون-: في سنة 1863م بعنابة تأسست جمعية للبحث العلمي، عرفت فيما بعد باسم أكاديمية هيبون، التي اهتمت بالشرق الجزائري على العموم، وكان يظهر عليها الطابع الأثري والديني، وقد وضع بعض المستشرقين أنفسهم بمحض إرادتهم في خدمة الاحتلال، من خلال إنجاز الأبحاث قصد مساعدته في حل المشكلات، التي تعترض سبيل الإدارة الاستعمارية، ومن هؤلاء الدكتور وورمس (Worms) الذي قام ببحوث في إشكالية فهم الملكية في الجزائر للاستحواذ على الأرض وسلبها من أهلها[85]، أما المستشرق رينيه باصيه[86] (René Basset) قام بكتابة تقرير سنة 1920م عرض فيه ما سماه بـ" نشاط فرنسا العلمي في الجزائر وشمال افريقيا"[87]، ومن كتابها ليكليرك (leclerc) الذي كتب فيها عن أحمد التيفاشي، وبلوشي (Blochet)[88] الذي تناول علم الخرائط عند المسلمين.

4- الجمعية الجغرافية لإقليم وهران: تكونت هذه الجمعية سنة 1878م، برئاسة الضابط البحري تروتاباس (Trutapas)، حيث ركزت هذه الجمعية بالخصوص بالجنوب والغرب الجزائري والمغرب الأقصى الذي أخذت الاهتمامات الفرنسية تلتفت إليه، كما اهتمت بقضايا الصحراء، وقد أسست هذه الجمعية المتحف الأثري والفني لمدينة وهران، وأصدرت بدورها نشرة (Bulletin) تهتم بالدراسات التاريخية والأثرية لمنطقة الغرب الجزائري،[89] ومن المستشرقين المساهمين فيها نذكر: رينيه باصيه (René Basset)، تلميذه ألفريد بيل (A, Bel) الذي أقام ردحا من الزمن في شمال افريقيا، مديرا لمدرسة تلمسان، حيث درس تاريخها وجغرافيتها وآثارها، ووصف أبنيتها وفك رموز نقوشها وكتاباتها[90]. أما موريس (Morris) فقد قام بدراسات استطلاعية واستكشافية وهذا بطلب من الجنرال لابرين (Labrin) حول منطقة الطوارق -الهقار- حيث تعلم لهجة التماشق بالإضافة إلى معرفته اللغة العربية.[91]

هذا إلى جانب جمعيات علمية أخرى أقل شهرة كالجمعية الأثرية والسياحية لسوق أهراس، والجمعية الأثرية لمنطقة سطيف، وجمعية أصدقاء تلمسان[92].

والملاحظ على معظم مستشرقي اللجان العلمية والجمعيات المختصة، تضلعهم في اللغة العربية، واهتمامهم باللهجات المحلية، والسبب في ذلك يجيبنا عنه المؤرخ الفرنسي جان بوجولا (Jean Bogula)، الذي أعلن أن تعلم اللغة العربية شرط أساسي لتسريب الأفكار والعادات والثقافة الغربية إلى الأهالي، وطالب بحرية رجال الدين في تعلمها لكي يتصلوا بالأهالي ويبثوا الأفكار النصرانية عن طريقها[93]، في حين نجد سولفي (Solvet) قد كتب تقريرا سنة 1846م يوصي فيه بضرورة تعليم العربية (الدارجة)، لتوفير المترجمين الإداريين والاحتياطيين لدفع فكرة التقدم ودمج الأهالي إذا أمكن[94]، وقد صنف لهذا الغرض المستشرق بوسيه (Beaussier) المعجم العلمي العربي الفرنسي، الذي جمع فيه التعابير اللغوية المستعملة

في لهجات شمال افريقيا[95]، وقد ذهب المستشرق دولابرت (Delaporte) إلى أنه في الوقت الذي كانت تحرز فيه الأسلحة الفرنسية انتصارات في الجزائر، أضحى مهما الانشغال باللغات المستعملة وهي التركية والعربية والبربرية[96].

فلا غرابة أن نجد جملة من المستشرقين وخاصة الضُباط العسكريين، قد مكّن لهم احتلال مدينة الجزائر من نقل أولوياتهم وتركيزها على دراسات ميدانية علمية ومنهجية في مجال الألسن، المنتشرة في بلاد المغرب، لا سيما اللسان البربري، سواء من حيث أصل انتمائه، أو من خلال جمع المفردات البربرية وعباراتها، أو إعداد قواميس لها كقاموس "بربر بجاية" الذي حث وزير الحرب الفرنسي بنفسه على نشره، فصدر الجزء الأول منه عام 1844م[97]. ومن المستشرقين المهتمين باللهجة البربرية نجد ماسكراي (Masqueray)[98]، وهنري باسيه (Henri Basset) الذي نشر بحوث كثيرة منها البربري ولغته (Le bérbére et sa langue)، وله مصنف بعنوان " التأثيرات الفينيقية لدى البربر"[99].

وكان لهذا الاهتمام باللغات واللهجات هدف واضح وهو دراسة النسيج الاجتماعي، وإحكام السيطرة على المجتمع الجزائري، ليسهل بعد ذلك التحكم في الأهالي وتطبيق سياسة فرق تسد.

ثالثا- علاقه الإستشراق الفرنسي بالإدارة الاستعمارية:

بعد تتبعنا لوسائل الاستشراق الفرنسي بالجزائر، اتضح لنا أن جُل الأعمال التي كان يقدمها المستشرقون تخدم بالدرجة الأولى المصالح السياسية والاستعمارية للاحتلال الفرنسي، فالاستعمار قبل أن يبدأ عمله الميداني والتطبيقي عليه أن يستعين بقادة الاستعمار النظري الذي يمده بكل شاردة وواردة عن المكان المرغوب فيه وعن شعبه وثقافته وعن عاداته وتقاليده وكيفية التعامل معه وما هي نقاط قوته وضعفه وعن نتائج دراسته لذلك المجتمع[100].

وهذه بعض الشهادات سواء من الباحثين المسلمين أم من الفرنسيين أنفسهم تؤكد هذه العلاقة، وهذا التداخل بين الاستشراق والاستعمار، حيث يرى الباحث إبراهيم لونيسي أن الاحتلال الفرنسي للجزائر قد أعطى دفعا قويا لحركة الاستشراق الفرنسي بمحتواه الاستعماري، وأن جُل المخطوطات والوثائق والآثار قد وقعت في يد المستشرقين، الذين قاموا بدراستها وتمحيصها واستخلاص النتائج التي تعزز الوجود الاستعماري في الجزائر[101]. ويظهر هذا التعاون بين المستشرقين والإدارة العسكرية واضحا، وهذا من خلال وجود عدد من المستشرقين يعملون مستشارين لوزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال إفريقيا، حيث أتاح الاحتلال لهؤلاء الولوج على العالم الإسلامي، في مكتباته ومدارسه وجامعاته ومجامعه، والحصول على مصادر معلوماته [102]، ولقد ظل هدف الاستشراق والاستعمار واحد، وإن كان الأول يسبق الثاني ليُكون طلائع جيشه وأعين أمنه يصيب أهدافه ويحقق آماله[103]، وهذا حال المستشرقين في الجزائر الذين كانوا مرتبطين بالإدارة الاستعمارية ارتباطا سياسيا، يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله رحمه الله:" ومن الواضح أن الاستشراق هنا كان مرتبطا منذ البداية بإدارة الاحتلال وقد ازدادت هذه الرابطة وثوقا وبلورة أثناء المرحلة الثانية 1879-1930م، خاصة وأنهم كانوا مدعومين من قبل لجنة إفريقيا الفرنسية والكولون أمثال يوجين إيتيان (yougine itiane) واللوبي الاستعماري"[104].ويؤكد الباحث الطيب بن إبراهيم هذه الحقيقة أيضا فيقول:" فالاستعمار الفرنسي يتميز عن غيره بأنه استعمارا استيطانيا، خاصة في شمال إفريقيا، وعلى وجه خاص في الجزائر، وهذه السياسة الاستيطانية كان الاستعمار يعمل على تكريسها ثقافيا عن طريق الاستشراق ومنظومته، دعما للاستيطان الثقافي، فالاستعمار والاستشراق ما هما إلا استيطانان الأول استعماري والثاني استيطان ثقافي[105].

أما الأستاذ أحمد سمايلوفتش فيقول: "أن هناك أدلة عديدة للعلاقة الوثيقة بين الاستشراق والاستعمار لا حاجة بنا إلى سردها والبحث فيها، لأن معظم المستشرقين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وحتى القرن العشرين كانوا يعملون في وزارة الخارجية وعلى رأسهم المستشرق أرنيست رينان[106] الذي كان يعمل مع الاستعمار الفرنسي"[107]، الذي استطاع أن يجند طائفة من المستشرقين لخدمة أغراضه، وتحقيق أهدافه وتمكين سلطانه في بلاد المسلمين"[108].

ويجدر بنا أن نشير إلى اعترافات الفرنسيين أنفسهم بالدور الذي قام به المستشرقون حيث يقول أحدهم: "يتمنى الوالي العام أن يستفيد من هؤلاء المستشرقين ويستخلص منهم بعض الأفكار التي ستسهل له عملية تسيير شؤون الجزائر"[109]، أما المستشرق أدريان بر بروجر(Adrien Berbrugger) كتب يقول:" لقد حان الوقت لكي نعمل كلما في وسعنا من أجل أن نؤكد للوطن الأم بأن الجزائر في إمكانها أن تصبح مركز قوة لفرنسا"، أما زميله شربونو (Cherbonneau) فقد سجل انطباعا حسنا حول الأعمال التي قام بها بروجر فقال: "لقد سخر أجمل سنوات عمره وذكائه من أجل انتصار مستعمرتنا"[110].

وعليه يمكن القول بأن النظام في فرنسا كالنظام في أوروبا، ذو صبغتين، فهو علمي واستعماري في آن واحد، فإذا ما كان في أوروبا فإنه يفكر بمنطق العلم، أما إذا انساح في العالم فإنه يُفكر بعقلية الاستعمار وكذلك الاستشراق[111].

خـــــاتمة:

من خلال هذه الجولة توصلنا إلى النتائج التالية:

1- ظهور الاستشراق الفرنسي إلى الوجود منذ القرون الوسطى، أما بمفهومه العلمي الأكاديمي فيرجع إلى حملة نابليون على مصر سنة 1798م، وظهور اللغات الشرقية بزعامة المستشرق دي ساسي.

2- تواطؤ المستشرقين مع الإدارة الفرنسية الاستعمارية، وتقديم خدمات جليلة لهم من خلال دراساتهم وبحوثهم.

3- هناك دراسات استشراقية فرنسية في الجزائر موضوعية وهدفها علمي بحت لكنها للأسف دراسات نادرة.

4- الإعلان على أن أهداف هذه اللجان والجمعيات هي أهداف علمية بحتة، وفي الحقيقة فإن الأهداف من وراء تأسيس هذه الأخيرة هي اهداف سياسية استعمارية بالدرجة الأولى.

5- معظم رؤساء ومؤسسي هذه اللجان والجمعيات هم مستشرقون فرنسيون، وأغلبهم عسكريون.

6- التركيز والاهتمام على الآثار والحفريات والتاريخ، ومحاولة ربط كل هذا بالحضارة الرومانية، وربط هذا الامتداد الروماني بالوجود الفرنسي بالجزائر، مع إهمال كل ما يتعلق بالحضارة الإسلامية عامة والحضارة العثمانية بصفة خاصة.

7- إثبات أن الجزائر ليس لها انتماء حضاري إلا روما وكل هذا من أجل إعطاء الشرعية لهذا الاحتلال.

8- إهمال كل ما هو متعلق بالحضارة الإسلامية وتجاهلها والنظر إليها نظرة احتقار، والدليل على ذلك أنهم اصطلحوا على الفترة الإسلامية بالعصور المظلمة.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم
- بركان بن يحي، الاستشراق الفرنسي ونشاطه في الجزائر الجانب الاجتماعي انموذجا، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، ع17، الجزائر، سبتمبر، 2016.
- إبراهيم لونيسي، بحوث في التاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، دار هومة، الجزائر، د ط، 2013.
- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، (د ط، د ت)، ج1.
- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د ط، 1996، ج1.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، عالم المعرفة، الجزائر، د ط، 2011، ج3.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، عالم المعرفة، الجزائر، د ط، 2011، ج6.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، عالم المعرفة، الجزائر، د ط، 2011، ج8.
- أحمد بن نعمان، حزب البعث الفرنسين، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 2000.
- أحمد رضا، معجم متن اللغة، مكتبة الحياة، بيروت، ط4، 2005، ج8.
- أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د ط، 1998.
- أحمد نصري، آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم، دار العلم للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 2005.
- الطيب بن إبراهيم، الاستشراق وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، دار المنابع للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2004.
- جمال الدين ابن منظور (ت711هـ/1311م)، لسان العرب المحيط، دار الجيل، بيروت، د ط، د ت، مج4.
- جمال الدين ابن منظور (ت711هـ/1311م)، لسان العرب، المحيط، دار إحياء التراث، بيروت، ط1، 1988، مج7.
- حسن حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاث وحوافيها التبشير؛ الاستشراق؛ الاستعمار، دار القلم، دمشق، ط8، 2008.
- حنيفي هلايلي، المستشرقون الفرنسيون في خدمة الإدارة الاستعمارية بالجزائر 1830-1962، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ع7، جوان 2005.
- رزيقة يحياوي، الاستشراق الفرنسي وجهوده في دراسة ونشر التراث الجزائري، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تحقيق النصوص ونشرها، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة باتنة، 2015.
- عادل ماجد محمد، الفهم الاستشراقي لتفسير القرآن الكريم، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الشرعية الإسلامية، قسم العلوم الإسلامية، كلية الفقه، جامعة الكوفة، 2008.
- عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 1993.
- عبد القادر نايلي، التاريخ الجزائري ضمن الكتابات الفرنسية -المجلة الإفريقية أنموذجا-، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة زيان بن عاشور، الجلفة، الجزائر، ع3، 2011.
- عرفان عبد الحميد، المستشرقون والإسلام، المكتب الإسلامي، ط2، 1980.
- عز الدين بومزو، الضباط الفرنسيون الإداريون في إقليم الشرق الجزائري أرنست مرسييه نموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، تخصص تاريخ وحضارات البحر الأبيض المتوسط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة، 2007-2008.
- عقيلة حسين، المرأة المسلمة والفكر الاستشراقي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
- لمياء بوقريوة، مشروع موريس فيوليت، مؤامرة سياسية واجتماعية ضد الجزائر، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، جامعة بسكرة، ع4، الجزائر، ديسمبر، 2012.
- لمياء صدراتي، الاستشراق الفرنسي في الجزائر ودوره في خدمة الاحتلال الفرنسي من 1830-1962م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ معاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة، 2017.
- محمد البشير مغلي، مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، ط1، 1422 هـ.

– محمد العربي معريش، الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي من خلال المجلة الأسيوية 1822-1872، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006-2007.
– محمد صاحبي، المجلة الافريقية، دراسة إحصائية بيبليوغرافية للمخطوطات العربية، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة الجيلاني اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، ع5، مارس، 2013.
– محمد فاروق النبهان، الاستشراق: تعريفه، مدارسه، آثاره، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، المغرب، د ط، 2012.
– محمد مرتضى الزبيدي (ت1205هـ -1790م)، تاج العروس من جواهر القاموس، دراسة وتحقيق علي بشري، دار الفكر، 1994، ج13.
– محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف للنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 1997.
– نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف للنشر والتوزيع، مصر، ط3، 1964، ج1.
– يحي مراد، افتراءات المستشرقين على الإسلام والرد عليها، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1425 هـ.
– يحي مراد، ردود على شبهات المستشرقين، (د م، د ط، د ت).
– يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق والدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن 20م، نقله إلى العربية عمر لطفي العالم، دار المنار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2001.
- Abribat (interprète commandant) (1931), notice sur les officiers interprètes, bourg imprimerie victor berthod.
- Fèraud, L-ch (1876), les interprètes de l'armée d'Afrique (archives du corps Alger, jourdan, libraire-Editeur.
-La commission dexploration scietifique d'Algérie, Monique dondine, Paris, 1995.

الهوامش:

[1]- دي ساسي (1838/1758): ولد في باريس في 21 سبتمبر 1758، ويعتبر شيخ المستشرقين الفرنسيين، تعلم العبرية وهو في سن الثانية عشرة، ثم تعلم الألمانية والإنجليزية والإسبانية والإيطالية، ثم دخل كلية الحقوق وتعلم العربية، وأصبح مدرسا في مدرسة اللغات الشرقية الحية، وقد كان أول رئيس للمجلة الأسيوية التي صارت ولا تزال حتى اليوم من أهم المجلات الاستشراقية، تخرج على يديه حشد كبير من كبار المستشرقين، من مؤلفاته: كتاب النحو العربي، مقامات الحريري....إلخ. ينظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 1993، ص 334-339.

[2]- محمد العربي معريش، الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي من خلال المجلة الأسيوية 1822-1872، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006-2007، ص 127.

[3]- جمال الدين بن منظور (ت711هـ/1311م)، لسان العرب، دار صائد، بيروت، ط1، 2005، مادة: شرق، مج 8، ص 64.

[4]- محمد مرتضى الزبيدي (ت 1205ه/1790م)، تاج العروس من جواهر القاموس، دراسة وتحقيق علي بشري، دار الفكر، 1994، ج13، ص 237.

[5]- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، د ط، ج1، ص 482.

[6]- أحمد رضا، معجم متن اللغة، مكتبة الحياة، بيروت، ط4، 2005، ج8، ص 64.

[7]- عقيلة حسين، المرأة المسلمة والفكر الاستشراقي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 35.

[8]- يحي مراد، ردود على شبهات المستشرقين، (د م، د ط، د ت)، ص 148-149.

[9]- جمال الدين بن منظور (ت 711هـ/1311م)، لسان العرب المحيط، دار الجيل، بيروت، د ط، د ت، -مادة عمر-، مج 4، ص 882.

[10]- أحمد بن نعمان، حزب البعث الفرنسين، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 2000، ص69.

[11]- حسن حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاث وحوافيها: التنصير؛ الاستشراق؛ الاستعمار، دار القلم، دمشق، ط8، 2008، ص54.

[12]- نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف للنشر والتوزيع، مصر، ط3، 1964 ج1، ص 151.

[13]- أحمد نصري، آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم، دار العلم للطباعة والنشر والتوزيع، 2005، ص 19.

[14]- يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق والدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن 20 م، نقله إلى العربية عمر لطفي العالم، دار المنار الإسلامي، بيروت لبنان، ط2، 2001، ص32.
[15]- حنيفي هلايلي، المستشرقون الفرنسيون في خدمة الإدارة الاستعمارية بالجزائر 1830-1962، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ع7، جوان 2005، ص 149.
[16]- نجيب العقيقي، المستشرقون، ج1، مرجع سابق، ص 138.
[17]- لمياء صدراتي، الاستشراق الفرنسي في الجزائر ودوره في خدمة الاحتلال الفرنسي من 1830-1962، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ معاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة، 2017، ص 48.
[18]- بركان بن يحي، الاستشراق الفرنسي ونشاطه في الجزائر؛ الجانب الاجتماعي انموذجا، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمى لخضر الوادي، ع 17، الجزائر، سبتمبر، 2016، ص 5.
[19]- محمد العربي معريش، الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي من خلال المجلة الأسيوية 1822-1872، مرجع سابق، ص 167.
[20]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، عالم المعرفة، الجزائر، د ط،2011، ج6، ص 79.
[21]- حنيفي هلايلي، المستشرقون الفرنسيون في خدمة الإدارة الاستعمارية بالجزائر 1830-1962، مرجع سابق، ص 150.
[22]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ص 80-81.
[23]- المرجع نفسه، ج6، ص 50.
[24]- حنيفي هلايلي، المستشرقون الفرنسيون في خدمة الإدارة الاستعمارية بالجزائر 1830-1962، ص 151.
[25]- البارون دوسلان (1801م/1879م): ولد في بيلفاست، وجاء إلى باريس 1830م، حين كان الأجانب يريدون معرفة الاستشراق الفرنسي ونيل السمعة منه وأصبح من تلاميذ دي ساسي، ومنذ 1837م بدأ ينشر الآثار العربية، فنشر ديوان امرئ القيس ومنتخبات من كتاب الأغاني، كما نشر كتاب وفيات الأعيان لشمس الدين بن خلكان (681هـ)، ووصف افريقيا لأبو القاسم محمد بن حوقل (367هـ) وغيرها من الأعمال. ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ص70-71.
[26]- حنيفي هلايلي، المستشرقون الفرنسيون في خدمة الإدارة الاستعمارية بالجزائر 1830-1962، ص 149.
[27]- محمد العربي معريش، الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي من خلال المجلة الأسيوية 1822-1872، مرجع سابق، ص 241.
[28]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج6، ص 71-72.
[29]- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، د ط، 1996 ج1، ص 15.
[30]- أدريان بر بروجر(1801/1869): يعد من أبرز المؤرخين الفرنسيين في علم التاريخ والآثار والحفريات، اهتم بجمع المخطوطات الجزائرية منذ دخوله الجزائر سنة 1834م، وقد ساعدته تنقلاته مع الجيش الفرنسي أثناء الحملات العسكرية من جمع المخطوطات، فقد تمكن من جمع 800 مخطوطة أثناء الحملة الفرنسية على مدينة قسنطينة سنة 1837. ينظر: حنيفي هلايلي، المستشرقون الفرنسيون في خدمة الإدارة الاستعمارية بالجزائر 1830-1962، مرجع سابق، ص 153.
[31]- المرجع نفسه، ص 153.
[32]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، ص 84-85.
[33]- حنيفي هلايلي، المستشرقون الفرنسيون في خدمة الإدارة الاستعمارية بالجزائر 1830-1962، مرجع سابق، ص 150.
[34]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج6، ص 87.
[35]- موريس فيوليت (1870/1960): كان حاكما للجزائر من سنة 1925م إلى سنة 1927، وأصبح فيما بعد عضوا في مجلس الشيوخ الفرنسي، ووزيرا للدولة المكلف بشؤون الجزائر في حكومة الجبهة الشعبية سنة 1936م، كان له دور كبير في ترسيخ سياسة فرنسا في المستعمرات، وهو الذي اضطهد الحركة الوطنية بالجزائر أثناء حكمه، وكان حرصه شديد على ألا تفلت الجزائر من قبضة فرنسا. ينظر: لمياء بوقريوة، مشروع موريس فيوليت، مؤامرة سياسية واجتماعية ضد الجزائر، مجلة علوم الانسان والمجتمع، جامعة بسكرة، ع4، الجزائر، ديسمبر، 2012، ص 315.
[36]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، ص 88.
[37]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص309.
[38] -La commission dexploration scietifique d'Algérie, Monique dondine, paris, 1995, p2.
[39]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج6، ص88
[40]- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ج1، ص 26.
[41]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ص 89.
[42]- المرجع نفسه، ج6، ص 98-99.

[43]- Fèraud, L-ch (1876), les interprètes de l'armée d'Afrique (archives du corps), Alger, jourdan, libraire-Editeur, p 58-59.

[44]- محمد العربي معريش، الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي من خلال المجلة الأسيوية 1822-1872، مرجع سابق، ص 127.

[45]- Abribat (interprète Commandant) (1931), notice sur les officiers interprètes, Bourg imprimerie victor berthod, p5.

[46]- حنيفي هلايلي، المستشرقون الفرنسيون في خدمة الإدارة الاستعمارية بالجزائر 1830-1962، مرجع سابق، ص 149.

[47]- محمد العربي معريش، الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي من خلال المجلة الأسيوية 1822-1872، مرجع سابق، ص 62-63.

[48]- دوزي رينهارت (1883/1820): مستشرق هولندي ينحدر من أسرة أصلها من فرنسا، ولد سنة 1820م في مدينة ليدن، اشتهر بأبحاثه في تاريخ العرب، ترجم تاريخ بني زيان في تلمسان، وكان مخطوطا وزوده بتعليقات ونشر الترجمة مع تعليقاتها في عدد من المجلة الاسيوية، مايو ويونيو 1844، وعُين دوزي في 1846 محافظا مساعدا للمخطوطات الشرقية وكلف بتصنيف فهرس لها. ينظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص259-261.

[49]- محمد العربي معريش، الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي من خلال المجلة الأسيوية 1822-1872، ص 345.

[50]- شيربونو Cherbonneau(1882/1813م): أتقن اللغة العربية على يد دي ساسي، وأرسل أستاذا إلى مدرسة قسنطينة بالجزائر، ولم يكتف بتدريسها بل عمد إلى تنظيم مدارسها وإحياء الأدب العربي فيها، وتصنيف الكتب المدرسية، منها معجم فرنسي عربي على لغة أهلها في مجلدين. ينظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، مرجع سابق، ج1، ص 198.

[51]- محمد العربي معريش، الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي من خلال المجلة الأسيوية 1822-1872، ص 338.

[52]- برينيه (1814م/1869): أظهر نبوغا في العربية حمل الحكومة إلى إرساله إلى شمال إفريقيا لإتمام بحوثه، وقد أنشئت مدرسة عربية في الجزائر فولى أمرها سنة 1836م، وقام يُعلم العربية فيها طوال ثلاث وثلاثين سنة حتى وفاته، من آثاره: التعليم العربي في الجزائر، مرويات أدبية باللغة العربية العامية. ينظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، ج1، ص 192.

[53]- محمد العربي معريش، الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي من خلال المجلة الأسيوية 1822-1872، ص 294.

[54]- المرجع نفسه، ص 232.

[55]- نجيب العقيقي، المستشرقون، مرجع سابق، ج1، ص 218.

[56]- المرجع نفسه، ج1، ص 237.

[57]- محمد العربي معريش، الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي من خلال المجلة الأسيوية 1822-1872، مرجع سابق، ص 348.

[58]- نجيب العقيقي، المستشرقون، ج1، ص 218.

[59]- عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص 132؛ نجيب العقيقي، المستشرقون، ج1، ص 200.

[60]- الكونت دو لاستيري DE lasteyrie الفرنسي، أحد المؤسسين وأعضاء الجمعيات الأكثر نشاطا كالجمعية الإنسانية والجمعية المركزية للمزارعين، والجمعية الأسيوية، وهو أول من استعجل إنشاء جمعية آسيوية حرة، فاقترح عام 1821م على ريموزا Remusa وسان مارتان Saint-martin، وبعض الأصدقاء ضرورة إنشائها، وفهم هؤلاء الرجال الفطاحل أبعاد المخطط فدأبوا على تنفيذه، واتصلوا بـ دو ساسي DE Sacy، الذي كانت تخصه أوروبا منذ مدة بالمكانة الأولى بين المستشرقين. ينظر: محمد العربي معريش، الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي من خلال المجلة الأسيوية 1822-1872، مرجع سابق، ص 68-69.

[61] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج6، ص 90.

[62] - محمد العربي معريش، الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي من خلال المجلة الأسيوية-1822-1872، ص 77.

[63]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ص50-51

[64]- محمد العربي معريش، الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي من خلال المجلة الأسيوية-1822-1872، ص343.

[65]- عز الدين بومزو، الضباط الفرنسيون الإداريون في إقليم الشرق الجزائري ارنست مرسييه نموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، تخصص تاريخ وحضارات البحر الأبيض المتوسط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة، 2007-2008، ص 40-41.

[66]- تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج6، ص91.

[67]- رزيقة يحياوي، الاستشراق الفرنسي وجهوده في دراسة التراث الجزائري، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تحقيق النصوص ونشرها، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة باتنة، 2015، ص54.

[68]- لمياء صدراتي، الاستشراق الفرنسي في الجزائر ودوره في خدمة الاحتلال الفرنسي من 1830-1962م، مرجع سابق، ص 60.

[69]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ص92.
[70]- حنيفي هلايلي، المستشرقون الفرنسيون في خدمة الإدارة الاستعمارية بالجزائر 1830-1962، مرجع سابق، ص151.
[71]- محمد العربي معريش، الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي من خلال المجلة الأسيوية-1822-1872، مرجع سابق، ص474.
[72]- ديجا Dugal (1894/1824م): تخرج من مدرسة اللغات الشرقية ثم عين أستاذا فيها، ترجم مع زملائه الجزأين الأول والثاني من كتاب نفح الطيب للمقري (ت 1041هـ) سنة 1861. ينظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، مرجع سابق، ج1، ص 204.
[73]- المرجع نفسه، ج1، ص 204.
[74]- عز الدين بومزو، الضباط الفرنسيون الإداريون في إقليم الشرق الجزائري أرنست مرسييه نموذجا، مرجع سابق، ص 41.
[75]- المرجع نفسه، ص33.
[76]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج6، ص 92-93.
[77]- حنفي هلايلي، المستشرقون الفرنسيون في خدمة الإدارة الاستعمارية، مرجع سابق، ص 151.
[78]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ص 94-95.
[79]- عبد القادر نايلي، التاريخ الجزائري ضمن الكتابات الفرنسية- المجلة الإفريقية انموذجا-، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة زيان بن عاشور الجلفة، ع3، الجزائر، 2011، ص55.
[80]- محمد صاحبي، المجلة الافريقية-دراسة إحصائية بيبليوغرافية للمخطوطات العربية مجلة الحوار المتوسطي، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس، ع5، الجزائر، مارس 2013، ص 108.
[81]- فانيان (1846م/1951م): مستشرق عاش في الجزائر، حيث كلف بإلقاء المحاضرات عن الدراسات الإسلامية في كلية الأدب بالجزائر، وصنف فهرسا للمخطوطات العربية والتركية والفارسية في مكتبة مدينة الجزائر الوطنية. ينظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، مرجع سابق، ج1، ص 236.
[82]- أبو القاسم سعد الله، تاريج الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج6، ص95-96.
[83]- محمد العربي معريش، الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي من خلال المجلة الأسيوية-1822-1872، مرجع سابق، ص 343
[84]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ص 84.
[85]- محمد العربي معريش، الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي من خلال المجلة الأسيوية-1822-1872، ص 352.
[86]- رينيه باصيه (1855-1924م): كان مهتما ومنقبا عن الآثار الإسلامية والمخطوطات العربية، وعندما أنشئت مدرسة الآداب العالية بالجزائر أسند إليه كرسي العربية فيها سنة 1885م، ودرّس فيها الحبشية والتركية والبربرية، كما كان في طليعة محرري المجلة الإفريقية، كما نشر بحوثه في المجلة الآسيوية، ورأس مؤتمر المستشرقين في الجزائر سنة 1905م، وعُين قنصلا لوزارة الخارجية في الجزائر، ولما حولت مدرسة الجزائر إلى كلية سنة 1909م انتخب عميدا لها، له دراسات في اللهجات البربرية، وبحث في ديانة البربر. ينظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، ج1، ص223.
[87]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ص 79.
[88]- بلوشي (1937/1870م):أمين المخطوطات الشرقية في المكتبة الوطنية بباريس، ترجم كثير من الأعمال، ومنها تاريخ حلب لابن العديم (ت 660 هـ) عام 1900، وتاريخ مصر للمقريزي في عام 1908 م. ينظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، ج1، ص 246.
[89]- حنفي هلايلي، المستشرقون الفرنسيون في خدمة الإدارة الاستعمارية، مرجع سابق، ص 151.
[90]- نجيب العقيقي، المستشرقون، مرجع سابق، ج1، ص 256.
[91]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج6، ص 167.
[92]- المرجع نفسه، ج6، ص96-97.
[93]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، ص 18.
[94]- المرجع نفسه، ج8، ص 20.
[95]- نجيب العقيقي، المستشرقون، ج1، ص 193.
[96]- محمد العربي معريش، الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي من خلال المجلة الأسيوية 1822-1872، مرجع سابق، ص 294.
[97]- المرجع السابق، ص 238.

[98]- ماسكراي Masqueray (1907/1843م): عاش في الجزائر وتقلد منصب مدير مدرسة الآداب العليا في الجزائر التي تحولت فيما بعد إلى كلية الآداب، ترجم كتاب بني المزاب في جزائر المغرب، وله عدة دراسات عن لهجات البربر والطوارق. ينظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، مرجع سابق، ج1، ص 205.

[99]- المرجع نفسه، ج1، ص 223.

[100]- الطيب بن براهيم، الاستشراق وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، دار المنابع للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2004، ص 90.

[101]- إبراهيم لونيسي، بحوث في التاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، د ط، دار هومة، الجزائر 2013، ص 134-135.

[102]- عرفان عبد الحميد، المستشرقون والإسلام، المكتب الإسلامي، ط2، 1980، ص28.

[103]- أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د ط، 1998، ص 120.

[104]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج6، ص13-14.

[105]- المرجع نفسه، ج6، ص103.

[106]- مستشرق ومفكر فرنسي، عني خصوصا بتاريخ المسيحية، وتاريخ شعب إسرائيل، كان متقنا للغة العبرية، لكنه لم يتقن اللغة العربية وكان قليل المعرفة بها، وقد كتب كتابه "ابن رشد والرشدية" بعدما اعتمد على الترجمات اللاتينية لكتب ابن رشد، والغزالي، وابن سينا، وهذا المستشرق ينكر أي إمكان للنهضة العلمية والتقدم الحضاري بين المسلمين، بينما تحققت هذه النهضة العلمية وذلك التقدم الحضاري بين المسيحيين. ينظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص 311-318.

[107]- أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 124-125.

[108]- محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف للنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 1997، ص 49-50.

[109]- إبراهيم لونيسي، بحوث في التاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، مرجع سابق، ص 156.

[110]- حنفي هلايلي، المستشرقون الفرنسيون في خدمة الإدارة الاستعمارية، مرجع سابق، ص 153.

[111]- محمد العربي معريش، الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي من خلال المجلة الأسيوية 1822-1872، مرجع سابق، ص147.

مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 1055 – 1068
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

المغرب الأوسط في الكتابات التاريخية الجزائرية (1900- 2020)
- نماذج مختارة -

The Middle Maghreb in Algerian historical writings (1900-2020)
- Selected models-

جهاد زروال[1] أ.د/ جمال بن دعاس
كلية العلوم الإسلامية - جامعة باتنة1
مخبر العلوم الإسلامية في الجزائر تاريخها، مصادرها، أعلامها
bendaasjml@gmail.com djihadzeroual91@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/12/31 تاريخ القبول: 2022/01/09

الملخص:
إن الكتابات التاريخية الجزائرية تنوعت من خلال القضايا والإشكالات التي عالجتها، وكذلك الأهداف المرجوة من هذه الكتابات فظهرت أقلام عديدة اهتمت بتاريخ المغرب الأوسط - الجزائر في العصر الوسيط - وقضاياه الكثيرة منها ما كان لبنة أساس في هذا المجال التاريخي، ومنها ما هو كتابات أكاديمية رصينة شكلت جزء من المدرسة التاريخية الجزائرية، فتناولت هذه الورقة البحثية المغرب الأوسط في كتابات المؤرخين، والباحثين الجزائريين لتقييم المنجز في هذا المجال التاريخي، الذي يمتد لعشرة قرون متواصلة، من الفتح الإسلامي إلى غاية سقوط الدولة الزيانية.
الكلمات المفتاحية: المغرب الأوسط؛ الكتابة التاريخية؛ تاريخ الجزائر.

Abstract:
The historical Algerian literature varied according to the issues, problems and desired goals they dealt with So various writers appeared concerned with the history of al-Maghrib al-Awsat (the Middle Maghrib) – Algeria in the middle period - and its many issues.
It included what was a foundation stone in this historical field.
The literature also includes sound academic writings that formed part of the historical Algerian doctrine.
This research paper deals with al-Maghrib al-Awsat from historical literature and Algerian researchers to evaluate the achievement in this historical field.
This achievement extends to ten continuous centuries from the Islamic conquest, to the fall of zianid state.
Key words: Central Maghreb; Historical writing; Algeria's history.

[1]- المؤلف المرسل.

مقدّمة:

إن موضوع الكتابة التاريخية في الجزائر جاء ليبرز دور المؤرخين الجزائريين في تدوين تاريخهم الذي حاولت الأقلام الفرنسية تشويهه وطمسه أو ربطه بتاريخ فرنسا، فبرز العديد من العلماء والمؤرخين والباحثين الجزائريين في مجال التاريخ الوطني لإعادة كتابة تاريخ الجزائر في مختلف مراحله، خاصة في العصر الوسيط، والذي يمثل حلقة وصل بين التاريخ القديم والتاريخ الحديث والمعاصر.

فقد حاول المؤرخون الفرنسيون تغييب هذه المرحلة ليظهر وكأن تاريخ الجزائر عبارة عن جزء من تاريخ الممالك الرومانية والبيزنطية ثم الاحتلال الفرنسي لإضفاء الشرعية الاستعمارية.

ونتناول في هذه الدراسة إسهامات المؤرخين الجزائريين في إبراز فترة مهمة من تاريخها الطويل آلا وهي المرحلة الوسيطية أو ما يعرف بتاريخ المغرب الأوسط، فكيف كانت صورة المغرب الأوسط في كتابات المؤرخين الجزائريين؟ وينبثق عن هذه الإشكالية عدة تساؤلات فرعية منها: ما هي أهم هذه الكتابات التي اهتمت بتاريخ الجزائر الوسيط؟ وهل قدمت المطلوب بإبراز الدور الحضاري للمغرب الأوسط؟ وما دور الجامعة الجزائرية في إثراء هذا المجال التاريخي.

ويهدف الموضوع إماطة اللثام عن جهود المؤرخين الجزائريين في كتابة تاريخ "المغرب الأوسط" الجزائر في المرحلة الوسيطية، التعريف بأبرز ما كتب عن المغرب الأوسط، إبراز توجه الجامعة الجزائرية في دراسة تاريخ المغرب الأوسط.

ومنه فقد تضمن المقال ثلاثة محاور: المحور الأول حول كتابة تاريخ المغرب الأوسط عند جيل الرواد، والمحور الثاني يتناول كتابة تاريخ المغرب الأوسط عند المؤرخين الأكاديميين، والمحور الثالث يبحث موضوع المغرب الأوسط في الدراسات الأكاديمية.

تمهيد: بوادر الكتابة التاريخية حول المغرب الأوسط

ظهرت بوادر العناية بتاريخ الجزائر الوسيط عند الدكتور ابن أبي شنب الذي خصص جزءا من دراساته وتحقيقاته لتاريخ المغرب الأوسط نذكر منها كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة من علماء بجاية "لأبي العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني الزواوي المتوفى ببجاية سنة 714هـ/ 1315م الذي حققه سنة 1910م، وكانت أول طبعة[1]. أعاد تحقيقه الأستاذ رابح بونار سنة 1970م ونشرته الشركة الوطنية للنشر والتوزيع[2].

إضافة إلى تحقيق كتاب "البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان" لابن مريم المليتي التلمساني أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد عام 1908[3]، وأعاد تحقيقه الأستاذ عبد الرحمن طالب سنة 1986م ونشره ديوان المطبوعات الجامعية، وأعاد تحقيقه الأستاذ عبد القادر بوباية سنة 2011 م ونشر في إطار تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية[4].

أولا: كتابة تاريخ المغرب الأوسط عند جيل الرواد

لقد برز في الفترة الاستعمارية مجموعة من العلماء المصلحين الذين حملوا على عاتقهم إحياء الأمة الجزائرية، وبث الوعي الوطني من أجل تحرير العقول قبل الأجساد، فكانت مدرسة الإصلاح بالمرصاد لكل المشاريع الاستعمارية، وقد تفطن كل من عبد الرحمن الجيلالي ومبارك الميلي وأحمد توفيق المدني إلى ضرورة تعريف المجتمع الجزائري بأصالته وهويته وتاريخه من أجل الدفاع عنها في سبيل استقلاله وفي هذا المبحث سنتناول ما كتبوه حول تاريخ الجزائر الوسيط.

1- جهود أحمد توفيق المدني: يعتبر الشيخ أحمد توفيق المدني من الرجال الوطنيين الذين بذلوا أنفسهم في سبيل إحياء تراث الأمة الجزائرية عبر عصورها كما يعد من أبرز المؤرخين الجزائريين في مرحلتي الاستعمار والاستقلال.

ألّف الأستاذ أحمد المدني العديد من المؤلفات التاريخية أهمها: المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، جغرافية القطر الجزائري، حرب الثلاثمائة سنة بين إسبانيا، قرطاجنة في أربعة عصور، هذه هي الجزائر، كتاب الجزائر.

ومن بين مؤلفاته نجد مؤلف "كتاب الجزائر"، الذي خصّصه لتاريخ الجزائر العام حيث أفرد فيه فصولا تتحدث عن الجزائر في المرحلة الوسيطية من الفتح الإسلامي إلى غاية سقوط دولة الموحدين، وكان سبب تأليفه للكتاب هو الاحتفالات المئوية لاحتلال الجزائر[5] وقد فرغ من تأليفه في غرة محرم 1350هـ الموافق لـ 19 ماي1931يقع الكتاب في 409 صفحة.

وقد بدأ التأريخ للجزائر من أقدم العصور تناول في الفصول الخمسة الأولى أصل البربر وكذا الجاليات الكنعانية تحدث عن سلطة قرطاجنة، ثم بعد ذلك دخول الرومان لشمال إفريقيا، ثم الاحتلال الوندالي ثم عهد الإمبراطورية الرومانية الشرقية.

تبدأ المرحلة الوسيطية بالفتح الإسلامي من الصفحة 17 إلى الصفحة 34 تناول فيه الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، مفتتحا الفصل السادس بقول الله تعالى "وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا"[6]، ثم تعرّض لدولة تيهرت الرستمية والدولة الأغلبية، ثم قيام الدعوة الفاطمية، لينتقل للحديث عن دولة مسيلة ودولة بني حماد العظيمة، ثم إدارة الموحدين للمغرب الإسلامي الموحد ثم دولة بني زيان أو بني عبد الواد.

ليخصص فيما بعد فصلا عن الحالة الأدبية والعلمية للجزائر في العصر الوسيط من الصفحة 77 إلى الصفحة 89.

فالفترة الزمنية الوسيطية تقدر بحوالي عشرة قرون، لكن ما خصصه الأستاذ المدني ضئيل جدا، في حين نجده قد خصص جزء مهما للحديث عن الفترة الاستعمارية التي دامت 132 سنة.

ويغلب على الكتاب الأسلوب الخطابي باعتبار تكوينه فيقول: "أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق بشيرا ونذيرا ليخرجهم من ظلمات الطغيان والاستبداد إلى أنوار العدل والحرية ولينقذهم من الفوضى الأخلاقية والدينية والاجتماعية التي أصبح العالم عليها يومئذ"[7].

والكتاب تناول مواضيع عدة، منها جغرافية الجزائر رغم حجمه الصغير، فتاريخ الجزائر يحتاج كتابا موسوعيا، وحسب ابن أبي شنب فالجانب التاريخي لا يتجاوز ربع الكتاب، والمقصود بالجانب التاريخي هو ذكر الدول الماضية وفترة حكمها وإنجازاتها الحضارية ودور الجزائريين فيها[8]، فنلاحظ أن فكرة التأريخ للمغرب الأوسط ككيان مستقل لم تكن في فكر المدني كما هو الحال عند مؤرخي دول الجوار.

ويقول الأستاذ فارس كعوان " كتاب الجزائر مهم لدراسة الحياة العامة في الجزائر، لأن المؤلف عرض فيه لأول مرة تاريخ الجزائر وواقعها على حسب وجهة النظر الجزائرية العربية الإسلامية"[9]، ولأنه شمل العديد من قضايا تاريخ الجزائر من أقدم العصور إلى غاية 1931م، ويظهر ذلك جليا من خلال عنوانه الكامل "كتاب الجزائر: تاريخ الجزائر إلى يومنا هذا جغرافيتها الطبيعية والسياسية وعناصر سكانها ومدنها ونظامها وقوانينها ومجالسها وحالتها الاقتصادية والعلمية والاجتماعية".

يقول عبد الرحمن الجيلالي: "ثم إنه ليس هذا العمل وحده الذي اثبت للأستاذ توفيق المدني فضل السبق في هذا المجال بل هناك صنيع آخر حاز به قصب السبق أيضا، وذلك صنيعه فيه أخرجه للناس من

دراسة مفصلة لفرع من فروع العلم والمعرفة وهو فرع حساس يتصل بأعماق ومشاعر سكان المغرب بصفة عامة وسكان المغرب الأوسط - الجزائر -"[10].

ورغم أن الكتاب لم يتناول التاريخ السياسي للمغرب الأوسط بالتفصيل إلا أنه يعتبر مرجعا مهما للمؤرخين الجزائريين.

2- جهود الشيخ مبارك الميلي: يعتبر الشيخ مبارك الميلي من جيل الرواد في المدرسة التاريخية الجزائرية وكذا الحركة الإصلاحية بالجزائر رفقة إخوانه في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

حاول مبارك الميلي جمع تاريخ الجزائر عبر مراحله التاريخية الكبرى، حيث ألّف كتابه "تاريخ الجزائر في القديم والحديث "ويعتبره الأستاذ علاوة عمارة أول كتاب ظهر وبرز في مواجهة المشروع الاستعماري الفرنسي لتشويه تاريخ الجزائر[11]، يقع الكتاب المذكور في أربعة أجزاء.

الجزء الأول: أرّخ للجزائر قبل الفتح الإسلامي، أما الجزء الثاني: أرّخ للجزائر من الفتح إلى غاية نزوح الهلاليين إلى إفريقيا الشمالية، وحول هذا الجزء يقول المؤلف "هذا الدور كله نطلق عليه اسم العصر العربي وإن كان أكثره عربيا بربريا"[12]، وسماه أيضا العصر العربي وقسمه إلى ستة أبواب: تحدث فيها عن غزو العرب لإفريقيا وتأسيس إمارتهم بها، ثم قيام الدول المستقلة عن الخلافة العباسية، الرستميين والأدارسة و الأغالبة، ثم توحيد المغرب تحت راية الدولة الفاطمية ليختم الجزء بنزوح الهلالين إلى إفريقيا الشمالية[13]،حيث عالج فيه العديد من القضايا التي تهم المغرب الأوسط في العصر الوسيط.

أما الجزء الثالث: عنونه بالعصر البربري، حيث اشتمل هذا الجزء على ثمانية أبواب، تحدث فيه عن القبائل البربرية ثم الدول البربرية الحمادية والمرابطية والموحدية، هذه التي سيطرت على كامل المغرب الإسلامي، ليعود للحديث عن الدول التي ورثت الموحدين في حكم المغرب الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى، والدولة المرينية بالمغرب الأقصى، والدولة الزيّانية أو العبدوادية في المغرب الأوسط[14].

أما الجزأين الأخيرين فتحدث فيه عن الوجود العثماني وكذا الاحتلال الفرنسي.

لقد أثبت الميلي في كتابه الشرعية التاريخية للأمة الجزائرية من خلال ربط الجزائري بأرضه وبعث الشعور الوطني وإذكاء الروح العربية من خلال الأجزاء الأربعة التي بيّن فيها عمق تاريخ الجزائر[15]، كما أن الميلي يعد من رجال الإصلاح الذين بذلوا أعمارهم لتوعية الشعب وتحريضه على النهوض في وجه المستعمر الغاشم فكانت الكتابة التاريخية عنده وسيلة أخرى من وسائل الإصلاح، "وذلك بعدما انتهى عهد الثورات العسكرية التي لا يمكن فصل القول بأنها فشلت ليأتي بعدها عهد الجهاد بالقلم لإنارة العقول ومخاطبة أهل الألباب من الجزائريين حتى يعرفوا ماضيهم وحقيقتهم وواقعهم وحتى ينتبه المثقفون الفرنسيون بأن للجزائر من يحمل القلم وهو سلاح يخاف منه كل من يعرف حقيقته"[16].

ومما يلاحظ على الكتاب أنه تجاوز القطر الجزائري، حيث أرّخ أيضا للمغرب الأدنى وللمغرب الأقصى، وذكر العديد من الدول كالأغالبة والأدارسة، إذ أنها لم تسيطر على المغرب الأوسط.

وفي الجزء الثالث ذكر الدولة المرينية والحفصية وصراعهما مع الدولة الزيانية على حكم المغرب الأوسط، وذلك لتداخل الأحداث في المنطقة ومسألة السيطرة على منطقة الشمال الإفريقي.

3- جهود الشيخ عبد الرحمن الجيلالي: العلامة الفقيه المؤرخ أحد أبناء الجزائر البررة من رواد المدرسة التاريخية الجزائرية، له العديد من المؤلفات منها: تاريخ الجزائر العام، تاريخ المدن الثلاث الجزائر المدية وملیانة، وكتاب ابن خلدون في الجزائر، المستشرقون الفرنسيون والحضارة الإسلامية.

ألف الشيخ الجيلالي كتابه تاريخ الجزائر العام سنة 1953م في جزأين "يشتمل على بيان واف مفصل لتاريخ القطر الجزائري في جميع أطواره وحركاته السياسية والاجتماعية، والعلمية والدينية والأدبية والفنية، والاقتصادية والعمرانية والصناعية، مع تراجم العبقريين وأرباب القرائح من مشاهير الجزائريين منذ أقدم العصور إلى الآن"[17].

بدأه بتحديد جغرافية القطر "فهو يعرف عند العرب بالمغرب الأوسط ذلك لتوسطه بين المغربين الأدنى والأقصى"[18] وركز في كتابه على الفترة الإسلامية من تاريخ الجزائر أما قبل الإسلام فتحدث بإيجاز "لعدم الغرض الشديد به اليوم وأسهبت مشبعا البحث في العصور الإسلامية إسهابا يحمل الشاب المسلم على احترام بلاده وتمجيد تاريخه اللامع العظيم والثقة في مستقبله الزاهر النير مع نفخ روح القومية فيه وإعداده لوصل حاضره بماضيه حتى تتكامل فيه أركان الحياة الأربعة :المحافظة على شخصته وميزته وتقديس أسلافه الأمجاد والتمسك بدينه والعمل على الإشادة بوطنه"[19].

وبعد عرضه للفتح الإسلامي تناول موضوع انفصال المغرب الأوسط المبكر عن الخلافة العباسية وأفرد له عنوانا مستقلا "إمارات الخوارج بالجزائر" واعتبر الحركة الخارجية بالمغرب عاملا مهما في استقلال بعض القبائل البربرية تحت إمارة إباضية وذكر العديد منها[20].

اتبع الشيخ منهجية واحدة في التأريخ للدول التي تعاقبت على حكم المغرب الأوسط ففي عرضه للدولة الرستمية تحدث عن ظروف نشأتها ونظام حكمها وحدودها الجغرافية ثم ذكر أئمتها ونسبهم ولم يهمل الشيخ الجانب الحضاري والعمراني للدولة ليختم بعد ذلك بعوامل سقوط الدولة.

في وقت كانت الدولة الرستمية تسيطر على المغرب الأوسط "تاهرت" وما جاورها، كانت المناطق الغربية "تلمسان، وهران، تنس، نهر الشلف" وسماها الحدود الجزائرية الإدريسية[21]، وهذه إشارة من الشيخ أن الغرب الجزائري هو جزء من المغرب الأوسط خضع في بعض الأحيان لسلطة الأدارسة ويكرر مصطلح الجزائر الإدريسية حتى عند ذكر انهيار الدولة وقدر حكم الدولة الإدريسية للجزء الغربي من المغرب الأوسط بمائة وسبعين سنة.[22] وكذلك الأمر عند الحديث عن الحدود الشرقية سماها "حدود الجزائر الأغلبية".

بفضل تكوين الشيخ الجيلالي الديني ونشأته في بيئة استعمارية حاولت طمس التاريخ الجزائري فقامت بمنعه من المدارس تكون الشيخ في ميدان الكتابة التاريخية[23]، وكان هدفه من التأليف وطنيا مثل الميلي والمدني وكان يهدف أيضا إلى إثبات الشخصية الوطنية الجزائرية الإسلامية[24].

تقول الأستاذة فاطمة بالهواري عن الكتاب: "وكان الهدف الأسمى هو الكشف عما عيب من تاريخنا وصياغته صياغة جديدة انطلاقا من رؤية علمية ومعايير موضوعية لتطهيره من مثالب الكتابات التقليدية وتصويب تخريجات المدرسة الاستعمارية الفرنسية"[25]، فالتاريخ عند الشيخ الجيلالي سلاح من أسلحة المقاومة حيث عرف كيف يركز على أهم فترة تاريخية مرت بها الجزائر ألا وهي المرحلة الوسيطية التي تعرضت للتشويه من طرف المستعمر[26].

مما سبق ذكره يمكن اعتبار كتاب عبد الرحمن الجيلالي أول كتاب أرخ للمغرب الأوسط في العصر الوسيط بإسهاب وقدم صورة متكاملة لأزهى فترات التاريخ بالجزائر استكمالا لجهود المدني والميلي.

ثانيا: كتابة تاريخ المغرب الأوسط عند المؤرخين الأكاديميين

تلقى العديد من المؤرخين الجزائريين خلال إقامتهم بالخارج تكوينا أكاديميا أهلهم للكتابة في التاريخ ومعالجة قضاياه وإشكالاته، وعلى رأسهم الدكتور أبو القاسم سعد الله والدكتور يحيى بوعزيز والدكتور عبد الحميد حاجيات والدكتور موسى لقبال وعبد العزيز فيلالي وغيرهم من الباحثين.

وارتأينا أن نختار ثلاث نماذج للكتابة التاريخية في الجزائر اهتمت بالمرحلة الوسيطية، الدكتور يحيى بوعزيز والدكتور عبد الحميد حاجيات والدكتور عبد العزيز فيلالي.

1- جهود الدكتور يحيى بوعزيز في التأريخ للمغرب الأوسط: يعد الدكتور يحيى بوعزيز واحدا من الذين أبدعوا في كتابة تاريخ الجزائر عامة والتاريخ الوسيط خاصة، وأسهم في إعداد جيل من الباحثين حيث تكون على يديه العديد من الأساتذة خلال تدريسه بجامعة وهران، وله العديد من المؤلفات أهمها الموجز في تاريخ الجزائر الذي طبع عدة طبعات، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، مدينة وهران عبر التاريخ، سياسة التسلط الاستعماري، والحركة الوطنية الجزائرية 1830- 1962.

وغيرها من المؤلفات التاريخية، "فتمكن وفق هذه المساهمات من تغطية نقص الرصيد الثقافي الذي اعترى التاريخ الوطني الوسيط من تحقيق ونقد ومقارنة وموضوعية ودراسات منوغرافية وأثرية"[27]، ولذلك نعتبره من رواد تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط.

اخترنا كتاب الموجز في تاريخ الجزائر للكشف عن جهوده في التاريخ للمغرب الأوسط وهو يقع في جزأين الجزء الأول أرخ للجزائر في العهد القديم والوسيط والجزء الثاني أرخ للجزائر الحديثة.

الذي يهمنا في هذه الدراسة الجزء الأول تناول في القسم الأول موقع المغرب الأوسط وأعطى نبذة عن جغرافية الجزائر العامة وقدم عدة روايات عن أصل التسمية وكذا الحدود الجغرافية[28].

ليتحدث فيما بعد عن جزائر ما قبل التاريخ ثم العهد الفينيقي القرطاجي ثم الروماني ثم الوندالي فالعهد البيزنطي.

في القسم الثاني من الكتاب عنونه بالجزائر العربية المسلمة فقدم تمهيدا عن العرب وأصلهم وموطنهم والبعثة النبوية والى غاية خلافة عمر وعثمان رضي الله عنهما باختصار شديد، ثم انتقل إلى فتح شمال إفريقيا والمراحل التي مر بها بذكر كل الولاة الذين تعاقبوا على فتح المغرب الإسلامي، ثم دخلت شمال إفريقيا مرحلة جديدة تسمى بعصر الولاة، حيث أصبح الخليفة في دمشق يعين واليا على المغرب الإسلامي عكس ما كان عليه سابقا حيث يتولى إدارة شؤونها والي مصر.

ينتقل المؤلف إلى ظهور الخوارج بالمغرب الإسلامي التي مهدت لقيام الإمارة الرستمية[29]، وفي هذا المبحث بدأ بالتاريخ للمغرب الأوسط ككيان مستقل لأن الأحداث في بداية الفتح كانت مشتركة بين الأقاليم الثلاث للمغرب الإسلامي فلا يمكن الفصل بين الأحداث التاريخية.

يتناول في هذا الجزء قيام إمارة الرستميين التي تعتبر أول إمارة إسلامية مستقلة في العصر الوسيط وعدد أئمتها ثمانية،[30] ونظام الحكم الشورى ثم يتحدث عن حاضرة المغرب الأوسط "تيهرت" فقد استفاض في الحديث عن المدينة، وأعطى وصفا دقيقا لها من خلال كتب الرحالة والمؤرخين كاليعقوبي والإدريسي وأبو الفداء والكرخي وابن حوقل وابن خلدون وابن عذاري تم تطرق للمدن التابعة لها "كتنس، وهران، الشلف، افكان" إلى غير ذلك من المدن[31].

لم يغفل الدكتور يحيى بوعزيز مشغل الحضارة في الإمارة الرستمية الإباضية فذكر أعلام الفكر والاجتهاد والعلم في تيهرت، وكذا دور أئمتها في الإشعاع الثقافي[32] فقدم صورة كاملة عن الحياة الفكرية والعلمية في "تيهرت".

ليتكلم في المبحث الموالي عن دولة الأدارسة والأغالبة دون تفصيل كذلك عن قيام الدعوة العبيدية الإسماعيلية باقتضاب.

افرد المؤلف مبحثا كاملا تحدث فيه عن قيام دولتي بني زيري وبني حماد مبرزا دور بجاية الحضاري في إثراء الحضارة الإسلامية العربية، وفضلها على جنوب أوروبا وجزيرة صقلية في العصر الوسيط[33]، قد أسهب في هذا المبحث في إظهار الإشعاع الحضاري لبجاية في مختلف العلوم والفنون، يدل هذا الاهتمام بالجانب الحضاري على فقه المؤرخ لأهمية الجانب الثقافي للدولة.

أما عصر المرابطين فقد تحدث عن قيام الدولة وتوسعاتها إلى إن تصل إلى غرب الجزائر واحتلال تلمسان والشلف وتوفقهم عند أحواز مدينة الجزائر، لتدخل الجزائر عهدا جديدا باجتياح دولة الموحدين لكامل المغرب الإسلامي تحت راية واحدة بقيادة عبد المؤمن بن علي[34].

لا يمكن للأستاذ بوعزيز الحديث عن المغرب الأوسط دون الحديث عن المغرب الأدنى والأقصى خاصة عندما تتداخل الأحداث التاريخية.

ليختم كتابه بالتأريخ لدولة بني عبد الواد وعاصمتها تلمسان وتطورها التاريخي، ثم الحديث عن حضارة مدينة تلمسان وآثارها التاريخية، بعدها يتناول أصل بني عبد الواد وظهور مؤسس الدولة ايغمراسن والأدوار التاريخية التي مرت بها الدولة، وعلاقتها مع جيرانها المرينيين والحفصيين ليختم بذكر أمراء الدولة دون تفصيل في إنجازاتهم[35].

يعتبر كتاب الأستاذ يحيى بوعزيز مهما للتأريخ للقطر الجزائري في العصر الوسيط، لكنه ذكر بعض الدول التي قامت بالمغرب الأدنى والأقصى أهمية الكتاب تكمن في التركيز على الجانب الحضاري والثقافي في الحواضر الثلاث "تيهرت الرستمية، بجاية الحمادية، تلمسان الزيانية".

اهتمام الدكتور بوعزيز بالتاريخ الحضاري برز أيضا من خلال تخصيص كتب مستقلة "ككتاب تلمسان عاصمة المغرب الأوسط".

2- جهود الدكتور عبد الحميد حاجيات في التأريخ للمغرب الأوسط: بذل الدكتور عبد الحميد حاجيات جهدا معتبرا في إبراز الوجه الحضاري للمغرب الأوسط مسلطا الضوء بصفة خاصة على ما يسمى بالهوية الثقافية التي ميزت الجزائر في عصرها الذهبي[36]وذلك من خلال أعماله التاريخية من مؤلفات وتحقيقات ومقالات وملتقيات من أهم ما ألف مؤرخنا دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والمغرب الإسلامي في جزأين الجزائر في التاريخ ج3 العهد الإسلامي بالمشاركة مع مجموعة من المؤلفين كتاب أبو حمو موسى الزياني حياه وأثاره والعديد من التحقيقات منها كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ليحيى بن خلدون الجزء الأول.

كتاب أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره ألفه مؤرخنا سنة 1974 أرخ فيه لأهم شخصية في العهد الزياني لإماطة اللثام عن جوانب مختلفة من حياته السياسية والعسكرية والثقافية والفكرية[37] وهو كتاب كبير الحجم تجاوز 400 صفحة قسمه إلى قسمين القسم الأول تناول فيه الأوضاع العامة في الإمارة الزيانية قبل أبى حمو موسى الثاني من قيام الإمارة إلى غاية انهياها الأول أمام الزحف المريني معرجا على مؤسسها

ومن خلفه بعد ذلك في حكم الإمارة ثم إعادة إحيائها من جديد بعد ضعف سلطة المرينيين وانهزامهم بالأندلس أمام النصارى مبرزا الصراع الزياني المريني على حكم المغرب الأوسط[38].

ثم انتقل للحديث عن الحياة الفكرية في الإمارة قبل تولي أبي حمو موسى تحدث فيه عن التعليم ومنهجه وأطواره وأول مدرسة أسست في المغرب الأوسط في عهد الإمارة الزيانية وقدم قائمة للعلماء الذين برزوا في تلك الفترة التاريخية[39]. ليختم هذا القسم بموضوع العمران والفنون في عهد الإمارة الزيانية وأهم القصور والمساجد المشيدة[40].

القسم الثاني خصصه لحياة أبي حمو موسى الثاني وآثاره، بدأ بنسبه ونشأته ورحلاته العلمية ثم عودته إلى تلمسان وهجرته مرة أخرى إلى إفريقيا بطريقة منهجية أكاديمية من نقد وتحليل الروايات التاريخية[41]. و"أبان هنا عن احترافية متناهية وتحكم تام في المادة العلمية وتأويلها"[42].

ليواصل حديثه عن جهود أبي حمو الثاني لإحياء الإمارة الزيانية والمواجهات التي خاضها ضد بني مرين التي انتهت بعقد الصلح الذي دام أربعة أشهر ليتجدد القتال بين الطرفين[43]، وكذا العصبية القبلية التي برزت خلال هذه المرحلة بكثير من التفصيل معتمدا على مصادر تاريخ الدولة الزيانية ككتاب العبر وكتاب بغية الرواد وزهرة البستان[44]، ليختم هذا المبحث بقضية الصراع بين أبي حمو الثاني وولي عهده أبي تاشفين ومصرع الأول في إحدى المواجهات[45].

ليتناول في مبحث حضارة المغرب الأوسط في عهد أبي حمو الثاني العلوم الدينية المنتشرة في عهده وأشهر علماء الدين ثم العلوم اللسانية والاجتماعية والعلوم الطبيعية والفنون والعمران[46]. إضافة للمنهج التاريخي استعان الدكتور حاجيات بنظريات وقواعد علم الاجتماع[47].

الجزء الأخير من الكتاب عنونه بـ "أثار أبي حمو الثاني الأدبية" تعرض فيه لكتاب "واسطة السلوك "الذي ألفه أبي حمو الثاني ثم عرض مضمون الكتاب ومنهجه وقيمة الكتاب في مجالات الحياة[48]، الآثار الشعرية يقول الدكتور حاجيات إن شعر أبي حمو لم يجمع في ديوان شعري وإنما هو مبثوث في مصادر الدولة الزيانية فقام الأستاذ بجمعه وتصنيفه حسب أعراضه إلى شعر الفخر والحماسة والرثاء والمولديات[49].

موضوع القسم الثالث كان مختارات من أثار أبي حمو الثاني الأدبية من كتب واسطة وبعض قصائده الشعرية الحب الحرب الشعر الديني المولديات[50].

يغلب على أستاذنا المنهج الأكاديمي في التعامل مع الحدث التاريخي "فأستاذنا يؤمن إن على المؤرخ عدم الانحياز لهذا أو ذاك الطرف المشارك في الحدث التاريخي"[51]من بين اهتمامات الأستاذ حاجيات التعريف بالحواضر الإسلامية في المغرب الأوسط، وإبراز دورها الثقافي والحضاري خاصة تلمسان بسبب إشعاعها الحضاري في فترة معينة، وكذا كونها مسقط رأس الأستاذ، ولأستاذ دراسة نشرت في مجلة الحضارة الإسلامية بعنوان: "تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط "،"الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان "مجلة الأصالة فالأستاذ يرى أن الاهتمام بدراسة القضايا المتعلقة بالمجال الفكري مهم جدا في التأريخ للمغرب الأوسط، وكذا التعرف على المراكز التي أسهمت في الإشعاع الثقافي[52].

ويعتبر أيضا أن التأريخ للشخصيات التي كان لها دور فعال في إثراء تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط مهم جدا فألف كتابه المذكور سابقا وكذا أطروحته المقدمة بعنوان "المغرب الأوسط في عهد السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني"[53].

3- جهود الدكتور عبد العزيز فيلالي في التأريخ للمغرب الأوسط: يعتبر الأستاذ عبد العزيز فيلالي من المؤرخين الجزائريين الذين اعتنوا بكتابة تاريخ الجزائر عامة، والمغرب الأوسط خاصة، فألف العديد

من الكتب منها العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس، ودول المغرب وكتاب المظاهر الكبرى في عصر الولاة ببلاد المغرب والأندلس، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، مدينة ميلة في العصر الوسيط، والعديد من المؤلفات فاخترنا كتاب "تلمسان في العهد الزياني دراسة سياسية عمرانية اجتماعية ثقافية" لإبراز جهود الأستاذ في كتابة تاريخ المغرب الأوسط الذي اختار اتجاها أخر في الكتابة هو الاتجاه المونوغرافي حيث قدم تاريخا مفصلا لمدينة تلمسان في العهد الزياني في جزأين تحدث في الجزء الأول عن الأوضاع الداخلية للدولة الزيانية[54]، تحدث على قيام الدولة الزيانية ودور القبائل في قيام الدولة، وكذلك دور ايغمراسن في تأسيس الدولة ثم انتقل إلى المعالم العمرانية بالمدينة و خطط الدولة وتطورها،[55] ليختم الجزء الأول بالحديث عن الأوضاع الاجتماعية والأصول العرقية للمجتمع التلمساني الزياني (البربر العرب الأندلسيون وعناصر أخرى).

وقسم المجتمع الزياني إلى طبقات اجتماعية، كذلك الأوضاع الصحية للسكان وتأثير الكوارث والأزمات على الحياة الاجتماعية وكذلك العادات والتقاليد (الملابس، المأكولات، عيد الفطر، عيد الأضحى، الزواج، الجنائز)[56].

أما الجزء الثاني عنوانه مظاهر الحياة الفكرية والتعليمية بتلمسان تناول فيه عناية بني زيان بالثقافة والعلم والمدارس، وأسباب وعوامل تطور الحركة الفكرية والتعليمية والرحلة إلى الحواضر العلمية لطلب العلم، كما لم يهمل ذكر الفقهاء الرحالة حيث ذكر حوالي 12 عالما[57].

تطرق الأستاذ أيضا لموضوع التيارات الفكرية بتلمسان فبدأ بالعصر الموحدي الذي اعتبر دعوتهم دعوة إصلاحية دينية ومذهبية[58]، ثم تتبع الوضع الفكري فتكلم عن موضوع الاجتهاد في القرن التاسع الهجري ولم يغفل تيارا فكريا مهما في ذلك العصر هو التيار الإسلامي المتصوف، وعرف بالعديد من متصوفة تلمسان في القرن الثامن الهجري. ليختم الكتاب بالحديث عن العلوم العقلية والنقلية بحاضرة تلمسان[59].

يعتبر "كتاب تلمسان في العهد الزياني" مرجعا مهما في دراسة تاريخ حاضرة تلمسان في العهد الزياني، ويعطي صورة عن المغرب الأوسط الزياني حيث تتطرق لجميع مناحي الحياة، ليقدم للباحث والقارئ صورة مكتملة لمدينة تلمسان في أزهى عصورها.

ثالثا: المغرب الأوسط في الدراسات الأكاديمية

سعى الرواد من المؤرخين الجزائريين والباحثين الأكاديميين بعد الاستقلال إلى تكوين جيل من الأساتذة في مختلف تخصصات التاريخ الجزائري حيث أطروا العديد من الرسائل الجامعية (دكتوراه ماجستير) وكان نصيب تاريخ المغرب الأوسط من هذه الدراسات حوالي105 رسالة أكاديمية عالج فيها أصحابها العديد من القضايا، واعتمدنا فيها على دراسة الأستاذ علاوة عمارة التي أحصى فيها الرسائل الجامعية المناقشة خلال خمسين سنة من الاستقلال "نصف قرن من البحث التاريخي بالجامعة الجزائرية"[60]، وحاولنا استكمال جمع ما نوقش في العشر سنوات الأخيرة.

1- القضايا السياسية: كان نصيب القضايا السياسية ضئيلا حيث بلغ عدد الرسائل التي نوقشت حوالي 12 رسالة وقد اهتمت جلها على العهد الزياني حيث وجدنا 7 رسائل ومن أصل 12 رسالة نذكر منها تطور نظام الحكم والرسوم في دولة بني عبد الواد للباحث بوزياني الدراجي سنة1981م، كذلك الدولة الزيانية من بداية الانحطاط إلى السقوط (897-969) للباحث حساني مختار سنة2000م، رسالتين تناولتا موضوع العلاقات الزيانية المرينية والزيانية الحفصية.

أما الدولة الرستمية فهناك دراسة سياسية واحدة حولها بعنوان العلاقات الخارجية للدولة الرستمية للباحث جودت علي سنة 1978م، أيضا الدولة الحمادية رسالة واحدة العلاقات الخارجية للدولة الحمادية (408-547ه/1017- 1152م) للباحث مباركي محفوظ سنة 2011م، العهد الفاطمي رسالة واحدة بعنوان الآثار السياسية للهجرة الهلالية في المغربين الأدنى والأوسط (443-643/1052-1152) للباحث سماعين عمارة أيضا، رسالة حول الدولة السليمانية بعنوان الدولة السليمانية والإمارات العلوية في المغرب الأوسط (173-342/789-954) للباحث بهلولي سليمان سنة 2000.

فحين نجد غياب الفترة المرابطية والموحدية عن الدراسات السياسية وهما فترتين مهمتين في تاريخ المغرب الأوسط، كذلك من المواضيع الغائبة العلاقات السياسية لدول المغرب الأوسط مع الأندلس والخلافة المشرقية العباسية، رغم وجود المادة التاريخية السياسية إلا أن الدراسات الجامعية في هذا المجال تبقى قليلة ودون المطلوب.

2- القضايا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية: نالت الدراسات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية اهتمام الباحثين والدارسين بالجامعات الجزائرية، حيث بلغت حوالي 45 رسالة موزعة كالأتي 20 رسالة حول الفترة الزيانية نذكر نماذج منها التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية (7-13/10-16) للباحثة بشاري لطيفة 1987، السوق في الدولة الزيانية للباحثة بطيب الهوارية الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للدولة الزيانية (633-962/1235-1554) للباحث حساني مختار 1987، العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني (633-962/1235-1554) للباحث بوحسون عبد القادر2008، الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن (7 إلى 13/10-16) للباحث بكاي عبد المالك 2014، المدارس التعليمية بتلمسان خلال القرنين (8-9/15-16) للباحثة عمارة فاطمة الزهراء2010 ،المرأة في المجتمع الزياني (633-962/1235- 1554) للباحثة حاج جلول بختة 2015، حركة التأليف التاريخي بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني (633-962/1235-1554) للباحث حساني عبد الكريم 2018 وغيرها من الدراسات التي عالجت مختلف الجوانب في العهد الزياني.

أما عصر الدولة الحمادية فنجد 5 رسائل حول القضايا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية أهمها: تأثير الحياة الاقتصادية على الحياة الاجتماعية في الدولة الحمادية (408-554/1018-1152) للباحثة باشا فاطمة، العلاقات بين المغرب الأوسط والأندلس خلال القرنين (5-6/11-12) دراسة اجتماعية وثقافية للباحثة حناش فطيمة 2012، الصناعة الحرفية بالمغرب الأوسط في عهد بني حماد (398-547/1077-1152) للباحث صادقي كمال.

أما الدولة الرستمية فهناك 4 رسائل منها التربية والتعليم عند الإباضية بالمغرب الإسلامي ما بين القرنين الثالث والخامس الهجريين (9-11) للباحث شعباني صلاح، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في عهد الإمارة الرستمية (144-226) للباحث منصور عبد الحفيظ 1984، إسهامات علماء تيهرت في الحركة العلمية ببلاد المغرب الإسلامي (160 -296_777-909) للباحثة قرواش سومية2018-2019،أما العهد الفاطمي فنجد رسالة واحدة هي الأوضاع الاجتماعية بالمغرب الأوسط في عهد الخلافة الفاطمية (296-362/908-972) للباحث بوراس رفيق 2009، والدولة المدرارية بدراسة واحدة بعنوان دولة بني مدرار بسجلماسة ودور تجارة القوافل في ازدهارها الحضاري (2-4) للباحث شنايت الحاج 1991، أما الدولة الموحدية رسالة واحدة بعنوان المغرب الأوسط في عهد الموحدين دراسة تحليلية للأوضاع الثقافية والفكرية (534-633/1159-1235) للباحث علي عشي 2012.

أما الدراسات التي شملت عدت دول بلغت 13 رسائل نذكر منها جوانب من الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية في المغربين الأوسط والأقصى من خلال كتاب المعيار للونشريسي للباحث بلبشير عمر2010،الإسهامات العلمية لعلماء المغرب الأوسط في الأندلس للباحثة بوحاج سعيدة 2012، الحياة الثقافية بين المشرق والمغرب الأوسط من الفتح الإسلامي إلى غاية نهاية دولة الموحدين للباحث خالدي عبد الحميد 2009، تطور علم الفلك بالمغرب الأوسط خلال الفترة الوسطى للباحثة نصيرة عزرودي 2016 العلاقات الحضارية بين المغرب الأوسط والجمهوريات الإيطالية من القرن 12/6حتى القرن 16/10،الأثر الحضاري للمذهب المالكي في المغرب الأوسط من القرن 5-11 إلى القرن 9-15 للباحث عبد الرحمن كريب 2016-2017.

مما سبق عرضه نلاحظ تنوع الدراسات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية حول المغرب الأوسط خاصة الفترة الزيانية لكن غابت الدراسات حول الفترة المرابطية.

كذلك المرحلة الفاطمية خصص للجانب الاجتماعي دراسة واحدة في حين غابت الدراسة الاقتصادية والثقافية.

3- الدراسات المونوغرافية والقبلية والشخصية: أحصينا في هذا المجال 26 دراسة موزعة كالأتي 11 دراسة مونوغرافية نذكر منها مدينة مازونة وناحيتها في العصر الوسيط دراسة مونوغرافية للباحثة عباس غنية بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين (6-7) هجريين للباحث أمين بتشيش 2008. "فان كانت المدن –العواصم –محظوظة أكثر يبقى عدد المدن المتوسطة والصغيرة يحتاج إلى دراسات شاملة على ضوء المادة النصية والمعطيات الأثرية المتوفرة وهو ما يعكف عليه بعض الطلبة الباحثين في تحضيرهم لمذكرات ورسائل حول بونة والمسيلة والجزائر"[61]. بالإضافة 5 دراسات حول القبائل في المغرب الأوسط نذكر منها قبيلة الزواوة مابين القرنين (6-12/8-15) دراسة سياسية عمرانية اقتصادية اجتماعية، للباحث خلفات مفتاح 2010، صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر (80-699/362-973) دراسة اجتماعية للباحث بن النية رضا 2006، بالإضافة إلى دراستين حول المساجد هما مساجد أثرية في منطقتي الزاب وواد ريغ، سخمي عبد العزيز 1986، ثلاثة مساجد في الشرق الجزائري شهبي عبد العزيز 1980.

أما الدراسات التي اهتمت بشخصيات المغرب الأوسط نجد 7 دراسات نذكر منها أبو عثمان سعيد العقباني: حياته وآثاره (ت811/1408) للباحثة رفاف شهرزاد 2006، محمد بن عبد الكريم المغيلي ومساهمته في غرب إفريقيا (823-909/1417-1503) بوغرارة منيرة 2003. نلاحظ قلة الدراسات رغم وجود شخصيات مؤثرة في المغرب الأوسط خاصة المؤسسين للدول.

4- دراسات المذاهب والقضاء: مجال مهم في الدراسات الجامعية في العصر الوسيط أحصينا 12 دراسة نذكر منها المذهب المالكي في المغرب الأوسط دخوله وانتشاره (3-5/9-11) للباحثة بوزري سعيدة 2010، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (ق13-15) للباحث عبيد بوداود2000 ،الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين (6-12/7-13) للباحث الطاهر بونابي 2001.

أما مجال القضاء فهناك دراسة واحدة بعنوان القضاء والقضاة في عهد الدولة الزيانية (633-962/1235-1554) للباحثة حساني نبيلة 1999.

خاتمة:

- بدأ الاهتمام بتاريخ المغرب الأوسط مبكرا لدى المؤرخين الجزائريين فحقق الدكتور ابن أبي شنب العديد من المخطوطات إسهاما منه في تمهيد الطريق للباحثين من بعده لدراسة تاريخ المغرب الأوسط.
- حاول جيل المؤرخين الإصلاحيين ربط الجزائري بتاريخ وطنه الطويل من خلال التركيز على مرحلة مهمة ألا وهي المرحلة الوسيطية التي تعبر عن الانتماء الحضاري والثقافي للأمة الإسلامية.
- كان المجال الثقافي والحضاري حاضرا في كتابات جيل الرواد فخصص له العديد من المباحث المستقلة تناولت الحياة الثقافية والعلمية وذلك إدراكا منهم للقيم الحضارية للمغرب الأوسط.
- تفتقر كتابات جيل الرواد للمنهج الأكاديمي العلمي المبني على القواعد الأكاديمية من أسلوب تاريخي ومنهجية علمية واعتماد المصادر التاريخية الأولية.
- يعتبر الشيخ عبد الرحمن الجيلالي أول من أرخ للمغرب الأوسط بإسهاب لأنه أعطى صورة متكاملة فقد استكمل ما بناه المدني والميلي.
- يعتبر الدكتور يحيى بوعزيز أحد المؤرخين الذين أسهموا بدراساتهم المعمقة في كشف خبايا تاريخ المغرب الأوسط وأخذ بأيدي الباحثين والدارسين في التاريخ الوسيط.
- اهتم الدكتور يحيى بوعزيز بالتأريخ لشخصيات المغرب الأوسط وهو مجال علمي خصب للباحثين في التاريخ الوطني.
- يمثل الدكتور يحيى بوعزيز الاتجاه الأكاديمي في الكتابة التاريخية حيث اعتمد على المنهج الأكاديمي في علاج قضايا التاريخ الوسيط.
- يمثل الأستاذ عبد العزيز فيلالي اتجاه أخر في الكتابة التاريخية حيث اعتنى بتاريخ الحواضر والعواصم الإسلامية في المغرب الأوسط.
- رغم ما أنجز من الأطاريح العلمية في الجامعات الجزائرية إلا انه لا يزال العديد من المواضيع التاريخية المرتبطة بالمغرب الأوسط مهملة خاصة الجانب السياسي للعديد من الدول التي قامت بالمغرب الأوسط.
- الشخصيات التاريخية التي أسهمت في تاريخ المغرب الأوسط عبر مراحله كثيرة لكن تبقى الدراسات الجامعية حولها قليلة.

الهوامش:

[1]- مختار نويوات، أثار العلامة محمد ابن أبي شنب مجلة اللغة العربية، ع 17، ص: 33.

[2]- عبيد بوداود خمسين سنة من تحقيق المخطوطات التاريخية في الجزائر مجلة المواقف، ع 7، ديسمبر 2012، ص: 165.

[3]- عمر بلعربي، محمد ابن أبي شنب سيرة ونضال 1869-1929، مجلة الأنثروبولوجيا والتراث، ص: 156.

[4]- عبيد بوداود، المرجع السابق، ص: 174.

[5]- ميسوم بلقاسم، الكتابات التاريخية خلال الفترة الاستعمارية، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، الجزائر 2011-2012، ص: 181.

[6]- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، د ط، د ت، ص: 17.

[7]- المرجع نفسه، ص: 17.

[8]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998، ج7، ص: 422.

[9]- فارس كعوان، المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي التاريخي 1830_1962 مساهمة في التاريخ الثقافي والفكري، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري، قسنطينة، سنة 2011-2012، ص: 363.

[10]- عبد الرحمن الجيلالي، مزية المدني على تاريخ شمال إفريقيا، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، ع18، 1985، ص: 26.
[11]- علاوة عمارة، الشيخ مبارك الميلي ومواجهة المشروع الفرنسي لكتابة تاريخ الجزائر، مجلة المواقف، ع3، ديسمبر، 2008، ص: 96.
[12]- مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج2، ص: 6.
[13]- المرجع نفسه، ج2، ص: 6.
[14]- المرجع نفسه، ص: 205.
[15]- ميسوم بلقاسم، مبارك الميلي رجل الإصلاح ومؤرخ الجزائر مجلة المواقف، ع،1 جانفي - ديسمبر 2007، ص: 150.
[16]- المرجع نفسه، ص: 150.
[17]عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1965،2، ج1، ص: 24.
[18]- المرجع نفسه، ج1، ص: 32.
[19]- المرجع نفسه، ج1، ص: 9.
[20]- المرجع نفسه، ج1، ص: 90.
[21]- المرجع نفسه، ج1، ص: 247.
[22]- المرجع نفسه، ج1، ص: 254.
[23]- ميسوم بلقاسم، الشيخ عبد الرحمن الجيلالي فقيه المؤرخين الجزائريين عرض لحياته وتقديم لكتابه "تاريخ الجزائر العام"، مجلة عصور، ع12-13-14-15 2008-2009، ص: 87.
[24]- المرجع نفسه، ص: 90.
[25]فاطمة بالهواري، الشيخ عبد الرحمن الجيلالي ومنهجه في تدوين تاريخ دول الجزائر خلال العصر الوسيط ص2.
[26]- ميسوم بلقاسم، الشيخ عبد الرحمن الجيلالي فقيه المؤرخين الجزائريين عرض لحياته وتقديم لكتابه "تاريخ الجزائر العام" مرجع سابق، ص: 90.
[27]- عبد الكريم بصديق، مساهمة الدكتور يحيى بوعزيز في تحقيق وكتابة تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، مجلة القرطاس، ع11، جانفي،2019، ص: 107.
[28]- يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2009، ج1، ص: 16.
[29]- المرجع نفسه، ج1، ص: 92.
[30]- المرجع نفسه، ج1، ص: 98.
[31]- المرجع نفسه ج1، ص: 99-115.
[32]- المرجع نفسه ج1، ص: 116- 130.
[33]- المرجع نفسه، ج1، ص: 145-172.
[34]- المرجع نفسه، ج1، ص: 194.
[35]- المرجع نفسه، ج1، ص: 210-239.
[36]- الصادق دهاس، جهود الدكتور عبد الحميد حاجيات في إبراز الإشعاع الفكري والثقافي لتلمسان مجلة الحوار المتوسطي، ع15 - 16، مارس، 2007، ص: 64.
[37]- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني حياته وأثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974، ص: 5.
[38]- المرجع نفسه، ص: 11-34.
[39]- المرجع نفسه، ص: 35-56.
[40]- المرجع نفسه، ص: 57-66.
[41]- المرجع نفسه، ص: 69-86.
[42]محمد الزين، عبد الحميد حاجيات والتأريخ لشخصيات المغرب الأوسط الزياني"أبو حمو موسى الزياني أنموذجا"، مجلة الحوار المتوسطي، ع15-16، مارس، 2017، ص: 85.
[43]- عبد الحميد حاجيات، مرجع سابق، ص: 86-103.

[44]- المرجع نفسه، ص: 110.
[45]- المرجع نفسه، ص: 155.
[46]- المرجع نفسه، ص: 156-183.
[47]محمد الزين، مرجع سابق، ص: 86.
[48]- عبد الحميد حاجيات، مرجع سابق، ص: 185-208.
[49]- المرجع نفسه، ص: 209_226
[50]- المرجع نفسه، ص: 233_383
[51]- خالد بلعربي، الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات ومساهمته في كتابة تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، ع3، رمضان- جوان، 1437_2016، ص: 60.
[52]- عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص: 35.
[53]- محمد الزين، مرجع سابق، ص: 81-82.
[54]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر، الجزائر،2002، ج1، ص: 13-83.
[55]- المرجع نفسه، ج1، ص: 87-163.
[56]- المرجع نفسه، ص: 167-310.
[57]- المرجع نفسه، ص: 317-357.
[58]- المرجع نفسه، ص: 375-414.
[59]- المرجع نفسه، ص: 435-493.
[60]-علاوة عمارة وآخرون، نصف قرن من البحث التاريخي بالجامعة الجزائرية، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسنطينة، 2013، ص85 - 132.
[61]- المرجع نفسه، ص 56.

مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 1069 – 1082
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

المؤسسات التعليمية بجنوب غرب الجزائر في العصر الحديث قراءة في الأدوار والأثر

Educational institutions in south-western Algeria in the modern era A reading of roles and impact

د/ موساوي مجدوب
كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية – جامعة سعيدة
medjdoub70@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2020/04/19 تاريخ القبول: 2021/12/23

الملخص:
يكتسي موضوع المؤسسات التعليمية بجنوب غرب الجزائر خلال الفترة الحديثة (القرنين 10 و11هـ/16 و17م) أهمية كبيرة؛ خاصة إذا ما عرفنا أنّ تأثيراتها كانت بالغة على المجتمع الجزائري في جميع الميادين؛ إذْ عَملت هذه المؤسسات بفضل القائمين عليها على نشر تعاليم الدين الإسلامي وتحفيظ كتاب الله وتلقين الطلبة والمريدين التربية الروحية ومختلف العلوم وحافظت على تماسك المجتمع وانتماءه.
هذه الأدوار النبيلة تركت الأثر الحسن في نفوس الجزائريين؛ فاجتهدوا في بنائها وتنافسوا في تشييدها تعبيرا واهتماما منهم بالعلم والعلماء، فتعددت وتنوعت هذه المؤسسات الدينية من مساجد وزوايا وكتاتيب ومدارس قرآنية وأوقاف... سَنُعرف بها وبمختلف الأدوار التي ساهمت فيها بجنوب غرب الجزائر خلال هذه الفترة من خلال مقالنا هذا.
الكلمات المفتاحية: المساجد؛ الكتاتيب القرآنية؛ المدارس العلمية؛ خزانات الكتب؛ الزوايا؛ التعليم؛ جنوب غرب الجزائر؛ العصر الحديث.

Abstract:
The issue of Educational institutions in south-western Algeria during the modern period (the AH 10th and 11th centuries AH/16th and 17th CE) is of great importance, especially if we know that its effects were severe on Algerian society in all fields. As these institutions worked, thanks to those in charge of them, to spread the teachings of the Islamic religion, memorize the Book of God, teach students and followers spiritual education, and brain.
These noble roles left the good impact on the hearts of the Algerians, so they worked hard to build them and competed in the construction of them in terms of expression and interest of them in science and scholars. There are many and varied religious institutions like mosques, corners, katibs, quranic schools and endowments or aoukaf…We shall be known about them and the various roles that they contributed to south-western Algeria during this period through our article.
Key words: Mosques; Quranic schools; Scientific schools; Bookcases; The corners; Education; south-western Algeria; the modern period.

مقدّمة:

مثلت المؤسسات التعليمية بجنوب غرب الجزائر في العصر الحديث (القرنين 10 و11هـ/16 و17م) مراكز للإشعاع الحضاري؛ إذ تعددت وتنوعت من مساجد وكتاتيب ومدارس ومكتبات وزوايا؛ تعدد وتنوع أدوارها ووظائفها في مختلف مجالات الحياة، إذ بمساهماتها هذه تمكنت من فرض وجودها على المجتمع

بهذا الإقليم بمختلف شرائحه وطبقاته، ونجحت كثيرا في تنظيمه وتسييره وساهمت بدور هام في نشر العلم والحفاظ على مقومات الدين الإسلامي واعتنت كثيرا بالتربية والتعليم.

تأسست هذه المؤسسات وانتشرت بهذا الإقليم نتيجة عوامل كثيرة منها؛ أنّه كان يمثل همزة وصل بين التل الجزائري في الشمال وصحراء السودان الغربي في الجنوب، كما أنّه مثل معبرا لقوافل الحجاج إلى جانب تمتعه بالطمأنينة والأمن. وقد عرفت الحركة العلمية مع هذه المؤسسات تطورا وازدهارا في شتى العلوم والفنون. ولهذا جاءت دراستنا هذه قصد التعريف بها من خلال ما ساهمت به من أدوار وما كان لها من أثر على الفرد والمجتمع حسب ما توفر لدينا من مصادر ومراجع عنها. ومن أهم هذه الدراسات نجد:

- كتاب "الرحلة العَلِيّة" للشيخ محمد باي بلعالم؛ تطرق فيه إلى واقع المؤسسات التعليمية بتوات ودورها في إنعاش الحركة الثقافية والعلمية.

أطروحة دكتوراه موسومة بـ: "المؤسسات الثقافية بإقليم توات دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية" لصالح بوسليم؛ أبرز من خلالها الأدوار التي ساهمت فيها المؤسسات الثقافية بتوات العلمية والثقافية.

وتتركز إشكالية مقالنا هذا في الإجابة على الأسئلة التالية:

هل شهدت منطقة جنوب غرب الجزائر خلال العصر الحديث حركة علمية؟ ثم ما هي أبرز المؤسسات التعليمية التي اشتهرت بعطائها العلمي والمعرفي؟ وما هو الأثر الذي تركته في الفرد والمجتمع؟

الإطار الجغرافي لإقليم جنوب غرب الجزائر:

يمتد إقليم جنوب غرب الجزائر من الهضاب العليا شمالا إلى وادي قاريت وهضبة مويدير وتنزروفت جنوبا؛ ومن العرق الشرقي الكبير وجبال العمور شرقا إلى حدود المغرب الأقصى ووادي مسعود وهضبة درعة غربا؛ يضم ثلاث مناطق رئيسية متباينة فيما بينها؛ وهي تقع جغرافيا بالتتابع من شمال الإقليم إلى جنوبه متمثلة في: منطقة القصور بوسط جبال القصور والمنتمية إلى سلسلة جبال الأطلس الصحراوي[1]، ومنطقة وادي السّاورة المحددة بمعالم طبيعية واضحة متمثلة في السفوح الجنوبية للسلسلة الأطلسية شمالا وهضبة درعة غربا وإيقدي وعرق شاش جنوبا، ومنطقة توات بأقصى جنوب غرب الجزائر والمشكلة من ثلاث وحدات أساسية متمثلة في: تينجورارين وتوات الوسطى أو تِسْوات وتيديكلت[2].

يضم إقليم جنوب غرب الجزائر سلسلة من القصور والمداشر ومجموعة من الواحات والمدن منها ما اندثر ومنها ما هو قائم إلى يومنا هذا؛ سكنته قبائل متعددة ومتنوعة عبر مراحل تاريخية تفاعلت مع بعضها البعض؛ إذ تَشَّكل من مجموعتين كبيرتين متباينتين من حيث نمط العيش؛ مجموعة عرفت حياة الاستقرار بالقصور؛ ومارست الفلاحة والتجارة وهي العناصر البربرية[3]، ومجموعة ثانية عرفت حياة الترحال والتنقل، وامتهنت الرعي وتربية الماشية وهي العناصر العربية؛ هذا التباين القبلي خلق نوعًا من التكامل بين المجموعتين في شتى المجالات؛ كما أكسب الإقليم خاصية روحية متمثلة في التصوف وأخرى اقتصادية متمثلة في مختلف الأنشطة من تجارة وزراعة ورعي[4]. كما عرف هذا الإقليم أيضا عناصر سكانية أخرى من اليهود والأفارقة نتيجة الهجرات المختلفة التي توالت عليه، بسبب تميّز موقعه الجغرافي وتوفره على الأمن والاستقرار. تعايشت هذه العناصر مع بعضها البعض حينا؛ وتصارعت حينا آخر لأسباب ودوافع كثيرة[5].

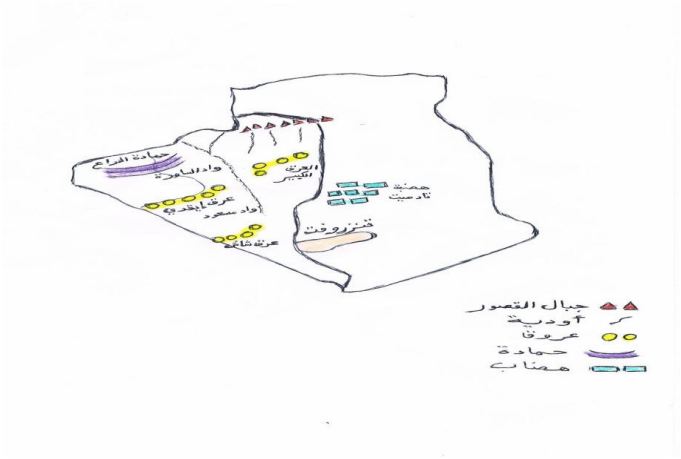

خريطة طبيعية لإقليم جنوب غرب الجزائر من إنجاز المؤلف

المؤسسات التعليمية بالجنوب الغربي الجزائري في العصر الحديث: تعددت وتنوعت؛ ونجد منها:

المساجد: لقد ورد ذكر المسجد في القرآن الكريم في العديد من الآيات؛ وكان أول ما اهتم به الرسول ﷺ بعد هجرته إلى المدينة المنورة هو بناء المسجد، لمكانته المرموقة وشأنه الكبير، ولما له أيضا من أدوار بارزة وفاعلة في حياة المسلمين، إذ كثيرا ما كان الرسول (عليه الصلاة والسلام) مُشجعا على بنائها وحاثا ومرغبا فيها؛ ومنها قوله: "مَن بَنى لِلهِ تَعالى مَسجدًا بَنى اللهُ لهُ بيتًا فِي الجَنَّة"[6].

كما بَيَّن الرسول (عليه الصلاة والسلام) فضلها ومكانتها عند الله تعالى؛ بقوله: "أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها"[7].

لم يتخلف أهالي قصور جنوب غرب الجزائر في بناء المساجد؛ إذ كانت من بين المظاهر والمنشآت المعمارية التي ميّزت قصورهم، إذ لم يكن أي قصر منها يخلو من مسجد، فأهم عنصر في القصر وأول ما يتم إنشاؤه بعد الاستقرار مباشرة هو المسجد.

وبالرغم من أهمية هاته المرافق الدينية في حياة الناس؛ إلا أن المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في إعداد هذا المقال لم تتطرق لها بصورة مُفردة، بل كُل ما وجدناه عنها عبارة عن نُتف بسيطة وغير كافية في ثناياها.

وإن كانت المساجد في الجزائر خلال الفترة الحديثة قد تعددت من حيث طرق تأسيسها وبناءها[8]، فإننا نجد المساجد بهذا الإقليم اهتم ببنائها شيوخ الزوايا والطرق الصوفية بمساعدة من السكان بدوا كانوا أو حضرا.

وما يلاحظ على هاته المساجد وهو أنّها كانت متواضعة وبسيطة في بنائها ومتقشفة في أثاثها وتجهيزها، فهي مبنية بالطوب والحجر، صوامعها منخفضة وفراشها بسيط من الحصير والزرابي، إذ اعتبرت أمثلة حيّة في البساطة[9].وفي هذا نجد قولا للبهنسي يُمكن لنا أن نتخذه كنموذج قد ينطبق عن هذه المساجد في هيئتها: "... المسجد من أهم المباني الإسلامية...بناءه بسيطا؛ مؤلفا من قطعة أرض تحيطها جدران، ويقام السقف على أعمدة من جذوع النخل أو على أعمدة حجرية مأخوذة من بناء قديم"[10].

وإلى جانب البساطة والتقشف التي طبعت مساجد قصور جنوب غرب الجزائر بصفة عامة؛ فإننا نجدها قد اختلفت في حجومها من حيث الاتساع والضيق، كمؤشر دال لها عن القبيلة ومِقياس لِقُوَّتِهم أو

ضُعفهم؛ وفي هذا الصدد يقول بابا حيدة عنها: "... وقصر القوم ومسجدهم يدل على عددهم من قلة أو كثرة، لأنَّ الناس لا تَبني إلا على قدر عددها غالبا "[11].

ولعل أقدم مسجد بالمنطقة هو مسجد تمنطيط[12] والذي حمل محرابه تاريخه سنة 106هـ-725م[13]؛ ومسجد المرابطين بأولف[14] والذي تَم بِناؤه سنة 164هـ-781م[15].

لم يكن المسجد بقصور جنوب غرب الجزائر مكانا لإقامة الصلاة فحسب؛ بل أصبح يؤدي دورا غاية في الأهمية، لما يجمع فيه من أنشطة كثيرة إذ كانت تُقدم فيه حِلق الذكر والعلم، وتُعقد فيه كل الأمور المهمة، ونجد في مسجد قصر بني عباس[16] الرئيسي قريبا من زاوية كرزاز[17] بالسّاورة أنموذجا رائدا في هذا المجال؛ إذ أقبل فيه الفقيه أحمد بن أبي محلي[18] على التدريس، وتنوعت دروسه فشملت اللغة وقواعدها والحديث والفقه والتصوف وأخذ عنه الكثير من الطلبة[19].

ونعتقد أن دروس أحمد بن أبي محلي؛ مسّت جميع مساجد القصور التي كان يتنقل إليها، ومنها بالأخص مسجدا قصر الشلالة الظهرانية[20] والتي أقام بها مدة من الزمن، وقصور بني جومي[21] حيث داره هناك بقصر بَرْبي[22].

كما درّس بالمسجد نفسه؛ عالم الجزائر سعيد بن إبراهيم قدورة عام 1015هـ-1606م مدة غير قصيرة، وخلال شهر رمضان من نفس العام، عقد هو وابن أبي محلي بهذا المسجد دروسا حديثية مشتركة على غرار ما كان يتبع في جامع القرويين بفاس بالمغرب الأقصى، وكان قدورة يُمسك بيده نسخة البخاري وعليها سنده المتصل بمحدثي تلمسان؛ ويمسك ابن أبي محلي أخرى بسنده عن الفجيجيين (نسبة إلى قصر فجيج الواقع في أقصى جنوب شرق المغرب الأقصى)[23].

وعلى هذا المنوال سارت مساجد قصور توات[24] التي اشتهرت بحلقات دروسها اليومية؛ إذ كثيرا ما تَنافس علمائها في العلم والمعرفة، وعقدت بينهم محاورات ومدارسات، كان لها الأثر الطيِّب على الناس عامة الذين فهموا من خلالها أمور دينهم[25].

وبغرض قيام المساجد بوظائفها المتعددة من عبادة وتعليم وتربية؛ فقد ساهم الكثير من المحسنين في تقويتها من خلال أموالهم الموقوفة على القائمين بها؛ من أئمة وخطباء ومدرسين ومؤذنين والدارسين فيها والقيمين على رعايتها وتنظيفها وإضاءتها، إذ يسروا للجميع أسباب السكن والمعيشة[26].

وغالبا ما يكون وكيل المسجد؛ هو من يقوم بالإشراف على هاته الأملاك والأموال الموقوفة، من حيث إدارتها وإنفاقها في أوجه البر، من تعليم وممارسة للشعائر الدينية، والقيام بمراسيم الزواج والطلاق؛ وغيرها من مسائل أخرى خدمة ومنفعة لأهل البلدة.

أما إمام المسجد؛ فإنه يقوم بتعليم أبناء البلدة من التلامذة بعد إمامته لكل صلاة، إذ يجتمع معهم ليلقي عليهم دروسا متنوعة؛ بينما يتولى المؤذن نظافة المسجد، وإمداده بالماء للوضوء، مع المواظبة على فتحه في المواعيد المحددة للصلاة، ونظير تأديته هذه الأعمال له حصة سنوية من التمر من أغنياء البلدة[27].

لقد كان للمساجد بجنوب غرب الجزائر في العصر الحديث الفضل الكبير في جوانب متعددة على الناس عامة؛ فإلى جانب وظيفتها التربوية التي ساهمت بها في تقويم سلوك الفرد والمجتمع، نجدها كذلك قد أَثَرت في توطيد العلاقات الاجتماعية بين الناس، فانتشرت المحبة وازدادت الأخوة بينهم مما انعكس إجابا على بناء وتقوية المجتمع بهذه المنطقة وكان لها الأثر الحسن في حياتهم؛ خصوصا وأنها كانت في بيئة أقل ما يقال عنها أنها بيئة صحراوية وقاسية، فظهر الأثر في استقرارهم وتعايشهم على اختلاف أصولهم وفي تحقيق التعاون والتآزر فما بينهم وفي ضمان تكوينهم العلمي والثقافي من خلال ما ساهمت به هذه المساجد

في نشر المعرفة والعلم بين الأفراد، إذ مثلت منابر لطرح مختلف المواضيع الدينية والعلمية والاجتماعية يحضرها كل الناس صغارا وكبارا يتعلمون العلم ويتفقهون في أمور دينهم. ومن هذه المساجد فإننا نجد:

- المسجد العتيق بقصر الشلالة الظهرانية؛ الذي يعود تأسيسه إلى سنة 920هـ-1514م[28]. كما تذكر لنا الرواية الشفوية بأنّ مسجد بوسمغون[29] الذي كان يحتل موقع الوسط داخل القصر يعود تأسيسه إلى بدايات الفتح الإسلامي.

- مسجد سيدي مَحمد بن أبي زيان[30] بالعوينة؛ والذي حفر له عين ماء بالقرب منه وسماها بـ "عين البركة"، وكثيرا ما كانت تُسّوى وتُعالج بهذا المسجد صُغرى القضايا التي كانت تحدث بين الناس بدوا كانوا أو حضرا من طرف إمامها؛ في حين كانت القضايا الكبرى تُعرض على الشيخ مَحمد بن أبي زيان وهو من يتولاها[31].

- مسجد سيدي أحمد بن موسى الكرزازي[32] بأقدال؛ إذ جعل عند بابه ساقية عرفت بساقية إتكوميت، وهذا بغرض توفير الماء للمصلين وضمان طهارته ونظافته، التي تكلف بها مؤذنه سيدي محمد بن إبراهيم البداوي، وكانت تقام بداخل المسجد الحضرة الكرزازية بعد كل صلاة؛ من الصبح إلى طلوع الشمس، وهذا طيلة فصل الشتاء[33].

- مسجد زاوية كنتة؛ والذي أسسه الشيخ أحمد الرقاد سنة 999هـ-1590م بعدما أتم بناء داره[34].

- مسجد قصر تنلان؛ والذي بناه أحمد بن يوسف الونقالي[35] سنة 1058هـ-1648م[36].

المدارس العلمية: عرفت المدارس العلمية هي الأخرى انتشارا واتساعا بقصور جنوب غرب الجزائر في العصر الحديث؛ حتى كاد لا يخلو منها قصر، ونعتقد أنّ أعدادها ارتبطت بتعداد المساجد أو الزوايا على حد سواء؛ إذ غالبا ما كانت تؤسس بجوارها، كما أنَّ شيوخ الزوايا أنفقوا عليها بسخاء من أموالهم، إلى جانب الأوقاف التي ساهمت بفعالية في انتشارها ونشر التعليم[37].

وإلى جانب أنَّ المدارس هي مؤسسات تعليمية مجانية لأبناء المسلمين؛ فإنها تميّزت عن الكتاتيب في أنها تُهيئ المساكن للطلاب الذين يخضعون لتنظيمها الداخلي.

وبخصوص مختلف العلوم التي كانت تُدرس بها؛ فإنَّ الطالب كان يَتلقى بها متون العقيدة كمتن السنوسية الصغرى والكبرى، جوهرة التوحيد، السلم المرونق...، ومتون الفقه كمتن ابن عاشر ومتن القرطبي ورسالة القيرواني والمدونة ومختصر خليل وغيرها من المتون الأخرى، إلى جانب اللغة والنحو؛ وهو مُطالب بحفظها في حين يقوم الشيخ بتفسيرها وحل ألفاظها.

وبعد إتقان هذه العلوم؛ ينتقل الطلبة إلى علوم الحديث والتفسير، إلى أن يتخرج الطالب من المدرسة وقد تَمَكَّنَ من علوم الشريعة وعلوم اللغة[38].

وغالبا ما كان التعليم بالمدارس يَتم عن طريق الحلقات العلمية المكثفة؛ والتي كانت تستغرق يوما كاملا حسب قدرة الشيخ، تستمر من بكرة كل يوم حتى الزوال، بعدها ينصرف الطلبة لتناول وجبة الغذاء لتستمر الفترة المسائية بعد صلاة العصر حتى صلاة المغرب.

وما وجب أن نشير إليه؛ وهو أنَّ الطالب بالمدرسة غير مقيّد بمدة زمنية بها، وله الحق في مغادرتها متى حصل له الاستيعاب، وبعد حصوله على الإجازة من الشيخ الذي يمليه أسانيدها.

وكثير من متخرجين هاته المدارس يتولون مناصب الإمامة والتدريس عند عودتهم إلى أهاليهم[39].

أما عن المدارس التي أخذت شهرة كبيرة؛ والتي كان لها الفضل الكبير في بعث الحركة العلمية بالمنطقة، فنجد أن توات تميّزت بهذا النوع من المؤسسات عن غيرها من المناطق الأخرى بجنوب غرب الجزائر؛ ومن أشهر هذه المدارس نجد:

- مدرسة زاوية تنلان؛ والتي عرفت نشاطا علميا كبيرا، فأصبحت مقصدا للطلبة من جميع نواحي توات[40].
- مدرسة الشيخ سيدي محمد البكري بن عبد الكريم[41] بتمنطيط؛ أنشأها لتدريس طلاب العلم بالمنطقة، وكان هو من يتولى التدريس بها بنفسه، فتخرج على يديه أبناءه وكثير من الطلبة.
- مدرسة بوحامد؛ والتي يرجع تاريخ تأسيسها إلى القرن التاسع الهجري/الخامس عشر ميلادي من طرف الشيخ أبو حامد الجعفري، بقصر بوحامد بتوات.
- مدرسة أنزجمير؛ التي أسسها مجموعة من علماء أنزجمير في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر ميلادي.
- مدرسة لِمْطارفة؛ التي أسسها الشيخ الحاج محمد صالح في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر ميلادي بقصر لمطارفة بمنطقة قورارة.
- مدرسة كوسام؛ التي أسسها البلباليون في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر ميلادي بقصر كوسام.
- المدرسة الكنتية التواتية؛ وهي إحدى المدارس التي أسسها الكنتيون[42].

لقد كان لهذه المدارس العلمية هي الأخرى أثر في تقدم ورفاهية المجتمع بمنطقة جنوب غرب الجزائر في العصر الحديث من خلال رفعها لدرجة وعيّ أفراده والذين انفتحوا على بعضهم البعض، وتمكينهم من التمييز بين الخطأ والصواب فلا يعتدي أحدهم على الآخر، فصنعوا لأنفسهم حياة كريمة وراقية نتيجة ما تلقوه من علوم ومعارف بها، جعلتهم يعتمدون على أنفسهم ويستعدون لمواجهة صعوبات الحياة في هذه البيئة الصحراوية.

الكتاتيب: تعتبر الكتاتيب من بين المؤسسات التعليمية الدينية الهامة التي وجدت في المجتمع الإسلامي؛ لتثقيف الصغار وتربيتهم تربية حسنة، لهذا حرص جميع الجزائريين على إرسال أبنائهم إليها دون تهاون أو تردد.

كانت الكتاتيب تخضع لنظام حياة البيئة المتعارف؛ فهي مستقرة في المدن ومتنقلة في البوادي. وتعد الكتاتيب أول المدارس التي يلتحق بها الصبيان منذ سن الخامسة وأحيانا منذ الرابعة. وعادة ما كانت تتخذ بجانب المسجد أو الزاوية؛ تجنبا للتشويش على حلقات الكبار، وفصلا وتمييزا بين الأطوار التعليمية[43].

أما عن التعليم بكتاتيب قصور جنوب غرب الجزائر؛ فقد كانت تقاليده مُتشابهة بسبب ما كان يجمعهم من علاقات ثقافية وتجارية، فقد حرص سكانه على إدخال أبنائهم الكُتَّاب في سن مبكرة، ليتولى مسؤوليتهم (الطَّالَبْ) الحافظ للقرآن الكريم والمحيط بالضروري من علوم الدين؛ وقد كان يطلق عليه اسم "سي" أو "سيدي" وسط التلاميذ.

وأول ما يتعلمه هؤلاء الصبيان؛ هو الحروف الأبجدية والتي يتلقونها بطريقة شفوية، ثم يتعرفون على أشكالها في الألواح، وخلالها يحاول الطفل أن يتتبع بقلم القصب دون الحبر ما نحته له الطالب قصد تعويد أصابع يده على تعلم أولويات الكتابة، ثم يكتبونها باستعمال الحبر، وقد يكون بمساعدة أحد التلاميذ العارفين وهذا كمرحلة أولى.

أما في المرحلة الثانية؛ فإنَّ الصبيَّ يتدرج في كتابة آيات قرآنية، وانطلاق عملية تحفيظ القرآن الكريم بدءا بفاتحة الكتاب فسورة الناس فالفلق...؛ وهكذا من أسفل إلى أعلى ومن أعلى إلى أسفل حتى يحفظوه عن

ظهر قلب ولو تكررت الختمات عدة مرات، وكثير من التلاميذ كان يتم الحفظ؛ وسنه لم يتجاوز العشر سنوات.

وما وجب أن نشير إليه؛ وهو أن عملية التحفيظ ارتبطت ببعض الأعراف الحسنة بالمجتمعات القصرية بجنوب غرب الجزائر، وهي في الغالب مشجعة ومحفزة على المداومة والاستمرار؛ متمثلة في إقامة وليمة كلما أتم الطفل حفظ جزء من القرآن، كحزب منه أو ربع أو نصف منه، تخصص الوليمة للصبي الحافظ وزملائه والطالب.

وإذا ما أتم حفظ القرآن كاملا؛ فيقام له حفل الختمة مُكافأة له، فَتُزَيَّن يداه ورجلاه بالحناء، ويقوم الشيخ بتزيين ونقش لوحه...، ويجلس الحافظ لكتاب الله في ردهة الكُتاب وسط زملائه، وهم يرددون قصيدة البردة، ويتلقى بالمناسبة هدايا وعطايا المهنئين. وكان الغرض من هذا التكريم هو تشجيع وتحفيز التلاميذ الآخرين على حفظ القرآن الكريم.

بعد الانتهاء من حفظ القرآن؛ يتلقى التلاميذ بعض المبادئ في الفقه واللغة، بتحفيظهم متن ابن عاشر والأخضري والأجرومية؛ وبحفظهم لها يكون التلميذ مؤهلا للانتقال إلى مرحلة ثانية بالزاوية لأخذ العلم عن شيخها.

أما بخصوص توقيت الدراسة؛ فقد جرت العادة أن يتم تحفيظ القرآن كل صباح من الساعة الخامسة إلى العاشرة صباحا، وكل مساء من الساعة الواحدة إلى السابعة أو الثامنة مساءا؛ مع استراحة قبل صلاة العصر وهذا كل أيام الأسبوع باستثناء يومي الخميس والجمعة كعطلة أسبوعية في الغالب.

أما بخصوص العطل السنوية؛ فقد ارتبطت بالمناسبات الدينية كعيدي الفطر والأضحى والمولد النبوي الشريف وعاشوراء.

وبالرغم من الدور الذي كانت تساهم فيه هذه الكتاتيب وسط مجتمعاتها؛ إلا أنّ مُعلميها كانوا من الطبقة الفقيرة يتقاضون أجورا زهيدة لقاء قيامهم بمهمة التعليم، والتي كانت في الغالب مِمَّا كان يتصدق به عليهم أولياء التلاميذ من التمر والقمح خلال السنة[44].

ورغم أنَّ هاته المؤسسة التعليمية تميّزت بالبساطة، وبأساليبها التقليدية في التعلم، وقلة إمكانياتها المادية؛ إلا أنَّها كان لها الأثر البالغ الأهمية في المحافظة على اللغة العربية واستقامة اللسان العربي وفي تحفيظ الناشئة القرآن الكريم، وتعليمهم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب، وإعدادهم وتربيتهم تربية حسنة.

المكتبات: ارتبط ظهور المكتبات بالمساجد والزوايا بجنوب غرب الجزائر؛ وعرفت باسم خزائن الكتب التي لم تكن تَقتصر على ما يُنتج محليا عن طريق التأليف والنسخ، بل شملت كتب كل العالم الإسلامي؛ وبصفة خاصة الحجاز والأندلس والمغرب واسطنبول[45].

ولما كانت الزاوية مكانا للتعليم؛ فإنَّها كانت لا تخلوا من خزائن للكتب، مُلحقة بها تضم كتبا في مختلف العلوم الدينية واللغوية. وقد حرص شيوخ الزوايا على جمع الكتب واقتنائها؛ هذا الحرص يتجلى لنا من خلال ما بذلوه من جهود لأجل تزويد خزائنهم بالكتب سواء عن طريق التأليف أو الشراء أو النسخ أو الإهداء، كما عملوا على تعيين خِيرة الناس على تسييرها والإشراف عليها، وغالبا ما يكونون من أحد أبناء وحفدة شيخ الزاوية.

وقد ساهمت كثير من العوامل في تطوير هاته الخزائن؛ ومنها بصفة خاصة تنقل العلماء والطلبة بمختلف زوايا جنوب غرب الجزائر، وحركتا القوافل التجارية وركب الحجيج، وما كانوا يجلبونه معهم من كتب ومخطوطات، سمح لهاته الزوايا من الاطلاع عليها ونسخها أو حتى شرائها؛ ومن هاته الخزائن نجد:

- خزانة الشيخ سيدي مَحمد بن أبي زيان بزاويته بالقنادسة[46].
- خزانة الشيخ سيد البكري بن عبد الكريم بتمنطيط.
- خزانة الشيخ سيد أحمد بن موسى بزاويته بكرزاز.
- خزانة الشيخ عبد الكريم المغيلي.
- خزانة الشيخ سيدي الحاج بلقاسم بقورارة.
- خزائن قصور: بودة، المطارفة، تمنطيط، كنتة، أقبلي...وغيرها من خزائن أخرى.

وإلى جانب خزائن الزوايا؛ فإنَّ كثيرا من الخاصة كانوا يملكون كُتبا في بيوتهم بمنزلة هاته الخزائن؛ ولنا في هذا مثالا عن خزانة الشيخ محمد بن إسماعيل المسناوي[47] بقورارة[48].

اهتمام مشايّخ المؤسسات التعليمية وحرصهم على بناء المكتبات وتطويرها هو إدراكهم الكامل للأثر الحسن الذي يتركه قراءة الكتاب في نفسية الفرد المتعلم وفي حياته بزيادة مستوى إنتاجيته وتفاعله وتعاطفه ووعيه وهو ما عاد بالنفع الكبير على المجتمع بمنطقة الجنوب الغربي الجزائري في هذا العصر في تطويره وارتقاء مستواه المعرفي والحضاري باعتبار أن القراءة هي من المحركات الرئيسية والأساسية لأي نهضة؛ خصوصا وأن المتعلم بهذه المنطقة لم يكن بمقدوره شراء الكتاب لغلاء سعره.

الزوايا: مما ميّز العصر الحديث بالجزائر هو انتشار الطرق الصوفية وكثرة المباني المُخصصة لها (الزوايا)؛ وبصفة خاصة بمنطقة الجنوب الغربي، الذي ظلت بيئته بيئة جذب واستقطاب لعدد كبير من العلماء والشيوخ؛ الذين كانت لهم مساهمات في تأسيس العديد منها.

وقد كان لهاته الزوايا أدوارا بالغة الأهمية؛ من خلال ما ساهم به شيوخها في مجالات متعددة من الحياة الاجتماعية للناس بدوا كانوا أو حضرا، ونتيجة لهذا انضموا إليها طواعية وعملوا على تقويتها من خلال ما قدموه لها من صدقات وهبات وهدايا متنوعة كانت تتغذى منها؛ إلى جانب مواقعها الهامة التي تمركزت بها، بأهم نقاط معابر ركب الحجيج الرئيسية وقوافل التجارة الصحراوية، كما أنّ مواقعها شكلت همزة وصل بين التل والصحراء الكبرى.

فالزاوية لغة تعني ركن البناء[49]. كما أنها كلمة مشتقة من الفعل انزوى؛ بمعنى ابتعد وانعزل، وسميّت كذلك لأن الذين فكروا في بنائها أول مرة من المتصوفة والمرابطين؛ اختاروا الانزواء بمكانها للاجتهاد في الأمور الدينية بعيدا عن ملذات الدنيا وشهواتها[50].

أما اصطلاحا؛ فإنها أطلقت في بادئ الأمر على صومعة الراهب المسيحي، ثم أطلقت على المسجد الصغير أو على المُصّلى[51].

كما نجد تعريفا آخرا للزاوية ببلاد المغرب لابن مرزوق الخطيب؛ بقوله: "على أنها المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاج من القاصرين"[52].

فَيُفْهم من قول ابن مرزوق؛ أنَّ الزاوية في عهده كانت مؤسسة اجتماعية وإحسانية، تهتم بإيواء عابر السبيل والغريب وإطعامهم؛ إلا أننا نجد أن هذه المؤسسة قد تطورت بعده، لتشمل في وظائفها ميادين أخرى، وبصفة خاصة التعليم وتصبح بذلك مؤسسة تعليمية أيضا؛ من خلال تعليمها وتحفيظها للقرآن الكريم وتدريسها لمختلف العلوم الدينية واللغوية.

كما أنّ مصطلح الزاوية قبل عهد ابن مرزوق حوالي القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي ارتبط بالرباط؛ وذلك لملازمة المسلمين لثغور العدو قصد الجهاد في سبيل الله والحراسة[53].

ومن خلال مقالنا هذا؛ وحَسَب ما توفر لدينا من مصادر ومراجع مختلفة، يُمكن تقسيم مؤسسة الزوايا بمنطقة جنوب غرب الجزائر من حيث وظائفها؛ إلى ثلاثة أنواع هي:

زوايا التصوف: غالبا ما تكون هاته الزوايا ملكيتها خاصة؛ لصاحبها ومؤسسها شيخ الطريقة الصوفية، ومَشيختها تنتقل بالتوارث بين أبنائه عند وفاته. عملت على تربية المريدين المنقطعين للعبادة والذكر، كما لجأ إليها أيضا طلبة العلم القادمين إليها من مختلف الجهات قصد الدراسة والتعليم.

اعتمدت هاته الزوايا في تموينها على أملاكها الخاصة الموقوفة عليها؛ ومختلف الصدقات والتبرعات التي يجود بها المحسنون والأتباع.

ولعل أول ظهور لهذا النوع من هاته الزوايا بمنطقة جنوب غرب الجزائر؛ هي الزاوية القادرية بتوات لصاحبها محمد بن عبد الكريم المغيلي، في أواخر القرن التاسع هجري/الخامس عشر ميلادي، لتنشأ زوايا أخرى بالمنطقة كزاوية سيدي بوتخيل[54] بأربا التحتاني وزاوية الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد المشهور بسيدي الشيخ بالأبيض وفجيج وزاوية سيدي مَحمد بن أبي زيان بالقنادسة وزاوية سيدي أحمد بن موسى بكرزاز وزاوية سيدي أحمد الرقادي بكنتة وغيرها من زوايا أخرى[55].

زوايا العلم: لم يكن لها من هم إلا نشر العلم؛ من خلال تعليم وتحفيظ القرآن الكريم وتعليم مختلف العلوم الدينية واللغوية؛ يلتحق بها الطلبة من جهات مختلفة بعد اجتيازهم للمرحلة الابتدائية في الكتاتيب. عرفت نظاما دقيقا في تسيِّرها من حيث مواقيت الدراسة والعلوم المدرسة بها.

نجد هذا النوع من الزوايا قد تميّزت به منطقة توات؛ عند كثير من العائلات والأسر العلميّة بها، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر العائلة البكرية بتمنطيط والعائلة التنلانية بتنلان[56].

زوايا الإطعام: عُرفت بأنَّها مؤسسات خيرية؛ مختصة في إيواء وإطعام الضيوف والفقراء والمساكين وعابري السبيل، ظهرت نتيجة ظروف البيئة القاسية بجنوب غرب الجزائر من جهة؛ ووقوعها بالطريق الذي يسلكه الحجاج والتجار من جهة ثانية، مِمَّا أَهَّلها لكي تكون محطات رئيسية للاستراحة وأماكن مهمة للتزود بمختلف الاحتياجات.

وفي هذا النوع ذكرت لنا المراجع الكثير من هاته الزوايا؛ ومنها: زاوية سيد البكري بن عبد الكريم وزاوية سيدي علي بن حنيني وزاوية سيدي عبد القادر بن عومر وزاوية بني يخلف بكرزاز وزاوية القنادسة والزاوية الرقانية...[57].

ومما يجدر الإشارة إليه؛ وهو أن أغلب زوايا منطقة جنوب غرب الجزائر، جمعت في كثير من الأحيان بين هاته الوظائف الثلاث في آن واحد، بين التصوف والعلم والإطعام.

أما عن أدوار هاته الزوايا فقد تعددت مهامها لتشمل مجالات كثيرة نذكر منها؛ تقوية الرابطة بين أفراد المجتمع من خلال فضها للنزاعات، وإصلاح ذات البين؛ بغرسها لقيم التسامح والعفو والصبر. كما اهتمت كثيرا بطبقة الفقراء والمساكين؛ بتقديم لهم مختلف المساعدات. واهتمت بتعليم الناس وتثقيفهم بتلقينهم مختلف العلوم والفنون؛ بل أكثر من هذا؛ فقد كان لبعضها مُساهمات في نشر الإسلام ببلاد السودان الغربي.

هذه الأدوار المتعددة للزوايا كان لها الأثر الحسن على المجتمع خصوصا وأنها قامت على قاعدة بشرية عريضة غطت جميع فئاته من عامة وخاصة؛ فبفضلها عَمَّ الحق والعدل باعتبار أنها كانت ملجأ للمتخاصمين منهم لحل المنازعات وتسوية الخلافات بين الناس بالصلح والتسامح. كما انتشرت روح التضامن والتكافل الاجتماعي عَرَفَتْ المنطقة من خلاله استقرارا وأمنا في هذا العصر بدل الاضطرابات والفوضى التي كانت سائدة.

هذه النتائج لم يكن لها أنْ تَعرف النجاح؛ لولا ما تميَّزت به هاته الزوايا من تنظيم مُحكم ودقيق في هيكلها البشري والمادي، يَّسر كثيرا من أداء مهامها وساهم أيضا في استمرارها ووجودها؛ إلى جانب ما كانت تتمون به من مصادر متنوعة ومتعددة.

خاتمة:

وكخاتمة لما سبق ذكره نجد أن المؤسسات التعليمية بجنوب غرب الجزائر في العصر الحديث(القرنين 10 و11هـ/16 و17م) تعددت وتنوعت من مساجد وكتاتيب ومدارس قرآنية ومكتبات... وعرفت انتشارا وكثافة في كامل المنطقة وقد ساهم في تأسيسها كثير من العلماء والعبّاد والمتصوفة الذين كان لهم الدور البالغ الأهمية في إبرازها كمراكز إشعاع حضاري داخل واحاتها بالصحراء إلى جانب موقعها المنفتح؛ والذي شكل همزة وصل وتواصل بين تل الجزائر في الشمال والصحراء الكبرى ببلاد السودان الغربي في الجنوب، ومعبرا هاما لقوافل التجارة الصحراوية وقوافل الحجاج بين الجنوبيين الجزائري والمغربي من الغرب إلى الشرق.

ساهمت هذه المؤسسات بدور بارز وهام في نشر العلم والتربية الروحية بين السكان وحافظت على مقومات الدين الإسلامي واللغة العربية وتفعيل الحياة الثقافية والاجتماعية وقدمت خدمات جليلة للناس في مختلف مجالات الحياة. أملنا أن نكون قد وفقنا في التعريف بها وبأدوارها المختلفة وبأثرها من خلال مقالنا هذا والتي لابد من المزيد من البحث والنظر فيها قصد الكشف عن الكثير من المعلومات التي تخص تراثنا الثقافي والحضاري في هذا العصر.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر العربية المخطوطة:

- أحمد بن أبي محلي (تـ 1021هـ-1612م)، أصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت أو عذراء الوسائل وهودج الرسائل في مرج الأرج ونفحة الفرج إلى سادة مصر وقادة العصر، مخطوط رقم 431 أدب، دار الكتب المصرية، القاهرة.
- عبد الرحمان بن محمد بن مزيان اليعقوبي، فتح المنان في سيرة الشيخ مَحمد بن أبي زيان، مخطوط بدون رقم تصنيف، الخزانة الزيانية القندوسية، القنادسة، بشار.
- عبد القادر بن أبي حفص عمر، الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية، مخطوط بدون رقم التصنيف، خزانة الوليد بن الوليد، قصر با عبد الله، توات، أدرار، الجزائر.
- محمد بن عبد الحق بن عبد الكريم، جوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الألف الثاني، مخطوط ضمن مجموع بدون رقم التصنيف، خزانة زاوية المهدية، أدرار.

المصادر العربية المطبوعة:

- أحمد أبو العباس بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى -الدولة السعدية-، تحقيق وتعليق وَلَدَّيْ المؤلف جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955، القسم الثاني، ج6.
- أحمد أبو العباس بن يحي الونشريسي (المتوفى بفاس سنة 914هـ)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1401هـ-1981، ج 7.
- عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحاده، راجعه سهيل زكار، دار الفكر، لبنان، بيروت، 1421هـ-2000م، ج7.
- عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، تحقيق وتقديم سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 2006، مج 1.

- محمد بن مرزوق الخطيب، المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق ماريا خسيوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401هـ–1981م.
- محمد بن علي بن محمد بن الأزرق (ت896هـ–1490م)، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق علي سامي النشار، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1977، ج 1.
- محمد بن عبد الكريم الكرزازي (كان حيّا سنة 1296هـ-1879م)، المنّاقب المعزّية في مآثر الأشيّاخ الكرزّازيّة، دراسة وتحقيق وتعليق موساوي مجدوب ولد علي، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 2019.
- محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تص السيد هوداس، مطبعة بردين انجي، 1888.
- محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم المشهور (بابن بابا حيدة)، القول البسيط في أخبار تمنطيط، تحقيق فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977.
- مسلم أبو الحسين بن الحجاج (206-261هـ)، صحيح مسلم المسمى المُسند الصحيح المختَصَر من السُّنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم-، تشرف بخدمتها والعناية بها أبو قتيبة نظر محمد الفاريبي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض،الطبعة الأولى، 1427هـ-2006م.
- ابن منظور (630–711هـ)، لسان العرب، تص أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1419هـ–1999م، ج 6.

المراجع العربية المطبوعة:

- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، طبعة خاصة، ج 1.
- أحمد مريوش ومجموعة أساتذة، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
- بشار قويدر وحساني مختار، مخطوطات ولاية أدرار، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، منشورات وزارة الاتصال والثقافة، الجزائر، 1999.
- خليفة بن عمارة، كتاب النسب الشريف متبوعا بشرفة الجنوب الغربي، ترجمة بوداود عمير، مكتبة جودي مسعود، وهران، 2009.
- صالح بوسليم، المؤسسات الثقافية بإقليم توات دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية أثناء القرنين 12 و13هـ/18 و19م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف محمد مجاود، جامعة الجيلالي اليابس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، سيدي بلعباس، 2007–2008م.
- صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشأتها، دار البراق، لبنان، 2002.
- عبد الله حمادي الإدريسي، صحراء وادي السّاورة تاريخًا ومناقب وبطولات، دار بوسعادة للنشر والتوزيع، 1434هـ-2013م، الطبعة الأولى، ج 2.
- عفيف البهنسي، العمارة عبر التاريخ، دار الطلاس، د.ت.
- محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، دار هومه، 2005.
- محمد الصالح حوتية، توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي) دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، دار الكتاب العربي، القبة، الجزائر، 2007، ج 1.
- محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، مطبوعات فضالة، الدار البيضاء، المغرب، 1398هـ-1978م، ج 2.
- محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1417هـ–1996م، الطبعة الأولى، ج5.
- محمد عادل عبد العزيز، التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987.
- محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، مطبعة النخلة، المرادية، الجزائر، د.ت.
- ميلود سرير وآخرون، دور الزوايا الثقافي والعلمي في منطقة توات، (فرقة بحث)، جامعة أدرار، 2000، ج 1.

المراجع باللغة الأجنبية:

- Bernard saffroy, Chronique du Touat (des repères pour une histoire), C.D.S, Ghardaïa.
- François COMINARDI, au cœur des monts des ksours, le KSAR de chellala dahrania, in tradition et modernité, revue d'architecture et d'urbanisme, Alger, N°.2.

الهوامش:

[1]- François COMINARDI, au cœur des monts des ksours, le KSAR de chellala dahrania, in tradition et modernité, revue d'architecture et d'urbanisme, N°.2,Alger,1995, P.45.

[2]- محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، ج 1، دار هومه، 2005، ص ص 11 – 25.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحاده، راجعه سهيل زكار، ج6، دار الفكر، لبنان، بيروت، 1421هـ-2000م، ص 158.

[4]- المصدر نفسه، ص ص 27 – 174.

[5]- عبد الله حمادي الإدريسي، صحراء وادي السّاورة تاريخًا ومناقب وبطولات، دار بوسعادة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2013م، ج 1، ص ص 300 – 319، وج 2، ص 269.

[6]- أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (206-261هـ)، صحيح مسلم المسمى المُسند الصحيح المختَصَر من السُّنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم -، تشرف بخدمتها والعناية بها أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الحديث رقم 533، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل بناء المساجد والحثّ عليها، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، 1427هـ-2006م، ص 241.

[7]- مسلم، صحيح مسلم، (م.ن)، الحديث رقم 288، باب: فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح، وفضل المساجد، ص 301.

[8]- المساجد في الجزائر خلال الفترة الحديثة بعضها قام بِبِنائِها وتأسيسها الحُكام؛ ويَعتبرون هذا جزءا من واجبهم الديني لخدمة المجتمع الإسلامي ومساعدته في تأدية شعائره الدينية؛ كمساجد مدن الجزائر، تلمسان، قسنطينة... ولم نجد لهذا النوع أي أثر في الإقليم المحدد لنا بالدراسة، كونه كان بعيدا عن السلطة المركزية الحاكمة. كما نجد مساجد من نوع آخر؛ قام بتأسيسها الأثرياء من الناس بهدف التقرب إلى الله –عز وجل-، وهي بأعداد كبيرة بالجزائر خلال هذه الفترة؛ إلا أننا لم نجد أي إشارة لها بجنوب غرب الجزائر، وهذا حسب ما اطلعنا عليه من مصادر. محمد بن علي بن محمد بن الأزرق (ت896هـ–1490م)، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق علي سامي النشار، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1977، ج 1، ص 247. محمد عادل عبد العزيز، التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987، ص 49.

[9]- أحمد مريوش ومجموعة أساتذة، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 14.

[10]- عفيف البهنسي، العمارة عبر التاريخ، دار الطلاس، د.ت، ص 153.

[11]- محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم المشهور (بابن بابا حيدة)، القول البسيط في أخبار تمنطيط، تحقيق فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص 24.

[12]- يعرفها بابا حيدة؛ بقوله: "تمنطيط اسم لمدينة بإقليم توات؛ وهي بها قاعدة اجتمع فيها العلم والإمارة والديانة والرياسة، وانتصب بها الأسواق والصنائع والتجارات والبضائع...، هي رئيسة البلدان... متصلة البنيان في قصور غير متباعدة ... وحولها أصول وبساتين، ماؤها فقاقير جارية...قيل وقصور عددها ثلاثمائة وستة وستون قصرا، يستضاف فيها الضيف سنة كل يوم في قصر ". بابا حيدة، القول البسيط، (م.ن)، ص ص 13 – 14.

[13]- Bernard saffroy, Chronique du Touat (des repères pour une histoire),C.D.S, Ghardaïa, p.1.

[14]- من قصور تيديكلت بشرق إقليم توات.

[15]- صالح بوسليم، المؤسسات الثقافية بإقليم توات دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية أثناء القرنين 12 و13هـ/18 و19م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف محمد مجاود، جامعة الجيلالي اليابس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، سيدي بلعباس، 1428–1429هـ/2007–2008م، ص 176.مريوش ومجموعة أساتذة، الحياة الثقافية، (م.س)، الهامش رقم 2، ص 154.

[16]- يقول عنها أحمد بن أبي محلي: " ...وأما بنو عباس؛ وهم قرى مشهورة بوادي السّاورة...". ويقول عنها أبو سالم العياشي: "... وهي ثلاث قرى متصلة في سفح جبل صغير على شفير الوادي، فيها نخل كثير وفاكهة وبساتين حسنة، وفيها ساقية من الماء الجاري العذب، وبأحد قراها كان سيدي أحمد بن عبد الله بن أبي محلي القائم فيما مضى؛ ومنها كان ابتداء أمره وقيامه وداره إلى الآن معروفة...".أحمد أبو العباس بن عبد الله بن القاضي بن أبي محلي السجلماسي العباسي (تـ 1021هـ-1612م)، أصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت أو عذراء الوسائل وهودج الرسائل في مرج الأرج ونفحة الفرج إلى سادة مصر وقادة العصر، مخطوط رقم 431 أدب، دار الكتب المصرية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ص 380.عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، تحقيق وتقديم سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 2006، مج 1، ص 76.

[17] يقع جنوب قصر الزاوية الكبيرة بنحو 6 كلم؛ يمثل مقر الزاوية الكرزازية والطريقة الأحمدية الموساوية، وهو قاعدة بلاد وادي السّاورة. عبد الله حمادي الإدريسي، صحراء وادي السّاورة، المرجع السابق، ج 2، ص ص 259 -315.

[18]- هو أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله السجلماسي المعروف بابن محلي؛ ثائر متصوف، من العلماء.ولد بتافيلالت سنة 967 هـ-1559م، ترك العديد من التآليف. محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تص السيد هوداس، مطبعة بردين انجي، 1888، ص ص 200 -209.أحمد أبو العباس بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى-الدولة السعدية-، تحقيق وتعليق وَلَدَيْ المؤلف جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955، القسم الثاني، ج 6، ص ص 26 -34.

[19]- محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، مطبوعات فضالة، الدار البيضاء، المغرب، 1398هـ-1978م، ج 2، ص 626.

[20]- من قصور ولاية البيض حاليا؛ يوجد به ضريح والد سيدي الشيخ محمد بن سليمان.

[21]- تعرف اليوم بتاغيت إحدى بلديات ولاية بشار.

[22]- قرية من قرى بلاد بني جومي (تاغيت)؛ ألف بها الفقيه أحمد بن أبي محلي كتابه الموسوم " المنجنيق " سنة 1017هـ-1603م.

[23]- حجي، الحركة الفكرية، (م.س)، ج 2، ص 627.

[24]- تقع في جنوب غرب الصحراء الجزائرية التي هي جزء من الصحراء الكبرى الإفريقية، تشمل على عدد من الواحات والمدن والقصور تزيد عن 350 قصر. بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص 76-78.

[25]- محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ج 1، ص 325.وج 2، ص ص 85 – 129.

[26]- أحمد أبو العباس بن يحي الونشريسي (المتوفى بفاس سنة 914هـ)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1401هـ-1981، ج 7، ص ص 334 -335.

[27]- فرج، المرجع السابق، ص ص 30 -31.

[28]- COMINARDI, op.cit, P.46.

[29]- بوسمغون من دوائر ولاية البيض حاليا؛ يقول العياشي عنها: «...بوسمغون أرخص من كثير البلاد التي مررنا عليها قبل...من عادة أهلها أن يخرجون إلى المصلى بسلاحهم لا يخرج أحد بغير سلاح صغيرًا كان أو كبيرًا، ويَبنون في المصلى أحجارًا يتخذونها غرضًا للرمي بالبنادق...وغالب الناس مشتغلون بالرمي حتى في حال الصلاة والخطبة...». العياشي، الرحلة العياشية، (م.س)، ص ص 548-549.

[30]- تنتسب إليه الزاوية والطريقة الزيانية بالقنادسة؛ من بين الشخصيات الصوفية الهامة، وأحد الوجوه المُميّزة جدا في جنوب غرب الجزائر. ولد بإحدى قصور بني جومي سنة 1060هـ-1650م، وتوفي شهر رمضان سنة 1145هـ-فيفري 1733م بالقنادسة. لتفاصيل أكثر عن حياته أنظر: عبد الرحمان بن محمد بن مزيان اليعقوبي، فتح المنان في سيرة الشيخ محمد بن أبي زيان، مخطوط بدون رقم تصنيف، الخزانة الزيانية القندوسية، القنادسة، بشار.

[31]- اليعقوبي، فتح المنان، (م.ن)، الأوراق 66، 328 – 329.

[32]- هو أحمد بن موسى الإدريسي الحسني، من أشهر رجال الطرق الصوفية، مؤسس الطريقة الكرزازية الشهيرة، ولد سنة 907هـ-1505م، عاش إلى أن تجاوز المائة، توفي سنة 1016هـ-1608م. اشتهر بالعلم والصلاح والشرف. محمد بن عبد الكريم الكرزازي (كان حيا سنة 1296هـ-1879م)، المناقب المعزية في مآثر الأشياخ الكرزازية، دراسة وتحقيق وتعليق موساوي مجدوب ولد علي، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 2019، ص ص 38-41، 55-74.

[33]- الكرزازي، المناقب المعزية، (م.س)، ص 58.

[34]- محمد الصالح حوتية، توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي) دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، دار الكتاب العربي، القبة، الجزائر،ج 1، 2007، ص 242.بشار قويدر وحساني مختار، مخطوطات ولاية أدرار، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، منشورات وزارة الاتصال والثقافة، الجزائر، 1999، ص 20.

[35]- هو أحمد بن يوسف بن محمد بن علي الوانقالي؛ ثم التينيلاني، ولد سنة 1002هـ–1593م. نشأ في بيت علم ومعرفة، كان أحد الأئمة العلماء، وكان صالحا ورعا زاهدا ". توفي سنة 1078هـ–1667م بزاويته، ودفن بها وعمره ناهز 76 سنة.عبد القادر بن أبي حفص عمر، الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية، مخطوط بدون رقم التصنيف، خزانة الوليد بن الوليد، قصر با عبد الله، توات، أدرار، الجزائر، الورقة 3-4.

[36]- بن أبي حفص، الدرة الفاخرة، (م.ن)، الورقة 4 -6.

[37]- مريوش ومجموعة أساتذة، الحياة الثقافية، (م.س)، ص 15.

[38]- فرج، المرجع السابق، ص ص 86 -87.

[39]- بلعالم، الرحالة العليّة، (م.س)، ج 1، ص ص 325 -326.

[40]- بن أبي حفص، الدرة الفاخرة، (م.س)، الورقة 1 -4.

[41]- تنتسب إليه الزاوية البكرية بتمنطيط وأشْتُهر بلقب قاضي الصحراء. ولد بتمنطيط سنة 1042هـ-1633م؛ تذكر لنا المصادر أنه تنقل في طلبه للعلم؛ وزار الكثير من المدن والبلدان، ودرس على يد كثير من الشيوخ. توفي سيد البكري عن عمر ناهز التسعين سنة. محمد بن عبد الحق بن عبد الكريم، جوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الألف الثاني، مخطوط ضمن مجموع بدون رقم التصنيف، خزانة زاوية المهدية، أدرار، الأوراق 28-29.

[42]- بوسليم، المؤسسات الثقافية، (م.س)، ص 176.

[43]- مريوش ومجموعة أساتذة، الحياة الثقافية، (م.س)، ص ص 18 -19.

[44]- بلعالم، الرحلة العليّة، (م.س)، ج 1، ص ص 264-266. مريوش ومجموعة أساتذة، الحياة الثقافية، (م.ن)، ص ص 18-19، 236-237.

[45]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، طبعة خاصة، ج 1، ص 287.

[46]- كانت تعرف قديما باسم العوينة؛ وهي اليوم من بلديات ولاية بشار.

[47]- هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الدلائي؛ المشهور بالمسناوي من العلماء.توفيّ سنة 1136 هـ، ترك الكثير من التصانيف؛ منها: "جهد المُقل القاصر في نصرة الشيخ عبد القادر" و"القول الكاشف عن الاستبانة في الوظائف" و"الهمة إلى تحقيق أهل الذمة" و"التحقيق في بعض أهل الشرف الوثيق". محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، (1101–1150هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1417هـ–1996م، الطبعة الأولى، ج 5، ص 1980.

[48]- بشار وحساني، مخطوطات ولاية أدرار، (م.س)، ص 9 وما بعدها.

[49]- ابن منظور (630–711هـ)، لسان العرب، تص أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ج 6، 1419هـ–1999م، ص 120.

[50]- صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشأتها، دار البراق، لبنان، 2002، ص 301.بلعالم، الرحلة العليّة، (م.س)، ج 1، ص 315.

[51]- محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، د.ت، ص 27.

[52]- محمد بن مرزوق الخطيب، المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق ماريا خسيوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401هـ–1981م، ص 413.

[53]- نسيب، زوايا العلم، (م.س)، ص 88.

[54]- هو أحد أحفاد الولي الصالح عبد القادر الجيلاني، ينتسب إلى السيدة فاطمة بنت الرسول –عليه الصلاة والسلام-. من الأولياء والصلاح.عاش في أواخر القرن 15م وأواسط القرن 16م.قبره مشهور ومزار بقصر أربا بولاية البيض. خليفة بن عمارة، كتاب النسب الشريف متبوعا بشرفة الجنوب الغربي، ترجمة بوداود عمير، مكتبة جودي مسعود، وهران، 2009، ص ص 91 – 92، 100، 105.

[55]- نسيب، زوايا العلم، (م.س)، ص 103.بلعالم، الرحلة العليّة، (م.س)، ج 1، ص 332.حوتية، توات والأزواد، (م.س)، ج 1، ص 233. مريوش ومجموعة أساتذة، الحياة الثقافية، (م.س)، 150، 154.

[56]- ميلود سرير وآخرون، دور الزوايا الثقافي والعلمي في منطقة توات، (فرقة بحث)، جامعة أدرار، 2000، ج 1، ص ص 148 – 150. بلعالم، الرحلة العليّة، (م.ن)، ج 1، ص 323.حوتية، توات والأزواد، (م.ن)، ج 1، ص 233.

[57]- سرير وآخرون، دور الزوايا، (م.ن)، ج 1، ص 34.نسيب، زوايا العلم، (م.س)، ص ص 103 -119.

مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 1083 – 1100
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

الولاية الأولى والثورة التحريرية من خلال الكتابات التاريخية (1954-1956)

The first State and editorial revolution through historical (1954-1956) literature

هدى مغراوي[1]
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة محمد خيضر بسكرة
houda.maghraoui@univ-biskra.dz
مخبر التغير الاجتماعي والعلاقات العامة في الجزائر
أ.د/ علي أجقو
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة باتنة 1
pr.ajgou@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/01/05 تاريخ القبول: 2021/08/17

الملخص:
تهدف هذه الدراسة إلى إبراز وتحليل إحدى أهم الفترات التاريخية من عمر الثورة التحريرية، والمتمثلة في فترة اندلاع الثورة بالأوراس وما سبقها من اجتماعات تحضيرية تحت إشراف قائدها مصطفى بن بولعيد بالمنطقة الأولى، حيث ساهم بحنكته العسكرية والسياسية في الأعداد للثورة، وإبقاء فتيلها بمنطقته مشتعلا رغم الحصار الفرنسي الذي فرض عليها، وهو الأمر الذي سبق وأن تعهد به أمام القادة الثوريين في انتظار التحاق باقي المناطق، خاصة وأن انطلاقتها جاءت في ظروف استعجالية نظرا لما مربه قادتها بعد انقسام حزب الشعب الذي جمعهم، الأمر الذي جعلهم يصرون على العمل الثوري كحل نهائي للخروج من هذه الأزمة التي أغرقت أعضاءه في تيار الانقسامات.

واستنادا إلى ذلك فقد كتب للأوراس وسكانه شرف احتضان الخلايا الثورية من خلال توفير شروط الاستعدادات الحديثة من تدريب على السلاح وتوزيعه، والتمرن على فنون القتال، الأمر الذي صعب من مهمة الوحدات العسكرية الفرنسية في إخماد الثورة بها.

كما سنتطرق إلى الجانب التنسيقي بين المنطقة الأولى والمنطقتين الثانية "الشمال القسنطيني" والثالثة "القبائل"، وأهم مميزاته خاصة أمام اعتماد القادة الثوريين مبدأ اللامركزية في اتخاذ القرار عند انطلاقة الثورة وغياب المنسق العام الوطني محمد بوضياف، بناء عليه وفي سياق الأحداث المتسارعة بالأوراس ولمعرفة طبيعة المنطقة وخصوصيتها ورد فعل السلطات الفرنسية حول اندلاع الثورة بها، فقد اعتمدنا على ما توفر لنا من بعض الوثائق الأرشيفية الفرنسية خلال الفترة 1954- 1956 مع توظيف ما تيسر لنا من مصادر تاريخية لتغطية هذا المقال والإحاطة بجوانبه، خاصة وأن عملية البحث في هذا الموضوع تعد أمرا إلزاميا على الباحث الأكاديمي من أجل الوصول إلى حقائق علمية تاريخية تتطابق مع الحدث التاريخي للثورة التحريرية.

الكلمات المفتاحية: الأوراس؛ الثورة التحريرية؛ مصطفى بن بولعيد؛ المنطقة الأولى؛ المناطق الثورية.

Abstract:
This study aims to highlight and analyze one of the most important historical periods of the age of the liberation revolution, which is the period of the outbreak of the revolution in the

[1]- المرسل المؤلف.

Aures and the preparatory meetings that preceded it under the supervision of its leader Mustafa Bin Boulaid in the first region, where he contributed by his military and political skills to prepare carefully for the war of independence and to keep its burning flame unabated as he pledged before to the revolutionary leaders, despite the blockade that was imposed by the colonists on the region until the rest of the regions rejoin the revolution. Especially that the start of the revolution came in urgent circumstances due to the outcomes of the division of the "people's party" which was the only body that reunites them, the final solution was a revolutionary act that would save the members from a true crisis.

Accordingly, it was destined to the Aures and its residents the honor of embracing the cells of the revolution through the provision of recent preparatory terms from weapons training to their distributing them, We will also discuss the revolutionary coordinating aspect between the first state and Northern Constantinois and Kabyle which were the second and the third states at the time along with its most important features, and its most important advantages, especially after relying on the principle of decentralization in decision-making at the beginning of the Algerian war and the remarkable absence of the general coordinator "Muhammed Boudhiaf», To know more about the nature of the Aures, its characteristics and the reaction of the French authorities to the outbreak's place of birth, We relied on a set of French archival documents during the period 1954-1956 with the use of available historical sources to cover this paper and take note of its aspects, which made the research process on this subject mandatory for the academic researcher in order to access scientific facts that correspond to the historical event of the revolution .

Key words: Auras; the liberation revolution; Mostafa Bin Boulaid; the first region, the revolutionary regions.

مقدّمة:

إن تاريخ الثورة الجزائرية، متشعب ومليء بالأحداث والوقائع ، الأمر الذي دفعنا لدراسته والبحث فيه من خلال الخوض في الأحداث التي عرفتها مناطق الوطن عبر أبعادها الأربعة، وخاصة منطقة الشرق الجزائري ، وبالضبط منطقة الأوراس التي تعتبر بحق حصنا رئيسيا للثوار ونقطة ارتكاز الثورة الجزائرية، وتوسعها فيما بعد وشموليتها ،الأمر الذي يعبر بصدق عن مدى الجهد المبذول من طرف أبناءها وعلى رأسهم مصطفى بن بولعيد من خلال التحضير الجيد والتنظيم المحكم وتوفير كل وسائل الكفاح من سلاح وذخيرة ومؤونة ، وتكريس لروح الأخوة والتضامن بين أبناءها وهو ما شكل انطلاقة ثورية قوية تحملت منطقة الأوراس عبئها لمدة ستة أشهر.

بناءا عليه يمكن صياغة الإشكالية التالية: ما مدى نجاح الثورة التحريرية بالأوراس على ضوء الكتابات التاريخية وبعض الوثائق الأرشيفية؟

وتندرج ضمن هذه الإشكالية بعض التساؤلات الفرعية التي لها علاقة بالموضوع وهي كالآتي:

- ماهي أهم الاجتماعات التحضيرية للثورة قبل اندلاعها بالأوراس؟
- كيف كان رد فعل الاستعمار الفرنسي على أولى العمليات بالأوراس ليلة الفاتح نوفمبر 1954؟
- كيف كان رد السلطات الاستعمارية على سكان المنطقة من خلال بعض الوثائق الأرشيفية؟
- ماهي بوادر التنسيق بين المنطقة الأولى والمنطقتين الثانية والثالثة؟

أهمية الدراسة وأهدافها:

تكمن أهمية هذه الدراسة في البحث عن ظروف انطلاقة الثورة بالأوراس وأهم التحضيرات التي سبقتها، وكذا تتبع السياسة الفرنسية بالمنطقة من خلال الكتابات التاريخية، ومدى توفر أركان العمل التنسيقي الثوري بين قادة الثورة خلال هذه الفترة، نظرا للظروف الاستعجالية التي اتسمت بها.

منهج الدراسة:

من أجل تحقيق الهدف العام من الدراسة، اعتمدنا على المنهج الوصفي لسرد الأحداث والوقائع التاريخية للثورة التحريرية، واعتمدنا التحليل عندما قمنا بالبحث في الظروف التي صاحبت الاجتماعات التحضيرية بالأوراس، ورد الفعل الفرنسي على اندلاع الثورة بها، كما اعتمدنا على هذا المنهج عندما قمنا بالبحث في مدى توافر أركان العمل التنسيقي الثوري بين القادة الثوريين خاصة بين قيادة المنطقتين الأولى والثانية وكذا الثالثة كنموذج، كما اعتمدنا المنهج النقدي فيما تعلق بالروايات والوثائق الأرشيفية التي توفرت لدينا.

1- الولاية الأولى التاريخية من التحضير إلى التفجير 1954:

الاجتماعات التحضيرية في الأوراس قبيل انطلاق الثورة: نظرا لأهمية مرحلة التحضير والعداد للثورة بالمنطقة الأولى أوراس النمامشة، فلا بد لنا من خلال هذا المقال الإحاطة بكل التفاصيل المتعلقة بذلك من خلال تركيزنا على سلسلة الاجتماعات التحضيرية التي عقدت تمهيدا لتفجير الثورة التحريرية وتمثلت في:

اجتماع 30 مارس 1954: لقد بدأت هذه الاجتماعات منذ شهر مارس 1954، حيث كان أول اجتماع في 30مارس، وتم هذا الاجتماع في دار "بلعقون مسعود" بحي "الزمالة" بباتنة ، حيث جمع فيه "مصطفى بن بولعيد" نائبه "شيحاني بشير"[1]، و"عجول"، و"الطاهر النويشي"، "عباس لغرور"، "محمد خنتر"، "بشير حاجي"، "محمد الطاهر عبيدي المعروف باسم الحاج لخضر"، و"رشيد أحمد بوشمال"، "عمار معاش"، "أحمد نواورة"، ولقد تم في هذا الاجتماع دراسة التقريرين المقدمين من طرف مصالي الحاج ولحول حسين وبعد الاطلاع عليه، طلب المناضلون من مصطفى بن بولعيد التعجيل بالعمل المسلح، وذلك بسبب المضايقات المتكررة والضغوطات التي تعرضوا لها باستمرار من طرف الاستعمار الفرنسي وأعوانه[2].

اجتماع أفريل 1954: وتم عقده بمزرعة مصطفى بن بولعيد"[3]، وشارك فيه كل من: "عباس لغرور"، "انويشي الطاهر"، "عاجل عجول"، "بشير شيحاني"[4]، وقد طلب منهم مصطفى بن بولعيد[5] إحصاء المناضلين في كل قسم، وأمر المناضلين بإجراء إحصاء دقيق للأسلحة المتوفرة لدى المواطنين كإحتياط يمكن الرجوع إليه وقت الحاجة، وأمر في نفس الوقت كل مناضل بأن يشتري سلاحه أو أن يوفر المبلغ اللازم للحصول على قطعة السلاح[6]، كما استحلفهم على كتمان السر.

اجتماع جويلية 1954م: ولقد اجتمع فيه كلّ من "بشير شيحاني"، "عاجل عجول" و"عباس لغرور" ومسؤولي الأقسام في الحزب "MTLD" باستثناء قسم عين البيضاء الذي كان في صف "مصالي الحاج". حيث تم في هذا الاجتماع تقييم المهام التي كلّف بها المناضلون استعداد للثورة المسلحة، كما قاموا بضبط بعض النقائص، وتطرقوا إلى موضوع كيفية استدعاء المناضلين الذين سيشاركون في العمل المسلح دون

الوقوع في أي خطأ قبل تفجير الثورة بـ 48 ساعة، بالإضافة إلى اتفاقهم على إجبار المصاليين والمركزيين بالانضمام إلى العمل المسلح وترك عنادهم جانبا والنّظر إلى المصلحة العامة[7].

اجتماع لقرين: والذي كان قبل حوالي 12 أو 14 يوما من اندلاع الثورة التحريرية ، ويمكن اعتباره الاجتماع التحضيري الأول لمنطقة الأوراس من حيث الأهمية ، لأن في هذا الاجتماع روعيت الدقة والاستراتيجية وتوزيع المهام والكشف عن تاريخ قيام الثورة ، وطبع بيان أول نوفمبر ووضعت حدود المنطقة الأولى، وبهذا الاجتماع انتهى عهد التردد وستدخل الجزائر عهدا جديدا عهد الاستشهاد من أجل الانتصار، وقد عقد هذا الاجتماع في 20 أكتوبر 1954م بقرية الشمرة في منزل المناضل "بن مسعودة عبد الله المدعو بمزيطي"، وقد اجتمع فيه كلّ من وقد حضر هذا الاجتماع مصطفى بن بولعيد[8]، وبشير شيحاني، وعاجل عجول، كما حضره أيضا قادة النواحي ، وتم خلال هذا الاجتماع ضبط قائمة المراكز المستهدفة للهجوم عليها ليلة أول نوفمبر ، وكان عددها 30 هدفا[9]، وذلك في كل من بريكة ، باتنة ، أريس ، خنشلة ، مشونش، وأخبرهم ابن بولعيد بأن "بوعزة محمد" المعروف بـ "عرعان" سيكون واسطة بين الثورة والقاهرة، وسيقوم شيحاني بالاتصال بليبيا ، وبعث بن بولعيد 30 جنديا إلى خنشلة ، واتفقوا في نهاية الاجتماع على توزيع السلاح[10]، قائد منطقة باتنة "الطاهر غمراس" وقائد منطقة بريكة "محمد خنتر" وقائد منطقة خنشلة "عباس لغرور" وقائد منطقة لخروب "موسى حاجي، ولقد أشرف على هذا الاجتماع "مصطفى بن بولعيد.

ويلاحظ أنه قبل موعد الثورة ما بين شهري سبتمبر وأكتوبر، أمر مصطفى بن بولعيد المناضلين بإخراج السلاح من المخازن من أجل تزويد بعض المناطق، وقبل توزيعه قام المجاهدون بعمليات التنظيف بعد استخراجه من المطامير، وابتداء من 08 أكتوبر 1954 شرع المناضلون في توزيع السلاح، وتم ذلك دون أن يشعر المستعمر وأعوانه بالأمر[11]، وكان التوزيع انطلاقا من قرية الحجاج على مراحل، ففي المرحلة الأولى قام شيحاني بشير و مصطفى بن بولعيد بحمل كمية في سيارة هذا الأخير إلى القبائل وسلموا السلاح لمناضلي المنطقة ورجعوا سالمين دون أن يعترضهم شيء في الطريق[12]، وفي المرحلة الثانية تكلف مصطفى بن بولعيد وشيحاني بشير بحمل السلاح في شاحنة إلى ذراع الميزان[13].

كما أرسلت كمية إلى منطقة "سمندو" عن طريق لخروب، لكن هذه الكمية سقطت في أيدي المصاليين فامتنعوا عن إيصالها إلى سمندو، ولكن هناك كمية أخرى وصلت سالمة إلى زيغود يوسف، وبالمثل أرسلت كمية على متن شاحنة صغيرة (403) إلى منطقة القبائل عن طريق "برج منايل"[14].

إلا أنه بعد ذلك لاحظ مصطفى بن بولعيد أن الحراسة مشددة وذلك من خلال السلاسل الممدودة على الطريق من طرف رجال الدرك الفرنسي، ذلك لأنهم كانوا يحسون بأن هناك حركة غيرعادية في المنطقة وذلك بسبب المناضلين المصاليين والمركزيين الذين يطلقون بعض الإشاعات حول التحضير للثورة، وعلى إثر ذلك قرر مصطفى بن بولعيد عدم إرسال السلاح إلى القبائل[15]، لعدم تأمين وصوله، كما تم توزيع كميات أخرى قبيل الثورة، ومن أهم الموزعين "مصطفى بوستة" الذي حمل مجموعة بنادق حربية من قرية الحجاج وأوصلها إلى مشونش وبسكرة.

كما أخذ "محمد الشريف سليماني" و"بن دايخة إبراهيم" حوالي 10 بنادق من نوع العشاري إلى بريكة ، كما حمل أيضا "فرحات بن شايبة" في سيارته سلاحا وأوصله إلى "بني أوجانة"، ثم إلى "عين السيلان" قرب "حمام الصالحين" في غرب مدينة خنشلة ،وهناك يوزعه بن أوجانة وهم قلة من مناضلي خنشلة لأن أغلبهم كانوا من المصاليين ، وكل هذه الأسلحة أخذت من قرية الحجاج ، كما أخذ أيضا "حاجي موسى"

كمية من السلاح إلى عين مليلة ولخروب[16]، وهو بدوره يوجهها إلى الشمال القسنطيني (سمندو) ، كما جاء "عبد الوهاب عثماني" من الولجة وأخذوا إليها السلاح[17].

اجتماع اشمول: وتم بعد عملية توزيع السلاح الاجتماع الخامس الذي انعقد في دار برغوث علي بالمدينة، حيث استدعى بن بولعيد مناضلي المنطقة، وهناك اتفقوا على المناطق أو الأماكن التي تناسبهم للاجتماع ليلة أول نوفمبر في دشرة أولاد موسى، وخنقة لحدادة بـ "تيباكوين"، وحضر صاحب الدار ـ وهو برغوث ـ وبن بولعيد وعاجل عجول والطاهر نويشي، وعباس لغرور وبعده انصرف كل مسؤول إلى ناحيته[18].

وبعد هذا الاجتماع تم الاجتماع السادس والذي انعقد ليلة أول نوفمبر في دشرة أولاد موسى ليلة السبت 31 أكتوبر 1954 وكان عدد المجاهدين 300 مجاهد، وفي ليلة الأحد انتقلوا إلى دار بلقواس بـ "تيباكوين" شمال جبل أشمول، وتم توزيع السلاح على مناضلي مشونش، البنيان، غسيرة، تجموت، كيمل، زلاطو أريس، أشمول، الشمرة. وقد أعطيت الأوامر وحددت الأهداف التي يستعدون لمهاجمتها، وعدد الأفواج ورؤسائهم، بالإضافة إلى أماكن التجمع بعد تنفيذ العمليات[19].

وقد قسمت هذه الأفواج حسب العمليات العسكرية على المراكز الفرنسية، وقد كان لكل فوج حوالي 11 مجاهد، فخصص لباتنة أربعة أفواج للهجوم على ثكنة ومحطة بنزين وعلى رجال الدرك والشرطة ومحول الكهرباء، كما خصص فوجين إلى فم الطوب، وفوجين للهجوم على الخزناجي، وثلاثة أفواج على البناء المعدني الموجود بأشمول، وفوج إلى تكوت وفوجين إلى أريس، وفوجين إلى عين توتة، وفوجين إلى بريكة، وفوجين إلى بسكرة، وفوجين إلى خنشلة، وأفواج أخرى مقسمين إلى خمسة فرق صغيرة للهجوم على الحاكم العسكري ومحافظة الشرطة.

كما خصص لدوار الولجة أربعة أفواج موزعة على فرق صغيرة، ولكن لم تتمكن من تنفيذ عملياتها خاصة في طامرة، وكانت كميات الأسلحة في منطقة الأوراس حوالي 200 قطعة سلاح موزعة على حوالي 350-400 طليعة ثورية[20].

الأوراس والعمليات الأولى ليلة 1 نوفمبر 1954: شهدت الانطلاقة الثورية بمنطقة الأوراس نجاحا كبيرا بفضل التحضير الجيد، بقيادة مصطفى بن بولعيد ونوابه[21]، حيث قسم منطقة الأوراس على النحو الآتي:

- ناحية أريس وقائدها عزوي مدور وقد جعل تحت إمرته 160 مجاهدا.
- ناحية عين لقصر وقائدها الطاهر النويشي وقد جعل تحت إمرته 144 مجاهدا.
- ناحية عين مليلة وقائدها بشير حاجي وقد جعل تحت إمرته 29 مجاهدا.
- ناحية بريكة وقائدها ب بالة محمد الشريف وقد جعل تحت إمرته 12 مجاهدا[22].

حيث تمكنت أفواج المجاهدين من تنفيذ عملياتهم العسكرية التي إستهدفت المراكز العسكرية الاستعمارية في المنطقة الأولى ، فتحركت الأفواج المقاتلة بقيادة بعزي علي ، وكانت الأهداف المحددة متمثلة في الثكنة والدائرة ومخزن الذخيرة ، ثم محطة البنزين وكانت حصيلة هذا الهجوم قتل جنديين وإطلاق النار على المصابيح العمومية تاركين المدينة في ظلام دامس[23]، ومما تجدر الإشارة إليه أن الحاج لخضر ذكر في هذه النقطة توجهه على رأس فوج من خمسة وعشرون مجاهدا لاقتحام ثكنة الصبايحية، وإحداث ثقب بجدارها للتمكن من الاستيلاء على الأسلحة والذخيرة، وتم قتل حارس الثكنة بالخنجر، وقبل الانسحاب قام الحاج لخضر برمي قنبلة داخل الثكنة ، أحدثت فزعا كبيرا في صفوف العدو[24].

أما من خنشلة انطلق عباس لغرور من دشرة أولاد موسى، حيث تمت عمليات الهجوم على المراكز الفرنسية في خنشلة، وتم الوصول إلى مخزن السلاح بالثكنة في خنشلة بعد عملية ناجحة نفذها جنود جيش التحرير الوطني، لكن السلاح كان محزوما بالسلاسل مما صعب الوصول إليه، لكن عباس لغرور نجح في الحصول على كميات من السلاح بعد عدة كمائن نضمها ضد القوات الفرنسية رفقة جيش التحرير الوطني، كما امتدت هذه الهجومات إلى تبسة وسوق أهراس[25]، حيث قام باجي مختار في نوفمبر 1954 بالهجوم على مناجم حمام النبايل رفقة مجاهدين، وتمكنوا من الحصول على كمية معتبرة من الذخيرة تمثلت في 480 رصاصة.

ورغم أن الروايات إختلفت بخصوص الأفواج التي هاجمت مدينة خنشلة، حيث يذكر المجاهد علي مزوز[26] أن فوج من مجاهدي يابوس انطلق على دفعتين إلى عين السيلان على مشارف خنشلة، وتمكن الأول من الوصول إلى المكان المحدد، وتم تشكيل هناك أفواج كل فوج يضم عنصرين من عناصر عباس لغرور بحكم أنهم يعرفون المكان، أما الدفعة الثانية فلم يكتب لها شرف المشاركة في الهجوم لظروف طارئة، أما تخلف عمار معاش فكان حسبه بأمر من القائد مصطفى بن بولعيد، ليكون واسطة اتصال بين الأفواج المقاتلة، والقيادة العامة[27].

أما علي بن شايبة انطلق نحو منجم الرصاص بإشمول، لشرح أهداف الثورة وتوزيع المناشير على العمال البالغ عددهم حوالي 600 عامل، وكذا الاستيلاء على الديناميت، فبادر نائبه بإطلاق الرصاص على الموقع، فلما استنفذوا ذخيرتهم إنسحبوا نحو الجبال المحاذية، وإلى زلاطو انطلق مكي عاشور وجماعته، فأطلقوا النار على درك تبردقة والولجة، وأضرموا النار بالمدرسة، ومكتب القائد بالولجة[28].

أما مسعود بن عيسى فقد فشل في الدخول إلى مكتب البريد وبعد الانسحاب، أقام علي بن شايبة حاجزا في الطريق ولكن بعد إكتشافه من طرف أحد المارة أعرض عن الهجوم على مكتب الضرائب وإنسحب[29].

وفي تيغانمين أقام محمد أصبايحي حاجزا في الطريق الرابط بين بسكرة وأريس، لتوعية الركاب بأهداف الثورة فبادر قايد مشونش بإخراج مسدسه من عيار 6.35، ومالبث أن حصده الرصاص فأراده قتيلا مع معلم فرنسي كان يجلس بجانبه، وجرح زوجته، أما في بريكة فقد تسربت المعلومات حول العملية، فما كان لمحمد الشريف سليماني ومن معه، إلا الفرار تاركين أسلحتهم[30].

أما في بسكرة فكانت الأهداف محددة إلى حسين برحايل حيث شهدت تنفيذ ست عمليات: هدم المركز الكهربائي بعد رمي عدد من القنابل وإصابة الحارس بجروح، الهجوم على الثكنة العسكرية سان جرمان ومحافظة الشرطة بمكماهون، ثم حرق المحطة بعد رمي وابل من القنابل، رمي قنبلة على منزل الفرنسي صاحب معمل النجارة قوردون، وقنبلتين على شاحنتين تحملان البنزين كانتا متوقفتان عند محطة القطار على الساعة الثانية صباحا مما أدى إلى نشوب حريق[31].

وبناحية واد سوف، قام محمد الأخضر ومقداد، بالهجوم على المركز الاستعماري بحاسي خليفة، كما تم الهجوم على مركز بركات بقيادة لزهر بن عجرود، واستمرت الهجومات على مراكز العدو في كل من بئر العاتر والشريعة[32].

وعليه قدرت جل المصادر عدد المجاهدين بالمنطقة الأولى ليلة فاتح نوفمبر بحوالي 350 إلى 400 مجاهد قسموا على خمس وعشرين مجموعة[33].

أما إذا جئنا إلى عقد مقارنة بين عدد هذه العمليات والعمليات الأخرى عبر كامل التراب الوطني فسنجد أنه من بين الثمانين عملية إجمالا التي نفذت وزعت السبع والثلاثين الباقية على النحو الآتي:

- عمليتين بالشمال القسنطيني دون تسجيل لقتلى مع وجود جريح واحد.
- 14 عملية بالقبائل بقتلين وجريح واحد.
- 07 عمليات بالوسط الشمالي "المنطقة الرابعة" دون قتلى أو جرحى.
- 14 عملية بالغرب الوهراني "المنطقة الخامسة" بقتلين وثلاثة جرحى[34].

من هنا يمكن القول أن منطقة الأوراس كانت أكثر المناطق التي شهدت تنفيذ أكبر عدد من العمليات وتسجيل عدد معتبر من الضحايا في صفوف المستعمر بحصيلة قدرت ب6 قتلى و 6 جرحى، إضافة إلى تهديد من بقي منهم حيا كمحاصرة الأماكن المتمركزين بها ك: "تكوت" و "فم الطوب".

بناءا عليه فقد كانت عمليات أول نوفمبر، بمثابة الانطلاقة التي أشعلت فتيل الثورة في الأوراس، حيث شهدت المنطقة مع مرور الأيام معارك طاحنة بين جيش التحرير و الجيش الفرنسي، و كانت جبال الأوراس مسرحا لها وغالبا مايكون الطرف الفرنسي هو المبادر إليها بعد جمع المعلومات عن أماكن المجاهدين بمساعدة المتعاونين الخونة معه، أو الأسرى من المجاهدين أو المدنيين[35].

2- الرد الفرنسي على الثورة في المنطقة الأولى 1954-1955:

الرد الفرنسي على العمليات الأولى 1 نوفمبر1954 من خلال الكتابات التاريخية وبعض الوثائق:

أحدث انفجار الثورة في أول نوفمبر 1954، المفاجأة في الأوساط الاستعمارية بشقيها المدني والعسكري، وأفقدتها زمام المبادرة ، وبناءا عليه أرسلت قوات من الحلف الأطلسي إلى الجزائر، وقامت الطائرات بإلقاء المنشورات على السكان[36]، تدعوهم فيها لتخلي عن الثوار كما قامت بحصار خانق على الأوراس بإرسال طائرات نفاثة لقصف القرى والمداشر المشبوهة باحتضان المجاهدين مثل: الهارة وزلاطو ونقاط أخرى بنواحي فم الطوب بإشمول، من أجل تهجير السكان وإجبارهم على التخلي عن تموين الثورة.

بناءا عليه عقد كل من الجنرال بول شاريير Paul Cherriere القائد العام للقوات المسلحة[37]، جاك شوفالييه Jack Chevallier سكرتير الدولة للحرب و بيار ديبش Pierre dupuch محافظ مقاطعة قسنطينة، والجنرال سبيلمان Spillmann قائد الناحية العسكرية لقسنطينة، جون ديبلانك jean Deleplanque نائب للمحافظ بمدينة باتنة، والكومنداس بلانش planche القائد للموقع العسكري بباتنة، اجتماعا طارئا في باتنة 2 نوفمبر 1954 تم فيه مناقشة الأحداث الواقعة والخروج بضرورة وضع حد لحالة التمرد[38].

سرد جزئي لما جاء في ثنايا التقرير: حيث تشير الوثائق الأرشيفية أن القائد العام لم تكن بحوزته خلال تلك الفترة سوى كتيبتين مظليتين ، وثلاث كتائب من مشاة الفرقة 11، وكتيبة تابعة للفرقة الأجنبية وسريتي مدرعات، لقد كان للجيش الفرنسي في هذه الفترة بالهند الصينية، وعليه أمام هذا الوضع فقد كان الاهتمام الأول للسلطات العسكرية الفرنسية هو العمل على إنقاذ الأوروبيين الساكنين بأريس وتكوت من حالة الحصار التي ضربت عليهم ، أين يوجد بأريس وحدها 70 إلى 80 أوروبيا، ولذلك فقد أمر الجنرال سبيلمان الكولونيل بلانش بالتحرك إلى أريس من أجل فك الحصار عنها، وبالفعل فقد تم إرسال سرية ومئات الأشخاص إلى أريس ونجحوا في فك الحصار عنها، كما تم ذلك في تكوت في نفس اليوم، وكلفت فرقة المشاة والمظليين بالمهمة حيث تم في 3 نوفمبر تجميع الأوروبيين بمراكز آمنة بمساعدة فرق من السينغاليين التي أتت من بسكرة للنجدة والقيام بترحيل السكان من أريس وفم الطوب وتكوت، حيث توصل تقرير الإدارة الفرنسية حول نتائج الأولية لهجومات 1 نوفمبر 1954 إلى "لقد فرض لنا الشعب الثقة ولكن لأجل قصير،

إذا مرت هذه الفترة ولم نقدم الدليل على قوتنا فانتظروا تدهور اكبر للوضعية"[39]، كما قام الطيران الفرنسي بتاريخ 20 نوفمبر(أنظر ملحق رقم 1) برمي حوالي 50.000 منشور من الجو على منطقة الأوراس في كل من إشمول وغسيرة، واد الطاقة وزلاطو تدعو فيها السكان على التحلي بالهدوء والتخلي على المتمردين وإلى الهجرة نحو قرى آمنة، وكذا الاتصال بالسلطات الفرنسية العسكرية والإدارية بدواويرهم قبل الساعة السادسة من يوم 21 نوفمبر ، غير أن السكان رفضوا ذلك فتم تمديد الفترة إلى 26 نوفمبر غير أنه لم يلتحق سوى 280 عائلة وبالضبط من قرية إيشمول التي يزيد عددها عن 1000، ونتيجة لذلك أصدرت الأوامر لخمس كتائب من الجيش الفرنسي بالقبض عليهم ومعاقبتهم، بتاريخ 26 نوفمبر 1954 قاموا بحملة تمشيطية مست كل من: فم الطوب ودوفانة، تيمقاد، في محاولة منها لتطبيق سياسة عرض القوة من أجل إحداث الأثر النفسي على أولئك الذين يساعدون المتمردين، نتج عن هذه الحملة إنشاء مناطق آمنة ففي 30 نوفمبر 1954 جرت عملية ترحيل إجبارية لسكان كل من: كيمل، تاجموت، أولاش، غابة بني ملول نحو مناطق آمنة ، كما أجبر كل من سكان شلية ويابوس على الرحيل إلى قايس[40].

كما يشير التقرير أن العمليات العسكرية الفرنسية بالمنطقة قد أدت بالجماعات المتمردة حوالي 400 شخص إلى التقهقر إلى الجنوب والجنوب الشرقي لمرتفعات الأوراس كجبل برقة وجبل توبونرت، وفي 10 ديسمبر 1954 قام الجيش الفرنسي بحملة تفتيشية في كل من خنقة أمعاش وإيشمول، ولفتح الطريق أمام الفيالق للتوغل في عمق الجبال والغابات بالأوراس كلفت الفيلق 19 المتمركز جنوب المنطقة بتعبيد الطرق لكي يسهل عليهم التنقل بالدبابات والعربات (أنظر ملحق 2).

وحسب التقرير فقد جاء رد المتمردين في هذه الفترة على شكل عمليات تضليلية سعوا من خلالها جلب الوحدات الفرنسية خارج المنطقة غير أنهم تفطنوا لهذه لذلك بداية من النصف الثاني من شهر نوفمبر. من خلال الوثيقة يتوضح لنا أن السياسة الفرنسية بالأوراس فترة بول شاربير تضمنت:

- اعتبار منفذي الهجومات فلاقة وخارجون عن القانون وهي المصطلحات التي كثيرا ماتداولتها السلطات الاستعمارية الفرنسية في وصف الثوار خلال هذه الفترة.
- حصر الثوار في أشخاص من حزب الشعب وتفادي الحديث عن ج.ت.و.
- أن التقرير جاء عقب اجتماع عقد بباتنة يوم 02 نوفمبر 1954 وتم الخروج منه بقرار ضرورة وضع حد للعصيان ولكنه لم يشر لا لهذا اللقاء ولا للإجراءات المتخذة مع أنه موجه إلى السلطات الفرنسية بباريس.
- أقر الجنرال في برقية أخرى أن سياسته بالأوراس قد فشلت في 28 نوفمبر 1954، لأن نجاحه كان مرهونا حسبه بالإمدادات التي تأخرت في الوصول إليه.

كما تشير الكتابات التاريخية إلى أن رد فعل المسؤولين الفرنسيين تميز باستعمال القوة لقمع الثورة والثائرين وإلقاء القبض على جميع المناضلين أينما كانوا، ففي نهاية نوفمبر 1954م تمكنت قوات الشرطة الفرنسية من سجن 750 مناضل، وفي نهاية سنة 1954م بلغ عدد المسجونين 2000مناضل هذا فيما يخص رد فعل السلطات الفرنسية في الجزائر بصفة عامة، أما رد فعلها في الأوراس بصفة خاصة فتمثل في:

العمل على تطويق ومحاصرة المناطق الجبلية بالأوراس كإشمول وبلدة آريس، وإرسال وفود وزارية وعسكرية وبرلمانية إلى الأوراس وبالضبط في مضيق تاغيت حيث وقعت الحادثة الأولى، وتم نقل جثمان المعلم مونير والقائد الصادق إلى المستشفى، وفي 3 نوفمبر 1954م قام كاتب الدولة للدفاع جاك شوفيلي بزيارة مناطق الحوادث في باتنة، وفي 5 نوفمبر 1954م أصدر أمرا بإرسال قوات أخرى إلى

الشرق الجزائري التي وصلت وتمركزت في أماكنها لتباشر في العمليات الحقيقية وهي التفتيش والتطهير وحصر الخارجين عن القانون لتسليم أنفسهم أو إبادتهم للمحافظة على الشعب[41].

وفي هذا الصدد يذكر المجاهد علي مزوز أن القوات الاستعمارية، أقامت عدة مراكز لمحاصرة المنطقة مثل مركز مشونش وأريس فم الطوب وباتنة وتيمقاد أين يتواجد المعمرين الذين تسلحوا إلى جانب القوات الفرنسية، كما أقامت مراكز أخرى في قايس وخنشلة ، حيث عززت القوات الموجودة بالمنطقة مع القصف العشوائي للقرى والمداشير بعدما أجبرت سكانها على الرحيل منها، ثم قامت باعتقالات واسعة في صفوف الشعب ونهبت ممتلكاته[42]، بالإضافة إلى فرض سياسة العقاب الجماعي لفصل الثورة عن الشعب من خلال استخدام المناطق المحرمة، ومنع التجول سياسة الأرض المحروقة، وإنشاء المجالس الإدارية المتخصصة[43].

كما يؤكد الحاج لخضر في مذكراته أن العدو الفرنسي استعان بمؤسسات للتجسس على الثورة في المقاهي والأسواق، والمداشر والقرى[44]، ومع تصاعد الهجمات قررت السلطات الفرنسية مضاعفة عدد قواتها العاملة في منطقة الأوراس، حيث بلغ عدد أفراد الجيش الفرنسي 190 ألف جندي سنة 1955 تم تعزيزها بقوات إضافية من اللفيف الأجنبي، قامت بشن حملات واسعة على الأوراس[45].

الرد الفرنسي على السكان من خلال بعض الوثائق الأرشيفية: تعطي لنا الوثائق الأرشيفية المحفوظة بالعلبة 1H93/4404 الذي أعده المكتب الثاني لهيئة أركان للناحية العسكرية العاشرة معلومات مهمة حول السياسة الفرنسية ضد السكان حيث تشير في تقاريرها أن الأغلبية الساحقة من سكان المناطق التي مستها عمليات 1 نوفمبر 1954 قد كانت خائفة خلال هذه الفترة وتعود إلى منزلها مبكرا، كما بقيت تراقب الأحداث عن بعد وتنتظر رد الفعل الفرنسي الذي كنت متأكدة أنه لن يبتعد في شكله ومضمونه عن رد الفعل الذي كان عقب أحداث 8 ماي 1954، ومتخوفة في الوقت ذاته من الاتهام في المشاركة في هذه الأعمال، وعليه فقد عرفت المقاهي العربية Les Cafés maures التي من عادتها أن تكون مكتظة في الليل، خلاءا تاما من الوافدين إليها، حتى أن الراديو الذي من عادته أن يبث الأغاني أو الأخبار أصبح صامتا، ولقد ظن العدد الأكبر من السكان سواءا في: باتنة، قالمة، خنشلة، تبسة، قسنطينة ...أن كل شيء سيعود إلى سابق عهده، وأن هؤلاء المتمردين حسب التقرير سيتم وضع حد لهم[46].

واستنادا إليه وأمام هذا الوضع فضل سكان الأرياف تسليم أسلحتهم إلى السلطات الفرنسية ، تجنبا لدورة الإجراءات التي يتعرض لها كل من يتهم بمخالفة النظام ، إنه قانون الصمت حول كل مايجري[47].

كما قامت قوات حفظ الأمن الفرنسية في النصف الثاني من نوفمبر بعمليات خاصة في دواوير وسط الأوراس للقضاء على أفواج المجاهدين بماكودة وإبادة أفواج الشرق القسنطيني[48]، وقام مجلس قضاء باتنة بدوره بالحكم بالسجن على مجموعة من فلاحي الأوراس بتهمة تقديم الدعم اللوجستيكي للمجاهدين، أمام حملة الاعتقالات قامت مجموعة من دواوير الأوراس، التي اعتبرت حينها في وضع متمرد، بإرسال ممثليات تؤكد وتطمئن الإداري الخاص ببلدية الأوراس بولاء وإخلاص سكانها في كل من زلاطو، غسيرة، إيشمول، واد الطاقة، يابوس، أما بقية المناطق الريفية التي لم تمسها العمليات العسكرية من الطرفين بالمنطقة الأولى فقد نهجوا سياسة ترقب والحذر والخضوع لقانون الصمت[49].

في المقابل أبدى الشباب خاصة مساندتهم التامة لعمل الأفواج الأولى لجيش التحرير، دون أن يتجسد ذلك في الكثير من الأحيان في تصرفات عملية[50].

وتأكيدا لما جاء في التقرير المشار له سابقا نلاحظ ما يلي:

- انضمام عدد كبير من دواوير الأوراس إليها بداية من تاريخ 11 نوفمبر 1954 حيث تجلى ذلك من خلال الدعم، التمويل، المراقبة، والتعاطف الذي أبداه سكان المنطقة تجاهها.
- يعطي لنا التقرير أيضا قائمة إسمية للدواوير المنظمة لهذا التمرد بدءا بإشمول، كيمل، زلاطو، ولجة، ششار، يابوس، شليا تاوزنيت، ميلاغو، واد لبيوض، ليخلص إلى نتيجة مفادها أن الدواوير الأكثر تأثرا هي دواوير الوسط الأوراسي.
- من حيث أثار السياسة الفرنسية على السكان فلقد كان للسياسة الفرنسية بالمنطقة أثرا كبيرا على السكان إذ أدت إلى عودة الكراهية لهم ضد السلطات الفرنسية.
- من حيث أثرها على العصاة يشير التقرير لقد أدت العمليات العسكرية بالجماعات المتمردة البالغ عددهم حوالي 400 شخص إلى التقهقر إلى الجنوب والجنوب الشرقي لمرتفعات الأوراس كلاجئين وبالضبط في جبل برقة وجبل توبونت[51].

بناءا عليه ورغم السياسة التي اتبعتها فرنسا بالمنطقة للقضاء على الثورة إلا أنها لم تنجح في تحقيق ذلك وهو ماتؤكده مختلف الكتابات التاريخية والوثائق، ولعل ما ذهب إليه أجيرون بدوره أكبر دليل عندما قال: "أن التمشيط وعمليات القنبلة بالأوراس زادت في إشعال النار بها بدل إخمادها"[52].

3- الواقع الثوري بالمنطقة الأولى وعلاقتها بالمنطقتين الثانية والثالثة:

إن المتتبع للتطورات التي عرفتها الثورة منذ الاندلاع يلاحظ تذبذب في العلاقات بين المناطق خلال المرحلة الأولى 1954-1956 وذلك راجع لعدة عوامل من بينها الحصار المفروض على أوراس النمامشة الذي كرست له السلطات الفرنسية كل الإمكانيات المتاحة للقضاء على الثورة في مهدها، غير أن هذا لم يمنع وجود اتصالات تنسيقية بين القيادات الثورية وهو ما سنحاول التطرق إليه كالآتي:

مع المنطقة الثانية "الشمال القسنطيني": نظرا للتقارب الجغرافي بين المنطقتين الأولى والثانية فقد شهدت عدة محطات للتنسيق بينهما بداية من إكتشاف المنظمة الخاصة في سنة 1950[53]، وإثر حملة الاعتقالات التي مست مناضلي الحزب إلتجأ إلى الأوراس كل من زيغود يوسف ولخضر بن طوبال وعبد السلام حباشي وعمار بن عودة وآخرون وإستقبلهم مصطفى بن بولعيد لما يقارب السنة بعد أن وزعهم على دواوير المنطقة[54]، أما بعد تولي ديدوش مراد قيادة الشمال القسنطيني فإن الكتابات التاريخية تشير إلى عدم وجود تنسيق بينه وبين ومصطفى بن بولعيد خلال مرحلة قيادته المنطقة (الشمال القسنطيني) ، نظرا لقصر المدة التي قضاها على رأسها والتي لم تتعدى الثلاثة أشهر أضف إلى هذا الحصار الذي فرض خاصة على المنطقة الأولى خاصة وبقية المناطق عامة حيث لم يتمكن القادة من الالتقاء كما كان مقررا في الاجتماع التقييمي الأول للثورة سنة 1955[55].

وتشير جل الكتابات التاريخية أن البدايات الأولى للاتصال الفعلي بين المنطقتين عندما تلقى زيغود يوسف رسالة من شيهاني بشير للقيام بعمل عسكري قصد تخفيف الحصار على المنطقة الأولى أوراس النمامشة وهي الرسالة التي كانت من الأسباب المباشرة لتنظيم هجومات 20 أوت 1955 حيث أرسل إليه شيهاني بشيردعما بحوالي 30 رجلا أوراسيا مسلح بالإضافة إلى الطاهر القسنطيني و3 من رجاله نحو الشمال القسنطيني[56]، كما طال هذا التعاون المجال الصحي من خلال نقل مركز كيمل من الولاية الأولى إلى الولاية الثانية لاحقا[57].

وبعد تولي ديغول السلطة قل مجال الاتصال بين الولايتين بسبب الضغط المتواصل والمراقبة المشددة على الولايات، غير أن ذلك لم يمنع زيارة أحد مسؤولي الولاية الأولى إلى الولاية الثانية بتكليف من الرائد

الطاهر الزبيري بتاريخ 14 مارس 1961 حيث اجتمع بمسؤولي الولاية الثانية الطاهر بودربالة وعبد المجيد كحل الرأس ومن خلال هذا الاجتماع تم الاتفاق بينهما على:

- ربط الاتصال الدائم بين الولايتين الأولى والثانية عن طريق البريد العادي أو الخاص من خلال اللقاءات المباشرة بين القيادات.
- تم الاتفاق على الحدود الثابتة بين الولايتين على النحو الآتي: مدينة سطيف، طريق السكة الحديدية إلى واد رحمون، سيقوس، أما باقي الحدود حسب مراردة فلم يتم الاتفاق عليها من حيث الجهة المحاذية للمنطقة الرابعة من الولاية الأولى[58].

مع المنطقة الثالثة "القبائل": رغم البعد الجغرافي بينهما كانت أوراس النمامشة ملجأ لمناضلي القبائل حيث يذكر في هذا الصدد عيسى كشيدة "أن بعض مجاهدي جرجرة وأمام اشتداد حملة القمع عليهم لم يطيقوا البقاء ببلاد القبائل، حيث أعطى بن بولعيد موافقته باتفاق مع الحزب ومع كريم بلقاسم على استقبالهم بالأوراس والتكفل بهم"[59].

وأثناء الإعداد للثورة رفض مصطفى بن بولعيد إلى جانب القادة انطلاقة الثورة من دون القبائل فعمل على إقناعهم، وفي هذا الصدد يذكر رابح بيطاط "وكان السادة محمد بوضياف، ديدوش مراد، ومصطفى بن بولعيد على اتصال دائم مع مسؤولي المناضلين في القبائل الكبرى، وذلك بغرض عقد اجتماعات معهم وإقناعهم بأن مصالي الحاج غير راغب في الثورة المسلحة حاليا"[60].

وفي إطار القضاء على الحركة المصالية بالقبائل وبناءا على هذه التعليمات عمل شيحاني على دعم المنطقة بمجاهدين مسلحين حيث أرسل وفدا بقيادة عمر المدرس أصيل البويرة برفقة تسعة جنود لكن لم يكتب للعملية النجاح لأن المجموعة سقطت في كمين باليشير قرب مدينة برج بوعريريج يوم 21جويلية 1955[61].

كما كانت الولاية الأولى تلعب دور الوسيط بين قوافل التسليح وتسهيل مهمة تنقل المجاهدين نحو تونس أول الدخول نحو الولايات الأخرى[62].

خاتمة:

يمكن أن نخلص إلى القول أن منطقة الأوراس وسكانها لعبوا دورا هاما في إشعال فتيل الثورة واستمرارها، رغم أن السلطات الفرنسية حاولت تقزيم الحدث في البداية غير أن التقارير الأرشيفية التي حصلنا عليها أثبتت مدى الصعوبات التي واجهت السياسة الفرنسية بمنطقة الأوراس التي تميزت بكثرة العصابات المتمردة، حيث وجدت صعوبة في متابعتها وتحقيق الأمن بها أصبح أمرا صعبا، كما تشير التقارير أن سلطات الفرنسية حاولت تبرير سياستها بالمنطقة بجعلها مشروعة مادامت مست عصابات المتمردين والخارجون عن القانون حسبها.

كما يذهب الكثير من الباحثين في هذا الموضوع إلى تغييب العمل التنسيقي بين أوراس النمامشة والقبائل والشمال القسنطيني، رغم أنه كان واضحا ومتجليا إما على مستوى القيادات أو بين مجاهدي المنطقتين في بعض الأحيان.

وعليه ننوه بضرورة التعمق في دراسة الثورة في الأوراس كما ندعو في هذا الإطار العلمي كل الباحثين خاصة في الثورة التحريرية إلى ضرورة البحث أكثر في هذا الموضوع التاريخي الهام خاصة في ظل توفر بعض الوثائق الأرشيفية والمذكرات الشخصية لمن عايشوا الحدث.

قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية:

1- أحسن بومالي، استراتيجية الثورة في التجنيد والتعبأة الجماهيرية منذ اندلاع الثورة إلى غاية مؤتمر الصومام، دراسات وبخوث الملتقى الأول حول الإعلام والإعلام المضاد: الإعلام ومهامه أثناء الثورة، الجزائر، دار هومة، 2005.
2- بوبكر سالم، "ليلة نوفمبر في خنشلة"، مجلة أول نوفمبر، العدد 46، 1980، المنظمة الوطنية للمجاهدين، الجزائر.
3- السعيد بلخرشوش، مذكرات الضابط بلخرشوش السعيد في قلب الثورة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2016.
4- محمد حربي، سنوات المخاض، تر: عياد وصالح المثلوش، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 1994.
5- محمد الطاهر عزوي، "واقع الثورة في الولاية الأولى بالأوراس في السنوات الأولى بين توحيد القيادة وتفككها ، انتصارات واختلافات"، الثورة الجزائرية أحداث وتأملات، جمعية أول نوفمبر، عمار قرفي، باتنة، 1984.
6- محمد عباس، "ثوار عظماء"، دار هومة، الجزائر، 2003.
7- محمد العربي مداسي، مغربلو الرمال أوراس النمامشة 1954-1959، تر: صلاح الدين الأخضري، د،ط، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الرويبة، الجزائر، 2011.
8- محمد العيد مطمر، ثورة نوفمبر 1954 في الجزائر 1954-1962 أوراس النمامشة أو فاتحة النار، دار الهدى، 2005.
9- محمد العربي الزبيري، الثورة في عامها الأول، ط1، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، 2006.
10- محمد زروال، إشكالية القيادة في الثورة الجزائرية الولاية الأولى نموذجا، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2010.
11- مصطفى مراردة، مذكرات الرائد " إبن النوي" شهادات ومواقف من مسيرة الثورة في الولاية الأولى، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2013.
12- عبد الوهاب عثماني، "التحضير للثورة وتكوين الأفواج"، معالم بارزة في ثورة نوفمبر 1954 في الملتقى الأول بباتنة سنة 1989 ، جمعية أول نوفمبر ، عمار قرفي ، باتنة .1989.
13- عبد السلام حباشي، مجلة الباحث، الجزائر، 1984، العدد2.
14- عبد السلام حباشي، من الحركة الوطنية إلى الاستقلال مسار مناضل، تر: عبد السلام عزيزي وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2008.
15- عيسى كشيدة، مهندسو الثورة، تر: عبد الحميد مهري، منشورات الشهاب، الجزائر، 2010.
16- عمار قليل، ملحمة الجزائر الجديدة، دار العثمانية، ج2، الجزائر، 2013.
17- عمار ملاح ,وقائع وحقائق عن الثورة التحريرية بالأوراس الناحية الثانية بوعريف، دار الهدى، 2012.
18- زغيدي محمد لحسن، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية 1956-1962، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.
19-عمر تابليت وصالح بن فليس، العقيد الحاج لخضر قائد الولاية الأولى التاريخية في الجهادين، مطبعة عمار قرفي، باتنة، الجزائر، 2012.
20- علي زغدود، ذاكرة الثورة التحرير الجزائرية، د،ط، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، رويبة ، الجزائر، 2004.
21- غالي الغربي، الاستراتيجية الفرنسية بعد مؤتمر الصومام 1956-1957، مجلة الرؤية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، مطابع الجزائر، السنة الثانية، العدد الثاني، 1997.
22- خالد نزار، يوميات الحرب، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2004.
23- جودي الأخضر بوالطمين، لمحات من ثورة الجزائر، ط2، المؤسسة الوطنية للتاب، الجزائر، 1987.
24- علي خلاصي، أساليب التعذيب والتنكيل ضد الشعب الجزائري 1954-1962 جمعية التاريخ والتراث الأثري لمنطقة الأوراس، مجلة التراث، العدد 07، 1995.
25- الطاهر حليس، قبسات من ثورة أول نوفمبر كما عايشها العقيد الحاج لخضر، دط، شركة الشهاب، الجزائر، 2005.
26- هنين محمد، مذكرات من نار ونور للمجاهد حنين محمد المدعو حمة ضابط بجيش التحرير الوطني، ط1، دار الوطنية للإشهار والطباعة، ميلة الجزائر، 2007.

قائمة المراجع والمصادر باللغة الأجنبية

1- Ben Youcef Ben Khedda, Les origines du 1erNovember1954, Alger, Edition Dahleb, 1989.

2- Jean Charles Jauffret, la guerre d'Algérie par les Documents, les portes de la guerre 1946-1954, T2, Vincennes Services historique de
L'armée de terre, 1998.
3- Charles-Robert AGERON, L'Algérie Algérienne de Napoléeon 3 à De-Gaulle, Edition Sindbap , 1980.
4- A.O.M93/4409 : Rapport mensuel d'information sur l'activité musulmane dans le département de Constantine, mois d'octobre et november1954.
5- A.O.M93/4409 : Rapport mensuel d'information sur l'activité musulmane dans le département de Constantine, mois de décembre 19.54
6-A.O.M93/4409 : Rapport mensuel d'information sur l'activité musulmane dans le département de Constantine, mois de Février 1954
7- A.O.M 1844: Exploitation de l'interrogatoire de Salem Boubaker ben Amor infirmier à l'état-major rebelle des Aurès Nemamechas, arrêté par les forces de l'ordre ,8 décembre 1955
8-AOM.93/1838, Direction de la sureté nationale en Algérie, synthèse des renseignements généraux, Septembre1955.

الهوامش:

[1]- ولد البشير شيهاني (أو شيحاني) في أفريل 1929بمدينة الخروب ، تعلم اللغة العربية وحفظ بعضا من القرآن الكريم ثم إنتقل إلى قسنطينة للدراسة، حيث تكفلت به عائلة الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى غاية 1947 وقد ساعده ذلك على بناء شخصيته بناءا متوازنا، وفي سنة 1949سافر إلى تونس بغرض إتمام دراسته الثانوية، لكنه سرعان ماعدا للجزائر سنة 1950، حيث عرف عنه قدرته التنظيمية الكبيرة ، الأمر الذي جعله يعين مسؤولا على حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بالجنوب الغربي، ثم صار قائدا للولاية الأولى بعد سفر مصطفى بن بولعيد إلى ليبيا، شارك في معركة تعيش سنة 1955 بناحية ششار، وكذا في معركة قبو في 12 جويلية 1955، كما قاد معركة الجلرف التاريخية، أما بالنسبة للظروف إعدامه بتاريخ 23 أكتوبر 1955، تجدر الإشارة أنها مازالت مجهولة وتثير جدلا كبيرا ولم يحسم فيها بعد، أنظر: عاشور شرفي: ملحمة الجزائر، القاموس الموسوعي، دار القصبة، الجزائر، 2009، ص25.

[2]- عمر تابليت، الأوفياء يذكرونك يا عباس، ط2، دار الألمعية، الجزائر، 2014م، ص 33.

[3]- مصطفى بن بولعيد 1917-1956، قائد الولاية الأولى ابن أحمد بن عمار، وعائشة أبركان، ولد في 5 فيفري 1917 في إنر كاب بالقرب من أريس، في الأوراس، إلتحق بحزب الشعب وأصبح عضوا فيه بعد مجازر 8 ماي 1945، وانضم إلى المنظمة الخاصة عند تأسيسها وكان من مؤسسي اللجنة الثورية للوحدة والعمل، وترأس اجتماع 22، أسر بالحدود التونسية الليبية، ثم هرب من سجن الكدية في 4 نوفمبر 1955م، استشهد يوم 22 مارس 1955م، للمزيد أنظر:
Achour Cheurfi, La classe politique algérienne de 1900 à nos jours, Dictionnaire biographique, Alger, Edition Casbah, 2006, p75.

[4]- محمد حربي، سنوات المخاض، تر: عياد وصالح المثلوش، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 1994، ص 70.

[5]- محمد الطاهر عزوي، "واقع الثورة في الولاية الأولى بالأوراس في السنوات الأولى بين توحيد القيادة وتفككها، انتصارات واختلافات"، الثورة الجزائرية أحداث وتأملات، جمعية أول نوفمبر، عمار قرفي، باتنة، 1984، ص 52.

[6]- محمد عباس، "ثوار عظماء"، دار هومة، الجزائر، 2003، ص 48

[7]- مسعود عثماني، مصطفى بن بولعيد مواقف وأحداث، ط4، دار الهدى، الجزائر، 2013م، ص85.

[8]- محمد الطاهر عزوي، "واقع الثورة في الولاية الأولى بالأوراس في السنوات الأولى بين توحيد القيادة وتفككها، انتصارات واختلافات"، الثورة الجزائرية أحداث وتأملات، جمعية أول نوفمبر، المرجع السابق، ص 52-53.

[9]- محمد عباس، "ثوار عظماء"، المرجع السابق، ص 51.
[10]- محمد الطاهر عزوي، "واقع الثورة في الولاية الأولى بالأوراس في السنوات الأولى"، الثورة الجزائرية أحداث وتأملات، المرجع السابق، ص 54.
[11] - محمد الطاهر عزوي، "الإعداد السياسي للثورة في الأوراس أول نوفمبر 1954"، مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص 633.
[12] - محمد الطاهر عزوي، "الإعداد السياسي للثورة في الأوراس أول نوفمبر 1954، المرجع نفسه، ص 634.
[13] - زغيدي محمد لحسن، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية 1956-1962، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 48.
[14]- عبد الوهاب عثماني، "التحضير للثورة وتكوين الأفواج"، معالم بارزة في ثورة نوفمبر 1954، المرجع السابق، ص 90.
[15]- عبد الوهاب عثماني، "التحضير للثورة وتكوين الأفواج"، المرجع نفسه، ص 91.
[16]- محمد الطاهر عزوي، "استجواب عاجل عجول حول حياة الشهيد بن بولعيد يوم 1985/09/03 الموافق لـ 1406هـ بمقر منظمة المجاهدين بباتنة"، مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص 351.
[17]- محمد الطاهر عزوي، "استجواب عاجل عجول حول حياة الشهيد بن بولعيد، المرجع نفسه، ص 352.
[18]- محمد الطاهر عزوي، "واقع الثورة في الولاية الأولى بالأوراس في السنوات الأولى بين توحيد القيادة وتفككها انتصارات واختلافات"، الثورة الجزائرية أحداث وتأملات، المرجع السابق، ص 55.
[19]- عمار قليل، ملحمة الجزائر الجديدة، دار البحث، قسنطينة، 1990، ج1، ط1، ص 199.
[20]- عبد الوهاب عثماني، "التحضير للثورة وتكوين الأفواج"، معالم بارزة في ثورة نوفمبر 1954، المرجع السابق، ص 91.
[21]- محمد العيد مطمر، ثورة نوفمبر 1954 في الجزائر 1954-1962 أوراس النمامشة أو فاتحة النار، دار الهدى، 2005، ص38.
[22]- جودي الأخضر بوالطمين، لمحات من ثورة الجزائر، ط2، المؤسسة الوطنية للتاب، الجزائر، 1987، ص ص 3-5.
[23]- محمد العربي مداسي، مغربلو الرمال أوراس النمامشة 1954-1959، تر: صلاح الدين الأخضري، د،ط، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الرويبة، الجزائر،2011، ص 20.
[24]- عمر تابليت وصالح بن فليس، العقيد الحاج لخضر قائد الولاية الأولى التاريخية في الجهادين، مطبعة عمار قرفي، باتنة، الجزائر، 2012، ص24.
[25]- بوبكر سالم، "ليلة نوفمبر في خنشلة"، مجلة أول نوفمبر، العدد 46، 1980، المنظمة الوطنية للمجاهدين، الجزائر، ص ص 48-50.
[26] - ولد في 31 أكتوبر 1935 بدوار يابوس، ولاية خنشلة، التحق بالثورة في سنة 1955حيث عين مدربا في ناحية شليا سنة 1957، خضر معركة أم لكماكم سنة 1958، في أثناء عودته من تونس اعتقل من طرف العدو في 08 نوفمبر 1959ولم يطلق سراحه إلا في جوان 1962، ينظر: علي مزوز، مذكرات المجاهد علي مزوز الثورة في منطقة الأوراس بلدية يابوس نموذجا، د،ط، مطبعة عمار قرفي ، باتنة، الجزائر، 2014، ص 13.
[27] - علي مزوز، مذكرات المجاهد علي مزوز الثورة في منطقة الأوراس بلدية يابوس نموذجا، نفسه، ص 61.
[28] - محمد العربي مداسي، مغربلو الرمال، نفسه، ص 22.
[29] - محمد زروال، إشكالية القيادة في الثورة الجزائرية الولاية الأولى نموذجا، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2010، ص 92.
[30] - محمد زروال، إشكالية القيادة في الثورة الجزائرية، نفسه، ص 93.
[31]- Jean Charles Jauffret, la guerre d' Algérie par les Documents ,les portes de la guerre 1946-1954, T2, Vincennes Services historique de l'armée de terre,1998, p742.
[32]- علي زغدود، ذاكرة الثورة التحرير الجزائرية، د،ط، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، رويبة، الجزائر، 2004، ص 146.

[33]- أ حسن بومالي، استراتيجية الثورة في التجنيد والتعبأة الجماهيرية منذ اندلاع الثورة إلى غاية مؤتمر الصومام، دراسات وبخوث الملتقى الأول حول الإعلام والإعلام المضاد: الإعلام ومهامه أثناء الثورة، الجزائر، دار هومة، 2005، ص 80.

[34]- محمد العربي الزبيري، الثورة في عامها الأول، ط1، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، ص80.

[35]- محمد العربي مداسي، مغربلو الرمال، نفسه، ص 23.

[36]- المنشور ورقة تحوي موضوعا ما، توزع على الناس مجانا من أجل إخبارهم على حدث ما، ويكون ذلك مكتوبا على ورق عادي يكتب على وجه واحد أو وجهين حسب قصر الموضوع أو طوله، غير أنه لا يتعدى في العادة الورقة الواحدة لأنه إذا تعداها إلى أكثر من ذلك يصبح نشرة وليس منشورا، أنظر: غالي الغربي، الاستراتيجية الفرنسية بعد مؤتمر الصومام 1956-1957، مجلة الرؤية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، مطابع الجزائر، السنة الثانية، العدد الثاني، 1997، ص 126.

[37]- الجنرال بول شاريير القائد العسكري للقوات المسلحة، تم تعيينه من طرف وزير الدفاع الوطني والقوات المسلحة الفرنسية بعد استقدامه من ألمانيا بمنصب جنرال لمختلف الفيالق العسكرية Général de Crops d'Armée بالناحية العسكرية العاشرة بالجزائر في الفترة الممتدة من 24 سبتمبر 1954 إلى غاية 02 جويلية 1955 خلفا للجنرال جون كاليس، أنظر: Microsoft R Encarta R 2006(cd) .

[38]- خالد نزار، يوميات الحرب، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2004، ص28.

[39]- A.O.M93/4409: Rapport mensuel d'information sur l'activité musulmane dans le département de Constantine, mois de décembre 1954

[40]- A.O.M93/4409: Rapport mensuel d'information sur l'activité musulmane dans le département de Constantine, mois de Novembre 1954.

[41]- عمار ملاح، وقائع وحقائق عن الثورة التحريرية بالأوراس الناحية الثانية بوعريف، دار الهدى، 2012، ص ص 100،102

[42]- علي مزوز، مذكرات المجاهد علي مزوز الثورة في منطقة الأوراس بلدية يابوس نموذجا، المصدر السابق، ص ص 65-66.

[43]- علي خلاصي، أساليب التعذيب والتنكيل ضد الشعب الجزائري 1954-1962، جمعية التاريخ والتراث الأثري لمنطقة الأوراس، مجلة التراث، العدد 07، 1995، ص 189.

[44]- الطاهر حليس، قبسات من ثورة أول نوفمبر كما عايشها العقيد الحاج لخضر، دط، شركة الشهاب، الجزائر، 2005، ص 76.

[45]- السعيد بلخرشوش، مذكرات الضابط بلخرشوش السعيد في قلب الثورة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2016، ص 351.

[46]- Jean Charles Jauffret, la guerre d' Algérie par les Documents ,Op,cit,p728

[47]- A.O.M93/4409: Rapport mensuel d'information sur l'activité musulmane dans le département de Constantine, mois d' october et november1954.

[48]- Ibid.

[49]- A.O.M93/4409: Rapport mensuel d'information sur l'activité musulmane dans le département de Constantine, mois de Février 1954

[50] Jean Charles Jauffret, la guerre d'Algérie par les Documents, Op, cit, p767.

[51]- A.O.M93/4409: Rapport mensuel d'information sur l'activité musulmane dans le département de Constantine, mois d' october et november1954, Op, cit.

[52]- Charles-Robert AGERON, L'Algérie Algérienne de Napoléeon 3 à De-Gaulle, Edition Sindbap, 1980, p.206

[53] - Ben Youcef Ben Khedda, Les origines du 1erNovember1954, Alger, Edition Dahleb, 1989, p150.

[54]- عبد السلام حباشي، من الحركة الوطنية إلى الاستقلال مسار مناضل، تر: عبد السلام عزيزي وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2008، ص 148.

[55]- عيسى كشيدة، مهندسو الثورة، تر: عبد الحميد مهري، منشورات الشهاب، الجزائر، 2010، ص97.

[56]- A.O.M 1844: Exploitation de l'interrogatoire de Salem Boubaker ben Amor infirmier à l'état-major rebelle des Aurès Nemamechas, arrêté par les forces de l'ordre ,8 décembre 1955

[57]- عمار قليل، ملحمة الجزائر الجديدة، دار العثمانية، ج2، الجزائر، 2013، ص 182.

[58]- مصطفى مراردة، مذكرات الرائد " ابن النوي" شهادات ومواقف من مسيرة الثورة في الولاية الأولى، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2013، ص ص 178-179.

[59]- عيسى كشيدة، مهندسو الثورة، المصدر السابق، ص 52.

[60]- عبد السلام حباشي، مجلة الباحث، الجزائر، 1984، العدد 2، ص 14.

[61]- AOM.93/1838, Direction de la sureté nationale en Algérie, synthèse des renseignements généraux, Septembre1955.

[62]- هنين محمد ، مذكرات من نار ونور للمجاهد حنين محمد المدعو حمة ضابط بجيش التحرير الوطني، ط1، دار الوطنية للإشهار والطباعة، ميلة الجزائر،2007، ص ص 29-30.

الملاحق

A.O.M93/4409 : Rapport mensuel d'information sur l'activité musulmane dans le département de Constantine, mois d'October et November 1954

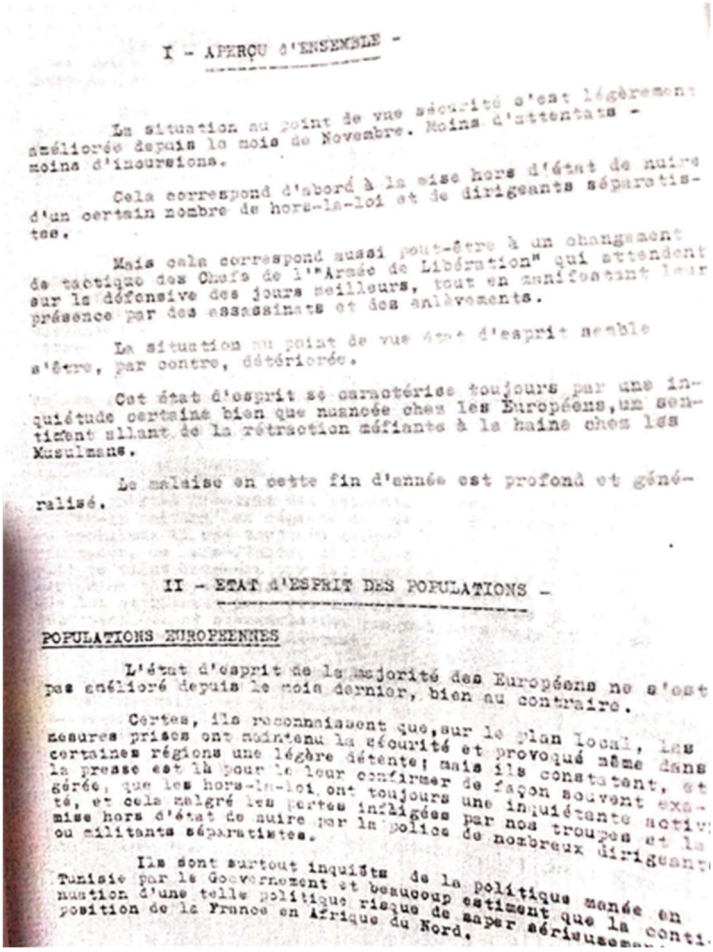

I - APERÇU D'ENSEMBLE -

La situation au point de vue sécurité s'est légèrement améliorée depuis le mois de Novembre. Moins d'attentats - moins d'insurgions.

Cela correspond d'abord à la mise hors d'état de nuire d'un certain nombre de hors-la-loi et de dirigeants séparatistes.

Mais cela correspond aussi peut-être à un changement de tactique des Chefs de l'"Armée de Libération" qui attendent sur la défensive des jours meilleurs, tout en manifestant leur présence par des assassinats et des enlèvements.

La situation au point de vue état d'esprit semble s'être, par contre, détériorée.

Cet état d'esprit se caractérise toujours par une inquiétude certaine bien que nuancée chez les Européens, un sentiment allant de la rétraction méfiante à la haine chez les Musulmans.

Le malaise en cette fin d'année est profond et généralisé.

II - ETAT D'ESPRIT DES POPULATIONS -

POPULATIONS EUROPEENNES

L'état d'esprit de la majorité des Européens ne s'est pas amélioré depuis le mois dernier, bien au contraire.

Certes, ils reconnaissent que, sur le plan local, les mesures prises ont maintenu la sécurité et provoqué même dans certaines régions une légère détente; mais ils constatent, et la presse est là pour le leur confirmer de façon souvent exagérée, que les hors-la-loi ont toujours une inquiétante activité, et cela malgré les pertes infligées par nos troupes et la mise hors d'état de nuire par la police de nombreux dirigeants ou militants séparatistes.

Ils sont surtout inquiets de la politique menée en Tunisie par le Gouvernement et beaucoup estiment que la continuation d'une telle politique risque de saper sérieusement la position de la France en Afrique du Nord.

ملحق2:

A.O.M93/4409 : Rapport mensuel d'information sur l'activité musulmane dans le département de Constantine, mois d'octobre et Décembre 1954

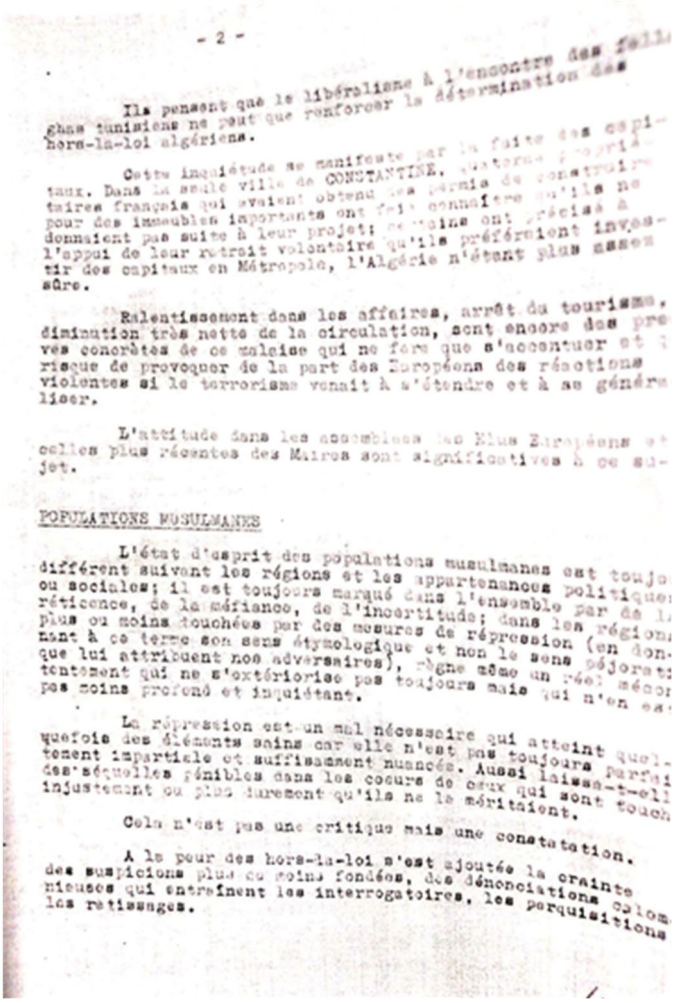

- 2 -

Ils pensent que le libéralisme à l'encontre des fell
ghas tunisiens ne peut que renforcer la détermination des
hors-la-loi algériens.

Cette inquiétude se manifeste par la fuite des capi-
taux. Dans la seule ville de CONSTANTINE, plusieurs propriét
taires français qui avaient obtenu les permis de construire
pour des immeubles importants ont fait connaître qu'ils ne
donnaient pas suite à leur projet; certains ont précisé à
l'appui de leur retrait volontaire qu'ils préféraient inves-
tir des capitaux en Métropole, l'Algérie n'étant plus assez
sûre.

Ralentissement dans les affaires, arrêt du tourisme,
diminution très nette de la circulation, sont encore des pre
ves concrètes de ce malaise qui ne fera que s'accentuer et
risque de provoquer de la part des Européens des réactions
violentes si le terrorisme venait à s'étendre et à se généra
liser.

L'attitude dans les assemblées des Elus Européens et
celles plus récentes des Maires sont significatives à ce su-
jet.

POPULATIONS MUSULMANES

L'état d'esprit des populations musulmanes est toujo
différent suivant les régions et les appartenances politique
ou sociales; il est toujours marqué dans l'ensemble par de l
réticence, de la méfiance, de l'incertitude; dans les région
plus ou moins touchées par des mesures de répression (en don
nant à ce terme son sens étymologique et non le sens péjorat
que lui attribuent nos adversaires), règne même un réel mécon
tentement qui ne s'extériorise pas toujours mais qui n'en es
pas moins profond et inquiétant.

La répression est un mal nécessaire qui atteint quel-
quefois des éléments sains car elle n'est pas toujours parfai
tement impartiale et suffisamment nuancée. Aussi laissera-t-el
des séquelles pénibles dans les coeurs de ceux qui sont touch
injustement ou plus durement qu'ils ne le méritaient.

Cela n'est pas une critique mais une constatation.

A la peur des hors-la-loi s'est ajoutée la crainte
des suspicions plus ou moins fondées, des dénonciations calom
nieuses qui entraînent les interrogatoires, les perquisitions
les ratissages.

مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 1101– 1118
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

إشكالية القاعدة الشرقية والتسليح خلال الثورة التحريرية

The problematic of the eastern base and armaments during the liberation revolution

د/ عباس كحول
جامعة محمد خيضر بسكرة
kahoulabbes@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/12/26 تاريخ القبول: 2021/02/07

الملخص:
اندلعت الثورة التحريرية المسلحة في 01نوفمبر1954م وعدد المجاهدين لا يتعدى الألف ومائة مجاهد بأسلحة محدودة بسيطة، ورغم تحقيق الوحدة الوطنية والشمولية غداة اندلاع الثورة والتي اتضحت أكثر بعد هجومات 20اوت1955م ، إلا أن إشكالية تنظيم التموين والتمويل والاتصال والهياكل المؤسساتية خلال الثورة، خاصة في مرحلتها الأولى وخلال مرحلة سياسة الحصار الاستعماري طرحت نفسها بقوة، وهو ما انعكس على قرارات اجتماع الصومام الذي قيم المرحلة السابقة ونظم اللاحقة ، فبرزت معها إشكالية أهمية القاعدة الشرقية التي تعد من أهم المناطق والمؤسسات التي ساهمت في تطور الثورة واستمرارها من خلال ضمان التموين بالسلاح من جهة، والتخوف من تعاظم نفوذها من جهة أخرى .
الكلمات المفتاحية: القاعدة الشرقية؛ الثورة التحريرية؛ المناطق الحدودية؛ التسليح؛ قرارات اجتماع الصومام.

Abstract:
The armed liberation revolution broke out on November 1, 1954, and the number of Mujahidin did not exceed one thousand and one hundred Mujahid armed with simple and limited weapons, Despite the realization of national unity and inclusion after the outbreak of the war. Revolution, the problem of the organization of the supply, the financing, the communication and the institutional structures presented itself forcefully, and the decisions of the Soummam, which followed, made emerge the problematic of the base East.
Keywords: the base east; The liberation revolution; Border areas; Reinforcement; the decisions of the Soummam.

مقدمة:

إن تسارع الأحداث بعد أزمة حزب الشعب وبروز التيار الثوري (اللجنة الثورية للوحدة والعمل)، وعقد اجتماع 22 والاتفاق على تفجير الثورة بالتنظيمات الموروثة عن المنظمة السرية وبالإمكانيات المتاحة، بالإضافة إلى تحضيرات أولية سريعة لملاحقة تأكيد تفجير الثورة في أقرب الآجال أسوة بإخواننا في تونس والمغرب وتجاوزا للخلافات السياسية التي ازدادت اتساعا وعمقا... ورغم نجاح عمليات أول نوفمبر بالإمكانيات المحدودة (التعداد البشري- الوسائل المادية...)، التي أعطت إشارة انطلاق ثورة مسلحة شاملة (حركة تحررية شعبية وطنية)، إلا أن مشاكل التموين والتسليح والإمداد والاتصالات، طرحت نفسها بقوة وكانت من أهم العقبات التي واجهتها الثورة، وهو ما يمكن قراءته من خلال المراسلات بين قيادات الثورة وبين مؤسسات الداخل والبعثة الخارجية، التي تتكلم عن الاختناق، وتصل حتى إلى تبادل التهم بين

الأطراف، وهو ما يفسر بروز القــاعدة الشرقية لاحقا في إطار التموين والتكوين...فماهي مشروعية القاعدة الشرقية في الوجود وفي التسليح، بين حتمية الأداء ونوازع الانكفاء؟.

إنَّ السّـبق التَّاريخي الذي عرفته الجبهة البريَّة كمنفذ لتهريب الأسـلحة والذخيرة، يدفع الباحث من باب الموضوعية التَّاريخية إلى محاولة إبراز أهميَّة الموقع الاستراتيجي الذي انفردت به الحدود الشرقيَّة أيضاً، الذي أصبحت تحتله خصوصًا مع نهاية الحرب العالمية الثانية، من خلال عدة مقوِّمات، مثل انفتاحها على الحدود البرية لدول عربية شقيقة مثل: تونس وليبيا وانفتاحها على الفضـاء العربي واستفادتها من دّعمه بعيدًا عن الحصار المكثف الذي كانت تعاني منه الحدود الغربية لاحقا.

وانطلاقا من الاستراتيجية التي اعتمدتها الثورة التحريرية في مواجهة الفعل الاستعماري بمختلف أساليبه وأوجهه، بشتى الوسائل التي كانت متاحة بالنسبة للثوار، شكلت القاعدة الشرقية إحدى أبرز التنظيمات التي لعبت دورا بالغ الأهمية، بالنظر إلى جملة المهام الثورية التي أوكلت إليها إثر مؤتمر الصومام، أين تموقعت بصورة نظامية كرئة شكلت متنفسا رئيسيا للثورة التحريرية، عندما صنفتها قيادة الثورة كقاعدة للدعم اللوجستيكي.

بيد أن الأهمية التاريخية لتنظيم القاعدة الشـرقية لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتحدد وفق هذا المنظور فحسـب، إذ سـرعان ما تعددت مهامها وتفرعت هياكلها وتداخلت نشـاطاتها بفعل عوامل عديدة، كان أبرزها المتغيرات التي طرأت على ظروف النشـاط الثوري بالقاعدة الشـرقية، وهذا ما جعلها تتجاوز في العديد من الأحيان حدود المهام التي أنيطت بها، ولعلّ مسـاهمتها في حماية قوافل السـلاح ونشـاطها الاجتماعي مع اللاجئين يشكلان أبرز تعبير عن ملامح الدور الريادي الذي قامت بأدائه بمحـــاذاة الثغــور الشرقيـة.

عرفت ثورة التحرير الجزائرية تطورا ملحوظا بين سنوات 1956-1954 ، مما أدى إلى إنشاء قاعدتين لها سنة 1957 ، واحدة على الحدود الجزائرية التونسية عرفت باسم القاعدة الشرقية سوق أهراس، وأخرى على الحدود الجزائرية المغربية ، ويدخل ذلك في إطار استراتيجية الثورة للاستفادة من الدعم الخارجي والتصدي لخطي شال وموريس إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر، ويعتبر عمارة العسكري[1] قائد القاعدة الشرقية المستقلة عن الولايتين الأولى والثانية، ومن أشهر المجاهدين الذين كانوا في القاعدة الطاهر زبيري، محمد الشريف مساعدية[2]، دراية أحمد، ومن أهم المعارك التي جرت في المنطقة معركة سوق أهراس الكبرى الشهيرة)أم المعارك سنة 26 أبريل 1958 ، كانت المناطق الحدودية بأهمية بمكان لبعدها الاستراتيجي خاصة الحدود الشرقية المفتوحة على المشرق العربي، ومنه كان المجاهدون يجلبون السلاح والمؤن ، وفي هذا الإطار تكونت القاعدة الشرقية لتشرف مباشرة على تنظيم جيش التحرير الوطني على الحدود وتوفير التموين والسلاح، إذ تعتبر ناحية سوق أهراس ذات الموقع الاستراتجي مركز القاعدة الشرقية وكانت مع اندلاع الثورة جزء من المنطقة الثانية الشمال القسنطيني وبعد استشهاد باجي مختار[3] واضطراب الأحوال، تحولت لتصبح جزء من المنطقة الأولى الأوراس النمامشة منذ أكتوبر.1955، وتأسست القاعدة الشرقية سنة 1957 لتمثل بعدا استراتيجيا للثورة أعطاها نفسا جديدا لاسيما في التمويل والتموين و التصدي لمراكز العدو خاصة خطي شال وموريس.

1- لمحة عن عمليات أول نوفمبر:

بعد الاتفاق على حتمية تفجير الثورة في اجتماع 22، تشكلت الهيئات وعقدت الاجتماعات السريعة منها جماعة الستة (06)، وجماعة التسعة (09)، وتقسيم الجزائر إلى خمس (05) مناطق تاريخية حربية،

وتعيين قيادات المناطق والبعثة الخارجية، وتحرير بيان أول نوفمبر، وتحديد تاريخ انطلاق الثورة في أول نوفمبر 1954 عند الساعة الصفر بالهجوم على ثلاثين (30) مركز استعماري بمشاركة حوالي ألف ومائة (1100) مجاهد بأسلحة بسيطة ومحدودة، لكنها أعطت إشارة اندلاع الثورة الجزائرية كحركة تحررية شعبية وطنية مسلحة شاملة، رغم أن ستة وعشرون عملية كانت بالأوراس[4].

2- وضعية التموين والتسليح من خلال تقارير اجتماع الصومام:

لأن السلاح عصب الثورة، فإن توفيره كان من أصعب المهام، لكن المهمة أنجزت بكل نجاح، رغم كل العراقيل والأخطار، ورغم الموت والدمار، بمجرد طرح إشكالية موضوع تسليح الثورة ، علينا أن نعود إلى مرحلة قبل الثورة، فبداية التفكير في جمع الأسلحة كانت قبل اندلاع الثورة بسنوات، تزامنا وإنشاء المنظمة الخاصة السرية في1947م، وأول من فكر في التسليح هو محمد بلوزداد سنة 1947 (أول رئيس للمنظمة الخاصة السرية قبل آيت أحمد وابن بلة)، رغم الإشارات التي تشير إلى محاولة بعض أطراف حزب الشعب تسليح مظاهرات 08 ماي1945م، وإذا كان محمد بلوزداد يشرف على عملية التسليح، فإن من كان مكلفا بجلبه هو أمحمد يوسفي[5] وهو مناضل يتحرك بأوروبا لاقتناء الأسلحة رفقة الطيب بولحروف[6] في روما وفي ألمانيا، بمساعدة فيدرالية جبهة التحرير بفرنسا لاحقا، وكان يوسفي مكلفا من طرف المجموعة التي كونها بلوزداد باقتناء أسلحة، تزامنا مع إنشاء المنظمة بين سنوات 1948 و1949 و1950، كانت أولى عمليات التسليح بالنسبة، فعمل محمد بلوزداد في البداية على استرجاع أسلحة من الصحراء الإسبانية (الصحراء الغربية حاليا)، باقتنائها بشتى الطرق من الجنود الأسبان، وساهمت المبادئ الصارمة في اختيار أعضاء المنظمة وقوانينها في نجاحها إلى حد بعيد، هذه الأخيرة التي أنشئت في 15 فيفري 1947[7]، وانضم إليها سنة 1949، وتعتمد على التكوين والانضباط الصارم، من أداء القسم وتحية الجيش الوطني والالتزام بالتمارين وتدريب تلقين إطلاق النار، فلابد من وجود أسلحة حقيقية لتكوين أعضاء المنظمة في الجبال، والتمارين تجري دوريا كل أسبوع أو أسبوعين. وبالمقابل كلف كل من محمد بوضياف ومصطفى بن بولعيد وبشير شيهاني[8] بجمع الأسلحة التي تركتها القوات الألمانية والإيطالية في الأراضي التونسية والليبية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، فتمكن مصطفى بن بو العيد من استرجاع وشراء عديد الأسلحة التي تركها الألمان والإيطاليون على طول الحدود التونسية، واستطاع الحصول على 1500 قطعة سلاح خبأها بجبال الأوراس، بعدما تأكد من صلاحيتها، وبين سنتي 1949 و1954 تم اقتناء كميات هامة من الأسلحة من ليبيا وتونس من مخلفات الحرب العالمية الثانية، ثم التوجه نحو الاستيلاء على الأسلحة الفرنسية واقتناء أسلحة كانت تباع في أسواق ببعض الدواوير في الجزائر وفي أسواق بتونس، حيث انتشرت ظاهرة بيع الأسلحة .

لكن من جهة أخرى لا يمكن فصل القاعدة الشرقية والحدود الشرقية خلال الاحتلال عموما والثورة التحريرية خصوصا عن قضية اللاجئين والقواعد الخلفية، فقد بدأ تدفق اللاجئين الجزائريين على تونس والمغرب الأقصى بأعداد هائلة هروبًا من سياسة التقتيل الجماعي بعد تعرض القرى والمداشر والدواوير إلى التدمير الشامل، وقد أدى توافد اللاجئين باستمرار إلى عجز الدولتين عن استيعابهم، ففي سنة 1956 وصل عدد اللاجئين إلى (40) آلف نسمة، قفز العدد إلى (100) ألف نسمة في 1957، لتزايد العمليات العسكرية والحرب القذرة والعقاب الجماعي الممارس من طرف الجيش الفرنسي، فارتفع العدد إلى (180) ألف لاجئ، حتى فاق عدد اللاجئين الجزائريين في كل من تونس والمغرب الأقصى خلال الثورة التحريرية (200) ألف نسمة من شيوخ ونساء وأطفال ومعطوبين، بالنظر لمميزات الامتداد الجغرافي والحضاري

بين الجزائر وجوارها الشرقية والغربية، اللذان تحملا جزء كبيرا وتحمل أعباء معاناة الجزائريين ونتائج الملاحقة الاستعمارية.

أ- اجتماع الصومام: عقد الاجتماع بالولاية التاريخية الثالثة بقرية أفري بغابة إكفادو قرب واد الصومام (بجاية) من 14 إلى 20 أوت 1956 بحضور قيادة الولايات التاريخية في غياب (تغييب) الأوراس والبعثة الخارجية، أما الصحراء فقد أرسلت تقريرها ، ومن أهم الشخصيات (عبان رمضان، العربي بن مهيدي، كريم بلقاسم، زيغود يوسف، أوعمران، ابن طوبال، عميروش). بهدف تقييم المرحلة السابقة من الثورة ووضع استراتيجية المرحلة القادمة، وكانت قضية التموين والاتصالات والمؤسسات من أهم نقاط أولوية النقاش[9].

ب- تقارير اجتماع الصومام:

المنطقة	عدد المجاهدين في أول نوفمبر	عدد المجاهدين في سنة 1956	المسبلين	المناضلين داخل الجبهة	السلاح	المالية	معنويات الشعب والمجاهد
المنطقة الأولى لم تحضر الاجتماع لتعذر وصولها إليه.							
الثانية، قرأ التقرير زيغود يوسف	100	5000			13 بندقية حربية و3750 بندقية صيد	203500000 فرنك فرنسي	فرحة جدا
الثالثة، تقرير شفوي قدمه كريم بلقاسم.	450	3100	7420	87044	404 بنادق حربية، 106 رشاش 8 بنادق رشاشة، 4 بنادق رشاشة 24/69، 4425 بندقية صيد	بالصندوق 445 مليون معدل المداخيل الشهرية 110 ملايين.	قوية
الرابعة، قرأ التقرير اوعمران	50	1000	2000	40000	5 بنادق رشاش، بندقية واحدة بار 200 بندقية حربية، 80 رشاشة 300 مسدس، 1500 بندقية صيد	200مليون	
الخامسة، تقرير شفوي قدمه ابن مهيدي	60	في أول أكتوبر 1955 500	500		في أول ماي 1956: 50 بندقية رشاش، 165 رشاشة 300 مسدس، 1500 بندقية صيد.	في أول ماي 1956: 35 مليون.	قوية جدا
السادسة، تكونت حديثا تقرير شفوي قدمه أوعمران عوض قائدها علي ملاح (سي الشريف)		200	100	5000	100 بندقية حربية، رشاشة واحدة 10 رشاشات، 50 مسدس، 100 بندقية صيد.	10 ملايين أعطيت للمنطقة الرابعة	

فيما يخص المنطقة الأولى فان عد المجاهدين في حدود 357 مجاهد.

المصدر: عمر تابليت، القاعدة الشرقية، نشأتها ودورها في الإمداد وحرب الاستنزاف، كذلك: محمد بلقاسم وآخرون، القواعد الخلفية للثورة الجزائرية - الجبهة الشرقية- 1954-1962.

3- تطور التموين والتسلح بعد اجتماع الصومام:

يعد قطاع التموين والتسليح من أهم القطاعات التي أولتها الثورة الجزائرية أهمية قصوى، فتأسست وزارة التسليح والعلاقات العامة، وقد تطور القطاع عبر مراحل ومظاهر منها.

أ- الاعتماد على النفس: عدد محدود من المجاهدين والعتاد البسيط منذ عهد المنظمة السرية من خلال شراء بعض مخلفات الحرب العالمية الثانية من تونس وليبيا، إضافة إلى غنائم المعارك مع العدو، زيادة عن أسلحة صيد الأهالي... من أمثلتها (مات 36- عشاري إنجليزي- رشاش 49- تومسون ورشاش برن 24/29- مسدسات ...)، تطور الأمر إلى إنشاء مصانع سلاح تركيب وتصليح بالمغرب الأقصى بمساعدة أجنبية (يونايين وهوانديين وألمان وأمريكيين) بالدار البيضاء، حيث تم صنع 15000 رشاش ألماني (نوع ستن) ومدافع هاون وذخيرة...

ب- البعثة الخارجية: مساهمة البعثة الخارجية بمصر عن طريق البحر وقواعد الثورة بـ ليبيا وتونس(إعانات عربية إسلامية ودول صديقة وبعض المغامرين الأوربيين...)، حيث يتم شراء وشحن الأسلحة بطرق سرية مختلفة ...

ج- **استعمال البواخر الأجنبية**: انطلاقا من قواعد بـ ليبيا وتونس والمغرب والموانئ الإسبانية ومدينتي سبتة ومليلة بطرق تمويه مختلفة واستخدام مغامرين ألمان وإسبان، رغم القوات الفرنسية والأسطول السادس الأمريكي (تم حجز سفن عديدة) .

4- تطور جيش التحرير وزيادة الحاجة للسلاح:

أ- دور المنطقة الغربية: تطور جيش التحرير من بضع مئات في 1954 إلى 3000 في 1955 إلى 40 ألف 1956 إلى 100 ألف 1958 إلى 130 ألف 1959، فأنشأت "إدارة الاتصالات الخاصة بالمعلومات"، وتم تنصيب خلايا وشبكات بأوروبا لإرسال السلاح إلى الجزائر، باعتماد عدة وسائل وتجنيد جزائريين ينتقلون بين المغرب والجزائر، وحتى بعض الأجانب المغامرين، وتنويع طرق التهريب، كان على رأسها بالمغرب مركز وجدة (محمد رويعي).

1-عن طريق البر: صناديق الخضر- البطيخ والدلاع- أواني الفخار- البراميل خزان السيارات وهياكلها.

2-عن طريق البحر: بين إسبانيا ووهران بالتعاون مع أطراف جزائرية لها علاقات بالإدارة الفرنسية، أمثال العقيد المتقاعد ابن داود والباشاغا شنتوف والباشا أغا حقيق ... وغيرهم، وحتى عملاء فرنسيين مقابل أموال (5000 فرنك عن كل شحنة)، منهم: شيروك شامبو.

– باستخدام بواخر مختلفة منها باخرة عاهلة الأردن "دينا"، التي انطلقت من الإسكندرية بـ 16,5 طن أسلحة إلى ميناء مليلة (مدافع رشاش ثقيلة، بنادق رشاش خفيفة من نوع طومسون، بنادق عشاري 303 إنجليزية...) تحت قيادة هواري بومدين، عبد القادر شنتوف، سي الصديق...

– الباخرة فاروق من مصر إلى الناظور 1956، حيث وصلت حمولتها إلى الجزائر عن طريق قوارب الصيد والبغال...

3- **مراكز التموين ومصانع السلاح التي أنشأتها إدارة الاتصالات بالمغرب**: مركز الناظور، وجدة، فكيك، بركان، القنيطرة، الرباط، الدار البيضاء، طنجة، تطوان، المحمدية، تمارة، بوزنيقة...

بغض النظر عن الأسلحة الثقيلة التي كانت تصل من البلدان الشرقية الاشتراكية...[10].

ب- المنطقة الشرقية (القاعدة الشرقية): كانت حاضرة في عمليات أول نوفمبر سواء ضمن الولاية الثانية أو الأولى من خلال قيادتها (باجي مختار- عمارة العسكري "بوقلاز"- ابن عودة- بوزبيد...) ورغم فقدانها

للبطل باجي مختار، إلا أن معاركها كانت قوية (معركة مجاز الصفا) وزيادة أهميتها في إطار التموين والتكوين، بإنشاء قواعد خلفية بالجبهة الشرقية لتوفير السلاح وتكوين الإطارات:(برنامج التدريب 12 درسا- تم سحب 50 نسخة للقيادة)، وتضاعف ضغط العدو(خط موريس من عنابة إلى نقرين 750كلم طول، ومن 30 إلى 60 كلم عرض، وخط شال من الغزوات إلى بشار...)[11].

1- مظاهر تطور الثورة وأهمية القاعدة الشرقية بعد اجتماع الصومام:

- في ربيع 1958 بعد أزمة عبان رمضان أسندت لجنة التنسيق والتنفيذ قسم التسليح والإمداد إلى العقيد أوعمران، بعدما اضطلع به (ابن بلة- بوضياف- مهساس- عمارة بوقلاز- عمار بن عودة)، وأنشأت شركة النجاح بتونس (إدارتها لـ عباس التركي)[12] لنقل السلاح إلى الجزائر في براميل زيوت مموهة، وسعى أوعمران لتوفير مصادر التسليح والتموين عبر الحدود الشرقية والغربية وأوكلت صلاحيات نقلها داخل الجزائر لكريم بلقاسم[13].
- بعد إنشاء الحكومة المؤقتة، تحولت أقسام التسليح والإمداد إلى وزارة التسليح والتموين العام[14]، والتي ترأسها العقيد محمود شريف (قسمت بدورها إلى مديرية إمداد الشرق ومديرية إمداد الغرب، وكل مديرية إلى فرعين "التسليح والتموين العام".
- في الناحية الشرقية أسندت المهام لـ عمار بن عودة بمساعدة عبد الحميد بوزبيد مسؤول التموين العام ومصطفى شلوفي مسؤول التسليح.
- وأبرمت عدة صفقات للتسليح والتموين مع (مصر- العراق- سوريا- الأردن- الصين- الاتحاد السوفيتي...)، مما مكن من بروز معالم جيش تحرير منظم ...
- فظهرت حظيرة الشحن من موانئ مصر وليبيا وتونس والمغرب إلى الحدود الشرقية والغربية، وبرزت شخصيات متعاونة منها الليبية (عبد الله سنوسي- سالم شلبك- يوسف ماضي- الهادي المشرقي- محمد صبحي المغربي...).
- وتطورت وسائل التموين إلى استعمال الأسطول الجوي(نقل السلاح من السعودية إلى مصر، ومن العراق وتركيا إلى ليبيا...)، بغض النظر عن الشبكات والمراكز البرية من الإسكندرية إلى الكاف منها:
- مركز الإسكندرية (خميسي محمد الهادي عرعار)- مركز مرسى مطروح (أحمد سليم)- مستودع السلوم بين مصر وليبيا (ربعي الربايعي)- ملحقة بنغازي (عبد الله نواورية)- مركز طرابلس (عمر حداد)-مركز تونس(ع المجيد بوزبيد)-مركز المغرب (منصور بوداود)- محطة أوربا (عبد القادر نواصري يايسي)، الذي تعرض لمحاولة اغتيال-محطة ألمانيا (محمد يوسفي وتيدافي)، وقد عمل جهاز الاستخبارات الفرنسي على تصفية عديد المتعاونين مع الثورة[15].
- هذه الشبكة اكتسبت تجربة وظفتها بفاعلية بعد تشكيل الحكومة المؤقتة الثانية 16 جانفي 1960 وتعيين عبد الحفيظ بوصوف على رأس وزارة التسليح والاتصالات العامة (مالغ)، والتي احتوت وزارة محمود شريف سابقا، فبرزت الصناعة الحربية (مصانع بتونس والمغرب) منها:
- ورشات المغرب (الذخيرة- الأسلحة الخفيفة والمدفعية- الرشاشات- مدافع المورتي)
- ورشات تونس (شحنات البنغلور- إصلاح السلاح- خزانات السلاح- براميل الزيت المموهة)، تشرف عليها شركة النجاح المصدرة للزيوت من تونس إلى الجزائر، حيث شركة "تامزالى".
- وفي مجال التموين(ورشات استيراد وتحميص القهوة- الخياطة- الحقائب- الخيام- القشابية...)، ويقدم المساعدات بالتعاون مع الهلال الأحمر للاجئين...

2 - والجدول الآتي يوضح الأسلحة التي استلمتها خمس ولايات بين 1957- 1959

- أوراس النمامشة (الأولى) 6352 قطعة.
- الشمال القسنطيني (الثانية) 5331 قطعة.
- القبائل (الثالثة) 4944 قطعة.
- العاصمة وضواحيها (الرابعة) 5928 قطعة.
- الصحراء (السادسة) 339 قطعة.

فضلا عن الدعم الذي وفرته السعودية بالأسلحة (الرشاشات الفردية والجماعية- البازوكا)، فقد منحت تسهيلات لبوصوف لإبرام صفقات منها(صفقة باخرة أوراغون التي وصلت إلى الإسكندرية، وصفقة باخرة بلغاريا التي وصلت إلى طنجة ...).

وقد قدرت الشحنات خلال 1960 بـ 03 قوافل شهريا، أصبحت في 1961 أربع قوافل (06 شحنات كل واحد بـ 10 طن)، ومن مرسى مطروح وليبيا شهريا من 300 إلى 400 طن وارتفع 1959 م من100 عامل شحن وتفريغ إلى 300 عامل و70 شاحنة 1962 (أستشهد منهم حوالي 07 آلاف)[16].

5- الإجراءات وردود الفعل الاستعمارية:

غلق الحدود (خطي شال- موريس) بأسلاك مكهربة ملغمة مراقبة 750 كم

الحصار البحري والتفتيش الدقيق للسفن (قانون مجلس وزراء فرنسا 1956/07/21 بتوسيع دائرة التفتيش من 20 كم رصيف إلى 50كم، وكل السفن التي تقل عن 100 طن

المراقبة الجوية البحرية (الهيلكوبتر...)، وقد أسفرت العمليات عن مايلي:

- 16 أكتوبر 1956 حجزت الباخرة المصرية أثوس (100 طن أسلحة وذخيرة- 2500 بندقية - 39 رشاش- 250 مسدس رشاش - 72 مدفع- 5000 قنبلة ...)، بعد نجاح ثلاث بواخر من الوصول إلى المغرب (دنيا- اليخت انتصار- اليخت فاروق...).
- حجز الباخرة اليوغسلافية سلوفينيا قرب واد ملوية 18 جانفي 1958.
- الباخرة الدانماركية قرانيتا قرب السعيدية 23 ديسمبر 1958.
- الباخرة التشيكوسلوفاكية ليدسى في طريقها إلى المغرب 07 أفريل 1959.
- الباخرة البولندية مونتي كاسينو جويلية 1959.
- الباخرة الألمانية بيليا قرب سواحل المغرب 05 نوفمبر 1959.
- الباخرة الهولندية قرب الناظور 12 ديسمبر 1959.
- الباخرة اليوغسلافية سلوفينا مرة أخرى 29 مارس 1960.
- الباخرة اليوغسلافية وجيا 13 أفريل 1960.
- الباخرة الألمانية بالماس 09 جوان 1960.
- الباخرة اليوغسلافية صربي 05 جوان 1960.
- في ديسمبر 1960 تم حجز 17 مركبا ألمانيا في البحر المتوسط.
- حجز باخرة ليديتشي (ذخيرة وبنادق) أفريل 1959.
- تصفية جهاز الاستخبارات الفرنسي للمتعاونين مع الثورة بأوروبا (محاولة اغتيال عبد القادر نواصري يايسي بفرانكفورت 1959).
- استشهاد حوالي 07 آلاف من عمال الإمداد والتموين والشحن والتفريغ.

- ضرب القواعد الخلفية للثورة الجزائرية (ساقية سيدي يوسف- العدوان الثلاثي)[17].

6- مصير القاعدة الشرقية:

لم يتم الاتفاق بين قادة منطقة سوق أهراس رغم الجهود الحثيثة التي بذلها عمارة بوقلاز من أجل تجسيدها في الواقع على المستوى السياسي والتنظيمي، وكانت أسباب الفشل عديدة: منها تضارب الرؤى حول الأهداف وخلافات حول مسائل الانضباط ومعايير تولي المسؤولية واحتدام الصراع حول الزعامة الذي كانت تغذيه اعتبارات عصبية وإقليمية، وتزامن ذلك مع التحضيرات التي كانت جارية في النصف الأول من عام 1956 لعقد أول اجتماع للثورة من أجل تقييم مسارها وتصحيح الأخطاء، والأهم من ذلك إسنادها ببرنامج سياسي وهيكل تنظيمي يجنبها مخاطر الانحراف، وكانت فكرة عقد لقاء بين قادة الثورة مطروحة آنذاك، وقد فكر فيها مصطفى بن بولعيد، لكن استشهاده حال دون ذلك، وبعد هجمات أوت 1955 تم الاتفاق على عقد اللقاء في المنطقة الثانية، وقد أكد ذلك علي كافي، واختيرت آنذاك المشروحة بجبال بني صالح مقر قيادة عمارة بوقلاز لاحتضان الاجتماع، لكونها منطقة آمنة بسبب وعورة جبالها وغاباتها الكثيفة، مما يحول دون وصول الجيش الفرنسي إليها، وكذلك قربها من الحدود التونسية، وهو ما يسمح للمسؤولين الموجودين بالخارج الحضور دون أن يعرضوا أنفسهم للخطر، لكن انقطاع الاتصال بالمنطقة الثانية حال دون ذلك، وفضل مسؤولو الثورة عقد الاجتماع في قرية إفري بالصومام واتخاذ قرارات حاسمة بعضها لم يكن محل إجماع، منها ما يتعلق بمصير القاعدة الشرقية[18] والتي تطورت لاحقا إلى قضية أو مؤامرة العقداء[19].

رغم ذلك استمرت القاعدة الشرقية في دعم الثورة من خلال التموين بالسلاح وحرب الاستنزاف، التي ألحقت خسائر بشرية ومادية ومالية ونفسية واستراتيجية عسكرية سياسية بالاحتلال الفرنسي، بغض النظر عن المعارك الكبرى التي خاضتها المنطقة ضد الاحتلال، وخاصة سوق أهراس قلب القاعدة الشرقية. منها معركة سوق أهراس الكبرى[20]، تلك المعركة التي دامت أياما كاملا، بداية من 26 أبريل 1958، ببويلان بالقرب من سوق أهراس قبل أن يتوسع نطاقها إلى غاية أعالي حمام النبائل قرب قالمة عبر مساحة تزيد عن 50 كلم، مخلفة 639 شهيدا، وقتل 300من العدو، فالموقع الإقليمي الذي جرت فيه وقائع هذه المعركة يتمثل في جبل بمنطقة الزعرورية بالناحية الغربية منها، رغم التعليمات الصارمة لقيادة جيش التحرير الوطني بعدم الدخول في أي اشتباك مع العدو، لفسح المجال لتمرير السلاح والذخيرة الحربية عبر خط موريس.

قام الفيلق الرابع بقيادة المجاهد الراحل محمد لخضر سيرين وكتيبتين تابعتين للولاية الثانية وكتيبة أخرى تمثل الولاية الثالثة بضمان التأطير للتمكن من تمرير الأسلحة[21]، وقبل ساعات من مرور الفيلق الرابع والكتائب الثلاثة من تونس إلى البلاد وقع اشتباك في جبل بوصالح بالزعرورية، لتبقى إحدى الكتائب مشتبكة مع العدو بينما عبرت فيه باقي فيالق جيش التحرير، هذه المعركة التي قادها المجاهد الراحل محمد لخضر سيرين قائد الفيلق الرابع فضلا عن الشهيد يوسف لطرش نائب الفيلق الرابع وأحمد دراية وعبود علي، تحدث عنها قائد منطقة الشرق القسنطيني الجنرال فانيكسان: "في الحروب الثورية ليس فقط مواجهة المتمردين في الداخل، بل مواجهة الدعم الذي يتلقاه هؤلاء من الخارج، وهو النموذج الحديث للصراع الملاحظ في الهند الصينية والجزائر".

فرغم إقامة خط موريس جوان 1957 على حدود القاعدة الشرقية، تدفقت الأسلحة والذخيرة إلى داخل الوطن ، فشرعت قوات العدو في تنفيذ حراسة شديدة للحدود وخاصة الشرقية منها، فبادرت قيادة القاعدة

الشرقية إلى اتخاذ قرار ربط الاتصال بالمناطق الحدودية والتأكيد على الاستمرار في حماية قوافل التموين بالسلاح عبر الحدود، فتعاونت الثورة مع القيادة التونسية في إنشاء مراكز لها من أجل تدريب المجاهدين وتخزين الأسلحة و استقبال الجرحى وتموين الثورة، وامتدت المراكز على طول الحدود الجزائرية التونسية نذكر منها: مراكز غار الدماء، تاجروين، الكاف ، أما ساقية سيدي يوسف فكانت مخصصة للتدريب والعبور و تخزين الأسلحة والذخيرة، وكانت للثورة مراكز كثيرة منذ اندلاعها سنة 1954، منها مركز حمام سيالة قرب باجة الذي تحول سنة 1958 لإيواء كبار السن من المجاهدين، ومراكز أخرى في قرن حلفاية والزيتونة ومزرعة بني، حيث لعبت القاعدة الشرقية دورا بارزا في تنظيم جيش التحرير على الحدود خاصة منذ 1960 حينما تمركزت هيئة الأركان بغار الدماء[22].

فرد الاحتلال بالطائرات والدبابات ومدفعية ميدان والمشاة والمظليين، تضرر منها حتى اللاجئين[23]، حيث وقعت المعركة السالفة الذكر، فالأسلحة التي استخدمت فيها تعادل معارك الحرب العالمية الثانية على غرار الفيلق 9 و14 للمظليين والفيلق 8 و28 للمدفعية بعيدة المدى والفيلق 26 و151 و152 مشاة ميكانيكية، فكتبت جريدة "لادياش دو كونستوتين: "... إن القتال وصل إلى حد التلاحم والتصادم وجها لوجه والاشتباك بالسلاح الأبيض، وأنه كان عنيدا...[24].

الخاتمة:

في ظل تسارع الأحداث بين 1953و1954 اعتمدت الثورة التحريرية في انطلاقتها على التنظيمات الموروثة عن المنظمة الخاصة وبعض القرارات السياسية والعسكرية السريعة لمواكبة الكفاح المسلح، إلا أن تطور الثورة والتحولات التي طرأت لاحقا وطرحت إشكالية التنظيم والاتصال والتموين ومواجهة الحصار الاستعماري العسكري الخانق، ساهم في بروز أهمية القاعدة الشرقية في التموين والتسليح من جهة وزيادة نفوذها من جهة أخرى وهو ما تؤكده حتى التقارير الفرنسية نفسها، فحسب تقرير اللجنة البرلمانية الفرنسية 22 جويلية 1957:

«... الثوار 25 ألف لهم 15 ألف قطعة حربية، يتلقون من 700 إلى 800 سلاح شهريا. منها 500 من تونس والباقي من المغرب ... »

وحسب الجنرال صالان salan : « ... 1500 قطعة تدخل الجزائر شهريا منذ 1957، $\frac{3}{4}$ من تونس والباقي من المغرب، ولا يحجز إلا $\frac{1}{3}$ منها فقط ... ».

إن أهمية القاعدة الشرقية في الإمداد والتكوين ساهم في نجاح واستمرار وتطور الثورة التحررية، رغم الإشكاليات التي تطرحها حيثيات الأحداث والعمليات وعلاقات الأشخاص والمؤسسات والصلاحيات داخل القاعدة الشرقية، بدء بتأخر بعض عمليات أول نوفمبر في جزء من أقاليمها، وظروف انتقالها من الولاية الثانية إلى الأولى، ثم من الأولى إلى الثانية، وتدخل مؤتمر الصومام وقيادة الثورة لتحجيمها بتوظيف قرارات تصنيف المناطق وتوجيه مهام القيادات، والتي تطورت لمحاكمات وإعدامات، فضلا عن صراع بعض القيادات.

الملاحق:

الملحق (1): خريطة القاعدة الشرقية

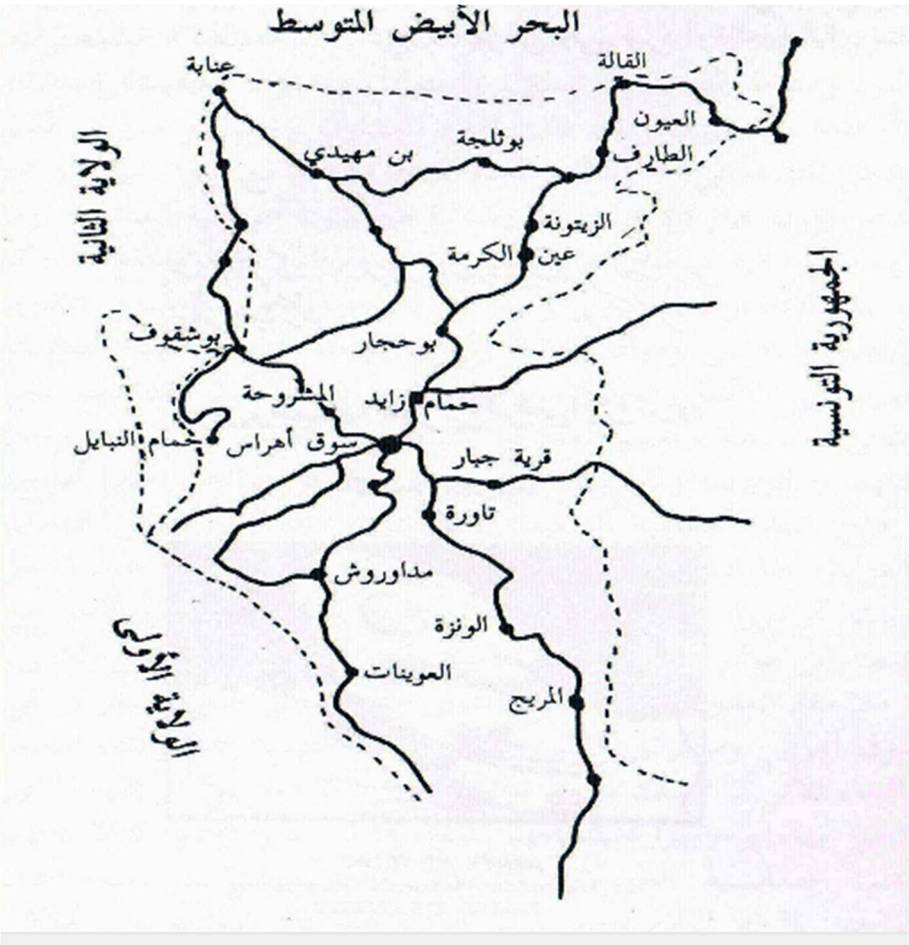

الملحق (2): قيادة القاعدة الشرقية

تشكلت قيادة القاعدة الشرقية من مجلس يرأسه عمارة بوقلاز وينوبه :

- الرائد محمد عواشرية
- الرائد الطاهر سعيداني
- الرائد سليمان بلعشاري .

وقد أسندت قيادة المنطقة الأولى إلى العيساني شويشي ، ينوبه ثلاث نواب هم :

- بشايرية علاوة : نائب عسكري.
- رصاع مازوز : نائب سياسي.
- الحاج خمار : نائب استعلامات .

أما المنطقة الثانية (الوسطى) فأسندت قيادتها إلى عبدالرحمان بن سالم وينوبه ثلاث نواب هم : - لخضر وزاني : نائب عسكري

- الحفناوي زماضنية : نائب سياسي
- جبار الطيب : نائب استعلامات

والمنطقة الثالثة (الجنوبية) بقيادة الطاهر الزوبيري ونوابه هم :

- المبتي بومعراف : نائب عسكري
- موسى لحرامنية : نائب سياسي
- محمد لخضر سيرين : نائب استعلامات .

الملحق (3): امتداد خط موريس على الحدود الشرقية

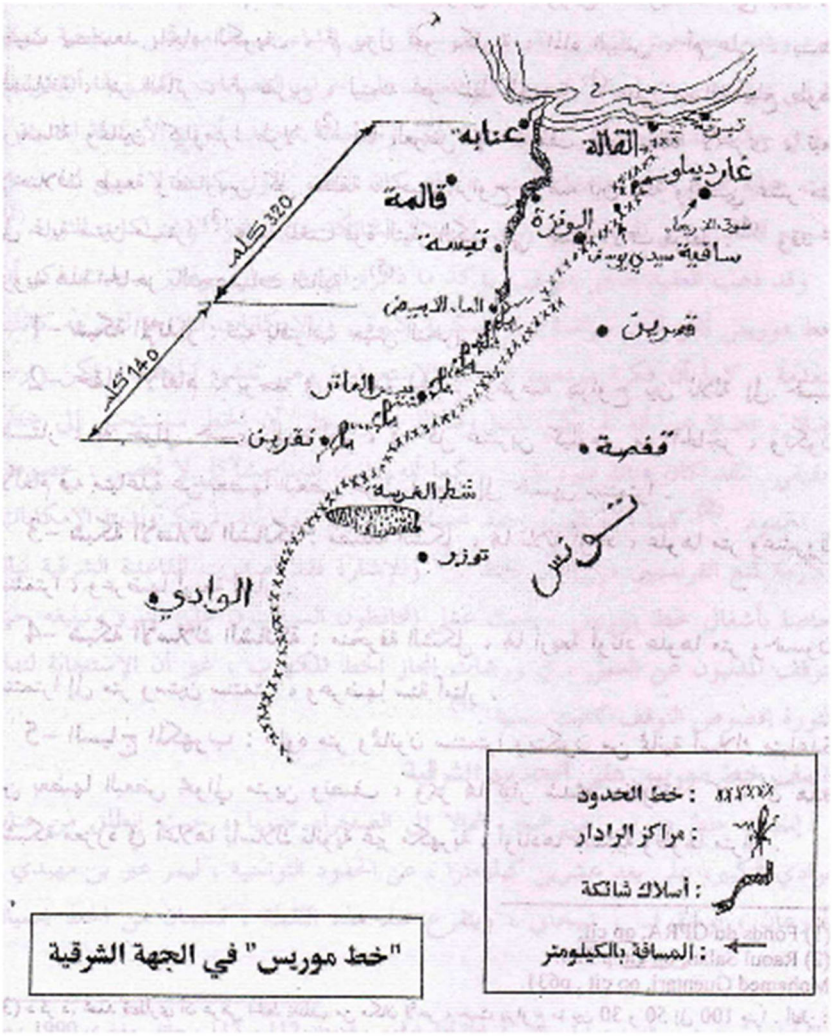

الملحق (4): عبور الأسلحة عبر الجبهة الشرقية

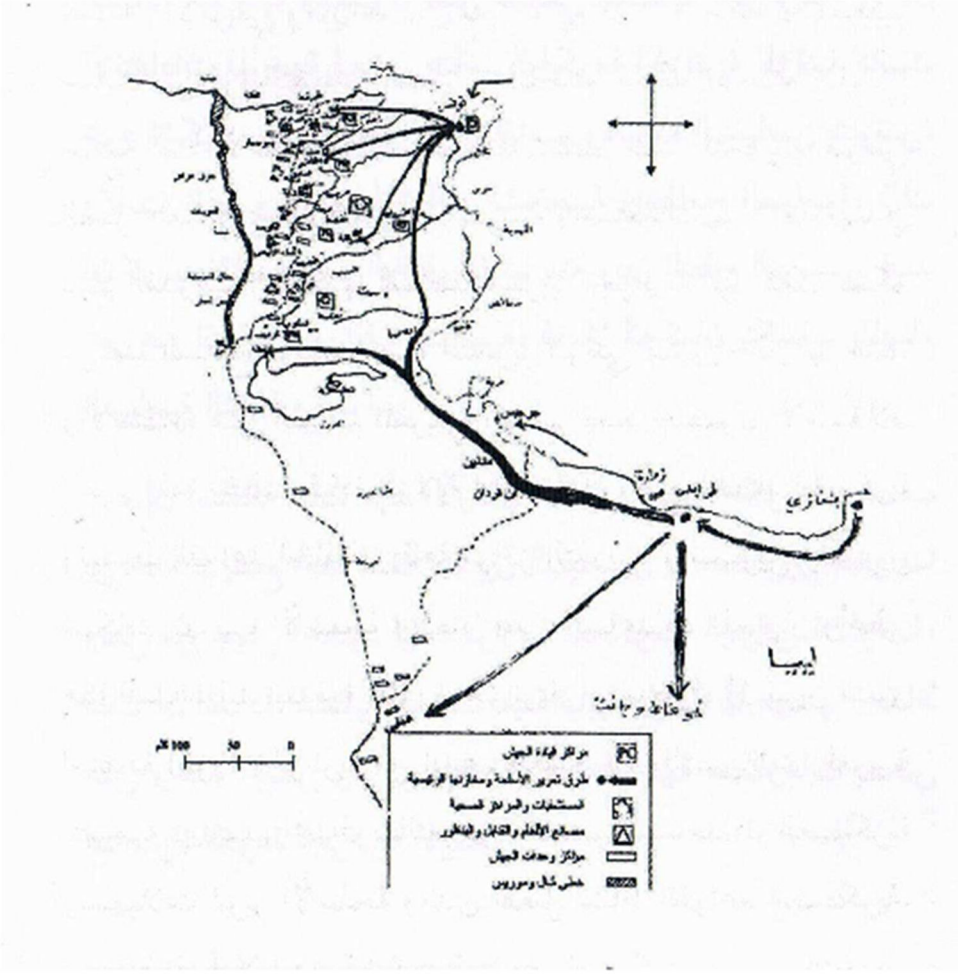

قائمة المصادر والمراجع:

1- الشاذلي بن جديد، مذكرات، ج1، 1929-1979، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2011.
2- بلقاسم محمد وآخرون، القواعد الخلفية للثورة، الجبهة الشرقية 1954-1962، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2006.
3- جبلي الطاهر، دور القاعدة الشرقية في الثورة الجزائرية1954-1962، دار الأمة، الجزائر، 2013.
4- مولود قاسم نايت بلقاسم، ردود الفعل الأولية داخلا وخارجا على غرة نوفمبر أو بعض مآثر فاتح نوفمبر، ط1، دار البحث، قسنطينة، 1984 .
5- محمد لحسن أزعيدي، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية 1956-1962، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.
6-عمر تابليت، القاعدة الشرقية، نشأتها ودورها في الإمداد وحرب الاستنزاف، ط1، دار الألمعية، الجزائر، 2011.
7- محمد عباس، في كواليس التاريخ- ديغول والجزائر- (أحداث، قضايا، شهادات)، دار هومة، الجزائر، 2007.
8- عوادي عبد الحميد، القاعدة الشرقية، دار الهدى، الجزائر، 1993.
9- العسكري إبراهيم، لمحات من مسيرة الثورة التحريرية ودور القاعدة الشرقية، دار البعث، الجزائر.
10- محمد لمقامي، رجال الخفاء، مذكرات ضابط في وزارة التسليح والاتصالات العامة، منشورات ANEP، 2005.
11-عبد المجيد بوزبيد، الإمداد إبان حرب التحرير، منشورات بيبلوبوليس، الجزائر، 2005.
12- عبد الله مقلاتي، دور بلدان المغرب العربي وإفريقيا في دعم الثورة، ج1، دار السبيل، الجزائر، 2009م.
13- قندل جمال، خطي موريس وشال وتأثيراتهما على الثورة الجزائرية 1954-1962، بلوتو للاتصالات، الجزائر، 2008.
14- الطاهر زبيري، نصف قرن من الكفاح، مذكرات قائد أركان جزائري ، ط1، دار الشروق، الجزائر، 2011 .
15- زروال محمد، إشكالية القيادة في الثورة، الولاية الأولى نموذجا، وزارة المجاهدين، 2007.
16- ياسر فركوس، الثورة في منطقة سوق أهراس (القاعدة الشرقية 1954-1962)، دكتوراه ل م د، تاريخ، جامعة سيدي بلعباس، 2015.
17- سليم سايح، "القاعدة الشرقية للثورة الجزائرية 1956-1958، النشأة والتفكيك"، مجلة دراسات، ع7، جامعة قسنطينة 2.
18- احمد مسعود سيد علي، "دور قيادة الأركان بالحدود الشرقية والغربية في مجال الإمداد خلال الثورة1958-1960"، مجلة البحوث والدراسات، ع9، جامعة الوادي، 2012 .
19- جمال بلفردي، "علاقة جيش التحرير الوطني مع الحدود الشرقية والغربية بهيئات الثورة الأخرى وبالزعماء التاريخيين"، المصادر، ع12، 2012.
20- الطاهر جبلي، "تسليح جيش التحرير الوطني عبر الحدود الغربية خلال الثورة الجزائرية 1954-1962"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع2، جامعة الوادي، 2012.
21- حاج عبد القادر يخلف، "مصادر تسليح وتموين الثورة الجزائرية 1954-1962"، مجلة عصور الجديدة، ع2، جامعة وهران1، 2012.
22- محمد برشان، "استراتيجية الثورة في مواجهة أزمة التسلح 1958-1962، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، ع4، جامعة بشار، 2018.
23- عبد المالك بوعريوة، "محطات في معركة التسليح في الثورة الجزائرية 1954-1958"، مجلة المعارف، ع3، جامعة الوادي، 2017.
24- عبد الله مقلاتي، "إشكالية التسليح إبان مرحلة اندلاع الثورة 1954-1956"، مجلة عصور الجديدة، ع5، جامعة وهران1، 2015.
25- نبيل جابري، "عمليات التسليح بمنطقة تبسة قبل الثورة التحريرية الجزائرية"، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، ع2، جامعة تبسة، 2017.
26- لمياء بوقريوة، "اللاجئون الجزائريون في تونس إبان الثورة التحريرية الجزائرية1954-1962، دراسة نقدية من خلال الأرشيف الفرنسي"، دورية كان التاريخية، ع 16، جوان 2012 .

27- إبراهيم العسكري، نشأة القاعدة الشرقية في خضم الثورة التحريرية 1954-1962 على لسان العقيد العسكري عمارة (بوقلاز)، دار مليلة، الجزائر.
28- موسوعة أعلام الجزائر1954-1962، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، طبعة وزارة المجاهدين، الجزائر.
29- صالح فركوس، الشهيد باجي مختار، منشورات جامعة عنابة، 2005.
30- وهيبة سعيدي، الثورة ومشكلة السلاح1954-1962، دار المعرفة، الجزائر.
31-محمد يوسفي، الجزائر في ظل المسيرة النضالية، تق محمد شريف بن دالي حسين، دار الثقافة، الجزائر، 2007.
32-مصطفى سعداوي، المنظمة الخاصة ودورها في الإعداد لثورة أول نوفمبر، متيجة للطباعة، الجزائر.
33- جمال بلفردي، هيكلة وتنظيم جيش التحرير على الحدود الشرقية والغربية 1958-1962، ماجستير في التاريخ ، المدرسة العليا بوزريعة، الجزائر، 2006.
34- محمد علوي، قادة ولايات الثورة الجزائرية 1954-1962، دار بن زيد، بسكرة، 2013.
35- حبيب حسن اللولب، التونسيون والثورة الجزائرية ، ج2، منشورات سيدي نايل، الجزائر
36- الصادق عبد المالك، "مؤامرة العقداء أثناء الثورة الجزائرية 1958-1959"، مجلة مدارات تاريخية، مجلد 2، عدد5، الوادي، 2020.
37-عبد الله مقلاتي، "محمد لعموري ومؤامرة العقداء منعرج حاسم في تاريخ الثورة الجزائرية"، مجلة أفكار وأفاق، المجلد2 العدد5، الجزائر، 2015.
38- محمد شبوب، اجتماع العقداء، ماجستير في التاريخ، جامعة وهران، 2010.
39- محمد قديد، الرد الوافي على مذكرات كافي، دار هومة، الجزائر، 2001.
40- مذكرات الطاهر سعيداني، القاعدة الشرقية قلب الثورة النابض، دار الأمة، الجزائر، 2001.
41- مذكرات الرائد عثمان سعدي بن الحاج، دار الأمة، الجزائر، 2000.
42- مذكرات المجاهد الوردي قتال، مسيرة رجل وتاريخ نضال، دار الألمعية، قسنطينة ، 2018.
43- محمد قنطاري، الحدود الغربية أثناء الثورة التحريرية، دور مناطق الحدود إبان الثورة التحريرية، جمعية الجيل الأبيض تبسة، منشورات قرفي، باتنة، 1999.
44- جمال بلفردي، "جيش التحرير الوطني على الحدود بين الاحتراف العسكري والتنشئة السياسية 1960-1962"، المجلة الجزائرية للأمن الإنساني"، السنة السادسة، المجلد 6، ع01 ، جانفي 2021.
45- خضراء بوزايد، معركة سوق أهراس الكبرى 26 افريل 1958 (معركة سوق أهراس الكبرى أم المعارك والشهداء)، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2014.
46- سلطاني بوضياف، "جيش التحرير الوطني في مواجهة القوات الفرنسية على الحدود الشرقية، معركة العبور- سوق أهراس افريل 1958- أنموذجا"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المجلد الثاني، ع04، جولية 2020.
47- هيبي عمران، شلالي عبد الوهاب، "جيش التحرير الوطني في مواجهة الأسلاك الشائكة المكهربة على الحدود الجزائرية الشرقية 1957-1962، "مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية"، المجلد04، ع01، مارس2019.
48- Achour cheurfi, dictionnaire de la révolution Algerienne1954-1962, casbah edit, Alger, 2004.
49- Alistair Horne, histoire de la guerre D, Algérie, 4edit, édit dahlab, Alger, 2007.
50- Benjamin stora, Algérie histoire contemporaine1830-1988, casbah édit, Alger ,2004.
51- Mohamed Teguia, L, Algérie en guerre, opu, Alger.

الهوامش:

[1]- عمارة العسكري المدعو بوقلاز ولد بالطارف 1925، التحق بالكلية العسكرية البحرية الفرنسية، أنظم للثورة وشارك في هجومات 20 أوت 1955، ساهم في تأسيس القاعدة الشرقية في 1957، عين في المجلس الوطني للثورة قبل تعيينه في العراق لتمثيل الثورة، توفي في1995. ينظر: إبراهيم العسكري، نشأة القاعدة الشرقية في خضم الثورة التحريرية 1954-1962 على لسان العقيد العسكري عمارة (بوقلاز)، دار مليلة، الجزائر.

[2]- الشريف مساعدية ولد في 1924 بسوق أهراس، درس بالزيتونة، انضم إلى حزب الشعب وحركة انتصار الحريات الديمقراطية، التحق بالثورة في1957 بالقاعدة الشرقية، حوكم في قضية لعموري وحول للجبهة الجنوبية، بعد الاستقلال أيد جماعة تلمسان. ينظر: موسوعة أعلام الجزائر 1954-1962، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، طبعة وزارة المجاهدين، الجزائر، ص 312، 313.

[3]- باجي مختار من مواليد عنابة في 1919، انظم إلى الكشافة وحزب الشعب وأحباب البيان وحركة انتصار الحريات، عين مسؤولا في المنظمة الخاصة بسوق أهراس في1947، القي عليه القبض في 1950، عضو اللجنة الثورية للوحدة والعمل ومجموعة 22، قاد هجومات أول نوفمبر بالمنطقة، استشهد في 13 نوفمبر 1954. ينظر: صالح فركوس، الشهيد باجي مختار، منشورات جامعة عنابة، 2005.

[4]- مولود قاسم نايت بلقاسم، ردود الفعل الأولية داخلا وخارجا على غرة نوفمبر أو بعض مآثر فاتح نوفمبر، ط1، دار البحث، قسنطينة، 1984، ص50. ينظر:

Mohamed Teguia, l'Algérie en guerre, opu, Alger, pp 273-290. Voir aussi : Benjamin stora, Algérie histoire contemporaine 1830-1988, casbah édit, Alger, 2004, p125-128.

[5]- أمحمد يوسفي مسؤول بالمنظمة الخاصة مكلفا بالاستعلام والاتصال منذ 1949، بعد اندلاع الثورة كلف بملف التسليح بأوربا، توفي في 1994.ينظر: محاضرة لحسن زغيدي "أمحمد يوسفي"، منتدى المجاهد، 24 جويلية 2018. كذلك: وهيبة سعيدي، الثورة ومشكلة السلاح 1954-1962، دار المعرفة، الجزائر، ص 16، 17.

[6]- الطيب بولحروف من مواليد عنابة1923، أنظم للكشافة وحزب الشعب وسجن في1939 وشارك في مظاهرات الثامن ماي، عين في اللجنة المركزية لحزب حركة الانتصار والمنظمة الخاصة وألقي عليه القبض مع باجي مختار 1950، كان ممثلا للحكومة المؤقتة بإيطاليا وسويسرا وساهم في مفاوضات أفيان. ينظر: موسوعة أعلام الجزائر، (م س)، ص 321، 324.

[7]- محمد يوسفي، الجزائر في ظل المسيرة النضالية، تق: محمد شريف بن دالي حسين، دار الثقافة، الجزائر، 2007، ص 128. كذلك: مصطفى سعداوي، المنظمة الخاصة ودورها في الإعداد لثورة أول نوفمبر، متيجة للطباعة، الجزائر، ص 154. ينظر: محمد قديد، الرد الوافي على مذكرات كافي، دار هومة، الجزائر، 2001، ص21.

[8]- شيهاني بشير المدعو سي مسعود (1929-1955)، من مواليد لخروب، تلقى تعليمه بقسنطينة وتونس، أنظم للعمل السري لحزب الشعب ثم حركة انتصار الحريات وساهم في تموين المنظمة الخاصة، عين مسؤولا ببشار قبل التحاقه بالاوراس في 1953 وشارك في عمليات أول نوفمبر، ليعين قائدا بالنيابة للاوراس في غياب ابن بو العيد، ساهم في معركة الجرف في 1955، أعدم في 23 أكتوبر 1955. ينظر: محمد علوي، قادة ولايات الثورة الجزائرية 1954-1962، دار بن زيد، بسكرة، 2013، ص 37، 40. أيضا: مذكرات المجاهد الوردي قتال، مسيرة رجل وتاريخ نضال، دار الألمعية، قسنطينة، 2018، ص 75. كذلك:

Achour cheurfi, dictionnaire de la révolution Algerienne1954-1962, casbah edit, Alger, 2004, p468 .

[9]- محمد لحسن أزعيدي، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية 1956-1962، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 118-120.

[10]- محمد قنطاري، الحدود الغربية أثناء الثورة التحريرية، دور مناطق الحدود إبان الثورة التحريرية، جمعية الجيل الأبيض تبسة، منشورات قرفي، باتنة، 1999، ص 126. كذلك: مذكرات الطاهر سعيداني، القاعدة الشرقية قلب الثورة النابض،

دار الأمة، الجزائر، 2001، ص 102. ينظر أيضا: مذكرات الرائد عثمان سعدي بن الحاج، دار الأمة، الجزائر، 2000، ص 130.

[11]- عمر تابليت، القاعدة الشرقية، نشأتها ودورها في الإمداد وحرب الاستنزاف، ط1، دار الألمعية، الجزائر، 2011، ص 15-25. كذلك: محمد بلقاسم وآخرون، القواعد الخلفية للثورة الجزائرية - الجبهة الشرقية- 1954-1962، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، وزارة المجاهدين 2007، ص 17-33. راجع الملحق رقم (1): خريطة القاعدة الشرقية. ينظر: عبد الحميد عوادي، القاعدة الشرقية، دار الهدى، الجزائر، 1993، ص 55. كذلك راجع الملحق رقم (3): خط موريس، ينظر: جمال قندل، خطي موريس وشال وتأثيراتهما على الثورة الجزائرية 1954-1962، بلوتو للاتصالات، الجزائر، 2008، ص 52.

[12]- عباس تركي مسؤول شركة النجاح بتونس لتمويه عملية نقل السلاح للثورة الجزائرية. ينظر: حبيب حسن اللولب، التونسيون والثورة الجزائرية، ج2، منشورات سيدي نايل، الجزائر، ص 29. أيضا: عبد المجيد بوزبيد، الإمداد خلال حرب التحرير، شهادتي، مطبعة ديوان الجزائر، 2007، ص 65.

[13]- محمد عباس، في كواليس التاريخ- ديغول والجزائر- (أحداث، قضايا، شهادات)، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 96، ينظر: محمد زروال، إشكالية القيادة في الثورة، الولاية الأولى نموذجا، وزارة المجاهدين، 2007.
Voir aussi : Alistair Horne, histoire de la guerre D, Algérie, 4edit, édit dahlab, 2007, p 275-277.
راجع الملحق رقم (2): قيادة القاعدة الشرقية، ينظر: الشاذلي بن جديد، مذكرات، ج1، 1929-1979، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2011، ص 95.

[14]- أنظر: محمد لمقامي، رجال الخفاء، مذكرات ضابط في وزارة التسليح والاتصالات العامة (منشورات ANEP، 2005).

[15]- محمد عباس، (م س)، ص 97-100.

[16]- جمال بلفردي، جيش التحرير الوطني على الحدود بين الاحتراف العسكري والتنشئة السياسية 1960-1962، المجلة الجزائرية للأمن الإنساني، السنة السادسة، المجلد 6، ع 01، جانفي 2021، ص 1108. ينظر: عبد المجيد بوزبيد، الإمداد إبان حرب التحرير، منشورات بيبلوبوليس، الجزائر، 2005. كذلك: محمد بلقاسم وآخرون، (م س). أيضا: إبراهيم العسكري، لمحات من مسيرة الثورة التحريرية ودور القاعدة الشرقية، دار البعث، الجزائر، 1990. كذلك: الطاهر جبلي، دور القاعدة الشرقية في الثورة الجزائرية 1954-1962، دار الأمة، الجزائر، 2013، راجع الملحق رقم (4): عبور الأسلحة عبر الجبهة الشرقية، ينظر: عبد الله مقلاتي، دور بلدان المغرب العربي وإفريقيا في دعم الثورة، ج1، دار السبيل، الجزائر، 2009م، ص 71.

[17]- محمد عباس، (م س)، ص 100-102. راجع الملحق رقم (3): خط موريس. انظر: جمال قندل، (م س)، ص 52.

[18]- ينظر: http://www.algeriachannel.net/2009/05 .

[19]- قضية أو مؤامرة العقداء، اتهام قيادة الاوراس والقاعدة الشرقية بالتجاسر والتآمر على الثورة وإصدار أحكام بإعدام (لعمري، نواورة، مصطفى لكحل، عواشرية) وتحويل وإبعاد (مساعدية، بوتفليقة، درارية، بالهوشات) للجبهة الجنوبية. ينظر: الصادق عبد المالك، مؤامرة العقداء أثناء الثورة الجزائرية 1958-1959، مجلة مدارات تاريخية، مجلد 2، عدد 5، الواد، 2020، ص 314-341. كذلك: عبد الله مقلاتي، محمد لعموري ومؤامرة العقداء منعرج حاسم في تاريخ الثورة الجزائرية، مجلة أفكار وأفاق، المجلد 2، العدد5، الجزائر، 2015، ص 71- 92. أيضا: محمد شبوب، اجتماع العقداء، ماجستير في التاريخ، جامعة وهران، 2010، ص 72.

[20]- ياسر فركوس، الثورة في منطقة سوق أهراس (القاعدة الشرقية 1954-1962)، دكتوراه ل م د تاريخ، جامعة سيدي بلعباس، 2015، ص 12. ينظر: سليم سايح، القاعدة الشرقية للثورة الجزائرية 1956-1958، النشأة والتفكيك، مجلة دراسات، ع 7، جامعة قسنطينة 2، ص 101، 120. كذلك: احمد مسعود سيدعلي، دور قيادة الأركان بالحدود الشرقية والغربية في مجال الإمداد خلال الثورة 1958-1960، مجلة البحوث والدراسات، ع 9، جامعة الوادي، 2012، ص 289، 304.

[21]- جمال بلفردي، هيكلة وتنظيم جيش التحرير على الحدود الشرقية والغربية 1958-1962، ماجستير في التاريخ، المدرسة العليا بوزريعة، الجزائر، 2006، ص 114، 119. أيضا: جمال بلفردي، علاقة جيش التحرير الوطني مع الحدود الشرقية والغربية بهيئات الثورة الأخرى وبالزعماء التاريخيين، المصادر، ع 12، 2012، ص 197، 225. ينظر: الطاهر جبلي،

تسليح جيش التحرير الوطني عبر الحدود الغربية خلال الثورة الجزائرية 1954-1962، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع 2، جامعة الوادي، 2012، ص 77، 96. كذلك: حاج عبد القادر يخلف، مصادر تسليح وتموين الثورة الجزائرية 1954-1962، مجلة عصور الجديدة، ع 2، جامعة وهران 1، 2012، ص 169، 187.

[22]- محمد برشان، "استراتيجية الثورة في مواجهة أزمة التسلح 1958-1962، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، ع 4، جامعة بشار، 2018، ص 11، 31. ينظر: عبد المالك بوعريوة، محطات في معركة التسليح في الثورة الجزائرية 1954-1958، مجلة المعارف، ع 3، 2017، ص 197، 243. كذلك: عبد الله مقلاتي، إشكالية التسليح إبان مرحلة اندلاع الثورة 1954-1956، مجلة عصور الجديدة، ع 5، جامعة وهران 1، 2015، ص 366، 381.

[23]- نبيل جابري، عمليات التسليح بمنطقة تبسة قبل الثورة التحريرية الجزائرية، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، ع 2، جامعة تبسة، 2017، ص 423، 450. ينظر: لمياء بوقريوة، اللاجئون الجزائريون في تونس إبان الثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962، دراسة نقدية من خلال الأرشيف الفرنسي، دورية كان التاريخية، ع 16، جوان 2012، ص 79، 80.

[24]- الطاهر زبيري، نصف قرن من الكفاح، مذكرات قائد أركان جزائري، ط1، دار الشروق، الجزائر، 2011، ص11. ينظر: خضراء بوزايد، معركة سوق أهراس الكبرى 26 افريل 1958(معركة سوق أهراس الكبرى أم المعارك والشهداء)، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2014، ص 69، 74. كذلك: سلطاني بوضياف، جيش التحرير الوطني في مواجهة القوات الفرنسية على الحدود الشرقية، معركة العبور- سوق أهراس- افريل 1958- أنموذجا، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المجلد الثاني، ع04، جولية 2020، ص 239-250. أيضا: هيبي عمران، شلالي عبد الوهاب، جيش التحرير الوطني في مواجهة الأسلاك الشائكة المكهربة على الحدود الجزائرية الشرقية 1957-1962، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، المجلد 04، ع01، مارس 2019، ص 58، 60.

مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 1119– 1134
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

المجلس الوطني للثورة الجزائرية – مسار وتحديات - (1956 -1962م)

The National Council for the Algerian Revolution - Path and Challenges - (1956-1962)

طالبة دكتوراه ميادة مزوزي[1] **أ.د/ سليمان قريري**
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة باتنة1
مخبر دراسات في التاريخ – الثقافة - المجتمع
miyyada.mazouzi@univ-batna.dz grairislimane@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2021/01/10 تاريخ القبول: 2021/05/29

الملخص:
تهدف هذه الدراسة التاريخية إلى توضيح مسار المجلس الوطني للثورة الجزائرية والتحديات المختلفة التي واجهها طيلة فترة نشاطه (1956-1962)، من خلال تسليط الضوء على الظروف التي اقتضت عقد دوراته المتعاقبة (القاهرة-دورات طرابلس) وذلك تماشيا مع التطورات السياسية والعسكرية التي شهدتها ثورة التحرير. من خلال هذه الورقة البحثية توصلنا إلى جملة من النتائج أهمها أنه على الرغم من المواقف المتباينة والصراعات الدورية بين هيئتيه العسكرية (EMG) والسياسية التنفيذية (GPRA)، إلا أنه وفق في الأخير لتحقيق غايته القصوى المتمثلة في قرار وقف إطلاق النار.
الكلمات المفتاحية: المجلس الوطني للثورة الجزائرية؛ دورات طرابلس؛ هيئة الأركان العامة؛ الحكومة المؤقتة؛ وقف إطلاق النار.

Abstract:

This historical study aims to clarify the course of the National Council for the Algerian Revolution and the various challenges it faced throughout its period of activity (1956-1962), by shedding light on the circumstances that required holding its successive sessions (Cairo - Tripoli sessions), in line with the political and military developments that the liberation revolution witnessed. Through this research paper, we reached a number of results, the most important of which is that despite the divergent positions and periodic conflicts between its military (EMG) and executive political (GPRA) authorities, it has agreed in the end to achieve its ultimate goal of the cease-fire decision.
Key words: The National Council of the Algerian Revolution; Tripoli Courses; The General Staff; The interim government; cease-fire.

1 – المؤلف المرسل.

مقدّمة:

تذهب معظم الدراسات التاريخية بالإقرار على الأهمية الكبيرة التي أضفاها مؤتمر الصومام 1956م، على المشروع الثوري المنطلق غرة نوفمبر 1954م، لما أقره من مبادئ تنظيمية وهياكل سياسية، إدارية وعسكرية من أجل توحيد استراتيجيات ومواقف الشعب الجزائري لمجابهة السياسة الفرنسية وإلحاق الهزيمة بمخططاتها التفكيكية على المستوى الداخلي، والرد على ادعاءاتها التعتيمية اتجاه القضية الجزائرية خارجيا. فتشكيل مؤسسات الثورة أكبر دليل على جهود مناضليها لإزالة الغموض والتأويلات الخاطئة التي روّجت لها فرنسا. تُعدّ أعلى مؤسسة أُدْرِجت عقب مؤتمر الصومام فحوى هذا المقال ألا وهي المجلس الوطني للثورة الجزائرية التي تعتبر أعلى هيئة لها، مصدر القرارات، وحدها الكفيلة بقرار وقف القتال... وللخوض في تداعيات تأسيس هذه المؤسسة الثورية سنحاول الإجابة على التساؤلات التالية:

- ما طبيعة هذه المؤسسة القيّادية؟
- كيف كان مسارها؟ وفيم تتمثل أهم التحديات التي واجهتها؟

أهداف الدراسة وأهميتها: تهدف هذه الدراسة إلى فهم طبيعة مؤسسة قيّادية أُنشِئت خلال الثّورة التحريرية من حيث استراتيجية عملها وتطور نشاطها خاصة بعد تدعيمها بهيئة تنفيذية ثنائية الأقطاب أوّلها الحكومة المؤقتة التي تولّت المهام السياسية والثانية هيئة الأركان التي أشرفت على المهام العسكرية، وبالتالي تصبو هذه الدراسة إلى تشخيص طبيعة العلاقة بين هذه المؤسسات والوقوف عند أهم النجاحات التي حقّقتها والعراقيل التي واجهتها.

وللإجابة عن هذه التساؤلات والإلمام بجوانب الموضوع تم اعتماد المنهج التاريخي لطبيعة الدراسة مُستندين إلى أدوات كالوصف أثناء سرد الأحداث وفق كرونولوجيا متسلسلة، والتحليل أثناء تتبع الظروف التي كانت تستدعي عقد دورات المجلس وذلك من خلال التباين الكبير الذي شهدته من طرف منظّميها بهدف عرقلتها أو تمرير أهدافهم الشخصية.

1- تأسيس وهيكلة وصلاحيات المجلس الوطني للثورة الجزائرية (CNRA):

أنشئ المجلس الوطني للثورة الجزائرية[1] الذي هو بمثابة البرلمان في الجزائر الثائرة فهو الضامن للسيادة الوطنية وحارسها خلال فترة الحرب ضد العدو ويعتبر أعلى سلطة في التنظيم السياسي والإداري للثورة، حيث يتولى رسم وتوجيه السياسة العامة الداخلية والخارجية لجبهة التحرير الوطني من أجل تحقيق الاستقلال ويحدد خطط عملها ويوزع جميع السلطات لاتخاذ القرارات والمراقبة على أجهزتها[2].

كما عرفته مواثيق الثورة على أنه رمز السيادة الوطنية يقوم بتشريع القوانين مؤقتا إلى غاية تحرير التراب الوطني كما يقوم بدور المراقبة[3]. إذن هو الهيئة التشريعية العليا للثورة، مصدر القرارات المصيرية لها في السلم أو الحرب.

ووفقا لقرارات الصومام تشكل المجلس من 34 عضوا منهم 17 عضوا دائما و 17 عضوا إضافيا وهم:

أولا الدائمون:

- من عناصر حزب الشعب، حركة انتصار الحريات الديمقراطية

أ- قادة أول نوفمبر: مصطفى بن بولعيد، العربي بن مهيدي، محمد بوضياف، كريم بلقاسم، رابح بيطاط.

ب- قادة الولايات: زيغود يوسف، عمر أوعمران.

ج- الوفد الخارجي: حسين آيت أحمد، أحمد بن بلة، محمد خيضر.

د- المركزيون: بن يوسف بن خدة، أمحمد يزيد.

هـ- المناضلون البارزون: محمد الأمين دباغين (أمين عام سابق لحزب الشعب)، عبان رمضان (رئيس ولاية سابق في الحزب)، عيسات إيدير (أمين عام لاتحاد العمال).

- من عناصر حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري: فرحات عباس (رئيس الحزب)

- من عناصر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: أحمد توفيق المدني (أمين عام للجمعية)[4].

ثانيا الإضافيون:

- من حزب الشعب حركة انتصار الحريات الديمقراطية:

أ- **المركزيون**: سعد دحلب (لجنة التنسيق والتنفيذ CCE)، صالح الوانشي (اتحادية فرنسا)، عبد المالك تمام (مسؤول صحيفة المجاهد)، عبد الحميد مهري، الطيب الثعالبي.

ب- **من نواب قادة الولايات**: لخضر بن طوبال، عبد الحفيظ بوالصوف، محمدي السعيد، علي ملاح.

- من حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري: أحمد فرانسيس

- من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: إبراهيم مزهودي.

- من المنظمات الوطنية: الاتحاد العام للعمال الجزائريين (نائب عيسات ادير) اتحاد الطلبة (محمد بن يحيى ونائبه)

- عناصر حرة:

أ- من نواب قادة الولايات: نائب مصطفى بن بولعيد، سليمان دهيليس

ب- شخصيات مستقلة: محمد البجاوي (عضو سابق في الحزب الشيوعي)[5].

إن الملاحظ لهذه التشكيلة البشرية يجد أن الأعضاء الدائمين هم قادة ولايات يتمتعون بالشرعية التاريخية عند اندلاع الثورة، فبعضهم مسؤول في التنظيمات الحزبية أو ممثلين عنها كعيسات ايدير ممثلا عن العمال وبن يحيى عن اتحاد الطلبة، ومنهم أيضا من كان خارج البلاد أو رهن الاعتقال... ناهيك عن ثقافة هؤلاء فقد كانت في مجملها بين عربية إسلامية وأجنبية بحتة وازدواجية بينهما. متينة مركزة عند معظمهم فكان منهم الصيدلي والطبيب والمعلم والطالب المثقف... والمختص في بعض الفروع ذات الأهمية كالمالية التي تولاها أحمد فرنسيس[6]. وأيضا ضمت مختلف التشكيلات السياسية المساهمة في العمل الثوري لتحرير البلاد[7].

أما فيما يخص طريقة تعيينهم فعلى حد قول محمد البجاوي: "أن الظروف الشاذة التي تجتازها البلاد لا تسمح قطعا باختيار ممثلين عن الشعب بطريقة التصويت العام غير أن شرعية تمثيل رجال الثورة قد تأكدت بأحلى بيان وبالتالي رصت على عاتق المجلس الوطني للثورة تمثيل الشعب الجزائري على أوسع نطاق وأصدق صورة"[8].

2- القانون الأساسي للمجلس الوطني للثورة الجزائرية:

إن المجلس الدستوري للثورة هو الجمعية صاحبة السيادة يقرر نظامه الخاص فمن نص المادة 14 من النظام الأساسي للهيئات المؤقتة على أن الاشتراك في المناقشات أمر مطلوب من كافة الأعضاء وعند كل تصويت لا يقبل الرفض مطلقا. أما فيما يخص أعضاء المجلس الذي يمتنع عليهم الحضور يمكنهم توكيل أحد زملائهم لتمثيلهم. أما مقرراته فتتخذ بالإجماع من حيث المبدأ، وفيما يخص مداولاته فالمجلس يجتمع في دورة عادية مرة في السنة بدعوى من مكتبه* ويدعى إلى دورات استثنائية بناء على طلب ثلثي أعضائه أو على طلب الحكومة[9]. أما صلاحياته فتتفق كل من عقيلة ضيف الله ومحمد البجاوي حولها فحصراها فيما يلي: أنه يتولى مهمة تعيين الهيئة التنفيذية التي تقوم بتنفيذ خطته السياسية والعسكرية من بين أعضائه، كما

أنه يمنح الحكومة ثقته وينصبها بأكثرية الثلثين من أعضائه الحاضرين أو الممثلين. يصادق بأكثرية الثلثين على الاتفاقات والمعاهدات التي تعقدها الحكومة مع الدول الأخرى وفيما يخص قضية وقف إطلاق النار فلا تتم إلا بموافقة الأربعة أخماس الأعضاء الحاضرين أو الممثلين[10]. ويصدر المجلس الوطني للثورة 3 أنواع من الأعمال القانونية وهي:

- اللوائح ذات الطابع السياسي لا تكتسي صبغة قانونية صرفة.
- الأوامر الدستورية: وهي ذات طابع تأسيسي
- الأوامر التشريعية: وهي ذات طابع تشريعي[11].

إن المتمعن في طبيعة هذه المؤسسة يصل للقول بأنها هيئة تشريعية جزائرية ظهرت إبان ثورة التحرير أسندت إليها مهاما متباينة من طرف جبهة التحرير الوطني ما دفع بها لتسطير مقررات على مدار اجتماعاتها العادية أو الاستثنائية والعمل على تنفيذها وفقا لقانونها الخاص من حيث طريقة الاقتراع أو عدد الحاضرين في جو المداولات المعمول به ،وبالتالي نجحت في تأدية مهامها بالرغم من ظروف الحرب التي كانت تعيشها البلاد وهذا ما عبر عنه رياض بودلاعة قائلا: "أن قيادة الثورة التزمت بتطبيق المبادئ كلما سمحت ظروف الحرب بذلك"[12]، وهذا ما سنسعى لتأكيده أو نفيه من خلال تتبعنا لمسيرة هذه المؤسسة وأهم التحديات التي صادفتها.

3- دورات المجلس الوطني للثورة الجزائرية (1956-1962 م):

تطبيقا للقانون الأساسي للمؤسسة فيما يخص مداولاتها، عقدت 6 دورات تراوحت بين مؤتمرين الأول كان بالصومام 20 أوت 1956 والثاني بطرابلس في 7 جوان 1962خرجا بميثاقين هامين في تاريخ الثورة الجزائرية وأربع اجتماعات في كل من القاهرة وطرابلس منها ما كان في وقتها المحدد أي دورة عادية ومنها ما كان استثنائيا دعت إليه الظروف المستجدة وانبثقت عنها مقررات مكيفة مع الأوضاع السياسية والعسكرية آنذاك.

3-1- اجتماع القاهرة (20-28 أوت 1957م):

3-1-1- ظروف انعقاده و الأطراف الحاضرة: لقد كان مؤتمر الصومام ذا أثر هام في تعميق مفهوم القيادة الجماعية لدى قادة الثورة والشعب معا، وبما أن هذا المؤتمر كان لقاء تاريخيا حاسما بالنسبة للثورة ومستقبلها حرص قادة الثورة على اعتبار شهر أوت فترة مناسبة للقاءات لتدارس الأوضاع والنتائج ولوضع الخطط والبرامج الجديدة[13]، وبهذا الاعتبار التقى الأعضاء الأربعة للجنة التنسيق والتنفيذ **CCE** بتونس بعد استشهاد العربي بن مهيدي في 3 مارس 1957م وتزايد الخطر الاستعماري حولهم بالجزائر[14].

وبمجرد وصولهم اجتمعوا لتقييم المرحلة المقطوعة إلا أن كريم بلقاسم الذي كان من المقررين الأساسيين في الصومام أبدى رغبة ملحة في التغيير مناديا بضرورة إسناد القيادة للمسؤولين التاريخيين ورافعا لشعار التصالح مع المعتقلين لسد الطريق أمام المركزيين وتمكين العسكريين من شغل مناصب في أجهزة الثورة. لم يعارض كل من دحلب وبن خدة الأفكار الجديدة التي جاء بها كريم بلقاسم، لكن عبان رمضان بذل كل ما في وسعه للتصدي لها[15]، بمهاجمته لكل المصنفين العسكريين معتمدا على مبدأ أولوية السياسي على العسكري منتقدا لتصرفات بوصوف البوليسية أثناء مروره بالولاية الخامسة، لكن لم يكن يدري بأن الوضع قد تغير وأصبح لكريم بلقاسم حلفاء جدد[16]. ونتيجة لهذه الظروف بدأت التحضيرات الجدية

باستدعاء أعضاء المجلس الوطني للثورة لعقد اجتماع في دورة عادية بالقاهرة* من 20 إلى 28 أوت 1957م.

3-1-2- الإعدادات لعقد الاجتماع: في ظل انقسام الهيئة التنفيذية إلى كتلتين الأولى جماعة عبان رمضان وبن خدة ودحلب وتعززت بالعقيد سليمان دهيليس قائد الولاية الرابعة سابقا، وكانوا مقيمين في القاهرة و هم مع هدف عبان رمضان لتكريس أولوية السياسي على العسكري محاولين تهميش كريم بلقاسم ورفاقه، وهم الطرف الثاني والذي تدعم هو الآخر بحلفاء أمثال محمود الشريف من الولاية الأولى وبن طوبال من الولاية الثانية وبوصوف من الولاية الخامسة[17].

افتتحت الجلسة على الساعة السابعة وخمسون دقيقة مساءا وترأس الجلسة فرحات عباس ومحمد بن يحيى كاتبا وبحضور الأعضاء الآتية أسماؤهم: عبان رمضان، كريم بلقاسم، بن خدة، سعد دحلب أعضاء بلجنة التنسيق والتنفيذ. محمد لمين دباغين رئيس مندوبية الخارج، عمر أوعمران مندوب عسكري في الخارج، لخضر بن طوبال قائد الولاية الثانية بوصوف عبد الحفيظ قائد الولاية الخامسة والعسكري عمار قائد القاعدة الشرقية سوق أهراس، محمد لعموري من الولاية الأولى، هواري بومدين الولاية الخامسة، عمار بن عودة من تنظيم جبهة التحرير في تونس، أحمد فرنسيس، ثعالبي الطيب، توفيق المدني، محمد يزيد، عبد الحميد مهري هؤلاء كانوا مندوبين سياسيين بالخارج[18]. واستناد ا إلى الأستاذ صالح بلحاج فإن هذا الاجتماع كان مزدوجا جاء في إطار اجتماع كواليس بين العسكريين للتقرير واجتماع رسمي حضره الجميع للمصادقة، وبعد عدة جلسات خرج المؤتمر بعدة قرارات سياسية وعسكرية[19].

3-1-3- أهم مقرراته:

- توسيع المجلس الوطني للثورة وجعل عدد أعضائه 54 عضوا كلهم أصليون، كما جعل عدد أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ 14 عضوا اتضح فيها غلبة العسكريين وهم قادة الولايات ممثلة بالتتابع بالعقداء محمود الشريف، الأخضر بن طوبال، كريم بلقاسم، عمر أوعمران وعبد الحفيظ بوصوف، والسياسيين هم عبان رمضان، الأمين دباغين، عبد الحميد مهري وفرحات عباس، وتم استبعاد مساعدي عبان بن خدة ودحلب بالإضافة إلى القادة الخمس المسجونين[20].
- التأكيد على أن هدف الثورة جاء بالصيغة التالية: "إنشاء جمهورية جزائرية ديمقراطية واشتراكية لا تتناقض مع مبادئ الإسلام وهذا ما كان بن بلة قد أخذه على اجتماع الصومام"[21].
- بالنسبة لأولوية السياسي على العسكري وأولوية الداخل على الخارج فقد ألغى المجلس الوطني للثورة هذه الأولوية ونص في لائحته النهائية أنه ليس هناك أولوية للسياسي على العسكري ولا فرق بين الداخل والخارج بمعنى أن الأولوية لا تكون إلا حيث الفعالية وحيث مصلحة الثورة والمساواة بين الجميع[22].

ويضيف الدكتور محمد العربي الزبيري في دراسته أن مقررات الدورة لم تقتصر على قضايا التسيير والمسؤولية، بل تعدت إلى موضوعات أخرى مرتبطة بالثورة كالعمل على إنعاش العلاقات المغاربية بإنشاء لجنة تنسيق تضم الأحزاب الوطنية التونسية والمغربية وجبهة التحرير الوطني **(F.L.N)** وإنشاء لجان شعبية تساند الثورة وأيضا إيقاف إضراب الطلبة مع افتتاح السنة الدراسية لسنة 1957-1958م الذي نجح في مهمته وبرهن للعالم وللعدو بأن الثورة الجزائرية ثورة كل الشعب بجميع فئاته، بالإضافة إلى تكثيف النشاط الخارجي لجبهة التحرير الوطني في ثلاث اتجاهات الأمم المتحدة والمنظمة الأفرو آسيوية والحلف الأطلسي من أجل فضح أكاذيب فرنسا وتعتيمها للرأي العام العالمي حول القضية الجزائرية[23].

3-2- اجتماع طرابلس الأول 16-12-1959 إلى 18-01-1960م:

3-2-1- الظروف التمهيدية لعقد الاجتماع: أمام الوضع السياسي الذي تواجهه الثورة جراء المشاريع السياسية التي يعتزمها ديغول لتصفيتها وتصاعد العمليات العسكرية في الجزائر والقمع الذي يعانيه الجزائريون. اجتمع المجلس الوطني للثورة في دورة عادية بطرابلس الغرب[24] قصد تعيين حكومة جديدة لإزالة الاغتراب السياسي والإداري الذي عانى منه الشعب الجزائري وذلك بتوسيع النشاط الدبلوماسي في الخارج وإجبار فرنسا على الدخول في مفاوضات جدية مع جبهة التحرير الوطني[25]. تماشيا مع هذه الآفاق وتطبيقا لوصية المجلس الوطني للثورة في اجتماعه بصيف 1957 اتخذت لجنة التنسيق والتنفيذ قرارا بتشكيل حكومة مؤقتة جزائرية (**GPRA**) في 19 سبتمبر 1958 أين تم إعلان تشكيلتها الرسمية من مبنى قاردن سيتي (القاهرة) وبدأت ممارسة صلاحيتها[26] لكن بعد بضعة أشهر عاشت مشاكل حادة أدخلتها في أزمة كادت أن تصيبها بشلل تام فبالإضافة للحادثة التي قادها لعموري وجماعته*[27] حادث اغتيال المناضل بن عميرة* وموقف الأمين دباغين من الحادثة أن قدم استقالته في 15 مارس 1959م[28]، ناهيك عن الخلاف الذي كان بين أعضائها وبين الولايات التي لامتها على قلة اهتمامها بالداخل وعلى نقص فاعلية قيادة العمليات العسكرية بالحدود الشرقية والغربية[29]. إذن كان الجو محتدما يسوده الشك والتنافر ما جعل رئيسها فرحات عباس يسعى لإيجاد حل للأزمة الحكومية وبموافقة الباءات الثلاثة دعا إلى ضرورة عقد اجتماع لإيجاد الحل المناسب[30]، فأرسلت في مارس 1959 برقية إلى جميع رؤساء الولايات تدعو فيها إلى اجتماع في شهر أفريل[31].

انطلق اجتماع العقداء العشر في 11 أوت 1959 بمقر وزارة الاتصال العامة والمواصلات بشارع **Parmentier** بتونس في جو متوتر للغاية لمفهوم السلطة الرئاسية الذي كان غائبا باعتبار الحاضرين عقداء وكل واحد منهم ينظر إلى أي قرار بخوف وشك كأنه هجوم يستلزم جوابا وردا حاسما[32]. افتتحت المناقشات حول وضعية الثورة من جميع جوانبها لا سيما على المستوى القيادي وسرعان ما تحولت هذه المجموعة إلى شبه لجنة تحضير لاجتماع المجلس الوطني للثورة لكثرة القضايا المطروحة وعدم الاتفاق[33].

استمر الاجتماع لأكثر من 100 يوم توصل فيه العقداء إلى قرارات أهمها تعيين مجلس وطني جديد وتوجيه دعوات إليهم لحضور الدورة الثالثة له بطرابلس من أجل الحل النهائي للأزمة[34].

انطلقت أشغال الاجتماع يوم 16 ديسمبر 1959 بالعاصمة الليبية طرابلس في سرية وتكتم شديدين[35] وحضره كل الأعضاء المسجلين في التركيبة الجديدة للمجلس الوطني للثورة ودام هذا الاجتماع 33 يوما واعتبر من أنجح الاجتماعات بفضل العمل التحضيري الجاد الذي سبقه[36]. كانت المناقشات في صعود وهبوط تصل تارة إلى حد التجريح والتهجم خاصة في النقطة المتعلقة بالوضع العسكري والمالي[37]، إذ انتقد قادة الجيش لا سيما الثلاثي (بومدين، منجلي، قايد أحمد) بشدة تصرفات الحكومة المؤقتة بصفة عامة مع توجيه سهام الاتهام إلى الباءات* الثلاث ومن أهم القرارات التي خرجت بها الدورة:

- إنشاء حكومة مؤقتة جديدة
- تشكيل لجنة وزارية للحرب
- إنشاء هيئة أركان عامة للجيش[38].

على رأس الحكومة جددت الثقة بتثبيت فرحات عباس فيقول سعد دحلب في مذكراته: "أن المتطلع لهذا المنصب أثناء الاجتماع كان كريم بلقاسم لاعتبار أن رئاسة الحكومة لابد أن تعود إلى أحد المؤسسين

التاريخيين وهو يقصد نفسه ولأن الأخيرة كانت مقبلة على إجراء محادثات مع حكومة ديغول فلا يوجد أحسن من عباس للتحادث معه ولا مجال للمقارنة بينه وبين كريم بلقاسم"[39].

أما اللجنة الوزارية للحرب فعينت الحكومة كل من كريم بلقاسم، بن طوبال وبوصوف كأعضاء بها مكلفين بالإشراف على الجيش إلى غاية إنشاء هيئة الأركان[40]، هذه الأخيرة التي تعد من أهم قرارات هذه الدورة والتي أسندت لها مهمة تنظيم جيش التحرير ورفع معنوياته... تكونت من القادة هواري بومدين رئيسا، علي منجلي، قايد احمد ورابح زراري أعضاء[41].

3-3- اجتماع طرابلس الثاني 9-27 أوت 1961: تتفق الكتابات التاريخية حول الأسباب التي دعت إلى عقد هذه الدورة المتمثلة في مسألتين الأولى الصراع بين الحكومة المؤقتة وهيئة الأركان والثانية مسألة المفاوضات وتعثرها فبالنسبة للأولى يمكن أن نقول عنها أنها تطورت وفق مراحل يمكن أن نوجزها كما يلي:

- حسب قرارات الدورة السابقة كان على هيئة الأركان أن تكون تحت إشراف اللجنة الوزارية للحرب لكنها لم تتم[42]، وهذا لاختلافهما حول قضية السلطة على الولايات من جهة وقضية تضخيم عدد أفراد الجيش من جهة أخرى لتأتي القطرة التي أفاضت الكأس كما يقال قضية اختطاف الطيار الفرنسي وأسره وذلك في 21 جوان 1961 والتي أسقطتها المدفعية المضادة للطيران الجزائرية على الحدود التونسية حيث طالبت السلطات الفرنسية من الحكومة التونسية تسليم الطيار فاستجاب بورقيبة وألح على تسليمه لكن قيادة الأركان رفضت[43]، هنا تدخل الرئيس فرحات عباس بنفسه حيث انتقل إلى غار دماء للقاء بومدين موضحا أن الطيار سجين بورقيبة وهو المسؤول على تسليمه, بالرغم من أن وجهة نظر بومدين لم تكن كذلك إلا أنه رضخ للأمر[44]. وبعد الحادثة مباشرة جاءت القطيعة النهائية بين الحكومة وهيئة الأركان والحكومة حيث أعلنت الأخيرة استقالتها في 15 جويلية 1961 موجهة مذكرة تتضمن مسائل تلوم فيها الحكومة المؤقتة[45]. أما بالنسبة للمسألة الثانية والنتائج السلبية التي أسفرت عنها مفاوضات أيفيان الأولى 20 ماي إلى 13 جوان 1961 بسبب المواقف المتباعدة بين الوفدين الفرنسي والجزائري حول وحدة التراب الوطني ووحدة الشعب ثم لحقتها مفاوضات لوغران التي أجريت من 20 إلى 28 جويلية والتي فشلت هي الأخرى بسبب تعنت الوفد الفرنسي. انطلقت الدورة في 9 أوت 1961 بسؤال هيئة الأركان حول عدم تطبيق مقررات الدورة السابقة مقترحة تغيير النظام القائم بجعل الحكومة وقيادة الجبهة شيء واحد أي تكوين قيادة سياسية وهيئة تنفيذية، إلا أن القرار رفض من طرف المجلس , كما أثيرت مسألة دخول الأجهزة القيادية للثورة إلى البلاد من حكومة وجيش حدود إلا أن وجهات النظر اختلفت حولها لاعتقاد الكثير منهم أن الأمر صعب التنفيذ[46].

إضافة إلى اقتراح بن يوسف بن خدة سنة 1959 بخلق قيادة جيش التحرير فوق الحكومة طرحه من جديد هادفا من ورائه إضعاف سلطة الباءات وإقصاء فرحات عباس عن القيادة وهذا ما راق لهيئة الأركان العامة كونها أرادت توحيد الجيش الخارجي والولايات تحت سلطتها[47] لكن سرعان ما خابت آمالها على إثر قرار المجلس الوطني للثورة بتعيين بن خدة رئيسا للحكومة الجديدة ما جعلها تقرر الانسحاب من الدورة قبل نهايتها وسفرها إلى ألمانيا[48]، تواصل الاجتماع وقرأت العديد من التقارير كتقرير فرحات عباس حول السياسة الخارجية للحكومة المؤقتة وكذا تقرير الخلاف بينها وبين هيئة الأركان, كما تم قراءة تقرير كريم بلقاسم حول مفاوضات أيفيان وفي جلسة 12 أوت 1961 تم قراءة رسالة السجناء الخمس* الموجهة للمجلس حول موقفهم إزاء الخلاف بين الحكومة المؤقتة وهيئة الأركان والذي كان حياديا[49]. في ظل هذه

الأجواء المشحونة عين المجلس الوطني للثورة لجنة للتشاور متكونة من محمد بن يحي، عمر بوداوود, محمدي السعيد[50] وبالإجماع وصل المجلس الوطني للثورة لقرار الموافقة على استقالة هيئة الأركان وبعد 3 أيام تشكل فريق حكومي جديد برئاسة بن يوسف بن خدة[51].

فيما يخص مسألة المفاوضات هيئة الأركان وقفت في مواجهة الغالبية الساحقة للمجلس وعلى حد قول محمد حربي: "إن قائد الهيئة لم يكن متحمسا للتعبير عن وجهة نظره تاركا قايد أحمد ومنجلي يقدمان تقويمهما للمفاوضات متهمين الحكومة أنها تتجه نحو حل من النموذج الاستعماري الذي يضحي بالثورة لصالح التعاون مع فرنسا"[52].

3-4- اجتماع طرابلس الثالث (22-27 فيفري 1962) "الدورة الاستثنائية": بعد اجتماع طرابلس أوت 1961 وجدت الحكومة المؤقتة الجديدة تحت إشراف بن يوسف بن خدة أمامها المشكلتين مرة أخرى وهما الخلاف بينها وبين هيئة الأركان واستئناف المفاوضات التي توقفت في لوغران شهر جويلية 1961 إلا أنها أعطت الأولوية لاستئناف المفاوضات كونها تعني مصير شعب بأسره فراحت تدرس كيفية إجرائها لا سيما أنها بلغت المرحلة الحاسمة[53]. تتفق الكتابات التاريخية أن الملفت للانتباه هذه المرة أن الدعوة لاستئناف المفاوضات كانت على إثر ذلك التصريح الذي أدلى به رئيس الحكومة بن خدة في 24 أكتوبر 1961 مقترحا خطة لحل المشكلة الجزائرية تعتمد على التخلي عن استفتاء تقرير المصير وأن تبادر فرنسا بإعلان استقلال الجزائر مقابل وقف فوري لإطلاق النار وفي المرحلة الثانية تتم تسوية المشاكل المرتبطة بالأقلية الأوروبية وجلاء القوات الفرنسية...[54].

يبدو من هذا التصريح أن بن خدة يدعو الحكومة الفرنسية الدخول في مفاوضات مباشرة والاتفاق حول إعلان استقلال الجزائر وعدولها عن فكرة تقرير المصير[55]، إلا أن التصريح لم يلق آذانا صاغية لدى الفرنسيين بل أثار امتعاضهم[56] بالرغم من أن الرئيس بن خدة لم يستبعد خيار استفتاء تقرير المصير وذلك من خلال ما أورده في ختام بيانه قائلا: "أنه إذا أصرت الحكومة الفرنسية على اعتبار تقرير المصير هو الطريقة المفضلة لتحقيق السلم فالحكومة الجزائرية مستعدة لاستئناف المفاوضات على هذا الأساس"[57]، وهو ما حدث باعتبار أن الجنرال ديغول صمم على هذا الخيار وبنى عليه سياسته الخارجية منذ 16 سبتمبر 1959 رغم تأكده أن غالبية المسلمين الجزائريين يؤيدون خيار الاستقلال ويقفون خلف جبهة التحرير الوطني[58].

ومما زاد في سرعة هذا التغيير منظمة الجيش السري **OAS** التي ظهرت في مطلع 1961 والتي قامت بمحاولة انقلابية في أفريل 1961 في الجزائر مستهدفين العديد من القيادات الأمنية والعسكرية وبات واضحا أنهم أرادوا الانتقام من سياسة ديغول بإجبار حكومته على التخلي عن تقرير مصير الجزائريين وهددوا وحدة الصف الفرنسي وكادت فرنسا أن تدخل حربا أهلية بسبب المشكلة الجزائرية. وبالفعل استؤنفت المفاوضات وتجددت اللقاءات التحضيرية بمدينة بال السويسرية أيام 28-29 أكتوبر 1961 ثم يوم 9 نوفمبر 1961 جمعت رضا مالك ومحمد الصديق بن يحيى بـ **Doulos et Chayer** من طرف الفرنسي وفي 9, 23 و30 ديسمبر التقى سعد دحلب بلويس جوكس في مدينة لي روس لدراسة النقاط الأساسية ومناقشة قضايا التعاون وحفظ النظام أثناء المرحلة الانتقالية[59]، استغرقت هذه المحادثات أكثر من 8 أيام تم التطرق خلالها إلى عدة مساعي منها وقف إطلاق النار والضمانات المتعلقة بتقرير المصير وإطلاق صراح المعتقلين والتعاون الفرنسي الجزائري... ليتوصل الطرفان في الأخير إلى توقيع النصوص الأولية لاتفاقيات ايفيان وعند هذه النقطة بالذات استوجب الأمر استدعاء المجلس الوطني للثورة[60].

في الدورة الاستثنائية 22-27 فيفري 1962 أو الاجتماع الطارئ على حد قول الأستاذ إدريس فاضلي للنظر في مسودة الاتفاق قبل إمضائها[61]، حضر الاجتماع 33 عضوا من أصل 71[62] ترأسه محمد بن يحيى كعضو في مكتب المجلس وعين سعد دحلب مقررا له يساعده كل من بلقاسم وبن طوبال, أمحمد يزيد وكان بن خدة يتدخل عندما تدعو الحاجة لذلك[63]، كان الجو بعيدا عن الاحتدام المعتاد باعتبار معظم أعضاء المجلس الوطني كانوا متفقين حول وقف إطلاق النار[64].

عند أول اجتماع للمجلس في هذه الدورة أبلغت موافقة الوزراء الخمس المحتجزين في أولونوي عبر رسالتهم المؤرخة في 15 فيفري 1962 من أهم ما جاء فيها : "إن الاتفاقات التي انتهت إليها المفاوضات لا تنتظر سوى موافقة ومصادقة المجلس الوطني للثورة الجزائرية عليها لكي نلتزم بها علنيا ورسميا، نحن الموقعون نعلن رسميا موافقتنا على هذه الاتفاقيات المبرمة من طرف حكومتنا"، لكن من جهة أخرى هذا الاتفاق لم يهضمه البعض فعبروا عن انتقاداتهم غير المتوقعة وهم عبد الحميد مهري وفرحات عباس المعروف عنهما الاعتدال فالأول عبر قائلا: "أعطينا للفرنسيين أكثر مما أخذنا... وان نص وقف إطلاق النار ليس واضحا تماما وكذلك بالنسبة للنص المتعلق بتقرير المصير..."، أما الثاني فقد رأى :"أن الملف الذي قدم لنا ليس ملفا جيدا وهذا أقل ما يمكن أن نقوله عنه والسبب أن حكومتنا أسرعت للمفاوضة ..."، لكن في الأخير انتهى الأمر بكليهما للموافقة على الاتفاقيات المبرمة من طرف حكومتنا "[65].

كما عبرت هيئة ا الأركان العامة عن معارضتها لمشروع اتفاقية ايفيان فقد طرح بومدين في هذا الشأن مسألة مثيرة للقلق قائلا: "هل النصوص المطروحة على المجلس تشكل اتفاقا أم ما قبل الاتفاق؟ هل المجلس مؤهل لإدخال تعديلات أم أنه يكتفي بالموافقة عليها؟" ففي الحالة الأولى يلزمنا وقت كثير للنقاش وفي الحالة الثانية يصبح النقاش من دون فائدة... وجاء الجواب واضحا على هذه الأسئلة لم نقرر شيء بعد، يستطيع المجلس أن يوافق أو يرفض أو يقر عدد من التحسينات على هذه الوثائق خاصة وأن الأبواب تظل مفتوحة....[66].

عارض المشروع بعض مسؤولي الجيش كالحاج لخضر من الولاية الأولى والقائد ناصر من الولاية الخامسة وبررت الدكتورة عقيلة ضيف الله أن هؤلاء معارضتهم غير قائمة على أسس مقنعة حيث كان يراودهم تحقيق انتصار عسكري على غرار ديان بيان فو[67].

انتهى الاجتماع ببيان ختامي موجه للرأي العام والذي كان مقتضبا جدا جاء فيه: "لقد اجتمع المجلس الوطني للثورة في دورة استثنائية بطرابلس مابين 22-27 فيفري 1962 وبعد النقاش حول المفاوضات مع حكومة الجمهورية الفرنسية فإن المجلس **CNRA** يفوض الحكومة المؤقتة **GPRA** لمواصلة المفاوضات الجارية"، إذن جدد المجلس الوطني ثقته في الحكومة وألغت الموقف الناقد الصادر عن أعضاء هيئة الأركان[68].

3-5- اجتماع طرابلس الرابع 25 ماي - 7 جوان 1962 (الدورة المعلقة):

3-5-1- الظروف الممهدة لعقد الاجتماع: بعد أن تم إعلان الحكومة الفرنسية عن النتائج الإيجابية لاجتماع طرابلس 22-28 فيفري 1962، استؤنفت المفاوضات من جديد حيث ترأس الوفد الجزائري كريم بلقاسم ومعه كل من أمحمد يزيد، بن طوبال وسعد دحلب... والوفد الفرنسي مثله **Louis Jox** ومعه **Robert Bouro** و**Jan Debrovely**...[69] وعند افتتاحها بشكل رسمي في 7 مارس 1962 بايفيان استغرقت 12 يوما من المناقشات المستفيضة وتوصل الطرفان إلى اتفاق عام حول الاتفاقيات وتم توقيعها في 18 مارس 1962، وبمقتضاه دخل وقف إطلاق النار حيز التنفيذ بكامل التراب الجزائري عند منتصف

نهار 19 مارس 1962، وعلى إثر هذه المناسبة وجه الرئيس بن خدة نداءً للشعب الجزائري يعلن فيه عن وقف إطلاق النار، كما وجه الجنرال ديغول نداء إلى القوات الفرنسية يأمرها بوقف كل العمليات العسكرية في مجموع التراب الجزائري[70].

3-5-2- الإعدادات لعقد المؤتمر: في بداية شهر أفريل 1962 بدأت التحضيرات للاجتماع، حيث أرسلت الاستدعاءات إلى جميع قادة الولايات مرفوقين بجميع أعضاء مجالسهم لأول مرة توفرت شروط الحضور الجماعي لإجراء نقاش جدي والعمل على الاستعداد لمجابهة المستقبل وكان جدول الأعمال يتضمن:

- المصادقة على اتفاقيات ايفيان
- المناقشة والمصادقة على برنامج طرابلس
- تشكيل المكتب السياسي الذي يشرف على المرحلة الانتقالية حتى ينظم مؤتمر تقييمي[71].

انعقد المؤتمر بالعاصمة الليبية طرابلس بالقاعة المخصصة لاجتماعات مجلس الشيوخ، حضره وزراء الحكومة المؤقتة، قادة هيئة الأركان، أعضاء مجالس الولايات وأعضاء فيديرالية فرنسا، تونس والمغرب بلغ عددهم 52 عضوا، انطلقت الأشغال يوم 28 ماي خصصت الجلسة الأولى لمناقشة مشروع البرنامج الذي عكفت على تحريره لجنة خاصة بمدينة الحمامات التونسية رغم أهمية هذا المشروع في تحديده لمنطلقات وأفاق الدولة الجزائرية بعد الاستقلال إلا أنه لم يثر نقاشا ذا أهمية[72] إذ استمر حوالي 3 أيام بعد تعيين لجنة متكونة من : أحمد بن بلة رئيسا وبومنجل، هارون، قايد أحمد، بن علا ومهري لتقديم حوصلة للنقاش ليجتمع المجلس في 2 جوان وتمت الموافقة بالإجماع على المشروع الذي أصبح يعرف بميثاق طرابلس[73] الذي يحتوي على المعالم الكبرى لمشروع المجتمع الجديد وهي:

- استمرارية الثورة لتوسيع ودعم الانتصارات في إطار الديمقراطية
- إلغاء الهياكل الاقتصادية التي أوجدها الاستعمار الإقطاعي واستبدالها بهياكل جديدة في إطار الثورة الشعبية
- استعمال حزب جبهة التحرير الوطني كأداة للتخطيط والتوجيه والمراقبة التي اتفق عليها[74].

عند الانتقال إلى اختيار أعضاء المكتب السياسي، عين المجلس الوطني للثورة لجنة لاستشارة أعضائه فرديا بصدد اختيارهم متكونة من العقيد محمد يزوران، قايد أحمد، محمد بن يحيى، الحاج بن علا، قدم للجنة اقتراحين هما: اقتراح بن بلة الذي طلب بقيادة صغيرة العدد متكونة من 7 أعضاء مؤلفة من أيت أحمد، بوضياف، خيضر، بيطاط، محمدي السعيد، الحاج بن علا وبن بلة واللائحة الثانية من طرف كريم بلقاسم تضمنت كل من: بن طوبال، بوصوف، بوضياف، بيطاط، أيت أحمد، خيضر، بن بلة، كريم بلقاسم وسعد دحلب. وحسب الطاهر الزبيري أنه خلال عملية الاستقصاء التي قامت بها لجنة الترشيحات حصلت لائحة بن بلة على 33 صوتا ضد 31 صوت[75]. وعند هذه النتيجة رفعت الجلسة للتشاور في الكواليس كمحاولة لإنقاذ الموقف خاصة بعد رفض* كل من بوضياف وأيت أحمد أن يكونا في القائمة المقترحة بدا واضحا أنه لا يمكن جمع ثلثي المجلس كما تطلبه النصوص الأساسية على قائمة من الأسماء[76].

اختار أعضاء مكتب المجلس الوطني للثورة (محمد الصديق بن يحيى، عمر بوداود، علي كافي) للقيام بحركة مشتركة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه واختير علي كافي للقاء بن بلة وتقديم اقتراح على أساس مكتب مكون من الزعماء الخمس زائد الباءات الثلاث على أن تكون رئاسة الحكومة لبن بلة ولتسهيل هذه العملية انسحب

كل من بن طوبال وبوصوف، إلا أن مسألة الوكالات الخاصة برواد الولاية الأولى (عمار ملاح، محمد الصالح يحياوي وإسماعيل محفوظ) والتي كانت بحوزة الطاهر الزبيري أثارت نقاشا محتدما ورفضا من طرف بن طوبال بدعوى أنها جاءت متأخرة طبقا للقوانين السارية للمجلس الوطني للثورة[77] وعند هذا الموقف بالتحديد انتهى وجود المجلس الوطني للثورة جراء عدم سيطرة البعض على أنفسهم وعدم التحكم في ألفاظهم وتبادل التهم فاضطر أعضاء الحكومة إلى مغادرة طرابلس وعلى رأسهم بن خدة وتبعه سعد دحلب.... دون إبلاغ مكتب المجلس[78].

في الأخير يمكن القول أن المجلس الوطني للثورة تمكن من تحقيق القضايا الوطنية المتعلقة بوحدته والكفاح ضد المستعمر وعدم التنازل له، لكن الطموحات الشخصية والسلطوية عرقلت مساره وهذه حقيقة لا يمكن نفيها واستبعادها باعتبارها ظاهرة شهدتها كل ثورات العالم.

خاتمة:

من خلال هذه الدراسة توصلنا إلى الاستنتاجات التالية:

- يعتبر المجلس الوطني للثورة الجزائرية بمثابة برلمان الشعب أثناء ثورة التحرير.
- إن تعاقب دورات المجلس الوطني للثورة دليل قاطع على كثرة الأحداث المستجدة والتي جعلت المؤسسة - محل الدراسة- تجتمع وتحاول الوصول إلى حلول نهائية أو مؤقتة للقضايا المصيرية التي عرفتها الثورة الجزائرية، هذا إن دل على شيء إنما يدل على حيوية وأهمية هذه المؤسسة باعتبارها أعلى سلطة في البلاد آنذاك.
- تدَعَّمَ المجلس الوطني للثورة الجزائرية بمؤسسات تقاسمت معه المهام وهما: الحكومة المؤقتة وهيئة الأركان فالأولى تولّت الإشراف على المسائل السياسية كالمفاوضات مثلا والثانية تولّت المسائل العسكرية وكانت الدرع الواقي للثورة عبر حدودها الشرقية والغربية.
- انعقدت دورات المجلس الوطني للثورة في كل من القاهرة وطرابلس، فكانت دورة القاهرة كما تشير الكتابات التاريخية بمثابة تصحيح لقرارات مؤتمر الصومام بدمج التوجّهات الإيديولوجية وحل مشكلة الخلافات التي ظهرت عقب مؤتمر الصومام أي إلغاء الأولويات، لكن ما يلفت الانتباه في دوراته بطرابلس أنها سعت لمعالجة مسألتين تطورتا ومسيرته وهما: مسألة الخلاف بين الحكومة المؤقتة وهيئة الأركان ومسألة المفاوضات. فالدورة الأولى بطرابلس شهدت ميلاد هذا الخلاف بسبب مؤامرات القادة العسكريين (لعموري وجماعته) ثم نقص وصول الأسلحة لقادة الولايات لِيظْهر الخلاف للعيان بعد قرار الحكومة المؤقتة الجديدة أن تكون هيئة الأركان تحت إشراف اللجنة الوزارية للحرب، ليتأزم هذا الخلاف في الدورة الثانية بسبب قضية الطيار الفرنسي وتزيد حدته في الدورة الاستثنائية الثالثة برفضهم لاتفاقيات ايفيان وتنفجر في الدورة المعلقة بسبب تشكيلة أعضاء المكتب السياسي. أما مسألة المفاوضات ربما وُفّق المجلس الوطني للثورة عبر هيئته السياسية أي الحكومة المؤقتة في ضمان استمرارها، صحيح أنها كانت تتعثر نتيجة تباعد المواقف إلا أنها في تشكيلتها الثالثة بقيادة بن خدة استطاعت تحقيق الانتصار الأعظم على حد قول كريم بلقاسم ألا وهو توقيع اتفاقيات ايفيان وإعلان وقف إطلاق النار.

قائمة المصادر والمراجع:

المذكرات الشخصية

- دحلب سعد، المهمة منجزة من أجل استقلال الجزائر، منشورات دحلب، الجزائر، 2007.
- عباس فرحات، تشريح حرب، تر: أحمد منور، دار المسك، الجزائر، 2010.

- كافي علي، مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962، دار القصبة، الجزائر.
- مالك رضا، الجزائر في ايفيان-تاريخ المفاوضات السرية 1956-1962، تر: فارس عضوب، دار الفارابي، الجزائر، ط1، 2003.
- هارون علي، خيبة الانطلاق وفتنة أو صيف 1962، تر: الصادق عماري وأمال فلاح، دار القصبة، الجزائر، 2003-2012.

المصادر باللغة العربية

- احدادن زهير، المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية 1954-1962، مؤسسة احدادان للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2007.
- البجاوي محمد، الثورة الجزائرية والقانون 1960-1961، تر: الأستاذ علي الخش، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط2، 2005.
- حربي محمد، 1954-1962-جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، تر: كميل قيصر داغر، الجزائر، ط1، 1983.

المراجع باللغة العربية

- الزبيري محمد العربي، تاريخ الجزائر المعاصر 1954-1962-دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، الجزائر، 1999.
- الزبيري محمد العربي وآخرون، كتاب مرجعي عن الثورة التحريرية 1954-1962، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، 2007.
- الزغيدي محمد لحسن، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الجزائرية 1956-1962، دار هومة، الجزائر، 2009.
- الشيخ سليمان، الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين، تر: محمد حافظ الجمالي، دار القصبة، الجزائر، 2003.
- بن حمودة بوعلام، الثورة الجزائرية (ثورة أول نوفمبر 1954 معالمها السياسية)، دار النعمان للنشر والطباعة، الجزائر، 2012.
- بورغدة رمضان، الثورة الجزائرية والجنرال ديغول 1958-1962-سنوات الحسم والخلاص، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2012.
بوحوش عمار،التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الاسلامي،ط1، 1997.
- بوعزيز يحيى، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ط2، 1996.
- بومالي أحسن، إستراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى 1954-1962، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر.
- ضيف الله عقيلة، التنظيم السياسي والإداري للثورة 1954-1962، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- فاضلي إدريس، حزب جبهة التحرير الوطني عنوان ثورة ودليل دولة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004.
- هشماوي مصطفى، جذور أول نوفمبر 1954 في الجزائر-دراسة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر.

المقالات

- بلفردي جمال، الجزائر عشية الاستقلال وأزمة صيف 1962-الأطراف، المواقف، الإفرازات، مجلة الإحياء، الجزائر، العدد 25، جوان 2020.
- بليل محمد، المفاوضات الجزائرية الفرنسية 1960-1962 على ضوء وثائق أرشيفية، الحوار المتوسطي، الجزائر، العدد 1، المجلد 9، مارس 2018.
- بودلاعة رياض، القيم الديمقراطية في المجلس الوطني للثورة 1956-1962، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، العدد 2، المجلد 1.
- سالمي مختار، اغتيال عبان رمضان وجه من وجوه الصراع في مؤسسات الثورة الجزائرية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، العدد 15، المجلد 6، سبتمبر 2018.
- شبوب محمد، صفحات من مسار الثورة-اجتماع العقداء العشر نموذجا، عصور، العدد 2، المجلد، 11.
- شتواح حكيمة، الاجتماع التاريخي للمجلس الوطني للثورة الجزائرية بطرابلس وأزمة صائفة 1962، Revue d'Etudes Sur l'Algérie et le Monde، العدد 5، المجلد 2.

- شويحات مريم، الصراع بين الحكومة المؤقتة وقيادة هيئة الأركان العامة 1960، قضايا تاريخية، العدد 1، المجلد 1، 2016.

الرسائل الجامعية

- سالمي مختار، إشكالية الصراع على السلطة في المؤسسات الانتقالية للثورة الجزائرية 1954-1962-أطروحة دكتوراه، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، 2018-2019.
- شبوب محمد، انعقاد اجتماع العقداء العشر من 11 أوت إلى 16 ديسمبر 1959- ظروفه وأسبابه وانعكاساته على مسار الثورة، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، 2009-2010.

المراجع باللغة الأجنبية

- Harbi، Gilbert Mennier، LE FLN Documents et Histoire 1954-1962 ،Casbah edition، Alger، 2012، pp 254-255.

الهوامش:

[1]- أحسن بومالي، استراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى 1954-1962، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ص 353.

[2]- عقيلة ضيف الله، التنظيم السياسي والإداري للثورة 1954-1962، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 306.

[3]- محمد العربي الزبيري وآخرون، كتاب مرجعي عن الثورة التحريرية 1954-1962، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، 2007، ص 54.

[4]- رياض بودلاعة، القيم الديمقراطية في المجلس الوطني للثورة 1956-1962، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، العدد 2، المجلد 1، ص ص 430-431.

[5]- أحسن بومالي، استراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى 1954-1962، (م.س)، ص 354.

[6]- عقيلة ضيف الله، التنظيم السياسي والإداري للثورة 1954-1962، (م.س)، ص 307.

[7]- رياض بودلاعة، القيم الديمقراطية في المجلس الوطني للثورة 1956-1962، (م.س)، ص 431.

[8]- محمد البجاوي، الثورة الجزائرية والقانون 1960-1961، تر: الأستاذ علي الخش، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط2، 2005، ص 129.

* مكتب المجلس الوطني للثورة الجزائرية: يتكون من 3 أعضاء يعينهم المجلس وظيفتهم دعوته للانعقاد في دورة عادية أو استثنائية بناء على طلب ثلثي أعضائه أو طلب من الحكومة قابل للتجديد عند كل دورة ... أنظر محمد البجاوي، الثورة الجزائرية والقانون 1960-1961، (م.ن)، ص 130.

[9]- محمد البجاوي، الثورة الجزائرية والقانون 1960-1961، (م.ن)، ص ص 129-130.

[10]- عقيلة ضيف الله، التنظيم السياسي والإداري للثورة 1954-1962، (م.س)، ص 307، ومحمد البجاوي، الثورة الجزائرية والقانون 1960-1961، (م.س)، ص ص 128-129.

[11]- رياض بودلاعة، القيم الديمقراطية في المجلس الوطني للثورة 1956-1962، (م.س)، ص ص 432-433.

[12]- رياض بودلاعة، القيم الديمقراطية في المجلس الوطني للثورة 1956-1962، (م.ن)، ص 433.

[13]- يحيى بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ط2، 1996، ج2، ص 187.

[14]- زهير إحدادان، المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية 1954-1962، مؤسسة احدادن للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2007، ص 39.

[15]- محمد العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر 1954-1962-دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، الجزائر، 1999، ج2، ص 98.

[16]- مصطفى هشماوي، جذور أول نوفمبر 1954 في الجزائر-دراسة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، ص 133.

* انعقد المؤتمر السنوي لقيادة الثورة الجزائرية لعام 1957 بالقاهرة بحي قاردن سيتي من 20-27 أوت 1957 في شكل اجتماعات يومية ونجد Gilbert Meynier ينفرد برأيه أن الاجتماع لم يكن لمدة أسبوع بل كان لبضع ساعات من يوم 27 أوت 1957 وربما حجته هنا سلسلة الاجتماعات السرية التي سبقته ويصر بأن اجتماع القاهرة كان ثأرا من قرارات الصومام ونهاية لعبان رمضان بتنصيبه رئيسا لمجلة المجاهد، ص ص 343-344. انظر المحضر الرسمي: مؤتمر القاهرة 28 أوت 1957 في المركز الوطني للأرشيف العلبة 184 (وثيقة منشورة).

Et Harbi ،Gilbert Mennier ،LE FLN Documents et Histoire ،1962-1954 Casbah edition, Alger, 2012, p p 254-255.

[17]- سالمي مختار، إشكالية الصراع على السلطة في المؤسسات الانتقالية للثورة الجزائرية 1954-1962، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، 2018-2019، ص 104.

[18]- سالمي مختار، إشكالية الصراع على السلطة في المؤسسات الانتقالية للثورة الجزائرية 1954-1962، (م.ن)، ص 104.

[19]- سالمي مختار، اغتيال عبان رمضان وجه من وجوه الصراع في مؤسسات الثورة الجزائرية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، العدد 15، المجلد 6، سبتمبر 2018، ص 40.

[20]- سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين، تر: محمد حافظ الجمالي، دار القصبة، الجزائر، 2003، ص 100.

[21]- مصطفى هشماوي، جذور أول نوفمبر 1954 في الجزائر، (م.س)، ص 134.

[22]- سالمي مختار، اغتيال عبان رمضان وجه من وجوه الصراع في مؤسسات الثورة الجزائرية، (م.س)، ص 42.

[23]- محمد العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر 1954-1962 - دراسة-، (م.س)، ص ص 108، 112، 116، 117، 118.

[24]- محمد لحسن الزغيدي، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الجزائرية 1956-1962، دار هومة، الجزائر، 2009، ص 222.

[25]- عقيلة ضيف الله، التنظيم السياسي والإداري للثورة 1954-1962، (م.س)، ص 428.

[26]- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997، ص 475.

* مؤامرة لعموري ضد الحكومة المؤقتة رفقة نواورة وعواشرية عندما طلب منهم كريم بلقاسم في 8 أكتوبر 1958 الدخول إلى الجزائر وفك الحصار الذي أقامه خط موريس ألقت الحكومة عليهم القبض باعتبارهم متمردون عليها... للمزيد أنظر: زهير احدادن، المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية 1954-1962، (م.س)، ص 59.

[27]- زهير احدادن، المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية 1954-1962، (م.س)، ص 59.

* إن عميرة بن علاوة كان مناضلا في حزب الشعب وصديق حميم للدكتور دباغين، كان من المعارضين لتعيين فرحات عباس كرئيس للحكومة بتوجهه الاندماجي الذي أراد الاستيلاء على الثورة وتحريفها لخدمة أسياده الفرنسيين ما جعل محمد لمين دباغين باعتباره المسؤول على بن عميرة إبعاده عن المغرب وإرساله إلى بيروت، إلا أنه لم يكف عن انتقاداته اللاذعة ضد الحكومة عامة ورئيسها خاصة، بوصول هذا التقرير إلى فرحات عباس تم استدعاؤه للاستجواب بعد ساعات عثر عليه ميتا أمام مبنى الحكومة قاردن سيتي ما جعل الدكتور دباغين يوجه أصابع الاتهام لفرحات عباس،... إلى أن أعلن استقالته في 15 مارس 1959. أنظر: (محمد شبوب)، انعقاد اجتماع العقداء العشر من 11 أوت إلى 16 ديسمبر 1959- ظروفه وأسبابه وانعكاساته على مسار الثورة، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، 2009-2010، ص ص 59-60.

[28]- مصطفى هشماوي، جذور أول نوفمبر 1954 في الجزائر، (م.س)، ص 174.

[29]- بوعلام بن حمودة، الثورة الجزائرية (ثورة أول نوفمبر 1954 معالمها السياسية)، دار النعمان للنشر والطباعة، الجزائر، 2012، ص 316.

[30]- زهير احدادن، المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية 1954-1962، (م.س)، ص 65.

[31]- علي كافي، مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962، دار القصبة، الجزائر، ص 252.

[32]- محمد شبوب، صفحات من مسار الثورة-اجتماع العقداء العشر نموذجا، عصور، العدد 2، المجلد، 11، ص 391.

[33]- عقيلة ضيف الله، التنظيم السياسي والإداري للثورة 1954-1962، (م.س)، ص ص 322-323.

[34]- محمد شبوب، انعقاد اجتماع العقداء العشر من 11 أوت إلى 16 ديسمبر 1959- ظروفه وأسبابه وانعكاساته على مسار الثورة، (م.س)، ص ص 59-60.

[35]- عقيلة ضيف الله، التنظيم السياسي والإداري للثورة 1954-1962، (م.س)، ص ص 443.

[43]- مريم شويحات، الصراع بين الحكومة المؤقتة وقيادة هيئة الأركان العامة 1960، قضايا تاريخية، العدد 1، المجلد 1، 2016، ص 45.

[36]- مصطفى هشماوي، جذور أول نوفمبر 1954 في الجزائر، (م.س)، ص 180.

[37]- مصطفى هشماوي، جذور أول نوفمبر 1954 في الجزائر، (م.ن)، ص 180 و(محمد حربي)، الجزائر، 1954-1962- جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، تر: كميل قيصر داغر، ط1، 1983، ص 209.

* تسمية أُطلِقت على القادة العسكريين الثلاث نسبة للحروف الأولى من ألقابهم وهم: كريم بلقاسم، عبد الحفيظ بو الصوف ولخضر بن طوبال منحتهم الحكومة المؤقتة برئاسة فرحات عباس سلطة أو مهمة الإشراف على جيش التحرير إلى غاية إنشاء هيئة الأركان في دورة طرابلس 1959-1960، وتم إقصاؤهم من طرف بن خدة باعتباره رئيس الحكومة في دورة طرابلس1961، هذا وجه من أوجه الطموحات الشخصية نحو اعتلاء المناصب والسلطة وهذا ما راق لهيئة الأركان.

[38]- عقيلة ضيف الله، التنظيم السياسي والإداري للثورة 1954-1962، (م.س)، ص ص 444-445.

[39]- سعد دحلب، المهمة منجزة من أجل استقلال الجزائر، منشورات دحلب، الجزائر، 2007، ص 108.

[40]- عقيلة ضيف الله، التنظيم السياسي والإداري للثورة 1954-1962، (م.س)، ص 445.

[41]- مصطفى هشماوي، جذور أول نوفمبر 1954 في الجزائر، (م.س)، ص 184.

[42]- علي كافي، مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962، (م.س)، ص 268.

[43]- مريم شويحات، الصراع بين الحكومة المؤقتة وقيادة هيئة الأركان العامة 1960، قضايا تاريخية، العدد 1، المجلد 1، 2016، ص 45.

[44]- (فرحات عباس)، تشريح حرب، تر: أحمد منور، دار المسك، الجزائر، 2010، ص 410.

[45]- علي كافي، مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962، (م.س)، ص ص 261-265.

[46]- عقيلة ضيف الله، التنظيم السياسي والإداري للثورة 1954-1962، (م.س)، ص 453.

[47]- محمد حربي، الجزائر 1954-1962-جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، (م.س)، ص 232.

[48]- عقيلة ضيف الله، التنظيم السياسي والإداري للثورة 1954-1962، (م.س)، ص 599.

* السجناء الخمس هم: أحمد بن بلة، حسين آيت أحمد، محمد خيضر، محمد بوضياف ورابح بيطاط.

[49]- سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين، (م.س)، ص ص 596 – 597.

[50]- سعد دحلب، المهمة منجزة من أجل استقلال الجزائر، (م.س)، ص 136.

[51]- سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين، (م.س)، ص 597.

[52]- محمد حربي، الجزائر 1954-1962-جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، (م.س)، ص 236.

[53]- عقيلة ضيف الله، التنظيم السياسي والإداري للثورة 1954-1962، (م.س)، ص 457.

[54]- رمضان بورغدة، الثورة الجزائرية والجنرال ديغول 1958-1962-سنوات الحسم والخلاص، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2012، ص 449.

[55]- عقيلة ضيف الله، التنظيم السياسي والإداري للثورة 1954-1962، (م.س)، ص 448.

[56]- رمضان بورغدة، الثورة الجزائرية والجنرال ديغول 1958-1962- سنوات الحسم والخلاص، (م.س)، ص 448.

[57]- عقيلة ضيف الله، التنظيم السياسي والإداري للثورة 1954-1962، (م.س)، ص 458.

[58]- رمضان بورغدة، الثورة الجزائرية والجنرال ديغول 1958-1962-سنوات الحسم والخلاص، ص 449.

[59]- عقيلة ضيف الله، التنظيم السياسي والإداري للثورة 1954-1962، (م.س)، ص 449.

[60]- محمد بليل، المفاوضات الجزائرية الفرنسية 1960-1962 على ضوء وثائق أرشيفية، الحوار المتوسطي، الجزائر، العدد 1، المجلد 9، مارس 2018، ص ص 442-443.

[61]- سالمي مختار، إشكالية الصراع على السلطة في المؤسسات الانتقالية للثورة الجزائرية 1954-1962، (م.س)، ص 199.

[62]- إدريس فاضلي، حزب جبهة التحرير الوطني عنوان ثورة ودليل دولة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004، ص 126.
[63]- مصطفى هشماوي، جذور أول نوفمبر 1954 في الجزائر، (م.س)، ص 198.
[64]- رضا مالك، الجزائر في ايفيان-تاريخ المفاوضات السرية 1956-1962، تر: فارس عضوب، دار الفارابي، الجزائر، ط1، 2003، ص 290.
[65]- سعد دحلب، المهمة منجزة من أجل استقلال الجزائر، (م.س)، ص 157.
[66]- سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين، (م.س)، ص 599.
[67]- رضا مالك، الجزائر في ايفيان- تاريخ المفاوضات السرية 1956-1962، (م.س)، ص ص 290-291.
[68]- عقيلة ضيف الله، التنظيم السياسي والإداري للثورة 1954-1962، (م.س)، ص 463.
[69]- سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين، (م.س)، ص 600.
[70]- سعد دحلب، المهمة منجزة من أجل استقلال الجزائر، (م.س)، ص 157.
[71]- عقيلة ضيف الله، التنظيم السياسي والإداري للثورة 1954-1962، (م.س)، ص ص 465-466.
[72]- علي كافي، مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962، (م.س)، ص 285.
[73]- حكيمة شتواح، الاجتماع التاريخي للمجلس الوطني للثورة الجزائرية بطرابلس وأزمة صائفة 1962، Revue d'Etudes Sur l'Algérie et le Monde، العدد 5، المجلد 2، ص 152.
[74]- زهير احدادن، المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية 1954-1962، (م.س)، ص 95.
[75]- جمال بلفردي، الجزائر عشية الاستقلال وأزمة صيف 1962-الأطراف، المواقف، الإفرازات، مجلة الإحياء، الجزائر، العدد 25، جوان 2020، ص 914.
[76]- محمد حربي، الجزائر 1954-1962-جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، (م.س)، ص ص 278-279.
[77]- زهير احدادن، المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية 1954-1962، (م.س)، ص 96.
[78]- جمال بلفردي، الجزائر عشية الاستقلال وأزمة صيف 1962-الأطراف، المواقف، الإفرازات، (م.س)، ص ص 914-915.

مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 1135 – 1152
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

القضية الجزائرية و صراع الحرب الباردة ـ العدوان الثلاثي على مصر نموذجا

The Algerian Question and the Cold War conflict - The Tripartite Aggression against Egypt as a model

طالب دكتوراه تقي الدين عرباوي[1] **أ.د/ محمد شرقي**
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة 08 ماي 1945 قالمة
مخبر التاريخ للأبحاث والدراسات المغاربية L.H.R.E.M
arbaoui.takieddine@univ-guelma.dz chergui_mohamed24@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2021/02/03 **تاريخ القبول: 2021/05/22**

الملخص:
يعتبر العدوان الثلاثي على مصر في 1956؛ أحد أبرز أزمات الحرب الباردة، فقد جاء نتيجة تأميم جمال عبد الناصر لقناة السويس، وكان الدعم المصري للثورة الجزائرية من أبرز أسباب مشاركة فرنسا في هذا الهجوم. حيث يدرس هذا المقال علاقة القضية الجزائرية بهذا العدوان على مختلف الأصعدة.
الكلمات المفتاحية: مصر؛ الجزائر؛ فرنسا؛ قناة السويس؛ الحرب الباردة

Abstract:
The 1956 Tripartite Aggression against Egypt; is one of the most prominent crises of the Cold War. It came as a result of Gamal Abdel Nasser's nationalization of the Suez Canal, Also the Egyptian support for the Algerian revolution was one of the most prominent reasons for France's participation in this attack. This article is made to examin the relationship of the Algerian Question to this aggression at various levels.
Key words: Egypt; Algeria; France; Suez Canal; Cold War

مقدّمة:

شكل العدوان الثلاثي على مصر أحد أبرز صراعات الحرب الباردة خلال القرن 20م، فبعد تأميم جمال عبد الناصر لقناة السويس شاركت كل من فرنسا وبريطانيا والكيان الصهيوني في هجوم عسكري ثلاثي على مصر ردا على هذا التأميم، وقد كان من بين أبرز أسباب مشاركة فرنسا فيه الدعم المصري للثورة الجزائرية منذ انطلاقتها في الفاتح نوفمبر 1954م. بناء على ما سبق سنعالج هذا الموضوع في هذا المقال وفقا للإشكالية التالية: **ما علاقة القضية الجزائرية بالعدوان الثلاثي على مصر؟**

تكمن أهمية هذه الدراسة في إبرازها لموقع وتأثير هذه القضية في هذه الأزمة التي تعتبر أحد معالم الحرب الباردة الرئيسية وتقديم مرجع أكاديمي يثري البحث العلمي في مختلف مجالات الموضوع الممكنة. وبما لا شك فيه فإن هذه الدراسة ستعتمد على عدة دراسات سابقة هامة في الموضوع، أبرزها كتاب "قناة السويس ومشكلاتها المعاصرة" للدكتور مصطفى الحفناوي وكتاب "حرب التواطؤ الثلاثي العدوان الصهيوني الانجلوفرنسي على مصر خريف 1956" لحسن أحمد البدري وأحمد فريد فطين، وغيرها من الدراسات التي تناولت جوانب الموضوع المختلفة. واعتمدنا عليها في سبيل تحقيق الأهداف المرجوة من

[1] - المؤلف المرسل.

دراسته وعلى رأسها إثبات مكانة الثورة الجزائرية في المخططات الفرنسية للاعتداء الثلاثي على مصر، إضافة لإبراز تأثير هذه الأزمة على كل من فرنسا ومصر ودعم الأخيرة للقضية الجزائرية وهو ما سيتم من خلال عناصر البحث التالية:

1- الدعم المصري للقضية الجزائرية قبل العدوان:

إن النشاط الدبلوماسي الجزائري بالقاهرة لم يكن وليد الثورة التحريرية، إذ نشطت حركة انتصار الحريات الديمقراطية في إطار تعريفها بالقضية الجزائرية دوليا على مستوى مكتب المغرب العربي بالقاهرة وجامعة الدول العربية بين سنوات 1946 و 1950م، أين تضاعف مجهود هذا الحزب للحصول على الدعم السياسي والمعنوي العربي قبل العالمي في اجتماع لجنته المركزية في ديسمبر 1948م، وأعطى المؤتمر الذي تبنى سياسة الحركة على المستوى الخارجي و الدولي موافقته لأعضاء الوفد الخارجي بالقاهرة للتحرك الدبلوماسي؛ من أجل توطيد العلاقات مع جميع القوى والدول العربية وغير العربية والمنظمات الدولية والجهوية القادرة على مساندة القضية الجزائرية ضد الإمبريالية الاستعمارية الفرنسية[1].

لهذه الأسباب تحولت مصر قبلة لثوار المغرب العربي والجزائر حيث فتحت صدرها للقضية الجزائرية وناصرتها أواخر العهد الملكي وبعد الثورة المصرية في عهد الرئيس **جمال عبد الناصر[2]**، هذا الأخير الذي اتصلت به المنظمة الخاصة بالجزائر و أوفدت وفدا إلى مصر لمقابلته واطلاعه على ما هي مقبلة عليه من كفاح وطلبوا دعمهم، وبما أن الوفد الجزائري كان جديا في طرحه لقضية الكفاح المسلح لتحقيق استقلال الجزائر، أخذها عبد الناصر بجدية ودعمهم بالسلاح كبادرة أولى من الدعم المصري المادي والمعنوي للثورة التحريرية، وبعد حل اللجنة الثورية للوحدة والعمل لنفسها في 20 جويلية 1954م إثر انعقاد اجتماع لجنة 22 التاريخي وتشكل لجنة الستة التاريخية لاحقا تقرر توكيل مهمة الوفد الخارجي للحزب المتكون من أحمد بن بلة ومحمد خيضر وحسين آيت أحمد لتمثيل الثورة الجزائرية في الخارج بالقاهرة كمركز لهذا النشاط[3].

وقد لعب أحمد بن بلة دورا كبيرا في ربط العلاقات مع القيادة المصرية لتوفير السلاح والمال اللازم لدعم الثورة التحريرية حسب إشارة **فتحي الذيب[4]** قائد المخابرات المصرية المكلف بمتابعة هذه القضية خلال تلك الفترة، والذي رتب لمقابلة عبد الناصر مع أحمد بن بلة. وقد سافر هذا الأخير في أكتوبر 1954م إلى برن بسويسرا والتقى بمحمد بوضياف ورفاقه مبلغا إياهم بحيازة الدعم المصري للثورة، ليعود في اليوم التاسع من نفس الشهر ويباشر استعدادات الوفد الخارجي الخاصة بالتحضير لاندلاعها في انتظار أن تعلمه قيادة الداخل بتاريخ والتوقيت الخاص بذلك[5].

وبناء على اجتماع لجنة الستة في 23 أكتوبر1954م؛ تقرر تحديد ليلة الفاتح نوفمبر على الساعة الصفر موعدا لتفجير الكفاح المسلح وتأسيس جيش وجبهة التحرير الوطنيين وتجهيز بيان الثورة. والذي وزع سريا يوم 31 أكتوبر خارج الحدود الجزائرية وأذيع بعد تفجير الثورة المسلحة في الجزائر في موعدها عبر أمواج إذاعة صوت العرب بالقاهرة معلما العالم كله منها بتدويل قضية الشعب الجزائري وحقه في تقرير مصيره[6].

هكذا شكلت مصر منذ الوهلة الأولى محورا للنشاط الدبلوماسي لوفد جبهة التحرير الوطني الخارجي؛ ومما ساعد على ذلك أن مصر كانت مركزا لتواجد جزائري مكثف منذ أربعينيات القرن العشرين خاصة لأغراض الدراسة ونهل العلم. ناهيك عن الثقل السياسي لمصر في العالمين العربي والإسلامي، وما يمكن أن تشكله من قوة دبلوماسية مساندة للثورة الجزائرية على مستوى المحافل الدولية[7]. وقد كلف عبد الناصر

فتحي الذيب وقائد البحرية عزت سليمان بدعم هذه القضية، وتسخير إذاعة صوت العرب لدعمها دعائيا منذ الفاتح نوفمبر 1954م ونقل بيانات جيش وجبهة التحرير الوطنيين.

كما دعمت مصر جهود توحيد صفوف تيارات الحركة الوطنية الجزائرية ودمجها في الثورة. وذلك في اجتماع عقد بمنزل فتحي الذيب يوم 19 جانفي 1955م حضره كل من البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأحمد بيوض ممثلا عن حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وأحمد مزغنة عن التيار المصالي، والشاذلي المكي وحسين لحول عن اللجنة المركزية لحركة انتصار الحريات الديمقراطية، مع أحمد بن بلة ومحمد يزيد وحسين آيت أحمد ومحمد خيضر ممثلين لجبهة التحرير الوطني. انتهى الاجتماع بتوقيعهم على ميثاق جبهة التحرير الوطني، والذي بث على الإذاعة سابقة الذكر طوال ثلاثة أيام متتالية[8].

بالإضافة إلى الدعم الدبلوماسي فقد وفرت مصر الدعم المادي للثورة بالسلاح وتغطية حاجيات الثورة المادية، حيث كانت تشترى الأسلحة من المهربين الدوليين وتخرج من مصر صوب الجزائر عبر الأراضي الليبية. إضافة إلى النقل البحري عبر السفن المصرية أو السفن الأجنبية التي يتم استئجارها لتموين الثورة بالسلاح، ومن بين أبرزها حمولة اليخت دينا في مارس 1955م. كما أن هذا الدعم المادي لم يقتصر فقط على التموين بالسلاح، بل وتجاوزه أيضا إلى استقبال دفعات من جيش التحرير والإشراف على تدريبها في مراكز التدريب بالقاهرة على حروب العصابات واستخدام مختلف الأسلحة، ما ساهم في الرفع من المستوى القتالي لجنود جيش التحرير الوطني بالجزائر.[9]

من هنا فإن الدعم المصري للقضية الجزائرية كان كبيرا قبل الثورة وبعد اندلاعها على المستوى الدبلوماسي والعسكري ماديا ومعنويا، هذا الدعم الذي سبب لمصر العديد من الضغوطات وكانت له العديد من المخرجات دوليا عليها خاصة مع أواخر 1956م وهو ما سنبرزه في العنصر التالي من هذا المقال.

2- تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي على مصر:

أ- تأميم قناة السويس: تعتبر قناة السويس من أبرز القنوات المائية الدولية في العالم ومحورا اقتصاديا وتاريخيا هاما في مصر، فقد حازت شركة فرنسية منذ حفر هذه القناة على امتياز تسييرها والتحكم بها من مقرها في باريس. ونتيجة لما كانت تعانيه مصر من ظروف مالية صعبة في أواخر القرن التاسع عشر ميلادي، آلت حصصها المالية إلى بريطانيا التي أصبحت شريكة لفرنسا في تسيير القناة. ولم تكن مصر تحصل من أرباح القناة إلا على جزء ضئيل، حتى انتهاء اتفاقية الامتياز في عام 1967م، لتعود الملكية تلقائيا للحكومة المصرية المالكة الأصلية لهذه القناة[10].

وقد تحرينا هذا الأمر ووجدناه مؤكدا من قبل الدكتور مصطفى الحفناوي، الذي أجرى دراسة قانونية أكاديمية حول ملكية القناة. إذ يقول في كتابه قناة السويس ومشكلاتها المعاصرة: "... تملك مصر الأرض التي شقت فيها قناة السويس وتملك ضفتيها الشرقية والغربية ولا يمكن القول أن سير المياه في هذه الشقة من الأرض المصرية غير مركزها القانوني فهي لم تخرج قط عن حوزة الدولة المصرية وسيادتها ، والتكييف الصحيح لمركز القناة في القانون الدولي أنها مياه داخلية، تسري عليها أحكام هذا القانون الخاصة بالمياه الداخلية فهي من حيث سيادة الدولة عليها كالأرض تماما وكالخلجان والأنهار والبحار المغلقة ... ولم يحدث قط في أي عصر من عصور التاريخ أن توقف القانون الدولي العام عن الاعتراف بسيادة الدولة على قنواتها ومياهها الداخلية، واستعمال الغير لها لا ينقص قط من هذه السيادة ولا يضعفها..."[11].

في الواقع إن اهتمام حكومة الثورة المصرية منذ عام 1952م بالقناة كان كبيرا، وتم إعداد لجنة لمتابعة أعمال الشركة المالكة لامتيازها. فشكلت انطلاقا من فيفري 1955م عنصرا ضاغطا من جمال عبد

الناصر على الحكومة البريطانية. وقد طالب برفع حصة مصر من مداخيل القناة ما عزز مخاوف بريطانيا التي كانت تخشى على امتيازاتها فيها وفي المنطقة، أمام النمو الملحوظ في قوة عبد الناصر داخليا وتزايد ارتباطه بالاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية خارجيا. خاصة وأنها تملك ما يفوق 44 % من أسهم القناة وتعتبر ممرها المائي التجاري والعسكري الحيوي نحو مستعمراتها، ما أثار قلقها الدائم بشأن وضعية القناة الدولية بعد انتهاء حق الامتياز.

وكان لجملة العوامل السابقة والتماطل البريطاني الأمريكي في مفاوضات منح قرض لمصر في بناء مشروع السد العالي، جعل جمال عبد الناصر يفكر في تأميم شركة القناة كوسيلة للحصول على التمويل اللازم لبناء المشروع وتصفية التواجد الغربي نهائيا بمصر، وهو ما أفضى به لسفير مصر في واشنطن.

وقد جاء قرار تأميم قناة السويس بالفعل إثر انسحاب بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية والبنك الدولي من مشروع السد العالي بعد صفقة الأسلحة المصرية السوفيتية. وتم الإعلان عن هذا القرار في خطاب ألقاه جمال عبد الناصر بالإسكندرية يوم 26 جويلية 1956، أين أعلن للشعب المصري تأميم قناة السويس بالتزامن مع استيلاء القوات المصرية على مقر إدارة الشركة المالكة للقناة ومنشآتها[12].

نزل قرار التأميم على الغرب كالصدمة غير المتوقعة خاصة فرنسا وبريطانيا، وهو ما لاحظناه من خلال سياساتهما المضطربة وغير الواضحة بشأنه. وقد وجهت الخارجية الأميركية بعد الاتصال برئيسي وزراء كلا البلدين دعوة للدول المساهمة في القناة والمستخدمة لها، لعقد مؤتمر لندن في 16 أوت1956م، الذي ضم ممثلي 22 دولة خرج بمشروع قرار إدارة دولية للقناة، عرض على الحكومة المصرية والتي أكدت رفض العرض الذي رأت فيه مساسا بسيادتها على أراضيها؛ وأكدت احترام كل الحلول التي تتوافق مع الحفاظ على سيادتها ومصالحها وحقوقها المشروعة. ما أدى لعقد مؤتمر ثان بلندن في 16 سبتمبر 1956م فشل في وضع آلية اتفاق بين الدول الأعضاء المشاركة فيه في وقت كانت فيه مصر تستحوذ على القناة وتنظم إدارتها المحلية للملاحة فيها[13].

ب- العدوان الثلاثي على مصر: أدى قرار تأميم القناة إلى ارتفاع شعبية جمال عبد الناصر داخل مصر بشكل كبير، وسط فشل دول فرنسا وبريطانيا خاصة في إعادة السيطرة على القناة ولو حتى لنهاية العقد الأصلي عام 1967م. وسط ارتفاع حاد في خطاب الكراهية وموجات الغضب في باريس ولندن ضد تأميم مصر لقناة السويس، والتشكيك في قدرتها على تسيير القناة بنجاح. الأمر الذي عملت مصر على تداركه ولم تغلق القناة أمام الملاحة الدولية، التزاما بمعاهدة القسطنطينية لعام 1888م التي تخص حرية الملاحة في قناة السويس لكل السفن[14].

ونظرا لعدم وصول كل من بريطانيا وفرنسا لحل مع مصر بالطرق السلمية وأمام تزايد الضغوط الداخلية من الجماهير للرد على مصر بالقوة، لاحظنا توجههما لمجلس الأمن الدولي أين رفعتا شكوى إلى هذا المجلس في 23 سبتمبر 1956م ضدها، متهمين إياها بإنهاء نظام الإدارة الدولي للقناة من جانب واحد وخرقها لمعاهدة 1888م للملاحة الدولية في القناة. ووضعتا ضغطهما في هذا المجلس لفرض قرارات مؤتمر لندن الأول سالف الذكر كأساس لحل مشكلة القناة.

إن هذا التوجه السياسي نحو المؤتمرات الدولية والشكاوي على مستوى مجلس الأمن لم يكن سوى إلهاء في الواقع من البلدين، في محاولة منهما لوضع مخطط العدوان العسكري على مصر في هدوء، وهو ما لاحظناه من خلال عدة دراسات متنوعة. حيث تمت المباحثات الفرنسية الإنجليزية بين **غي موليه[15]**، و**ايدن[16]** في 29 سبتمبر 1956م لتقوية الجبهة الثنائية ضد مصر في مجلس الأمن، وتم الاتفاق بينهما على

استخدام القوة التي حدد لها شهر أكتوبر 1956م للهجوم على مصر، وأشار غي موليه إلى إمكانية إشراك الكيان الصهيوني في الحرب خلال هذه المحادثات.

وقد استمر الشد والجذب بين الأطراف المتنازعة سياسيا على مستوى مجلس الأمن حتى يوم 13 أكتوبر دون جدوى كما أشرنا، وسط فشل واضح للمشروع البريطاني الفرنسي المشترك القائم على اتفاقية مؤتمر لندن الأول، وفيتو سوفيتي ومعارضة يوغوسلافية للقرارات والمشاريع التي قدمتها الدولتان ضد مصر في هذا المجلس. فكان اجتماع باريس في 16 أكتوبر والذي تقرر فيه العدوان بتنسيق صهيوني فرنسي وبريطاني. على أن يبدأ الكيان الصهيوني الهجوم قبل الفاتح نوفمبر 1956م وترسم باتفاق بعد ذلك في اجتماع يوم 23 أكتوبر[17].

هكذا أدى فشل بريطانيا وفرنسا دبلوماسيا لاستعادة امتياز القناة دبلوماسيا من مصر وسط دعم شعبي وسوفيتي لجمال عبد الناصر، إلى انتهاج القوتين نهج العداء مع مصر والاستعانة بالكيان الصهيوني في مخططهما العدواني. وقد بدأت القوات الصهيونية بالاستعداد والتحرك منذ 26 أكتوبر لتنفيذ الخطة، في حين تمكنت بريطانيا وفرنسا من استصدار تهديد باستخدام القوة كرد فعل لتأميم عبد الناصر قناة السويس، دخل حيز التنفيذ في 30 أكتوبر بعد أن تم تحديد التحركات العسكرية الصهيونية مع غروب شمس يوم 29 أكتوبر. وأمام توغل هذه القوات تقدمت مصر بشكوى لمجلس الأمن في 30 أكتوبر، لكن كل المحاولات باءت بالفشل لإيقاف النزاع في ظل الفيتو الفرنسي الإنجليزي.

وبقرار مجلس العموم البريطاني التدخل عسكريا في مصر بعد رفض هذه الأخيرة للإنذار المشترك، تم تفويض القائد العسكري المشترك تشارلز كيتلي بتنفيذ الخطة المتفق عليها. وتبدأ بذلك الحملة الفرنسية الإنجليزية على مصر بالتزامن مع التوغل الصهيوني، فبدأ القصف الجوي والإنزال البري في منطقة القناة ضاربا عرض الحائط كل الأعراف والتنديدات الدولية ضده.

وقد قبلت الجمعية العامة للأمم المتحدة بالأغلبية مشروع قرار أمريكي لوقف إطلاق النار يقضي بانسحاب القوات المشتركة من الأراضي المصرية، ومنع إرسال العتاد الحربي إلى الشرق الأوسط وعودة الملاحة إلى قناة السويس. لكن الدول الثلاثة صوتت ضده ورفضت تطبيقه رغم اعتماده، فبعث الاتحاد السوفيتي بثلاثة رسائل شديدة اللهجة في 5 نوفمبر لقيادات الدول الثلاث يلوح بضربها نوويا واستخدام القوة العسكرية ضدها، إذا لم تتراجع وتمتثل لقرارات الأمم المتحدة. وبدخول السوفيت على الخط والضغط على هيئة الأمم المتحدة بدعم التهديد السوفيتي في نفس اليوم، تحرك الرئيس الأمريكي **أيزنهاور**[18] وضغط سياسيا واقتصاديا على بريطانيا وفرنسا ليتوقف إطلاق النار يوم السادس من نوفمبر 1956م ممهدا بذلك لإنهاء العدوان الثلاثي على مصر[19].

وفقا لكل ما سبق طرحه في هذا العنصر فقد تحول تأميم قناة السويس من استعادة للحقوق الاقتصادية المصرية، إلى صراع الإمبريالية الاستعمارية ضد القوى الوطنية. ثم إلى واجهة من واجهات الصراع العربي الإسرائيلي، وانتهاء بتحوله إلى أحد أزمات الحرب الباردة بين المعسكرين بعد التدخل السوفيتي، وبما لا شك فيه فإن الجزائر كانت من أهم وأبرز الأسباب التي أدت إلى الهجوم على مصر وتشكيل هذا التحالف ضدها وهو ما سنعالجه خلال العنصر التالي.

3- مكانة القضية الجزائرية في الأزمة والعدوان:

لقد كانت الجزائر التي تعاني ويلات الاستعمار الفرنسي خلال فترة العدوان، وكان الدعم المصري للثورة واحتضانه لقيادتها يؤرق الساسة الفرنسيين وكأحد أسباب فرنسا البارزة في هذا العدوان. وقد صرح

جمال عبد الناصر خلال الأزمة في إحدى تصريحاته: "بينما لجأت كل من فرنسا وبريطانيا لأسلوب الوقاحة والصفاقة من وزيري الخارجية في البلدين ... فقد استدعت فرنسا السفير المصري لديها بالأمس، ولكن اربأ بنفسي أن أرد عليها إنما أترك ثوار الجزائر يردون عليها بما تستحقها ويلقنوها درسا في السلوك القويم"[20]. كان هذا رده على تشكيك بريطانيا وفرنسا في إمكانية إدارة مصر لقناة السويس بعد تأميمها بيومين، وتزايد الضغوطات الفرنسية على مصر للتراجع عن ذلك، هذا التصريح الذي يمكن أن نتخذ منه منطلقا في دراسة العلاقة الوطيدة بين القضية الجزائرية والعدوان الثلاثي على مصر في عام 1956م.

أ- الموقف الفرنسي من الدعم المصري للثورة الجزائرية قبل الأزمة: كما أشرنا سابقا فإن الدعم المصري للثورة الجزائرية لم يتوقف منذ اندلاعها وقد زاد هذا الدعم خصوصا مع بداية النصف الأول من عام 1956م، وقد حاولت فرنسا اختراق هذا الدعم من خلال مبعوثها إلى القاهرة جوزيف بيجار لفتح المفاوضات مع الجانب الجزائري بوساطة مصرية، ومحاولة رئيس الوزراء الفرنسي الجديد غي موليه التفاوض سريا مع قيادة جبهة التحرير الوطني من جهة أخرى في روما[21]. لكن ذلك لم يوقف الدعم المصري للثورة ضد مخططات فرنسا الاستعمارية في الجزائر.

هذا الدعم كان ملفتا للنظر في أعين ومشاريع كل من فرنسا ووبريطانيا للعدوان، ففي ملحق برقية أبرق بها ايدن إلى أيزنهاور في 15مارس 1956م، حذره فيها من توغل جمال عبد الناصر في الشمال الإفريقي، جاءت تحت عنوان "مخططات مصر لإنشاء اتحاد دول عربية". حيث قال " ... لدينا معلومات موثوقة تمامًا بأنه تم الاتفاق في مؤتمر السفراء والوزراء المصريين في الدول العربية الذي اختتم بالقاهرة في 30 جانفي 1956، على أن تتبنى مصر السياسة التالية في علاقاتها مع الدول العربية الأخرى ... الإطاحة بالملكية في ليبيا وإقامة جمهوريات عربية خالصة في تونس والجزائر والمغرب فإذا تمكنت من القيام بذلك، يمكن لمصر أن تعزز مكانتها على الصعيد العربي أكثر مما هي عليه "[22].

هذا التصريح الذي جاء في خضم جهود تبذلها القيادة الفرنسية الجديدة لحل مشاكلها في شمال إفريقيا، من خلال سياستها الحربية بالجزائر ومحاولة استقطاب تأييد الكولون. فقد شهد أول شهرين من حكومة غي موليه بين فيفري ومارس 1956 نقطة تحول في الحرب بالجزائر، أين تبنت الحكومة الفرنسية أجندة استعمارية متشددة، بعد أن شعر رئيس الوزراء بعدم الارتياح من الكولون الذين صعدوا لهجتهم ضد حكومته اليسارية، والتي التزمت ظاهريا بالإصلاح السياسي للجزائر لكنها في الواقع كانت مصممة على سحق جبهة التحرير الوطني بالوسائل العسكرية المتنوعة. وسمح للجيش الفرنسي باستقطاب المزيد من القوات العاملة في غضون أسابيع فقط من انتخابه، بناء على الوعد بالإصلاح والمفاوضات لحل الأوضاع في الجزائر.

إن الاستياء الفرنسي من الدعم المصري لجبهة التحرير الوطني لم يكن ليتوقف عند ما سبق، حيث أعطى قرار الجمعية الوطنية الفرنسية في أوائل عام 1956م بتوسيع الحرب في الجزائر أهمية إضافية للجهود الرامية إلى قطع المصادر الخارجية لإمدادات جبهة التحرير الوطني. كدليل على تصميم فرنسا لإبقاء شمال إفريقيا الفرنسية بعيدة عن قبضة ما رأته بالاستقطاب العربي الناصري المحدق بها، في محاولة منها لتمويه الجماهير وربط الفشل العسكري الذي تعانيه داخل الجزائر بالتواطؤ الخارجي ضدها من قبل مصر وتضليل الرأي العام العالمي والفرنسي بأن الثورة الجزائرية ما هي إلا امتداد للنفوذ الناصري في المنطقة.

إن هذا التخوف تحول إلى وجهة نظر سياسية فرنسية ضاغطة على قوى المعسكر الغربي، ومما لاحظناه أن الولايات المتحدة قد أدركت هذا الواقع بفعل تزايد امتعاض فرنسا منها خلال ربيع نفس العام.

فقد قدم الملحقون الفرنسيون في واشنطن طلبات شراء جديدة لمعدات عسكرية أمريكية للاستخدام في الجزائر، أين لاحظ وزير الخارجية الأمريكي **دالاس**[23] انزعاج **بينو**[24] من قضية توريد الأسلحة الأجنبية خاصة المصرية لجبهة التحرير الوطني، خلال اللقاءات الأولى في اجتماع منظمة حلف جنوب شرق آسيا في كراتشي في 7 مارس. وكان دالاس في هذه المرحلة يستعد لعزل عبد الناصر من خلال سحب المفاوضات بشأن تمويل السد العالي، وحجب المساعدات وتراخيص تصدير الأسلحة الأمريكية لحكومة القاهرة مع زيادة الإمدادات المادية الأمريكية لجيران مصر المؤيدين للغرب.

هذا التوجه يمكن تفسيره أنه جاء تجنبا لاحتمال حدوث صدام مع فرنسا بشأن الوضع في الجزائر على المدى القصير، في ظل سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الجافة معها بشأنها خلال نفس الفترة[25]. وهو ما لاحظناه في برقية للسفير الأمريكي في تل أبيب إلى وزارة الخارجية الأمريكية في 30 ماي من نفس العام، أشار فيها إلى أن وزير خارجية الكيان الصهيوني موشيه شاريت قد ذكر له أنه يعلم بأن فرنسا تتعرض لضغوطات شديدة في الجزائر لدعم الثوار من مصر، وأن وزير الدفاع الفرنسي خرج حينها بتصريح قوي ضد عبد الناصر، ومع ذلك لم يكن متأكدًا من طبيعة الأيدي التي كانت فرنسا تلعب بها مع عبد الناصر في تلك الفترة في ظل عدم وضوح سياستها معه بين المهادنة والتنديد[26].

نلاحظ من خلال ما سبق موقف الامتعاض الفرنسي واتجاهه المتزايد نحو العداء مع مصر بفعل دعمها للثورة الجزائرية، في ظل سياسات الحكومة الفرنسية للقضاء عليها من خلال زيادة قوتها الحربية والسياسية لتحقيق هذا الهدف. ومع فشل هذه السياسات توجهت الحكومة الفرنسية لاستغلال أزمة السويس لضرب مصر عسكريا والتسويق لنظرية القضاء على المؤامرة المصرية في الجزائر وهو ما سنتطرق له فيما يلي من عناصر.

ب- فرنسا بين ناري الثورة الجزائرية وتأميم قناة السويس: لاحظنا من خلال ما سبق تزايد التوتر والعداء بين فرنسا ومصر تدريجيا بفعل الثورة الجزائرية، توتر تطور ليتحول إلى اعتداء عسكري لاحقا؛ وسط ترقب أمريكي ودولي للأوضاع. ففي 6 جوان حذر لويس كلارك الممثل الدبلوماسي للولايات المتحدة في الجزائر من أن الوزير المقيم بالجزائر روبير لاكوست كان متطرفا في سياسته الجزائرية. وأن دعمه لموقف المستوطنين لم يلقى معارضة تذكر داخل حكومة غي موليه المتصدعة، وقد زادت سياسته حدة بمجرد اندلاع أزمة السويس وظهورها للعلن.

ويبدو أن قيادة الثورة الجزائرية انتبهت للأمر ونددت به، وهو ما لاحظناه في تصريح المتحدث باسم جبهة التحرير الوطني في نيويورك حسين آيت أحمد بعد التأميم، حيث نبه إلى أن التعامل الأناني مع الوضع في الجزائر أوضح حرص فرنسا محاربة مصر بحثا عن سبب خارجي لفشلها في الجزائر، بالتزامن مع استخدام لاكوست في مطلع أوت للتوتر الناجم عن ضغط أزمة السويس السياسي، في المزيد من التضييق واستفحال القمع العسكري على كل القوى في الجزائر.

لقد توضح لنا أحد أسباب هذا التضييق والقمع من خلال ما لمسناه في تقارير الإدارة الأمريكية، والتي تشير إلى أن الموظفين المدنيين للاكوست والقيادة العسكرية الفرنسية كانوا معتقدين بأن هزيمة عبد الناصر هي مفتاح النصر في حرب الجزائر. فقد أدى فشل محاولات الإصلاح الإداري وعجز الجيش الفرنسي عن هزيمة جيش وجبهة التحرير الوطنيين، إلى تغذية اهتمام حكومة غي موليه بحل خارجي للمأزق الجزائري في محاولة للتخلص من الضغط الداخلي والخارجي الذي تعانيه بفعل تبعات حربها بالجزائر وأزمة السويس. إضافة لاستنتاج تقارير المخابرات العسكرية والسرية الفرنسية التي تراقب عمليات جبهة التحرير الوطني بالقاهرة منذ نوفمبر 1954، وعودة الجنود المدربين في القاهرة إلى الجزائر، وإحباط بينو الشخصي مما

رآه تلاعبا من عبد الناصر. شكل كل هذا دليلا لا لبس فيه على التوجه الفرنسي للتعامل مع مصر وجهاً لوجه.

وهنا تجدر الإشارة إلى اشتراك الأنظمة المغربية والتونسية الوليدة في الاهتمام باحتواء الثورة الجزائرية وإيجاد حل لها، أنظمة كانت تخشى كفرنسا أي توطيد لما وصفوه بالنفوذ الناصري داخل الجزائر. لكن جهودهما لم تلق آذانا صاغية في باريس التي عزمت على الدخول في الجبهة المصرية، حيث أدى الالتزام بزيادة التجنيد وتسارع الحرب في الجزائر إلى اتخاذ إجراء قوي لا مفر منه ضد مصر[27]. وذلك في إطار الاستراتيجية الفرنسية للتسويق والترويج بناصرية الثورة الجزائرية وخطرها على الشمال الإفريقي.

كان للجزائر دوما حضورها في الامتعاض الفرنسي المتزايد من مصر، وبتأميم قناة السويس في 26 جويلية في ظل الظروف التي كانت تمر بها فرنسا في الجزائر ظهرت القطيعة الرسمية بينها وبين عبد الناصر. ويشير فتحي الذيب قائد المخابرات المصرية إلى أن الشحنتين الثامنة والتاسعة للأسلحة الموجهة إلى الجزائر على متن الباخرة دفاكس تم شحنهما صبيحة 26 جويلية 1956م، في نفس اليوم الذي أعلن فيه جمال عبد الناصر تأميم القناة، والتي كانت موجهة إلى محطتين ميناء زوارة بليبيا وميناء مينا بمراكش الإسبانية لتدخل الجزائر إلى الأوراس ووهران بعدها. ويذكر أيضا عودته للقاهرة مع بن بلة واستماعهما إلى خطاب عبد الناصر الخاص بالتأميم وتباحثهما بما سيترتب على ذلك القرار من تبعات على مصر والثورة في الجزائر[28].

كما أشرنا فإن جبهة التحرير الوطني لم يخف عنها محاولات فرنسا استغلال القضية الجزائرية في أزمة السويس. فشحن الأسلحة صبيحة التأميم ومحادثات بن بلة والديب بعده وتصريح حسين آيت أحمد، لم يكن كل هذا سوى خلاصة لموقف قيادة الثورة التحريرية المتضامن مع مصر في استرجاع سيادتها على ممتلكاتها. وهو ما وجدناه جليا في العدد الثاني لجريدة المجاهد خلال تأميم قناة السويس، والتي نددت بالتضييق والحملة الإعلامية الغربية المسلطة على مصر بفعل التأميم. وأشارت إلى أن ما تمارسه الحكومة الفرنسية عملية تضليلية لخداع الرأي العام العالمي والفرنسي، وإخفاء هزائمها المريرة في الجزائر. ووصفت التصريحات التي يدلي بها أعوان الحكومة الفرنسية وإدارتها في الجزائر وحملتهم الصحفية ضد تأميم القناة؛ بانتهاز الفرصة لإخفاء جرائمهم وتعليل عملياتهم الفاسدة. وأن فرنسا مستعدة بسبب حقدها على سيادة البلاد العربية للدخول في حرب عالمية ثالثة بمصر وإغراق حرب الجزائر فيها[29].

ومع تزايد الضغط على حكومته ووقوعه بين نارين في الجزائر ومصر، نلاحظ محاولة غي موليه استعمال ضغط الحرب الباردة في جذب الموقف الأمريكي لدعم فرنسا في مخططاتها ضد مصر، ومحاولة الضغط عليها بعد تأميم القناة باستعمال ورقة التدخل السوفيتي في القضية الجزائرية. وهو ما لاحظناه في برقية مستعجلة من السفارة الأمريكية في باريس إلى وزارة الخارجية الأمريكية في 31 جويلية 1956م، اطلع فيها السفير ديلون الوزارة بأن رئيس الوزراء الفرنسي غي موليه أخبره أن القادة السوفييت أوضحوا له عندما زار موسكو؛ بأنهم مستعدون بالتنسيق مع عبد الناصر للموافقة على إحلال السلام في الجزائر على أساس مقبول لحكومته شريطة أن يفعل ذلك توافق وجهات نظر الدولتين حول الشؤون الأوروبية.

وذكر أيضا أن السوفييت لم يطلبوا أن تتخذ فرنسا أي خطوات دراماتيكية كالتخلي عن حلف شمال الأطلسي، إنما أن تكون فقط أقل إخلاصًا للغرب وأن تصبح شبه محايدة في الواقع. كما أشار غي موليه إلى السفير الأمريكي بوجوب إدراكه حجم الإغراء الذي يقدمه هذا العرض المتعلق بالجزائر لأي رجل دولة فرنسي. و يؤكد ديلون بأن غي موليه كان يأمل في أن يفهم أن شعوره برفضه الراسخ لهذا العرض السوفيتي

وغيره ، قد أعطاه حق التعبير بصراحة عن مخاوفه من الموقف الغربي حول مصر وخصوصا الأمريكي اتجاه ما قام به عبد الناصر، وطلب جلسة استماع متعاطفة من قبل الحكومة الأمريكية[30] وهنا يمكن التأكد من أن غي موليه قد حاول استخدام ورقة الحرب الباردة لتغيير الموقف الأمريكي بشأن قضية الجزائر وتأميم قناة السويس ، بإدخال التهديد السوفيتي لكسب الولايات المتحدة كحليف في القضيتين وتغيير وجهة نظرها و لربما دفعها للمشاركة حتى في عمل عسكري ضد مصر لاحقا.

لكن هذه المحاولات اليائسة كانت دون جدوى فقد طار وزير الخارجية الأمريكي دالاس إلى لندن في 1 أوت وأطلع بينو و **سيلوين لويد**[31] وزير الخارجية البريطاني، أن الولايات المتحدة تعارض القيام بعمل عسكري ضد عبد الناصر. هنا تعنت بينو وزعم أن فرنسا مستعدة للعمل من جانب واحد لإنقاذ شمال إفريقيا، وأوضح أن خسارة شمال إفريقيا سيعقبها خسارة إفريقيا السوداء، وبالتالي فإن الدور والتأثير الأوروبيين في إفريقيا سيختفيان. لكن بينو لم يشرح هنا من خلال ما لاحظناه كيفية خسارة فرنسا شمال إفريقيا لصالح عبد الناصر وهي التي تملك أكثر من 400000 جندي في الجزائر وحدها، ولم يشرح أيضا كيفية خسارة بقية القارة بالضرورة بعد سقوط شمال إفريقيا حسب ادعائه، إن مثل هذه الادعاءات نراها أصبحت توجها يقينيا في نظرة جميع الوزراء الفرنسيين؛ الذين يضعون سياسات بشأن الجزائر والسويس. فكان من المنطقي ضرب مصر لإنهاء الثورة الجزائرية ومشاريع مصر في شمال إفريقيا وباقي العالم الإسلامي عندهم[32].

هذا التوجه الفرنسي نحو الاعتداء على مصر تأكد عندما أشار وزير الخارجية الأمريكي دالاس في برقية من لندن في 2 أوت 1956م، إلى أن وزير الخارجية الفرنسي بينو قد وضح في الاجتماع السابق؛ أن موقف فرنسا من تأميم قناة السويس يتلخص في أن عبد الناصر تسبب بفعله من جانب واحد وغير عادل في إثارة كبيرة وتوتر للأوضاع في الشرق الأدنى وجميع أنحاء شمال إفريقيا. وأن مبدأ فرنسا الأساسي في القضية هو تخلي عبد الناصر عن تأميم القناة والسيطرة عليها من قبل هيئة دولية، وإذا لم يحدث ذلك ونجح في الحفاظ على منصبه، فإن كلا من تونس والمغرب ستطغى عليهما عناصر متطرفة مؤيدة له وستفقد فرنسا وحلفاؤها كل شمال إفريقيا، حينها لن يكون لدى الفرنسيين أي سبب لمواصلة القتال في الجزائر في ظل هذه الظروف. لذلك إذا لزم الأمر فإن فرنسا مستعدة للقيام بعمل عسكري والتصرف وحدها ضد عبد الناصر، ويؤكد دالاس أن لدى البريطانيين أسباب مختلفة لوجهات نظر متطابقة مع النظرة الفرنسية؛ وبالتالي فإن العمل العسكري إذا كان يجب سيكون على الأرجح عملًا إنجليزيا فرنسيًا مشتركًا[33].

لقد تأكد العدوان لدى الدوائر الأمريكية أكثر فأكثر يوما بعد يوم، ولاحظناه في مذكرة مناقشة لاجتماع مجلس الأمن القومي الأمريكي رقم 295 في 30 أوت 1956م، حيث صرح الوزير دالاس أن الرأي العام الفرنسي كان أكثر توترا وأكثر اتحادا بشأن قضية القناة من الرأي العام البريطاني. فقد كان الفرنسيون يحاربون بالفعل في الجزائر وأشاروا بأن القتال كان يائسا إلى حد بعيد، فإذا كان عبد الناصر سينتصر في الوقت نفسه نصرا كبيرا في قضية القناة؛ فإن الفرنسيين باختصار يفضلون القتال في قلب المشكلة أي مصر حسب زعمهم قبل القتال الصعب في البلد الذي تدعمه أي الجزائر. وأنه علاوة على ذلك سيكون لديهم ميزة محاربة مصر بمساعدة بريطانية، وبناء على هذا وباستثناء الحزب الشيوعي توحد الفرنسيون لصالح العمل العسكري ضد مصر ثم الالتفات لإنهاء حرب الجزائر بعد التخلص من عبد الناصر[34]. الذي رأوه سببا مهما ومباشرا من أسبابها.

فعلى الرغم من التعزيز الهائل للجيش الفرنسي في الجزائر خلال ربيع وأوائل صيف عام1956، لم تتمكن حكومة الجزائر العامة من شن هجوم ناجح ضد جبهة وجيش التحرير الوطنيين. وزاد تخبط الحكومة الفرنسية أكثر مع صمودهما رغم الجهود العسكرية الكبيرة في صيف نفس العام، أين تم التخطيط لعمليات

السويس في هذه الفترة الفاصلة. وكان اختطاف قادة جبهة التحرير الوطني الذين كانوا في طريقهم بالطائرة من الرباط إلى تونس في 22 أكتوبر، والاستيلاء على الباخرة آثوس قبلها ببضعة أيام، كانت كلها أسبابا أضافت إلى اعتقاد الحكومة الفرنسية بأن العمل ضد مصر يمكن أن يكسر الضعف العسكري الذي تعانيه في الجزائر.

حيث ادعت أجهزة الأمن الفرنسية أن 12 كيلوغرامًا من الوثائق التنفيذية لجبهة التحرير الوطني التي يُزعم العثور عليها على متن طائرة قادتها المختطفين، أكدت دور مصر في توجيه ما أسموه ب "التمرد الجزائري". ووفقا لهذه التقارير اعتمدت جبهة التحرير الوطني على شحنات الأسلحة المصرية مما يعني أنه إذا تم قطع خط الإمداد هذا، فلن تتمكن قوات جيش التحرير الوطني من الحفاظ على العمليات العسكرية على المدى الطويل داخل الجزائر[35].

نخلص هنا أن فرنسا وجدت نفسها محاطة بين نارين خلال هذه المرحلة فشلها في سياساتها بالجزائر من جهة وفشلها في ملف قضية السويس من جهة أخرى، وسعيها للاستعداد للاعتداء عسكريا على مصر بدعم بريطاني صهيوني ومحاولة جر الولايات المتحدة للتدخل العسكري معهم دون جدوى. ما أدى إلى الهجوم الثلاثي على مصر بين هذا القوى الثلاثة، وسندرس في العنصر الموالي علاقة القضية الجزائرية بالعدوان العسكري والرسائل الحربية والسياسية الفرنسية بخصوصها من خلاله.

ج- القضية الجزائرية في مخططات العدوان وأثره على مكانة فرنسا دوليا: لقد اشرنا إلى اعتقاد المسؤولين الفرنسيين على غرار لاكوست أن تدمير عبد الناصر سيكون حلا فرنسيا مناسبا لمشكلة الجزائر، ففي نفس اليوم الذي تم فيه اعتراض الباخرة آثوس اتفق الفرنسيون والبريطانيون أخيرا على العناصر الرئيسية للخطة التي سوف توجه هجومهم على السويس، أثناء لقائهم في مكتب غي موليه الرسمي في باريس. وقد أكد إيدن لرئيس الوزراء الفرنسي وبينو أن بريطانيا ستتدخل في حالة وقوع هجوم إسرائيلي بالقرب من القناة، هجوم لم يضيع الفرنسيون أي وقت في ترتيبه.

هكذا وبالاستيلاء على سفينة ترفع علمًا أجنبيا في المياه الدولية أي السفينة آثوس، وقرصنة الطائرة المغربية في المجال الجوي الدولي والتي كانت تقل قيادة جبهة التحرير، ناهيك عن الخطر الحقيقي للحرب المنتشرة عبر شمال إفريقيا ضد فرنسا ، كل هذا أوضح أن الجزائر لم تعد شأنا داخليا فرنسيا أكثر من أي وقت مضى ، فمع حملة السويس ستصبح الثورة الجزائرية حقيقة بالنسبة للعالم بأسره وهو هدف جبهة التحرير الوطني منذ اليوم الأول لاندلاعها ، حيث صرح الرئيس الفرنسي لدى سماعه بالقرصنة: "إن من أمر بهذا الأمر سيجعلنا نخسر الحرب الجزائرية"[36].

لقد تأكدت مخططات الاعتداء الثلاثي على مصر لدى السلطات الأمريكية مع أواخر أكتوبر، وهو ما لاحظناه في برقية السفير الأمريكي ببريطانيا إلى وزارة الخارجية في 29 أكتوبر 1956م، حيث يذكر أن الفرنسيين ربما يستغلون قضية أسلحة آثوس كذريعة لاتخاذ إجراء عسكري مباشر ضد مصر، رغم أن لويد استبعد فكرة الاعتقاد بأن الطرف الفرنسي سيعزز القضية بها لتغيير وجهة نظر الجمعية العامة الفرنسية (البرلمان) لمشكلة لجزائر[37].

وتؤكد نفس المصادر التي تحصلنا عليها تزايد الاحتقان ضد فرنسا في العالم العربي ككل، ففي برقية من رؤساء الأركان المشتركة إلى قادة للقوات الأمريكية في 29 أكتوبر 1956م بعد بداية العدوان، ذكرت أن من بين نتائجه الرئيسية انتشار الاضطرابات والعنف احتجاجا على القرصنة الفرنسية لطائرة القادة الجزائريين في 22 أكتوبر في معظم العالم العربي في 28 أكتوبر. وإمكانية حدوث المزيد من الإضرابات والمظاهرات في الجزائر والمغرب وتونس في 1 نوفمبر في ذكرى اندلاع الثورة الجزائرية. مع وجود

احتمال تدخل القوات الفرنسية على نطاق واسع، ويمكن أن يؤدي ذلك إلى الحرب بين فرنسا والمغرب، وأن الهجوم الصهيوني على مصر زاد من تأجيج العالم العربي ضد فرنسا وحلفائها[38].

هكذا لم يستجب ايدن وغي موليه للتحذير الأمريكي والدولي واعتدى البريطانيون إلى جانب الفرنسيين والصهاينة على مصر بين 29 أكتوبر و6 نوفمبر، حتى أجبرتهم الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي والأمم المتحدة على وقف إطلاق النار. وكانت ردود الفعل من الهجوم الثلاثي قاسية وفورية، إذ أن أيزنهاور ودالاس كانا غاضبين من خرق ايدن وغي موليه للثقة علاوة على ذلك، تم الكشف عن المصالح الإمبريالية الغربية ليراها العالم مما جعل الولايات المتحدة أقل رغبة بدعم الفرنسيين في مسألة الجزائر[39]. خاصة وأن حليفتيها كانتا تضران بسمعة المعسكر الغربي المتداعية أصلا في العالم أمام تغول الكتلة الشرقية وانتشارها.

لقد كان هذا التباين بين هوس فرنسا بتهريب الأسلحة المصرية إلى الجزائر ودعمها للثورة، والاهتمام البريطاني بالحفاظ على النفوذ الإقليمي في حد ذاته مؤشراً جيداً للتوقعات البريطانية والفرنسية الجوهرية لمشروع السويس. فبينما هاجمت بريطانيا مصر على أمل أن يؤدي ذلك إلى توطيد العلاقات الاستعمارية في الشرق الأوسط، ومواجهة التحدي الذي تحظى به هيبتها الدولية والخوف الواضح من التوغل السوفيتي في المنطقة خلال أزمة السويس. شكل الدعم المصري للجزائر دائما مصدر القلق الرئيسي لفرنسا في هذا الهجوم الذي كان للفوز بحرب استعمارية.

هذا الطرح يبدو جليا من خلال نظر قادة القوات الفرنسية إلى عملية السويس من منظور واسع لتوازن القوى الإقليمي في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وقد احتلت الجزائر مكانة بارزة في مخططاتهم ورسالتهم العسكرية خلال هذا الهجوم. فقد شاركت فرقتان من الجيش الفرنسي من القوات العاملة بالجزائر في مصر، ولعبت فرق المظليين الاستعمارية بقيادة جاك ماسو غير المباشرة وفيلق اللفيف الأجنبي للناحية العسكرية العاشرة دورا حاسما في الهجمات على بورسعيد وميناء فؤاد، وفي 31 أكتوبر قصف الطيران الفرنسي القاهرة والمواقع الاستراتيجية المصرية، وقدم تغطية جوية للقوات البريطانية الصهيونية المتوغلة في محيط القناة.

ويمكن في الغالب تقسيم مشاركة القوات الفرنسية في السويس لعدة توجهات رئيسية، فالعديد من القوى المختارة لعمليات السويس كانت مستمدة من الصراع الجزائري ومشكلته وعلى علاقة به. علاوة على ذلك عاد العديد من قادة وجنود القوات الفرنسية المشاركين في العدوان للمشاركة ولعب دور قيادي في الحرب بالجزائر بعد وقف إطلاق النار في 6 نوفمبر. إضافة إلى أن النجاح العسكري المحدود للقوات البرية والجوية الفرنسية على الجبهة المصرية، أدى على وجه الخصوص إلى تعزيز الاعتقاد داخل الجيش النظامي الفرنسي في الجزائر بأن عبد الناصر قد لحقته الهزيمة في مصر، وبالتالي كانت النقطة النهائية والأكثر حيوية في هذا التقييم الفرنسي أي زوال هيبته وتأثير دعمه للثورة الجزائرية، وكانت بريطانيا هي صمام الأمام لهذا العمل العسكري منذ محادثة بينو الأولى مع لويد بعد يومين من اندلاع أزمة القناة في أواخر جويلية 1956م[40].

هذا التقييم الفرنسي أثبت فشله ومصداقيته ففرنسا خرجت من العدوان بخسائر أكبر بكثير مما توقع القادة الفرنسيون ، وهو ما لاحظناه في رسالة من الرئيس أيزنهاور لأحد أصدقائه بعد إعادة انتخابه لولاية ثانية على رأس الولايات المتحدة خلال العدوان في 2 نوفمبر 1956م يوضح موقفه منه حيث قال: "... أعتقد أن فرنسا و بريطانيا ارتكبتا خطأ فادحا لأنهما تمران بهذه الحالة السيئة، فقد عزلتا نفسيهما عن الرأي الجيد للعالم اتجاههما وسيستغرق الأمر سنوات عديدة لتعافيهما، كانت فرنسا شديدة البرودة بشأن هذه المسألة

رغم أن لديها حربا بالأساس في الجزائر، وكانت حريصة على جعل طرف آخر يقاتل العرب في جناحها الشرقي لذا كانت مستعدة للقيام بأي شيء للحصول على بريطانيا وإسرائيل في هذه القضية..."[41]. من هنا نرى سخطا أمريكيا واضحا من فرنسا أكثر من بريطانيا بفعل تورطهما في العدوان، و إشارته لواقع فرنسا في الجزائر ومحاولاتها توريط قوى المعسكر الغربي في صراعاتها.

هذا السخط الأمريكي لم يكن بمعزل عن استغلال تيارات الكتلة الشرقية للأزمة والعدوان على مستوى الهيئات الدولية في إطار الحرب البرادة بين المعسكرين. فقد تداخلت مجريات الثورة المجرية (23 أكتوبر - 10 نوفمبر 1956) مع أزمة السويس وشكلت مأزقا لأعضاء الأمم المتحدة حول ما إذا كان ينبغي للأمم المتحدة التدخل هناك في الأسبوع الأخير من أكتوبر. فعندما سحقت القوات السوفيتية المعارضة، أرسل ممثلو فرنسا وبريطانيا وأمريكا رسالة إلى رئيس مجلس الأمن الدولي تفيد باستنكارهم لاستخدام القوات العسكرية السوفيتية لقمع جهود الشعب المجري لتأكيد حقوقه، هذه الدعوة ضربت على وتر مماثل مع قضية الجزائر فقد أشار السفير المجري والمبعوث السوفيتي للأمم المتحدة بأن فرنسا وحلفاءها يلعبون على وتر الأزمة ليغطوا جرائمهم في السويس واعتداءهم على مصر وجرائم الحرب في الجزائر[42].

في الواقع شكلت أزمة السويس مجرد بداية لأزمة طويلة بالنسبة لفرنسا، فبقدر ما كان يرغب كان من المستحيل على غي موليه أن يتحدى الأمريكيين، إذ جعلت الثورة الجزائرية ومخرجات حرب السويس باريس ضعيفة، لدرجة أن واشنطن كان عليها فقط أن تلتزم الصمت لممارسة الضغط على السياسات الفرنسية. وهكذا وغير متأكد من الموقف الأمريكي اتجاه حرب الجزائر وعلاقتها بحرب السويس، اعترف وزير الخارجية بينو بأنه لا يمكنه منع إدراج القضية الجزائرية على جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة. مما جعلها مسرحا لإثارة ودعم الهجمات العسكرية والسياسية والدبلوماسية الجديدة لجبهة التحرير الوطني في الجزائر ونيويورك، حيث بدأ جيش التحرير الوطني في استخدام تونس كقاعدة لشن غارات على القواعد الفرنسية في الجزائر ما أسفر عن مقتل خمسة جنود فرنسيين في أحد هذه الأعمال في 5 نوفمبر، في نفس الوقت الذي كان فيه الاتحاد السوفيتي ينذر بلهجة شديدة عواصم الدول الثلاثة لوقف العدوان.

وفي وقت لاحق من ذلك الشهر، قال وزير الدفاع التونسي باهي لدغم إنه يأمل في مساعدة الولايات المتحدة في تجهيز الجيش التونسي الجديد كنتيجة لحرب السويس وفقدان الثقة في فرنسا. هذا التراجع في الثقة التونسية كان قد بدأ منذ القبض على الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني وأدى بالهجوم على مصر إلى تعزيز نشاط العناصر الأكثر معاداة للفرنسيين في الحكومتين التونسية والمغربية، واللتان لجأتا إلى الأمريكيين للحصول على مساعدات اقتصادية بينما كانت أزمة السويس لا تزال تشتعل وفرنسا تغرق فيها. فقد كان لفشل العدوان الثلاثي على مصر، دور في انحسار القوة الدبلوماسية الفرنسية وتراجعها، حيث لاحظنا أن بعض كبار المسؤولين الفرنسيين قد شجعوا نظراءهم الأمريكيين على أخذ زمام المبادرة في تسوية الحرب في مصر، و قال مدير الشؤون السياسية في وزارة الخارجية الفرنسية جان هنري دريدان لمندوب وزير الخارجية الأمريكي ويليام تايلر: "... بأن الجميع في باريس أدركوا أن برنامج الحكومة الفرنسية في الجزائر لن ينجح... وتابع أنه يأمل فقط أن تكون هناك مبادرة أمريكية لتسوية واسعة للقضايا الرئيسية في الشرق الأدنى والتي كانت الجزائر واحدة منها...".

ولكن حتى ذلك الحين كانت جبهة التحرير الوطني تقترب من ذروة قوتها داخل الجزائر، حيث وجهت القيادة جهودها نحو هزيمة الفرنسيين دبلوماسيا وتطلب ذلك جذب انتباه وسائل الإعلام الدولية عن طريق القيام بأعمال عسكرية قوية، لكن على الرغم من أن أزمة السويس أضعفت النفوذ الفرنسي فقد سرقت

الأضواء من الجزائر على سبيل المثال، في حين عرضت صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية 11افتتاحية و44 قصة على الصفحة الأولى عن الجزائر في الأشهر الستة الأولى من عام 1956، فقد انخفضت التغطية إلى افتتاحيتين فقط و15 مقالة رائدة في النصف الثاني من نفس العام[43].

وكتقييم أمريكي للاعتداء الثلاثي على مصر لاحظنا في مرفق خاص لمذكرة من مساعد وزير الخارجية الخاص للمخابرات الأمريكية ارمسترونغ إلى وزير الخارجية الأمريكي في 5 ديسمبر 1956 تحت عنوان "دليل على التواطؤ والخداع بين المملكة المتحدة وفرنسا وإسرائيل فيما يتعلق بالهجمات على مصر"، وجود مكانة القضية الجزائرية في التنسيق الإسرائيلي الفرنسي والعدوان على مصر. أين أشار المرفق أن توجه فرنسا لإسرائيل بدأ قبل تأميم عبد الناصر لشركة قناة السويس بوقت طويل. فقد لوحظ تزايد ما وصفه بالتواطؤ المصري مع الثوار الجزائريين، والذي أزعج صانعي السياسة الفرنسيين بشكل كبير، وأقنعهم بإعادة تقييم العلاقات الفرنسية مع إسرائيل على حساب مصر والتحالف معها عسكريا لاحقا ضد عبد الناصر بعد تأميمه لقناة السويس.

ويشير نفس المرفق أيضا إلى تزايد العداء نحو مصر في لندن وباريس بعد الاستيلاء ما بين 16 إلى 18 أكتوبر تقريبًا على السفينة آثوس، التي أكدوا أنها كانت تحمل أسلحة إلى الثوار الجزائريين من مصر. كما ويشير إلى أن القطيعة الفرنسية مع الولايات المتحدة على أنها تراكمية ولكنها ثابتة، تخللتها مزاجيات التعاون المزعوم في التعامل مع أزمة السويس والتشاؤم الأسود وخيبة الأمل من النتائج بشكل أساسي. فكان الموقف الفرنسي من عبد الناصر موقفًا من العداء والخوف الذي لا يلين، وشدد غي موليه في وقت مبكر على المخاطر الكبيرة التي كانت قائمة في عدم الرد بقوة على تصرف عبد الناصر.

ويؤكد نفس المرفق أن ملاحظات غي موليه المقترنة بتشديد العلاقات الفرنسية الإسرائيلية وانشغال فرنسا بالوضع الجزائري المتفاقم، وانتقاده المتزايد للولايات المتحدة كلها شكلت حلقة تنبئ بالسوء في نهايتها. ويشير كذلك إلى انزعاج كل من بينو وغي موليه بشكل أقل من احتمال المعارضة الداخلية لأن لديهما شعب موحد إلى حد ما وراء سياسة قوية، ويميل لاستغلال الدليل على قيام عبد الناصر بمساعدة وتحريض الثوار في الجزائر للقضاء على خطوط المعارضة الحزبية لهذه السياسة. وأن اهتمام فرنسا كان أولا يقضي بفرض سيطرة دولية على القناة، ولكن شاغلهم الأكبر كان إسكات مركز التآمر المصري الذي كان يجعل إخضاع الثوار الجزائريين حربا دموية ومكلفة حسب اعتقادهم[44].

وكخلاصة من كل ما سبق طرحه خلال هذا العنصر فإن الدعم المصري المادي والعسكري والسياسي للثورة الجزائرية والخوف من انتشار نفوذ عبد الناصر المناهض للاستعمار في شمال إفريقيا، شكل نقطة هامة في مشاريع ومخططات فرنسا الدعائية ضد مصر والتي تكللت بالعدوان الثلاثي عليها للقضاء على عبد الناصر ودعمه أولا ثم الالتفات لإنهاء الحرب المستعرة في الجزائر، وهو ما يبدو أن فرنسا قد فشلت في تحقيقه.

4- آثار العدوان الثلاثي على الدعم المصري للثورة الجزائرية:

أثبت هجوم نوفمبر 1956 على مصر كما أشرنا أنه لم يدمر فقط مكانة باريس المتبقية في العالم العربي بل حول علاقاتها مع حليفتها واشنطن إلى الأسوأ. فحتى اندلاع أزمة السويس كان الأمريكيون يسلكون سياسة شبه محايدة بين القوميين الفرنسيين وسكان المستعمرات الشمال إفريقيين، على أمل تجنب انقسام في حلف شمال الأطلسي أو انتقادات من الحلفاء العرب. وكان للتخاذل الذي رأته فرنسا من الأمريكيين ودورهم المحتشم في نصرتها في أزمة السويس أسباب وعواقب أخرى خاصة فيما يتعلق بالعلاقات الفرنسية

الإسرائيلية وبرامجها النووية ، لكن النتيجة الأكثر أهمية كانت مشكلة الجزائر وتفاقم العجز المالي الذي جعل فرنسا عرضة للإكراه الأمريكي الذي أخذ يتفاقم يوما بعد يوم بشأن القضية الجزائرية[45].

وكمحاولة لتجاوز أزمة السويس اعتمد ممثلو الأمم المتحدة الفرنسيون على التحالفات السياسية الغربية ومواد مختارة من ميثاق الأمم المتحدة لحماية سمعتهم، فاعتبر المسؤولون الاستعماريون الأراضي المستعمرة وخاصة الجزائر امتدادًا لفرنسا. لكنهم أثبتوا أنهم غير قادرين ضد استراتيجية جبهة التحرير الشاملة عسكريا وسياسيا في الأمم المتحدة وسط الدعم العربي والمصري المتزايد لها بعد مشكلة السويس. فالمد المتزايد من المشاعر المناهضة للاستعمار منذ مؤتمر باندونغ والتقاء الاستقلال المغربي والتونسي، وأزمة السويس وتوترات الحرب الباردة أثرت بشكل كبير على كيفية تعامل أعضاء الأمم المتحدة مع القضية الجزائرية والتي قدمت للدول الأعضاء والدول المستقلة حديثا، فرصة لتشكيل تحالف ضد الاستعمار الغربي والتعبير الناجح عن التوجهات القائمة على المنظمات الدولية في مرحلة تحظى بتطور هام للرأي العام الدولي[46].

ورغم كل مخلفات أزمة السويس إلا أن الدعم المصري لم يتوقف للثورة التحريرية الجزائرية حيث يشير فتحي الذيب إلى تجاوز عقبات العدوان وحادثة اختطاف طائرة القادة الجزائريين بسرعة. أين التقى الملحق العسكري للسفارة المصرية بمدريد يوم 17 نوفمبر 1956 بعبد الحفيظ بوصوف، والذي طمأنه باسم قيادة الثورة على القتال في وهران والجزائر. وفي يوم 18 ديسمبر من نفس العام اجتمع الذيب مع عزت سليمان بملحقي مصر العسكريين في سفارات ليبيا وفرنسا ومراكش بناء على طلب جمال عبد الناصر، وخرجوا بقرار توسيع الدعم المادي والدبلوماسي المكثف للثورة التحريرية لتسريع عملية تصفية الاستعمار الفرنسي من الجزائر. والتنسيق مع حكومتي المغرب وتونس لدعم الثوار الجزائريين وفتح حدودهما لتهريب السلاح إلى الجزائر، إضافة إلى تركيز أجهزة الإعلام المصرية ككل في نصرة وخدمة القضية الجزائرية ومهاجمة السلطات الاستعمارية الفرنسية والدعوة لحرية الجزائر وتقرير مصيرها[47].

هذا ناهيك عن أن الدعم العسكري المصري للثورة الجزائرية لم يتوقف بعد العدوان الثلاثي، فقد تواصلت عمليات نقل الأسلحة مع نهاية عام 1956م ومطلع 1957م خاصة عبر الحدود الليبية. حيث وصلت أولى الدفعات إلى أحمد محساس في 6 فيفري 1957م، والتي دخلت إلى الجزائر صوب الجبهة الشرقية، إضافة إلى الاعتماد على نقل الأسلحة بحرا من مصر لإيصال الأسلحة إلى وهران والجبهة الغربية خاصة عملية السفينة الإسبانية خوان ايلوكاس التي شحنت من مصر في جوان 1957م، ناهيك عن التدريب العسكري للجزائريين والتحاقهم بالثورة في الداخل وعلى الحدود الجزائرية[48].

هذا الدعم كان مصدر قلق مستمر للسلطات الفرنسية وحكومة غي موليه التي تأكدت من فشل مساعيها لكبح القاهرة عن دعم الثورة الجزائرية بعد العدوان الثلاثي. خاصة باستضافة مصر لمؤتمر المجلس الوطني للثورة الجزائرية الأول في أواخر أوت 1957م التصحيحي لقرارات مؤتمر الصومام، بهدف تنظيم الثورة داخليا وخارجيا .وقد شارك فيه كبار قادة جبهة التحرير الوطني و كان له دور كبير في رص الصفوف داخليا وتنظيم الثورة سياسيا وعسكريا، واستطاعت أن تضيف لبنة من لبناتها التي عززت بها مكانتها عربيا، وتلاه في أول سبتمبر من نفس السنة المؤتمر الوطني الذي دام 4 أيام لتنظيم الثورة وخرج بنتائج هامة، أبلغت قيادة الثورة بعضها للرئيس المصري جمال عبد الناصر تقديرا للدعم المصري، وتوجت هذه الجهود لاحقا بإعلان الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في 19 سبتمبر 1958م والتي كانت مصر إحدى أبرز و أوائل الدول التي اعترفت بها[49]. وهذا لهو دليل على استمرار الدعم المصري للثورة الجزائرية بعد الهجوم دونما تأثر وبأشكال متنوعة كما كان سابقا منذ انطلاقتها.

خاتمة:

نخلص من كل ما تم طرحه وتحليله في نص هذا المقال إلى عدة نتائج هامة نوجزها كالتالي:

- شكلت مصر قاعدة دعم مادي ومعنوي عسكري وسياسي للمقاومة الجزائرية قبل اندلاع الثورة التحريرية وبعد اندلاعها، حيث دعمتها منذ انطلاقتها وما إذاعة بيان هذه الانطلاقة من إذاعة صوت العرب وتعيين القاهرة كمقر للوفد الدبلوماسي الخارجي لجبهة التحرير الوطني إلا دليل على ذلك.

- إن الدعم المصري للثورة الجزائرية منذ الفاتح نوفمبر وحتى منتصف عام 1956م، كان يشكل قلقا كبيرا للسلطات الاستعمارية في فرنسا والجزائر، في ظل تزايد وتيرة العمل الحربي لقوات جيش التحرير في الداخل الجزائري، وبروز ملامح دعم الثورة دبلوماسيا على الصعيد الخارجي خاصة في الأمم المتحدة بدعم مصري.

- وبما لا شك فيه وكما ناقشنا في هذا المقال كان هذا الدعم أحد أهم الأسباب التي دفعت فرنسا للتخطيط لعمل عسكري ضد مصر وكان تأميم جمال عبد الناصر لقناة السويس في 26 جويلية 1956م بمثابة حجر الأساس في تنفيذ تلك المخططات وتحويل وجهة النظر الفرنسية من هجوم فردي إلى التنسيق مع بريطانيا وإسرائيل للقيام بعدوان ثلاثي عليها.

- كان الهدف من مشاركة فرنسا في العدوان الثلاثي على مصر في الأساس القضاء على جمال عبد الناصر ونظامه وبالتالي القضاء على أبرز داعمي الثورة الجزائرية، ثم الالتفات لتصفية هذه الثورة بعد قطع الدعم الخارجي عنها وفقا لما روجته لدى دوائر الرأي العام الفرنسي والعالمي بزعمها أن الثورة الجزائرية امتداد للحركة الناصرية في شمال إفريقيا.

- شاركت فرنسا مع بريطانيا وإسرائيل منذ الفاتح نوفمبر 1956م في ضرب مصر بقواتها العاملة في الجزائر، وفي تاريخ اندلاع الثورة التحريرية حتى توصل رسالة واضحة أن الهدف من قدومها إلى مصر كان تصفية داعمي الثورة الجزائرية.

- إن فشل فرنسا في عدوانها الثلاثي على مصر أدى بالضرورة إلى فشل كل مخططاتها لوقف الدعم المصري للثورة التحريرية، والذي زاد شكلا ومضمونا عما كان عليه قبلا وازدادت معه شحنات الأسلحة وتدريب المقاتلين واستضافة مؤتمرات جبهة التحرير الوطني في مصر وصولا إلى الاعتراف بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية.

- تأكيد استمرارية الثورة الجزائرية في التطور والصمود خلال العدوان وبعده على عدم مصداقية حجج ومحاولات فرنسا لتبرير فشلها الداخلي في القضاء على الثورة وربطها بالتآمر المصري.

- كل هذا لدليل واضح على أن فرنسا فشلت تماما في سياساتها الداخلية المرتكزة على الإصلاح الإداري الضيق والقمع العسكري للثورة الجزائرية وسياستها الخارجية المتمثلة في منع الدعم المادي والعسكري وكذا السياسي على مستوى الأمم المتحدة للثورة الجزائرية، وهو ما أدى لاحقا بشكل أو بآخر إلى سقوط الحكومات المتعاقبة وانتهاء بسقوط الجمهورية الرابعة الفرنسية ككل.

وبناء على كل هذا فقد شكلت القضية الجزائرية حلقة هامة في أزمة السويس، وهو دون شك موضوع يستحق أن ينال حيزا في دراسة أكاديمية منفردة ومعمقة أكثر، ويمكن للباحثين اتخاذ إشكاليته التي درسناها في هذا المقال كمنطلق لتلك الدراسة مستقبلا.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: بالعربية

1- دونالد نيف، عاصفة على السويس 1956 إيزنهاور يأخذ أمريكا إلى الشرق الأوسط، تر عبد الرؤوف أحمد عمرو، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2015م.
2- فتحي الذيب، عبد الناصر وثورة الجزائر، دار المستقبل العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1990م.
3- مصطفى الحفناوي، قناة السويس ومشكلاتها المعاصرة، مطبعة دار أخبار اليوم، القاهرة، ط1، 1952م، ج2.
4- جبهة التحرير الوطني، بين قناة السويس والجزائر، جريدة المجاهد ، الأمانة الوطنية، الجزائر، ع 2، جويلية 1956م.
5- حسن أحمد البدري وأحمد فريد فطين، حرب التواطؤ الثلاثي العدوان الصهيوني الانجلوفرنسي على مصر خريف 1956، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1997م.
6- الغالي غربي،: فرنسا والثورة لجزائرية 1954-1958 دراسة في السياسات والممارسات، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.
7- لطيفة محمد سالم، أزمة السويس 1954-1957جذور أحداث ونتائج، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996م.
8- مريم صغير، مواقف الدول العربية من القضية الجزائرية 1954-1962، دار الحكمة للنشر، الجزائر، ط2، 2012م .
9- مريم صغير: المواقف الدولية من القضية الجزائرية 1954-1962، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، الجزائر، 2004/2003.

ثانيا : بالإنجليزية

1- U.S Department Of State, Foreign Relations Of The United States 1955-1957 Arab-Israeli Dispute January 1–July 26 1956, United States Government Printing Office, Washington, Volume XV, 1989.
2- U.S Department Of State, Foreign Relations Of The United States 1955-1957 Suez Crisis July 26–December 31 1956,United States Government Printing Office, Washington, Volume XVI, 1990.
3- Jennifer Johnson, The Battle for Algeria Sovereignty, Health Care, and Humanitarianism, University of Pennsylvania press, Philadelphia, 2016.
4- Martin Thomas, The French North African Crisis Colonial Breakdown and Anglo-French Relations1945-62, Macmilian Press ltd, London, 2000.
5- Matthew Connelly, A Diplomatic Revolution: Algeria's Fight for Independence and the Origin of the Post–Cold War Era, Oxford University Press, New York, 2002.

الهوامش:

[1]- الغالي غربي، فرنسا والثورة لجزائرية 1954-1958 دراسة في السياسات والممارسات، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص 475، 476.

[2]- **جمال عبد الناصر** (1918 –1970) هو ثاني رؤساء مصر تولى السلطة من سنة 1956 إلى وفاته وهو أحد قادة ثورة 23 جويلية 1952م التي أطاحت بالملك فاروق والنظام الملكي في مصر. انظر: هدى جمال عبد الناصر، سيرة تاريخية للرئيس جمال عبد الناصر، موقع ناصر، القاهرة، د. ت، تاريخ الدخول 23 مارس 2021م، الرابط:
http://nasser.bibalex.org/Common/NasserLife_ar.aspx?lang=ar

[3]- مريم صغير، مواقف الدول العربية من القضية الجزائرية 1954-1962، دار الحكمة للنشر، الجزائر، ط2، 2012م، ص 186، 187.

[4]- **فتحي الذيب** (1923-2003) كان أحد أبرز معاوني الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر في قضايا الشؤون العربية وأحد المشاركين في تأسيس جهاز المخابرات العامة المصرية وإذاعة صوت العرب ومهندس حركات التحرر، ينظر: خالد محمود، رحيل فتحي الديب أحد مؤسسي المخابرات المصرية ومهندس علاقات مصر العربية بعد ثورة يوليو، جريدة الشرق الأوسط، لندن، ع8839 ، 9 فبراير 2003، د. ص، الرابط:
https://archive.aawsat.com/details.asp?issueno=8800&article=151621#.YFoExa9KhEY

[5]- فتحي الذيب، عبد الناصر وثورة الجزائر، دار المستقبل العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1990م، ص 39-43.

[6]- مريم صغير، المواقف الدولية من القضية الجزائرية 1954-1962، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2004/2003، ص 109، 110.

[7]- الغالي غربي، المرجع السابق، ص 479.

[8]- مريم صغير، مواقف الدول العربية من القضية الجزائرية 1954-1962، مرجع سابق، ص 191- 193.

[9]- مريم صغير، المواقف الدولية من القضية الجزائرية 1954-1962، مرجع سابق، ص 116- 118.

[10]- لطيفة محمد سالم، أزمة السويس 1954-1957جذور أحداث ونتائج، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996م، ص 147- 150.
[11]- مصطفى الحفناوي، قناة السويس ومشكلاتها المعاصرة، مطبعة دار أخبار اليوم، القاهرة، ط1، 1952، ج2، ص135.
[12]- لطيفة محمد سالم، المرجع السابق، ص 150- 155.
[13]- حسن أحمد البدري وأحمد فريد فطين، حرب التواطؤ الثلاثي العدوان الصهيوني الانجلوفرنسي على مصر خريف 1956، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1997م، ص 19، 20.
[14]- دونالد نيف، عاصفة على السويس 1956 إيزنهاور يأخذ أمريكا إلى الشرق الأوسط، تر: عبد الرؤوف أحمد عمرو، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2015م، ص 417 -419.
[15]- **غي موليه**، غي ألسيد موليه (1905 –1975) هو سياسي اشتراكي فرنسي كان زعيم حزب القطاع الفرنسي في أممية العمال من 1946 حتى 1969 ورئيساً لوزراء فرنسا من 1956 حتى 1957، أنظر :
Gérard PONTHIEU, MOLLET GUY - (19051975) , Encyclopædia Universalis En Ligne , consulté le 23 mars 2021, URL : https://www.universalis.fr/encyclopedie/guy-mollet/
[16]- **إيدن**، روبرت أنطوني إيدن (1897 -1977) كان سياسيًّا بريطانيًّا من حزب المحافظين ورئيسا لوزراء بريطانيا ،شغل منصب وزارة الخارجية في وزارة الحرب التي ألفها تشرشل 1940-1945م،ثم تولاها مرة أخرى 1951-1955، ثم عين رئيسا للوزراء سنة 1955. أنظر:
Roland MARX, EDEN sir ROBERT ANTHONY (1897-1977), Encyclopædia Universalis En Ligne , consulté le 23 mars 2021, URL : https://www.universalis.fr/encyclopedie/eden-sir-robert-anthony/
[17]- حسن أحمد البدري وأحمد فريد فطين، المصدر السابق، ص 21-29.
[18]- **أيزنهاور**، دوايت ديفيد أيزنهاور (1890-1969) هو سياسي وجنرال أمريكي شغل منصب الرئيس الرابع والثلاثين للولايات المتحدة من عام 1953 حتى1961. أنظر:
André KASPI, EISENHOWER DWIGHT DAVID (1890-1969), Encyclopædia Universalis En Ligne, consulté le 23 mars 2021, URL: https://www.universalis.fr/encyclopedie/dwight-david-eisenhower/
[19]- لطيفة محمد سالم، المرجع السابق، ص 246 -267.
[20]- دونالد نيف، المصدر السابق، ص 418.
[21]- مريم صغير، مواقف الدول العربية من القضية الجزائرية 1954-1962، مرجع سابق، ص 194.
[22] - U.S Department Of State, Foreign Relations Of The United States 1955-1957 Arab-Israeli Dispute January 1–July 26 1956, United States Government Printing Office, Washington, VolumeXV,1989, p 364,365.
[23]- **دالاس**، جون فوستر دالاس (1888-1959) هو سياسي أمريكي شغل منصب وزير الخارجية في عهد الرئيس دوايت أيزنهاور 1953 حتى 1959. أنظر:
André KASPI: DULLES JOHN FOSTER -(1888-1959, Encyclopædia Universalis En Ligne , consulté le 23 mars 2021,URL : https://www.universalis.fr/encyclopedie/john-foster-dulles/
[24]- **بينو**، كريستيان بينو (1904-1995) وزير خارجية فرنسا ضمن حكومة غي موليه بين فيفري 1956 وجوان 1957م. أنظر:
Jean Frédéric Desaix Et Michel Rosier, PINEAU Christian Paul Francis, Le Maitron Dictionnaire En Ligne, 30 novembre 2010, consulté le 23 mars 2021, URL: https://maitron.fr/spip.php?article126417
[25] - Martin Thomas, The French North African Crisis Colonial Breakdown and Anglo-French Relations1945-62, Macmilian Press ltd, London, 2000, p 103-113.
[26] - U.S Department of State, Op. cit, p 699.
[27] - Martin Thomas, Op. cit, p 110-113.
[28]- فتحي الذيب، المصدر السابق، ص 238- 240.
[29]- جبهة التحرير الوطني، بين قناة السويس والجزائر، جريدة المجاهد، الأمانة الوطنية، الجزائر، ع 2، جويلية 1956م، ص 23، 24.

[30] -U.S Department Of State: Foreign Relations Of The United States 1955-1957 Suez Crisis July 26–December 31 1956,United States Government Printing Office, Washington ,Volume XVI,1990 , p 76,77.

[31]- **سيلوين لويد** (1904-1978) كان سياسيًا بريطانيًا شغل منصب وزير الخارجية في عهد رئيس الوزراء أنتوني إيدن من أبريل 1955حتى عام 1960م. أنظر:

Lord Selwyn-Lloyd Dies at 73 A Key Briton During Suez Crises, The New York Times, New York, May 18, 1978, p 14, URL: https://www.nytimes.com/1978/05/18/archives/lord-selwynlloyd-dies-at-73-a-key-briton-during-suez-crises-called.html .

[32] - Matthew Connelly, A Diplomatic Revolution: Algeria's Fight for Independence and the Origin of the Post–Cold War Era, Oxford University Press, New York, 2002, p 108,109.

[33] - U.S Department Of State, Foreign Relations Of The United States 1955-1957 Suez Crisis July 26–December 31 1956, Op. cit, p101

[34] - Ibid, p 328.

[35] - Martin Thomas, Op. cit, pp.111 -113

[36] - Matthew Connelly, Op. cit, p 115, 116.

[37] - U.S Department Of State, Foreign Relations Of The United States 1955-1957 Suez Crisis July 26– December 31 1956, Op. cit, p 818.

[38] - Ibid, p 845.

[39] - Jennifer Johnson, The Battle for Algeria Sovereignty, Health Care, and Humanitarianism, University of Pennsylvania press, Philadelphia, 2016, p 174.

[40] - Martin Thomas, Op. cit, p 123-127.

[41] - U.S Department Of State: Foreign Relations Of The United States 1955-1957 Suez Crisis July 26–December 31 1956, Op. cit , p 944, 945.

[42] - Jennifer Johnson, Op. cit, p 174.

[43] - Matthew Connelly, Op. cit, p 121-125.

[44] - U.S Department Of State, Foreign Relations Of The United States 1955-1957 Suez Crisis July 26 –December 31 1956, Op. cit , p 1252-1263.

[45] - Matthew Connelly , Op. cit, p 08.

[46] -Jennifer Johnson, Op. cit, p 164-165.

[47]- فتحي الذيب، المصدر السابق، ص 287-290.

[48]- مريم صغير، المواقف الدولية من القضية الجزائرية 1954-1962، مرجع سابق، ص118

[49]- مريم صغير، مواقف الدول العربية من القضية الجزائرية 1954-1962، مرجع سابق، ص 197-201.

مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 1153 – 1162
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

أخلاقيات البحث العلمي - ابن الهيثم أنموذجا

Ethics of Scientific Research- Alhazen As Example

د/ شريف الدين بن دوبه
كلية العلوم الاجتماعية- جامعة سعيدة
charif.bendouba@univ-saida.dz

تاريخ الإرسال: 2020/12/18 تاريخ القبول: 2021/06/16

الملخص:
من المسلمات الرئيسة في المخيال البشري القول بأن العلم منظومة نظرية مجردة متعالية على الواقع، والدليل على ذلك تجرد الباحث العلمي في المحطة الأولى من البحث من كل قيد ثقافي مشروط، وتحرره من كل نزوع مصلحي سواء كان فرديا أو جماعيا، وانطلاقا من هذه المسلمات المتواترة اعتقد البعض أن الالتزام بقيم أخلاقية أو التزام بقيم المجتمع الذي ينتمي إليه الباحث، وهو ما قامت عليه الأخلاقيات الجديدة. ولكن النظر إلى مقاصد العلم والتقنية يؤكد ضرورة التقيد بالقيم الأخلاقية، فالبحث الذي يتمرّد على منظومة القيم لا يمكن التحكم في نتائجه مستقبلا، وفي التراث العلمي الإسلامي نماذج عديدة تؤكد على ضرورة الالتزام بالقيم الأخلاقية، ومن بين هذه النماذج الحسن ابن الهيثم، الذي اكتشفنا من خلاله أدبيات البحث العلمي، وضوابطه الأخلاقية.
الكلمات المفتاحية: البحث العلمي؛ الحقيقة؛ القيم الأخلاقية؛ الفضيلة؛ الموضوعية؛ ابن الهيثم.

Abstract:
Scientific research is a method followed by man to know the facts that control the natural phenomena and believes a lot that scientific research is not bound to abide by moral values and this is what we find the opposite in the history of science Al-Hasan Ibn al-Haytham, for example, présents in his research examples of the true scholar, he never departs from ethics.
Key words: Ethics; Research; Virtue; Truth; Alhazen.

مقدمة:

تطرح الموضوعية في المنهج العلمي بعيدا عن المجال الأخلاقي إشكالات نظرية وإجرائية أمام الباحث، إذ نلحظ محايثة قيمية للأحكام والمعارف في عدّة مستويات قبلية تارة، وبعْدية تارة أخرى، والمعارف التي تتأسس على مرجعية قيمية في المستوى القبلي هي المعرفة المتعلّقة بالظواهر الإنسانية، والتي تحتلّ الأخلاق فيها قمة الهرم المعرفي، أمّا البحث في الطبيعة فالبعد القيمي لاحق، ولازم، إذ يلاحظ عموما في النتائج والاستتباعات التي يقتضيها التوظيف الإنساني للنتائج العلمية، كما تكون ثقافة الباحث، بشِّقّيها الذاتي والموضوعي معلماً رئيسا في توجيه مسار البحث، وتجاوز المكّونات الفردية للمفاهيم والآليات التي يعتمدها الباحث أمر مستحيل، فمعايشة البحث بعيدا عن الحصيلة المعرفية والمنهجية للفرد مسألة تضعنا في دور أبدي.

ولذا نجد التفرُّد الذي منحه الإنسان لحقل المناهج في العلوم الطبيعية عموما والإنسانية خصوصا له ما يبرِّره، ولكن ما نريد الإشارة إليه في هذه الدراسة فكرة الأنموذج الذي يمارس سلطة قاهرة تحاكي العصاب القهري على الباحثين في حقل المنهجية، الأنموذج العلمي الذي أصبح في المخيال العلمي مسيح

المستضعفين من أصحاب الحقول المعرفية التي تعايش العوائق بالأصالة مثل الدراسات الإنسانية بشكل أدق.

ولكن القراءة المتأنّية للمنهج العلمي تكشف عن التداخل القائم بين منهجية البحث في الطبيعة والضوابط الأخلاقية، فالفصل بين المنهج العلمي والأخلاق فصل تعسُّفي، يسقط العلوم في متاهات موضوعية، ومنهجية، وقيمية. وقد حرّكنا إلى دراسة هذه الحيثية في المناهج، لمّا لاحظناه من اهتمام مناهج البحث العلمي بالمراحل، والخطوات الإجرائية المنتجة للنظام المعرفي، والقوانين العلمية، دون التوقف عند الخصال الأخلاقية التي تشترطها الحقيقة الموضوعية في الباحث، وفي البحث، وغياب هذا المنحى في البحث عند علماء الغرب له ما يبرره، وذلك لطبيعة التوجُّه البراغماتي الذي يحكم الرؤية الثقافية، والسياسية للمجتمع الغربي.

أمّا التوجه الثقافي لعلماء الإسلام في مسار البحث العلمي، فمقيد بالضوابط والالتزامات الأخلاقية التي تمليها عليه ثقافته، وعقيدته التي تقوم على الرحمة بدلالتها العامة، وعلى إكمال المكارم الأخلاقية، والتي تتِّم بها النعمة الإلهية.

وسنقف عند شخصية العالم الإسلامي الحسن ابن الهيثم الذي بلغت شهرته الآفاق، حيث طرق حقولا في المعرفة أثبت الراهن أهميتها الحضارية في تقدُّم الأمم، وهي المباحث التجريبية التي أصبحت بالنسبة للعلوم الإنسانية نموذجا تحتذي به في الدقة، والصرامة العلمية، وهي علم الفلك، ويعود الفضل في معرفة الحسن بالهيثم إلى العالم المصري مصطفى نظيف.

1- الحسن ابن الهيثم:

ولد أبو علي محمد بن الحسن البصري المعروف بابن الهيثم المعروف عند الغرب بـ "El Hazan في البصرة عام 354هـ 965 م، ثم انتقل إلى مصر وأقام في القاهرة حتى وفاته سنة 430هـ/1039 م".

ترك ابن الهيثم مؤلفات عدة في مجالات مختلفة، يغلب عليها المنحى العلمي الطبيعي، والرياضي، إذ "ألّف في الفلك ثمانين كتابا ورسالة، وقد عرض في هذه الكتب والرسائل القيمة عملية سير الكواكب والقمر والأجرام السماوية وأبعادها... وهو أول من شرح تركيب العين، وبيّن أجزاؤها بالرسوم، وسماها بأسماء تطلق عليها حتى الآن كالشبكية، والقرنية، والسائل الزجاجي، والسائل المائي... وله بحوث في تكبير العدسات، مهدت لاستعمال العدسات في إصلاح عيوب العين... وقد بحث في المعادلات التكعيبية، وحلّها بواسطة قطوع المخروط... وفي الضوء وانكساره..."[1].

الحسن ابن الهيثم مدرسة علمية، وأرض خصبة لم تستثمر بعد، والحقائق العلمية المتضمنة في كتبه، لازالت تنتظر الباحثين من العرب والمسلمين، فما نعرفه عنه لا يمثِّل إلا غيضا من فيض، فموقعه في علم البصريات في الفترة الراهنة، يبقى جليا، وله أعمال جديرةٌ بالذكر في مجال علم المثلثات، وبخاصة تطبيق ما يسمَّى شكلَ ظل التمام في المثلثات الكروية على المثلث الكروي لسطح الأرض، وبذلك فقد سبق ابنُ الهيثم - على رأي تروبفكه Tropfke فيته viete الذي جدَّد تطويره، ويُعزى إليه أيضا رسالة وُجدت ترجمتها باللغة اللاتينية بعنوان De"cre pusculis، وهي استخراج ارتفاع طبقة الهواء الجو باستخدام علم المثلثات، كان لها - منذ طباعتها في ليزابون lissabon عام 949هـ/1542م - تأثيرٌ عظيم على الغرب، فابن الهيثم في هذه الرسالة يُعَد - كما يذكر- schramm أول فيزيائي على الإطلاق قام بأول خطوة في إدراك مفهوم الجو بالمعنى الفيزيائي [2].

والذي دفعنا إلى انتقاء ابن الهيثم في هذه الدراسة وجود ملامح الروح العلمية في شكلها المتكامل عنده، فالمنهج العلمي الذي نلحظه في أعماله لا يحتاج إلى استنباط أو تخمين، فهو بارز للعيان بشكل صارخ، وتقدُّمه على فلاسفة الغرب في تأسيس المنهج العلمي لا ينفيه إلا جاحد، وقد اجتهد الأستاذ مصطفى نظيف في بيان تلك المكانة العلمية من خلال مقارنته بالفيلسوف الإنجليزي فرانسيس بيكون، فقواعد الاستقراء التي قدمها بيكون، تحاكي بشكل دقيق القواعد التي تضمنها المنهج عند ابن الهيثم.

2- منهج ابن الهيثم:

يضعنا الحديث عن المنهج، والمنهجية أمام إمكانات معرفية مفتوحة، حيث اضطر العلماء إلى تأسيس علم قائم بذاته يهتم بمسائل، وفنون هذا المجال، فهو مجموعة من الخطوات الضرورية، واللازمة لأي بحث علمي، وقد عرف الفكر البشري عبر تاريخه الطويل منهجين رئيسيين، تفرعت عنهما منهجيات عديدة، وهما المنهج العقلي، والمنهج التجريبي.

ولكن الطبيعة البشرية للباحث تقف أمام الحقيقة الموضوعية بالمرصاد، وتأثير، وتوجيه الإيديولوجيا للبحث العلمي دليل على ذلك، حيث نلمس في الأنساق الفلسفية تزمتا، ودوجمائية في الاعتقاد بصدقية النتائج، والأحكام عند أتباع هذه المدارس، فالتسليم بمنهج دون الآخر، والنظر بعين القيمة إلى المناهج أساء للبحث، وساهم في تخلُّف الإنسان، فالعقل لا يلغي التجربة، وليس بإمكان التجربة الاستغناء عن العقل، وهذا ما سنلاحظه عند ابن الهيثم فالمنهج عنده بناء بين العقل والتجربة، والنص التالي يشرح ذلك: "ونبتدئ في البحث باستقراء الموجودات ، وتصفح أحوال المبصرات، وتمييز خواص الجزئيات، ونلتقط باستقراء ما يخص البصر في حال الإبصار، وما هو مطرد لا يتغير، وظاهر لا يشتبه من كيفية الإحساس ثم ونترقى في البحث والمقاييس على التدريج والترتيب، مع انتقاد المقدمات، والتحفظ في النتائج"[3].

ويقر ابن الهيثم بوجوب انتهاج الملاحظة الاستقرائية في تحديد، وتعيين الظواهر المدروسة، والملاحظة عند ابن الهيثم تقوم على إحصاء دقيق لحيثيات الظاهرة، والذي يتم عبر لحظة التصنيف، والتي من خلالها تقوم بتمييز الخواص الجزئية، من الخواص الرئيسة، والتي تقع موقع الشبهة في البحث العلمي، وهي التي أوقعت المتقدمين في البحث في موقع الاختلاف، يقول ابن الهيثم: "إن المتقدمين من أهل النظر قد انعموا البحث عن كيفية إحساس البصر واعملوا فيه أفكارهم... وانتهوا منه إلى الذي وصل النظر إليه ووقفوا منه على ما وقفهم البحث... ومع هذه الحال فآراؤهم في حقيقة الإبصار مختلفة، ومذاهبهم في هيئة الإحساس غير متفقة فالحيرة متوجهة، واليقين متعذر، والمطلوب غير موثوق بالوصول إليه وما أوسع العذر مع جميع ذلك، في التباس الحق وأوضح الحجة في تعذر اليقين فالحقائق غامضة والغايات خفية والشبهات كثيرة..".

والسمة الإبداعية في نسق ابن الهيثم، والتي نعتقد في إمكانية اعتبارها أرضية يستمد منها الباحث المعاصر أدبيات، ومحطات منهجية تسمح له ببلوغ حقائق الأشياء، هي آليات بناء الحادثة العلمية عند ابن الهيثم، والتي تمكّن من خلالها في بوتقة المنهج العقلي، والتجريبي في صورة تركيبية جديدة، يصعب الفصل فيها انطولوجيا بين التجربة والعقل، وفي محلّ الشاهد، نستأنس بالنص التالي لابن الهيثم: "ونبتدئ في البحث باستقراء الموجودات ، وتصفح أحوال المبصرات، وتمييز خواص الجزئيات، ونلتقط باستقراء ما يخص البصر في حال الإبصار، وما هو مطرد لا يتغير، وظاهر لا يشتبه من كيفية الإحساس ثم نترقى في البحث والمقاييس على التدريج والترتيب، مع انتقاد المقدمات، والتحفظ في النتائج"[4].

وابن الهيثم لا يعتمد على الاعتبار فحسب، كما يرى مصطفى نظيف بل يعتمد عليه أيضا في إثبات النتائج التي تستنبط بالقياس بعد ذلك من تلك القاعدة أو القوانين، والأمثلة كثيرة قد وردت في مناسباتها في مواضع مختلفة من كتاب المناظر"[5].

كما أن المحايثة بين الأخلاق والبحث العلمي عنده تعكس الأصالة الأخلاقية في المعرفة العلمية عند علماء الإسلام، فأخلاق بيكون لا تحتاج إلى تعليق، وقراءة شخصيته في التاريخ قد تسقط من مقامه العلمي عند الباحث، فالسمة الأساس في البحث العلمي عند المسلمين هي الحضور الأخلاقي في شتى حقول البحث، وهي ما تعرف حاليا بالأخلاقيات التطبيقية، الأخلاق المتخصِّصة في حقل معين الأخلاق الجهوية، مثل أخلاقيات البحث العلمي، فالتدبُّر في نصوص ابن الهيثم يكشف عن مبادئ، وأبجديات هذا التخصص.

3- أخلاقيات المنهج:

يعتقد الكثير من الباحثين أن العبرة بالنتائج وفيها، ومبرِّر ذلك واضح للعيان، إذ تقع المصلحة في الطبيعة البشرية موقع الأصل، والمبدأ. والحاجة أمُّ الاختراع مسلّمات أصبحت بالتراكم، ومن خلال التواتر الوجداني، والاجتماعي حقيقة غير قابلة للبرهنة، بل تبنى المسلمات والنتائج من خلالها، ولكنّ القراءة المتأنِّية للمعنى المحمول في العبارة تكشف عن مستوى الأشكلة التي تستبطنها الدلالة، والتعارض القائم بين الفلاسفة حول مشروعية النظرة البراغمائية، وصدقيتها، وليس القصد في البحث مناقشة الموقف الذرائعي، بل هو بغرض الاستئناس في بيان الاختلاف التنظيري في التأسيس.

ولكن الملابسات التي ترافق النظرة العملية للأشياء، من محدودية، ونسبية، وذاتية، تنتقل إلى الباحث كلازمة فكرية، فيصبح مقيَّداً بحاجاته الشخصية، أو الاجتماعية، وهو الذي يسمح للسلطة في استثمار النخبة العلمية، وهذا ما نلاحظه في تبعية العلماء للمؤسسة السياسية عموما، والعسكرية خصوصا.

وعليه فإنّنا نجد في الموقف المتعالي عن مؤشِّرات المصلحة والغائية بعضا من الصدقية، حيث تتجلى الأخلاقية في أعلى صورها في تقديس الحقيقة لذات الحقيقة.

تطرح عبارة "العلم لا يفكر في ذاته " إشكالات أمام الباحث في فلسفة العلوم، وتاريخ العلم، إذ استشف البعض منها وجود مفارقة بين البحث العلمي، والبحث فيه، أي القراءة الخارجية، والنظرية للعلم، والدلالة التي تستبطنها الابستومولوجيا تفيد، وتقر بالعلاقة الخارجية بين العلمين، أو المعرفتين، فكانت خطابا، وقولا في العلم، افترض نتيجة لذلك استقلالية بين الحقلين، عالم الظواهر، وعالم الفكر: المفاهيم، المناهج، النتائج، وتخصص الباحث كلٌّ في حقله، ولكن الولوج في عالم الفكر الإسلامي يقدِّم لنا نماذج متميزة في البحث العلمي، شخصيات استطاعت ببصرها، وبصيرتها البحث في مجالات بحثية، لم يقدر العلم المعاصر اكتشافها حتى الآن، حيث نلمس في جلِّهم المنحى العلمي التطبيقي، والنظري، والحسن بن الهيثم نموذج حيّ لذلك، وستكون لنا وقفة مع منهجيته العلمية، بعيدا عن اكتشافاته النظرية والتقنية في حقول العلم المتعدّدة.

يقوم المنهج الذي تبناه ابن الهيثم على مجموعة مسلمات أو مصادرات، تتماهى فيها الروح العلمية والروح الأخلاقية، وهي كالتالي:

1- الحق مبدأ المطلب [الحق مطلوب لذاته]: يبدأ ابن الهيثم في كتابه :"الشكوك على بطلميوس[6] بتقرير قواعد، وآليات البحث العلمي، الذي يعبر عنه بالحق، أو الحقيقة، والملاحظ على ابن الهيثم في جميع دراساته، وبحوثه العلمية البدء ببيان المنطلقات الفكرية والمنهجية، والأخلاقية في البحث، في صورة أدبية بليغة:" الحق مطلوب لذاته، وكل مطلوب لذاته فليس يعني طالبه غير وجوده.. "[7].

تكشف تجربة الحسن ابن الهيثم العلمية عن التقاطع القيمي بين مبدأ البحث، وغايته، فالغايات لا تبرِّر الوسائل عند ابن الهيثم، بل ينبغي أن تكون الأخلاقية عنوانا لكل بحث، وهوية لكل باحث، فطلب الحق لذات الحق واجب وضعي، وشرعي، وانتقاؤه اللفظ (الحق) يفيد الإشارة إلى الذات الإلهية، المتصفة بكل صفات التمام، والكمال، فالحق مطلق، ينتظر النسبي بلوغه، والتوفيق الإلهي للباحث يكمن في تسديده ، ومساعدته في انتهاج الطريق المستقيم لبلوغ الحق، كما ن الحق كلفظ يشير أيضا إلى الصدق المقابل للباطل، وإن كان التقاطع بينهما انطولوجيا إذ يمكن القول أن الوجود الانطولوجي والعيني للحق هو ذات الله سبحانه وتعالى، فالبحث عن حقائق الأشياء، والظواهر، وحقائق الأفكار لا يزيد الباحث إلا قربا من الله تعالى جدّه، ولا نقصد في هذا السياق التفكير عقيديا، أو بتعبير آخر دينية العلم، بل القصد هو بيان العلاقة الوجودية، واللزومية بين العلم والشرع.

الحقيقة مطلبٌ مستقلّ ومتعال عن المحدودية والمشروطية الفردية أو الاجتماعية، فالدافعية نحو الحق جزء من الطبيعة البشرية، أو بتعبير أدقّ تقع من الجبلّة الإنسانية موقع الأصل، ففضولية المعرفة عند الإنسان فطرة إلهية، وهذا يظهر في التساؤلات الفلسفية العميقة التي يطرحها الأطفال خلال مراحلهم الطفولية الأولى، فالباحث الحق هو الطالب للحق، لذات الحق، وليس لتحقيق أغراض ضيقة، وإن كانت هذه المصالح بحساب الجماعة أو البعض من الأفراد ذات قيمة.

يقول الحسن ابن الهيثم في نفس النص: "... ووجود الحق صعب، والطريق إليه وعر، والحقائق منغمسة في الشبهات، وحسن الظن بالعلماء في طباع جميع الناس...".

استقراء تاريخ الفكر البشري يكشف أن الحقيقة تندّ عن كلّ تمثُّل انطولوجي لها، وتبقى ممكنة في السعي نحوها، فالحقيقة كما يقول البعض ليست امتلاكا للحقيقة بل السعي إليها، وهي ليست من المعطيات الجاهزة، بل هي منتوج بناء واجتهاد علمي يقوم به الباحث من خلال تفاعل جدلي بين العقل والتجربة، والتسليم بأحد المبادئ دون الآخر لا يوقع الباحث في نهاية المطاف إلاّ في الشبهات، والعوائق المطروحة أمام الباحث هي التي تضفي خاصية الوعورة على الطريق العلمي "... والطريق إليه وعر..".

والحقيقة ملازمة للشبهات، حيث أن معرفة الحق مشروطة بمعرفة الضدّ، والعلم بالشبهة يقع في نفس المستوى الذي توجد فيه الحقيقة، فتعيين الشبهات مدخلا لكشف الغطاء عن الحقائق، فهي بداهة الحسّ، ومخاضه، والحس في اللحظة العلمية مدخل رئيس، لا يمكن تجاوزه أو تخطّيه، وانتقاء ابن الهيثم لحد الشبهة، يحمل الكثير من هذه الدلالات فالحسّ مقدمة ينبغي على الباحث الحذر منها والاعتماد عليها، يقول ابن الهيثم:" ..وما أوسع العذر، مع جميع ذلك، في التباس الحق، وأوضح الحجّة في تعذّر اليقين، فالحقائق غامضة والغايات خفية والشبهات كثيرة والأفهام كدرة والمقاييس مختلفة والمقدمات ملتقطة من الحواس، والحواس التي هي العدة غير مأمونة الغلط، فطريق النظر معفى الأثر... ولذلك تكثر الحيرة عند المباحث اللطيفة تتشتّت الآراء وتتفرّق الظنّون وتختلف النتائج ويتعذّر اليقين..[8] فالحقيقة تبقى مطلباً، وعنوانا لكلّ بحث إنساني.

2- التداخل المعرفي: يشكِّل التقاطع المعرفي بين القضايا الطبيعية، عائقا أمام الدقة العلمية، وليس أمام اكتشاف منظومة العلل الكامنة وراء الظواهر، واللطيف في الأمر أن العالم الإسلامي ابن الهيثم في دراساته العلمية ينبّه الباحث العلمي إلى ضرورة الانتباه، للتقاطعات القائمة بين العلوم، والذي يلزم الباحث التمكن من المعارف، والآليات المنهجية في هذه العلوم، وأهمها الرياضيات، والتي كانت تعرف بالعلوم التعليمية.

تشمل العلوم الرياضية سبعة أقسام فعند القدماء، فلم تكن الرياضيات علم تجريدي بحت، كما يتصور المبتدئ في هذا العلم، بل تمتد إلى مجالات تطبيقية، والتي يتفق على تسميتها بالرياضيات التطبيقية، وسنعتمد التصنيف الذي وضعه الفيلسوف أبي نصر الفارابي، والذي نقتبس منه هذا النص: "علم الحساب، والذي يشمل صنفين علم الحساب التطبيقي الذي يدرس الأعداد بما هي معدودة... والثاني هو علم الحساب النظري الذي يدرس الأعداد مأخوذة في المطلق... الهندسة وهي تطبيقية أو نظرية، علم المنظور أو علم المناظر وباللاتينية De aspectibus ويدرس الأشكال والكميات كما هي موجودة في الخطوط والسطوح والأجسام الصلبة، لكنه هذا العلم يتخصص بالأشكال التي تظهر من خلاله، التي تختلف عما هي في الحقيقة... وعلم الفلك من خلال علمين: علم أمور النجوم، وعلم النجوم الرياضي الذي يدرس الإجرام السماوية وحركاتها ويدرس الكرة الأرضية... وعلم الموسيقى من حيث بنوعيه التطبيقية وموضوعها الإلحان والأنغام المحسوسة، والموسيقى النظرية ..وعلم الأوزان الذي يدرس الكميات القابلة للقياس... وعلم التقنيات (الحيل) وهو علم التطبيق على أجسام طبيعية لكل ما برهنته الرياضيات"[9].

وعند قراءة النص الذي نقتبسه من كتاب المناظر تظهر المعرفة الدقيقة عند ابن الهيثم بالتداخلات، والتقاطعات بين الحقول المعرفية، يقول: "والبحث في هذا المعنى- مع غموضه وصعوبة الطريق إلى معرفة حقيقته- مركب من العلوم الطبيعية والعلوم التعليمية. أما تعلقه بالعلم الطبيعي فلأن الإبصار أحد الحواس، والحواس من الشكل والوضع والعظم والحركة والسكون- وله مع ذلك في نفس الإحساس تخصيص بالسموت المستقيمة – والبحث عن هذه المعاني إنما يكون بالعلوم التعليمية[10].

3- الروح النقدية: يحمل مفهوم النقد محمولات دلالية تختلف مضامينها باختلاف السياق التاريخي واللحظة الفكرية والاهتمامات السوسيوسياسية، فهو شكّ في المعرفة المكتسبة ومراجعة لأساسياتها[11].

ويراد به في اللغة: "نقد الشيء نقدا ليختبره، أو ليميز جيده من رديئه، ويقال نقد الشيء نقدا: أوقع فيه الفساد[12].

وفي الاصطلاح يحمل دلالات متعددة، منها: "يطلق على دراسة إجمالية ترمي إلى إدانة أو دحض عمل ما، وهذا المعنى موجود في الفلسفة"[13]. وقد أخذت مفردة النقد في البحوث التقليدية سياقات ثلاث... بداية استخدمت في إقامة العدالة واستخدمها أرسطو ليحيل إلى القرار القضائي الذي يبت في أمر خصومة ما، ثم تطور مفهوم طبي للمفردة وتعني اللحظة الحرجة في مرحلة المرض، أما في العصر الهليني اكتسبت معنى دراسة النصوص الأدبية[14].

وقد عرف النقد مع الحسن ابن الهيثم مسارا معرفيا، وفلسفيا يحاكي، المعاني المعاصرة التي عرفها مع تقدم المعارف والعلوم، إذ نلمس تقنينا، وضبطا منهجيا، وأخلاقيا عند ابن الهيثم، فالانتقال المنهجي من مقدمة معرفية إلى أخرى ليس اعتباطيا عنده، بل مقيّدا بضوابط منطقية عامة، وأخلاقية مطلقة، وسنحاول في هذه الدراسة هيكلة المنهج النقدي عند ابن الهيثم.

- **الوعي بالقصد:** لا ينبع البحث العلمي من دوافع ذاتية - رغبات، وميول بل يتحدّد من خلال إرادة الباحث، التي تكون متجلّية في القصد إلى الفعل أو الترك مع وعي الأسباب الدافعة إليهما عند المريد، فالباحث الحقيقي هو الباحث الذي يدرك حركته، وتطلعاته البحثية، ويكون قادرا على التعاطي معها بشكل موضوعي بعيدا عن كل ذاتية أو تحيز إثني.
- **الحذر من الطبيعة**: من المسلمات الرئيسة في البحث العلمي الاعتقاد في ذاتية الطبيعة الفردية للباحث، وهي عائق أساس أمام بلوغ الحقيقة الموضوعية، والفصل بين الإرادة والتلقائية في الفعل الإرادي أمر

شبه مستحيل، حيث لا يمكن للباحث العلمي تجاوز ذاته أثناء البحث، أو التجرّد كلية من شخصيته الفردية والثقافية، واسترسال الباحث مع طبعه، ومع ذهنيته، ودوافعه المحددة سلفا من خلال محيطه الثقافي، تضعه في ضفة مجانبة، ومقابلة للحقيقة، ويوضح ابن الهيثم هذه الطبيعة في القول التالي:" وحسن الظن بالعلماء في طباع جميع الناس"، أي أن الطبيعة البشرية ميّالة إلى تقديس العلماء، وهي مسألة تحتاج إلى وقفة، إذ أنه من الواجب احترام العلماء، وإنزالهم منازلهم التي هم أهل لها، ولكن من الواجب علينا أيضا الحذر من خطورة، وتحول هذا الاحترام الواجب إلى تقديس يمنع من استقبال، وتلقي المعارف الجديدة، لأن الحقائق الإنسانية نسبية، وقابلة للتطور، كما أنه العلماء في حد ذاتهم نسبويين، أي محدودين، ومشروطين بظروفهم الثقافية والحضارية، وهذا ما نلمسه في قول ابن الهيثم:" وما عصم الله العلماء من الزلل، ولا حمى علمهم من التقصير والخلل. ولو كان ذلك كذلك لما اختلف العلماء في شيء من العلوم، ولا تفرقت آراؤهم في شيء من حقائق الأمور، والوجود بخلاف ذلك.

- **التصريح بالهدف**: يضع ابن الهيثم أمام الباحث ضوابط منهجية، وأخلاقية تمكنه من بلوغ الحقيقة، وأهمها تحديد نوعية العلاقة بين المتن العلمي، وبين الباحث، ففهم دلالات النص أو المتن العلمي، وغاياته، لا تمتُّ بصلة إلى الحقيقة، بل هي مجرد مقدمات تكوينية، وأولية، وضرورة، حيث أن الباحث في حقل علمي معين ملزم بالإحاطة بجزئيات الموضوع المدروس، فالتخصص في حقل الطب مثلا يلزم الباحث معرفة النتائج، والنظريات السابقة في الحقل، يقول ابن الهيثم: "... فالناظر في كتب العلماء إذا استرسل مع طبعه، وجعل غرضه فهم ما ذكروه، وغاية ما أوردوه حصلت الحقائق عنده هي المعاني التي قصدوا لها، والغايات التي أشاروا إليها".

ويضع ابن الهيثم ملاحظات منهجية، وخصال أخلاقية يشترطها في الباحث عن الحقيقة الموضوعية، فالقراءة التشخيصية للمتون العلمية، والنظريات السابقة لا تمتّ إلى البحث العلمي بصلة، لأنها لن تتعدّى حدود المعاني التي عمل عليها هؤلاء القدماء، فمراحل النقد، وضوابطه الأخلاقية عند ابن الهيثم تظهر فيما يلي:

- **الموقف**: الموقف العلمي أو الفلسفي ليس وضعية جسمية يتخذها الباحث بل هي جملة من المقومات، والشروط المنهجية، والأخلاقية، وهو المتضمن في العبارة التالية: "المتوقِّف فيما يفهمه عنهم"، فما نحصل عليه من القراءة الأولية ليس مبرِّرا لادعاء ملكية وحيازة للحقيقة، بل هو مجرّد بدايات ظنية تحتاج إلى محطّات فكرية دقيقة تمنح البحث قيمة الدقة واليقين.

فالموقف العلمي امتلاك لجملة من الشروط والخصال العلمية والأخلاقية، تبدأ من القصدية، أي من تحديد الهدف الذي نروم الوصول إليه، ومن خلال المحطات اللازمة، من إتباع، وانتهاج للاستقراء القائم على الإحصاء والتصنيف، فالموقف لا يكون عند ابن الهيثم نظريا بحتا، بل تتكامل فيها قنوات المعرفة العقل والتجربة.

- **الموضوعية:** الموضوعية Objectivité كلمة مشتقة من موضوع، وهو كل ما يقابل الذات، فهي صفة شرطية، وقيمة مطلوبة في الباحث العلمي، تتطلب منه التعامل مع ذاته، وأفكاره، وثقافته، بشكل مجرّد، عادلا في إصدار الأحكام ككلّ، فالحكم الإنساني لا يقل خطورة عن الحكم العلمي، فالعدل مسألة وجوبية، يقول :" فطالب الحق ليس هو الناظر في كتب المتقدمين، المسترسل مع طبعه في حسن الظنّ بهم، بل طالب الحق هو المتهم لظنه فيهم، المتوقف فيما يفهمه عنهم، المتبع الحجة والبرهان، لا قول القائل الذي هو إنسان، المخصوص في جبلَّته بضروب الخلل والنقصان".

- **نقد الإيحاء الأول:** الإيحاء الأول هو الفكرة الأولى التي تتبادر إلى الذهن عند ملاحظة الظاهرة، أو عند قراءة النتائج العلمية، فقابلية الباحث لتقبل، وإضفاء الصدقية على فكرة قد يكون نتاج حتميات نفسية، وثقافية تعمل في وعي الباحث بطريقة لاشعورية، ويعبر عن ذلك ابن الهيثم بالظن، يقول: "طالب الحق هو المتهم لظنّه فيهم"، فمن الواجب على الباحث فحص، وتمحيص الفكرة الأولية التي تدخل في دائرة الظن، وليس في فضاء اليقين.
- **الحياد:** يقول ابن الهيثم: "والواجب على الناظر في كتب العلوم، إذا كان غرضه معرفة الحقائق، أن يجعل نفسه خصما لكل ما ينظر فيه، ويجيل فكره في متنه وفي جميع حواشيه، ويخصمه من جميع جهاته ونواحيه، ويتّهم أيضا نفسه عند خصامه فلا يتحامل عليه، ولا يتسمح فيه. فإنه إذا سلك هذه الطريقة انكشفت له الحقائق، وظهر ما عساه وقع في كلام من تقدمه من التقصير والشُّبه"[15].

يحدِّد ابن الهيثم في هذا النص خصال الباحث العلمي، والتي يمكن إجمالها في نقاط التقيد بطلب الحق، والتعامل بعين نقدية مع كل ما هو معطى، وهو الذي نجده مستقبلا عند غاستون باشلار Gaston Bachelard في قوله: "لا يوجد معطى، كل شيء مبني، فالمعطى الجاهز لا يقيم معرفة علمية، بل البحث العلمي يشترط جدلا بين العقل والتجربة، وهو الذي سنلاحظه في المنهج الذي يأخذ به ابن الهيثم.

- **نقد الذات:** يظهر أن القصد من هذا الطلب الحذر من الوقوع في مطبّات النفس، والهوى، فالناقد يبدأ بموضوعية في دراسته، ولكنه قد ينحرف في النهاية، فيتحول نقده للعالم محل لإسقاط لأفكاره، وميوله، وعليه يكون الحذر من النفس واجب، من خلال المراجعة الذاتية للنقد، يقول ابن الهيثم: "ويتّهم أيضا نفسه عند خصامه فلا يتحامل عليه، ولا يتسمح فيه". فالعلماء كما قيل يفيدون العلم في النصف الأول من حياتهم، ويسيئون إليه في النصف الأخير.
- **دراسة المتون والحواشي:** من خلال تتبّع المعنى الذي تحمله المتون والحواشي، نجد تقاطعا بين المتن والمصدر، وبين الحواشي والمراجع، فيتكون الدلالة التي قصد إليها ابن الهيثم هي وجوب دراسة النظرية من خلال مصادرها وينابيعها الرئيسة، كما يجب على الباحث أيضا دراسة المراجع، والدراسات التي عملت على قراءة تلك النظرية، حيث تساهم الدراسات في بيان بعض الحقائق، والعبارات، فالباحث غير قادر على فك رموز النظريات لوحده، وتبقى الحقيقة مطلبا أمام الباحث، ومعرفة اجتهادات المتقدمين لا تعني امتلاك الحقيقة، وفي النص التالي يبين ابن الهيثم محدودية البحث، والنتائج، يقول ابن الهيثم: "إنّ المتقدمين من أهل النظر قد انعموا البحث عن كيفية إحساس البصر وأعملوا فيه، أفكارهم وبذلوا فيه اجتهادهم ثم انتهوا منه إلى الحد الذي وصل النظر إليه، ووقفوا منه على ما وقفهم البحث والتمييز عليه".
- **إحصاء الشكوك:** عمل ابن الهيثم، في كتابه الشكوك على ضبط، وإحصاء الأخطاء، أو مواطن اللبس في كتابات بطلميوس، فتحديد إطار للنظر، والبحث مسألة منهجية، ولازمة في البحث العلمي المعاصر، وهو ما يعرف في الحقل العلمي بمبدأ العزل، ويعني عزل الظواهر المدروسة عن الظواهر المتداخلة معها في مبدأ العلية، أو في مستوى الوجود، يقول ابن الهيثم: "ولسنا نذكر في هذه المقالة جميع الشكوك التي في كتبه، وإنما نذكر المواضع المتناقضة، والأغلاط التي لا تأوُّل فيها فقط، التي متى لم يخرّج لها وجوه صحيحة، وهيئات مطردة، انتقضت المعاني التي قررها، وحركات الكواكب التي حصلها، فأما بقية الشكوك فإنها غير متناقضة للأصول المقررة، وهي تنحل من غير أن ينتقض شيء من الأصول ولا يتغير والله المعين لنا على جميع ذلك بمشيئته"[16].

وقد تناول ابن الهيثم في مقالة الشكوك بالنقد ثلاثة مؤلّفات للرياضي والفلكي اليوناني بطلميوس الذي عاش في الإسكندرية في القرن الثاني الميلادي، وهي: المجسطي والاقتصاص والمناظر. والملاحظ أن الشكوك التي ركز عليها ابن الهيثم، تتصف بسمات محدّدة، وهي الشكوك التي لا تصمد أمام مبادئ العقل، والتي لا يمكن إيجاد مبررات منطقية لها، ويبدو أن ابن الهيثم، اجتهد قدر المستطاع في هضم هذه الأخطاء، ولكنه لم يجد سبيلا في ذلك، فقرر بعد ذلك البدء في بيان أوجه الخلل فيها.

وقد تمثّلت الاعتراضات التي أخذها ابن الهيثم على بطلميوس في سبعة إشكالات: "إشكال يتعلق بالسرعة والبطء والتوسط وهي الحركات التي لا تليق بالفلكيات البسيطة... وإشكال يتعلق بمظاهر بعض الكواكب، إذ أن أحجامها تبدو في بعض الأحيان أعظم من أحجامها في أحيانا أخرى، وإشكال الثالث يتعلّق بظاهرات الوقوف والرجوع والاستقامة للكواكب، وهي ظاهرة تتناقض مع الانتظام المفترض لحركات الكواكب..."[17].

- **لغة النقد:** تبدأ معرفة الكاتب من الكتاب، والكتاب من العنوان، وانتقاء الحسن ابن الهيثم لكلمة الشكوك تنبئ عن مقام ابن الهيثم الأخلاقي حيث لم يستعمل عبارات تقدح، وتنقص من المقام العلمي للعالم، مثل: بطلميوس في الميزان، أو تدليس حجج بطلميوس، وعبارات من هذا القبيل: الرد، النقض، التهافت، والتي ورثها الفكر العربي والإسلامي عن ثقافة التعالي التي كان الأجداد يؤمنون بها، والتي تحولت إلى شعور بالنقص والقزمية، إذ نجد ابن الهيثم يصف انتقاداته لبطلميوس بالشكوك، أي إنها اعتراضات تحتمل الصدق، وتحتمل الخطأ.

واللطيف في الأمر هو أن اللفظ اليوناني aporia الذي يقابل لفظ الشك كما هو مستدل عليه في مثل هذا الموضع يؤدي معنى الضيق والعسر، والورطة والحيرة، وفي مجال الجدال الفلسفي يدل على الصعوبة، والمشكلة، والمعضلة، واقتران لفظ الشك أو مقابله اليوناني بالحرف (على) pros يقربه من معنى الاعتراض والنقد، فغرض ابن الهيثم في هذه المقالة إثارة الشكوك أو الاعتراضات على مواضع مشكلة تورط فيها بطلميوس في مؤلّفاته الرئيسية، وليس القصد التقزيم.

ومن الواجبات الأخلاقية للباحث عند ابن الهيثم احترام وتبجيل العلماء، كشخصيات بشرية اجتهدت حسب الوسع في بلوغ الحقيقة العلمية، وليس كحقائق مطلقة، ونلاحظ في كتابه الشكوك أدبا راقيا في التعامل مع بطلميوس، إذ يقول: "ولما نظرنا في كتب الرجل المشهور بالفضيلة، المتفنِّن في المعاني الرياضية، المشار إليه في العلوم الحقيقية، أعني بطلميوس القلوذي، وجدنا فيها علوما كثيرة، ومعاني غزيرة، كثيرة الفوائد، عظيمة المنافع..."[18].

وتكون الفضيلة العنوان الأول الذي يمنح الباحث الاحترام والتقدير، فحسن الخلق مبررا كافيا على الاحترام، وإذا تدرّج الباحث في امتلاكه المنظومة القيمية زادت مكانته في الارتقاء، ومقامه في الارتفاع، فهو ضليع في فن الرياضيات، وسيد في الفلسفة العلوم الحقيقية، والإشادة بأهميّة العالم تحمل كثيرا من الدلالات للباحث في هذا العصر، وعلينا تقدير واحترام علمائنا، فعلماؤنا ثروتنا، وتراثنا، وتاريخنا، ولكن العبرة التي نستشفها من عند ابن الهيثم هي الاعتبار من العبر، وليس تكديس العبر.

يقول ابن الهيثم:" ولما خصمناها وميزناها، وتحرينا إنصافه وإنصاف الحق منه، وجدنا فيها مواضع مشبهة، وألفاظا بشعة، ومعاني متناقضة، إلا أنها يسيرة في جنب ما أصاب فيه من المعاني الصحيحة..."[19].

نلاحظ في هذه العبارة أدب الناقد النموذجي، العبارة الأولى تفيد مرحلة النقد والفحص التي أخضعت فيها نتائج بطلميوس ونظرياته من طرف ابن الهيثم، والتي اكتشف من خلاله وجود خلل في البناء المعرفي

لنظرية بطلميوس، وهو متعلّق بالمفاهيم، وبالمصطلحات أيضا. وفي العبارة الثانية بيان المقام المعرفي للعالم بطلميوس أخلاقيا، يقول: "إلا أنها يسيرة في جنب ما أصاب فيه من المعاني الصحيحة..."[20] فالنقد، والكشف عن الأخطاء لا ينقص من مكانة بطلميوس العلمية، فالأخطاء بالقياس إلى المعاني التي كشف للإنسانية عنها تكون يسيرة، ومقبولة.

ولكن الحقّ كمطلب يلزمنا دوما أن نضعه فوق كل اعتبار، فالحق فوق كل إثنية، ومتعال على كل عقيدة، ولذا يحدد ابن الهيثم هدفه من دراسة بطلميوس النقدية، فيقول: "فرأينا أن الإمساك عنها هضما للحق، وتعديا عليه، وظلما لمن ينظر بعدنا في كتبه في سترنا ذلك عنه. ووجدنا أولى الأمور ذكر هذه المواضع، وإظهارها لمن يجتهد من بعد ذلك في سد خللها، وتصحيح معانيها، بكل وجه يمكن أن يؤدّي إلى حقائقها"[21].

خاتمة:

البحث عن الحقيقة مدخل ومقدمة للكمال الإنساني، فهو مطلب نظري يمنح الملكات قابلية التحقق، وأبجديات المنهج والمنهجية تحدد الطريق السليم لتجاوز العقبات النفسية والمنطقية التي تقف حجر عثرة أمام الباحث والعاشق للحكمة، ويعتقد الكثير أن الجانب الموضوعي في البحث هو الذي يقدم الضمان الكفيل بإدراك الحقيقة في حين أن الفضاء الأخلاقي هو الأصل في البحث، لأن التقوقع في الدوائر المعرفية بعيدا عن حقل الأفعال يبعد الإنسان عن الغايات الرئيسة التي وجد من أجلها، والحسن ابن الهيثم من خلال أطروحته العلمية يكشف عن مقاصد الشريعة الإسلامية التي تقوم على الأخلاق في المبدأ والغاية.

الهوامش:

[1]- عمر فاروق الطباع، عبد المنعم الهاشمي، ابن الهيثم، مؤسسة المعارف بيروت، ط 1، 1993، ص ص 80-81.

[2]- عبد الله حجازي، مقال تاريخ المثلثات عند العرب، تاريخ الإضافة 29/12/2012، الرابط:
http://www.alukah.net/library/0/48388/#ixzz3HcbyCZmL

[3]- الحسن ابن الهيثم، كتاب المناظر، تحقيق عبد الحميد صبرى، المجلس الوطني للثقافة والآداب مصر، الطبعة الأولى، 1983، ص 61.

[4]- الحسن ابن الهيثم، كتاب المناظر، تحقيق عبد الحميد صبرى، المجلس الوطني للثقافة والآداب مصر، الطبعة الأولى، 1983، ص 61.

[5]- مصطفى نظيف، الحسن بن الهيثم وبحوثه البصرية، ج1، مطبعة نوري القاهرة، 1942، ص 324.

[6]- بطليموس هو كلاوديوس بطليموس (بين 83- 161م) أشهر الفلكيين الإغريق، وهو فلكي ورياضي وفيلسوف، ويعرف ببطليموس الحكيم، اختلف في نسبته إلى اليونان أو مصر، أشهر كتبه المجسطي في الفلك.

[7]- الحسن ابن لهيثم، الشكوك على بطلميوس، تحقيق عبد الحميد صبره، ونبيل الشهابي، دار الكتب والوثائق القومية، مصر 1971، ص 3.

[8]- ابن الهيثم، كتاب المناظر، تحقيق عبد الحميد صبرى، المجلس الوطني للثقافة والآداب مصر، الطبعة الأولى، 1983، ص 62.

[9]- رشدي راشد، وآخرون، موسوعة تاريخ العلوم العربية، ج 3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط 2، 2005، ص ص 1291-1292.

[10]- ابن الهيثم، كتاب المناظر، تحقيق عبد الحميد صبرى، مرجع سابق ص 63.

[11]- افاييه، محمد نور الدين، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة نموذج هابرماس، بيروت، ط:2 1998، ص 28.

[12]- مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، مطبعة باقري، إيران، الطبعة الثاني، ص 944.

[13]- لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تر خليل احمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، م1 ط: 11996، ص 238.

[14]- الرويلي، ميجان، وآخرون، دليل الناقد الأدبي (إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا)، المركز الثقافي العربي، لبنان، الطبعة الثانية، 2002، ص301.

[15]- الحسن ابن لهيثم، الشكوك على بطلميوس، المرجع نفسه ص 4.

[16]- المرجع نفسه، ص 5.

[17]- للمزيد أنظر: رشدي راشد، وآخرون، موسوعة تاريخ العلوم العربية، مرجع سابق، ص 98.

[18]- الحسن ابن لهيثم، الشكوك على بطلميوس، المرجع نفسه، ص 4.

[19]- المرجع نفسه، ص 4.

[20]- المرجع نفسه، ص 4.

[21]- الحسن ابن لهيثم، الشكوك على بطلميوس، المرجع نفسه، ص 4.

مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 1163 – 1172
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

نظرية تقويم التراث عند طه عبد الرحمن

Heritage evaluation theory for Taha Abdel Rahman

طالب دكتوراه جمال بروال[1] د/ بوالسكك عبد الغني
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة باتنة1
مخبر الانتماء: حوار الحضارات والعولمة
djamelphilo@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/01/09 تاريخ القبول: 2021/06/27

الملخص:
لقد كثرت المشاريع الفكرية في الفكر العربي المعاصر، والتي اتخذت من التراث كمنطلق لتحقيق التغيير الاجتماعي والنهوض الحضاري للأمة، حيث قدم أصحابها تصورات ونظريات حول التراث وفق دراسات متعددة المناهج والمرجعيات المعرفية في ضوء مذاهب وتيارات فلسفية وتحليلات مختلفة انشطرت إليها ساحة الفكر العربي الإسلامي.

ولعل من أبرز المشاريع والقراءات المعاصرة التي لها صيتها ووجودها في الفكر العربي المعاصر، نذكر نظرية تقويم التراث عند المفكر والفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن، الذي قام بتقديم قراءة للنص التراثي وفق منحى غير مسبوق يأخذ بالنظرة الشمولية والتكاملية إلى التراث وليس بالنظرة التجزيئية والتفاضلية، وبأدوات مأصولة وليس بأدوات منقولة.

إن هذا المقال يستهدف معرفة أسباب إنشاء طه لنظرية التراث ودواعي الاعتراض على النظريات السابقة، هذا بالإضافة إلى معرفة أهم المقاصد التي يستهدفها هذا الإنشاء، ومظاهر التجديد التي تحملها نظريته التقويمية.

الكلمات المفتاحية: التراث، طه عبد الرحمن، الإنشاء والاعتراض، المقاصد.

Abstract:

There have been many intellectual projects in contemporary Arab thought, which have taken heritage as a starting point for achieving social change and the civilizational advancement of the nation. Their owners have presented perceptions and theories about heritage according to multiple studies and cognitive references in light of different doctrines, philosophical currents and analyzes that have split into the arena of Arab Islamic thought.

Perhaps one of the most prominent contemporary projects and readings that have a reputation and presence in contemporary Arab thought, we mention the theory of heritage evaluation of the Moroccan thinker and philosopher Taha Abdel Rahman, who provides a reading of the heritage text according to an unprecedented approach that takes a holistic and integrative view of heritage and not a partial and differential view, with original tools and not tools Movable.

This article aims to know the reasons for Taha's establishment of the theory of heritage and the reasons for objecting to the previous theories, in addition to knowing the purposes that this creation aims at, and the aspects of renewal that his assessment theory carries.

Keywords: heritage, Taha Abdurrahman, Creation and objection, purposes.

[1]- المرسل المؤلف.

مقدمة:

لقد انشغل الإنسان المعاصر بكثير من القضايا الفكرية، والتي أصبحت تأخذ الطابع المستقبلي للمجتمع، كقضايا الحداثة والعولمة وصراع وحوار الحضارات وحقوق الإنسان وغيرها، ولعل من بين القضايا الملفتة للنظر والبارزة في الساحة الثقافية والفكرية، والأكثر اتساعا وإثارة للجدل نجد قضية التراث، فالتراث يعد بمثابة الشخصية المحددة للمجتمع، ويعطي هوية الأمة وفكرها، ويشكل ثقافتها ويميزها عن باقي الأمم والدول، وبدونه تتفكك وتضمحل. وبذلك يمكن القول أن للتراث أهمية كبرى في حياة الشعوب، فهو الأساس التاريخي لحضارة الأمة والخيط المتين لبناء المستقبل، فالإنسان العربي المسلم يحمل دائما في صدره هم الهوية أو هم الذات، فلا بد له أن يرجع إلى تراثه طالبا فيه ما يقيم أو يقوي به بنية هذه الهوية. فمنذ مطلع النهضة العربية الحديثة والعالم العربي الإسلامي، يسعى إلى تحقيق نوع من التكافؤ بينه وبين الغرب، وهذا في الوقت الذي شهد وضعه تأزما نتيجة تغلغل الفكر الغربي في الفكر العربي في ظل الوجود الاستعماري، ومحاولته بكل أدواته ووسائله القضاء على هوية وثقافة الشعوب العربية الإسلامية ونسف كل مقوماتها الحضارية، فضل الفكر العربي الحديث يصارع التحولات والتغيرات.

ونظرا لهذه الأهمية التي يكتسيها التراث، اقترح العديد من المفكرين والدارسين مع مطلع الستينات من القرن العشرين حلولا للنهوض بالأمة العربية الإسلامية من جديد، حيث ظهرت مشاريع وقراءات نهضوية عربية متعددة ومختلفة في الفكر العربي الإسلامي، والتي ركزت على موضوع التراث والانطلاق منه كقاعدة أولية في عملية تحقيق التغيير الاجتماعي والتنمية الحضارية، ولعل من هذه المشاريع نذكر: مشروع حسين مروة ومحمد عابد الجابري وناصر حامد أبو زيد ومحمد أركون وغيرهم. حيث قدم فيها أصحابها تصورات ونظريات حول التراث بدراسات متعددة المناهج والمرجعيات المعرفية في ضوء مذاهب وتيارات فلسفية وتحليلات مختلفة انشطرت إليها ساحة الفكر العربي الإسلامي.

ولعل من أبرز المشاريع والقراءات المعاصرة التي لها صيتها ووجودها في الفكر العربي المعاصر، نذكر نظرية تقويم التراث عند المفكر والفيلسوف طه عبد الرحمن، الذي قدم قراءة عقلانية وعملية للتراث، والتي تأسست على منهجية معكوسة لمنهجية محمد عابد الجابري، حيث سعى طه من خلال قراءته التقويمية تقديم قراءته للنص التراثي وفق منحى غير مسبوق يأخذ بالنظرة الشمولية والتكاملية إلى التراث وليس بالنظرة التجزيئية والتفاضلية، وبأدوات مأصولة وليس بأدوات منقولة.

إن أهمية هذه الدراسة جاءت لأجل معرفة النظرية التقويمية للتراث عند طه عبد الرحمن، وبالضبط معرفة دواعي نشأتها، وأهم المقاصد الثانوية في نظريته، هذا إلى جانب سعينا على معرفة أهم المظاهر التجديدية التي تحملها، والتي تميزها عن بقية الدراسات السابقة للتراث.

ومنه فإن الأسئلة الإشكالية التي يمكن طرحها في هذا المقال: ما هي أهم دواعي إنشاء نظرية تقويم التراث العربي الإسلامي عند طه عبد الرحمن؟ وما دواعي اعتراضه على النظريات التقويمية السابقة له؟ وما مقاصد إنشاء نظريته؟ وما هي أهم مظاهر التجديد التي تحملها نظريته التقويمية؟

أولا: دواعي إنشاء نظرية تقويم التراث

لا شك أن كل عمل فكري، وإلا تحدده جملة من الدوافع والأسباب، ونظرية تقويم التراث عند طه عبد الرحمن، ليست بمعزل عن هذا الجانب، حيث تقف وراءها عدة أسباب، والتي يمكن تصنيفها إلى صنفين اثنين: أسباب عامة غير مباشرة وأخرى خاصة مباشرة.

1- الأسباب العامة:

وتتمثل فيما أحدثه الصدام بالحضارة الغربية من انقلاب في القيم، والمفاهيم وما ترتب عليه من جهل في فقه التراث، والتطاول على مضامينه وتقطيع أوصاله وتخطئ أصحابه، وتشويهه عند اغلب منتقديه، بإخضاعه لمناهج وآليات خارجة عن تربته. مما أدى إلى وقوع" انقلاب في القيم بين المشتغلين بتقويم التراث، فما كان يجب أن يعظم من معان متأصلة ذهبوا إلى تحقيره من غير تحسر، وما كان يجوز تحقيره من وسائل مقتبسة، ذهبوا إلى تعظيمه من غير تقتر، كما لو أنهم يتنافسون في تثبيط العزائم، وتفريق الشمل عند مخاطبيهم"[1]. هذا الأمر أدى بالدارسين له السير في "مسار معكوس في تقويم التراث"[2]، فكيف يقوم التراث الإسلامي بأدوات منهجية مستمدة من خارجه؟ وهل لهم القدرة على انتقاد المنقول المفصول عنا وتمحيصه واختبار مدى مطابقته لمتطلبات واقع المسلمين؟ كما حدث انقلاب في القيم بين المشتغلين بتقويم التراث، حيث تقلبت المقاصد وتشتت المسالك، فشاع التمويه والتزييف في تقويمه، حتى أضحى ذلك التمويه باطلا مشهورا لا خصيم له.

على ضوء هذا الانحراف القيمي والاعوجاج المنهجي والنأي عن المقاصد، جاء طه بكتابه" تجديد المنهج في تقويم التراث" كرد علمي ومنهجي على هذه الدراسات النقدية للتراث، داحضا أباطيلها وأوهامها، فكان بذلك طلب الحق ديدنه، حيث يقول: "لا جرم أننا نكره الخصومة، لكن الباطل أكره إلينا...لا جرم أننا نحب النصرة، لكن الحق أحب إلينا"[3].

2- الأسباب الخاصة المباشرة:

وتتمثل في الإحساس بالمسؤولية تجاه السكوت عن الظلم الذي يتعرض له التراث العربي الإسلامي، من طرف النقاد من المتفلسفة العرب المندمجين في تيار الحداثة الغربية المزعومة، لذلك قضى ردحا من الزمن متأملا في انقلاب القيم بين المشتغلين بتقويم التراث العربي الإسلامي. حيث يقول طه:" وقد أفنينا قسطا من عمرنا نتأمل هذا الانقلاب في القيم بين المشتغلين بتقويم التراث"[4]، مدركا مقصد هؤلاء المندمجين، وهو "إخراج المتلقي العربي من التعلق بالتراث الذي صنعته أمته إلى التعلق بتراث من صنع أمة سواها"[5]، ذلك لأن" لو فرضنا أن أحدا ترك الاهتمام بتراثه الأصلي، فلا يلزم من ذلك الانقطاع عن كل تراث، بل يلزم منه...أنه سيتجه إلى الاهتمام بتراث غيره، لافتقاره إلى مستند لذاته، فالذي يدعو باسم الحداثة إلى الكف عن الرجوع إلى التراث، والأخذ بالمعرفة الحديثة كما جاء بها الغرب، فإن دعوته لا تعدو كونها تستبدل مكان الانشغال بالتراث الأصلي الانشغال بتراث أجنبي، ذلك أن المعرفة الحديثة تجد سندها في التراث الغربي وتبقى حاملة لسماته وآثاره"[6].

وبعد التأمل في هذا الانقلاب في المقاصد والاعوجاج في المسالك، شعر طه بالمسؤولية الأخلاقية التي ترمى على عاتقه، بتقويم هذا الاعوجاج وتصحيح المسار، ووضع العربة موضع سكتها، حيث يقول: "وقر في صدرنا أن المسؤولية واقعة علينا في الكشف عن خفي الأوهام وعن دقيق التلبيسات التي أنبنى عليها هذا المسار المعكوس في تقويم التراث...وتحقق شعورنا بشغل ذمتنا بواجب التنبيه على ما ظهر فيه من التمويه، فتحركت داعيتنا لوضع هذا الكتاب، حتى لا نسال من الخلق في العاجل ومن الخالق في الآجل، عن صمتنا حيث كان يجب أن نتكلم، وعن تركنا حيث يجب أن نعمل، وحتى لا يقال بأن الحق مطمور لا نصير له ..."[7].

أمام هذا المسار المعكوس في تقويم التراث، كان الشعور بالواجب والإحساس بالمسؤولية لإحقاق الحق، وإزهاق الباطل، أدرك طه أن الانقلاب في القيم يجعل الحق بين الناس أمرا مستورا، والباطل بينهم أمرا مشهورا، فجاء مشروعه الفكري في قراءة التراث، دفاعا عن التراث كونه يعد روح الأمة وقلبها النابض، "طلبا لإظهار ما عظم من مزاياه ولتمحيص ما شاع من الأقوال القادحة فيه، إيمانا منا بأن التراث كان ولم يزل روحا لا حياة لفكر دونها، إلا أن يلقى في أحضان تراث غيره يستلبه استلابا"[8]، ولذلك كان مشروعه الفكري والفلسفي عموما ومشروعه في تقويم التراث خصوصا، هو هدم للباطل، وإقامة لحق زاغت عنه العقول.

إن الاشتغال بالتراث أصبح ضرورة لا تتعلق بالماضي فحسب، بل متصل بالحاضر ومستشرف للمستقبل، الأمر الذي أدى إلى تكاثر التأليف والأعمال التي تتخذ من التراث موضوعا لمختلف المشاريع الفكرية، والتي يختبر من خلالها أصحابها قوة مختلف الآليات المنهجية والعدة المفاهيمية والاصطلاحية المتسلح بها، وهذا بغية الانتقال من واقع ظالم إلى واقع حالم.

ثانيا: أسباب اعتراض طه على القراءات السابقة للتراث

إن سعي طه إلى بناء نظرية جديدة في تقويم التراث روحا ومنهجا، يقتضي منه لا محالة الاعتراض على مختلف المشاريع الفكرية المقاربة لقراءة التراث، والتي سبقت ظهور كتابه سنة 1994 بتمحيصها والتحقق منها علميا ومنهجيا، أي بالنظر إلى حقائقها ووسائلها. ولعل من الأسباب التي دفعت طه إلى الاعتراض على مختلف المشاريع الفكرية في تقويم التراث، نجد:

- الجهل بحقيقة التراث روحا ومنهجا، حيث حصل عند أصحاب المشاريع الفكرية الاندماجية في الحداثة العالمية المزعومة، قصور في التحقق بمعاني التراث، أو قل قصور في معرفة أسرار المناهج التي سلطوها عليه. حيث يقول طه:" والحق أن قلة اطلاعهم على معارفه، وضعف استئناسهم بمقاصده، لا ينازع فيهما إلا من هو أقل علما وأضعف أنسا، ولا أدل على ذلك أمرين: قلق عبارتهم ونقص عملهم، أما قلق عبارتهم فينطبق به على ما انشأوا من أقوال لا تستقيم على أصول التبليغ العربي السليم... وأما نقص عملهم فينبئ عنه إتباعهم الشاذ والغريب من الأقوال..."[9].
- استجلاب المناهج واقتباسها من خارج التراث، تقليدا وجمودا، ذلك أن أصحاب المشاريع النقدية حول التراث استلذوا التقليد، إذ توسلوا بأدوات بحث غيرهم، وتبنوا مفاهيمهم ونظرياتهم، دون أن يحصل عندهم هضم وتمثل تلك المناهج ولا امتلاك ناصية تقنياتها، فعجزوا كل العجز عن الاستقلال - الإبداع الموصول.

فقد أزعج هذا الأمر طه أيما إزعاج، وجعله ينظر إلى هذه الأعمال النقدية حول التراث الإسلامي، على أنها "لا تعدو كونها تمارين يتدرب فيها العربي على استعمال هذه الأدوات المقتبسة"[10].

إن اشتغال طه بموضوع التراث، لم يكن أمرا اختياريا بقدر ما كان أمرا اضطراريا، نظرا لما تعرض له التراث العربي الإسلامي من التعسف المنقطع النظير من طرف رواد الحداثة العربية والمندمجين في رحاب الحضارة الغربية، من أمثال عبد الله العروي، محمد عابد الجابري، محمد أركون، طيب تيزيني، وهشام جعيط وغيرهم، حتى أن بعضهم وصف هذه الظاهرة بمذبحة التراث. يقول طه معبرا عن هذا الأمر "لم يكن همي في بداية أبحاثي الأكاديمية الاشتغال بالتراث، لكنني اضطررت إلى الاشتغال بهذا الموضوع عندما رأيت ما في الأبحاث والدراسات التي أنجزت عن التراث من الخروج عن المقتضيات المنطقية والمنهجية في معالجة هذا الموضوع، ولما كانت تلك الدراسات تستند إلى اقل ما يقال فيها بأنها تعسفية لم

تتردد في أن تسلط على التراث بعض المقولات الماركسية أو البنيوية أو التفكيكية، وهكذا كان الباحث يتقلب بتقلب الأدوات التي كان يستخدمها الغرب، فيقوم باستنساخها وتطبيقها على التراث"[11].

- وأد الشعور بالتراث، بالقدح فيه والتطاول عليه وتشويهه، فأصحاب المشاريع من دعاة الانقطاع عن التراث، والعمل على هدمه، حينما توسلوا باليات عقلانية أيديولوجية من خارج التراث الإسلامي، واهتموا بالمضامين وبالنظرة الانتقائية التفاضلية التجزيئية. فهل يستطيع الإنسان أن ينفصل عن تراثه مطلقا؟ وهل يمكن الانقطاع عن القيم الإنسانية الخالدة؟ إذ لا انقطاع عن كل سابق إلا حينما يستنفذ مكامن الإبداع فيه[12]. كما أن أصحاب هذه المشاريع الخاصة بقراءة التراث، قد ركبوا الفكرانيات المسيسة- الأيديولوجيات- في نقد التراث، وذلك حينما اخضعوا النصوص للقيم التسييسية تحقيقا للتدافع من اجل السلطة*.

- النظر إلى المضامين التراثية، بوسائل مغايرة، فمنهجية المشاريع تم جلبها من مجالات بعيدة عن حقيقة التراث، أي مغايرة عن المجال التداولي الإسلامي، فآلياتهم منقولة من مجالات متنافرة سماها بالآليات الاستهلاكية، وحصرها في صنفين: آليات عقلانية واليات فكرانية (أيديولوجية وبذلك عجزوا في الاستقلال عن مناهج غيرهم، ولم يختبروا تلك الآليات الاستهلاكية في أصولها، ولم يخضعوها للنقد حتى تتضح مواقفهم من القضايا التراثية، فهم عاجزون عن الاستقلال عن تلك المناهج والإتيان بما يقابلها ولو على نمطها[13]. حيث يقول: "فمن يترك نقد أداة لم يتول بنفسه صنعها، لا يبعد أن يكون هذا الترك راجعا إلى عدم التمكن منها، ومن لم يتمكن من الأداة التي يعمل بها، لا يبعد أن يسيء استعمالها"[14].

إن المناهج التي يستخدمها الدارسين والنقاد الغربيين على تراثهم المسيحي واليهودي، لا يمكن إسقاطها وتعميم صلاحيتها على التراث العربي الإسلامي، ذلك لأن اختلاف السياقات التاريخية والاجتماعية والثقافية واللغوية، يفرض بالضرورة تباين آليات ومناهج الدراسة العلمية للتراث.

وتبرئة لذمة المسؤولية، سعا طه لإيجاد منهجية علمية تناسب خصوصية تراثنا، ولا تكون وافدة علينا خارجه أو مسلطة عليه بتعسف، وإنما تكون منهجية نقدية مستمدة من داخل التراث نفسه. يقول طه في هذا المضمار "رغم تقديري لهذه المنهجيات الغربية، ورغم اعتباري للنتائج التي توصلت إليها في تراثها الأصلي، وفائدتها في الوصول إلى نتائج مهمة بالنسبة للدراسات العربية، كنت لا أرى مثل تلك الفائدة بالنسبة لنقلها إلى التراث الإسلامي، فقلت في نفسي لا بد من إيجاد منهجية تناسب خصوصية تراثنا، ولا تكون واردة من خارجه أو مسلطة عليه بتعسف، بل لا بد لهذه المنهجية النقدية أن تنبعث من الداخل، فالمطلوب إذا هو أن تستمد المنهجية التي نقوم بها تراثنا الإسلامي العربي من التراث نفسه"[15]، أي فهم التراث بالتراث ذاته، "إن التراث يجب أن يحاكم بأدوات إنتاجه، فلا يمكن أن يحاكم بأدوات إنتاج تراث آخر"[16].

- الفصل بين المعرفة والسلوك، فأخطر ما في هذه المشاريع في نظر طه الفصل بين المعرفة والسلوك، فهم أصحاب العلم المنفك عن العمل، إذ قطعوا الصلة بالشرع بالسلوك، بالعمل، وقويم التراث يقوم على قطبين: العلم والعمل.

كانت هذه أهم الدوافع التي دفعت طه إلى الاشتغال بموضوع تقويم التراث - كمرحلة استثنائية مؤقتة- آملا النهوض به، وانتشاله من هذا الاعوجاج المنهجي والانقلاب القيمي، الذي جاءت به دراسات وجهود الجابري النقدية، التي اكتسبت هالة معرفية ووجودية في الفكر العربي عامة والفكر المغربي بصفة خاصة. فقد انخرط طه في ملحمة التراث متأخرا، ووجد أمامه ركاما من الأبحاث، مستغربا في الوقت ذاته

الأحكام المتسرعة، التي أصدرها المفكرون العرب في حق التراث. ومن خلال استقرائه لهذه الأبحاث، وجدها أنها تصدر عن رؤية واحدة تتمثل في تجزئ التراث إلى جزر منفصلة، والمفاضلة بين أجزائه، وقد برر طه هذا الأمر إلى إنزال آليات عقلانية وتسييسية عليه، فالعقلاني ينتقي الجوانب العقلانية من التراث والتسييسي يفضل المواقف الثورية التثويرية، حيث يقول طه" تسليط آليات العقلانية النظرية المجردة على التراث... كان لا بد من أن يفضي إلى قطع الصلات بين أقسام التراث، وذلك بانتقاء بعضها، وإسقاط بعضها الآخر"[17].

سعى طه إلى هدم تلك المشاريع، وبيان تهافتها، حيث تعرض في القسم الأول من مشروعه إبطال التقويم التفاضلي للتراث في نموذج الجابري، حيث كشف تقويمه التجزيئي وقصوره الآلي، واشتغاله بالمضامين وتوسله بآليات منقولة، مع نزوحه نحو العقلانية المجردة، والفكرانية المسيسة. فقد وجد في كتب الجابري الثلاث: "نحن والتراث" و"تكوين العقل العربي" و"بنية العقل العربي" النموذج الأمثل لما يخالف نظرته الخاصة لقراءة التراث. ولذلك يصرح قائلا عن هذا النموذج:" أن قراءة الجابري "الابستمولوجية أتت من العثرات المنهجية والثغرات في المعلومات ما قد يرفع قراءته في التراث القيمة العلمية المزعومة، ويشكك في صلاحية استثمار مقرراتها في مجال الدرس التراثي"[18]، كما لا حظ طه، أن الجابري أقحم في تحليله للتراث آليات منقولة، وضعت في أصلها لموضوعات مغايرة لموضوع التراث من قبيل: "القطيعة" و"النظام المعرفي" و"اللامعقول" و"الأكسيومية"... واعتبر هذا التصرف يخرج التراث في صورة لا تحافظ على بنيته في تداخل أجزائها وتساند عناصرها.

ثالثا: مقاصد إنشاء النظرية التراثية: من مقاصد نظرية طه في تقويم التراث نجد:

- زحزحة التقليد الذي غشي تقويم التراث الإسلامي، حيث سعى إلى كشف مختلف أوهام القراءات المعاصرة للتراث، وهدم المشاريع التي وظفت الآليات الاستهلاكية المنقولة، وبيان قصور منهجيات العقلانية المعاصرة، والتي أخذت تفقد دقتها حتى في موطنها الأصلي[19].
- قلب القراءة التراثية، إذ أصبح المحور الرئيس هو الآلية ثم المضمون، لكون الآلية هي التي تحدد النتائج سلفا، فالتراث عندما يقرا بآلية منقولة من بلازما ثقافية خارجية ستقودنا حتما إلى نتائج مترتبة فوق طبيعة تلك الثقافة.
- السعي إلى بلوغ الحقيقة لذاتها، فنقده للقراءات المقلدة، كان نقدا موضوعيا، "كان من باب تصحيح المعرفة وتنويع الإنتاج والاشتراك في طلب الحقيقة"[20]. فهو يقول: "الفيلسوف الحقيقي الأخلاقي بطبعه، فلا يتحزب أو يتقلب...وإنما يطلب الحق حيثما جاز وجوده"[21].
- وضع قواعد جديدة في ممارسة قراءة التراث وهي:

الأولى: التوسل بآليات النص لفهم مضامينه.

الثانية: الاعتماد على ما استجد في باب المناهج الفكرية والفلسفية.

الثالثة: اعتماد آلية التقريب عن طريق نقد الآليات المقتبسة من التراث الأجنبي وتمحيصها، حتى تتبين كفايتها الوصفية أو التفسيرية أي إخضاعها لتحويلات تصحيحية مختلفة.

الرابعة: ضرورة تنقيح وتلقيح الآليات المجلوبة، بواسطة الآليات الإسلامية العربية.

- ضرورة وضع حد للقراءات التجزيئية للتراث، واستبدالها بالقراءة الكلية الشاملة.
- ضرورة التصدي للعقلانية المجردة، وتفاقم التبعية والاستمداد من ثقافة مجالها التداولي مختلف مع الإساءة في فهم كل ما هو مجلوب.

يرى طه بأن الجابري وقع مفارقة ذات وجهين، الوجه الأول انه صرح في كتابه تكوين العقل العربي، بأنه يستند في فحصه للعقل العربي على أرقى النظريات العلمية التي تقارب موضوع العقل، إلا أن ما اعتمد عليه كان متجاوزا ومتقادما في الساحة العلمية، أما الوجه الثاني أساء فهم عبارة فقيه العلم (غونزيت) التي بنى عليها اختلاف العقول باختلاف الميادين المعرفية. حيث يقول طه: "أن التصور العلمي الأرقى للعقل، الذي يدعي الجابري، تحصيله، والتوسل به في بناء نظرية للعقل، مدخول من جانبين اثنين:

أ- تقادم دراسات فقه العلم، أو الابستمولوجيا التي استند إليها.

ب- فساد فهمه لعبارة (غونزيت) إذ حملها على نقيض ما تدل عليه[22].

- الانصراف إلى تحديد الآليات اللغوية والمنطقية وبناء المصطلحات وتحديدها، وتوليد الأفكار من اجل بلورة نظرية جديدة.
- إدانة الوضعية الفكرية في العالم العربي الإسلامي، بوقوعه فيما سماه الآفات التداولية ودفاعا عن الجانب الروحي في الإسلام، بالجمع بين القيمة الروحية والعلم، والقيمة الخلقية والواقع.

أ- إذا كانت أصول التداول هي: العقيدة واللغة والفكر.

ب- وكانت وظائف التداول هي: الإنهاض والإنتاج والتوجيه.

ت- فإن الوضع حاليا لا يحقق هذه الوظائف، ويقع في آفات التداول.

ث- العقيدة عرفت التثاقل والقعود والسهو فتعرضت للتقليد والتجريد والتظاهر.

ج- واللغة عرفت التقصير واللغو والاحتباس فتعرضت للتحجير والإهمال والتدجين.

ح- والمعرفة عرفت التوقف والتكاسل، فتعرضت للاجترار والاستهلاك والتمويه.

وخلاصة الوضعية الراهنة: جحود عقدي، جمود لغوي، خمود معرفي[23].

رابعا- مظاهر التجديد في نظرية قراءة التراث:

لعل من أبرز مظاهر التجديد الطهائي في مقاربة إشكالية التراث نجد ما يلي:

- الاحتكام إلى المجال التداولي الإسلامي روحا ومنهجا، فالتراث، كان انعكاسا وانبثاقا عن عناصر هذا المجال، الذي يشتمل" اللغة المستعملة، والثوابت العقدية، وجانب من الممارسة المعرفية"[24].
- التحرر من أي سلطة فكرية غربية توجه البحث في مجال التراث، وهذا بغية تحصين الهوية وحمايتها من التشويه أو الذوبان.
- وضع ما سماه الآليات الإنتاجية التي رتب قوانينها، وبين خصائصها، فأصبح مشروعه هرما معماريا من المصطلحات والمفاهيم التي تم تشكيلها انطلاقا من تكوينه الروحي والفكري. فقدم منهجا متفردا في دراسة التراث، وكان جريئا إلى ابعد الحدود في بناء نسقه، وفي اعتماد ذاته على طلب الحقيقة، ومن ثمة رمى أصحاب مشاريع تقويم التراث لهذا العصر بالعقم، حيث كشف تطفلهم وبين قصور قدراتهم الفكرية، خاصة باعتمادهم مناهج خارجية، وتقليدها حذو النعل بالنعل، فهو فيلسوف وجهته كانت التميز والاستقلال والإبداع، وليس المطابقة والتبعية والتقليد. فهو يرى أن أهم ما يميز مشروعه هو "الخروج عن الطريق الذي اتبعه مفكرو الغرب والعرب على السواء في تقويم التراث الإسلامي العربي"[25].
- ابتكار صياغة عربية دقيقة ومشرقة للآليات الإنتاجية، صياغة أعادت للبيان العربي توهجه وشموخه، مما تيسرت معها سبل الإقناع، مبطلا باجتهاداته مفعول مشاريع القراءات الجديدة للتراث، بكشفه لعيوبها من حيث مناهجها، وما يدعيه أصحابها من فتوحات في ميدان الفكر.

- نسف كثير من الادعاءات وزعزعة كثير من الأفكار، فقد تهاوى بظهور كتبه في مجال التراث، بعض الرموز التي بلغت شهرتها بعيدا في عالم التنوير والعقلانية والحداثة، حيث كان لاجتهاداته الفكرية الريادة التي تعتد بها معظم العقول على امتداد واسع في العالم العربي للنظر في القضايا الفكرية المصيرية للأمة.
- نسف مسألة القطيعة بين شرق العالم الإسلامي وغربه، بالاحتكام إلى آليات التداخل، حيث قدم رؤية جديدة لمسألة التفاعل بين الثقافات، جاعلا المنقول يتأصل بالتقريب التداولي.
- تجديد علم الكلام، حيث نقله طه من الصراع الأيديولوجي والنظري، حول الصفات والذات ونظرية الجزء الذي لا يتجزأ، والكلام الإلهي وطبيعته... وغيرها من القضايا التي لا يتولد في مجملها إلا الخوض في إنشاء المذاهب والمقالات إلى النظر في منهجها العقلاني الاستدلالي، يقول طه" أن الحوار لا يوجد إلا حيث يوجد الاختلاف في طرق البحث... إذا تواصل الحوار بين الأطراف المختلفة فئات أو أفراد يعطي مع مرور الزمن تقليص شقة الخلاف بينهم" ويردف أيضا بان منهجية الحوار أو المحاورة المستشفة من علم الكلام إنما تسهم كثيرا في توسيع العقل وتعميق مداركه بما "لا يوسعه ولا يعمقه النظر الذي لا حوار معه" ويحقق عن هذا إن المنهجية الكلامية تسعف الفكر العربي الإسلامي المعاصر من إنشاء علاقات جديدة ومثمرة كعلاقة الدين بالعلم وعلاقة العقل بالوحي وعلاقة القول الفلسفي بالإنسان والله[26].

خاتمة:

بناء على ما تم عرضه في هذه المقال، نجد:

أن نظرية تقويم التراث عند طه عبد الرحمن لم تنشأ اعتباطا، وإنما جاءت اعتراضا على النظريات السابقة، وبالأخص نظرية محمد عبد الجابري، هذه النظرية التي اكتست نوعا من الهالة الفكرية - بعد مؤلفه نحن والتراث- حيث اخضع طه هذه النظرية إلى مبضع التشريح والنقد، جاء بنظرية جديدة في تقويم التراث، لم يأت بها الأوائل في مجال المعرفة، حيث جاء بنظرية وصفت الشمولية والتكاملية، منطلقا من قواعد منهجية مستمدة من طبيعة التراث ذاته- المجال التداولي- عقيدة ولغة ومعرفة، حيث توسل فيها منهجيا بآليات مأصولة غير منقولة.

لقد قام بتصحيح أخطاء النقاد العرب السابقين الذين قدموا قراءة للتراث، والتي أوقعتهم في خطا منهجي بارز، والذي أدى بالإخلال بتكاملية التراث، هذا الإخلال الذي أرجعه طه إلى نزعتين اثنتين استحكمت استحكاما في قراءة التراث وهما:

النزعة التجزيئية التي ركزت على الاشتغال بمضامين التراث، والإعراض عن النظر في الآليات والوسائل إلى إنشائه، بينما الأصل في قراءة النص التراثي هو مطالبة النص بالتدليل على وسائله ومضامينه الظاهرة والخفية، ذلك أن المضمون التراثي لا يستقيم حتى يسبقه البحث في الوسيلة التي وضع ونقل بواسطتها. وإذا كان كذلك رد فعل ضد القراءات التفاضلية والتجزيئية للتراث التي تبحث فيه عن نتائج مسبقة، وبأدوات مستوردة.

النزعة التفاضلية، وتتمثل في تقطيع التراث إلى جزر منفصلة، وتفضيل بعضها على بعض، والإبقاء على جزء منها فقط، بدعوى أنه الجزء الوحيد الذي يعيش معنا في هذا العصر ويستجيب لمتطلباته.

بهاتين الخاصين أخل النقاد العرب بأهم خاصية للتراث وهي الصفة التكاملية، فالتراث العربي الإسلامي كل متكامل مكوناته، متداخل عناصره، فلا يمكن فصل مضامينه عن الآليات المنهجية التي تولدت بها.

الاحتكام إلى المجال التداولي روحا ومنهجا في قراءة التراث، كون التراث انعكاسا لهذا المجال بعناصره اللغوية والعقدية والمعرفية.

مساهمة طه في تصحيح مسار الفكر العربي المعاصر، وهذا عن طريق الاجتهاد والإبداع، والنأي عن كل مظاهر التقليد التي أدمنها دارسوا التراث ردحا من الزمن، سواء كانوا من الإسلاميين أو المندمجين في الحداثة الغربية والتي انجر عنها التخلف والجمود، إذ هي تعتبر نماذج فشلت في تقديم منهج علمي محكم يمكن من التعرف على البناء الداخلي للتراث العربي الإسلامي، وبذلك يكون طه قد فتح عهدا جديدا في الممارسة النقدية تقوم على أساس استعادة الثقة بالتراث لا إلى محوه وتحقيره، وإنما مكامن قوتنا تكمن فيه، وذلك باعتباره جزء لا يتجزأ من كينونة امتنا وهويتها.

إن اجتهاد طه، اجتهاد منهجي تصحيحي للمسار المعكوس الذي اتخذه نقاد التراث العربي الإسلامي المندمجين في الحداثة الغربية، وتقويم للانقلاب القيمي الذي وقعوا فيه، وذلك لكون أن ما يجب أن يعظم من معان متأصلة ذهبوا لتحقيره دون أي تحسر، وما كان يجوز تحقيره، ذهبوا إلى تعظيمه وتقديسه وكأنهم يتنافسون في تثبيت العزائم وتفريق الشمل عند مخاطبيهم.

ومنه يمكن القول إن نظرية تقويم التراث عند طه عبد الرحمن مقاربة علمية جديرة بالتقدير والاهتمام، وإنها عمل تجديدي بالنسبة للفكر الإسلامي، لأنه اجتهاد نظري في التراث يخرج عما آلفه الناس من النظريات في هذا المجال، إذ أتى بشيء غير مسبوق في بابه، ولا مطروق في مناهج قراءة التراث عند رجال الفكر الإسلامي. ولعل تحصيل الرجل للمناهج التراثية والمناهج الحديثة وسبر أغوارها وأسرارها، مكنته من القدرة على تجاوز طور التقليد في باب المناهج والنظريات إلى طور الاجتهاد والإبداع فيهما.

قائمة المصادر والمراجع:

1- طه عبد الرحمن، روح الحداثة مدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2006.
2- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط4، 2010.
3- طه عبد الرحمن، حوارات من أجل المستقبل، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2011.
4- طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط4، 2012.
5- طه عبد الرحمن، سؤال العمل بحث عن الأصول العملية في الفكر والعلم، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، بيروت، ط2، 2012.
6- طه عبد الرحمن، روح الدين من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، بيروت، ط3، 2013.
7- يوسف بن عدي، أطروحات عن الفكر العربي المعاصر، منشورات دار التوحيدي، الرباط، ط1، 2015.

الهوامش:

[1]- طه عبد الرحمن: تجديد المنهج في تقويم التراث المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط4، 2012، ص 11.
[2]- المصدر نفسه، نفس الصفحة.
[3]- طه عبد الرحمن: روح الدين من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، بيروت، ط3، 2013، ص 16.
[4]- طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، مصدر سابق، ص 11.
[5]- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط4، 2010، ص 19.
[6]- طه عبد الرحمن: حوارات من أجل المستقبل، الشبكة العربية للأبحاث والنشر بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص16.
[7]- المصدر نفسه نفس الصفحة.
[8]- المصدر نفسه، ص 9.

[9]- المصدر نفسه، ص10.
[10]- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، مصدر سابق، ص 135.
[11]- المصدر نفسه، نفس الصفحة.
[12]- طه عبد الرحمن، روح الحداثة مدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، لبنان، ط1، 2006، ص 39.
* الجابري يتعاطى الفلسفة انطلاقا من انتمائه إلى حزب سياسي يساري، فهو يعد من الفلاسفة القلائل الذين جمعوا بين الاشتغال الفلسفي والعمل السياسي، فرغم إعلانه اعتزال العمل السياسي فإن جل إنتاجه ولد في الفترة التي سبقت اعتزاله، أي تلك الكتابات التي تزامنت مع ممارسته للعمل السياسي الحزبي. كما انه يعد من بين المثقفين العرب الذين اشتغلوا بالثقافة والسياسة في آن واحد، إذ تأرجح طوال مسيرته الفلسفية بين التعمق في قضايا التراث العربي والعقل العربي... وبين الانخراط في العمل السياسي. وكثيرا ما مال إلى اعتقاد، مفاده أن المثقف الحقيقي، هو الذي يجب أن يظل دائما "فوق السياسي"، أي أن المثقف هو الذي يوجه السياسي، وأن السياسات التي يبنيها السياسي، يكون بناءها منبنيا على ما وصل إليه المثقف من التأسيسات النظرية.
[13]- طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، مصدر سابق، ص11.
[14]- المصدر نفسه، ص 42.
[15]- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، مصدر سابق، ص 136.
[16]- المصدر نفسه ص 141.
[17]- طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، مصدر سابق، ص 27.
[18]- طه عبد الرحمن، حوارات من اجل المستقبل، مصدر سابق، ص 25.
[19]- المصدر نفسه، نفس الصفحة.
[20]- المصدر نفسه، ص 27.
[21]- المصدر نفسه، ص35.
[22]- طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، مصدر سابق، ص 44.
[23]- المصدر نفسه، ص 260.
[24]- طه عبد الرحمن، سؤال العمل بحث عن الأصول العملية في الفكر والعلم، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، بيروت، ط2، 2012، ص 39.
[25]- طه عبد الرحمن، حوارات من أجل المستقبل، مصدر سابق، ص 144.
[26]- يوسف بن عدي، أطروحات عن الفكر العربي المعاصر، منشورات دار التوحيدي، الرباط، ط1، 2015، ص ص 251-252.

مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 1173 – 1184
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

من الحتمية إلى اللاحتمية: دراسة ابستيمولوجية في المفاهيم والنتائج

From determinism to indeterminism: epistemological study to the concepts and results

د/ داود خليفة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشلف
k.daoud@univ-chlef.dz

تاريخ الإرسال: 2021/01/01 تاريخ القبول: 2021/05/16

الملخص:

أدت النظرة الميكانيكية للكون إلى الإيمان بوجود شروط ضرورية تحتم وقوع الظواهر متى توفرت، وهذا هو مبدأ الحتمية، فأصبح التصور العلمي للكون مرادفا لتصور خضوعه للحتمية الشاملة، وأن الإيمان بالعلم في ذات الوقت إيمانا بمبدأ الحتمية. ونتج عن ذلك الاعتقاد بانتظام الطبيعة لأن حوادثها مطردة، ويمكن التنبؤ بها متى علمنا شروطها، وقد انسحب هذا المفهوم على الأفعال الإنسانية واعتبارها جزء من الطبيعة تخضع بدورها للحتمية الشاملة. غيـر أن هذا مبدأ سرعان ما تعرض للانهيار في القرن العشرين بتأثير تطور الفيزياء واقتحام عالم الذرة. لقد كشفت الأبحاث في هذا المجال أن العالم دون الذري لا يخضع على العموم للحتمية الصارمة وإنما للحرية والإمكان، مما ترتب عنه تغير التصور من الحتمية إلى اللاحتمية، والإيمان بحرية الإرادة بدل القول بالحتمية المطلقة.

الكلمات المفتاحية: الحتمية؛ اللاحتمية؛ العلم؛ التنبؤ؛ الحرية؛ القانون العلمي.

Abstract:

The mechanical view of the universe led to the belief in the existence of necessary conditions that necessitate the occurrence of phenomena when they are available. This is the principle of determinism, so the scientific perception of the universe became synonymous with the conception of total determinism. This resulted in the belief in the regularity of nature because its events are constant and predictable whenever we know its conditions. This concept has withdrawn from human actions and considered them part of nature subject in turn to the universal determinism. However, this principle collapsed in the twentieth century influenced by the development of physics and the penetration of the world of corn. Research in this field has revealed that the sub-atomic world is not generally subject to strict determinism but to freedom and possibility, the result change from of perception determinism to indeterminism, and the belief to the freedom of the will instead of absolute determinism.

Key words: determinism; indeterminism; science; prediction; freedom; scientific law.

مقدمة:

من النتائج التي أقرتها الميكانيكا النيوتونية تشكّل نظرية الحتمية المطلقة، وبناءً على ذلك، أُعتبر العالم حتميا بصورة مطلقة، سواء تعلق الأمر بعالم الجماد أو عالم الأحياء. وأن الفيزياء النيوتونية هي أفضل لغة يمكن التعبير بها عن هذا التصور الحتمي؛ فالعلاقات والمعادلات الرياضية هي وحدها التي تمكن من التعبير عن الظواهر والإفصاح عنها وتوصيفها.

لكن، سرعان ما بدأت الشكوك تدب إلى هذا المبدأ بتطور العلم واقتحام عالم الذرة، فقد كشفت الفيزياء المعاصرة عن محدودية هذا المبدأ وبطلان مطلقيته، فالقوانين التي تنطبق على عالم الماكروفيزياء ليست هي ذاتها التي يمكن تطبيقها على عالم الميكروفيزياء، باعتباره عالم ينفلت من التحديد المطلق، الأمر الذي أدى إلى تغير التصور والطرح العلميين من الحتمية المطلقة إلى الإقرار بمبدأ اللاحتمية، وتغير القانون العلمي من طابعه الحتمي الصارم إلى طابعه الاحتمالي.

وقد جاءت إشكالية الدراسة كالتالي: ما المقصود بمفهومي الحتمية واللاحتمية؟ وماهي النتائج المترتبة على كلا المفهومين؟

وتكمن أهمية الدراسة في كونها ترصد طبيعة التحول المعرفي الذي نتج عن الثورة العلمية في أوربا بدءاً من منتصف القرن السادس إلى منتصف القرن التاسع عشر، والتي انتهت بسيادة التصور النموذج الميكانيكي وبالصياغة الآلية الميكانيكية للعالم والقول بالحتمية المطلقة. ثم رصد التحول الانقلابي على المبدأ منذ القرن العشرين انطلاقا من نتائج الفيزياء المعاصرة.

أما أهداف البحث فهي التعرف إلى التعرف على أحد المبادئ الأساسية التي قام عليها العلم الكلاسيكي والنتائج التي ترتبت عنه، ونعني بذلك مبدأ الحتمية الذي تبلور من خلاله النموذج الآلي الميكانيكي. ونبيّن أيضا المبدأ المناقض له وهو مبدأ اللاحتمية الذي أقرته الفيزياء الذرية.

1. العلم الكلاسيكي وسيادة الحتمية المطلقة:

كان الاعتقاد بفكرة وجود "النظام" (l'ordre) اعتقادا متكررا في كل المحاولات الفكرية الإنسانية بهدف إيجاد تفسير معقول للعالم، وهو اعتقاد لازم الفكر الإنساني منذ المحاولات الأولى التي بدأت التنظير للوجود وتفسيره، فكانت الوسيلة المثلى لفهم الظواهر بكيفية صحيحة هو الاستناد إلى فكرة النظام، باعتباره «أحد المفاهيم الأساسية للعقل، يتضمن بمعنى عام التحديدات الزمانية والمكانية والقوانين والأسباب والغايات»[1]، ونعتقد أن البحث عن نظام الظواهر ومحاولة إيجاد نظام معقول للكون هو ما أدى لاحقا على صياغة مبدأ الحتمية.

1.1. مفهوم الحتمية: في اللغة العربية: حتّم تعني قضى وحكم، وحتّم الله الأمر: قضاه، وحتّم الأمر: أحكمه، وحتّم عليه الأمر: أوجبه. وبالتالي، فالحتم هـو القضاء أو إيجاب القضاء أو اللازم الواجب الذي لابـد من فعله[2].

ومصطلح الحتمية لم يستخدم في التراث الإسلامي في العصر الوسيط، وإنما استخدم مصطلح الجبرية كمقابل متناقض للقدرية. ولذلك لم يرد هذا المصطلح في المعاجم العربية القديمة.

وفي اللغات الأجنبية: الحتمية سواء في الفرنسية (Détèrminisme) أو الإنجليزية (Determinism) أو الألمانية (Determinismus) كلمة مستحدثة مبتكرة اشتقت وصيغت في القرن السابع عشر، لتعبر عن مدلولين مختلفين لكنهما متصلين[3]:

الأول: يرتبط بالأفعال الإنسانية من حيث إن الاختيار بين الأفعال يمكن تفسيره بالشروط والظروف المحيطة بفاعل الفعل، مما ينفي دور الإرادة وسلبها من الأفعال، أي نفي الحرية والقول بالجبرية.

والثاني: وهو الأصل - والأول ترتب عنه كنتيجة له - هو الحتمية الكونية، الذي يعني أن كل ما يحدث يشكل حلقة في سلسلة الأحداث و الترابطات العلية. وهذا المعنى لمبدأ الحتمية الكونية القائم على مبدأ العلية لم يتشكل إلا مع العلم الحديث، مما يسوغ القول أن هذا المصطلح صيغ منذ القرن السابع عشر فقط.

وهذا المصطلح بكل اشتقاقاته يعود إلى الأصل اللاتيني (Determinere) الذي يعني "المحدد" و"الثابت"، وهو بدوره يعود إلى أصلين في اللغة اللاتينية: حرف الجر (De) الذي يعني "عن" أو "بخصوص" والاسم (terminus) الذي يعني "الحد" أو "النهاية" أو "الهدف"، وأيضا (terminatio) الذي يعني "النهاية" أو "الختام" وأيضا "التحديد". ومن الأصلين - حرف الجر والاسم - نشأ الفعل (Determonatio) الذي يعني "حدد"[4].

وبالمجمل يمكن القول إن الحتمية في الأصل اللغوي أو من الناحية الاتيتمولوجية (الاشتقاقية) تعني التحديد الذي لا مجال فيه لإمكانية أو احتمال آخر. وهذا المعنى هو ذاته الذي يدل عليه من حيث الدلالة الاصطلاحية أو الابستيمولوجية، والذي نعبر عنه في أدبيات فلسفة العلم بـ"مفهوم الحتمية العلمية في الفيزياء".

وتعرّف الحتمية بمعناها الحسي بأنها: «جملة الشروط الضرورية لتحديد ظاهرة معينة»[5]. وهي أيضا القول إن: «كل ظاهرة من ظواهر الطبيعة مقيدة بشروط توجب حدوثها، أوهي مجموع الشروط الضرورية لحدوث إحدى الظواهر»[6]، ويلزم عن هذا، خضوع الظواهر الطبيعية لعلاقات ثابتة، فتصبح كل ظاهرة متوقفة على ما يتقدمها من شروط.

أما بالمعنى العام الفلسفي المجرد فالحتمية تعني أن: «يكون للحوادث نظام معقول تترتب فيه العناصر على صورة يكون كل منها متعلقا بغيره، فإذا ما عُرف ارتباط كل عنصر بغيره من العناصر يمكن أن نتوقع أن يحدث، أو نمنع الحدوث وفقا لمعرفتنا»[7]، أي أن الحتمية تعني أن لكل حادث من الحوادث جملة من الشروط التي توجب حدوثه، فإذا ما توفرت فلا يمكن للحادث إلا أن يقع، وبذلك يفيد هذا المبدأ أن القوانين التي تسري على الطبيعة عامة وثابتة لامجال فيها للصدفة أو العشوائية، فكل ما هو حادث مرتبط بجملة الشروط المحددة له.

وبحسب غاستون باشلار (G. Bachelard 1962 – 1884)، إنه من الصعب تتبع تاريخ الحتمية، ولو أردنا ذلك لوجب علينا تتبع نشأة علم الفلك كله[8]، ولكن يمكن القول إن الحتمية - والحتمية العلمية تحديدا - لم تنشأ إلا في القرن السابع عشر، كنتيجة للتطور العلم الفيزيقي وارتباطه بالمنهج الرياضي فـ«أصبح التصور العلمي للكون مرادفا لتصور خضوعه للحتمية الشاملة، والإيمان بالعلم في ذات الهوية مع الإيمان بمبدأ الحتمية وبالعلاقات المطلقة الضرورية القائمة بين الأشياء في كل الظواهر»[9]. ذلك لأن

مبدأ الحتمية من أكثر المبادئ توافقاً مع العلم والإيمان به ليس سوى الإيمان بالعلم ذاته، إلى درجة أن أُعتبر بعض العلماء أن العلم حتمي بالبداهة.

2.1. نتائج الحتمية: إن النظريات العلمية تحاول أن تكوّن صورة عن الواقع، وقد كانت الصورة المكونة عن الواقع في العلم الكلاسيكي صورة ميكانيكية، ومن المعلوم أن لكل نظرية أو تصور منطلقات تبدأ منها هي مثابة مبادئ، ومنطلقات النظرية الميكانيكية التي تسلم بها هي الإيمان بخضوع الظواهر إلى التتابع، حيث تكون كل ظاهرة سابقة علة لظاهرة لاحقة، وهذا هو مبدأ العلية. وأن الظواهر تخضع لظروف وشروط توجب وقوعها حتما إذا ما توفرت، وهذا هو مبدأ الحتمية.

انتهي العلم الحديث إلى أن المعرفة العلمية هي معرفة تجريبية، تهتم بمدى تطابق المعرفة مع الواقع الطبيعي وأيضا مع الوقائع المدروسة، فتتحدد بذلك المعرفة العلمية من كون مطابقتها لموضوعها الذي تدرسه وللوقائع التي تعبر عنها، ولا يكون القانون العلمي سوى صورة لهذه المطابقة.

تعتبر الفيزياء نيوتن (I. Newton 1727 – 1642) أصدق صياغة علمية لمبدأ الحتمية، حيث تؤدي الميكانيكا النيوتونية إلى القول بحتمية وقوع الظواهر الطبيعية والقدرة على التنبؤ بمستقبلها. والحتمية عند نيوتن كما هي عند أغلب العلماء في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر مطلقة، وبناءً على اعتقادهم المطلق بها رأوا أن الظواهر تسير في اطراد وفق قوانين دقيقة، تفسر هذه الظواهر وتمكننا من التنبؤ بها. هذا، وترتبط بالحتمية ببعض المفاهيم التي تولدت منها ونتجت عنها: كالجبرية، التنبؤ والاطراد... وغيرها.

2.1.أ. الحتمية والجبرية: بالنسبة للجبرية، فإن أصلها الحتمية المنطقية التي قال بها الرواقيون، الذين يرون أن الناس يعتقدون أن كل شيء مقدّر على الإنسان، ومن ثمّ فمن غير المنطقي أن نتحدث إليهم فيما ينبغي أن تكون عليه أخلاقهم، وفي مسؤوليتهم عن أفعالهم. وتطورت هذه النظرة في مجال الدين إلى ما يسمى بالحتمية اللاهوتية أو الدينية، التي يرى أصحابها أنه طالما أن الله عالم وقادر وخيّر بالمطلق، فهذا يعني أن العالم الذي صنعه هو أحسن العوالم الممكنة، ولا مجال للحديث عن حرية الإرادة ضد الله، لأن الله لا يختار بين الخير والشر.

وتعني الجبرية من جهة أخرى، أن كل ما يحدث قد قُدر أزلا وكان حدوثه محتوما، أي أن ما يحدث إنما يحدث وفقا لإرادة الله، ومادام المستقبل داخلا في علم الله المطلق، فإن حدوثه بحسب علمه واجبا[10]. وتتفق هذه النظرة مع موقف القائلين بالجبر المطلق؛ حيث يزعم البعض أن الإنسان مسيّرا لا مخيّر، وأن كل ما يحدث مقدر منذ الأزل، وبالتالي فحدوثه محتوما. ويمكن تلخيص ذلك في رأي زعيم الجبرية جهم بن صفوان (ت 128 هـ) بأنه الذي ينسب حقيقة الأفعال إلى الله، وأنه لا فعل لأحد من الناس، وحده الله الخالق والفاعل، والناس تنسب إليهم الأفعال على المجاز كما تنسب إلى الجمادات.

وقد شكل العصر الوسيط، عصر الدين واللاهوت، مرتعا خصبا ترعرعت فيه الجبرية كنتيجة للإيمان بالمبدأ الغائي القائم على فكرة أن الكون يهدف إلى تحقيق غاية معينة.

إن الجبرية وإن ولدت من رحم الحتمية؛ فإن الحتمية لا تترادف مطلقا مع الجبرية، كون هذه الأخيرة «تعلق ضرورة حدوث الأشياء إلى مبدأ أعلى منها يسيّرها، إنها ضرورة متعالية، والكون نظام مفتوح عليها... وبالتالي فالجبرية تجعل المستقبل هو الذي يحتم الماضي عن طريق الغاية»[11]. أما الحتمية فتكمن في الطبيعة ذاتها، فتجعل الكون نظام مغلق على نفسه يكتفي بعلله الداخلية، لذلك فهي عمياء لا

مرسومة مقدما، وهي حتمية بالنسبة إلى حوادث الماضي لا بالنسبة إلى غايات المستقبل، وهي لا تحابي الناس أو تكرههم، وحتمية لا بالنسبة لأمر خارق للطبيعة بل بالنسبة إلى قانون فيزيائي، غير أنها لا تقل في دقتها وشموليتها عن حتمية المصير، تجعل العالم الفيزيائي أشبه بساعة ملآنة تمر آليا بمراحلها المختلفة[12]، مما يعني في النهاية أن الحتمية تجعل الماضي متحكما في المستقبل عن طريق العلة.

2.1.ب. الحتمية والتنبؤ والاطراد: المقصود باطراد الظواهر هو تكرار حدوها بنفس الكيفية وسريان الطبيعة على وتيرة واحدة. ومن المعلوم أن العلم يهدف من وراء دراسة الظواهر إلى تفسيرها والوصول إلى القوانين التي تتحكم فيها، لذلك كان العلم نسقا منظما من القوانين، فكل ما يحدث إنما يحدث تبعا لقانون ثابت كنتيجة حتمية للوضع الذي كانت عليه الأشياء في الماضي، وهذا الوضع هو بدوره نتيجة حتمية تحددها ظروف وشروط أسبق. وهكذا، فالأحداث تجري بحتمية اللحظة الأولى لتاريخ الكون، ومنذ تحددت اللحظة الأولى والظواهر الطبيعية تسلك مسلكا واحدا لا تحيد عنه، إلى أن تصل إلى النهاية المحتومة[13]، ومعنى ذلك، أن القانون العلمي ليس إلا تعبيرا مباشرا عن المبدأ الحتمي للمسار الذي تسلكه الطبيعة. و بهذا المعنى، فإن الطبيعة محكومة بقوانين حتمية، وهو الأمر الذي سيؤدي بالعلم إلى إمكانية أن يستنبط ويتنبأ بصورة يقينية مطلقة أن كل ما هو حادث سوف يحدث مستقبلا بنفس الكيفية التي حدث بها في الماضي، على أساس أن الحالة الراهنة للكون هي نتيجة ضرورية لحالته السابقة وسببا لحالته في المستقبل كما عبّر عن ذلك بيار سيمون لابلاس (P. S. Laplace 1827 -1749).

لذلك، فمبدأ الحتمية يرتبط بالقابلية للتنبؤ، وأن التنبؤ العلمي يستحيل دون الاعتقاد بالحتمية، حيث إن هناك نسق من القوانين، تمكننا من معرفة حالة الكون في المستقبل معرفة كاملة، إذا ما أضفنا لها معطيات عن حالته الراهنة. ولعل ذلك ما يعنيه لابلاس في صياغته لقانون الحتمية العلمية؛ معتبرا حالة الكون سلسلة متشابكة تُضفي كل حلقة فيها إلى الحلقة التي تليها، لذلك كانت حالة الكون الراهنة نتيجة لحالته السابقة وسببا لحالته التي ستأتي بعد ذلك مباشرة. وإذا تصورنا عقلا فائقا فوق البشر، يعرف كل القوى التي تعمل في الطبيعة، وأحاط علماً بكل المعلومات الدقيقة عن كل الشروط الابتدائية، وحلّ جميع المعادلات الرياضية، لاستطاع أن يستنبط الصورة اللاحقة للكون بكل دقة، ولتنبأ بموضع كل جسم في كل لحظة وبكل القوى التي تؤثر عليه، ويشمل بصياغة واحدة أكبر الأجسام وأصغر الذرات، ولكان المستقبل ماثلا أمامه كالحاضر[14].

يشير هذا المعنى إلى أن مبدأ الحتمية هو أساس التنبؤ، باعتباره الطابع الجوهري للعلم والسند التجريبي لمبدأ الحتمية، والذي هو نتيجة اطراد العلاقات بين الظواهر، ذلك أن وقوع الظواهر في نظر العلم لم يعد ممكنا أو محتملا، بل أصبح ضروريا، وأن الظواهر تحدث بشكل ثابت وواحد لا يتغير، وأن الكيفية التي حدثت بها في الماضي، هي نفسها التي ستحدث بها في المستقبل. إذن ما يبرر اطراد الظواهر هو مبدأ العلية ذاته؛ حيث إن العلة لابد وأن تنتج معلولها باطراد(*). وهذا يعني في النهاية أن القوانين التي تخضع لها الطبيعة في الحاضر ستظل هي نفسها القوانين التي ستخضع لها في المستقبل، وعليه أمكننا القول أن قيمة القانون العلمي تكمن في انطوائه على التنبؤ القائم على حتمية اطراد الظواهر. وبفضل تلك القوانين الحتمية وما تتضمنه من اطراد الظواهر، أصبحنا اليوم «لا نتوسل إلى الطبيعة بل نتحكم فيها، لأننا اكتشفنا بعض أسرارها وسنكشف أسرارا أخرى جديدة. إننا نتحكم فيها بواسطة قوانين لا يمكن أن تطعن فيها لأنها قوانينها هي نفسها»[15]، ومن الواضح إذن أن ثبات ووثوقية تنبؤات العلم هي التي جعلته بهذه القوة.

ومادام المستقبل محكوم بنفس القوانين الصارمة التي تحكم الحاضر، فإن المستقبل سيكون على صورة الحاضر، من هنا فإن إنكار اطراد الظواهر سيفضي إلى الفوضى، وهو ما يتناقض مع العلم الذي ينشد النظام من وراء بناء القوانين، لأن قيمة القانون العلمي تكمن في انطوائه على التنبؤ القائم على حتمية اطراد الظواهر وبالتالي يصبح «القانون العلمي في ذاته هو ضرب من التنبؤ، من حيث هو صيغة تحمل في طياتها إمكان انطباق هذا القانون في المستقبل»[16].

وبصفة عامة، نستطيع القول إن مبدأ الحتمية هو من الشروط الضرورية لقيام النظرية العلمية، ورغم كونه من الشروط الميتافيزيقية عند معظم العلماء، إلا إنه في واقع الأمر يعتبر كمصادرة أو فكرة تكاد تكون من القوانين الأساسية التي تصلح كمقدمات البحث التجريبي. ذلك أنه من الضروري التسليم بوجود علاقات ضرورية تجمع الظواهر بعضها إلى بعض، وأيضا الاعتقاد أن هناك حتمية تقتضي أن تكون ظواهر المستقبل على النسق نفسه الذي جاءت عليه في الماضي والحاضر. وأن هذه الظواهر تحدث دائما بكيفية ثابتة واحدة لا تتغير.

ولذلك كله كان العلم بحاجة إلى مصادرات فلسفية قبلية كالإيمان بالسببية والحتمية وبساطة الطبيعة واطراد الظواهر... التي هي ضرورية كفروض تفسيرية في مجال العلم، وان العلم المنهجي لابد أن يسلم بها من حيث كونها منطلقات البحث، وإلا أصبحت ظواهر الطبيعة مفتقرة إلى عامل نظام. والإيمان بوجود هذا الترابط وهذا الانتظام هو ما يعد مبررا من إمكان انطباق تلك المبادئ القبلية على وقائع المستقبل، وهو الشيء الذي يبرر التنبؤ وتعميم الأحكام.

ولقد ظلت تلك المبادئ قائمة في العلم الحديث كأدوات للتفسير وصياغة القوانين وكأساس للبناء الميكانيكي إلى حدود القرن التاسع عشر، حيث كتبت السيادة للتصور الميكانيكي خلال كل هذه الفترة، فتحولت الفيزياء الميكانيكية منذ القرن السابع عشر إلى نموذج للتفسير أو براديغم فرض نفسه على العقول[17]. غير أن بدايات القرن العشرين سرعان ما كشفت عن انقلاب علمي، ولاسيما بعد ظهور الكثير من المشكلات في التصور الميكانيكي وعجز الميكانيكا الكلاسيكية في تفسير الكثير من الظواهر المكتشفة. ومن أجل إيجاد حلول لتلك المشكلات اتخذ العلم مسارا ثوريا جديدا، كانت أبرز تجلياته ظهور مفاهيم جديدة ضربت أسس ومفاهيم العلم الكلاسيكي وقلبت مفاهيمه وتصوراته، وكان من أهمها القول بمبدأ اللاحتمية بدلا عن الحتمية.

2. مبدأ اللاحتمية:

إن مبدأ الحتمية وما ترتب عنه سرعان ما تعرض للهجوم في القرن العشرين بتأثير تطور الفيزياء واقتحام عالم الذرة، فقد كشفت الأبحاث في هذا المجال أن العالم دون الذري لا يخضع على العموم للحتمية الصارمة وإنما للحرية والإمكان، مما ترتب عنه تغير طبيعة القانون العلمي من قانون حتمي صارم إلى قانون إحصائي احتمالي. وكان من أهم نتائج لذلك هو إحلال مبدأ اللاحتمية محل الحتمية.

وكما هو معلوم، فقد جاءت فيزياء الكم في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين كثورة على نظريات نيوتن، أو على الأقل تطوير لهذه النظريات في إطار الميكانيكا الموجية. ولقد قدم علماء فيزياء الكم تفسيرات تبرر اللاحتمية أي الحرية وتنقض الحتمية، وكنا قد أشرنا فيما سبق إلى معظم رواد هذه الفيزياء الحديثة، وفيما يتعلق بموضوعنا يمكن أن نشير إلى اكتشافات اثنين منهم، هما: نيلز بور (1885 –

N.H.Bohr 1962) وهيزنبرغ؛ لقد اكتشف نيلز بور أن الالكترونات تدور حول النواة في مدارات بيضاوية كما تدور الكواكب حول الشمس، كما اكتشف أن الإلكترون حين يصدر طاقة أو يمتص طاقة أخرى فإنه يقفز من مدار إلى آخر، وحين يدور في أضيق مدار تصبح الذرة في حالة سكون، وتتغير هذه الحالة الساكنة حين يوسع من مداراه، وعندئذ يلتحم مع إلكترون آخر، وهنا يقفز الإلكترون من مدار إلى آخر، مع الجزم باستحالة التنبؤ بتغير مدارات الإلكترون وقفزه[18]، أي أنه أصبح من غير الممكن التنبؤ بمسارات الجسيمات من خلال معادلات الحركة في الفيزياء الكلاسيكية. والنتيجة هي أن ما يقدمه ميكانيكا الكم لا يتطابق بالضرورة مع ما يحصل في الواقع، فحتى التصور الموجي للجسيمات والدالة الموجية ذاتها ليسا إلا تصويرا رمزيا قد لا يمت إلى الواقع بصلة حقيقية.

أما هيزنبرغ فقد صاغ مبدأ اللاتعيين أو اللاتحديد Principe de l'incertitude، وهو مبدأ ينص في فحواه على أنه «من المستحيل أن نعرف بتحديد ودقة الوضع المكاني للإلكترون وسرعة حركته في وقت واحد معا، وإنما يمكننا حساب وضعه المكاني بكل دقة ولا نستطيع حساب سرعته بنفس الدقة، أو حساب دقيق لسرعة حركة الإلكترون دون معرفة وضعه المكاني بنفس الدقة»[19]، إن هيزنبرغ حاول تفسير اللاحتمية في القياسات الفيزيائية بأنه نوع من تأثر المُلاَّحَظ بملاَحِظ؛ ذلك أنه عند قياس موقع إلكترون بتسليط أشعة غاما عليه، فإن الإلكترون سوف يغير من زخمه حال اصطدام فوتون غاما به بحسب تأثير كمبتون (نسبة إلى العالم آرثر هولي كمبتون A. H. Compton). ويطلق تأثير ظاهرة كمبتون على التجربة التي تؤكد الطبيعة الجسيمية للإشعاع - وهي التجربة أجريت عام 1922، وتناولت تأثر الأشعة السينية بالإلكترونات وتشتتها كأنها أجسام) - مما يعني أننا لا يمكن أن نقيس موقع الإلكترون وزخمه في آن واحد بدقة متناهية.

2.1. اللاحتمية وحرية الإرادة: وإذا أردنا أن نتحدث عن اللاحتمية، فإنه يجب أن ننظر إلى نتائج الفيزياء الحديثة، وحتى يكون للحرية والاختيار معنى حقيقي - ونحن نتكلم بلسان كارناب (1891 – 1970 R. Carnap)- ، فإنه من الضروري أن نتطلع إلى لاحتمية الفيزياء الحديثة.

إن مسألة الحرية أو الحتمية - فيما يرى لوي دو برولي (L. De Broglie 1987 – 1882) - لا تطرح لدى الفيزيائي كما تطرح لدى الفلاسفة؛ فليس على الفيزيائي أن يتناولهما من جانبها الميتافيزيقي، بل في إطار ما يدرسه من الوقائع.

إن إيمان الفيزيائي بالحتمية يستند إلى إمكانية التنبؤ بالظواهر المستقبلية، حيث إن «الفيزيائي يرى أن هناك حتمية عند تمكنه معرفة عدد من الحوادث الملاحظة في الحاضر أو الماضي، مع معرفته لبعض قوانين الطبيعة، من التنبؤ تنبؤاً دقيقا بأن ظاهرة معينة قابلة للملاحظة، ستقع بعد وقت معين فيما بعد، فهذا التعريف للحتمية بإمكانية التنبؤ الدقيق هو التعريف الوحيد الذي يقبله الفيزيائي»[20]، إن هذه هي الحتمية كما عرفتها الفيزياء الكلاسيكية، لاشك أنها تثير بعض الصعوبات لأن «في الطبيعة تبادلا عاما للتأثير، وأن حركة أصغر الذرات يمكن أن تتأثر بحركة أبعد الكواكب، ومن ثمّ فإن التنبؤ الدقيق التام بأية ظاهرة مستقبلية، يتطلب مبدئيا علما كاملا بحالة الكون الراهنة، وهو مالا يمكن تحقيقه»[21]. وهذا ما كشفت عنه الدراسات الحديثة في ميدان الذرة، حيث يتعذر التنبؤ الدقيق، ولا يمكن التحديد إلى ما لا نهاية، لأن في ميدان الذرة عند محاولة التحديد أكثر فأكثر الحالات الراهنة، فإننا نصطدم إمكان الزيادة في آن واحد من

دقة جميع المعطيات الضرورية، وهذه هي إحدى النتائج الأساسية لمبدأ الارتياب التي وضعها هيزنبرغ (W. Heisenberg 1976 – 1901)[22].

وبالفعل، فقد جاء البرهان الفيزيائي على ضرب الحتمية والتأكيد على الحرية والإمكان في بدايات القرن العشرين؛ ففي بدايات القرن الماضي، جاء علم الطبيعة المعاصر معلنا ثورته على الحتمية المطلقة في العالم الطبيعي، مثبتا أن هنالك مجالا لما يحدث صدفة أو ما لا يخضع للقوانين المعلومة لدينا أو على الأقل الطابع الاحتمالي - لا الحتمي - لتلك القوانين، مما ينتج عنه عدم إمكانية التنبؤ لما سوف يحدث من بعض ظواهر. ومع تطور العلم في مجال العالم الذري وما دون الذري، أصبح الحديث عن حتمية وقوع الظواهر لا يحظى بالقبول من لدن علماء فيزياء الكم، ذلك أن من المفاهيم الجديدة التي جاءت بها هذه الفيزياء مفهوم اللاحتمية الذي هو تعبير مباشر عن الحرية والإمكان.

إن القوانين التي تحكم العالم الذري هي قوانين احتمالية إحصائية لا حتمية سببية، وهو ما يؤكده رفض معظم علماء الكم لكل التفسيرات العلية لكل ما يحدث داخل الذرة، ويكشف في نفس الوقت وجود عنصر الصدفة قائما في الطبيعة من الناحية الانطولوجية، فإنكار عمومية مبدأ العلية واثبات عنصر الصدفة لما يحدث داخل الذرة ليس إلا قضاءً على الحتمية[23]، والقول بنفي الحتمية إنما هو تأكيد على الحرية، وهذه الحقيقة هي التي يتخذها الفلاسفة سندا علميا يبررون به مذهبهم في حرية الإرادة، مثلما اتخذ أنصار الجبرية المطلقة حتمية قوانين الفيزياء الكلاسيكية كسند علمي لتبرير مذهبهم. وكنتيجة لتطبيق نتائج الفيزياء الحديثة على الأفعال الإنسانية، فانه من المستحيل التنبؤ بصورة دقيقة بمستقبل الفعل الإرادي عند الإنسان قبل حدوثه، وإن كان من الممكن تفسيره تفسيرا علّيا بعد حدوثه. ويمكن تبرير ذلك بالشواهد الآتية[24]:

أولا ليس لقوانين علم وظائف الأعضاء عمومية شاملة مثل قوانين الطبيعة لوجود فروق فردية بين الناس التي لا يحكمها قانون عام. وثانيا ضآلة نصيب التنبؤ بالفعل الإنساني؛ فأقصى ما يستطيعه عالم وظائف الأعضاء من معرفة التغيرات الفسيولوجية من خلايا الدماغ مما يرمز إلى أن انفعالا أو نشاطا عقليا معينا على وشك الحدوث، لكنه لا يستطيع أن يحدد مقدما الفعل الجزئي المحدد الذي سأفعله. وثالثا أن السمات النفسية المتفردة لشخص ما، من التعقيد والتشابك والتداخل وإمكانية التعديل، ما لا يستطيع أحد أن يزعم معرفة بصورة تامة لما سوف يصدر عن الفاعل، كما لا يستطيع الجزم أن نموذج السلوك الفردي إنما هو مطرد ومنتظم، حيث يمكن أن يطرأ على السلوك ما لم يكن في الحسبان. وهذه الاعتراضات إنما تصب في مجملها على الطابع الحر للسلوك وتنفي عنه – في ذات الوقت – الطابع الحتمي له.

ولعل من الأوائل الذين دافعوا عن هذه الفكرة في العلم المعاصر الفرنسي إميل بوترو (1845 - E.Boutroux 1921)، الذي يرى أن كل شيء ممكن تماما، أي أنه ليس ضروريا أو عرضيا، بل هو حر: انه تعبير عن شعور كلي وعقل كلي وقوة أزلية خلاقة.

ويعطي بوترو بعض الشواهد على لاحتمية الطبيعة وعدم التناسب بين العلة والمعلول، حيث «توجد حالات تكفي فيها تغيرات بسيطة قد لا تكون مدركة ولا نستطيع تحديدها بصورة نهائية في إحداث نتائج ذات أهمية بالغة، مثال ذلك حالة اختلال التوازن: فالحبّة التي تسقط من منقار الطير على سفح جبل مغطى بالثلوج، يمكنها أن تحدث انهيارات ثلجية تملأ الأودية»[25]، وعدم التناسب بين العلة والمعلول هنا لا يعني إلا شيئا واحد هو أن تطبيق الرياضيات على الفيزياء لا يعطي إلا نتائج تقريبية، فهناك اعتقاد أنه لو عرفت

كل الأحوال الآلية للظواهر الفيزيائية لأمكن التنبؤ بتعيين مطلق. لكن الأمر هو أمر معرفة القول كل الأحوال يستجيب لشيء واقعي: حيث انه لو وجد عدد محدود من الأحوال الآلية المحددة تماما بالنسبة إلى الظواهر الفيزيائية، هل يمكن أن نقرر انه لا يوجد أي انحراف في السلسلة الإرادية للعلل الآلية؟[26]، وهذا ما يعني أنه لا يوجد تكافؤ كلي وكامل بين نظام الظواهر الفيزيائية. وذلك لأن القوانين الفيزيائية إنما تعبر عن روابط وعلاقات بين أشياء غير متجانسة، وكنتيجة لذلك يستحيل القول أن التالي يتناسب مع المقدم وينتج عنه بالضرورة.

وعندما ننتقل إلى ظواهر أكثر تعقيدا فإن نسبة الإمكان أي الحرية تكون أكبر؛ حيث إن حرية الاختيار ترتبط بمستوى الموجود ودرجة التعقيد المرتبطة بهذا المستوى، ففي حال الإنسان تكون درجة الاختيار أكبر بما يتناسب مع مستواه الأعلى ودرجة التعقيد التي يتمتع بها هذا المستوى، وفي حال الخلية مثلا تكون درجة حرية الاختيار اقل لأنها في مستوى أدنى ودرجة تعقيد هذا المستوى اقل، وتكاد تنعدم هذه الدرجة في الاختيار عند الكائنات اللاعضوية بما يتناسب مع مستواها ودرجة تعقيده. ولذلك كان الإمكان (الذي هو درجة من درجات الحرية) في عالم الحياة أكبر وأظهر، وقوانين الفيزياء والكيمياء لا تستطيع تفسير الظواهر العضوية الحية، لأن الكائن الحي يحتوي على عنصر جديد هو الفردانية بحيث لا يمكن رده إلى عناصر فيزيائية، في حين أن في العالم اللاعضوي لا يوجد تفرد، فالذرة ليست فردا لأنها قابلة إلى الانقسام ربما إلى ما لا نهاية. أما الكائن الحي فيخلق لنفسه فردية ويولد كائنات قادرة هي نفسها على الفردية[27]، وهذا يعني أنه حتى ولو وصلت العلوم الإنسانية أو الاجتماعية إلى قوانين تماثل القوانين الفيزيائية فسيظل كل فرد محتفظا بشيء من الفردانية والخصوصية، وهو ما يمكن أن نستنتج منه أن العالم الفيزيائي لا يقدم لنا شيئا شبيها بالكائن الحي. وعليه نجد في ميدان الحياة لا مكان لمبدأ الضرورة المطلقة إطلاقا، وبالتالي لا يمكن رد العالم الحي إلى منطق الفيزياء[**].

ونتيجة لذلك، يرفض بوترو إرجاع ما هو نفسي إلى ما هو فسيولوجي «فالعالم النفساني يُنظر إليه في ماهيته الخاصة، ولا يمكن أن ينظر إليه على انه انعكاس للعالم الفيزيائي، وإلا فإننا لا نستطيع حينذاك أن نفسر أخلاقياً عدم التناسب بين نوعين من الأفعال بذلا تقريبا نفس القدر من الطاقة الفيزيائية واستهلكا نفس الكمية من الكربون»[28].

ويحدد بوترو من جهة أخرى، طبيعة القوانين العلمية ليكشف أن القوانين ليست ضرورية ويبرز أن الضرورة والتحدد متمايزان تماما مما يسوّغ القول بوجود الإمكان والحرية؛ ففي العلم نوعين من القوانين: «الأولى تعبر عن ضرورة دقيقة، إن لم تكن مطلقة، لكنها مجردة، وهي بذلك تعجز عن تحديد طرق التحقق العملي من الظواهر. والثانية تُعنى بالتفاصيل والعلاقات القائمة بين مجموعات مركبة ومنظمة، وهي أكثر تأثيرا من القوانين الأولى، لكنها لما لم يكن لها أساس آخر غير التجربة، فإنها لا تعد حاملة للضرورة. والتنبؤ الممكن لا يحمل الضرورة لأن الأفعال الحرة يمكن أن تتضمنها»[29]، فالمقصود إذن بالنوع الأول من تلك القوانين هي القوانين الوثيقة الصلة بالرابطة الرياضية أي القوانين التي تستخدم الصياغة الرياضية من حيث أن الرياضيات هي الصناعة الصحيحة والدقيقة. أما النوع الثاني منها فهي تلك القريبة من الملاحظة والتجربة والتي تقوم على المنهج الاستقرائي، وهي التي لا تتضمن الضرورة والتحديد المطلقين بأي معنى من المعاني. والنتيجة التي تلزم عن ذلك أن تلك القوانين تفتح باب الحرية وحرية الإرادة.

وبصفة عامة، رأينا أن مشكلة الحتمية ترتبط ارتباطا وثيقا بحرية الإرادة في الفلسفة، لكنها من جهة أخرى غير ذات تأثير كبير في مفاهيم العلم الأساسية. فالإنسان هو الإنسان سواء اتصف عالمه بالحتمية أو باللاحتمية، لأن كلا الوصفين لا يكون له أدنى تأثير على مسألة الاختيار الحر والسلوك الأخلاقي. لأن الإنسان في الحالتين يستطيع أن يتنبأ بنتائج أفعاله، ليس بيقين كامل، وإنما بدرجة ما من الاحتمال. أما اللاتحديد الذي تتميز به فيزياء الكم فليس له أدنى تأثير... ولا يمكن أن يلعب أي دور. ولهذا السبب فان المفهوم الذي يقيم علاقة بين اللاحتمية على المستوى دون الذري وبين مسألة القرار الحر مفهوما مغلوطا[30]. وبالتالي تبقى مشكلة حرية الإرادة من المشكلات الشائكة والمعقدة، ولا نعتقد أن العلم يستطيع حل هذه المشكلة في بضع سنوات، فيما عجزت الفلسفة عن ذلك رغم جهد آلاف السنين. وبالمجمل فإن «الحرية لم تثبت تماما، فربما كانت منفية من زاوية أخرى... ولكن الأمر المؤكد إنه لم يعد ثمة أي تناقض على وجه الإطلاق بين العلم والحرية»[31]، وذلك لأن الحتمية المناقضة للحرية لم تكن إلا افتراضا تعسفيا أملته ظروف عصر معين، وسرعان ما تم التخلص من الفرض الحتمي بعد تجاوز العصر الذي نشأ فيه.

خاتمة:

في ختام هذه الدراسة، يمكن أن نخرج ببعض النتائج والتوصيات، والتي كانت على النحو التالي:

- الفكر العلمي يشهد في تاريخه من حين إلى آخر فترات تحول تقلب فيها المفاهيم والأسس والمبادئ وتخضع للمراجعة وإعادة التأسيس، لأن المعرفة العلمية بحاجة دائما إلى مساءلات جديدة، بهدف القيام بإعادة تقويم أساسية لحدودها وقدراتها ولمفاهيمها ونتائجها.

- يستند العلم في بناء النتائج على أسس ومرتكزات، لكنها أسس غير ثابتة، حيث سرعان ما تتعرض للتغير بفعل تطور الفكر العلمي، وهكذا كان الشأن مع مبدأ الحتمية الذي كان أساسا للفكر العلمي الكلاسيكي، ولكن سرعان ما تمت مراجعته بفعل الاكتشافات في مجال العالم دون الذري.

- الاعتقاد بمبدأ الحتمية لم يكن إلا محاولة لإيجاد نظام معقول لحوادث الكون، ذلك أن العقل لا يقبل بالتفسير القائم على الصدف والعشوائية والفوضى من حيث هي عناصر تتناقض ومبدأ النظام في الكون.

- من الخطأ تطبيق القوانين التي تخضع لها الظواهر الطبيعية على الأفعال الإنسانية ومن ثمّ القول بالجبرية، حيث يتميز الكائن الإنساني بالفرادة والقدرة على الاختيار، ومن الصعب جدا تعميم القوانين على الأفعال الإنسانية أو القدرة على التنبؤ بمستقبلها. لذلك فالحتمية قد تحد من الحرية الإنسانية لكن لا تلغيها.

- القول باللاحتمية ليس دليلا على حرية الإرادة، إذ لا يمكن أن نغفل تماما تلك الحتميات التي تحيط بالإنسان والتي يسعى دوما إلى التحرر منها، والشعور بالحرية داخل الحتمية ليس إلا وهماً.

قائمة المصادر والمراجع:

1. السيد نفادي، السببية في العلم وعلاقة المبدأ السببي بالمنطق الشرطي، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2006.
2. أندري لالاند، الموسوعة الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 2008.
3. جميل صليبا، المعجم الفلسفي: المجلد الأول، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دط، 1982.
4. رودولف كارناب، الأسس الفلسفية للفيزياء، تر: السيد نفادي، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، دط، د س.
5. سالم يفوت، ابستيمولوجيا العلم الحديث، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط2، 2008.
6. غاستون باشلار، الفكر العلمي الجديد، ترجمة عادل العوا، مراجعة عبد الله عبد الدائم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1983.
7. محمود زيدان، حرية الإنسان في الميزان، عالم الفكر، وزارة الإعلام، الكويت، المجلد 13، العدد1، أفريل – ماي، جوان، 1982.
8. هانز ريشنباخ، نشأة الفلسفة العلمية، تر: فؤاد زكريا، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1968.
9. هنري بوانكاري، قيمة العلم، تر: الميلودي شغموم، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دط، 2006.
10. يمنى طريف الخولي، فلسفة العلم من الحتمية إلى اللاحتمية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2001.
11. Emille Boutroux, De la contingence des lois de la nature, Paris, 2iem éd, 1897.
12. Louis De Broglie, Continu et discontinu, A. Michel, Paris.

الهوامش:

(1) أندري لالاند، الموسوعة الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 2008، ص917.

(2) جميل صليبا، المعجم الفلسفي: المجلد الأول، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دط، 1982، ص442 – 443.

(3) يمنى طريف الخولي، فلسفة العلم من الحتمية إلى اللاحتمية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2001، ص51، ص53.

(4) المرجع نفسه، ص 54.

(5) أندري لالاند، الموسوعة الفلسفية، مرجع سابق، ص267.

(6) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص243.

(7) أندري لالاند، المرجع نفسه، ص26 .

(8) انظر غاستون باشلار، الفكر العلمي الجديد، ترجمة عادل العوا، مراجعة عبد الله عبد الدائم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1983، ص103 وما بعدها.

(9) يمنى طريف الخولي، فلسفة العلم من الحتمية إلى اللاحتمية، مرجع سابق، ص51.

(10) يمنى طريف الخولي، المرجع نفسه، ص60.

(11) المرجع نفسه والصفحة.

(12) هانز ريشنباخ، نشأة الفلسفة العلمية، تر: فؤاد زكريا، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1968، ص101.

(13) يمنى طريف الخولي، فلسفة العلم من الحتمية إلى اللاحتمية، مرجع سابق، ص67.

(14) هانز ريشنباخ، نشأة الفلسفة العلمية، مرجع سابق، ص100 – 101.

(*) لاشك أننا هنا نقع في ما يسمى بـــ"الدور"، حيث نبرهن على اطراد الظواهر اعتمادا على مبدأ العلية، الذي هو بدوره مبدأ يحتاج إلى برهان.

(15) هنري بوانكاري، قيمة العلم، تر: الميلودي شغموم، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دط، 2006، ص98.

(16) السيد نفادي، السببية في العلم وعلاقة المبدأ السببي بالمنطق الشرطي، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2006، ص118.

(17) سالم يفوت، ابستيمولوجيا العلم الحديث، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط2، 2008، ص74.

(18) محمود زيدان، حرية الإنســـان في الميزان، عالم الفكر، وزارة الإعلام، الكويت، المجلد 13، العدد1، أفريل – ماي، جوان، 1982، ص158.

(19) المرجع نفسه، ص159.

(20) Louis De Broglie, Continu et discontinu, A. Michel, Paris, 1941, p58.

(21) Ibid, p 59 – 60.

(22) Ibid, p 61.

(23) المرجع نفسه والمكان.

(24) المرجع نفسه، ص186.

(25) Emille Boutroux, De la contingence des lois de la nature, Paris, 2iem éd, 1897, p 60 - 61.

(26) Ibid, p 67 - 68.

(27) Ibid, p 115.

(**) هناك الفيزياء الردية والفيزياء اللاردية؛ فالفيزياء الردّية كانت نتيجة سيطرة النموذج المعرفي الميكانيكي في العصر الحديث، وترى أن قوانين الطبيعية حتمية ميكانيكية، ومن ثمّ يمكن ردّها جميعا إلى القوانين الفيزيو – ميكانيكية. وعلى العكس من ذلك؛ فإن الفيزياء اللاردية تعتقد بإمكانية ظهور مستويات من الطبيعة تتميز بقوانينها الخاصة التي لا يمكن ردّها إلى قوانين الفيزياء.

(28) Ibid, p 116.

(29) Ibid, p 140.

(30) رودولف كارناب، الأسس الفلسفية للفيزياء، تر: السيد نفادي، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، دط، د س، ص 253.

(31) يمنى طريف الخولي، فلسفة العلم من الحتمية إلى اللاحتمية، مرجع سابق، ص475.

مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 1185 – 1194
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

السعادة من خلال الدراسات المعاصرة
Happiness through Contemporary studies

د/ عبد الله سعيدي[1] **د/ عبد الرزاق سيب**
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة تلمسان
مخبر المعالجة الآلية للغة العربية
sib.abdou@yahoo.com Saidi.nlp@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/01/10 تاريخ القبول: 2021/09/15

الملخص:

تسعى الدراسة الحالية لتَبْيِين ما توَصَّلَت إليه الدراسات الحديثة حول مفهوم السعادة، باعتبارها إحدى المفاهيم الهامَّة جِدًّا في العديد من العلوم كالعلوم الاقتصادية، وعلم النفس وغيرها من العلوم.

ولهذا فقد تَطَرَّق الباحثان من خلال هذه الدراسة إلى النقاط التالية: تعريف السعادة، ثم الآيات القرآنية المتعلقة بالسعادة، بالإضافة إلى السعادة من منظور إسلامي، كمَا تمَّ ذِكْرُ فسيولوجيا السعادة، والإشارة إلى أَبْرَز النتائج المتَحَصَّل عليها من العوامل المحددة للسعادة، وخِتَامًا تمَّ الحديث عن الطالب الجامعي وعوامِلُ السعادة.

الكلمات المفتاحية: السعادة؛ العوامل المحددة للسعادة؛ الطالب الجامعي؛ علم النفس الإيجابي.

Abstract:

This study aims at shedding light on the fact to show the way the contemporary studies have dealt with the concept of happiness as being one of the most important concept used in many sciences such as: Economics-psychology-and so on.

For such a deal we did first define happiness. Then we stated some of the Quranic verses related to it. Then we did show its psychology and its characteristics. At last we spoke about the student at the university and the factors of his or her happiness.

Key words: Happiness; Factors of happiness; Students at university; Psychology.

مقدّمة:

كانت فترة رئاسة الدكتور والباحث الأمريكي مارتن سليجمان للجمعية الأمريكية لعلم النفس؛ فترة حاسمة في المجال السيكولوجي. حيثُ سَاهَمَ بِمَعِيَّةِ باحثين آخرين في وَضْعِ أسس لمجال جديد يَتَعَلَّقُ بالسيكولوجية الإيجابية.

إنَّ هذا التخصص جاء تَدَارُكًا لاقتصار الباحثين والمختصين النفسيين لعقُود من الزَّمَن على علم النفس العيادي، وبالتالي فإنَّ علم النفس الإيجابي جاء ليدرس الجوانب الإيجابية ومَكَامِن القوَّة في الإنسان، والمجتمعات وكذا المؤسسات بِشَتَّى أنواعها، ومِنَ المجالات البحثية لعلم النفس الإيجابي نَجِدُ السعادة.

من خلال الانطلاقة الفِعْلِية لعلم النفس الإيجابي شَهِدَت السَّاحَة العِلْمِيَة؛ دراسات كثيرة في مجال السعادة. وكلٌّ يَدْرُسُها انطلاقا من مَجَال بحثه، سواء المختصين في المجال الديني، أو في المجال الفلسفي، أو في المجال التشريحي، بالإضافة إلى مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية.

[1] المؤلف المرسل.

تتمثَّل أهمية الدراسة في التَّعْرِيف بالنتائج المُتَحَصَّل عليها من الدراسات النفسية، ومنها تتجَلَّى أهمية الإحساس بالسعادة في حياتنا اليومية، فقد توصلت الدراسات إلى أنَّ:

1- "السعادة تُوَسِّعُ آفَاق فكرنا، وتجعلنا أكثر مرونة وإبداعا، واسْتِيعَابًا للصورة الأَشْمَل.

2- تتَعَمَّق السعادة بمرور الوقت وتَجْعَلُ منَّا أَشْخَاصًا أَفْضَل، بَعْدَ أنْ تُوَلِّدَ بداخلنا الصداقة والحكمة والقوة التي نَحْتَاجُهَا لمواجهة التحديات.

3- تُكْسِبُنَا الصلابة في مواجهة الصعوبات، إذْ تُؤَهِّلُنَا السَّعَادة–بِمَا يُصاحبُهَا من مشاعر إيجابية- جسديا وعقليا للتعاطي مع الضغوط والمشكلات المفاجئة"[1].

4- إنَّ السعادة هي التي تُؤَدِّي بالفرد إلى النجاح، باعتبار أنَّ المُعَادَلَة الجديدة في علم النفس الإيجابي المتَعَلِّقَة بالنجاح والسعادة تتَمَثَّلُ في أنَّ السعادة تَسْبِقُ النجاح.

وفيما يلي الإشكاليات الخاصة بهذه الدراسة:

أ- ماهية السعادة؟

ب- فِيمَ يَتَمَثَّلُ المنظور الإسلامي للسعادة؟

ج- فيمَ تَتَمَثَّلُ الدراسات الخاصة بفسيولوجيا السعادة؟

د- ما هي أبْرَزُ النتائج المُتَحَصَّل عليها من العوامل المحَدِّدَة للسعادة؟

هـ- ما الذي يُؤَثِّرُ على سعادة الطالب الجامعي؟

تعريف السعادة:

يشير عبد الوهاب (2006) إلى أنَّهُ يُمْكِنُ تعريف السعادة من المنظور الديني على أنَّها "ذلك الشعور المستمر بالغبطة والطمأنينة والأريحِيَّة والبهجة ويأتي هذا الشعور نتيجة للإحساس الدائم بخيرية الذات وخَيْرية الحياة وخيرية المصير"[2].

عرَّفَهَا رايو وجاري Rayo & Gary (2007) على أنَّهَا "خبرات انفعالية مُبْهِجَة وإيجابية تشمُلُ الشعور بالبهجة والتفاؤل والسرور، والفرح، وحب الحياة، والنَّاس، والإحساس بالقُدْرَة على التأثير في الأحداث المُحِيطَة"[3].

الآيات القرآنية المتعلقة بالسعادة:

فيما يلي أبرز الآيات القرآنية[4] التي أشارت لكلمة السعادة أو كلمات قريبة منها في المعنى:

- ﴿طه (1) مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ (2)﴾ (طه: 1- 2).
- ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ (مريم: 4).
- ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: 97).
- ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (105) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (106) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (107) ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (108)﴾ (هود: 105-108)
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الأحقاف: 13).

التعليق على هذه الآيات القرآنية المتعلقة بالسعادة هو كما يلي:

- الآية القرآنية الأولى لها إشارة إلى الجانب الروحاني والذي له علاقة مهمة بمصطلح السعادة، نفس الأمر مع الآية الثانية والثالثة والخامسة.

- وردت كلمة (حيوة طيبة) في الآية الثالثة؛ ولها علاقة بالسعادة، وممَّا هو مُلاَحَظ بخصوص هذه النقطة من التعليق، أنَّ الباحث الأمريكي مؤسس علم النفس الإيجابي مارتن سليجمان كانَ يُشِيرُ ويُنَاوِبُ أحيانا بين كلمتي (السعادة) و(الحياة الطيبة)؛ في كتابه (السعادة الحقيقية).
- نَجِدُ في الآية الرابعة ذِكْر كلمة (سعيد) ويقابلها كلمة (شقي).
- ورد في الآية الخامسة عبارة (لا خوف عليهم ولا هم يحزنون). رَغْمَ أنَّهَا لم تُذْكَر هنا كلمة السعادة إلاَّ أنَّ هذه العبارة في مفهومها إشارة إلى الحياة السعيدة التي يحْصُلُ عليها عباد الله المؤْمِنين.

السعادة من منظور إسلامي:

نجد الإسلام يبني أساس السعادة البشرية "على مبْدَأ الواقع أو الفطرة، وينْظُر إلى الإنسان نظرة السماء الدقيقة ويُؤَسِّس سعادته على فِطْرَتِه الواقعية وجِبِلَّتِهِ التي جُبِلَ عليها. إنَّهُ ينْظُرُ إلى الإنسان من جميع جَوَانِبِهِ المادية والمعنوية، الروحية، والجسدية، ويَحْسِبُ لكُلِّ جانبٍ حِسَابَهُ الخاص"[5].

وتُضِيفُ الباحثتان: "أن التعاليم الإسلامية تَسْتَنِدُ إلى الفطرة المُودَعَة مِنْ قِبَل الله في خَلْقِ الفرد، والتي لا تتَغَيَّرُ ولا تتَبَدَّلُ أصلا، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: 30)، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: 33).

وتَخْتِمَان قولَهُما: "إذًا فإنَّ الإيمان بالله، وتزكية النفس وتطهيرها من الجرائم والآثام، والمواظبة على التَّحَلِّي بالفضائل الإنسانية تُشَكِّلُ حجر الأساس في بناء سعادة البشر، وتُعَدُّ من المناهج المُهِمَّة التي يتَّخِذُهَا الإسلام في هذا المَجَال"[6].

وقد ورَدَ عن الشيخ الصفار حسن "... جاء هذا الدِّينُ من أجل إيصال الإنسان إلى السعادة الحقيقية وبأفضل الطرق. إن الدِّين يرى أنَّ حياة الإنسان... تَمْتَدُّ إلى دار الآخرة، وبالتالي فَهُوَ مَعْنِيٌّ بإرشاد الإنسان إلى توْفِير السعادة في الدَّارين"[7].

ويُضِيفُ الصفار قائلا: "إنَّ التأمُّل في النصوص الدينية التي تناولت موضوع السعادة يكْشِفُ عن ثلاثة أبعاد للسعادة، فبالأبْعَاد الثلاثة يتكامَلُ تحقيق السعادة في حياة الإنسان، ويَضْمَنُها في مُسْتَقْبَلِهِ الأُخْرَوي:

1- البعد الروحي والنفسي: يتَمَثَّل في الإيمان بالله سبحانه وتعالى، والثقة به، والتوَكُّل عليه، والرضا بقضائه وقَدَرِهِ، وهُوَ ما يُعْطِي لحياة الإنسان مَعْنًى وقِيمَة... كما أنَّ الصفات النفسية المُتَوَلِّدَة من خلال الإيمان، تَمْنَحُ الإنسان التفاؤل والأمل والرَّجاء، فتَكُونُ إمكانيته للصمود أَمَامَ المشاكل والصعوبات والأزمات إمكانية عالية.

2- الانسجام الاجتماعي: كلَّمَا كان الإنسان أكثر توافقا وانسجاما مع بيئته ومحيطه الاجتماعي كان أَقْدَر على تحقيق السعادة في حياتِهِ.

3- الرَّفَاه المادي: تَوَفُّر الرفاه المادي والرخاء الاقتصادي، أَحَد عوامل تحقيق السعادة"[8].

فسيولوجيا السعادة:

السعادة تُنَشِّطُ الجسد كلَّهُ: يرى دين جيريمي (2016) Dean Jeremy أنَّهُ "بِفَضْلِ دراسة جديدة، أصبح لدينا الآن لأوَّل مَرَّة خريطة للروابط بين المشاعر والأحاسيس الجسدية. فقد أثار باحثون من فنلندا مجموعة من المشاعر المختلفة لدى 701 مشارك، ثم طلبوا منهم تَلْوِينَ الأجزاء التي شعروا بزيادة النشاط فيها أو انخفاضه في خريطة لجسم الإنسان.

والخرائط الجسدية للمشاعر الستة الرَّئيسَةُ؛ هي: يُشِيرُ اللون الأصفر إلى أعلى مستويات النَّشَاط. ويتبعُهُ اللون الأحمر، ويُعَبِّرُ اللون الأسود عن قيمة حيادية. بينما يعبِّر اللونان الأزرق والأزرق الفاتح عن نشاط منخفض وشديد الانخفاض؛ على التوالي"[9].

شكل رقم 1: الخرائط الجسدية للمشاعر الستة الرئيسة حسب الباحث دين جيرمي

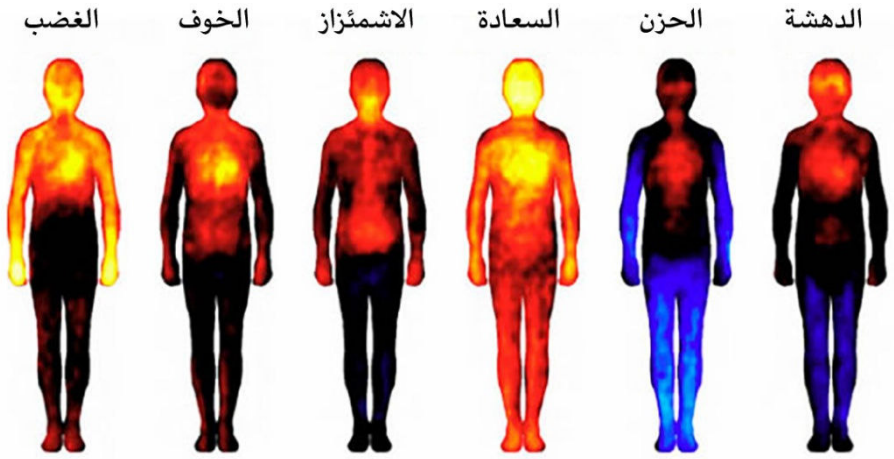

دين، http://www.hindawi.org/blogs/85172962/

حيث نجد أنَّهُ "من المُدْهِش أنَّ السعادة هي الشعور الوحيد الذي يغْمُرُ الجسد كلَّهُ بالنشاط، بما في ذلك الأَرْجُل؛ ممَّا قد يشير إلى شعور الأشخاص السعداء بالاستعداد للانطلاق أو رُبَّمَا أداء قفزة سريعة"[10].

هرمون السعادة: تقول شارون جانيس Sharon Janis (2010): "في الدوائر الطِّبية، يُمْكِنُ نِسْبَة تجربة السعادة إلى وجود وَفْرَة مناسبة من الناقل العصبي الكيميائي السيروتونين في الدماغ. عندما تَكُونُ مُسْتَوَيَات السيروتونين في الدماغ منخفضة جدا، يُمْكِنُ تَوَقُّعُ أنْ تُعَاني أيضا من انخفاض في شعور خاص بالرَّفَاه الشخصي الذي يتِمُّ وصْفُه بشكل عام بكلمة السعادة"[11].

وممَّا تُضِيفُهُ شارون قائلة: "العديد من الأدوية المضادة للاكتئاب الشائعة تَعْمَلُ إمَّا عن طريق زيادة كمية السيروتونين الخاص بك في الدِّماغ، أو عن طريق زيادة تقَبُّل الدِّماغ للسيروتونين. ومَعَ ذلك، وجود الكثير من السيروتونين في الدماغ يُمْكِنُهُ خَلْقُ مشاعر الحُزْن والتعاسة أيضا. لذلك، الْتِمَاسُ اللجوء إلى السعادة الكيميائية وَحْدَهَا يمْكِنُ أن يكُونَ مُوَازَنَة صعبة للغَايَة من حيث العمل على المدى الطويل"[12].

وحسب نفس الباحثة نَجِدُ علماء قد رَأَوْا "أنَّ البشر قد تَطَوَّرُوا فِعْلاً لِيَكُونُوا غير راضين، ممَّا يُشيرُ إلى أنَّ هؤلاء كانوا في وَقْتٍ أَسْبَق عُرْضَةً لمُحَاوَلاَت أصعب قليلا للحصول على الضروريات ووسائل

الراحة من الحياة. لعَلَّ هذه السِّمَة من عَدَم الرِّضَا كانت إلهاما لهم للاصطياد أفضل قليلا. لتُخبئ بعيدا المزيد من الطعام؛ أو لإيجاد وسيلة للحفاظ على ما هو أكثر دفئًا قليلا؛ هذه الممَارَسات التي يُمْكِنُ أنْ تَكُونَ زيادة احتمال حياة أطول. مع هذه الحياة الأَطوَل؛ جاءت فرص عديدة لتمرير جِينَات عَدَم الرِّضَا لأجيال قادمة"[13].

وممَّا نبَّهت إليه المؤلِّفَة شارون جانيس: "أنَّ تجربتنا في السعادة تعتمد عموما على كيفية تفسير الأمور، فإذَا كُنَّا نعتَقِدُ بِعَدَم رِضَانَا فَنَحْنُ كذلك، والعكس صحيح"[14].

نصيحة ختامية من الكاتبة جانيس تتمثَّلُ في: دعْوَتِهَا للباحثين الذين شَهِدُوا بعْضًا من الاستياء من حياتهم، الباحِثِينَ عن شُعُور أَكْثَر بالرِّضَا الكَامِل والإيجابية كلها والسعادة، المُفَسِّرين شعورهم بعدم الرضا كَعَلاَمَة على التعاسة لا يُمْكِنُ تَجَنُّبُهَا. إلى النَّظَر إلى كُلِّ هذا بإيجابية على أنَّكَ تَنْمُوا وعلى خَلْقِ عَالَم خارجي يَعْكِسُ بشكل أفضَل وَيُغَذِّي الروح المُتَطَوِّرة الخاصَّة بك[15].

مكان السعادة في الدماغ: قام "ريتشارد دافيدسون Richard Davidson الباحث في مجال السعادة بجامعة وِسْكُونْسُون، بتحديد مكان السعادة في الدماغ حيث تقع في الفص المُقَدَّم الجبهي الأيسر، فَهُنَاك تظهر موجَة حادَّة ومستمرة بالنَّشَاط الكهربي عندما يَكُونُ الشخص سعيدا. هذا الارتفاع في نشاط الفص المقدَّم الجبهي الأيسر، يرتبط بارتفاع الوظيفة المناعية وانخفاض معدلات الوفاة، كلاهما بنسبة 50٪؛ علاوة على هذا تُبَرْهِنُ الأدلة أن الإنسان يُولَدُ باستعداد لمثل هذا النشاط. مثلا، يَقِلُّ احتمال انخراط الرُّضَّع ذوي النشاط المُرْتَفِع بمنطقة مقدمة الجبهة بشكل طبيعي في نوبَة البكاء عند مغادرة أَحَد أبَوَيْهِم الغرفة.

كما وجد ديفيدسون روابط بين نشاط جزء مقدمة الجبهة الأيسر وبين مُعَدَّلاَت الدوبامين التي تُفْرَزُ في النَّوَاة المُتَّكِئَة وانتشار مُسْتَقْبِلاَت الدوبامين عالية الفاعلية عبر المنطقة الحَوْفِيَة؛ فيبدو أن الإثارة الحَوْفِيَة مُرْتَبِطَة فقط بالمُتْعَة (المخدرات، الطعام، العلاقات الحَمِيمَة).

وترتبط إثارة الفص المُقَدَّم الجبهي الأيسر مع الإثارة الحَوْفِيَة بالسعادة. وهُنَا يَكْمُنُ الاختلاف بين السعادة والمُتْعَة: فالسعادة هي متعة ذَاتُ مَعْنَى؛ ومُرْتَبِطَة بنشاط عقلي.

يَعْزُو داتشر كليتنر من جامعة كاليفورنيا النشاط المُقَدَّم الجبهي الأيسر؛ وما يَتَرَتَّبُ عليه من مَوْجَة دوبامين مُعَزَّزَة؛ بالإحساس بالاقتراب من تحقيق هدف مُهِم"[16].

أَبْرَزُ النتائج المُتَحَصَّل عليها من العوامل المُحَدِّدَة للسعادة:

السيادة الجِينِيَة: فيما يلي يُوجِزُ كُلٌّ من ليري مارك وهويل ريك Leary Mark & Hoyle (2018) Rich خُلاَصَة الدراسات المتَعَلِّقَة بالجينات والوراثة التي تُؤَثِّرُ في سعادة الأفراد، فيقولان: "يبدو أنَّ هناك مُكَوِّنًا وراثيا جَوْهَرِيًّا لِرَاحَة البَال الذَّاتِيَة، يُسْهِمُ في استقرارها نسبيا عَبْرَ أَمَد حياة الفرد ويَجْعَلُ بعض الأفراد أكثر استعدادا للسعادة؛ وبعضهم الآخر غير سُعَداء. حتَّى لو كان نِصْفُ الفروق الفردية في السعادة تُعْزَى للتأثير الوراثي"[17].

سمات الشخصية: يقول كُلٌّ من ليري مارك وهويل ريك Leary Mark & Hoyle Rich (2018) أنَّ العديد من الدراسات أَظْهَرَت أنَّ "الانبساط يُنْبِئُ بدرجة مُتَوسطة إلى قوية بانفعال إيجابي، والعصابية منبئ قوي بالوجدان السلبي"[18].

السِّن: من خلال الدراسات الحديثة حول العلاقة بين العمر والسعادة، تبَيَّنَ أنَّ:

- الأشخاص الأكبر سِنًّا لا يُبْدُونَ أكثر تعاسة مقارنة بمُتَوَسِّطِي العُمْر أو الشَّبَاب.
- السعادة لا تتأثَّرُ بتغيُّر نمط الحياة المُصَاحِب لعملية التَّقَدُّم في العُمْر.
- يرى البعض أنَّ السعادة قد تزداد مع التقدم في العمر، وأنَّ السعادة قابلة للتطور مع مُضِيِّ مراحل الحياة، لأَنَّ التغيُّرات التي تُصَاحِب تَطَوُّر العُمْر من شأْنِهَا تنظيم المشاعر[19].

العمل: فيما يلي إحدى الدراسات الإِمَاراتِيَة حَوْلَ السعادة في العمَل، حيث تمَّ "استطلاع رأي 154 مُوَظَّفا من مُوَظَّفِي الحكومة عن السعادة في العمل، وذلك حسب الجنس والمستوى الوظيفي، وتَوَصَّلَت نتائج الاستطلاع إلى ما يلي:

- نسبة 55٪ من فئة الذكور سعداء في عملهم، أمَّا نسبة السعيدات في عملِهِنَّ فهو 43٪.
- التشجيع والتقدير أهم عَامِل من العوامل المُؤَثِّرَة على السعادة في العمل، من وُجْهَة نظر موَظَّفِي الحكومة بشكل عام[20].
- أهمُّ عامل يَجْعَل الموظَّف سعيدا في عمله من منظور العاملين الذكور هو الاستقرار الوظيفي في العمل.
- أكثر عامل يجعل الموظف سعيدا في عمله من منظور العاملات الإناث هو التشجيع والتقدير.
- أكثر العوامل المؤثرة على السعادة في العمل؛ وذلك حسب المُسْتَوَيات الوظيفية هو (التشجيع والتقدير)، ويليه (الاستقرار الوظيفي في العمل)[21].

الصحة وسلامة الجسم: تشير الدراسات والأبحاث إلى أنَّ:

- السعادة تُنْبِئ بطول العمر لدى الأشخاص الأصحَّاء، فهي تحمي الشَّخص مِنْ أَنْ يُصْبِحَ مريضا. (حسب دراسة فينهوفن الشاملة التحليلية لثلاثين دراسة تتَبُّعِيَة).
- الرِّياضِيين يَمِيلُون إلى كَونِهِم أسْعَد إلى حَدٍّ ما مِن غير الرياضيين.
- الأشخاص الذين يتناولون الأطعمة السريعة، يميلوا لأن يكونوا أقَلَّ سعادة إلى حَدٍّ ما. (حسب دراسة دانماركية)[22].

وضوح الأهداف: تَبَيَّنَ من خلال الدراسات المختلفة، ما يلي:

- الذين ليس لهم هدفا محَدَّدًا يشعرون بالتعاسة و70٪ ممَّن لديهم هدفا يشعرون بالسعادة (حسب دراسة ليبر1996 Lepper).
- زيادة السعادة بشكل واضح إذا كانت الطموحات مُتَنَاسبة مع القُدُرات. (حسب دراسة دينر وفوجيتا 1995 Diener & Fujita).
- الشعور بالسعادة مُرْتَبِط بِمَدَى تَنَاسُق الأهداف. حسب الدراسة التي قام بها جيلبرت وويلسون (1997) Wilson & Gilbert على مئات الناس عبر 10 سنوات. كما أنَّ تناسق الأهداف هو السبب في 80٪ من الشعور بالرضا[23].

الطالب الجامعي وعوامل السعادة: ممَّا تَمْتَازُ به المجتمَعَات العربية هو وُجُود "أزمات سياسية واقتصادية واجتماعية، وهي بحاجة إلى الأخذ بكافة المتَغَيِّرَات الإيجابية، سواء على المسْتَوَى الفردي أو على المستوى المُجْتَمَعِي، ليس من أجل المساعدة على تخفيف المعاناة الجسمية والنفسية والاجتماعية لدى الأفراد فحسب، وإنَّما لرفع كفاءتهم في مواجَهَة أحداث الحياة الضَاغِطَة ومشكلاتِهَا اليومية، والإفادة من علم النفس الإيجابي في تحقيق التنمية البشرية والاجتماعية والوصول إلى مستوى مناسب من الصحة النفسية للمجْتَمَعات العربية بصفة عامة"[24].

وممَّا هو مُلاَحَظ أنَّهُ" كثيرا ما تَنْعَكِسُ التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي يخضع لها المُجْتَمَع على مؤسساته المختلفة، ما يزيد من اهتمام الباحثين بدراسة التحولات التي تطرأ على المجتمع بِفِعْل التأثير المُتَبَادَل الذي يُمَيِّزُ المُجْتَمَع وَمُخْتَلَف المُؤَسَّسَات التي يَتَشَكَّلُ منها، حيث تُطْرَحُ مفاهيم جديدة للدراسة والبحث"[25].

وفي هذا الجانب بالضبط يَجْدُر الإشارة إلى الطالب الجامعي باعتباره عضوا في مؤسسة أكاديمية، المُتَمَثِّلة في الجامعة، هذه الأخيرة التي يلزم أن يَعْمَلَ مَسْئُولُوها والعاملون فيها على تحقيق السعادة والرفاهية

النفسية للطلبة الجامعيين فيها، من خلال تهيئة بيئة آمنة تَصْلُحُ للدراسة الجامعية والبحث العلمي، وكذا تنمية شخصية الطالب في جميع جوانبها.

حيث تَرَى منى القرني (2018) "أنَّ الطالب يَشْعُر بالسعادة والهناء الدراسي عندَمَا يَكُونُ مُسْتَقِلاً في اتخاذ قراراته التي تتعلَّقُ بدراسته، ولديه القدرة على تنظيم انفعالاته الأكاديمية، ويستطيع مواجهة ما يتعَرَّضُ له من ضغوط ويَعْتَقِدُ في كفاءَتِه وقُدْرَتِهِ على إنجاز مهامه الدراسية، وتقديره المرتفع لِذَاتِه ، ويُحَدِّد أهدافه بوضوح، ولديه الرغبة في تعلُّم المزيد، ويسعى دائما إل الإتقان، ويمتلك مهارات التواصل مع الآخرين ويتعاطف معهم؛ ويتَقَبَّلُهُم ولديه علاقات إيجابية مع أفراد المجتمع الجامعي سواء مع زملائه، أو مُعَلِّمِيه"[26].

وممَّا تقترحُهُ المجموعة العالمية لسكن الطلاب (GSA) من توصيات مساعِدَة على تحسين وتعزيز رفاهية الطُلاَّب تتَمَثَّلُ فيما يلي:

1- "إنشاء شبكات تتَجَاوَزُ الحدود الجغرافية للجامعات وتقديم الخدمات، وربط الشُّرَكَاء الذي يُؤَثِّرُون على تجربة الطالب بالكامِل.

2- الجامعات ومُقَدِّمُو خدمات الطُلاَّب بحاجة ماسَّة إلى الاستثمار في المهارات والشبكات المطلوبة لإرشاد الطُلاَّب على نحو فَعَّال؛ عبر مجموعة واسعة من القَضايا المُتَعَلِّقَة بالصحة والرفاهية لضمان توفير الدعم المناسب للأفراد. كما أن الفرصة مُتَاحَة أيضا لأولئك الذين يشتركون مع الجامعات (مثل مُقَدِّمِي خدمَات سكَن الطُلاَّب) للعمل بشكل أكثر فاعلية مع الجامعات ومقَدِّمي خدمات الرعاية الصحية.

3- يجب على مُزَوِّدِي المساكن الخاصة؛ العمل بجِدٍّ لتوفير بيئة مجتمعية حيث يتم دَعْمُ الطُلاَّب من قِبَل فِرَق الإقامة والأنشطة الاجتماعية، ويُمْكِنُ تصميم هياكل الإدارة لدعم الطُلاَّب أثناء انتقالهم.

4- بالإضافة إلى الخدمات والميزات الأساسية للغُرَف والمِسَاحات، فإنَّ جودة تصميم أماكن الإقامة لها دَوْرٌ كبير في صحة ورفاهية الطلاب، ولذلك ينبغي النظر في عوامل التصميم إلى جانب جودة الخَدَمَات المُقَدَّمَة في الحُكْمِ على مَدَى جودة التطوير أو البناء الذي مِنَ المُرَجَّح أنْ يَخْدِمَ رفاهية سَاكِنِيه ونتائجهم الأكاديمية.

5- هناك حاجَة مُلِحَّة لإجراء بحوث واسعة النطاق بالتَّعَاوُن مع قِطَاع التَّعْلِيم لفهم الظروف الاجتماعية والنفسية المتَعَلِّقَة بجودة حياة الطلاب"[27].

بالنسبة للعوامل المحددة للسعادة للطالب الجامعي؛ على الرغم من أنَّهُ لا يُوجَدُ عامل مُحَدَّدٌ في هذا الجانب؛ إلاَّ أنَّهُ من خلال الدراسات تبَيَّنَ أنَّ منْ بين العوامل نَجِدُ "الثقة بالنفس على رَأْس قائمة أولويات السعادة لدى الطلبة الأمريكيين، وعند الطلبة الكويتيين نَجِدُ القُرْبَ والتقارب، وفي دراسات أخرى نَجِدُ أنَّ أَهَمَّ مصادر الشعور بالسعادة لدى الطلبة تتمَثَّلُ في الصحة النفسية - درجة التفاؤل- مَصْدَر الضبط الداخلي للسلوك- ومستوى التَّدَيُّن"[28].

خاتمة:

إنَّ وَقْتَنَا الحالي شهِدَ دراسات مُتَسارعة ومُتَوِّعَة في المجالات المتعلِّقة بالسعادة، خاصة بعد تأسيس الأخصائي النفساني الأمريكي لعلم النفس الإيجابي، وبالتالي أصبح للسعادة علما قائِمًا بذاته، فَتَمَّ دراستها من الناحية النفسية، والفسيولوجية، والاجتماعية.

ومن خلال البحث نَجِدُ نتائج البحث تتمثل في الآتي:

1- ماهية السعادة تتمثَّلُ في أنَّها خبرات انفعالية، وشعور مستمر بالغبطة، حيث أنَّ السعادة الحقيقية هي السعادة ذات الجَانِب الدَّاخلي، ولها تأثير إيجابي على نفسية الفرد، وتَجْعَلُهُ يُحِسُّ بالقدرة على التأثير في الأحداث.

2- يتمثل المنظور الإسلامي للسعادة في النقاط التالية:

- الإسلام ينظر للإنسان من جميع جوانبه المادية والمعنوية، الروحية والجسدية، ويحسب لكل جانب حسابه الخاص.

- السعادة تتحقق بالإسلام، الذي يحقِّقُهَا بالسعادة الدنيوية والأخروية.

- يتبين من خلال النصوص الدينية التي تطرقت إلى السعادة، وجود ثلاثة أبعاد للسعادة بها يتكَامَلُ تحقيق السعادة في حياة الإنسان ويَضْمَنُهَا في مستقبله الأخروي: البعد الروحي والنفسي، الانسجام الاجتماعي، الرفاه المادي.

3- من خلال البحوث النفسية والتشريحية نَجِدُ النقاط التالية المتعلقة بفسيولوجيا السعادة:

- السعادة هي الشُعُور الوحيد الذي يَعْمُرُ الجَسَدَ كُلَّهُ بالنشاط، بِمَا في ذَلِكَ الأرجُل.

- السيروتونين هو هرمون السعادة.

- مكان السعادة في الدماغ يتواجَدُ في الفص المُقَدَّم الجبهي الأيسر.

4- تعددت العوامل المُحَدِّدة للسعادة، ولعلَّ أبرزهَا يَتَمَثَّلُ في السيادة الجينية، سمات الشخصية، العمل، الصحة وسلامة الجسم، وضُوح الأهداف. حيثُ أنَّ لكلِّ هؤلاء العَوَامِل تأثيرا مُتَفَاوِتًا على درجة السَّعادة.

5- فيما يخص العوامل المحددة للسعادة للطالب الجامعي نَجِد الملاحَظَتَين التاليتين:

- لا يُوجَد عامل مُحَدد للسعادة في هذا الجانب، وهي تتعدد حسب الطلبة الجامعيين لكل دولة.

- على كل الجهات المسؤولة على الطلب الجامعي؛ السعي على الحفاظ على الصحة النفسية للطالب الجامعي، وإحساسْهِ بالرضا الذاتي، ورفاهيته النفسية.

كما يوصي الباحثان بإقامة بحوث متخصصة على سبيل المثال:

- إقامة بحوث حول منظور كل من الهندوسية والبوذية واليهودية والمسيحية للسعادة.

- إقامة بحوث نفسية تطبيقية في دراسة العوامل المُحَدِّدَة للسعادة.

قائمة المصادر والمراجع:

1- كريستين كارتر، أبناء السعادة (كتاب في دقائق)، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، الإمارات، 2015.

2- موضي بنت محمد بن حمد القاسم، الذكاء الوجداني وعلاقته بكل من السعادة والآمل لدى عينة من طالبات جامعة أم القرى (ماجيستر)، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم علم النفس، 2011.

3- عبد الله بن عوض الله الحارثي، الشغف وعلاقته بالسعادة لدى طلاب المرحلة الثانوية في مدينة مكة المكرمة (ماجيستر)، جامعة أم القرى كلية التربية، قسم علم النفس، 2015.

4- القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2017.

5- عبير عبد الرحمن خليل، حورية إبراهيم مستور الضو، السعادة لدى الأطباء والاختصاصيين النفسيين بالمستشفيات الحكومية بولاية الخرطوم، مجلة جامعة البحر الأحمر، جامعة البحر الأحمر، 6، ديسمبر 2014.

6- حسن بن موسى الصفار، الدين والقيم الإنسانية، أطياف للنشر والتوزيع، القطيف، ط 1، 2020.

7- جيريمي دين، عشر دراسات نفسية جديدة ومدهشة عن السعادة،11 سبتمبر 2014، 12 ماي 2016. http://www.hindawi.org/blogs/85172962/

8- Sharon Janis,Secrets of Spiritual Happiness, Night Lotus Books, California , s i, 2010.

9- هوارد بيرس، دليل المالك للمخ، مكتبة جرير، الرياض، ب ط، ب س.

10- مارك ليري، ريك هويل، المرجع في الفروق الفردية في السلوك الاجتماعي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ب ط، 2018.

11- سحر فاروق علام، معدلات السعادة الحقيقية لدى عينة من طلاب المرحلتين الإعدادية والثانوية، مجلة دراسات نفسية، رابطة الأخصائيين النفسيين المصرية، القاهرة، 3- 18 جويلية 2008.

12- دائرة الموارد البشرية، السعادة في العمل، دائرة الموارد البشرية، رأس الخيمة، 4 جوان 2016.
13- أحمد محمد عبد الخالق، محمد المير، عبد الله الإدريسي، معدلات السعادة وعلاقتها بالحياة الطيبة والتدين لدى عينة من طلبة الجامعة في المغرب، المجلة العربية لعلم النفس، 1- 4- 2019.
14- حمدي يونس أبو جراد، تطوير قائمة أكسفورد للسعادة: دراسة سيكومترية في نظرية الاستجابة للمفردة، المجلة التربوية، الكويت، 118، 30، مارس 2016.
15- منال هبري، يحيى بشلاغم، جودة الحياة الأسرية لدى الطالب الجامعي في ضوء بعض المتغيرات، المجلة الدولية التربوية المتخصصة، 118، 30، أكتوبر 2018.
16- ميريان عياد ذكي شحاتة، محمد عبد السلام غنيم، إيمان عبد الرؤوف عبد الحليم، الخصائص السيكومترية لمقياس السعادة الدراسية لدى طلاب المرحلة الثانوية، مجلة دراسات تربوية واجتماعية، مصر، 5- 25 ماي 2019.
17- دراسات جديدة تسلط الضوء على أهمية جودة الحياة للطلاب في دولة الإمارات، https://www.shamalcomms.com/press-release/، 23 جويلية 2013، 20 ديسمبر 2020.
18- جوهرة صالح المرشود، السعادة وعلاقتها ببعض المتغيرات لدى طالبات الجامعة، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، السعودية، 2- 4 جويلية 2011.

الهوامش:

[1]- كريستين كارتر، أبناء السعادة (كتاب في دقائق)، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، الإمارات، 2015، 2.
[2]- موضي بنت محمد بن حمد القاسم، الذكاء الوجداني وعلاقته بكل من السعادة والآمل لدى عينة من طالبات جامعة أم القرى (ماجيستر)، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم علم النفس، 2011، 55.
[3]- عبد الله بن عوض الله الحارثي، الشغف وعلاقته بالسعادة لدى طلاب المرحلة الثانوية في مدينة مكة المكرمة (ماجيستر)، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم علم النفس، 2015، 6.
[4]- القرآن الكريم، (2017)، رواية ورش عن نافع، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.
[5]- عبير عبد الرحمن خليل، حورية إبراهيم مستور الضو، السعادة لدى الأطباء والاختصاصيين النفسيين بالمستشفيات الحكومية بولاية الخرطوم، مجلة جامعة البحر الأحمر، جامعة البحر الأحمر، 6، ديسمبر 2014، 216.
[6]- عبير عبد الرحمن خليل، حورية إبراهيم مستور الضو، السعادة لدى الأطباء والاختصاصيين النفسيين بالمستشفيات الحكومية بولاية الخرطوم، مجلة جامعة البحر الأحمر، (م.ن)، 217.
[7]- حسن بن موسى الصفار، الدين والقيم الإنسانية، أطياف للنشر والتوزيع، القطيف، ط 1، 2020، 40-41.
[8]- حسن بن موسى الصفار، الدين والقيم الإنسانية، (م.ن)، 42-43.
[9]- جيريمي دين، عشر دراسات نفسية جديدة ومدهشة عن السعادة، 11 سبتمبر 2014، 12 ماي 2016.
http://www.hindawi.org/blogs/85172962/

[10]- جيريمي دين، عشر دراسات نفسية جديدة ومدهشة عن السعادة، (م.ن)،
http://www.hindawi.org/blogs/85172962/.
[11]- Sharon Janis, Secrets of Spiritual Happiness, Night Lotus Books, California, s i, 2010, 8.
[12]- Sharon Janis, Secrets of Spiritual Happiness, (m.l), 8.
[13]- Sharon Janis, Secrets of Spiritual Happiness, (m.l), 8.
[14]- Sharon Janis, Secrets of Spiritual Happiness, (m.l), 8-9.
[15]- Sharon Janis, Secrets of Spiritual Happiness, (m.l), 9.
[16]- هوارد بيرس، دليل المالك للمخ، مكتبة جرير، الرياض، ب ط، ب س، 1126.
[17]- مارك ليري، ريك هويل، المرجع في الفروق الفردية في السلوك الاجتماعي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ب ط، 2018، 293.
[18]- مارك ليري، ريك هويل، المرجع في الفروق الفردية في السلوك الاجتماعي، (م.ن)، 293.

[19]- سحر فاروق علام، معدلات السعادة الحقيقية لدى عينة من طلاب المرحلتين الإعدادية والثانوية، مجلة دراسات نفسية، رابطة الأخصائيين النفسيين المصرية، القاهرة، 3، 18، جويلية 2008، 444.

[20]- دائرة الموارد البشرية، السعادة في العمل، دائرة الموارد البشرية، رأس الخيمة، 4، جوان 2016، 27.

[21]- دائرة الموارد البشرية، السعادة في العمل، دائرة الموارد البشرية، (م.ن)، 27.

[22]- أحمد محمد عبد الخالق، محمد المير، عبد الله الإدريسي، معدلات السعادة وعلاقتها بالحياة الطيبة والتدين لدى عينة من طلبة الجامعة في المغرب، المجلة العربية لعلم النفس، 1، 4، 2019، 19.

[23]- عبد الله بن عوض الله الحارثي، الشغف وعلاقته بالسعادة لدى طلاب المرحلة الثانوية في مدينة مكة المكرمة (ماجيستر)، (م.س)، 52-53.

[24]- حمدي يونس أبو جراد، تطوير قائمة أكسفورد للسعادة: دراسة سيكومترية في نظرية الاستجابة للمفردة، المجلة التربوية، الكويت، 118، 30، مارس 2016، 110.

[25]- منال هبري، يحيى بشلاغم، جودة الحياة الأسرية لدى الطالب الجامعي في ضوء بعض المتغيرات، المجلة الدولية التربوية المتخصصة، 118، 30، أكتوبر 2018، 124.

[26]- ميريان عياد ذكي شحاتة، محمد عبد السلام غنيم، إيمان عبد الرؤوف عبد الحليم، الخصائص السيكومترية لمقياس السعادة الدراسية لدى طلاب المرحلة الثانوية، مجلة دراسات تربوية واجتماعية، مصر، 5، 25، ماي 2019، 98.

[27]- دراسات جديدة تسلط الضوء على أهمية جودة الحياة للطلاب في دولة الإمارات،23 جويلية 2013، 20 ديسمبر 2020. https://www.shamalcomms.com/press-release/

[28]- جوهرة صالح المرشود، السعادة وعلاقتها ببعض المتغيرات لدى طالبات الجامعة، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، السعودية، 2، 4، جويلية 2011، 799-800.

مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 1195 – 1208
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

التوازن بين جوانب التكوين في برامج التكوين الأولي لأساتذة الرياضيات بالجزائر وكبيك ـ دراسة مقارنة ـ

The Balance Between Training Aspects In The Initial Training Programs For Mathematics Teachers In Algeria And Quebec - A Comparative Study

طالب دكتوراه محمود شنتي[1]
جامعة العربي التبسي- تبسة
مخبر تعليمية العلوم المدرسة العليا للأساتذة، القبة القديمة- الجزائر
mahmoud.chenti@univ-tebessa.dz
د/ محمد الطاهر طالبي
المدرسة العليا للأساتذة- القبة القديمة
tahar.talbi@hotmail.fr

تاريخ الإرسال: 2021/01/02 تاريخ القبول: 2021/05/31

الملخص:
نقدم في هذه العمل دراسة حول التكوين الأولي لأساتذة الرياضيات لطور التعليم المتوسط في كل من الجزائر وكبيك والذي ركزنا فيه بالخصوص على نوعية التوازن المؤمن بين جوانب التكوين (التخصصي؛ التربوي- الديداكتيكي؛ المهني)، والغرض الاستفادة من فهم مزايا النظام الكبيكي حول تأمين التوازن المناسب بين جوانب التكوين، وهذا لتقديم بعض الإرشادات للمساهمة في تطوير برنامج التكوين الجزائري. هذا العمل عبارة عن دراسة تحليلية مقارنة، تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي كونه يتماشى مع طبيعة الموضوع، حيث نحلل مضمون مجموعة من الوثائق والمستندات ثم نقارنها. وفي الختام وفي محاولة منا لفهم أوجه التشابه والاختلاف بين نوعية التوازن الموجود بين كلا النظامين، خلصنا إلى أن برنامجي التكوين الكبيكي يوازن بين جوانب التكوين الثلاثة، في حين أن البرنامج التكوين الجزائري أهمل جانبين اثنين (التربوي- الديدكتيكي؛ المهني) لحساب الجانب الثالث (التخصصي).

الكلمات المفتاحية: التكوين الأولي؛ أساتذة الرياضيات؛ جوانب التكوين؛ التوازن.

Abstract:
In this work, we present a study on the initial training of mathematics teachers for the intermediate education stage in Algeria and Quebec, in which we focused specifically on the quality of the appropriate balance between the aspects of training (specialized, educational-deductive, and Professional), and the purpose of benefiting from an understanding of the advantages of the Quebec system on securing the appropriate balance Among the aspects of training, this is to provide some guidance to contribute to the development of the Algerian training program. This work is a comparative analytical study, the descriptive and analytical approach was used as it is consistent with the nature of the topic, where we analyze the content of a group of documents and documents and then compare them. In conclusion, and in our attempt to understand the similarities and differences between the quality of the balance that exists between both systems, we concluded that the Cuban training programs balance between the three aspects of training, while the Algerian training program neglected two aspects (educational - deductive; Professional) for the third (specialist) aspect.

[1]- المرسل المؤلف.

Key words: the initial training, maths teachers, training aspects, balance.

مقدمة

إن طريقة رؤيتنا اليوم للتعليم ودوره، يجب أن تتغير بشكل جذري، فالتعليم يتحمل الآن، وأكثر من أي وقت مضى، مسؤولية تعزيز المهارات والمواقف والسلوكيات التي ستؤدي إلى النمو المستدام والشامل، (اليونسكو، 2017)، ويبرز دور المعلم في كل هذه المتغيرات كعامل مهم وحاسم، وفي هذا الخصوص أكد تقرير مؤسسة بيرسون Pearson (2014) للخدمات التعليمية على أهمية المعلمين ذوي الكفاءة العالية والحاجة لإيجاد طرق لتعيين واختيار أفضل المعلمين لأبنائنا، هذا من جهة.ومن جهة أخرى، تشهد العديد من دول العالم اليوم عزوفا كبيرا وتراجعا، من قبل التلاميذ والطلاب، عن دراسة العلوم البحتة كالرياضيات والفيزياء، ...الخ (Klaus, 2016, P. 102). والجزائر كغيرها من الدول تعاني من هذا المشكل، وهذا ما أكدته نتائج الاختبارات الدولية على غرار (Pisa, 2012, 2015)؛ وكذلك تقرير اليونسكو 2017. وكذلك ما أكدته الدراسة التقييمية على مستوى مصالح التفتيش والتكوين، ومكاتب التقويم والتوجيه على مستوى الأكاديميات عبر التراب الوطني.

إن تحسين هذه النتائج، وضمان رجوع الثقة للتلاميذ في الرياضيات والعلوم البحتة، حسب دفيد 2011 (David) لا يمكن أن يحدث إلا بوجود معلمين واثقين ومختصين ومتحمسين للرياضيات (David, 2011, P.06).

من هنا كان لزاماً على الجزائر كغيرها من الدول أن تعمل على تطوير نظام إعداد وتكوين معلميها بما يتناسب مع تلك التحدّيات المتجددة باستمرار بحيث يساهم في تجويد مخرجات النظام التعليمي.

فالجزائر ورغم الإصلاحات الجارية والمتعلقة بالمنظومة التربوية، والتي انطلقت بتنصيب رئيس الجمهورية للجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية سنة 2000، والذي توج بتوقيع بروتكول اتفاق بين منظمة اليونسكو ووزارة التربية الوطنية سنة 2001، والتي كان من بين محاور هذا الإصلاح: كفاءة وحركية الأساتذة من خلال التكوين، إلا أن هذا الإصلاح في شقه المتعلق بتكوين المعلمين لم يرى النور إلى يومنا هذا، وهذا ما أكده وزير التعليم العالي والبحث العلمي (حجار، 2019) بتاريخ 24 فيفري 2019 بناء على تقرير اللجنة البيداغوجية الوطنية للمدارس العليا للأساتذة بالجزائر، حول معاينة وتشخيص الوضعية الحالية للمدارس العليا للأساتذة ودراسة مدى ملائمة البرامج الحالية وإمكانية تحيينها، أن برامج التكوين لم تجدد منذ مدة طويلة، كما أقر هذا التقرير بوجود عديد من المشاكل في برامج التكوين الحالية، وعليه يجب تحيّنها قصد مسايرة المستوى العلمي العالمي من جهة، والتوافق مع البرامج الجديدة لوزارة التربية الوطنية من جهة ثانية.

تدخل هذه الدراسة في إطار دراسات مشتركة بين مخبر تعليمية العلوم بالمدرسة العليا للأساتذة، القبة-الجزائر ومجموعة البحث في ديداكتيك الرياضيات والإعلام الآلي (GREDIM) بالمدرسة العليا للأساتذة، مراكش-المغرب. الغرض من الدراسة هو تسليط الضوء على واقع تكوين معلمي الرياضيات في الجزائر مقارنة بنموذج تكويني كبيكي يقع ضمن النظم التربوية العشرة الأولى عالميا1. ونظرا للحيز المخصص لهذا المقال، انصبّ اهتمامنا على جوانب التكوين (التخصصي؛ التربوي-الديداكتيكي؛ المهني)، أي فهم التقسيم التي تؤّمن به كبيك جوانب التكوين مقارنة بنظام التكوين الجزائري، كون هذا التوازن تؤكّد عليه منظمة اليونسكو "إن برامج تكوين المعلمين في الدول ذات العلامات الأعلى في المسابقات الدولية هي تلك التي تؤمّن توازنا أكبر بين هذه الجوانب" (UNESCO, 2013/2014)، وهذا قصد تطوير برامج التكوين في الجزائر، من خلال تأمين التوازن المناسب بين هذه الجوانب. وهذا انطلاقا من الإجابة على **تساؤلات الدراسة**:

- ما هي أوجه التشابه والاختلاف بين محتويات جوانب التكوين (التخصصي، التربوي-الديداكتيكي، المهني)؟
- ما هي أوجه التشابه والاختلاف بين الطريقة التي تؤمن بها كل من الجزائر وكبيك التوازن بين جوانب التكوين (التخصصي، التربوي-الديداكتيكي، المهني)؟
- ما التوصيات التي يمكن الاستفادة منها في وضع تأمين مناسب للتوازن بين جوانب التكوين في برامج التكوين الجزائرية؟

أهمية الدراسة

تتجلى أهمية هذه الدراسة في موضوع الدراسة كونها تخص مورد بشري مهم ألا وهو "المعلم" الذي يعد المنطلق الأساسي في نجاح أي عملية إصلاح أو تنمية، وهذا من خلال محاولة التعرف على كيفية تكوينه الأولي وعملية إعداده لأداء مهامه التربوية والتعليمية، وهذا من خلال التوازن الحاصل بين جوانب التكوين (التخصصي؛ التربوي-الديداكتيكي؛ المهني). خاصة أن هذه الدراسة تتزامن وتقديم اللجنة البيداغوجية الوطنية للمدارس العليا للأساتذة، تقريرا حول معاينة وتشخيص الوضعية الحالية للمدارس العليا للأساتذة ودراسة مدى ملائمة البرامج الحالية وإمكانية تحيينها، مما يبين أن الموضوع آني وأصيل، وبالتالي فهو موضوع جدير بالاهتمام وتسليط الضوء على وضعيته الحالية، هذا لما له من تجلّيات على المستوى التربوي خاصة في موضوع مهم يتعلق بمادة أساسية كالرياضيات، خاصة في ظل النتائج السلبية التي يتحصل عليها أبنائنا في جميع المسابقات الوطنية والدولية.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تطوير نظام تكوين أساتذة الرياضيات للتعليم الثانوي في الجزائر على ضوء تجربة مقاطعة كبيك الكندية، من خلال توضيح القواعد والأسس العلمية الواجب مراعاتها في تأمين التوازن المناسب بين جوانب التكوين، وهذا بناء على:

أ) التعرّف على محتويات جوانب التكوين في نظام تكوين أساتذة الرياضيات في الجزائر مقارنة مع مقاطعة كبيك الكندية.

ب) التعرّف على الطريقة التي تؤمن بها مقاطعة كبيك الكندية التوازن بين جوانب التكوين مقارنة بنظام التكوين الجزائري.

ت) استخلاص التوصيات التي يمكن الاستفادة منها في تطوير نظام تكوين أساتذة الرياضيات للتعليم الثانوي في الجزائر من خلال تأمين التوازن المناسب بين هذه جوانب التكوين.

تحديد المفاهيم:

نعرف فيما يلي بعض مصطلحات ومفاهيم الدراسة:

1) **التكوين الأولي:** فالتكوين الأولي يمكن اعتباره تكوينا أكاديميا بوصفه إعدادا للمعلم، كي يزاول مهنة التعليم، حيث أن هذا النوع من التكوين تتولاه مؤسسات تربوية متخصصة مثل كليات التربية، [المدارس العليا للأساتذة عندنا هنا في الجزائر]... يعد الطالب المعلم فيها علميا (في موضوع التخصص) وتربويا ومهنيا، ومهمته أن يتيح الحصول على تقنيات المهنة، واكتساب أعلى مستوى من الكفاءة والثقافة والوعي الكامل بالرسالة التي يقوم به المربي (خالدي، 2019، ص. 12).
2) **الطالب المعلم**: يطلق هذا اللقب الطالب المعلم أو الطالب الأستاذ على كل طالب مسجل في برنامج التكوين الأولي للمعلمين، الذي يهدف لإعداد معلمين مؤهلين لتدريس الرياضيات. (Tatto, Schwille, Senk, Ingvarson, Peck, & Rowley, 2008, P. 24).

3) **التوازن:** يتعلق هنا مصطلح "توازن" بجوانب التكوين (التخصصي؛ التربوي-الديداكتيكي؛ المهني)، أي نبحث عن الاهتمام المناسب الذي يجب أن يحظى به كل جانب من هذه الجوانب حتى تفي باحتياجاته، أي نبحث عن التوازن المناسب الذي تتكامل به هذه الجوانب.

4) **جوانب التكوين:** تختلف الآراء حول ما تشمل بالضبط المجالات المعرفية التي تغطي منهاج التكوين (Liljedahl et al., 2009, P. 25). ننظر في ما يلي إلى المجالات المعرفية المتعلقة بجوانب التكوين التي يمكن تقسيمها إلى ثلاثة جوانب (Esteves, 2017, P. 7):

- **الجانب التخصصي:** المعرفة بالموضوع، ضرورة تمتع المعلمين المستقبليين بمعرفة تخصصية كافية بالموضوع، وتتعلق بالمفاهيم الرياضياتية، واستخدام التقنيات الرياضياتية وتطبيقاتها كالاستدلال الرياضياتي، والبرهان، وما إلى ذلك.
- **الجانب التربوي:** المعرفة التربوية والتي تضم الديداكتيك وطرق التدريس ونظريات التعلم، إضافة إلى التكوين في الإدارة الصفية تدبير القسم، إدارة الصف، والمعارف التربوية الأخرى، علم النفس التنموي والتنشئة الاجتماعية والثقافية...الخ.
- **الجانب المهني:** يتعلق بالممارسة، أي ضرورة اتصال المعلمين المستقبليين مع بيئات التعليم والتعلم منذ بداية التكوين ويعني خبرة ملموسة في فصول حقيقية بما في ذلك تعلم كيفية التعامل مع القضايا الحقيقية الكامنة في التدريس وإدارة الصف؛... الخ. وتؤكد الدلائل إلى أن تكوين المعلمين يتم تعزيزه في سياقات الممارسة المدرسية كمجتمعات مهنية (Caena, 2014).

تشير عدة دراسات إلى أن التكامل بين جوانب التكوين (الجانب التخصصي؛ الجانب التربوي؛ الجانب المهني) في برامج التكوين أمر لازم وضروري، حيث يظهر تحليل محتوى البرامج بوجود شرخ بين هذه الجوانب إضافة إلى التجزئة التي أحدثها العدد الكبير من الدورات الدراسية المنفصلة. يتعلق هذا التكامل أيضا بنوع النموذج المتبع: متتالي أو متزامن، إضافة إلى تعقيدات الممارسة المهنية في حد ذاتها إلى جانب ظروف التنظيم وثقل البرامج وتعقيدات العملية التكوينية، هناك أسباب تتعلق بمستوى المحتوى للبرامج والتي غالباً ما تفتقر إلى استراتيجية مدروسة جيداً (Busher, Gündüz, Cakmak, & Lawson, 2014). يعد تكامل الجوانب الثلاثة أمرًا استراتيجيًا في تكوين المعلمين الطلاب، يفترض أن يقوم المسؤولون عن التكوين بتصميم أنشطة التدريب بطريقة تسمح بتكامل المكونات المختلفة.(Bednarz & Perrin-Glorian, 2003, P. 9,10).

وحسب منظمة التعاون والتنمية الاقتصادي"OECD" يجب دمج جوانب التكوين الثلاثة لإعداد معلمي المستقبل لحياتهم المهنية بطريقة متوازنة وفعّالة وأكثر كفاءة (.(Darmody & Smyth, 2016).

ولكن ما هي الكفاءات المرجعية التي يمكن أن تغطي جوانب التكوين، والمدرجة ضمن مناهج تكوين المعلمين، هذه الكفاءات المرجعية قد توجد في أشكال ونماذج مختلفة، حسب (Eurydice, 2013)، تشمل هذه الكفاءات المرجعية على موارد معرفية حول موضوع التدريس، موارد معرفية في مجال التربية والتدريس، مهارات التقييم، مهارات اجتماعية وشخصية لازمة للتدريس، مهارات البحث، بالإضافة إلى المهارات التنظيمية والقيادية.

المنهجية

أ- نوع البحث: للإجابة على تساؤلات الدراسة، تم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي، كون هذه الدراسة تندرج ضمن البحوث التطبيقية، وللإجابة عن تساؤلات الدراسة، تم اعتماد منهج تحليل المضمون، وفيما يتعلق بالتقنيات التي يمكن استخدامها حسب ثنكوي (Le ThânKhôi, 1981)، قمنا بتحليل مجموعة من

الوثائق التي توفر البيانات الضرورية خاصة تلك المتعلقة بمنهاج التكوين (المدة، التنظيم، المحتوى، المسار، ...الخ) وهذا في السياقين (كبيك والجزائر). إضافة إلى مقابلات ميدانية مع بعض الفاعلين في مؤسسات التكوين، ثم مقارنتها. حاولنا الوصول إلى المصادر التكوين الرئيسية، وفي حالة عدم الوصول إلى المصادر الأصلية، استعنا بمجموعة من الوثائق من مصادر ثانوية بهدف الحصول على عينة أكثر اكتمالاً، وكذلك بهدف مساعدتنا في فهم اكثر لسياق التكوين في كل بلد (Morales Perlaza, 2012, P. 66).

ب- استراتيجية تحليل البيانات: بمجرد تجميع المعلومات السياقية، حسب ليتنقر وسعدا روبرت (Leutenegger & Saada-Robert, 2002) قمنا بتحليلها ثم حوصلتها. اعتمدنا في ذلك على استراتيجية استنباطية تجعل بياناتنا مرتبطة بشكل مباشر بالإطار النظري المبني سلفًا (Morales Perlaza, 2012, P. 71). لغرض تحليلنا، قمنا ببناء شبكة تحليل لجوانب التكوين:

- التكوين التخصصي والذي تم تقسيمه إلى خمسة مؤشرات هي: الرياضيات القاعدية والتعمق في الرياضيات الأولية؛ تطبيق الرياضيات في سياقات أخرى؛ التعمق في الرياضيات؛ الإعلام الآلي والبرمجة؛ تخصصات أخرى.
- التكوين التربوي والذي تم تقسيمه إلى مؤشرين هما: مواد العلوم التربوية والثقافية والبيداغوجيا، الديداكتيك.
- التكوين المهني يتضمن التربص ونشاطات الإدماج.

تحليل البيانات

كان إطار تحليلنا الرئيسي هو فهم التقسيم الذي يؤّمن التوازن المناسب بين جوانب التكوين، في هذا الفصل قدمنا وحللنا بطريقة مقارنة البيانات التي تم جمعها في كلا السياقين. استعملنا في المقارنة عدد الساعات بدل الرصيد الائتماني لتجنب الاختلاف في مفهوم الرصيد الائتماني في كل بلد.

أ- كبيك: يتم التكوين الأولي للمعلمين في مقاطعة كبيك بكندا بالجامعات وعلى مستوى كليات التربية، في إطار مسلك "بكالوريا التعليم الثانوي"[2]، يمتد هذا التكوين على اربع سنوات (Université de Montréal, 2018 a) وبذلك يكون معلم المستقبل، بالإضافة إلى 13 سنة دراسية تسبق المرحلة الجامعية، قد أكمل 17 سنة من التّمدرس.

يلتحق الطلبة المتحصلين حديثا على شهادة الدراسات ما قبل الجامعية (DEC[3]) أو ما يعادلها بمسلك "بكالوريا التعليم الثانوي" بعد أن يكونوا قد استوفوا مجموعة من الشروط عن طريق دراسة ملف (بناء على تصنيف مردود مرحلة الدراسات ما قبل الجامعية؛ بالإضافة إلى مستوى معين في اللغة الفرنسية). هناك مرونة كبيرة في الانتقال أو التحويل من أو إلى مؤسسات تكوين المعلمين، وهذا ما يسمى مد الجسور بين المسالك، هذه المرونة التي أوجبها طبيعة نظام LMD المتبع (Université de Montréal, 2018 a). يعتمد هذا التكوين على منهاج مبني على المقاربة بالكفاءات، والتي تبنتها وزارة التعليم (MEQ, 2001) وتم وضع مفهوم تكوين المعلم من منظور مزدوج: "التمهين (المهننة) والنهج الثقافي في التعليم" (Ministère de l'éducation [MEQ],2001). أما نموذج التكوين فهو **النموذج المتزامن**، حيث يتم دراسة المواد الأكاديمية جنباً إلى جنب مع المواد التربوية والمهنية طوال فترة التكوين".

مؤسسات التكوين هي مؤسسات تابعة للجامعة وتحت وصاية وزارة التربية والتعليم العالي والبحث (MEESR)، ينتهي هذا التكوين بحافظة الكترونية، يقوم فيها الطلاب بتسجيل أعمالهم خلال السنوات الأربع من التكوين تساهم في تقييمهم، إضافة إلى ندوة متعددة البرامج يقدم فيها الخريجون مشروع نهاية الدراسة للدّمج. ويختتم هذا التكوين بشهادة "بكالوريا التعليم الثانوي" لا تضمن للمتّخرج منصب شغل (Université de Montréal, 2018 a).

في إطار برنامج **"بكالوريوس التعليم الثانوي"** المعادل لشهادة الليسانس، تمثل كل وحدة رصيد 45 ساعة من الأنشطة التكوينية (محاضرات وواجبات منزلية وبحوث، ...الخ) منها 15 ساعة دروس حضورية

مقابل 30 ساعة من العمل الشخصي (Tardif & Borges, 2009). هذا البرنامج يُلزم إكمال كحد أدنى 375 ساعة الزامية من التكوين في بيئة الممارسة وهذا بهدف إقامة روابط وثيقة بين الدروس والتربص (Université de Montréal, 2018 a).

يتطلب إنهاء برنامج تكوين **"بكالوريوس التعليم الثانوي في الرياضيات"** لجامعة مونتريال 1845 ساعة من التكوين الحضوري على مدار أربع سنوات، بالرجوع للملحق 01 والذي يوضح وزن كل جانب من جوانب التكوين (التخصصي والتربوي والمهني) (Université de Montréal, 2018 b) نجد:

التكوين التخصصي: 810 ساعة للتكوين التخصصي منها 180 ساعة اختيارية. حيث كان التركيز منصبا بنسبة كبيرة على جانبين: الرياضيات القاعدية والتعمق في الرياضيات الأولية ودروس متعلقة بتطبيق الرياضيات في سياقات أخرى، كما أعطيت بعض الأهمية لدروس تتعلق بالتعمق في الرياضيات، ودروس الإعلام الآلي والبرمجة ودروس متعلقة بتخصصات أخرى.

التكوين التربوي: 660 ساعة للتكوين التربوي منها 345 ساعة لدروس العلوم التربوية والثقافية والبيداغوجيا، 315 ساعة لدروس الديداكتيك. نلاحظ أن التكوين التربوي يركّز على الجانب العملي لتطوير الممارسة المهنية، وكذلك خصوصية المجتمع الكندي، والتلاميذ ذوي الاحتياجات الخاصة. كما تم ربط دروس الديداكتيك بالمحتوى الرياضياتي الذي يدرس في المؤسسات التربوية (المتوسط والثانوي)، بالإضافة لـ TIC، لغة التدريس،... الخ، وهذا يتناسب مع قول كهان وآخرون Kahan et al (2003) فيما يخص العلاقة بين محتوى التخصص وبين الديداكتيك، فإنه يتم بناء المحتوى المعرفي للديداكتيك انطلاقا من المحتوى المعرفي التخصصي.

التكوين المهني: 375 ساعة للتكوين المهني الشامل للتربص ونشاطات الادماج، حيث يجب على الطلاب إكمال أربعة تداريب ميدانية، واحد في كل سنة، على مدار أربع سنوات. حيث جاء في هذا السياق في الوثيقة المرافقة لوزارة التربية والتعليم (Ministère de l'éducation [MEQ],2001): "يجب أن يكون التكوين أقرب إلى متطلبات السياق الحقيقي للممارسة لا سيما من خلال عملية التحليل الانعكاسي. بقدر ما يتعلق الأمر بالبحث، يجب أن يكون جزء كبير منه على مواضيع قريبة من الممارسة المهنية أو ما يسمى البحث التدخلي، ويمكن دمج نتائجها في برامج تكوين المعلمين". الشكل الموالي يمثل توزيع الحجم الزمني على جوانب التكوين (الخاص بجامعة مونتريال).

الجدول الموالي يمثل توزيع الحجم الزمني على جوانب التكوين.

الجدول01: توزيع الحجم الزمني على جوانب التكوين (جامعة مونتريال)

		عدد الساعات	النسبة المئوية
التكوين التخصصي	مواد التخصص "الرياضيات"	810	%44
التكوين التربوي	مواد العلوم التربوية والثقافية والبيداغوجيا	345	%19
	مواد الديداكتيك	315	%17
التكوين المهني	التربص ونشاطات الإدماج المهني	375	%20
المجموع		1845	%100

المصدر: من إعداد الباحثين بناء على محتوى برنامج التكوين (جامعة مونتريال)

نلاحظ من خلال الجدول، أن مواد التخصص (الرياضيات) احتلت حوالي (44%) من الوقت المخصص لبرنامج التكوين، بينما تتقاسم باقي المواد حوالي (56%). وعليه يمكن القول بأن هناك توازن نسبي بين الرياضيات من جهة وبين الثلاثي: علوم التربية؛ الديداكتيك والتربص من جهة اخرى، وكذلك هناك توازن بين هذا الثلاثي فيما بينهم: علوم التربية 19% والديداكتيك 17% والتربص 20%. هذا التوازن تؤكّد عليه منظمة اليونسكو: إن برامج تكوين المعلمين في الدول ذات العلامات الأعلى في المسابقات الدولية هي تلك التي تؤمّن توازنا أكبر بين هذه الجوانب (UNESCO, 2013/2014). كما تؤكد الوثائق الرسمية في كبيك على أهمية الانتباه للتمفصل بين مكونات التكوين الثلاثة مع أنشطة دمج تهدف إلى تنفيذ المهام للحياة المهنية للمعلمين، وكذلك إقامة روابط وثيقة بين الدروس والتداريب الميدانية، وهذا ما لمسناه في استعمال الزمن (BES-M_Cheminement, 2018).

ب- الجزائر: في الجزائر، يجري حاليا مراجعة ومعاينة وتشخيص البرامج الحالية للمدارس العليا للأساتذة وإمكانية تحيّينها. يتم التكوين الأولي للمعلمين في الجزائر على مستوى المدارس العليا للأساتذة، لمدة أربع سنوات بالنسبة لمسلك "أستاذ تعليم المتوسط"، وبذلك يكون معلم المستقبل، بالإضافة إلى 12 سنة دراسية تسبق المرحلة الجامعية، قد أكمل 16 سنة من التّمدرس.

يلتحق الطلبة المتحصلين حديثا على شهادة البكالوريا أو ما يعادلها بمسلك أستاذ تعليم متوسط بعد إجراء مقابلة شفوية للطلبة المترشحين الذين يكونوا قد استوفوا مجموعة من الشروط (يتم الترتيب على أساس المعدل العام المحصل عليه في امتحان البكالوريا الذي يجب أن يساوي أو يفوق 20/14، بالإضافة إلى المعدل الحسابي ما بين علامتي الرياضيات والفيزياء (الرياضيات + الفيزياء)/2 الذي يجب أن يكون يساوي أو يفوق 20/13، كما يجب أن لا يتعدى سن المترشح 21 سنة).

يعتمد هذا التكوين المقاربة المبنية على أساس التّمكن من المحتويات المعرفية المتعلقة بمهنة أستاذ الرياضيات، من منظور "التمهين" (Smida, Rouan, Sidaty, and Abdelli, 2007, P. 214) . أما نموذج التكوين **فهو نموذج متزامن.**

مؤسسات التكوين أو المدارس العليا للأساتذة، هي مؤسسات تعليم عالي مستقلة عن الجامعة، ولكنها تقع تحت وصاية وزير التعليم العالي والبحث العلمي، ينتهي هذا التكوين بمناقشة مذكرة التخرج والحصول على شهادة تخول لحاملها مزاولة التدريس بالتعليم المتوسط، مع إمضاء عقد تضمن من خلاله وزارة التربية الوطنية منصب شغل للطالب المتعاقد مدته تسع سنوات.

لفهم هيكل التكوين في إطار برنامج **"شهادة أستاذ تعليم المتوسط"** المعادلة لشهادة "الليسانس"، نرجع إلى برنامج تكوين "أستاذ التعليم المتوسط في الرياضيات" للمدارس العليا للأساتذة بالقبة الملحق 01، نجد أنه يتضمن 3280 ساعة من التكوين الحضوري على مدار أربع سنوات دراسية من ضمنها:

التكوين التخصصي: خصص له 2580 ساعة لدروس التخصص، منها 90 ساعة اختيارية. رغم ما جاء في دفتر الشروط بين وزارة التربية ووزارة التعليم العالي المتعلق ببرامج التكوين الخاص بوضع المحتوى المطلوب في التخصص "انطلاقا مما هو مدرّس في الجامعات، لضمان البعد الجامعي في التكوين ولمسايرتها للمستوى العلمي العالمي، وفي نفس الوقت يراعى مضمون التكوين في المرحلة المستهدفة من التعليم في قطاع التربية"، إلا أننا من خلال الاطلاع على محتوى البرنامج نجد أن التركيز كان منصبا على دروس التعمق في الرياضيات مقابل عدم إعطاء الأهمية اللازمة لدروس التعمق في الرياضيات الأولية والمتعلقة بمضمون التكوين في المرحلة المستهدفة من التعليم في قطاع التربية، كذلك لم تعط الأهمية اللازمة لدروس تطبيق الرياضيات في سياقات أخرى ودروس الإعلام الآلي والبرمجة. يتبيّن مما سبق أن الجزائر تتبع المدرسة التي تركز على التعمق في الرياضيات النظرية.

التكوين التربوي: خصص له 450 ساعة تكوينية مقسمة بالشكل: 360 ساعة لدروس **العلوم التربوية والثقافية والبيداغوجيا**. 90 ساعة لدروس الديداكتيك. من خلال الاطلاع على محتوى البرنامج، نلاحظ أن التكوين التربوي يركز على الجانب النظري ويهمل الجانب التطبيقي لتطوير الممارسة المهنية. لا توجد دروس تتعلق بمنهجية البحث أي أن التكوين عن طريق البحث يتمثل غالبا في مذكرة نهاية الدراسة. كذلك لا توجد مقررات تهتم بالتلاميذ ذوي الاحتياجات الخاصة. فيما يخص دروس **الديداكتيك**، رغم الوقت الضيق المخصص لهذا الجانب المهم، فقد كان التركيز منصبا على الجانبين الابستمولوجي والتعليمي. يتعلق الأول بتطور بعض المفاهيم الرياضياتية من خلال الصياغات المختلفة التي تعرضت لها والحواجز الابستمولوجية التي صاحبتها وكيفية تجاوزها. يتعلق الثاني ببعض المفاهيم الأساسية للديداكتيك (نظرية الوضعيات الديداكتيك، الحقل المفهوماتي، جدلية أداة موضوع، التصميم التعليمي، التحويل التعليمي، العقد التعليمي،...) التي ربطت في حصص أعمال موجهة مبنية على وضعيات مشاكل متنوعة ومختارة بعناية في مختلف مجالات الرياضياتية (نماذج وشواهد موجودة في مطبوعات 2006، 2011، 2016). كما تم ربطها كذلك بالعديد من توصيات الوثائق التربوية الرسمية (المنهاج، الوثيقة المرافقة، الكتاب المدرسي) ومؤخرا توجد جهود لتعميم إدماج تكنولوجيات الإعلام والاتصال TIC في الأنشطة الديداكتيك التعلمية.

التكوين المهني: خصص له 160 ساعة للتربص ونشاطات الإدماج. أما التداريب الميدانية فهي تكون فقط في السنة الأخيرة من التكوين مع تربص مغلق لمدة ثلاث أسابيع في نهاية السنة والذي لا يتبعه أي نشاط للدمج أو للتحليل الانعكاسي بسبب غياب التأطير اللازم لهذا الجانب المهم من التكوين.

الجدول الموالي يمثل توزيع الحجم الزمني على جوانب التكوين (المدرسة العليا للأساتذة-القبة).

الجدول 02: توزيع الحجم الزمني على جوانب التكوين (المدرسة العليا للأساتذة-القبة)

		عدد الساعات	النسبة المئوية
التكوين التخصصي	مواد التخصص "الرياضيات"	2580	%81
التكوين التربوي	مواد العلوم التربوية والثقافية والبيداغوجيا	360	%11
	مواد الديداكتيك	90	%3
التكوين المهني	التربص ونشاطات الإدماج المهني	160	%5
المجموع		3280	%100

المصدر: **من إعداد الباحثين بناء على محتوى برنامج التكوين (المدرسة العليا للأساتذة-القبة)**

نلاحظ من الجدول البياني هيمنة الجانب التخصصي هيمنة شبه كلية بأكثر من 80%، وهذا على حساب جوانب التكوين الأخرى رغم أهميتها: فقد حظي مقرر الديداكتيك بنسبة 3% فقط. يرى كهان وآخرون Kahan et al. (2003) فيما يخص العلاقة بين المحتوى المعرفي للتخصص والديداكتيك أن محتوى هذا الأخيرة يتم وضعه بناء على المحتوى المعرفي التخصصي، أي أن المحتوى المعرفي للتخصص والديداكتيك يجب أن يكونا متكاملين. فهل نسبة 3% تكفي لتغطي نسبة أكثر من 80%؟ أما الجانب المهني ورغم أن نوع المقاربة هي "التمهين" إلاّ أن التربص ونشاطات الإدماج المهني حظيت بنسبة لا تتجاوز 5% من وقت البرنامج، فيما حظيت مواد علوم التربية بنسبة 11%.

يمكن القول أنه لا يوجد توازن بين جوانب التكوين الثلاثة (التخصصي؛ التربوي؛ المهني) هذا من جهة، ومن جهة أخرى بين دروس الديداكتيك وعلوم التربية والتربص ونشاطات الإدماج.

نختم ما سبق بما جاء في تقرير اللجنة البيداغوجية الوطنية للمدارس العليا للأساتذة افريل 2019 (حجار، 2019) "بعد الاطلاع على البرامج المدّرسة حاليا تبيّن أنها لم تجدّد منذ مدة كبيرة ولا تتوائم واستراتيجية الإصلاح الحالي في قطاع التربية".

وبناء على ما سبق، نتساءل هل يكفي الإلمام الجيد بمادة التخصص ليعطينا أستاذا جيدا؟ وهل يمكن التوفيق بين المحتوى المدّرس في الجامعات الذي يركّز على الرياضيات البحتة، وبين المحتوى المدرّس في مؤسسات تكوين المعلمين الذي يجب أن يعطي الأهمية اللاّزمة للجانب التربوي والجانب المهني؟ نشير أخيرا أنه لم نجد في الوثائق الرسمية الجزائرية أي حديث عن أهمية التمفصل بين مكونات التكوين الثلاثة، ويكفي الاطلاع على استعمال الزمن لتلمس هذا الأمر.

المقارنة

وجدنا تشابهات وفروقاً فيما يتعلق بهيكل وجوانب التكوين في كل من الجزائر وكبيك تتمثل فيما يلي:

- التكوين في الجزائر هو تكوين يهدف للحصول على ملمح "أستاذ التعليم المتوسط"، أما في كبيك فهو يهدف للحصول على ملمح "بكالوريوس التعليم الثانوي"، كلا الملمحين يعادلان شهادة "الإجازة" أو "الليسانس"، تمتد مدة التكوين لكل البرنامجين على مدار أربع سنوات، كما ينتمي كلا البرنامجين إلى ما يسمى "النموذج المتزامن".

- يقدّر الحجم الزمني للتكوين الحضوري خلال أربع سنوات في الجزائر بـ 3280 ساعة بمعدل 27 ساعة في الأسبوع. وفي كبيك بـ 2170 ساعة بمعدل 18 ساعة في الأسبوع. وبالتالي فإن الأول يفوق الثاني بحوالي 1000 ساعة تكوينية حضورية. قد يرجع هذا التفاوت إلى كون كبيك تعتمد على مبدأ التخفيف لإعطاء

الفرصة للمتعلم للعمل الشخصي والتكوين بالبحث لدعم التكوين الذاتي وتنويع سبل إجراءاته على عكس الجزائر.

لتسليط الضوء على أهمية التكوين المعطاة في كل من الجزائر وكبيك في المجالات التخصصية والتربوية (الديداكتيك، العلوم التربوية والثقافية والبيداغوجيا) والمهنية، قارنا بين جامعة مونتريال بكبيك، والمدرسة العليا للأساتذة بالقبة كما هو موضح في الرسم البياني الموالي (الشكل 01)

الشكل 01: توزيع الحجم الزمني على جوانب التكوين لكل من المدرسة العليا للأساتذة بالقبة، جامعة مونتريال بكبيك.

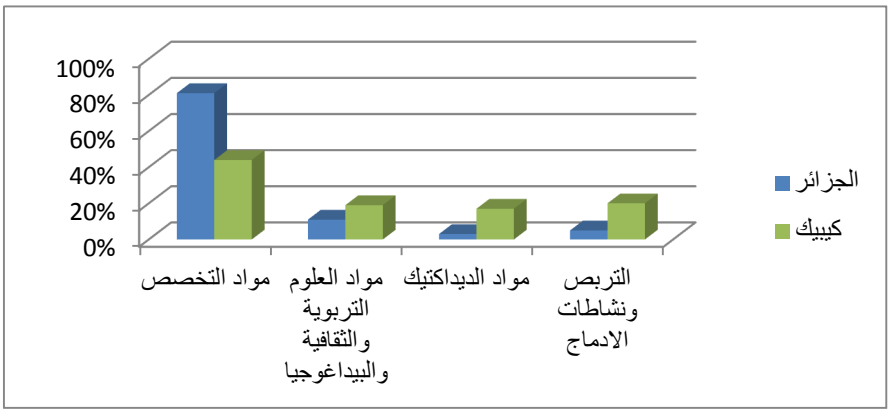

المصدر: من إعداد الباحثين بناء على محتوى برنامج التكوين (المدرسة العليا للأساتذة، جامعة مونتريال)

أ- الجانب التخصصي: يبيّن المخطط أن الجزائر خصصت حوالي 80% من وقت البرنامج للجانب التخصصي في حين خصصت كبيك 44% فقط مما يبيّن التفاوت الكبير في النسب المئوية بين كلا السياقين. قد يرجع هذا التفاوت إلى نوع المدرسة المتّبعة حيث تتبع الأولى الرياضات النظرية في حين تتبع الثانية الرياضيات الوظيفية أو التطبيقية. يقول اسيسكين (Usiskin, 2001, P. 86) "إن أخذ المزيد والمزيد من الدروس في الرياضيات، يمكن أن يخلق مشكلة. في كثير من الأحيان كلما زاد عدد دروس الرياضيات التي يأخذها المعلم، كلما اتسعت الفجوة بين الرياضيات التي يدرسها والرياضيات التي سيدرّسها".

ب- الجانب التربوي

مواد علوم التربية: يبيّن المخطط أن الجزائر أعطت حوالي 10% فقط من وقت البرنامج لهذا المكون مقابل حوالي 20% لكبيك. بالاطلاع على محتويات البرامج، نجد أن الأولى ركّزت على الجانب النظري على حساب الجانب العملي المطور للممارسة المهنية (التخطيط، التدبير، التقويم) والتدخل التربوي. كما لم تعط أهمية للتكوين عن طريق البحث على عكس كبيك. في حين اهتمت كبيك بالإضافة إلى ما سبق إلى خصوصيات المجتمع الكندي والتلاميذ ذوي الاحتياجات الخاصة.

الديداكتيك: رغم أهمية هذا الجانب إلا أن الجزائر أعطته نسبة 3% مقابل 17% لكبيك. بالاطلاع على محتوى البرامج، نجد أن كبيك ربطت دروس الديداكتيك بالمحتوى الرياضي الذي يدرّس في المؤسسات التربوية في حين ربطتها الجزائر بما يسمى "حل المشكلات".

ج- الجانب المهني: فيما يخص التربص ونشاطات الإدماج ورغم أن المقاربة المتبعة في كلا النظامين هي "التمهين" إلاّ أن الجزائر خصصت فقط 5% من وقت البرنامج له مقابل 20% لكبيك. نلاحظ بالنسبة للجزائر غياب التأطير لهذا الجانب المهم من التكوين.

خاتمة

سمحت لنا هذه المقارنة بفهم بعض الخصائص التي تتعلق بنظام التكوين في كل من الجزائر وكبيك وبالخصوص مستوى التوازن الحاصل بالنسبة لجوانب التكوين، توصلت هذه الدراسة للنتائج التالية:

- التكوين في الجزائر وكبيك هو تكوين يهدف للحصول على ملمح يعادل شهادة "الاجازة"، على مدار أربع سنوات، كما ينتمي كلا البرنامجين إلى ما يسمى "النموذج المتزامن".
- معدل الحجم الزمني للتكوين الحضوري خلال أربع سنوات في الجزائر هو 27 ساعة في الأسبوع، مقابل 18 ساعة في كبيك.
- الجانب التخصصي: خصصت الجزائر حوالي 80% من وقت البرنامج للجانب التخصصي في حين خصصت كبيك 44%
- الجانب التربوي: بالنسبة **لمواد علوم التربية**: أعطت الجزائر حوالي 10% فقط من وقت البرنامج لهذا المكون، مقابل حوالي 20% لكبيك. أما دروس **الديداكتيك**: أعطته الجزائر نسبة 3% مقابل 17% لكبيك.
- الجانب المهني: فيما يخص التربص ونشاطات الإدماج خصصت الجزائر حوالي 5% فقط من وقت البرنامج، مقابل 20% لكبيك.

بناء على ما سبق يمكن وضع بعض التوصيات بالنسبة لنظام التكوين الجزائري:

- يعتبر الحجم الزمني للتكوين (27 ساعة/أسبوعيا) مرتفعا ولا يترك الوقت للطالب للتكوين عن طريق البحث أو التكوين الذاتي. وعليه يجب تخفيف الحجم الزمني عن طريق مثلا تنزيل عملية التوجيه من السنة الثانية من التكوين الجامعي إلى السنة الأولى (الذي يرافق توجيه حاملي شهادة البكالوريا الجدد) على غرار كبيك، قد يساهم في استغلال الوقت الزمني الكبير الذي تحجزه بعض المقررات الإضافية، ...الخ، بالإضافة الاهتمام بمكون البحث ودمجه في برامج التكوين وتنويع سبل اجراته، هذا النوع من التكوين الذي تتبعه العديد من الدول هدفه تطوير معلمي المستقبل ليكونوا عبارة عن ممارسين مهنيين ونقديين مستقلين وذاتيي التوجيه.
- يجب مراعاة التوازن بين جوانب التكوين (التخصصي، التربوي-الديداكتيكي، المهني) من خلال:

أ- التخفيف من الوقت الزمني ومحتوى البرامج بالنسبة للجانب التخصصي، مع التركيز على الامتداد والتعمق في الرياضيات الأولية مع إعطاء الأهمية اللازمة للدروس الإعلام الآلي والبرمجة. أما الدروس المتعلقة (بالميكانيك والكهرباء وبنية المادة...) فقد حظي بحجم زمني كبير مما يتطلب التخفيف منه.

ب- تطوير التكوين التربوي في جانبه المهني والثقافي للمعلم مثل التخطيط والتدبير والتقويم والتدخل التربوي مع عدم نسيان مقررات تتعلق بالتلاميذ ذوي الاحتياجات الخاصة. وإعطاءه الوقت الكاف لذلك.

ج- ضرورة إعطاء مقرر الديداكتيك الوقت الكافي لربطها بما يدّرس في المؤسسات التربوية، مع إدخال تكنولوجيا المعلومات والاتصال في عملية التدريس والاهتمام بلغة التدريس.

د- إعطاء الأهمية اللاّزمة للجانب المهني من جميع الجوانب ومراعاة التأطير البيداغوجي اللاّزم.

- إعطاء الرياضيات التطبيقية الاهتمام الكافي مقارنة بالتوجه المبني على التعمق في الرياضيات البحتة.
- إعادة صياغة البرنامج بما يتوافق مع فلسفة التوازن بين جوانب التكوين، حيث يتم دمج المواضيع التربوية-التعليمية والمهنية والتخصصية بشكل فعال وتنسيق جيد بين التكوين الأكاديمي والمهننة.

- تحيين وتكييف برامج المدارس العليا للأساتذة بالجزائر مع البرامج الجديدة لوزارة التربية الوطنية والابتعاد عن المقاربات البيداغوجية التي يسيطر عليها المعلم نحو مقاربة مرتكزة على المتعلم تشدّد على التفكير النقدي والتكوين بالبحث إضافة إلى تضمين مهمة التدريس خصائص المهنة بمعناها الأكاديمي.

وفي الأخير يمكن القول أن هناك العديد من الجوانب المتعلقة بالتكوين الأولي التي يجب أن تحظى بكثير من الاهتمام والدراسة على غرار: مكون التربص ونشاطات الإدماج، يجب مراقبة ومقارنة كيف تجري بعض الأنشطة المتعلقة بهذا المكون المهم (تمفصل النظري بالممارسة؛ التغذية الراجعة؛ ...الخ)؛ نماذج التكوين؛ نهج التكوين ونوع المقاربة؛ ...الخ. وهذا للمساهمة في تحيين وتطوير برامج التكوين.

قائمة المراجع

1. حجار عبد القادر (2019)، حجار: تنصيب لجنة من 24 عضو للتكفل بمتطلبات المدارس العليا للأساتذة، قناة النهار. متاح على الموقع: *https://www.youtube.com/watch?v=VJd0LqKCkjg*
2. خالدي احمد، (2019). تكوين المعلمين في الجزائر بعيون أكاديمية: دراسة استعراضية-تحليلية، مجلة الشامل للعلوم التربوية والاجتماعية، جامعة حمى لخصر، الوادي، المجلد الاول العدد الثاني، ص 6-29
3. Bednarz, N., & Perrin-Glorian, M. J. (2003). Formation à l'enseignement des mathématiques et développement de compétences professionnelles : Articulation entre formation mathématique, didactique et pratique. *Actes du 2ème colloque EMF (Espace Mathématique Francophone)*.
4. Brun,J. (1996), Didactique des mathématiques, delachaux et niestlé (p.48).
5. Caena, F. (2014). Initial teacher education in Europe: an overview of policy issues. *European Commission. ET2020 Working Group of Schools Policy.*
6. Darmody, M., & Smyth, E. (2016). Entry to programmes of initial teacher education. *Dublin: Economic and Social Research Institute and the Teaching Council*.
7. David, b. (2011), International Comparative Study in Mathematics Teacher training, ©Copyright CfBT, UK: www.cfbt.com
8. Esteves, M. H. (2017). *Initial Teacher Education in Europe: Shaping teachers for the 21 st century. New Trends and Issues Proceedings on Humanities and Social Sciences.* [Online]. 05, pp 1-8. Retrieved from*:* *www.prosoc.eu*
9. Klaus, S. (2016), The Global Competitiveness Report 2016–2017, World Economic Forum. © Copyright: *www.weforum.org/gcr.*
10. Le Thân-Khôi (1981). *L'éducation comparée* (p. 65-112). Paris : Armand Colin.
11. Leutenegger, F. & Saada-Robert, M. (2002). *Expliquer et comprendre en sciences de l'éducation.* Bruxelles : De Boeck.
12. Liljedahl, P. et al.(2009). Components of mathematics teacher training. In Even, R., & Ball, D. L. (Séries Ed), The 15th ICMI Study. *The professional education and development of teachers of mathematics* (pp. 25–33). Boston: Springer.
13. MEQ. (2001). *La formation à l'enseignement. Les orientations, les compétences professionnelles. Québec:* Gouvernement du Québec.
14. MENLSR (2013), *Formation des enseignants: éléments de comparaison internationale, Concertation sur la refondation de l'école de la République de France.*
15. Morales Perlaza, A. (2012). *Étude comparée de la formation initiale des enseignants du primaire au Québec et en Finlande* (Maîtrise dissertation, Faculté des Sciences de l'éducation, Université de Montréal, Québec). Retrived from: *https://www.researchgate.net/publication/283083703_Etude_comparee_de_la_formation_initiale_des_enseignants_du_prim ire_au_Quebec_et_en_Finlande*
16. Pearson.(2014), Report: The Learning Curve: Education and Skills For Life. Retrived from: *http://www.edmide.gr/anakoinoseis/The-Learning-Curve-Report-2014%20(1).PDF*
17. Smida, H.et al. (2007). Les dispositifs de formation des enseignants en mathématiques des pays du Maghreb face aux défis de l'école. *Canadian Journal of Science, Mathematics and Technology Education*, *7*(2‑3), 209–229.

18. Sriraman, B. (2004). The characteristics of mathematical creativity. *Mathematics Educator*, *14*(1), 19–34.
19. Tardif, M., & Borges, C. (2009). L'internationalisation de la professionnalisation de la formation à l'enseignement secondaire et ses retraductions dans des formes sociales nationales: poids et sens du « savoir professionnel » dans les programmes du Québec et de la Suisse romande. *Raisons éducatives, 13,*
20. Tatto, M. T., Schwille, J., Senk, S., Ingvarson, L., Peck, R., & Rowley, G. (2008). *Teacher Education and Development Study in Mathematics (TEDS-M): Policy, practice, and readiness to teach primary and secondary mathematics. Conceptual framework.* East Lansing, MI: Teacher Education and Development International Study Center, College of Education, Michigan State University.
21. Unesco. (2014). *Enseigner et apprendre: atteindre la qualité pour tous : Rapport mondial de suivi sur l'EPT, 2013/4.*
22. Université de Montréal (2018 a), Baccalauréat En Enseignement Des Mathématiques Au Secondaire, Québec, Canada. Retrieved from: *https://admission.umontreal.ca/programmes/baccalaureat-en-enseignement-des-mathematiques-au-secondaire/*
23. Université de Montréal (2018 b), Guide de l'étudiant – B. Éd. En Enseignement au secondaire, Québec, Canada. Retrieved from: *https://fse.umontreal.ca/fileadmin/fse/documents/pdf/Guide_de_l_étudiant/2018-2019/Guide_de_l_etudiant_BES_2018-2019.pdf*
24. Usiskin, Z. (2001). Teachers' mathematics: A collection of content deserving to be a field. *The Mathematics Educator*, *6*(1), 86–98.

الملاحق

توزيع المحتوى المعرفي على جوانب التكوين (الجزائر-كبيك)

نوع التكوين	المحتويات	الجزائر	كبيك
التكوين التخصصي	**الرياضيات القاعدية والتعمق في الرياضيات الأولية**	**540 سا** جبر I تحليل I هندسة إحصاء واحتمالات I الحساب التفاضلي والمعادلات التفاضلية	**480 سا** الرياضيات الأساسية الرياضيات الابتدائية (الأولية) الهندسة الإقليدية تحليل 1 حساب 1 الرياضيات المتقطعة الجبر الخطي الاحتمالات مدخل في الإحصاء
	تطبيق الرياضيات في سياقات أخرى	**90 سا** تاريخ الرياضيات	**150 سا** الرياضيات بواسطة الحاسوب الرياضيات والتكنولوجيا تاريخ الرياضيات النموذجة الرياضية
	الإعلام آلي والبرمجة	**90 سا** إعلام آلي	**45-90 سا** مدخل إلى برمجة الإنترنت البرمجة الكائنية الموجهة باستخدام لغة C++ مدخل إلى الوسائط المتعددة برمجة التطبيقات باستخدام لغة الفيجوال بازيك(VB) البرمجة العلمية باستخدام لغة C مدخل إلى الفيزياء العددية
	التعمق في الرياضيات	**1350 سا** جبر خطي جبر عام 2 جبر 3 تحليل II المنطق الرياضي المعادلات التفاضلية طبولوجيا تحليل عددي وإعلام آلي	**45-90 سا** الرياضيات المالية حساب 2 تحليل 2 المعادلات التفاضلية المتغير العقدي الهندسة التفاضلية التحليل العددي 1 الجبر 1

		تحليل عقدي I نظرية القياس والمكاملة I هندسة تآلفية جبر IV إحصاء واحتمالات II	العمليات العشوائية المنطق نظرية الأعداد الانحدار الخطي مفاهيم وطرق في الإحصاء
	تخصصات أخرى	**510 سا** أسس ميكانيك الكهرباء والمغناطيسية بنية المادة الديناميكية الحرارية الكيميائية	**45 سا** مدخل إلى علم الوراثة البيئة والمحيط مبادئ التطور مدخل إلى الديموغرافيا مبادئ الاقتصاد نماذج البحوث العملياتية فلسفة العلوم فلسفة المعرفة قضايا الأخلاق فلسفة العلوم الدقيقة الكهرومغناطيسية مقدمة في الفيزياء التجريبية ميكانيكا كلاسيكية 1 . تطور المفاهيم في الفيزياء
التكوين التربوي	العلوم التربوية والثقافية والبيداغوجيا	**360 سا** تاريخ العلوم علم النفس التربوي علم نفس نمو الطفل والمراهق مدخل إلى علوم التربية المناهج التعليمية والتقويم التربوي تشريع مدرسي	**345 سا** تاريخ وفلسفة التربية الرهانات الحالية للتقويم المنظومة التربوية والمهنية للتعليم تقييم التعليمات في المدرسة الثانوية المراهق والتجربة المدرسية التعلم المدرسي الثانوي تدبير التعلم المدرسة والبيئة الاجتماعية أو التنوع الاجتماعي والعرقي في المدرسة الثانوية التدخل التربوي مع البالغين أو التلاميذ ذوي الاحتياجات الخاصة
	الديداكتيك	**90 سا** ديداكتيك الرياضيات 1	**315 سا** الكتابة الفرنسية للتدريس 1 الكتابة الفرنسية للتدريس 2 شفوي الاستدلال الرياضي الأخطاء والحواجز في الرياضيات التكنولوجيا وتدريس الرياضيات ديداكتيك التناسبية ديداكتيك الجبر والدوال مخبر تعليمية الرياضيات
التكوين المهني	التربص ونشاطات الإدماج	**160سا** تربص 1	**375سا** تربص 1 التكيف مع المدرسة الثانوية التدريس في سياق متعدد مخبر التعليم تربص 2 الاستئناس بالتدريس في الثانوي تربص 3 التدريس 1 التقويم في التخصص تربص 4 تدريس الرياضيات في الثانوية

المصدر: من إعداد الباحثين بناء على المحتويات المعرفية لكلا برنامجي التكوين الجزائري والكبيكي

الهوامش:

[1]- وهذا حسب: (PEARSON, 2012, 2014).

[2]- في كبيك، التكوين في إطار ملمح "بكالوريا التعليم الثانوي" يشمل كلا المستويين الثانوي الأدنى والثانوي الأعلى (المتوسط والثانوي).

[3]- Diplômes d'études collégiales.

مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 1209 – 1222
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

الشعور بالأمن النفسي وعلاقته بمهارة توكيد الذات لدى التلاميذ ضحايا التنمر المدرسي دراسة ميدانية على عينة من تلاميذ التعليم الابتدائي

The feeling of psychological security and its relationship to the skill of self-affirmation among students who are victims of school bullying Afield study on a sample of primary school student

د/ رانية بن زروال
كلية العلوم الاجتماعية - جامعة باتنة1
مخبر بنك الاختبارات النفسية المدرسية والمهنية - باتنة-
benzeroual05@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/01/24 تاريخ القبول: 2021/12/13

الملخص:
هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مستوى كل من الشعور بالأمن النفسي و مهارة توكيد الذات لدى عينة من التلاميذ ضحايا التنمر المدرسي، وما إذا كانت هناك علاقة ارتباطية بينهما بالإضافة إلى الكشف عن الفروق فيهما بين التلاميذ ضحايا التنمر وأقرانهم العاديين عينة الدراسة تلاميذ التعليم الابتدائي حيث تكونت عينة الدراسة من (24) تلميذ من ضحايا التنمر، و(31) تلميذ من التلاميذ العاديين، وتمّ الاعتماد على المنهج الوصفي المقارن، والأدوات المستخدمة: مهارة توكيد الذات و الشعور بالأمن النفسي وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية:
1- توجد علاقة بين الشعور بالأمن النفسي و مهارة توكيد الذات لدى التلاميذ ضحايا التنمر.
2- توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى مهارة توكيد الذات بين التلاميذ ضحايا التنمر وغيرهم من التلاميذ العاديين.
3- توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى الشعور بالأمن النفسي بين التلاميذ ضحايا التنمر وغيرهم من التلاميذ العاديين.
الكلمات المفتاحية: شعور بالأمن النفسي؛ مهارة توكيد الذات؛ تلاميذ ضحايا التنمر المدرسي.

Abstract:
This study aimed to identify the level of feelings of psychological security and the skill of self-affirmation among a sample of students who are victims of school bullying، as well as to identify whether there are differences in the level of these variables between students who are victims of bullying and other ordinary students، and that among a sample of primary education students .The study sample consisted of (24) students who were victims of bullying،and (31) students who were ordinary students. The descriptive approach was adopted، and the tools used: the skill of self-affirmation and a sense of psychological security.
The study found the following results:
1- There is a relationship between a sense of psychological security and the skill of self-affirmation among students who are victims of bullying.

2- There are statistically significant differences in the level of self-affirmation skill between students who are victims of bullying and other ordinary students.
3- There are statistically significant differences in the level of feeling of psychological security between students who are victims of bullying and other ordinary students.
Key words: a sense of psychological security; Self-affirmation skill; Students are victims of school bullying

1- مقدمة واشكالية الدراسة:

يعتبر التنمر مشكلة تضرب بجذورها في أعماق الوجود الإنساني، فهي موجودة منذ القدم إلا أنها أصبحت تمارس بأشكال متنوعة في الآونة الأخيرة وبصورة لافتة للنظر،.ففي نهايات القرن 20وبداية القرن 21 شهدت تزايدا وانتشارا في جميع دول العالم سواء المتقدمة أو النامية(الخفاجي ،2014،2) ،ففي استراليا مثلا يتعرض طالب من بين ستة طلاب في المرحلة العمرية بين التاسعة والسابعة عشرة للاعتداء مرة واحدة أسبوعيا على الأقل ،أما في المدارس الأمريكية فهناك ما يقارب 2.1 مليون طالب يمارسون الاستقواء و2.7مليون ضحية للاستقواء (الخوالدة ،2011،421) وتشير الأبحاث الأخيرة في بريطانيا أن هذه المشكلة تحدث بنسبة (25%) في المدارس الابتدائية و(50%) في المدارس الثانوية، ويشير Wood)،(2004 وفقا لإحصائيات الجمعية الوطنية لعلماء النفس المدرسي في أمريكا أن 160.000 طالب من طلاب المدارس يلزمون بيوتهم يومياً ولا يذهبون إلى مدارسهم خوفاً من أن يمارس عليهم التنمر، أضف إلى ذلك ما أشارت إليه الإحصائيات المقدمة من قبل المعهد الوطني لصحة الطفل والتطور الإنساني أن (11%) منهم وقعوا ضحايا للتنمر، كما تشير الإحصائيات العالمية إلى أن ما يقرب من (15-20%) من الطلاب يتعرضون للتنمر من أقرانهم داخل المدرسة (الخفاجي، 2015،3).

فقد أصبحت العلاقة الطلابية يحكمها كثير من المتغيرات والمؤثرات الاجتماعية والسلوكية، ووجد أن التنمر لدى الطلاب لا يوجه إلى بعضهم البعض فقط، وإنما أصبح يوجه إلى الكادر التدريسي إضافة إلى ممارسته خارج أسوار المدرسة الأمر الذي أصبح يشكل خطورة كبيرة على المجتمع بصورة عامة مما يؤثر في التنمية الوطنية، ويضعف الإنتاج العلمي بشكل يتعارض مع طموحات الإنسان وأهدافه المستقبلية (عبد الرحمن، 1970، ص21). كما يعتبر مشكلة خطيرة تهدد الأمن النفسي بصورة عامة Georgiou، 2008،118 .p)،

وتشير أغلب الدراسات حول موضوع التنمر في المدارس إلى أن الطلبة ضحايا الاستقواء يعانون من تدني تقدير الذات مقارنة بالطلبة العاديين ويعانون من مشكلات مرتبطة بالتكيف النفسي الشخصي والاجتماعي ،،كما أشارت الدراسات إلى أن له أثارا سلبية على المستقوي وضحيته ،إذ يعاني كل من المستقوي وضحيته تدنيا في الصحة النفسية ،وفقدان الثقة ،وتدني تقدير الذات ومشكلات في تكوين صداقات يمكن الوثوق بها، كما يصبح الطالب الضحية مكتئبا ومشوشا ويصاب بالقلق والأرق ويصبح عنيفا ومنسحبا وقد تعمم مشاعر الضحية على معظم أدائه في البيت والمدرسة ومع جماعة الرفاق، وقد تدوم هذه الآثار لفترة طويلة في حياة الفرد. كما وقد يؤدي الاستقواء إلى الاكتئاب وانخفاض الثقة بالنفس والتوتر الدائم وفقدان الأمان (طنوس والخوالدة، 2014،422)، وفي هذه الدراسة سنحاول التعرف على مستوى مهارة توكيد الذات والشعور الأمن النفسي والعلاقة بينهما، ومهارة توكيد الذات يقصد بها قدرة الفرد على التعبير الملائم عن أي انفعال نحو المواقف والأشخاص، فيما عدا التعبير عن القلق وتشمل هذه الانفعالات التعبير عن الصداقة والمشاعر الوجدانية التي لا تؤذي الآخرين (الحلاق، 2007، 47) في حين يعبر عنها بأنها،

أما الشعور بالأمن النفسي فهو هو حجر الزاوية في الشخصية السوية، وهو ينشأ منذ إشباع حاجات الفرد الأساسية من طعام ودفء وذلك منذ نعومة الأظافر أثناء عملية التنشئة الاجتماعية والجسمية والبعد عما يهدد الحياة والشعور بالاطمئنان(أبو عمرة، 2012،12).

وبناء على ما سبق تتلخص مشكلة دراستنا تكمن مشكلة دراستنا في التساؤلات التالية الرئيسي التالي: هل توجد علاقة ارتباطيه دالة إحصائيا بين الشعور بالأمن النفسي ومهارة توكيد الذات لدى التلاميذ ضحايا التنمر المدرسي؟ وهل توجد فروق بينهم وبين التلاميذ العادين في متغيري الشعور بالأمن النفسي ومهارة توكيد الذات؟ وقد تفرع عن السؤال الرئيسي عدد من التساؤلات هي:

1- هل توجد علاقة بين الشعور بالأمن النفسي ومهارة توكيد الذات لدى التلاميذ ضحايا التنمر؟
2- هل توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى مهارة توكيد الذات بين التلاميذ ضحايا التنمر وغيرهم من التلاميذ العاديين؟
3- هل توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى الشعور الأمن النفسي بين التلاميذ ضحايا التنمر وغيرهم من التلاميذ العاديين؟

2- فروض الدراسة :

1- توجد علاقة ارتباطيه دالة إحصائيا بين الشعور بالأمن النفسي ومهارة توكيد الذات لدى التلاميذ ضحايا التنمر؟
2- توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى مهارة توكيد الذات بين التلاميذ ضحايا التنمر وغيرهم من التلاميذ العاديين؟
3- توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى الشعور بالأمن النفسي بين التلاميذ ضحايا التنمر وغيرهم من التلاميذ العاديين؟

3- أهداف الدراسة: تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

1- معرفة العلاقة بين الشعور بالأمن النفسي ومهارة توكيد الذات لدى التلاميذ ضحايا التنمر؟
2- معرفة وجود فروق دالة إحصائيا في مستوى مهارة توكيد الذات بين التلاميذ ضحايا التنمر وغيرهم من التلاميذ العاديين؟
3- معرفة وجود فروق دالة إحصائيا في مستوى الشعور بالأمن النفسي بين التلاميذ ضحايا التنمر وغيرهم من التلاميذ العاديين؟

4- أهمية الدراسة:

أولا- الأهمية النظرية

تسعى الدراسة الحالية إلى المساهمة في إثراء أحد مجالات الدراسات النفسية والاجتماعية، و ذلك من خلال توضيح العلاقة التي تربط بين كل من الشعور بالأمن النفسي ومهارة توكيد الذات لدى التلاميذ ضحايا التنمر وغيرهم من التلاميذ العاديين هذا من جهة، ومن جهة أخرى محاولة معرفة إن كانت هناك فروق بين التلاميذ الضحايا وغيرهم من العاديين في متغيري الشعور بالأمن النفسي ومهارة توكيد الذات من جهة أخرى.

كما تتناول هذه الدراسة متغيرين نفسيين مهمين جدا في حياة التلميذ والطفل بصفة عامة. فمتغير مهارة توكيد الذات هو مهارة الفرد في التعبير عن آرائه سواء كانت متفقة أو مختلفة مع الآخرين والإفصاح عن مشاعره الايجابية والسلبية حيالهم والدفاع عن حقوقه الخاصة والمبادأة والاستمرار في إنهاء التفاعلات

الاجتماعية ومقاومة ضغوط الآخرين لإجبارهم على إتيان سلوك لا يرغبه (ويعتبر من أهم المتغيرات التي من شأنها أن تعزز ثقة التلميذ بنفسه و تجعله أكثر انجازا وتكيفا مع الوسط المدرسي الذي يقضي فيه وقت لا بأس به، بالإضافة إلى متغير الشعور بالأمن النفسي فهو هو حجر الزاوية في الشخصية السوية، وهو ينشأ منذ إشباع حاجات الفرد الأساسية من طعام ودفء وذلك منذ نعومة الأظافر أثناء عملية التنشئة الاجتماعية والجسمية والبعد عما يهدد الحياة والشعور بالاطمئنان

ثانيا- الأهمية العلمية

لفت انتباه المختصين في علم النفس التربوي والمدرسي إلى بعض العوامل المهمة (الشعور بالأمن النفسي ومهارة توكيد الذات) في حياة التلميذ من اجل بناء شخصية سوية، واثقة بنفسه وبقدراته، وخاليا من الاضطرابات النفسية والمشاكل المختلفة.

5- حدود الدراسة:

حدود موضوعية: عينة من التلاميذ المشخصين بأنهم ضحايا تنمر مدرسي من طرف (الأخصائي المدرسي) واعتداءات متكررة من طرف زملائهم بالمدرسة، وكذا عينة من التلاميذ العاديين.

حدود مكانية: أجريت الدراسة في 4 مؤسسات التعليم الابتدائي التابعة لدائرة سريانة- ولاية باتنة - (حيث توفرت فيه العينة المطلوبة للدراسة).

حدود زمانية: اكتوبر2017/2018.

6- تحديد مصطلحات الدراسة وتعريفها اجرائيا

1- الشعور بالأمن النفسي:عرفه (زهران 1989) بأنه "الطمأنينة النفسية أو الانفعالية لدى الفرد، وحالة يكون فيها إشباع الحاجات مضموناً وغير معرض للخطر ومحرك للفرد في تحقيق أمنه (زهران، 1989، 296) واجرائيا في هذه الدراسة ما يقيسه مقياس الشعور بالأمن النفسي الخاص بهذه الدراسة.

2- مهارة توكيد الذات: تم تعريفه على أنه الدفاع عن الحقوق والتعبير عن الأفكار والمعتقدات والمشاعر على نحو صريح ومباشر وبطريقة مناسبة لا يترتب عليها أي أذى للآخرين أو لا تؤدي إلى انتهاك حقوقهم (الحلاق، 2007، 47)، وإجرائيا هي الدرجة التي يتحصل عليها التلميذ على مقياس مهارة توكيد الذات الذي يحوي 3 ابعاد (التذمر للتخلص من الظلم، التعبير عن الذات دون حساسية، المجادلة أو المناقشة العامة)

3- تلاميذ ضحايا التنمر المدرسي: يمثل **ضحايا التنمر** تلك المجموعة من التلاميذ المستهدفة من قبل المستقوين سواء أكان ذلك بصورة مباشرة أم غير مباشرة جسميا أو لفظيا أو إتلاف ممتلكاتهم (أبوغزال، 2010،422) ويتم التعرف عليهم من الدرجة التي يتحصلون عليها من خلال إجاباتهم (والتي تتراوح من 21 الى 60) على مقياس التنمر/الاستقواء المستخدم في الدراسة الذي يتكون من 3 أبعاد للوقوع ضحية للتنمر(الجسدي واللفظي والاجتماعي).

الإطار النظري والدراسات السابقة:

أولا- الشعور بالأمن النفسي

1- تعريف الامن النفسي: يرى حمزة (حمزة، 2005) أنه مفهوم معقد نظرا لتأثيره بالمتغيرات التكنولوجية والاقتصادية والاجتماعية ذات الإيقاع السريع، وبصفة خاصة في هذه المرحلة الزمنية ولذلك فدرجة إحساس شعور الفرد بالأمن النفسي ذي علاقة ارتباطيه بذاته وعلاقاته وأسلوب حياته، ومدى إشباع حاجاته.

2- أنواع وخصائص الأمن النفسي

أ- أنواع الأمن النفسي:

الأمن الجسمي: حيث يشير إلى مدى إشباع الفرد لحاجاته البدنية والجسمية.

الأمن الاجتماعي: ويتضمن شعور الفرد بإشباع حاجاته الاجتماعية في محيطه الاجتماعي.

الأمن الفكري والعقدي: وهو أن يؤمن الفرد على فكره، وعقيدته من أن يتم قهره على ما يخالف ما يعتقده، (أبو عمرة، 2012، 20).

ب- خصائص الأمن النفسي: أشار إلى هذه الخصائص زهران، 1988 والتي من أهمها:

- يتحدد الأمن النفسي بعملية التنشئة الاجتماعية، وأساليبها من تسامح، وعقاب، وتسلط، وديمقراطية، وتقبل، ورفض، وحب، وكراهية، ويرتبط بالتفاعل الاجتماعي، والخبرات، والمواقف الاجتماعية في بيئة آمنة غير مهددة.
- يؤثر الأمن النفسي إيجابيا على التحصيل الدراسي وفي الإنجاز بصفة عامة.
- الآمنون نفسيا أعلى في الابتكار من غير الآمنين.
- عدم الشعور بالأمن مرتبط بالتوتر، وبالتالي التعرض للإصابة بالأمراض، وخاصة أمراض القلب (الحربي، 2014، 19)

ثانيا - مهارة توكيد الذات

تعريف ولبي (wolpe): توكيد الذات يقصد به قدرة الفرد على التعبير الملائم عن أي انفعال نحو المواقف والأشخاص، فيما عدا التعبير عن القلق وتشمل هذه الانفعالات التعبير عن الصداقة والمشاعر الوجدانية التي لا تؤذي الآخرين.

أما لازاروس (lazaruse) يرى أن توكيد الذات هو كل أشكال التعبير الانفعالية المقبولة اجتماعيا عن الحقوق والمشاعر الايجابية كالإعجاب والحب والفرح

محددات السلوك التوكيدي: اقترح فرج أربعة محددات للسلوك التوكيدي وهي محددات خاصة بالفرد ومحددات خاصة بالطرف الأخر ومحددات خاصة بالسياق الثقافي - الاجتماعي ومحددات خاصة بالسياق الموقفي - النوعي (زقوت، 2011،58)، كما تؤيده طريف شوقي 1993 في محددات للسلوك التوكيدي وهي: محددات خاصة بالفرد، ومحددات خاصة بالسياق الثقافي - الاجتماعي، ومحددات خاصة بالسياق الموقفي - النوعي (بدر، 2006،23)

ثالثا - ضحايا التنمر المدرسي

التنمر المدرسي هو سلوك سلبي أو عدواني أو سلسلة من السلوكيات التي يمارسها شخص أو مجموعة من الأشخاص على شخص أو مجموعة من الأشخاص بهدف إيذائهم جسميا ونفسيا وذلك بالاعتماد على انعدام التوازن في القوى (حسين، 2017،25) ويقصد بالطلاب الضحايا Victims هم أولئك الذين لم تؤهلهم قدراتهم الجسمية أو البدنية والنفسية (الثقة بالنفس، والاقتدار على التصرف بفاعلية في المواقف الطارئة) من رد العداء الواقع عليهم بسبب قصور مهاراتهم الاجتماعية، وعجزهم عن التصدي والتحدي أمام من سولت لهم أنفسهم (المتنمرين) الاعتداء على حرمة أجسادهم بإهانتهم، وإذلالهم، والتحقير من شأنهم ووضعهم تحت ضغط يشعرون من خلاله أنهم لا حول لهم ولا قوة (عبد العال، 2007،50).

الدراسات السابقة:

دراسة السيد محمد عبد المجيد (2004): هدفت إلى بحث العلاقة بين إساءة المعاملة والأمن النفسي، وتوصلت نتائج الدراسة إلى وجود علاقة سالبة بين سوء المعاملة والأمن النفسي، وكذلك وجد أن تلاميذ المدارس الحكومية يعانون من سوء المعاملة أكثر من تلاميذ المدارس الخاصة، ووجد فروق دالة إحصائيا بين المدارس الحكومية والخاصة في الأمن النفسي لصالح المدارس الحكومية، وكذلك وجد تفاعل دال إحصائيا بين الجنس ونوعية الدراسة على الأمن النفسي.

دراسة عبد الله بن محمد علي الشهري (2009): هدفت الدراسة إلى الكشف عن العلاقة بين إساءة المعاملة المدرسية والأمن النفسي ومن نتائج الدراسة انه توجد علاقة ارتباطيه موجبة بين الدرجة الكلية لإساءة المعاملة المدرسية والآمن النفسي لدى أفراد العينة (الشهري، 2009).

دراسة نعمة مهني عبد العليم جاد الكريم (2010)**:** هدفها التعرف على طبيعة العلاقة الارتباطية بين متغيرات الدراسة المختلفة (الإساءة البدنية ،وجهة الضبط، توكيد الذات) لدى مجموعة من الأطفال العاملين المساء إليهم بدنيا ومجموعة الأطفال غير المساء إليهم ، كذلك التعرف على الفروق بين الأطفال المساء إليهم والأطفال غير المساء إليهم بدنيا في توكيد الذات ووجهة الضبط ، ومن نتائج الدراسة توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين درجة الطفل العامل المساء إليه بدنيا وغير المساء إليه على مقياس توكيد الذات لصالح الطفل غير المساء إليه (الكريم، 2010).

دراسة يوسفي حدة، بن زروال رانية (2019): هدفها التعرف على مستوى مهارة توكيد الذات لدى تلاميذ ضحايا التنمر المدرسي في التعليم الابتدائي، والفرق في المهارة بين ضحايا التنمر والتلاميذ العاديين وتوصلت الدراسة إلى أن ضحايا التنمر المدرسي يتميزون بتوكيد ذات منخفض، كما توصلت الدراسة إلى وجود فروق دالة إحصائيا في مستوى توكيد الذات بين ضحايا التنمر وغيرهم من التلاميذ العاديين لصالح التلاميذ العاديين (يوسفي، بن زروال، 2019).

الجانب الميداني للدراسة:

1- منهج الدراسة: المنهج الملائم لطبيعة الدراسة الحالية هو "المنهج الوصفي المقارن باعتباره يقوم على جمع البيانات وتحليلها إحصائيا بطرق ارتباطيه وأخرى فارقيه.

2- عينة الدراسة: اشتملت هذه الدراسة على عينة من التلاميذ ضحايا التنمر المدرسي (الذين تم التوصل إليهم والتعامل معهم عن طريق مساعدة وإرشاد من الأخصائي المدرسي المتواجد بهذه المؤسسات) والتلاميذ العاديين. ويمكن إدراج خصائص العينة كما يلي:

جدول رقم (01) يبين خصائص عينة الدراسة

العينة	التلاميذ ضحايا التنمر	التلاميذ العاديين	المجموع
العدد	24	31	55
النسبة	%43.63	%56.36	%100

يشير جدول رقم (01) إلى أن عدد أفراد العينة بلغ (55 تلميذ)، بحيث كان عدد التلاميذ ضحايا التنمر هو (24 تلميذ) أي بنسبة (43.63 %)، وعدد التلاميذ العاديين هو (31) بنسبة (56.36%)

3- أدوات الدراسة وخصائصها السيكومترية:

أولا- مقياس الأمن النفسي لعقيل بن ساسي: هي أداة تسعى إلى قياس الأمن النفسي لدى الأطفال مكونة من 27 بند وتقع الإجابة عليه في ثلاث مستويات (دائما، أحيانا، أبدا).

طريقة التصحيح: تعطى 3 درجات للإجابة ب دائما وعند الإجابة ب أحيانا تعطى 2 أما الإجابة ب أبدا فتعطى للإجابة 1 في العبارات الموجبة والعكس في العبارات السالبة.

تتراوح الدرجة الكلية للمقياس ما بين 27-81 درجة (1-27 امن نفسي منخفض، 27-54 متوسط، 54-81 مرتفع).

تم حساب الصدق والثبات من معد المقياس اعتمد في حسابه **للصدق** على طريقة استطلاع آراء المحكمين وطريقة الصدق البنائي للبنود التي كانت قيمه تتراوح بين 0.51 الى 0.56 عند مستوى الدلالة 0.05، **أما الثبات** فقام بحسابه بطريقة ألفا كرونباخ وكانت قيمته = 0.71.

أما في الدراسة الحالية فقد قامت الباحثة بإعادة حساب الخصائص السيكومترية للمقياس بعد تطبيق المقياس على 80 تلميذ والنتائج كالتالي:

1- الصدق: فقد تم التأكد منه من خلال استخدام طريقة الاتساق الداخلي وطريقة المقارنة الطرفية.

أ- طريقة الاتساق الداخلي: تم حساب معامل ارتباط البند بالدرجة الكلية للمقياس والنتائج كانت متراوحة ما بين 0.56-0.77 ونقول أن القيم دالة إحصائيا عند مستوى دلالة 0.05 و0.01 وبالتالي نقول أن المقياس يتميز بصدق اتساق داخلي عال.

ب- طريقة المقارنة الطرفية: تم استخدام طريقة المقارنة الطرفية لمعرفة مدى قدرة المقياس على التمييز بين متوسطات العينة العليا والدنيا، حيث تمت المقارنة بين27 بالمئة من طرفي التوزيع والنتائج موضحة في الجدول التالي:

جدول رقم (2): يوضح قيم ت لدلالة الفروق بين متوسطات العينة العليا والدنيا على مقياس الأمن النفسي

القيم / المجموعات	حجم العينة ن	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت	مستوى الدلالة
الدنيا	27	59، 69	1.80	29.10-	0.05
العليا	27	33، 62	1.87		

من خلال النتائج الموضحة في الجدول نلاحظ أن قيمة ت دالة عند مستوى الدلالة 0.05 إذن المقياس يميز بين متوسطات العينة الدنيا والعليا له وبالتالي فهذا مؤشر على قوة صدقه.

2- الثبات: تم حساب ثبات المقياس بمعادلة ألفا كرونباخ وطريقة التجزئة النصفية:

أ- طريقة الاتساق الداخلي (الفا كرونباخ): تم حسابه باستخدام معامل ألفا كرونباخ والنتائج موضحة في الجدول رقم (3).

جدول رقم (3): يوضح معامل الثبات باستخدام معادلة الفاكرونباخ

طريقة حساب الثبات	قيمة ألفا	مستوى الدلالة
المقياس ككل	0.69	0.05

نلاحظ من خلال النتائج المبينة في الجدول أن معامل ألفا كرونباخ دال حيث بلغت قيمته 0.69 عند مستوى دلالة 0.05.

ب- التجزئة النصفية: كما تم استخدام طريقة التجزئة النصفية وذلك بتقسيم الأداة إلى جزئين (فردي وزوجي) حيث بلغ معامل الارتباط الجزئي 0.79 وبعد تصحيحه بمعادلة سبيرمان براون لتصحيح الطول بلغت قيمته 0.80 وهي قيمة دالة إحصائيا.

ثانيا- مقياس مهارة توكيد الذات

تم استخدام مقياس مهارة توكيد الذات للباحثة يوسفي حدة وبن زروال رانية واللتان قامتا بحساب الخصائص السيكومترية للمقياس واعادت الباحثة حساب الخصائص في هذه الدراسة من خلال تطبيق الاداة على 80 تلميذ في التعليم الابتدائي وكانت النتائج كالتالي:

1- **صدق المقياس**: قمنا بالتأكد من صدق المقياس في الدراسة الحالية بالاعتماد على طريقة صدق المحتوى وصدق الاتساق الداخلي والصدق التمييزي:

أ- صدق التكوين الفرضي: تم حساب الاتساق الداخلي بتقدير معامل الارتباط بين الدرجة الكلية لكل بعد والدرجة الكلية للمقياس عند مستوى الدلالة 0.01 و0.05 والنتائج موضحة في الجدول التالي:

جدول رقم (04) يمثل معاملات ارتباط درجات أبعاد مقياس توكيد الذات بالدرجة الكلية

أبعاد المقياس	التذمر للتخلص من الظلم	المجادلة أو المناقشة العامة	التعبير عن الذات دون حساسية	الدرجة الكلية للمقياس
التذمر للتخلص من الظلم	1			
المجادلة أو المناقشة العامة	0.80	1		
التعبير عن الذات دون حساسية	0.85	0.56	1	
الدرجة الكلية	0.539	0.74	0.768	1

من خلال النتائج الموضحة في الجدول نلاحظ أن القيم دالة عند مستوى الدلالة 0.01 وعليه نقول أن هناك ارتباط بين الدرجة الكلية للبعد والدرجة الكلية للمقياس

ج- الصدق التمييزي: لنعرف مدى قدرة المقياس على التمييز بين المجموعات الطرفية وذلك من خلال المقارنة الطرفية بين المجموعة الأعلى والأدنى وتم اختيار المجموعتين ضمن 27 بالمئة من أفراد العينة النتائج موضحة في الجدول التالي:

جدول رقم (5) قيم ت لدلالة الفروق بين متوسطات العينة العليا والدنيا على مقياس مهارة توكيد الذات

القيم / المجموعات	ن	المتوسط	الانحراف المعياري	مستوى الدلالة	ت
الدنيا	27	35.85	2.3648	0.047	-15.887
العليا	27	47.111	4.37944		-15.887

من خلال النتائج الموضحة في الجدول نلاحظ أن قيمة ت دالة عند مستوى الدلالة 0.05 إذن المقياس يميز بين القيم الدنيا والقيم العليا له وبالتالي فهذا مؤشر على قوة صدقه.

2- **ثبات المقياس:** تم حساب ثبات المقياس كالأتي:

أ- **ألفا كرونباخ**: تم استخراج دلالات ثبات المقياس بحساب معامل الاتساق الداخلي باستخدام معادلة ألفا كرونباخ للأبعاد الفرعية الثلاثة المكونة للمقياس والنتائج موضحة في الجدول التالي:

جدول رقم (6) يوضح معامل الثبات باستخدام معادلة ألفا كرونباخ

الأبعاد / الثبات	قيمة ألفا
التذمر للتخلص من الظلم	0.49
المجادلة او المناقشة العامة	0.49
التعبير عن الذات دون حساسية	0.55
قيمة ألفا للمقياس ككل	0.48

نلاحظ من خلال النتائج المبينة في الجدول أن معاملات ألفا كرونباخ للأبعاد جيدة، كما أن قيمة ألفا كرونباخ للمقياس جيدة، وبالتالي يمكن أن نقول: أنّ المقياس ثابت.

ب- **التجزئة النصفية:** تم تجزئة بنود المقياس إلى جزئين (فردي، زوجي) وتم حساب معامل الارتباط بين الجزئين فكانت قيمته تساوي0.58 وبما أن القيمة المحسوبة تمثل معامل ارتباط لنصف المقياس فقد تم تعديلها بمعادلة سبيرمان - براون فأصبحت القيمة تساوي 0.69.

ثالثا: مقياس ضحايا التنمر المدرسي

تم الاعتماد على مقياس الوقوع ضحية للتنمر المدرسي المعد من طرف الباحثتان بن زروال رانية ويوسفي حدة وقد تم اعادة حساب الخصائص من طرف الباحثة وكانت النتائج كالتالي:

الصدق التمييزي: لنعرف مدى قدرة المقياس على التمييز بين المجموعات الطرفية تمت المقارنة الطرفية بين المجموعة الأعلى والأدنى والنتائج موضحة في الجدول التالي:

جدول رقم (7) قيم ت لدلالة الفروق بين متوسطات العينة العليا والدنيا على مقياس ضحايا التنمر المدرسي

القيم / المجموعات	ن	المتوسط	الانحراف المعياري	ت	مستوى الدلالة
الدنيا	27	15.222	2.72270	-12.00	0.01
العليا	27	39.000	10.43881	-12.00	

من خلال النتائج نلاحظ أن قيمة ت دالة عند مستوى الدلالة 0.01وهي قيمة دالة إحصائيا إذن المقياس يميز بين القيم الدنيا والقيم العليا له وبالتالي فهذا مؤشر على قوة صدقه.

1- **طريقة الاتساق الداخلي (معامل ألفا كرونباخ):** تم استخراج دلالات ثبات المقياس بحساب معامل الاتساق الداخلي باستخدام معادلة ألفا كرونباخ للأبعاد الفرعية الثلاثة المكونة للمقياس والنتائج موضحة في الجدول التالي:

جدول رقم 8 يوضح معاملات الثبات باستخدام معادلة ألفا كرونباخ

الأبعاد / الثبات	قيمة ألفا
التنمر الجسدي	0.79
التنمر اللفظي	0.75
التنمر الاجتماعي	0.79
قيمة ألفا للمقياس ككل	0.70

نلاحظ من خلال النتائج المبينة في الجدول 8، أن معاملات ألفا كرونباخ للأبعاد دالة، كما أن قيمة ألفا كرونباخ للمقياس كاملا مرتفعة، وبالتالي يمكن أن نقول: أنّ المقياس ثابت.

4- الأساليب الإحصائية: لاختبار صحة فروض الدراسة فقد تم استخدام برنامج Spss لتطبيق الأساليب الإحصائية التالية:

- معامل ارتباط بيرسون (للكشف عن العلاقة بين المتغيرين، وكذا ثبات المقياسين).
- اختبار T (للكشف عن الفروق ذات الدلالة بين التلاميذ ضحايا التنمر والعاديين).
- المتوسط الحسابي - الانحراف المعياري - معادلة سبيرمان براون (للكشف عن طبيعة متغيرات الدراسة، وكذا الخصائص السيكومترية للأدوات).

عرض نتائج الدراسة ومناقشتها:

1- عرض نتائج الفرضية الأولى: والتي تنص على أنه: "توجد علاقة بين الشعور بالأمن النفسي ومهارة توكيد الذات لدى التلاميذ ضحايا التنمر".

جدول رقم (09) يبين نتائج العلاقة بين تقدير الذات والاكتئاب لدى عينة الدراسة

	عدد أفراد العينة	معامل بيرسون	الدلالة	مستوى الدلالة
مهارة توكيد الذات	56	*0.31	0،02	دال عند 0.05
الشعور بالأمن النفسي				

يتّضح من الجدول رقم (09) وجود علاقة ارتباطيه موجبة دالّة إحصائيا بين مهارة توكيد الذات و الشعور بالامن النفسي لدى عينة الدراسة؛ حيث بلغ معامل ارتباط بيرسون (0.31*)، وهي قيمة دالّة عند مستوى المعنوية(0.05)؛ و بناء على ذلك، نقول ان الفرضية تحققت.

2- عرض نتائج الفرضية الثانية: والتي تنص على انه: "توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى مهارة توكيد الذات بين التلاميذ ضحايا التنمر وغيرهم من التلاميذ العاديين".

جدول رقم (10) يبين نتائج الفروق في تقدير الذات بين التلاميذ ضحايا التنمر والتلاميذ العاديين

	العينة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار "T"	مستوى الدلالة	الدلالة
مهارة توكيد الذات	ضحايا تنمر	24	8.46	2.949	3.873-	0.000	دال عند 0.01
	عاديين	31	11.56	2.983			

يبين الجدول رقم (10) أن المتوسط الحسابي لاستجابات التلاميذ ضحايا التنمر على مقياس مهارة توكيد الذات كان (8.46) وبانحراف معياري قدره (2.94)، بينما كان المتوسط الحسابي للتلاميذ العاديين هو (11.56) وانحراف معياري (2.98). ويتبين من الجدول أن قيمة اختبار "T" تساوي (-3.87)، وهي قيمة دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة 0.01.

وبناء على هذا فإننا **نرفض الفرض الصفري** القائل بعدم وجود فروق، ونقبل الفرض البديل القائل بوجود فروق بين التلاميذ ضحايا التنمر والتلاميذ العادين وهذا لصالح فئة التلاميذ العاديين.

3- عرض نتائج الفرضية الثالثة: والتي تنص على انه: "توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى الشعور بالأمن النفسي بين التلاميذ ضحايا التنمر وغيرهم من التلاميذ العاديين".

جدول رقم (11) يبين نتائج الفروق في مستوى الشعور بالامن النفسي بين التلاميذ ضحايا التنمر والتلاميذ العاديين

	العينة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار "T"	مستوى الدلالة	الدلالة
الشعور بالأمن النفسي	العاديين	24	24.38	8.144	7.640	0.000	دالة عند 0.01
	الضحايا	31	11.97	3.711			

يبين الجدول **رقم (11)** أن المتوسط الحسابي لاستجابات التلاميذ العاديين على مقياس الشعور بالأمن النفسي كان(24.38) وبانحراف معياري قدره (8.14)، بينما كان المتوسط الحسابي للتلاميذ الضحايا هو (11.97) وانحراف معياري (3.71). ويتبين من الجدول أن قيمة اختبار "T" تساوي (7.64)، وهي قيمة دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة 0.01.

وبناء على هذا فإننا **نرفض الفرض الصفري** القائل بعدم وجود فروق، ونقبل الفرض البديل القائل بوجود فروق بين التلاميذ ضحايا التنمر والتلاميذ العادين وهذا لصالح فئة التلاميذ العاديين.

مناقشة نتائج الدراسة:

1- مناقشة نتائج الفرضية الأولى: لقد تبيّن من خلال النتائج السابقة وجود علاقة ارتباطيه بين الشعور بالأمن النفسي ومهارة توكيد الذات الدى التلاميذ ضحايا التنمر. وبذلك يمكننا القول بأن هذه الفرضية قد تحققت، وهذه النتيجة تعتبر منطقية إلى حد كبير، أي أن امتلاك مهارة توكيد الذات يجعل التلميذ يحس بالأمن النفسي، ويمكننا تفسير هذه النتائج بأن الأطفال الذين لديهم توكيد الذات مرتفع سيكون لديهم مستوى مرتفع من الشعور بالأمن النفسي، وهذا ما لاحظناه لدى التلاميذ العاديين، بينما التلاميذ ضحايا التنمر والذين

كثيرا ما يتعرضون للإيذاء من زملائهم الذين يفوقونهم من حيث السن أو القوة الجسدية، فإنهم عادة ما يميلون إلى الشعور بعدم بالأمن النفسي وهذا بسبب شعورهم الدائم بالتهديد والعجز وعدم الإحساس بالأمان، مما يؤدي بهم تدريجيا إلى نقص الثقة بالنفس و كذا نقص توكيد الذات

وتوافقت نتائج الدراسة الحالية مع بعض الدراسات السابقة كدراسة عبد الله بن محمد علي الشهري 2009 ودراسة عبد العال.

2- مناقشة نتائج الفرضية الثانية: لقد تبيّن من خلال النتائج أنه توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى توكيد الذات بين التلاميذ ضحايا التنمر وغيرهم من التلاميذ العاديين، وهذا لصالح التلاميذ العاديين، وبذلك يمكننا القول بأن هذه الفرضية قد تحققت.

ويمكن أن تفسر هذه النتيجة باعتبار مهارة توكيد الذات من أهم الصفات التي تنمو وتتطور مع الطفل منذ مراحل نموه الأولى، ولكنها في مرحلة المراهقة (مثل عينة دراستنا) تتعزز أكثر وتكون أبرز ما لدى الطفل أو المراهق، ويرتبط توكيد الذات بعدة عوامل نفسية واجتماعية تحيط به.

وكلما كانت البيئة المحيطة بالطفل ايجابية ومشجعة له يرتفع توكيده لذاته، وكلما كان المحيط محبط له ومؤذي، كأن يتعرض للاعتداءات أو الاهانات أو ... الخ. سيؤدي به ذلك إلى تدني ونقص في توكيده لذاته، وهذا بالفعل ما توصلت إليه نتائج هذه الفرضية وهو ما يمكن أن نفسر به نتائج هذه الفرضية وتوافقت نتائج هذه الدراسة مع مختلف الدراسات السابقة التي تناولت موضوع ارتباط التعرض للتنمر ومهارة توكيد الذات كدراسة نعمة مهني عبد العليم جاد الكريم 2010.

3- مناقشة نتائج الفرضية الثالثة: لقد تبيّن من خلال النتائج أنه توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى **الشعور بالأمن النفسي** بين التلاميذ ضحايا التنمر وغيرهم من التلاميذ العاديين، وهذا لصالح التلاميذ العاديين . وبذلك يمكننا القول بأن هذه الفرضية قد تحققت.

ويمكن أن تفسر هذه النتيجة بأن الأطفال أو التلاميذ في سن المراهقة يكونون بصدد تشكل شخصيتهم، ويكون لديهم مقدار مرتفع نسبيا من النرجسية وحب الذات في هذا السن بالذات، ويفترض أنهم يكونون في مرحلة حساسة على الصعيد النفسي، فهم بحاجة إلى الشعور بقدراتهم وتميزهم بين الأقران ، واي سلوك قد يؤذي هذه المشاعر أو حتى مجرد إحساسهم بالأمان من شأنه أن يؤدي بالطفل أو المراهق إلى الإحساس بالعديد من المشاعر السلبية اتجاه نفسه واتجاه الآخرين، ويعتبر انخفاض الشعور من بين ابرز تلك المشاعر السلبية التي قد يقع الطفل الذي تم إيذاءه جسديا أو حتى معنويا فريسة له.

وبالفعل هذا ما توصلت إليه نتائج هذه الفرضية، حيث وجدنا أن نسبة الشعور بالأمن النفسي منخفضة لدى عينة الدراسة لدى التلاميذ ضحايا التنمر، بينما وجدناها مرتفعة لدى اقرأنهم من التلاميذ العاديين الذين يعيشون حياة طبيعية ولا يمرون بالصعوبات والازمات النفسية التي يمر بها التلميذ ضحية التنمر.

وبالتالي فان هذا يؤكد لنا مدى الأضرار النفسية التي يمكن أن تصيب التلاميذ جراء وقوعهم ضحايا للتنمر، بل قد يؤدي ذلك إلى ما هو أخطر من الاكتئاب، حيث أن نسبة كبيرة من هؤلاء التلاميذ قد يحاولون الانتحار هربا مما يصيبهم يوميا من ضغوطات واستفزازات من التلاميذ المتنمرين... وتوافقت نتائج الدراسة الحالية مع نتائج بعض الدراسات السابقة كدراسة يوسفي حدة، بن زروال رانية 2019 ودراسة فوكس وبولتن fox et boulton2005.

خاتمة:

تعتبر مهارة توكيد الذات من أهم المهارات التي من شأنها أن تعزز ثقة الضحية بنفسه وتجعله أكثر انجازا وتكيفا مع الوسط المدرسي الذي يقضي فيه وقت لا بأس به، وتحاول الدراسة الحالية أن تلفت انتباه المختصين في علم النفس التربوي والمدرسي إلى مستوى مهارة توكيد الذات لدى الضحية للاهتمام أكثر بهذه الفئة وتكون كانطلاقة لأبحاث ودراسات أخرى كبناء برامج لإنماء هذه المهارة من اجل بناء شخصية سوية وخالية من الاضطرابات النفسية والمشاكل المختلفة وفرد واثق بنفسه وبقدراته خاصة

فالأطفال والتلاميذ هم مستقبل الأمة، وتعتبر صحتهم النفسية وسلامة علاقاتهم الشخصية والاجتماعية أساس مهم جدا لتكوين شخصية راشدة سليمة، لذلك كان من المهم جدا الاهتمام بهؤلاء الأطفال وفي كل مراحل حياتهم والحرص على نموهم نموا طبيعيا قدر الإمكان.

ومن بين أهم الأماكن التي يجب أن يعيش فيها الطفل حياة سوية وخالية من المشاكل والضغوط، وان يحس فيها بالأمان واثبات للذات وللقدرات هي المدرسة التي يتعلم فيها.

لذلك كان من الضروري أن لا يتعرض التلميذ لتلك الأساليب التي من شأنها أن تسبب له أضرار معنوية وجسديه تستمر معه ول العمر. والتي من أهمها عرضه لمظاهر التنمر من طرف أصدقاءه والأشخاص الآخرين من حوله.

مقترحات الدراسة: من خلال النتائج التي توصلت إليها الدراسة الحالية يمكننا الإشارة إلى بعض الاقتراحات التي نراها مهمة وهي:

- تصميم برامج لتنمية توكيد الذات ومختلف الخصائص النفسية لدى ضحايا التنمر المدرسي.
- التعرف على المشكلات النفسية التي يعاني منها ضحايا التنمر المدرسي في مرحلة الطفولة والمراهقة.
- إجراء دراسة لمعرفة أسباب سلوك الاستقواء وكذا أسباب الوقوع ضحية التنمر من وجهة نظر الطلبة والمدرسين
- ضرورة توعية المعلمين والأساتذة بظاهرة التنمر التي أصبحت أكثر انتشارا من ذي قبل لدى التلاميذ، وتعريفهم بإشاراتها وعلاماتها سواء على الطفل المتنمر أو الطفل الضحية. وهذا من اجل اتخاذ الإجراءات اللازمة معهما.
- ضرورة تواجد أخصائي نفساني في المؤسسات التربوية بكل الأطوار، من اجل التوعية والوقاية من ظاهرة التنمر وأثارها السلبية على التلاميذ، والعمل على علاجها في الوقت المناسب إن وقعت.
- توعية الآباء بالعلامات والإشارات التي قد تنبئ بأن ابنهم ضحية للتنمر من أصدقائه، من اجل الحماية والعمل مع الأطراف التي يمكن أن تساعدهم في الحفاظ على الصحة النفسية لأولادهم.

قائمة المراجع:

العربية:

- أبو عمرة، عبد المجيد عواد مرزوق (2012)، الأمن النفسي وعلاقته بمستوى الطموح والتحصيل الدراسي لدى طلبة الثانوية العامة، مذكرة لنيل درجة الماجيستير، كلية التربية، جامعة الأزهر غزة.
- الهاشم، شريفة بنت قاسم بن صديق (2013)، تأكيد الذات وعلاقته بالسلوك العدواني لدى طلبة التعليم ما بعد الأساسي في ضوء بعض المتغيرات بمدارس محافظة مسقط، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجيستير، كلية العلوم والآداب، جامعة نزوي.
- بدر، فائقة محمد (2006)، وجهة الضبط وتوكيد الذات: دراسة مقارنة بين طلاب الجامعة المقيمين في المملكة العربية السعودية وخارجها. دراسات عربية في علم النفس،5 (1).

- بن جديد، فهد بن سعد (2016)، الغضب وعلاقته بتأكيد الذات لدى طلاب الثانوية العامة، مذكرة لنيل مذكرة الماجيستير، كلية العلوم الاجتماعية والادارية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.
- بن زروال رانية، يوسفي حدة (2019)، مستوى توكيد الذات لدى ضحايا التنمر المدرسي في المرحلة الابتدائية - دراسة مقارنة بين ضحايا التنمر والتلاميذ العاديين، مجلة دراسات نفسية وتربوية (12)2.
- جرادات، عبد الكريم (2008)، الاستقواء لدى طلبة المدارس الأساسية انتشاره والعوامل المرتبطة به، المجلة الأردنية في العلوم التربوية.
- الحلاق إقبال (2007)، توكيد الذات وأثره في التكيف الاجتماعي، مذكرة ماجيستير، جامعة دمشق.
- الحربي، بدر بن فيحان (2014)، الذكاء الاجتماعي وعلاقته بالأمن النفسي لدى طلاب جامعة القصيم، مذكرة لنيل الماجيستير، كلية التربية، جامعة ام القرى القطان 1986.
- الخفاجي أدهم رجب محمود، (2014)، أثر برنامج إرشادي في تنمية المهارات الاجتماعية لدى ضحايا التنمر المدرسي، رسالة ماجيستير، الجامعة المستنصرية، كلية التربية الأساسية.
- الخوالدة محمد خلف (2011)، فاعلية التدريب التوكيدي في تحسين تقدير الذات والتكيف لدى ضحايا الاستقواء، مذكرة لنيل درجة الماجيستير، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا.
- زهران، حامد عبد السلام (1989)، الأمن النفسي دعامة أساسية للأمن القومي العربي، دراسات تربوية، 4.
- زقوت ماجدة محمد (2011)، هوية الذات وعلاقتها بالتوكيدية والوحدة النفسية لدى مجهولي النسب، رسالة ماجيستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الإسلامية.
- عبد الرحمن سعد (1970)، عملية التطبيع الاجتماعي وأزمات التعامل والتعصب في مجتمعاتنا المعاصرة، مجلة عالم الفكر، 1(1).
- طنوس عادل جورج والخوالدة محمد خلف (2014)، فاعلية التدريب التوكيدي في تحسين تقدير الذات والتكيف لدى ضحايا الاستقواء، دراسات العلوم التربوية،41.
- الضلاعين انس صالح، (2011)، فاعلية برنامج توجيه جمعي لتحسين مهارتي توكيد الذات وحل النزاعات لدى طلبة الصف التاسع الأساسي في محافظة الكرك، مذكرة لنيل الماجيستير، جامعة مؤتة.
- علام منتصر علام محمد (2004)، مقارنة فعالية برنامجين للإرشاد التوكيدي والإرشاد العقلاني الانفعالي في تعديل مفهوم الذات، رسالة مكملة للحصول على الدكتوراه، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس.
- عبد العال عبد العال (2007)، تحية محمد أحمد (2006)، القلق الاجتماعي لدى ضحايا مشاغبة الأقران في البيئة المدرسية، مجلة كلية التربية جامعة بنها، 16(68).
- قطامي، نايفة وصرايرة منى (2009)، الطفل المتنمر، ط1، دار المسيرة، عمان.
- الكريم نعمة مهنى عبد العليم جاد (2010)، الاساءة البدنية وعلاقتها بكل من توكيد الذات ووجهة الضبط لدى الطفل العامل، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجيستير في الآداب، كلية الادب جامعة عين شمس.
- محمد سالم ناجح سليمان (2010)، الامن النفسي وتقدير الذات في علاقتهما ببعض الاتجاهات التعصبية لدى الشباب الجامعي، رسالة ماجيستير، كلية الآداب، جامعة الزقازيق.
- نعمة مهنى عبد العليم جاد الكريم (2010)، الاساءة البدنية وعلاقتها بكل من توكيد الذات ووجهة الضبط لدى الطفل العامل، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجيستير في الآداب، كلية الادب، جامعة عين شمس.

الاجنبية:

Georgiou، S. (2008). Bullying and victimization at school: The rol ofmothers.British Journal of Educational Psychology، 78(1).

مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 1223 – 1240
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

الكشف عن مستوى تشتت الانتباه لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية
- دراسة ميدانية بولاية الجلفة -

Detecting the level of distraction of primary school pupils
- A field study in the state of Djelfa -

فضيلة سعدات[1] **أ/ زهية خطار**
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة الجزائر2
مخبر الإرشاد والقياس النفسي **مخبر التربية والصحة النفسية**
fadhila.saadat@univ-alger2.dz kzahia71@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2019/12/18 **تاريخ القبول: 2021/01/31**

الملخص:
هدفت الدّراسة الحالية إلى الكشف عن مستوى تشتت الانتباه لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية (السنة الرابعة والخامسة)، حيث تم الاعتماد على المنهج الوصفي؛ وكذا تطبيق "اختبار ستروب Test De Stroop" على عينة متكونة من 53 تلميذ (26 ذكور) و(27 إناث). وخلصت الدّراسة إلى نتائج مهمّة تمثلت في: أنه لا توجد فروق بين التلاميذ في مستوى عدد الكلمات التي تم قراءتها وقراءتها بشكل صحيح على اختبار ستروب. كما كشفت نتائج الدّراسة أيضا عن وجود فروق فيما يخص درجة تشتت الانتباه بدلالة الجنس لصالح الذكور.
الكلمات المفتاحية: الانتباه؛ تشتت الانتباه؛ تلاميذ المرحلة الابتدائية.

Abstract:
The present study aimed to reveal the level of distraction of primary school pupils (Fourth and fifth year), where the descriptive method was adopted, as well as the application of 'Test De Stroop" on a sample of (53) pupils (26 males) and (27 females). The study concluded that: There were no differences among pupils in the level of the number of words read and read correctly on the Stroop test. The results of the study also revealed a difference in the degree of distraction of attention in terms of sex in favor of males.
Key words: Attention; Attention Deficit; Primary school pupils.

مقدّمة:

يُعد الانتباه إحدى العمليات العقلية التي تلعب دوراً مهماً في حياة الفرد من حيث قدرته على الاتصال بالبيئة المحيطة به والتي تعكس في اختياره للمنبهات الحسية المختلفة المناسبة، إذ يتمكن من دقة تحليلها وإدراكها والاستجابة لها بصورة تجعله يتوافق مع بيئته الخارجية أو الداخلية. فالانتباه ضروري لأيّة عملية تعلّم، كما يمثل عاملا رئيسيا للفهم والتذكر، بالإضافة إلى أن تعلّم مهارات ومعلومات جديدة من مثير ما يستلزم توجيه الانتباه واستمراره نحو هذا المثير. ومنه فاكتساب المعلومات يعتبر مؤشرا حقيقيا لحدوث الانتباه.

ونظرا للأهمية التي تكتسبها عملية الانتباه في العمليات العقلية الأخرى، وفي توافق الفرد وتكيفه، وكأداة بيداغوجية فعالة لتطوير وتنمية التعليم الناجع. خاصة وأن التلاميذ يتعلمون فقط ما ينتبهون إليه. فإذا تشتت انتباه التلميذ داخل غرفة الصف إمّا بسبب عوامل داخلية أي ترجع إلى التلميذ ذاته أو عوامل خارجية أي

1 – المؤلف المرسل.

ترجع إلى البيئة. فإن ذلك ينعكس على تحصيله. وهذا الأمر الذي أثار انشغال كبير لدى الكثير من المعلمين والآباء اتجاه هذه الفئة من التلاميذ. للتدخل بالطرق والسبل الفعالة التي من شأنها أن تخفف من تشتت الانتباه لدى هؤلاء التلاميذ. لكن هذا التدخل لا يكون بشكل اعتباطي بل يحتاج أولا إلى الكشف عن هؤلاء التلاميذ وتحديدهم بدقة حتى نضمن التدخل السليم.

ولهذا الغرض جاءت فكرة هذه الدّراسة والتي تهدف إلى الكشف عن تشتت الانتباه لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية (السنة الرابعة والخامسة)، من خلال وصف الأعراض التي يعاني منها التلاميذ باستعمال أداة مقننة للكشف والتعرف والحكم عنهم بأنّهم يعانون من تشتت الانتباه، ليسهل التدخل المبكر للحد من هذه المشكلة وتفاقمها مستقبلا.

إشكالية الدّراسة:

مما لا شك فيه أن مرحلة الطفولة من أهم المراحل في حياة الإنسان، فهي المرحلة التي تبنى عليها شخصية الإنسان مع تطور عمره الارتقائي، ودخوله إلى مرحلة التعليم الابتدائي والتي تظهر وتزدهر فيها القدرات العقلية للطفل من خلال تفاعله مع البيئة المدرسية والمواد الدراسية، ولعل من أهم مظاهر نجاح التلميذ في المدرسة هي طريقة تحصيله الجيدة للمواد الدراسية وأهمية احتفاظه بالمعلومات أثناء عرضها وكيفية تخزينها في الذاكرة لاستدعائها وقت الحاجة إليها، لكن يتوقف كل ذلك إذا كان التلميذ يعاني من تشتت الانتباه.

حيث تعتبر عملية الانتباه من أهم العمليات الحيوية التي تتوقف عليها مختلف العمليات العقلية، والتي تتطلبها عملية التعليم. وفي هذا السياق أكد "فتوح " أن عملية الانتباه العملية الأولى في اكتساب الخبرات التربوية حيث يساعد على تركيز حواس التلميذ فيما يقدم له أثناء الدرس من معلومات ويجعله يعمل ذهنه في دلالاتها ومعانيها والروابط المنطقية والواقعية بينها وبالتالي يساعد في استيعابها والإلمام بها ومن ثم فهو المدخل الرئيسي للاستفادة من شرح المعلم وما تقدمه الوسيلة التعليمية المصاحبة فضلا عن التعليمات التي تقدم للتلميذ داخل قاعة الدرس وخارجها بالإضافة إلى دور الانتباه في أداء المهام الدراسية بمختلف أشكالها[1]، كما أكدت الباحثة "بن عربية " أيضا أن الانتباه عملية حيوية تكمن أهميتها في كونها أحد المتطلبات الرئيسية للعديد من العمليات العقلية كالإدراك، التذكر، التفكير، التعلم والفهم، فهو يلازم كل عملية معرفية ويسبقها ويمهد لها ويتداخل معها، فبدونه لا يكون إدراك الفرد لما حوله واضحا جليا، ويجد صعوبة في التذكر والإدراك والفهم، مما ينتج عنه الوقوع في العديد من الأخطاء في التفكير أو الأداء المعرفي[2]. وهذا ما أصطلح عليه في التراث السيكولوجي بتشتت الانتباه ويقصد به" ضعف القدرة على التركيز والقابلية العالية للتشتت وضعف المثابرة وصعوبة نقل الانتباه من مثير إلى مثير آخر أو من مهمة إلى مهمة أخرى"[3].

لذا فكثيرا ما نلاحظ شكاوي المدرسين من بعض التلاميذ أثناء عملية التدريس؛ بسبب أنهم لا ينتبهون وشاردي الذهن وقليلي التركيز أثناء إلقاء الدرس، مما يترتب عليه عدم استيعابهم للمحتوى المقدم وكذا الفشل في إنهاء الواجبات المطلوبة منهم، وبالتالي فهذا الأمر قد يتسبب في تشكل صعوبات أكاديمية لديهم وبالتالي تدهور تحصيلهم. وأكد على ذلك "عواد، 1997" وقال أنه عندما يفشل التلميذ في اتباع تعليمات المدرس في الفصل والإجابة عن التساؤلات التي توجه إليه أثناء الدرس، فإن انتباهه في تلك الحالة قد يكون مشتتا، وعلى النقيض من ذلك فإن التلميذ الذي يداوم النظر إلى المدرس أثناء الدرس ويشترك معه في المناقشات التي تدور في الفصل، ويتبع تعليمات المدرس فإن هذا التلميذ يظهر أنه أكثر انتباها وتركيزا في الموقف التعليمي، وعندما يتشتت انتباه التلميذ فإن ذلك يؤدي إلى انخفاض مستوى التحصيل الدراسي لديه

في الموضوعات الأكاديمية، مما يوحي بأن لديه مشكلات في التعلم، وذلك مقارنة بزملائه الأكثر انتباها وتركيزا منه داخل الفصل الدراسي[4].

وفي نفس السياق توصلت دراسة "بريور وآخرون، 1986" إلى أن الأطفال الذين لديهم مشكلة في الانتباه يتميزون بخصائص عن غيرهم في الفصل الدراسي حيث تتميز هذه الفئة بصعوبة التركيز بالإضافة إلى مشكلات في القدرة على استمرار الانتباه والاحتفاظ به وأيضا تركيز الانتباه لمدة طويلة وصعوبة تنظيم الأعمال والمهام التي تعطي لهم وعدم القدرة على إنهائها ويعانون من التشتت والاندفاعية ويحتاجون إلى سيطرة وإشراف خارجي[5].

وبالتالي فلو تظهر هذه الأعراض على التلميذ أثناء العملية التعليمية، فإنّها بطبيعة الحال سوف تنعكس على مدى استيعابه للمحتوى وبالتالي ينخفض تحصيله، فقد بينت دراسة (Gilmore, 1968) أن مشكلات الانتباه تشكل عاملا أساسيا من العوامل التي تكمن وراء تدني التحصيل لدى الأطفال العاديين[6]. ويذكر الكثير من التلاميذ أن شرود انتباههم كان العامل الرئيس في تعثرهم الدراسي مرة بعد أخرى، هذا فضلا عما تسببه هذه العادة من شعور صاحبها بالنقص والعجز عن إصلاح نفسه بل وسخطه أو نفوره من نفسه[7]. لذا يعد الانتباه داخل الحجرة الدراسية شرطا أساسيا للتعلم والنجاح؛ ومنه فقد أصبحت مشكلة تشتت الانتباه محل اهتمام عدد كبير من علماء النفس.

تأسيسا على ما سبق؛ يتضح أن مشكلة تشتت الانتباه يعاني منها الكثير من التلاميذ مما يترتب عليه وجود أعباء إضافية تواجه المدرسين عند التعامل مع هؤلاء التلاميذ، لذا فلابد من التشخيص المبكر لمثل هذه المشكلات، لأنه كلما طالت الفترة التي يعاني فيها الطفل من مثل هذه المشكلات كلما كان علاجها أكثر صعوبة، تَحُولُ دون النمو السوي للطفل.

لذلك ارتأينا القيام بهذه الدّراسة بهدف الكشف عن مستوى تشتت الانتباه لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية (السنة الرابعة والخامسة). ولتوضيح ذلك أكثر قمنا بصياغة التساؤلات التالية:

التساؤل العام:

هل توجد فروق في مستوى تشتت الانتباه لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية من خلال تطبيق اختبار ستروب Test De Stroop؟.

انطلاقا من التساؤل العام صيغت التساؤلات الجزئية التالية:

- هل توجد فروق بين التلاميذ في مستوى عدد الكلمات التي تم قراءتها على اختبار ستروب؟
- هل توجد فروق بين التلاميذ في مستوى عدد الكلمات التي تم قراءتها صحيحا على اختبار ستروب؟
- هل توجد فروق بين الذكور والإناث فيما يخص درجة تشتت الانتباه؟

فرضيات الدّراسة:

انطلاقا من هذه التساؤلات تصاغ الفرضيات التالية:

- توجد فروق بين التلاميذ في مستوى عدد الكلمات التي تم قراءتها على اختبار ستروب.
- توجد فروق بين التلاميذ في مستوى عدد الكلمات التي تم قراءتها صحيحا على اختبار ستروب.
- توجد فروق بين الذكور والإناث فيما يخص درجة تشتت الانتباه.

أهداف الدّراسة:

سوف نحاول من خلال هذه الدّراسة الإجابة على بعض التساؤلات من خلال التعرض إلى بعض الجوانب التي تكشف لنا عن تشتت الانتباه لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية (السنة الرابعة والخامسة).

وفي هذا الإطار تهدف الدّراسة إلى هدف رئيس هو:

- الكشف عن مستوى تشتت الانتباه لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية من خلال تطبيق اختبار ستروب Test De Stroop.

ولتحقيق هذا الهدف لابد من تحقيق مجموعة من الأهداف الفرعية التالية:

- معرفة عدد الكلمات التي يقرأها التلاميذ على اختبار ستروب.
- معرفة عدد الكلمات التي يقرأها التلاميذ بطريقة صحيحة على اختبار ستروب.
- معرفة هل تختلف درجة تشتت الانتباه بدلالة الجنس.

أهمية الدّراسة:

نظرا لكون عملية الانتباه من المهارات الأساسية للتعلّم، ومن أهم العمليات العقلية، وعاملا أساسيا في النمو المعرفي. فإن هذا يبرز أهميتها بالنسبة للفرد في الحياة ككل، كيف وإذا كان هذا الفرد متعلما، فنحن نعلم أن عملية التعلّم تتطلب أدنى شك تركيز الانتباه من المتعلم، فإذا أغفل التلميذ أو تشتت انتباهه اثناءها أو حتى أنه أغفل جزءا من الدرس، فإنّه بطبيعة الحال لن يستطيع أن يفهم ما تبقى من الدّرس، الأمر الذي ينعكس كله على تحصيله فيها. لذا تعد مشكلة تشتت الانتباه من أهم التحديات التي تواجه المعلمين، وأولياء الأمور، والمرشدين على حد سواء. ومن هذا المنطلق تبرز أهمية الدّراسة في:

- أهمية المرحلة العمرية التي ستتم دراسة موضوع تشتت الانتباه فيها، وهي مرحلة الطفولة المتأخرة، ولاسيما أنّ الانتباه الإرادي يشهد نموا سريعا في هذه المرحلة، إلى جانب إبراز أهمية التشخيص المبكر لهذا الموضوع من خلال الاختبار المطبق للوقوف على المشكلة أول بأول قبل تفاقمها، ولفت أهل الاختصاص إلى ضرورة توفير هذا النوع من الاختبارات النفسية التي تكشف على هذه المشكلات في مراحلها الأولى.

- تزويد المعنيين بهذه الأمور بدراسة وصفية حول أحد أسباب تدني التحصيل لمعالجة هذه المشكلة وإيجاد ما يلزم في التعامل معها.

- قد تفيد نتائج هذه الدراسة المرشدين والمشرفين التربويين والاجتماعيين في تعاملهم المهني مع المعلمين وتوجيههم نحو تحقيق الأهداف التربوية المنشودة.

الدّراسات السابقة:

نظرا لكون الانتباه إحدى العمليات المعرفية العليا، وهو المدخل الذي تتم من خلاله تحديد هوية المعلومات وتنقيتها قبل دخولها إلى عالم الذاكرة، بحيث تسمح للمعلومات المطلوبة أن تمر، وتمنع المعلومات غير المطلوبة بل وتجعل الفرد في حالة يقظة للتعامل مع المثيرات والمواقف المختلفة المحيطة به، ومن ثمة فإنه يزيد من قدرته على التواصل والتفاعل مع الآخرين والبيئة المحيطة، الأمر الذي زاد من اهتمام العلماء والباحثين في المجال السيكولوجي بهذه العملية خاصة أنها شرط أساسي لحدوث التعلم، وذلك من خلال قيامهم بالعديد من الدّراسات وهذا بعض منها:

- دراسة أحمد عواد (1994): التي هدف إلى مقارنة تشتت الانتباه بين التلاميذ العاديين والتلاميذ ذوي صعوبات التعلم، وتكونت العينة من (475) تلميذ منهم (255) من الذكور و(220) من الإناث متوسط أعمارهم بين 6 و7 سنوات. أسفرت نتائج الدراسة عن انتشار تشتت الانتباه عند ذوي صعوبات التعلم أكثر من العاديين بنسبة 12.34% من العينة الكلية، وكانت نسبة الذكور الذين يعانون من تشتت الانتباه عند ذوي صعوبات التعلم 6.2% بينما الإناث 5.45%[8].

- دراسة (Stephen, 1996): هدفت الدراسة إلى التعرف على قدرة الأطفال الذين يعانون من تشتت الانتباه على القراءة الصحيحة، وقد تكونت عينة الدراسة من (21) طفلا بالمرحلة الابتدائية يعانون من هذا الاضطراب، و(21) طفلا من أقرانهم الأسوياء الذين لا يعانون من هذه المشكلة، وقد أوضحت نتائج الدراسة أن الأطفال الذين يعانون من تشتت الانتباه لا يستطيعون قراءة المادة المقروءة قراءة شاملة حيث إنهم يقفزون من جملة إلى أخرى ومن فقرة إلى أخرى تاركين بعض السطور أو الفقرات بدون قراءة، ولذلك فإن ما يستقبلونه من معلومات مقروءة تكون غير مترابطة وغير مفهومة[9].
- دراسة (Rabiner et al., 2000): حول الصعوبات التعليمية التي يمر بها الطلاب في المرحلة الابتدائية، حيث تم تقييم التحصيل الأكاديمي لـ (620) طالب وطالبة بالمرحلة الابتدائية في (8) مدارس في الولايات المتحدة. حيث تم تقييم تحصيلهم الأكاديمي في نهاية العام الدراسي في القراءة والرياضيات واللغة المكتوبة من خلال معلميهم بعد تطبيق مقياس كونر للكشف عن وجود مشكلات تشتت الانتباه. وقد أشارت النتائج إلى تدني مستوى القراءة بنسبة 76% لدى الطلاب الذين ظهرت لديهم أعراض تشتت الانتباه مقارنة بمن لم تظهر لديهم الأعراض، كذلك بالنسبة للغة المكتوبة فإن أداء الطلاب الذين ظهرت لديهم أعراض تشتت الانتباه كان منخفضا بنسبة 92 % عن الأقران العاديين، وقد أكدت هذه الدراسة على ضرورة التدخل المبكر لعلاج الأطفال الذين تظهر لديهم أعراض هذا التشتت في سن مبكر، كما أكدت الدراسة على أهمية التركيز في حالة الأطفال الذين يعانون من تشتت الانتباه على الأسباب التي تقود للصعوبات الأكاديمية وليس على الصعوبات الأكاديمية ذاتها[10].
- دراسة لبنى جديد (2005): التي هدفت إلى التعرف على طبيعة العلاقة الارتباطية بين مستويات تركيز الانتباه ومستويات التحصيل الدراسي لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في المقررات كافة وفي مقرر الرياضيات بصفة خاصة، إلى جانب الكشف عن الفروق بين الذكور والإناث في مستوى تركيز الانتباه، وقد أجريت الدّراسة على عينة قوامها (506) تلميذا، (271) من الذكور و(235) من الإناث، بالصف الخامس ابتدائي في مدارس دمشق الرسمية. وقد استخدم اختبار الشطب في التحقق من فرضيات الدّراسة، وقد توصلت الدّراسة إلى أن هناك علاقة ارتباط بين مستويات تركيز الانتباه لدى أفراد عينة البحث في أدائهم على اختبار الشطب ومستويات تحصيلهم الدراسي في المقررات كافة. كما توصلت إلى ثمة علاقة ارتباط بين مستويات تركيز الانتباه لدى أفراد عينة البحث في أدائهم على اختبار الشطب ومستويات تحصيلهم الدراسي في مقرر الرياضيات. بالإضافة إلى وجود فروق ذات دلالة إحسائية بين متوسط درجات مستوى تركيز الانتباه لدى الذكور ومتوسط درجات مستوى تركيز الانتباه لدى الإناث في أدائهم على اختبار الشطب وذلك لصالح الاناث[11].

أولا- الإطار النظري للدّراسة

1- تعريف تشتت الانتباه:

اصطلاحا:

الانتباه: يعرفه كوفمان (2004) kaufman: "عملية تركيز للوعي على بعض المثيرات أو التركيز على مثير واحد من تلك المثيرات المقدمة للفرد"[12].

تشتت الانتباه: هو حالة تعني عدم قدرة الطفل على التركيز والانتباه لتفاصيل الأشياء، والانتقال من نشاط إلى آخر قبل الانتهاء من أي منهما، والتشتت وعدم القدرة على اتباع التعليمات وانجازها"[13].

ومنه يمكن أن نعتبر التلميذ لديه تشتت الانتباه عند عدم قدرته على تركيز انتباهه لفترة من الزمن أثناء ممارسته الأنشطة المدرسية، بحيث يعجز عن الاختيار الانتقائي لمثير محدد في محيطه البصري، ولكن يتجه إلى كل المثيرات في وقت واحد، وبالتالي لا يستطيع انتقاء مثير معين ليركز عليه.

إجرائيا: ونعني بتشتت الانتباه إجرائيا في هذه الدراسة هو عجز التلميذ (السنة الرابعة أو الخامسة ابتدائي) على الاختيار الانتقائي للمثير المحدد في مجاله البصري وهو (قراءة الكلمة أو لون الكلمة) بشكل صحيح، ويتضح ذلك في الدرجات التي يتحصل عليها التلميذ على اختبار ستروب (Test De Stroop) المطبق لهذا الغرض.

2-العوامل المشتتة للانتباه:

من المشكلات الشائعة التي يعاني منها التلاميذ أثناء التحصيل الدراسي أو استذكار الدروس، ضعف القدرة على التركيز أو حصر الانتباه في المادة المراد دراستها أو حفظها. والتركيز اصطلاح شائع يعني القدرة على التحكم في الانتباه، وخاصة القدرة على مقاومة التشتت. إن ضعف القدرة على التركيز يرجع إلى عدة عوامل مشتتة للانتباه، بعضها داخلي أو ذاتي، أي يرجع إلى الفرد ذاته، والبعض الآخر خارجي أي يرجع إلى البيئة. وهي على النحو التالي:

2-1 العوامل الداخلية: قد تكون هذه العوامل فسيولوجية أو نفسية، والتي تتمثل في:

العوامل الفسيولوجية: من بين العوامل المؤثرة على الانتباه، والتي تتسبب في تشتت الانتباه، نذكر:

- اضطرابات الأجهزة الجسمية مثل: اضطراب الجهاز التنفسي أو الهضمي أو الغدي.
- سوء التغذية.
- التعب والإرهاق والملل: فالتعب عبارة عن هبوط أو فقدان قابلية التنبه. أي أنه لا يمكن الجمع بين التعب والانتباه، إن فقدان قابلية التنبه من جهة، مع وجود شدة التنبه من جهة أخرى (كمحاولة المرء استخدام عقاقير طبية منبهة أو مكيفات مثلا)، يحدثان إرهاقا جسميا ونفسيا[14].

العوامل النفسية: كثيرا ما يرجع تشتت الانتباه إلى عوامل نفسية. مثل عدم ميل الطالب إلى المادة وبالتالي عدم اهتمامه بها، أو انشغال فكرة وتركيزه الشديد في أمور أخرى (رياضية، أو اجتماعية، أو عائلية) أو إسرافه في التأمل واجترار المتاعب والآلام[15].

2-2 العوامل الخارجية: وهي إما عوامل بيئية أو اجتماعية:

العوامل البيئية: كالضوضاء أو سوء الإضاءة أو سوء التهوية وارتفاع درجة الحرارة ونسبة الرطوبة، هذه المؤثرات تؤدي إلى سرعة التعب وازدياد قابلية الفرد للتهيج وبالتالي إلى فقد القدرة على حصر الانتباه[16].

العوامل الاجتماعية: وقد يرجع التشتت إلى عوامل اجتماعية كالمشكلات غير المحسوسة أو نزاع مستمر بين الوالدين أو عسر يجده الفرد في صلاته وعلاقاته الاجتماعية أو صعوبات مالية أو متاعب عائلية مختلفة. مما يجعل الفرد يلتجئ إلى أحلام اليقظة ليجد فيها مهربا من هذا الواقع المؤلم[17].

وأخيرا يمكن القول إن حصر القدرة على الانتباه تتحكم فيه مجموعة من العوامل والمؤثرات المشتتة للانتباه عن المنبهات التي يحاول الفرد بإرادته الانتباه إليها، ويمكن للفرد أن يتغلب على هذه المؤثرات إلا أن ذلك يتطلب ويحتاج إلى مجهود كبير.

3- أعراض تشتت الانتباه:

تتمثل أعراض تشتت الانتباه لدى الطفل في عمر المدرسة فيما يلي:

- إن الطفل الذي يعاني من تشتت الانتباه لا يستطيع تركيز انتباهه على أي منبه أكثر من بضعة ثوان متتالية، ثم ينقطع انتباهه عن هذا المنبه في نفس الوقت الذي تكون فيه المعلومات مازالت تنبعث منه، ولذلك نجد أن انتباه الطفل ينتقل بسرعة شديدة بين المنبهات المختلفة
- إن الطفل الذي يعاني من تشتت الانتباه لديه ضعف في القدرة على الإنصات، ولذلك فإنه يبدو وكأنه لا يسمع، ولهذا السبب نجده لا يستطيع فهم المعلومات التي يسمعها كاملة، ولكنه قد يفهم منها بعض الحروف، أو الكلمات، أو المقاطع، ويترتب على ذلك أن المعلومات التي يكتسبها عن طريق حاسة السمع تكون مشوشة ومختلطة وغير واضحة، وهذا بدوره يؤدي إلى ضعف قدرته على التفكير[18].
- غالبا ما يخفق في إعارة الانتباه للتفاصيل أو يرتكب أخطاء تنم عن الإهمال في الواجبات المدرسية أو في العمل أو في النشاطات الأخرى.
- غالبا لا يتبع التعليمات ويخفق في إنهاء الواجب المدرسي أو الأعمال الروتينية اليومية أو الواجبات العملية (ولا يعزى ذلك إلى سلوك المعارضة أو الإخفاق في فهم التعليمات).
- غالبا ما تكون لديه صعوبة في تنظيم المهام والأنشطة.
- غالبا ما يتجنب أو يمقت أو يرفض الانخراط في مهام تتطلب منه جهدا عقليا متواصلا (كالعمل المدرسي أو الواجبات في المنزل).
- غالبا ما يضيع أغراضا ضرورية لممارسة مهامه وأنشطته (كالألعاب أو الأقلام أو الكتب أو الأدوات).
- كثير النسيان في أنشطة حياته اليومية[19].
- عدم قدرة على إنهاء العمل الذي يقوم به فيتشتت انتباهه بسهولة بين المنبهات الدخيلة العارضة بعيدا عن المنبه الرئيسي، لذلك فإنه لا يستطيع إنهاء العمل الذي يقوم به بدون تدخل من الآخرين ومساعدتهم له[20].

تأسيسا على ما سبق؛ يتسم الطفل الذي يعاني من تشتت الانتباه من جملة من الأعراض التي تميزه عن الطفل الذي لا يعاني من تشتت الانتباه. فالانتباه القصير، وضعف القدرة على الإنصات، وإهمال التفاصيل وصعوبة تنظيم الأنشطة والمهام، ونسيان وإضاعة الأغراض، وعدم الانتهاء من الأعمال. كلها أعراض تظهر على الطفل الذي يعاني من تشتت الانتباه، التي وجب الكشف عنها أثناء عملية التشخيص.

4- تشخيص تشتت الانتباه:

أجمع العديد من الباحثين على أن تشخيص تشتت الانتباه، يرتكز على الجوانب الأتية:

- تشخيص مظاهر سلوك عدم الانتباه المطوب علاجها.
- تحديد العوامل النفسية والتربوية والجسمية المسؤولة عن عدم الانتباه.
- التعرف على الظروف البيئية لعدم الانتباه.
- تحديد أهداف العلاج[21].

وبالرجوع إلى الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات العقلية (Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders-DSM-4-TR-2000) نجده يحدد بالتفصيل وبدقة تشخيص تشتت الانتباه، والمتمثل في:

ظهور ستة أو أكثر من الأعراض التالية لحالات تشتت الانتباه لمدة لا تقل عن ستة أشهر لدرجة صعوبة التكيف معها:

- ضعف الانتباه المركز للتفاصيل وظهور أخطاء ومشكلات كثيرة في الأعمال المدرسية (الواجبات، الأنشطة وغيرها) أو غير ذلك من النشاطات التي يمارسها.

- صعوبة في الإنصات لذلك يبدو وكأنه لا يستمع للحديث الموجه إليه؛ صعوبة في بقاء الانتباه لمدة طويلة في المهام وأنشطة اللعب.
- لا يتبع التعليمات الخاصة بالمهام الموكلة إليه وبالتالي يفشل في إنهاء المهام والأعمال المدرسية أو الواجبات داخل بيئة العمل (لا تعود أسبابه إلى السلوك غير السوي أو الفشل في فهم التعليمات).
- يتجنب ويتلاشى ويبدي كرهه وتردده في المشاركة في المهام التي تتطلب جهدا عقليا متواصلا (مثل العمل المدرسي أو الواجبات الدراسية في المنزل).
- يفقد وينسى الأشياء اللازمة لإتمام المهام المدرسية مثل: الأقلام، الكتب، الممحاة، الأدوات وما إلى ذلك.
- يتشتت انتباهه لجميع أنواع المثيرات القوي منها والضعيف.
- ينسى الأنشطة اليومية التي اعتاد على أدائها بشكل متكرر[22].

مما سبق؛ فالأطفال مشتتي الانتباه لديهم خصائص عديدة تميزهم، سواء كان ذلك داخل الصف الدّراسي أو في المنزل، فالأطفال في الحجرة الدراسة يواجهون صعوبات انتباهية؛ حيث يعطي هؤلاء انطباع بأن انتباههم مغلق، فغالبا ما يلاحظ عليهم أنهم لا يصغون إلى ما قيل لهم، ويعملون أخطاء في الواجب المدرسي وأيضا في المهام التي تعطى إليهم، وعدم الاستجابة للتعليمات. وأيضا يتحولون من نشاط إلى آخر قبل إتمام النشاط الأول، وقد يرجع ذلك ربما لأنهم يلتفتون ورائهم على أي شيء أثناء أدائهم المهام الموكلة إليهم. وهم لا يستطيعون متابعة الأسئلة خلال العمل المدرسي ويفشلون في تكملة العمل المدرسي أو أية واجبات أخرى. بالإضافة إلى مشكلات في عدم القدرة على استمرار الانتباه والاحتفاظ به لمدة طويلة، فسرعان ما يتشتت انتباههم لجميع المثيرات القوي منها والضعيف. بالإضافة إلى عدم القدرة على التنظيم، ونسيان الأنشطة اليومية التي اعتادوا على أدائها باستمرار، بالإضافة إلى نسيان الأدوات اللازمة للقيام بهذه الأنشطة. وبالتالي فهم يحتاجون إلى إشراف خارجي، وهذا الأمر يتطلب معرفة هؤلاء الأطفال وتتبع لسلوكهم ونماذج استجاباتهم.

5- تقييم تشتت الانتباه:

لكي يتم تطوير برنامج علاجي للأطفال الذين يعانون من تشتت الانتباه يتوجب على المعلم أن يلاحظ بشكل دقيق مشكلات الانتباه ويحدد العوامل التي قد تسهم فيها. وتوجد عدة خطوات لتقييم مشكلة تشتت الانتباه واختيار الأهداف العلاجية نوجزها فيما يلي:

- وصف سلوكيات الانتباه التي تشكل محور الاهتمام.
- تحديد العوامل والظروف البيئية.
- تحديد العوامل التربوية والتعليمية التي تزيد أو تقلل من سلوكيات الانتباه.
- تحديد العوامل الانفعالية والجسدية والخبرات التي تسهم في فشل المتعلم.
- اختيار أهداف لمعالجة عملية الانتباه[23].

انطلاقا من الخطوات السالفة الذكر نلاحظ أن عملية علاج مشكلة تشتت الانتباه لا تتم بشكل اعتباطي فهناك خطوات ومراحل لابد أنّ يمر بها كل شخص بصدد تقديم يد المساعدة لهذه الفئة، وهذه الخطوات والمراحل التي تسبق عملية العلاج تشترك فيها كل الجهود والأفراد المعنيين الذين لديهم احتكاك سواء مباشر أو غير مباشر بذوي مشكلة تشتت الانتباه.

ثانيا- الاطار الميداني للدّراسة

1- منهج الدّراسة:

اعتمد في هذه الدراسة على المنهج الوصفي، وهو عبارة عن بحث يتناول موضوعاً ما ويقوم بتحليله ودراسته دراسة معمقة حيث يعرف على أنّه: "طريقة لوصف الموضوع المراد دراسته من خلال منهجية علمية صحيحة وتصوير النتائج التي يتم التوصل إليها على أشكال رقمية معبرة يمكن تفسيرها"[24].

2- عينة الدّراسة:

تكونت عينة الدّراسة من (53) تلميذا من تلاميذ السنة الرابعة والخامسة من المرحلة الابتدائية بعدما كان العدد الإجمالي (58) موزعين على مدرستين: (مدرسة بن سالم دحمان ومدرسة المجاهد طاهيري بلقاسم) بولاية الجلفة مقاطعة مسعد. وتم تطبيق الدّراسة في شهر فيفري ومارس لسنة الدراسية 2016/2017. كما تم اختيار مكان الدّراسة بطريقة قصدية، وذلك للتسهيلات والمساعدات التي منحت لنا لتطبيق الاختبار.

إجراءات اختيار العينة: تم اختيار عينة الدّراسة بطريقة قصدية وذلك باتباع المراحل التالية:

المرحلة الأولى: في البداية تم الاعتماد على المعلمين والاستفادة من خبرتهم في التعرف على التلاميذ ذوي تشتت الانتباه باعتبارهم أكثر الأشخاص معرفة بهم وبمستواهم الدراسي وقدمت الباحثة شروحات مفصلة حول أعراض تشتت الانتباه للمعلمين، حتى يتمكنوا من اختيار هؤلاء التلاميذ بشكل صحيح دون أن يخلطوا بينهم وبين التلاميذ الذين يعانون من مشكلات أخرى. وبذلك تم التوصل إلى (58) تلميذ وتلميذة ذوي التحصيل الدّراسي المنخفض، والذين يفترض أنّهم يعانون من تشتت الانتباه.

المرحلة الثانية: قامت الباحثة في هذه المرحلة باستبعاد كل التلاميذ الذين تتوفر فيهم مشكلات بصرية، أو سمعية، أو جسمية، قد يرجع ضعف تحصيلهم الأكاديمي إليها. بالاعتماد على الدفتر الصحي ومعلومات المعلم حول حالة التلميذ الصحية باعتبار أنّه على علاقة دائمة ووطيدة به وفي بعض الأحيان بأسرته أيضا، بالإضافة إلى المقابلات السريعة التي أجرتها الباحثة مع التلاميذ. وبلغ عدد الأفراد الذين تم استبعادهم (3) تلاميذ.

المرحلة الثالثة:

تم في هذه المرحلة تطبيق اختبار الذكاء (رسم الرجل) على مجموعة التلاميذ الذين لا يعانون من أي إعاقات حسية أو عضوية، والغاية من هذه الخطوة هو التأكد من أن الحالات لا تعاني من مشاكل في القدرة العقلية العامة (الذكاء). وبقي من التلاميذ الذين يتمتعون بذكاء متوسط فأعلى (نسبة ذكاء 90 فما فوق) (53) تلميذ وتلميذة والذين يفترض أنهم يعانون من تشتت الانتباه، وللتأكد من ذلك تم تطبيق اختبار ستروب Test de Stroop.

وعليه فالجول الموالي يوضح خصائص عينة الدّراسة:

جدول (1) خصائص العينة

المستوى التعليمي / الجنس	السنة الرابعة ابتدائي	السنة الخامسة ابتدائي	المجموع	النسبة المئوية
الذكور	14	12	26	%49.06
الإناث	15	12	27	%50.94
المجموع	29	24		
النسبة المئوية	%54.72	%45.28		

توضح البيانات الواردة في الجدول رقم (1) أنّ نسبة تلاميذ السنة الرابعة المذكورة آنفاً قدرت بـ: 54.72% في حين أنّ نسبة تلاميذ السنة الخامسة قدرت بـ: 45.28% وبالتالي ليس هناك تباين كبير بين السنتين فهما متقاربتين. أما بالنسبة للجنس فقدرت نسبة الذكور بـ: 49.06% ونسبة الإناث بـ: 50.94% وبالتالي ليس هناك تباين بين الجنسين فهما متقاربين.

3- أدوات الدراسة

اختبار رسم الرجل Draw a man test: أعدت الاختبار جودانف Goodnough سنة 1926، ووضعت مفردات تصحيحه من (51) مفردة، الذي يهدف إلى قياس القدرة العقلية والتعرف على السمات الشخصية للمفحوص من سن (3 إلى 15)، وذلك بالاعتماد على العناصر الأساسية التي يتم الاهتمام بها في رسم الرجل ومقدارها (51) عنصر يعطي لكل منها عند وجودها علامة ومنها: وجود الشعر، وجود الرأس، تناسب الرأس مع الجسم، وجود العينين، إظهار اتجاه العينين، تناسب العين، وجود الأنف، إظهار فتحتي الأنف، رسم الفم والأنف من بعدين، وجود الأذنين، وجود الرقبة، ظهور الأكتاف بوضوح تام، اتصال الذراعين والساقين، تناسب الذراعين، وجود الأصابع، تفاصيل الأصابع، وجود الجذع، وجود الساقين، تناسب الساقين، وجود ملابس كاملة، إظهار الكعب[25].

خطوات تطبيق الاختبار:

- تجهيز المكان المناسب والأدوات اللازمة للتطبيق (ورقة بيضاء وقلم الرصاص).
- تطلب الباحثة من التلاميذ رسم صورة رجل مراعيتا التعليمات التالية (أرسم صورة رجل، أرسم أجمل صورة تقدر عليها، أرسم صورة كلية للرجل تشمل الرأس والأطراف).
- لا يحدد الوقت اللازمة لعملية التطبيق لدى التلاميذ ولكن معظم الأطفال ينهون الأداء المطلوب في مدة لا تتجاوز 15 دقيقة.
- تعزيز التلاميذ لفظيا.
- يجب ألا تتدخل الباحثة في أداء التلميذ أو التعليق على رسمه أثناء تطبيق الاختبار.
- يطبق الاختبار بشكل جماعي كما يمكن تطبيقه بشكل فردي.

تصحيح الاختبار: تعطي درجة واحدة عن كل نقطة من العناصر الأساسية التي يهتم بها في رسم الرجل وعددها 51 عنصرا.

ولحساب معامل الذكاء نطبق المعادلة التالية:

معامل الذكاء= (العمر العقلي بالشهور/ العمر الزمني بالشهور) x 100.

- إذا كان معامل الذكاء أقل من 80 درجة ذكاء منخفض.
- معامل الذكاء من 80 إلى 89 قريب من المتوسط.
- معامل الذكاء من 90 إلى 100 متوسط.
- معامل الذكاء من 100 إلى 140 ذكاء مرتفع ومرتفع جدا.

معامل الذكاء أكبر من 140 ذكاء عالي (عبقري موهوب)[26].

الخصائص السيكو مترية للاختبار: قامت الباحثة بتبني النتائج التي توصل إليها الباحث "عيسى رمانة" في دراسته "دور تشخيص صعوبات التعلم وتطبيق برنامج متابعة في تنشيط العمليات المعرفية وتحسين التحصيل الضعيف في مادة الرياضيات" وهي على نحو الآتي:

أ- **الثبات**: تم تعيين الثبات عن طريق معامل الاستقرار، إي بإعادة التطبيق بفاصل زمني مدته 15 يوما، وبلغت قيمة الارتباط بين التطبيقين (0.68)، ما يدل على أن الاختبار يتمتع بقدر مقبول من الاستقرار في النتائج.

ب- **الصدق**: تم اللجوء إلى الصدق التلازمي مع اختبار رافن للمصفوفات المتتابعة الملون، من أجل التحقق من صدق هذا الاختبار، حيث بلغت قيمته (0.73) وهي قيمة مقبولة، وعليه يمكن القول بأن اختبار رسم الرجل يتمتع بقدر مقبول من الصدق التلازمي[27].

اختبار ستروب Test de Stroop: هو اختبار يقيس الانتباه الانتقائي وقدرة الكف، أنشأ من طرف ستروب Stroop سنة 1935، ويكمن مبدأ الاختبار في وضع الحالة محل الدراسة أمام منبهات تحمل خصائص غير ملائمة (Non prégnante) والتي عليها تجاهلها وفي ذات الوقت تجيب على خاصية أخرى، ويحتوي هذا الاختبار على ثلاث بطاقات ذات مقاس (30 X 21) A4.

- **البطاقة الأولى**: تتكون من 50 كلمة مكتوبة بالأسود تمثل كلمات ألوان: أحمر، أخضر، أصفر، أزرق.
- **البطاقة الثانية**: فتحتوي على نفس الكلمات لكن هذه المرة الكلمات مكتوبة بألوان مختلفة لا تمثل المعنى الدلالي لها، مثلا كلمة أزرق مكتوبة بالأحمر.
- **البطاقة الثالثة**: فتمثل مستطيلات تحمل نفس الألوان السابق ذكرها.

ويتمثل الوقت اللازم من أجل إعطاء الإجابة 45 ثانية لكل بطاقة، هذه البطاقات تتكون من 10 صفوف كل صف يحمل 5 منبهات.

ويهدف هذا الاختبار إلى تقييم الانتباه الانتقائي، وقدرة الكف للوضعية التي تمثل منافسة بين إجابتين اختياريتين.

التعليمية: يجب أن تكون التعليمات مفصلة ومبسطة قدر الإمكان لكي يفهمها الأفراد.

- الوضعية الأولى (البطاقة أ): سوف أعطيك ورقة مكتوب فيها كلمات، عليك أن تقرأ بصوت مرتفع من اليمين إلى اليسار، في أسرع وقت ممكن. لما تصل إلى أسفل الورقة أعد القراءة من الأول على أن أقول لك توقف، وإذا أشرت لك بأن هناك خطأ عليك أن تصححه. إذا كنت جاهز عليك أن تبدأ.
- الوضعية الثانية (البطاقة ب): في هذه الورقة تعيد نفس ما قمت به في المرة السابقة، سوف تقرأ الكلمات ولما تصل إلى أسفل الورقة أعد من الأول.
- الوضعية الثالثة (البطاقة ج): هذه الورقة فيها مستطيلات ملونة، يجب أن تسمي هذه الألوان ولما تصل إلى نهاية الورقة عليك أن تعيد من الأول إلى أن أقول لك توقف.

- الوضعية الرابعة (البطاقة ب): سوف أعطيك ورقة مثل التي أعطيتك إياها قبل حين ولكن هذه المرة يجب أن تقول لي ما هو اللون الذي كتبت به الكلمات وليس قراءة الكلمات، لما تصل إلى نهاية الورقة عليك أن تعيد من الأول إلى أن أقول لك توقف.

طريقة التنقيط: على الفاحص أن يضع أمامه أربع بطاقات تحمل الإجابات المحتملة التي يجب على المفحوص إعطاءها، وفي كل بطاقة يقوم بمتابعة وشطب الأخطاء والترددات، ثم ينقل النتائج على ورقة التنقيط التي تحمل المعلومات الشخصية للحالة، الأخطاء التي يرتكبها والترددات التي يقع فيها وعدد الإجابات الصحيحة لكل بطاقة من البطاقات المقدمة، وإذا تجاوز سطرا أو عدة سطور يجب إنقاصها من المجموع، وبعد ذلك نقوم بحساب درجة الخطأ لكل بطاقة، وهذا بضرب مجموع الأخطاء في 2+ الترددات، ومن ثم نحسب درجة التداخل والتي تحسب بإنقاص درجة الإجابات الصحيحة في البطاقة الثالثة والتي تخص تسمية الألوان من درجة الإجابات الصحيحة التي تمثل التداخل (تسمية لون الحبر الذي كتبت به الكلمة) في البطاقة الثانية.

شروط تطبيق الاختبار:

- التأكد من أن الفرد له رؤية جيدة.
- لا يجب ترك الفرد يقوم بأي سلوك بإمكانه إعاقة مقروئية الكلمات خاصة في الجزء الرابع.
- إذا عينا له الخطأ عليه أن يعيد القراءة من الكلمة التي أخطأ فيها ولا يعيد قراءة كل السطر.
- يجب أن يكون الفرد يحسن القراءة، ويعرف تسمية الألوان.
- إذا توقف الفرد قبل نهاية الوقت أو حتى نهاية الورقة علينا أن نشجعه على المواصلة[28].

وما دفعنا لتبني هذا الاختبار في تقدير انتباه عينة بحثنا، هو أنّه يصلح مع الفئات العمرية الصغيرة، كونه يتعامل مع الألوان وبعض الكلمات البسيطة المألوفة للتلميذ.

الخصائص السيكومترية: قامت الباحثة بتبني النتائج التي توصل إليها الباحث "عيسى رمانة" وهي على نحو الآتي:

أ- **ثبات**: تم اعتماد ثبات الاستقرار بطريقة التطبيق وإعادة التطبيق بفارق زمني، مع تقدير معامل الثبات بحساب معامل الارتباط لبيرسون بين نتائج التطبيق الأول والتطبيق الثاني للاختبار، إذ قدرت قيم الارتباط حسب أبعاده بـ (مرحلة قراءة الكلمات (0.82)، مرحلة قراءة الكلمات الملونة (0.44)، مرحلة قراءة المستطيلات (0.88)، مرحلة قراءة ألوان الكلمات الملونة (0.51))، جاءت مرتفعة ودالة إحصائيا، مما يدل على أن هذا الاختبار يتمتع باستقرار في نتائجه بين التطبيقين.

ب- **الصدق**: تم تعيين الصدق عن طريق الصدق التلازمي مع مؤشر سرعة المعالجة لاختبار الذكاء لوكسلر، حيث جاءت النتائج كالآتي:

- **مرحلة قراءة الكلمات**: قدرت قيمة الارتباط بين مؤشر سرعة المعالجة ونتائج قراءة الكلمات (0.55) وهي دالة إحصائيا، أي يوجد ارتباط بين نتائج المؤشرين.
- **مرحلة قراءة الكلمات الملونة**: قدرت قيمة الارتباط بين مؤشر سرعة المعالجة ونتائج قراءة الكلمات الملونة (0.48) وهي دالة إحصائيا، أي يوجد ارتباط بين نتائج المؤشرين.
- **مرحلة قراءة ألوان المستطيلات**: قدرت قيمة الارتباط بين مؤشر سرعة المعالجة ونتائج قراءة ألوان المستطيلات (0.42) وهي دالة إحصائيا، أي يوجد ارتباط بين نتائج المؤشرين.

- **مرحلة قراءة ألوان الكلمات الملونة**: قدرت قيمة الارتباط بين مؤشر سرعة المعالجة ونتائج قراءة ألوان الكلمات الملونة (0.45) وهي دالة إحصائيا، أي يوجد ارتباط بين نتائج المؤشرين[29].

من خلال هذه النتائج يمكن القول بأنّ اختبار تقدير الانتباه لستروب على قدر مقبول من الصدق يجعلنا نثق في نتائجه.

4- عرض وتحليل ومناقشة نتائج الدّراسة

4-1 عرض وتحليل ومناقشة نتائج الفرضية الأولى للدّراسة: نصّت على أنّه: "توجد فروق بين التلاميذ في مستوى عدد الكلمات التي تم قراءتها على اختبار ستروب"، وللتأكد من صحّتها تمّ معالجتها إحصائيا باختبار **كاف تربيع**، وتمثلت النتائج كما هي موضحة في الجدول الموالي:

جدول (2) يوضح الفروق بين التلاميذ في مستوى عدد الكلمات التي تم قراءتها على اختبار ستروب

مستوى القراءة	عدد التلاميذ	النسبة المئوية	قيمة اختبار كاف تربيع	الدلالة الإحصائية
التلاميذ ذوي مستوى القراءة المنخفض	6	%31,59	2	غير دالة إحصائيا عند 0,05 α
التلاميذ ذوي مستوى القراءة المتوسط	9	%47,36		
التلاميذ ذوي مستوى القراءة المرتفع	4	%21,05		
المجموع الكلي	19	%100		

يتضح من النتائج الواردة في الجدول رقم (2) أنّ نسبة التلاميذ ذوي مستوى القراءة المنخفض قدرت بـ: (31,59%)، والتلاميذ ذوي مستوى القراءة المتوسط قدرت بـ: (47,36%)، والتلاميذ ذوي مستوى القراءة المرتفع قدرت بـ: (21,05%)، ولتأكد من طبيعة هذه الفروق وتحديد دلالتها تمّ معالجتها إحصائيا باختبار كاف تربيع إذ قدرت قيمته بـ: (2)، وعند مقارنتها بالقيمة المجدولة نجدها غير دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة (0,05 α).

وبالتالي لا توجد فروق بين التلاميذ في مستوى عدد الكلمات التي تم قراءتها على اختبار ستروب. إذ اتضح تمكن التلاميذ ذوي تشتت الانتباه من قراءة الكلمات في المدة المحددة، من مستوى المتوسط فما دون. ومنه لم تتحقق الفرضية الأولى للدّراسة.

4-2 **عرض وتحليل نتائج ومناقشة الفرضية الثانية للدّراسة:** نصت على أنّه: "توجد فروق بين التلاميذ في مستوى عدد الكلمات التي تم قراءتها صحيحا على اختبار ستروب"، وللتأكد من صحتها تمّ معالجتها إحصائيا باختبار **كاف تربيع**، وتمثلت النتائج في الجدول الموالي:

جدول (3) يوضح الفروق بين التلاميذ في مستوى عدد الكلمات التي تم قراءتها صحيحا على اختبار ستروب

مستوى القراءة	عدد التلاميذ	النسبة المئوية	قيمة اختبار كاف تربيع	الدلالة الاحصائية
التلاميذ ذوي مستوى القراءة الصحيحة المنخفض	7	%36,84	1,36	غير دالة إحصائيا عند α 0,05
التلاميذ ذوي مستوى القراءة الصحيحة المتوسط	8	% 42,11		
التلاميذ ذوي مستوى القراءة الصحيحة المرتفع	4	%21,05		
المجموع الكلي	19	%100		

يتضح من النتائج الواردة في الجدول رقم (3) أنّ نسبة التلاميذ ذوي مستوى القراءة الصحيحة المنخفض قدرت بـ: (36,84%)، ونسبة التلاميذ ذوي مستوى القراءة الصحيحة المتوسط قدرت بـ: (42,11%)، ونسبة التلاميذ ذوي مستوى القراءة الصحيحة المرتفع (21,05%)، ولتأكد من طبيعة هذه الفروق وتحديد دلالتها تمّ معالجتها إحصائيا باختبار كاف تربيع إذ قدرت قيمته بـ: (1,36)، وعند مقارنتها بالقيمة المجدولة نجدها غير دالّة إحصائيا عند مستوى الدلالة (α 0,05).

بالتالي لا توجد فروق بين التلاميذ في مستوى عدد الكلمات التي تم قراءتها صحيحا على اختبار ستروب. إذ يتضح تمكن التلاميذ ذوي تشتت الانتباه من قراءة الكلمات صحيحا في المدة المحددة، من مستوى المتوسط فما دون. ومنه لم تتحقق الفرضية الثانية للدّراسة.

3-4 عرض وتحليل ومناقشة نتائج الفرضية الثالثة للدراسة: نصت على أنه: "يوجد اختلاف بين الذكور والإناث فيما يخص درجة تشتت الانتباه". وللتأكد من صحتها تم معالجتها إحصائيا باختبار **مان وتني**، وتمثلت النتائج في الجدول الموالي:

جدول (4) وضح دلالة الفروق بين الذكور والاناث فيما يخص درجة تشتت الانتباه

الجنس	عدد التلاميذ	المتوسط الحسابي	متوسط الرتب	قيمة اختبار مان وتني	الدلالة الإحصائية
الذكور	26	42,15	31,33	238,500	دالة إحصائيا عند α 0,01
الإناث	27	32,59	22,83		

يتضح من النتائج الواردة في الجدول رقم (4) أنّ متوسط الذكور فيما يخص درجة تشتت الانتباه قدر بـ: (42,15: x)، في حين أنّ متوسط الإناث فيما يخص درجة تشتت الانتباه قدر بـ:(32,59: x)، ولتأكد من طبيعة هذه الفروق وتحديد دلالتها تمّ معالجتها إحصائيا باختبار مان وتني، إذ قدرت قيمته بـ: (238,500)، وعند مقارنتها بالقيمة المجدولة نجدها دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة (α 0,01). وهذا يعكس أنّه توجد فروق بين الذكور والإناث فيما يخص درجة تشتت الانتباه، وذلك لصالح الذكور. وبهذا تحقّقت الفرضية الثالثة للدراسة.

5- تفسير النتائج:

بعد تطبيق اختبار ستروب، وما دفعنا لتبني هذا الاختبار في تقدير انتباه عينة بحثنا، هو أنّه يصلح مع الفئات العمرية الصغيرة، كونه يتعامل مع الألوان وبعض الكلمات البسيطة المألوفة للتلميذ. حاولنا تحليل نتائج بحثنا إحصائيا باعتماد الأساليب الإحصائية المناسبة لنوع البيانات المتاحة، ومناقشتها من حيث تحقيق الفرضيات من عدم تحققها، سنحاول تفسير أهم النتائج المُتوصل إليها باعتماد التناولات النظرية المتبناة في البحث، واستغلال أهم نتائج الدّراسات السابقة.

وعليه بعد صياغة الفرضية وتحليلها إحصائياً اتضح لنا:

- لا توجد فروق بين التلاميذ في مستوى عدد الكلمات التي تم قراءتها على اختبار ستروب. وبالرجوع للتناولات النظرية والنتائج الميدانية للدّراسات التي أجريت في هذا المجال، نجد أن هذه النتيجة جاءت مخالفة مع نتائج دراسة قام بها (Rabiner et al, 2000) التي توصلت نتائجها إلى تدني مستوى القراءة بنسبة 76% لدى الطلاب الذين ظهرت لديهم أعراض تشتت الانتباه مقارنة بمن لم تظهر لديهم الأعراض[30]. وكذا مخالفة لنتائج دراسة (Stephen, 1996) أن الأطفال الذين يعانون من تشتت الانتباه لا يستطيعون قراءة المادة المقروءة قراءة شاملة حيث إنهم يقفزون من جملة إلى أخرى ومن فقرة إلى أخرى تاركين بعض السطور أو الفقرات بدون قراءة[31].
- لا توجد فروق بين التلاميذ في مستوى عدد الكلمات التي تم قراءتها صحيحا على اختبار ستروب، وبالرجوع للتناولات النظرية والنتائج الميدانية للدّراسات التي أجريت في هذا المجال، نجد أن هذه النتيجة جاءت مخالفة مع نتائج الباحثة Hidi (1995) التي أكدت على أن الانتباه شرط أساسي للقراء السليمة وكذلك ما أشار إليه الباحثون Anderson (1982), Ramsel & Grabe (1983) أن تركيز الانتباه خلال مرحلة معالجة الشكل الإملائي وخلال مرحلة استخلاص المعنى وكذلك خلال مرحلة تقويم أهمية المعلومة والتركيز على المعلومات المهمة، هو ما يميز الطالب المتمكن من القراءة عن غيره من الطلاب[32].
- توجد فروق بين الذكور والاناث فيما يخص درجة تشتت الانتباه وذلك لصالح الذكور، وبالرجوع للتناولات النظرية والنتائج الميدانية للدّراسات التي أجريت في هذا المجال، نجد أن هذه النتيجة جاءت تتفق مع ما أشار إليه كل من جابر نصر الدين وبراهيمي الطاهر(2005) أنّ تشتت الانتباه ينتشر عند الذكور أكثر منه عند الإناث[33]. ونفس الشيء أكدت عليه نتائج دراسة أحمد عواد (1994) أن نسبة الذكور الذين يعانون من تشتت الانتباه قدرت بـ: 6.2% بينما الإناث قدرت بـ: 5.45%، مما يؤكد تأثير متغير الجنس[34]. في حين جاءت مخالفة مع ما خلصت إليه نتائج دراسة لبنى جديد (2005) إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات مستوى تركيز الانتباه لدى الذكور ومتوسط درجات مستوى تركيز الانتباه لدى الإناث في أدائهم على اختبار الشطب وذلك لصالح الإناث، أي أن الإناث أكثر تشتتا من الذكور[35].

خاتمة:

تعد عملية الانتباه من العوامل المؤثرة في التعلّم، حيث أنه من الصعب، بل من المستحيل أن يحدث تعلّم دون انتباه، فالانتباه شرط أساسي من شروط التعلّم، ومرحلة ضرورية من مراحله، والتلاميذ يتعلمون فقط ما ينتبهون إليه، لذلك أصبح من الضروري جداً أن يتقن المعلم مهارات استثارة اهتمام التلاميذ، وجذب انتباههم للمهمات التعليمية وموضوعات التعلّم الجديدة، إذا ما أراد إحداث التعلّم.

وهذا الأمر لا يقع على عاتق المعلم فقط؛ بل يجب بذل كل الجهود من طرف المختصين والتربويين وحتى الأولياء، لتطوير مخرجات يعول عليها رفع البلد والازدهار به.

لذا تعتبر هذه الدّراسة محاولة منّا للكشف عن مستوى تشتت الانتباه في المرحلة الابتدائية. من خلال تطبيق اختبار Stroop على عينة متكونة من 53 تلميذ بالمرحلة الابتدائية (السنة الرابعة والخامسة).

وخلصت الدّراسة إلى نتائج جد مهمة تمثلت في أنه لا توجد فروق بين التلاميذ في مستوى عدد الكلمات التي تم قراءتها وقراءتها بشكل صحيح على اختبار ستروب. كما كشفت نتائج الدّراسة أيضا وجود اختلاف فيما يخص درجة تشتت الانتباه بدلالة الجنس لصالح الذكور.

وهذه النتائج تبقى محصورة في حدود خصائص العينة التي تم تطبيق الاختبار عليها. لذا أردنا تقديم جملة من المقترحات والتوصيات؛ وهي على النحو الآتي:

- ضرورة إجراء دراسات تشخيصية مسحية للتعرف على النسب الحقيقية لانتشار تشتت الانتباه لدى التلاميذ في المرحلة الابتدائية وحتى المراحل الأخرى، نظرا لعدم وجود إحصائيات شاملة لنسبة شيوعها.
- ضرورة التشخيص المبكر للكشف عن التلاميذ ذوي تشتت الانتباه، للوقوف على المشكلة أول بأول قبل استفحالها.
- ضرورة تطوير اختبارات نفسية من هذا النوع للكشف عن ذوي تشتت الانتباه في مراحل أبكر (مرحلة رياض الأطفال).
- ضرورة اعتماد البرامج الإرشادية مع التلاميذ لفاعليتها في التغلب على مشكلاتهم.
- إجراء المزيد من الدّراسات للكشف عن علاقة تشتت الانتباه بانخفاض التحصيل الدراسي في مختلف المواد التعليمية.

قائمة المصادر والمراجع:

1- أحمد عبد اللطيف أبو أسعد، إرشاد ذوي الحاجات الخاصة وأسرهم، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2015.

2- أحمد عبد اللطيف أبو أسعد، دليل الاختبارات النفسية والتربوية، مركز ديبونو لتعليم التفكير، الأردن، الجزء الثالث، ط2، 2011.

3- ثابت، محمد جعفر، الانتباه والادراك البصري وعلاقتهما بالتحصيل الدراسي لدى عينة من ذوي الاحتياجات السمعية الخاصة من طلاب الصف الأول والصف الثالث الابتدائي، المؤتمر العلمي الأول، قسم الصحة النفسية، جامعة بنها، (بدون تاريخ). www.gulfkids.com (15/06/2015)

4- جابر نصر الدين، وآخرون، اضراب الانتباه في ظل البيئة الصفية. مجلة العلوم الإنسانية، العدد (7)، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2005.

5- جبريل حسن العريشي، وفاء رشاد وعبد عبد الواحد علي، صعوبات التعلم النمائية ومقترحات علاجية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2013.

6- حلمي المليجي، علم النفس المعرفي، دار النهضة العربية، لبنان، ط1، 2004.

7- زكية بن عربة، اضطراب الانتباه وعلاقته بالأداء المدرسي لدى التلاميذ ذوي صعوبات التعلم. مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في علم النفس المعرفي اللغوي، جامعة الجزائر2، 2010، (2016/11/22) https://www.mobt3ath.com

8- سامي محمد ملحم، سيكولوجية التعلم والتعليم الأسس النظرية والتطبيقية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2001.

9- سحر أحمد الخشرمي، العلاقة بين اضطراب ضعف الانتباه والنشاط الزائد وصعوبات التعلم دراسة تحليلية، جامعة الملك سعود، (دون تاريخ). (16/06/2017) www.gulfkids.com

10- علي سيد أحمد السيد، وفائقة محمد بدر، اضطراب الانتباه لدى الأطفال أسبابه وتشخيصه وعلاجه، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1999.

11- عيسى رمانة، دور تشخيص صعوبات التعلم وتطبيق برنامج متابعة في تنشيط العمليات المعرفية وتحسين التحصيل الضعيف في مادة الرياضيات – بحث تجريبي مع تلاميذ السنة الرابعة ابتدائي-، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2017.
12- فتوح محمد سعدات محمود، اضطراب نقص الانتباه المصحوب بفرط النشاط (صعوبات التعلم المائية)، جامعة عين شمس، (د ت). https://www.alukah.net/library/0/103255/#ixzz4H6hEIOlA(15/07/2016)
13- كامل محمد علي، الأخصائي النفسي المدرسي وفرط النشاط واضطراب الانتباه، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2008.
14- لبنى جديد، الانتباه والتحصيل الدراسي العلاقة بين مستويات تركيز الانتباه ومستويات التحصيل الدراسي لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي. مجلة جامعة دمشق، جامعة دمشق، العدد (2)، المجلد (21)، 2005.
15- محمد سرحان علي المحمودي، مناهج البحث العلمي، مكتبة الوسطية للنشر والتوزيع، صنعاء، ط3، 2019.
16- محمد هبة مؤيد، استراتيجيات العلاج المعرفي السلوكي لأطفال اضطراب الانتباه المصحوب بالنشاط الزائد (ADHD)، مجلة الآداب، جامعة بغداد، العدد (107)، 2014.
17- نايف بن عابد الزراع، اضطراب ضعف الانتباه والنشاط الزائد (دليل عملي للآباء والمختصين)، دار الفكر ناشرون وموزّعون، عمّان، 2007.
18- هشام أحمد غراب، برنامج إرشادي مقترح للتخفيف من حدة اضطراب التشتت ونقص الانتباه لدى أطفال يعانون من صعوبات التعلم، مجلة مستقبل التربية العربية، غزة، 2010.
19- يوسف إبراهيم سليمان عبد الواحد، المرجع في صعوبات التعلم " النمائية والأكاديمية والاجتماعية والانفعالية"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2010.
20- Albaret, J-M., Migliore, L, Test de Stroop, Centre de psychologie appliquée, Paris, 1999.

الهوامش:

[1]- فتوح محمد سعدات محمود، اضطراب نقص الانتباه المصحوب بفرط النشاط (صعوبات التعلم المائية)، جامعة عين شمس، (د ت)، ص 4. https://www.alukah.net/library/0/103255/#ixzz4H6hEIOlA(15/07/2016)

[2]- زكية بن عربة، اضطراب الانتباه وعلاقته بالأداء المدرسي لدى التلاميذ ذوي صعوبات التعلم، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في علم النفس المعرفي اللغوي، جامعة الجزائر2، 2010، ص. 20. (2016/11/22) https://www.mobt3ath.com

[3]- يوسف إبراهيم سليمان عبد الواحد، المرجع في صعوبات التعلم "النمائية والأكاديمية والاجتماعية والانفعالية"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2010، ص 183.

[4]- جبريل حسن العريشي، وفاء رشاد وعبد عبد الواحد علي، صعوبات التعلم النمائية ومقترحات علاجية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2013، ص 42، 43.

[5]- كامل محمد علي، الأخصائي النفسي المدرسي وفرط النشاط واضطراب الانتباه، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2008، ص 5.

[6]- لبنى جديد، الانتباه والتحصيل الدراسي العلاقة بين مستويات تركيز الانتباه ومستويات التحصيل الدراسي لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي، مجلة جامعة دمشق، جامعة دمشق، العدد (2)، المجلد (21)، 2005، ص 337.

[7]- فتوح محمد سعدات محمود، اضطراب نقص الانتباه المصحوب بفرط النشاط (صعوبات التعلم المائية)، مرجع سابق، ص 4.

[8]- زكية بن عربة، اضطراب الانتباه وعلاقته بالأداء المدرسي لدى التلاميذ ذوي صعوبات التعلم، مرجع سابق، ص 11.

[9]- علي سيد أحمد السيد، وفائقة محمد بدر، اضطراب الانتباه لدى الأطفال أسبابه وتشخيصه وعلاجه، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1999، ص 72.

[10]- سحر أحمد الخشرمي، العلاقة بين اضطراب ضعف الانتباه والنشاط الزائد وصعوبات التعلم دراسة تحليلية، جامعة الملك سعود، (دون تاريخ)، ص 511. www.gulfkids.com (16/06/2017)

[11]- لبنى جديد، الانتباه والتحصيل الدراسي العلاقة بين مستويات تركيز الانتباه ومستويات التحصيل الدراسي لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي، مرجع سابق، ص 334.

[12]- محمد هبة مؤيد، استراتيجيات العلاج المعرفي السلوكي لأطفال اضطراب الانتباه المصحوب بالنشاط الزائد (ADHD)، مجلة الآداب، جامعة بغداد، العدد (107)، 2014، ص 198.

[13]- هشام أحمد غراب، برنامج إرشادي مقترح للتخفيف من حدة اضطراب التشتت ونقص الانتباه لدى أطفال يعانون من صعوبات التعلم، مجلة مستقبل التربية العربية، غزة، 2010، ص 357.

[14]- حلمي المليجي، علم النفس المعرفي، دار النهضة العربية، لبنان، ط1، 2004، ص ص 71، 72.
[15]- سامي محمد ملحم، سيكولوجية التعلم والتعليم الأسس النظرية والتطبيقية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2001، ص 206.
[16]- حلمي المليجي، علم النفس المعرفي، مرجع سابق، ص 73.
[17]- سامي محمد ملحم، سيكولوجية التعلم والتعليم الأسس النظرية والتطبيقية، مرجع سابق، ص 206.
[18]- علي سيد أحمد السيد، وفائقة محمد بدر، اضطراب الانتباه لدى الأطفال أسبابه وتشخيصه وعلاجه، مرجع سابق، ص 50.
[19]- أحمد عبد اللطيف أبو أسعد، إرشاد ذوي الحاجات الخاصة وأسرهم، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2015، ص 321.
[20]- علي سيد أحمد السيد، وفائقة محمد بدر، اضطراب الانتباه لدى الأطفال أسبابه وتشخيصه وعلاجه، مرجع سابق، ص 50.
[21]- يوسف إبراهيم سليمان عبد الواحد، المرجع في صعوبات التعلم "النمائية والأكاديمية والاجتماعية والانفعالية"، مرجع سابق، ص 188.
[22]- نايف بن عابد الزراع، اضطراب ضعف الانتباه والنشاط الزائد (دليل عملي للآباء والمختصين)، دار الفكر ناشرون وموزّعون، عمّان، 2007، ص 16.
[23]- يوسف إبراهيم سليمان عبد الواحد، المرجع في صعوبات التعلم "النمائية والأكاديمية والاجتماعية والانفعالية"، مرجع سابق، ص 186.
[24]- محمد سرحان علي المحمودي، مناهج البحث العلمي، مكتبة الوسطية للنشر والتوزيع، صنعاء، ط3، 2019، ص 46.
[25]- أحمد عبد اللطيف أبو أسعد، دليل الاختبارات النفسية والتربوية، مركز ديبونو لتعليم التفكير، الأردن، الجزء الثالث، ط2، 2011، ص ص 148، 149.
[26]- نفس المرجع، ص 156.
[27]- عيسى رمانة، دور تشخيص صعوبات التعلم وتطبيق برنامج متابعة في تنشيط العمليات المعرفية وتحسين التحصيل الضعيف في مادة الرياضيات – بحث تجريبي مع تلاميذ السنة الرابعة ابتدائي-، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2017.
[28] -Albaret, J-M., Migliore, L, Test de Stroop, Centre de psychologie appliquée, Paris, 1999, p p 15-17.
[29]- عيسى رمانة، دور تشخيص صعوبات التعلم وتطبيق برنامج متابعة في تنشيط العمليات المعرفية وتحسين التحصيل الضعيف في مادة الرياضيات – بحث تجريبي مع تلاميذ السنة الرابعة ابتدائي-، مرجع سابق.
[30]- سحر أحمد الخشرمي، العلاقة بين اضطراب ضعف الانتباه والنشاط الزائد وصعوبات التعلم دراسة تحليلية، مرجع سابق، ص511.
[31]- علي سيد أحمد السيد، وفائقة محمد بدر، اضطراب الانتباه لدى الأطفال أسبابه وتشخيصه وعلاجه، مرجع سابق، ص 72.
[32]- ثابت، محمد جعفر، الانتباه والإدراك البصري وعلاقتهما بالتحصيل الدراسي لدى عينة من ذوي الاحتياجات السمعية الخاصة من طلاب الصف الأول والصف الثالث الابتدائي، المؤتمر العلمي الأول، قسم الصحة النفسية، جامعة بنها، (بدون تاريخ)، ص 545. www.gulfkids.com(15/06/2015)
[33]- جابر نصر الدين، وآخرون، إضراب الانتباه في ظل البيئة الصفية، مجلة العلوم الإنسانية، العدد (7)، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2005، ص 23.
[34]- زكية بن عربة، اضطراب الانتباه وعلاقته بالأداء المدرسي لدى التلاميذ ذوي صعوبات التعلم، مرجع سابق، ص 11.
[35]- لبنى جديد، الانتباه والتحصيل الدراسي العلاقة بين مستويات تركيز الانتباه ومستويات التحصيل الدراسي لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي، مرجع سابق، ص 334.

مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 1241 – 1260
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

تمثلات تلاميذ البكالوريا للمدارس العليا للأساتذة في الجزائر
دراسة ميدانية على عينة من تلاميذ ثانوية لومي الجيلالي بأولاد فارس ـ الشلف-

Baccalaureate students' representations for higher schools for teachers in Algeria
Field study on a sample of students of Lomé Al-Jilali High School, ouled feres -Chlef-

أحمد ميلود حسين[1] فاطمة دروش
معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية - المركز الجامعي مرسلي عبد الله تيبازة
مخبر الدراسات في الثقافة، الشخصية والتنمية
Drouche.fadhila@cu-tipaza.dz miloudhocine.ahmed@cu-tipaza.dz

تاريخ الإرسال: 2021/01/09 تاريخ القبول: 2021/10/18

الملخص:
تندرج الدراسة الحالية ضمن إطار سوسيولوجيا التمثلات، نحاول من خلالها البحث عن طبيعة التمثلات الاجتماعية التي يحملها تلاميذ البكالوريا إزاء المدارس العليا للأساتذة وتحليلها وتحديد العوامل المتحكمة في تكوينها، وذلك من خلال التعرف على الخصائص الاجتماعية والثقافية لهذه الفئة وعلاقة كل من التوظيف والتكوين الأكاديمي بتشكيل هذا التمثل لديهم، ولتحقيق أهداف الدراسة والإجابة على فرضياتها تم الاعتماد على منهج المسح الاجتماعي لكونه الأنسب لطبيعة الدراسة، ونظرا لتعقد موضوع الدراسة فرض علينا الواقع الميداني الاستعانة بعينة قصدية مكونة من 95 تلميذ من ثانوية لومي الجيلالي، وللتوصل إلى نتائج موضوعية تم استخدام أداتي الملاحظة المباشرة والاستمارة بعد توزيعها على عينة تجريبية وإخضاعها للتحكيم، واعتمدنا في ذلك على النظام الإحصائي للعلوم الإنسانية والاجتماعية spss واختبار k^2 لقياس العلاقة بين متغيرات الدراسة، ومعامل الارتباط بيرسون ومعادلة التصحيح سبيرمان براون لاختبار صدق وثبات أداة الدراسة، وقد أظهرت نتائج الدراسة أن التمثلات التي يحملها تلاميذ البكالوريا إزاء المدارس العليا للأساتذة هي نتيجة العديد من العوامل منها ما يرتبط ببيئته الثقافية والاجتماعية، ومنها ما هو مرتبط بالتكوين الأكاديمي وفرص التوظيف التي تضمنها هذه المدارس لطلبتها بعد التخرج، كما أوضحت أيضا على وجود اختلافات بين التلاميذ إزاءها حسب متغير الجنس والتخصص المدروس والمستوى الثقافي والتعليمي للوالدين ومكانتهم الاجتماعية في السلم الاجتماعي.
الكلمات المفتاحية: التمثلات الاجتماعية؛ التعليم الثانوي؛ المدارس العليا للأساتذة؛ التلميذ؛ التكوين الأكاديمي؛ التوظيف.

Abstract:
The current study falls within the framework of the sociological representations, through which we try to find the nature of the social representations carried by bac students towards the higher schools of teachers and their analysis and identify the factors controlling their composition, by identifying the social and cultural characteristics of this category and the

[1]- المرسل المؤلف

relationship of both employment and academic composition to the formation of this representation, and to achieve the objectives of the study and to answer its hypotheses was based on the social survey method as it is the most appropriate for the study nature, and due to the complexity of the subject of the study we imposed on us the reality of the field using a sample of 95 pupils. From Lomé Jilali High School, In order to achieve objective results, the direct observation tools and the form were used after distribution to an experimental sample and subjected to arbitration, and we relied on the statistical system of humanities and social sciences (spss) and k2 test to measure the relationship between the variables of the study, the Pearson correlation coefficient and the correction equation Of Perberman Brown to test the sincerity and stability of the study tool, and the results of the study tool, the results of the study tool, showed that the representations carried by bac students towards higher schools of professors are the result of many factors, including those related to their cultural and social environment, including those related to academic composition and employment opportunities that guarantee their employment opportunities, These schools are for their students after graduation, and they have also shown that there are differences among pupils in terms of gender variable, studied specialization, cultural and educational level of parents and their social status in the social ladder.

Key words: Social representations; secondary education; higher schools for teachers; pupil; academic training; employment.

مقدّمة:

لقد شهدت المدارس العليا للأساتذة في الجزائر تطورا معتبرا من حيث انتشارها عبر أنحاء الوطن، ويتجلى ذلك في توسع شبكة المدارس وتزايد أعداد الطلبة والخريجين وتنوع فروع التكوين وتخصصاته وبرامج البحث العلمي وأنشطته، مما جعلها تحسن من مكانتها ودورها وصارت تضمن كل أنواع التكوين بما فيه التكوين ما بعد التدرج، وقد ضاهى نشاطها نشاط أقدم الجامعات في البلادّ، ونظرا للمهام التي تقوم بها وما تضمنه لطلبتها من تكوين علمي أكاديمي فعال وفق مؤهلات علمية وفرص الحصول على وظيفة بناءا على عقد موقع بين الطالب في المدرسة ومؤسسات التربية والتعليم، لذلك نجد أن اغلب التلاميذ المقبلين على امتحان شهادة البكالوريا خصوصا المتفوقين منهم يضعون ضمن اختياراتهم تخصصات المدرسة العليا للأساتذة، وعلى هذا الأساس نحاول من خلال هذه الدراسة تقديم تصور شامل حول هذه المدارس واهم العوامل التي تساهم في تشكيل تمثلات تلاميذ البكالوريا إزاءها.

إشكالية الدراسة:

تعتبر المدرسة العليا للأساتذة من بين المدارس الأكثر طلبا من قبل التلاميذ الحاصلين على البكالوريا نظرا لما تتولاه من مهام التكوين العالي والبحث العلمي والتطوير التكنولوجي ومهام في ميدان تخصصها، وذلك من خلال ضمان تكوين إطارات مؤهلة تأهيلا عالميا وتلقين الطلبة مناهج البحث وضمان التكوين بالبحث وللبحث والعمل على المساهمة في إنتاج ونشر العلوم والمعارف وتحصيلها وتطويرها والمشاركة في التكوين المتواصل ضمن المجموعة العلمية الدولية في تبادل المعارف وإثرائها، إضافة إلى تحقيق تكوين فعال للمكونين لفائدة قطاع التربية الوطنية وضمان فرص التوظيف للطلاب المتخرجين منها بناء على عقد مبرم بينهما، كما تسعى لترقية العلوم والتقنيات من خلال تثمين نتائج البحث العلمي ونشر الإعلام العلمي والتقني، وهذا ما يساعد الطلبة على رسم معالم مستقبلهم المهني واكتسابهم مجموعة من

الخبرات والكفاءات التي تسمح لهم بالتعرف على عملهم كأساتذة ومسارات الالتحاق به في المستقبل والتكيف معه، لذلك نلاحظ أن اغلب تلاميذ البكالوريا من جميع الشعب والتخصصات بمجرد الإعلان عن نتائج البكالوريا يتساءلون حول ما أن كانت معدلاتهم تؤهلهم للالتحاق بهذه المدارس أم لا رغم الشروط التي تضعها هذه الأخيرة كأساس ينبغي توفرها في كل تلميذ للالتحاق بها، كالهيئة والسلوك والهندام ومدى ملائمة المترشح لمهنة التعليم كالوضعية الصحية مثلا ودوافع اختياره لها، إضافة إلى إجراء مقابلات شفوية في الثقافة العامة والمؤهلات الفكرية بهدف معرفة قدرته على التواصل من حيث التعبير والنطق والتحليل والحكم والنقد، وفي هذا الإطار نجد أن التكوين الأكاديمي وضمان التوظيف يعتبران عامل رئيسي يبني ويشكل من خلاله كل تلميذ مقبل على امتحان شهادة البكالوريا تمثلات خاصة حول المدرسة العليا للأساتذة والسعي للدراسة على مستواها، ولعل تشكيل هذه التمثلات لديهم لم يكن من العدم وإنما هو خيارا مبررا كون هذه الأخيرة تضمن لجميع المتخرجين منها مناصب عمل أوفر وامتيازات في سوق التوظيف أكثر من الآخرين، سواء من حيث نوعية التكوين العلمي الذي يعتبر نوعيا مقارنة بدراسة التخصّص نفسه في الجامعة أو من حيث التوظيف، فبمجرد نجاح الطالب في السنة الأولى في المدرسة وانتقاله للسنة الثانية يقوم بتوقيع عقد العمل مباشرة ليلتحق بمنصبه فور تخرجه وحصوله على الشهادة، لتصبح المدارس العليا للأساتذة وفق تمثلاتهم الشخصية سبيلهم الوحيد للنجاة من شبح البطالة الذي يعاني منه مئات الآلاف من حاملي الشهادات الجامعية في مختلف التخصصات، وهو الأمر الذي جعل العديد من الطلاب الذين سجلوا في تخصّصات بإحدى كليات، يقومون بتجميد تسجيلهم بالجامعة وإعادة اجتياز امتحان البكالوريا بهدف الحصول على معدل أعلى وتحقيق رغبتهم في دخول إحدى هذه المدارس.

ولصياغة هذه المفاهيم وتحليلها وتوضيح مدى فعاليتها تطرح التساؤلات التالية:

- هل للبيئة الثقافية والاجتماعية دور في تكوين تمثلات تلاميذ البكالوريا إزاء المدارس العليا للأساتذة؟
- هل لضمان فرص التوظيف دور في تكوين تمثلات تلاميذ البكالوريا إزاء المدارس العليا للأساتذة؟
- هل لطبيعة التكوين الأكاديمي علاقة بتكوين تمثلات تلاميذ البكالوريا إزاء المدارس العليا للأساتذة؟

فرضيات الدراسة:

للإجابة على هذه التساؤلات تبنينا الفرضيات التالية:

- يعتبر التوظيف مرجعية تكوين تمثلات تلاميذ البكالوريا للمدارس العليا للأساتذة.
- يعتبر التكوين الأكاديمي عامل مؤثر في توجيه تمثلات تلاميذ البكالوريا للمدارس العليا للأساتذة.

أهداف الدراسة:

تندرج الدراسة ضمن إطار سوسيولوجيا التمثلات ولذلك فهي تهدف إلى:

- الكشف عن الصراع الذي يعيشه التلميذ في ظل التغيرات الاجتماعية والاقتصادية وعلاقة هذه التغيرات بتكوين تمثلانه إزاء المدارس العليا للأساتذة والسبيل الذي يسلكه لإنهاء دراساته العليا على مستواها بغرض إثبات وجوده داخل المجتمع.
- الكشف عن أهم العوامل المؤثرة في بناء وتشكيل تمثلات تلاميذ البكالوريا للمدرسة العليا للأساتذة من منظور سوسيولوجي.
- معرفة طبيعة العلاقة بين تمثلات تلاميذ البكالوريا للمدارس العليا للأساتذة بفرص التوظيف والتكوين الأكاديمي.
- معرفة الخصائص الاجتماعية والثقافية لتلاميذ السنة الثالثة ثانوي.

- وبحكم المهام الموكلة لمستشار التوجيه من إعلام ومرافقة التلاميذ خلال مساراتهم الدراسية خاصة على مستوى مرحلة التعليم الثانوي، لوحظ انه بانقضاء هذه المرحلة خاصة في الآونة الأخيرة أن فكرة إتمام الدراسة العليا سرعان ما تأخذ منحنى أخر، فقد يلجا معظم التلاميذ إلى محاولة الحصول على معدل مرتفع بهدف الالتحاق بالمدرسة العليا للأساتذة في حين تتجه فئة أخرى إلى محاولة الحصول على البكالوريا بغض النظر عن المعدل والالتحاق بالجامعة أو تبني مشروع مهني معين، وهذا ما دفعنا إلى إجراء هذه الدراسة بهدف الوقوف على أهم العوامل التي تتحكم في تكوين تمثلات تلاميذ البكالوريا إزاء المدرسة العليا للأساتذة واختيارها دون سواها من الجامعات.

أهمية الدراسة: تكمن أهمية الدراسة في:

- محاولة التعرف على دور كل من التوظيف والتكوين الأكاديمي في تكوين تمثلات تلاميذ البكالوريا إزاء المدارس العليا للأساتذة.
- العمل على تفعيل المادة 66 من القانون التوجيهي للتربية الوطنية والتي تنص على اعتبار أن الإرشاد المدرسي والإعلام الخاص بالمنافذ المدرسية

والجامعية والمهنية فعلا تربويا، يهدف إلى مساعدة كل تلميذ طوال تمدرسه على تحضير توجيهه للتعليم العالي بعد حصوله على البكالوريا وفقا لاستعداداته وقدراته ورغباته وتطلعاته ومقتضيات المحيط الاجتماعي والاقتصادي، لتمكينه من بناء تمثلات واضحة اتجاه المدرسة العليا للأساتذة وشروط الالتحاق بها ومعدل القبول فيها حتى يتمكن كل تلميذ من بناء تمثلات تتوافق مع طبيعة ماتفرضه المدرسة حتى لا يوقع في مشاكل بعد نجاحه قد تحول دون قبوله للدراسة والتكوين فيها، والقيام باختياراته الدراسية والوظيفية والتكوينية عن دراية.

مفاهيم الدراسة:

تعريف المدرسة العليا للأساتذة: تعرف المدرسة العليا للأساتذة وفقا للمادة 25 من المرسوم التنفيذي رقم 16- 176 على أنها مؤسسة عمومية ذات طابع علمي وثقافي ومهني تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي.

وبناء على المادة 3 فإنها تنشا بموجب مرسوم تنفيذي يتخذ بناء على اقتراح الوزير المكلف بالتعليم العالي ويوضع تحت وصايته، ويحدد مرسوم إنشاءه بمقرها وميدان أو ميادين تخصصها وتشكيلة ميادين مجلس إدارتها، وتعتبر وفقا للمادة 4 من نفس المرسوم قطب امتياز للتكوين العالي تضمن تكوينا عالي التأهيل لفائدة مختلف قطاعات النشاط[1].

التعريف الإجرائي للمدارس العليا للأساتذة: المدرسة العليا للأساتذة هي مؤسسة من مؤسسات التعليم العالي التي تضمن تكوينا علميا أكاديميا للتلاميذ الناجحين في البكالوريا بمعدل عالي يضمن لهم الالتحاق بها وتتوفر فيه شروط تضعها هذه المدارس سابقا حسب التخصص وفروع التكوين التي تضمنها والتي توضحها الجريدة الرسمية الخاصة بكل مدرسة وتختلف عن الجامعة من حيث فرص التوظيف التي تضمنها لطلبتها المتخرجين وطبيعة التكوين الأكاديمي وكذا من حيث شروط الالتحاق بها وعدد الأماكن البيداغوجية التي تحددها كل سنة.

التمثلات الاجتماعية: تعرف في موسوعة علم الاجتماع على أنها جملة الأفكار والمعتقدات والقيم التي تبلورها الجماعة، والتي يمكن اختزالها إلى مكونات فردية[2].

وتعرف في معجم العلوم الاجتماعية على أنها واقع يترجم الرسوخ والطابع الإستعلائي للشعور الجمعي، كما أنها وسيلة لتصنيف الأشخاص والسلوكات، أو دعوى وسطية بين ما هو إيديولوجي وما هو تطبيقي، أو شكل خاص من المعرفة أو الفكر الرمزي الذي له قواعد خاصة[3].

التعريف الإجرائي للتمثلات: هو كل ما يتمثله تلميذ البكالوريا إزاء المدارس العليا للأساتذة تبعا لما اكتسبه من معارف عن أفراد مجتمعه والثانوية التي يدرس فيها وحتى بيئته الثقافية ونزعته المادية والتي نشير إليها بمفهوم النموذج، أي هناك شكل من المقاربة لما هو ذهني لتجسيده على أرض الواقع إذا ما تطلب الموقف إيجاد حل.

تعريف التلميذ: يعرف سعيد إسماعيل علي التلميذ " بأنه المادة الخام التي تشكل المخرجات الرئيسية للنظام التعليمي كله، كما يرى أنه أهم مدخلات إدارة بيئة التعليم والتعلم فبدون تلميذ لا يكون التعليم[4].

ويعرف رشيد حمود العبودي التلميذ" بأنه أضعف أركان العملية التعليمية، فهو الذي يتحمل في النهاية نتائج مخططاتها وفلسفتها واستراتيجياتها، ولكنه في نفس الوقت أقوى هذه الأركان جميعا، باعتبار أن نجاحه يعني نجاح العملية التربوية كلها وفشله يعني فشلها[5].

التعريف الإجرائي للتلميذ: يقصد به كل تلميذ يزاول دراسته ويتابع دروسه بصفة نظامية داخل المؤسسة التربوية في مستوى السنة الثالثة ثانوي سواء في الأقسام العلمية أو الأقسام الأدبية، ويعد محور العملية التربوية كونه المستهدف المباشر منها إذ يتزود بكفاءات ملائمة يستطيع توظيفها بتبصر لحل مختلف الوضعيات وحل مشاكله.

الجانب الإجرائي للدراسة:

منهج الدراسة: كل باحث يحتاج في بحثه إلى طرق ووسائل معينة مرتبطة بأهداف بحثه تساعده على اختبار فرضياته، ومادامت دراستنا هذه دراسة ميدانية اعتمدنا فيها منهجا وصفيا والمتمثل في منهج المسح الاجتماعي "الذي يعتبر أحد المناهج الرئيسية التي تستخدم في البحوث الاجتماعية التي تهتم بأوضاع عامة وعالمية "لوصف الظاهرة المدروسة وتصويرها كميا عن طريق جمع معلومات مقننة عن المشكلة وتصنيفها وتحليلها وإخضاعها للدراسة الدقيقة، وعادة ما يستخدم هذا المنهج بقصد دراسة ظاهرة مرضية داخل المجتمع"[6].

عينة الدراسة وكيفية اختيارها:

يعتبر اختيار العينة من أصعب وأهم مراحل البحث العلمي وهي الطريقة التي يمكن من خلالها للباحث الحصول على البيانات والمعلومات عن الظاهرة موضوع الدراسة، ويتم الاعتماد على العينة بهدف توفير الوقت والجهد والتكاليف خاصة عندما يكون مجتمع الدراسة كبير جدا، ولا يمكن معرفته وضبط مفرداته في إعداد وقوائم محددة إلا من خلال اختيار عينة تتناسب وطبيعة الدراسة، إذ كلما كانت عينة البحث دقيقة كانت نتائج البحث دقيقة، ولأن مجتمع دراستنا محدد ومقيد في المؤسسة التربوية حيث مس جميع تلاميذ السنة الثالثة ثانوي الذين يرغبون في الالتحاق بالمدرسة العليا للأساتذة فقط بعد الحصول على شهادة البكالوريا بجميع شعبها العلمية بتخصصاتها الثلاث: علوم تجريبية، تقني رياضي، تسيير واقتصاد والشعب الأدبية بتخصصين: آداب وفلسفة ولغات أجنبية، فقد اعتمدنا على **العينة القصدية** باعتبارها العينة الأنسب والأكثر ملائمة لطبيعة موضوع الدراسة والمعبرة عنه تعبيرا حقيقيا، ولان الدراسة الحالية تسعى للكشف عن محتوى تمثلات تلاميذ السنة الثالثة ثانوي إزاء المدارس العليا للأساتذة، فانه تم اختيار عينة

مكونة من 95 تلميذ وتلميذة مرشحين لاجتياز امتحان شهادة البكالوريا، بغرض أن تكون العينة أكثر تمثيلا للبحث وللوصول إلى معلومات أكثر دقة وتمثيلية.

أدوات جمع وتحليل بيانات ومعطيات الدراسة:

أدوات جمع البيانات:

الملاحظة: الملاحظة في البحوث العلمية هي "أداة لجمع المعومات والبيانات حول السمات أو السلوك الذي يراد قياسه، تقوم على مشاهدة هادفة بموجب إجراءات منظمة لموضوع معين أو سلوك بقصد فهمه وتفسيره"[7].

وقد تم تطبيقها من خلال الزيارة الميدانية للثانوية حيث لوحظ إقبال التلاميذ على النقاش في الموضوع باعتباره يمسهم في الصميم، مبديين تخوفا من المستقبل سواء البكالوريا أو ما بعد النجاح في البكالوريا، وماهي الشروط التي تؤهلهم للالتحاق بالمدرسة العليا للأساتذة معلقين أمالهم بها كما صرح بعض التلاميذ في عدم الرغبة في مواصلة الدراسة إذا لم تسمح لهم الفرصة بالالتحاق بهذه المدارس لكونها تضمن لهم التوظيف وتكوين أكاديمي فعال وأن التحاقهم بها ودراستهم فيها هو الكفيل بإثبات ذواتهم في المجتمع ومصدر أمان لهم في الحاضر والمستقبل وتحقيق الاستقلالية، وهذا ما أفادنا في صياغة أسئلة الاستمارة.

الاستمارة: احتوت على 45 سؤال موزعة على ثلاث محاور الأول خاص بالبيانات الشخصية، والثاني خاص بالفرضية الأولى وتضمن 22 سؤال، أما الثالث خصصناه للفرضية الثانية وتضمن 19 سؤال.

أدوات تحليل البيانات:

- **التحليل الكمي:** استخدمنا هذا التحليل لغرض تفسير معطيات ما تم الحصول عليه من الميدان، وذلك باستخدام الجداول الإحصائية البسيطة والمركبة.
- **التحليل الكيفي:** يظهر هذا التحليل في الجداول التي تم إنجازها والتعليق عليها وتحليلها تحليلا سوسيولوجيا والمقارنة بين النتائج والمعطيات المتحصل عليها.
- **معامل الارتباط بيرسون**: (ر) استخدمنا معامل الارتباط بيرسون لغرض استخراج قيمة ثبات أداة الدراسة (الاستمارة) المقدمة في الدراسة ومدى علاقتها في الحصول على النتائج والمعطيات من الميدان وصدقها وثباتها لقياس محتوى التمثلات.
- **معادلة تصحيح سبيرمان براون**: استخدمنا معادلة تصحيح سبيرمان براون للتأكد من مدى ثبات أداة الدراسة (الاستمارة) من خلال المقارنة بين قيمة معامل الثبات قبل التصحيح وفق معامل الارتباط بيرسون وقيمته بعد التصحيح وفق معادلة سبيرمان براون من أجل استخراج درجة الثبات ومدى مساهمتها في الحصول على النتائج المراد الوصول إليها من الدراسة الأساسية.
- **اختبار K^2:** تعتمد الفكرة الأساسية في اختبار K^2 على مقارنة البيانات الفعلية **(FO)** بالبيانات النظرية **(FE)**[8].

اختبار الصدق والثبات لأداة الدراسة

اختبار صدق أداة الدراسة: من أجل التأكد من صدق أداة (الاستمارة) وصلاحيتها لقياس ما وضع لقياسه تم اختبار عينة استطلاعية، من خلال صدق المحكمين (الصدق الظاهري)، حيث تم عرض الاستمارة في صورتها الأولية على مجموعة من المحكمين من الأساتذة الجامعيين ذوي الخبرة والكفاءة في

الاختصاص الذين قاموا بتحكيم الاستمارة، وإبداء رأيهم حول ما جاء في فقرات وأسئلة الأداة من حيث التعديل أو الإضافة أو التغيير، ومن خلال ذلك قمنا بالاستجابة لتوجيهات المحكمين والأساتذة وأراءهم حول الاستمارة من خلال ترتيب فقرات الاستمارة وحذف بعض الأسئلة في الأداة، إضافة إلى إعادة صياغة الأسئلة بأسلوب سلس وبسيط نتيجة غموض بعضها، كما تم حذف بعض الأسئلة التي لا تخدم الفرضيات واقتراح أسئلة بديلة من شأنها أن تخدم الموضوع.

اختبار ثبات أداة الدراسة:

ثبات الاستمارة: يقصد بثبات الاستمارة مدى الدقة والاتساق أو استقرار نتائجه فيها لو طبق على عينة من الأفراد في مناسبتين مختلفتين[9].

ولتقدير ثبات الدراسة (الاستمارة) المستخدمة في هذه الدراسة استعملنا طريقة التجزئة النصفية التي يتم من خلالها تجزئة الاختبار إلى نصفين جزء يتكون من الأسئلة الفردية والجزء الثاني من الأسئلة الزوجية، ثم حساب معامل الارتباط بيرسون بين النصفين وتصحيحه وفق معادلة سبيرمان براون، وقد تم ذلك وفق الخطوات التالية:

أ- معادلة الارتباط بيرسون (ر) لأداة الدراسة:

$$ر = \frac{ن x مج(س)x(ص) - (مج س x مج ص)}{\sqrt{[ن x مج س - (مج س)^2][ن x مج ص)^2 x (مج ص)^2]}}$$

حيث: ر= معامل الارتباط بيرسون.

ن= عدد أفراد العينة.

س= عدد الأسئلة الفردية.

ص= عدد الأسئلة الزوجية.

اعتمدنا على المعطيات المتحصل عليها وبعد تعويضها في معادلة الارتباط بيرسون تحصلنا على معامل ثبات قيمته 0,59 بالنسبة للاستمارة الموجهة للتلاميذ البكالوريا.

ب- **معادلة تصحيح سبيرمان براون:** بعد إيجاد معامل الارتباط بيرسون قمنا بتصحيحه وفق معادلة سبيرمان براون كما يلي:

$$ر = \frac{x2}{1+ر}$$

حيث: ر = معادلة الارتباط بيرسون

بالتالي: ر $= \frac{0,59x2}{1+0,59} = \frac{1,18}{1,59}$ **0, 7** بالنسبة للاستمارة الموجهة للتلاميذ.

ومن خلال هذه المعطيات كانت قيمة معامل الثبات ر= 0,59 بالنسبة للاستمارة الموجهة للتلاميذ البكالوريا قبل التصحيح، أما بعد التصحيح أصبحت قيمة ر= 0,74 وهي درجة ثبات جيدة أي أننا نستطيع أن نطمئن على ثبات نتائج الأداة إذ ما طبقت في الدراسة الأساسية.

والجدول التالي يبين قيمة ثبات أداة الدراسة من خلال النتائج المتحصل عليها بطريقة التجزئة النصفية:

البيانات الإحصائية لثبات أداة الدراسة	ن	ر المحسوبة	ر المصححة
نتائج ثبات استمارة التلاميذ	109	0,59	0,74

المصدر: من إعداد الباحث

يتضح من الجدول أعلاه أن ر بلغت 0,59 قبل تصحيحها، وبعد تصحيحها بمعادلة سبيرمان براون بلغت قيمتها 0,74 وهي قيمة أكبر من ر المحسوبة وبالتالي معامل الارتباط للأداة مرتفع، وبهذا يمكن الاعتماد على أداة الاستمارة كأداة صادقة وثابتة لقياس تمثلات تلاميذ البكالوريا للمدارس العليا للأساتذة.

النتائج ومناقشتها:

عرض وتحليل البيانات العامة:

الجدول رقم (01) خصائص تلميذ البكالوريا المبحوث

الجنس	التكرار	النسبة	الموقع الجغرافي	التكرار	النسبة
ذكر	41	43.15	حضري	31	32.64
أنثى	54	56.85	شبه حضري	43	45.26
المجموع	**95**	**100**	ريفي	21	22.10
			المجموع	**95**	**100**

تظهر لنا المعطيات الإحصائية في الجدول أن 56.85 % من عينة الدراسة إناث، بينما 43.15 % من الذكور، ومنه نقرا أن نسبة الإناث لاتزال تسجل أكثر إقبالا من عينة الدراسة.

كما كشفت الدراسة أن نسبة 45.26 % يقيمون في المناطق شبه حضرية، وبنسبة 32.64 % يقيمون في المناطق الحضرية، بينما نسبة 22.10 بالمائة منهم يقيمون في المناطق الريفية.

الجدول رقم (02): التوزيع والتوزيع النسبي لأفراد العينة بحسب البيانات المتعلقة بالأسرة.

المستوى التعليمي للأب	التكرار	النسبة	المستوى التعليمي للام	التكرار	النسبة
أمي	10	10.53	أمي	13	13.69
ابتدائي	14	14.74	ابتدائي	11	11.58
متوسط	15	15.78	متوسط	28	29.47
ثانوي	24	25.26	ثانوي	25	26.31
جامعي	32	33.69	جامعي	18	18.95
المجموع	**95**	**100**	**المجموع**	**95**	**100**
مهنة الأب	**التكرار**	**النسبة**	**مهنة الأم**	**التكرار**	**النسبة**
نعم	67	70.53	نعم	42	44.21
لا	28	29.47	لا	53	55.79
المجموع	**95**	**100**	**المجموع**	**95**	**100**

تظهر بيانات الجدول أن 33.69 %من أباء تلاميذ البكالوريا المبحوثين ذوي مستوى تعليمي جامعي و25.26 % ذوي مستوي تعليمي ثانوي، و15.78 % أباءهم من المتوسط، وأعلى مستوى عند الأمهات نجدها في المتوسط بنسبة 29.47 %، و26.31 % من الثانوي، وتؤكد هذه الأرقام أن الرأسمال الثقافي ونسبة التعليم في الجزائر ارتفعت حيث نجد من خلال هذه المعطيات أن أباء التلاميذ هم من الجيل الثاني للاستقلال كون أن التعليم في الجزائر سمح لعدد كبير من الجزائريين للالتحاق بالمدارس نظرا لمجانية التعليم، وهذا إنجاز كبير سمح للجيل الثاني بالتعليم مقارنة بجيل الاستقلال.

كما كشفت الدراسة في مقابل هذا أن 70.53 % من أفراد العينة أباءهم يعملون، 29.47 % لا يعملون، أما فيما يخص أمهاتهم فقد بلغت نسبة 55.79 % من الذين لا يعملن، و44.21 % منهن يعملن، وهذه النسب تؤكد على افتراض أساسي مفاده أن الأسرة المتعلمة والعاملة تشجع أبناءها على الدراسة والرفع من المستوى العلمي والمعرفي بهدف الحصول على وظيفة، من شانها تؤهلهم لبناء مستقبلهم وتحقيق الاستقرار، عكس الذين ينحدرون من اسر مستواهم المادي متدني لا يعمل على تلبية حاجياتهم ومتطلباتهم الضرورية، مما يكون لزاما عليهم الالتحاق بوظيفة بغض النظر عن طبيعتها في سنوات مبكرة، وهذا ما يوحي لنا بفكرة بيار بورديو حول مفهوم إعادة الإنتاج فالأسرة المتعلمة والمثقفة تحاول أن تنتج أبناء مثقفين ومعلمين، والأسرة العاملة تحاول إنتاج أبناء عاملين، فالأسرة التي تعمل تحفز أبنائها على الدراسة لخلف نفس المكانة عكس أبناء الفقراء والمحرومين الذين لا يمكنهم إكمال دراستهم بالمستوى المطلوب والانتقال لسوق العمل في فترة مبكرة.

الجدول رقم (03): التوزيع والتوزيع النسبي لأفراد العينة بحسب البيانات المتعلقة بالممتلكات الثقافية.

توفير الانترنيت	التكرار	النسبة	امتلاك غرفة خاصة	التكرار	النسبة
نعم	69	72.64	نعم	55	57.90
لا	26	27.36	لا	40	42.10
المجموع	**95**	**100**	**المجموع**	**95**	**100**

تظهر بيانات الجدول أن 72.64 % من المبحوثين يمتلكون شبكة الإنترنيت، و27.36 % من الذين لا يمتلكونها، وهذه النسبة واقعية فاغلب الطلبة تلاميذ البكالوريا يحتاجون إليها بهدف البحث والتواصل وإنجاز واجباتهم والاطلاع على امتحانات البكالوريا وحلولها إضافة إلى التطلع على كل المستجدات فيما يتعلق بنجاحهم في الشهادة وغيرها، ولعل في ظل التطورات التكنولوجية الحاصلة أصبح توفر الإنترنيت والهواتف الذكية من الأولويات من جهة، وسهولة الحصول عليها وتوفرها من جهة أخرى خاصة وأننا نتعامل مع فئة في نهاية لمرحلة المراهقة والدخول لمرحلة الشباب، ويكمن الفرق بينهم في كيفية الاستخدام ولأي أغراض يتم استخدامها، فطبيعة استغلالها طبعا تختلف باختلاف المستوى الثقافي وليس التعليمي بالضرورة.

ويبين الجدول كذلك أن 57.90 % من أفراد العينة يمتلكون ببيوتهم غرف خاصة، و42.10 % صرحوا بعدم امتلاكهم لغرف خاصة بمنازلهم، وهذا راجع بالدرجة الأولى لطبيعة السكن وعدد أفراد الأسرة والى طبيعة عمل الوالدين، فبما أن النتائج أثبتت سابقا أن اغلب اسر المبحوثين يعملون ويوفرون لهم كل متطلباتهم فهذا يوحي بان كل الظروف مهيئة بما فيها توفير غرفة خاصة بالمنزل.

عرض وتحليل معطيات الفرضية الأولى: يعتبر التوظيف مرجعية تكوين تمثلات تلاميذ البكالوريا للمدارس العليا للأساتذة.

الفرق بين المدارس العليا والجامعة	فرصة الحصول على وظيفة بعد التخرج				المجموع	
	المدرسة العليا للأساتذة		الجامعة			
	ت	النسبة	ت	النسبة	ت	النسبة
المكانة العلمية	13	14.95	4	50	15	15.79
طبيعة التدريس	11	12.64			11	11.58
المكانة الاجتماعية	7	8.04	2	25	9	9.48
الشهادة المتحصل عليها	18	20.69	1	12.50	21	22.10
ضمان فرص العمل	38	43.68	1	12.50	39	41.05
المجموع	87	100	8	100	95	100

الجدول رقم (04): يمثل تمثلات التلاميذ للفرق بين المدرسة العليا للأساتذة والجامعة من حيث فرص الحصول على وظيفة.

اختبار K^2:

مستوى الدلالة $\propto$	**df درجة الحرية**	**K^2 المجدولة**	**K^2 المحسوبة**
0,05	2	4,303	1,87

أظهرت نتائج اختبار K^2 أن K^2 المجدولة أكبر من K^2 المحسوبة وبالتالي وجود علاقة بين اختيار التلاميذ للمدارس العليا للأساتذة وضمان فرص للتوظيف.

يتبين من خلال نتائج اختبار K^2 ومعطيات الجدول أن اعلي نسبة قدرت ب41.05 % من المبحوثين الذين يرون أن الفرق بين المدرسة العليا للأساتذة والجامعة يكمن في فرص التوظيف، تدعمها في ذلك نسبة 43.68 % منهم أكدوا أن المدرسة العليا للأساتذة تضمن لهم الالتحاق بمناصب عمل بعد التخرج، وبنسبة 12.50 %من الذين صرحوا أن الجامعة تضمن لهم الالتحاق بالوظيفة، وفي المقابل نجد نسبة 22,10 % من المبحوثين الذين يرون أن الفرق بين المدرسة العليا للأساتذة والجامعة يكمن في الشهادة المتحصل عليها تدعمها في ذلك نسبة 20.69% منهم أكدوا أن المدرسة العليا للأساتذة تضمن لهم الالتحاق بمناصب عمل بعد التخرج، وبنسبة 12.50% من الذين صرحوا أن الجامعة تضمن لهم الالتحاق بالوظيفة، وفي مقابل هذا نجد نسبة 15.79% من المبحوثين الذين يرون أن الفرق بين المدرسة العليا للأساتذة والجامعة يكمن في المكانة العلمية لكل منهما، تدعمها في ذلك نسبة 50% منهم أكدوا أن الجامعة تضمن لهم الالتحاق بمناصب عمل بعد التخرج، وبنسبة 15.95% من الذين صرحوا أن المدرسة العليا للأساتذة تضمن لهم الالتحاق بالوظيفة، بينما وجدنا نسبة 11.58 %من الذين أكدو أن الفرق بينهما يكمن في طبيعة التدريس، وبنسبة 9.48% من الذين ارجعوا الفرق بينهما للمكانة الاجتماعية.

ومنه نستنتج أن معظم تلاميذ البكالوريا بمختلف شعبها العلمية والأدبية يرون أن الفرق بين المدرسة العليا للأساتذة والجامعة يكمن في فرص التوظيف، كون أن المدارس العليا تضمن لطلبتها المتخرجين التوظيف بعد إنهاء دراستهم على مستوى المدرسة والحصول على شهادة التخرج ضمن فرع علمي محدد،

لذا نجد أن اغلب التلاميذ المقبلين على اجتياز امتحان شهادة البكالوريا يسعون للحصول على معدلات مرتفعة خاصة الشعب العلمية بهدف ضمان قبولهم للالتحاق بهذه المدارس، باعتبار أن الدخول إليها يتوقف على مجموعة من الشروط تحددها المدارس مسبقا في مقدمتها المعدل المتحصل عليه كضمان للقبول مقارنة بالجامعة الذي يكفي الحصول على معدل 10.00 للالتحاق بها، ثم يليها المقابلة الشفوية التي يكون الغرض منها التعرف على الطالب المترشح من حيث الحالة الصحية وسبب اختياره لمهنة التعليم ومدى قدرته على التعامل والفهم والاستيعاب والقدرة على التحليل والنطق والنقد، وحتى تقييمها للجانب الشكلي من حيث الهندام وكذا الأخلاقي والسلوك وغيرها، ولعل ما يؤكد ضمان فرص الالتحاق بمناصب عمل هي الاتفاقيات الموقعة بين المدارس العليا للأساتذة ومديرية التربية والتعليم بحيث أن الطالب بمجرد إنهاءه للسنة الأولى يقوم بتوقيع عقد عمل بينه وبين المديرية وبعد حصوله على شهادة التخرج يلتحق مباشرة بقطاع التعليم بناءا على العقد المبرم بينهما، فيصبح بهذا الطالب المتخرج من هذه المدارس له الأولوية في التدريس والتوظيف مقارنة بالطالب الجامعي ولعل هذا ما نشهده في مجتمعنا بحيث نجد أن العديد من الطلبة المتخرجين من الجامعات فرصتهم في العمل منعدمة وان سمحت لهم الفرصة في التوظيف فإنهم يوظفون في مناصب خارج إطار تخصصهم العلمي المدروس وهذه إشكالية أخرى تدفع بتلاميذ البكالوريا، للالتحاق بالمدارس العليا للأساتذة بعد الحصول على الشهادة بمعدل يؤهلهم ليكونوا طلاب فيها ولعل معيار المعدل يؤخذ بعين الاعتبار وكعامل أساسي نظرا لمحدودية المقاعد البيداغوجية التي تحددها المدرسة كل سنة بهدف استحواذها واحتضانها للنخبة والمتفوقين فقط خاصة الإناث كون أنهن يرون أن مهنة التعليم هي المهنة الانسب لهن من حيث طبيعتن كإناث مقارنة بباقي المهن في المجتمع، مما يفسر وجود علاقة بين التوظيف وتمثلات التلاميذ للمدارس العليا للأساتذة وهذا ما أكد عليه اختبار K^2.

الجدول رقم (05): يمثل علاقة المستقبل المهني لتلاميذ البكالوريا بتمثلاتهم للمدارس العليا للأساتذة.

وجود علاقة بين المهنة والانتقال للجامعة	تمثلات التلاميذ للمستقبل المهني						المجموع	
	التامين على المستقبل		تحقيق التقدير الاجتماعي		بناء الشخصية			
	ت	النسبة	ت	النسبة	ت	النسبة	ت	النسبة
نعم	47	88.68	22	95.66	10	52.64	79	83.15
لا	6	11.32	1	4.34	9	47.36	16	16.85
المجموع	53	100	23	100	19	100	95	100

اختبار K^2:

مستوى الدلالة $\propto$	درجة الحرية df	K^2 المجدولة	K^2 المحسوبة
0.05	6	2.447	2.33

أظهرت نتائج اختبار K^2 أن K^2 المجدولة اكبر من K^2 المحسوبة وبالتالي وجود علاقة بين المستقبل المهني للتلاميذ وتمثلاتهم للمدارس العليا للأساتذة.

يتضح لنا من خلال اختبار K^2 والمعطيات الإحصائية للجدول أعلاه أن نسبة 83.15% من المبحوثين الذين أكدوا على أن مستقبلهم المهني مرهون بانتقالهم للمدرسة العليا للأساتذة، تدعمها في ذالك نسبة 95.66% من الذين يرون أن حصولهم على البكالوريا وانتقالهم للمدرسة العليا يحقق لهم التقدير الاجتماعي، وبنسبة 88.68% من الذين يرون أن الانتقال لها يحقق لهم التامين على مستقبلهم المهني، وفي مقابل هذا نجد نسبة 16.85% من المبحوثين الذين أكدوا على أن مستقبلهم المهني ليس مرهون بانتقالهم للمدرسة العليا للأساتذة، تدعمها في ذلك نسبة 47.36% من الذين يرون أن حصولهم على البكالوريا وانتقالهم للمدرسة العليا يساعدهم على بناء شخصيتهم، وبنسبة 11.32% من الذين يرون أن الانتقال لها يحقق لهم التامين على مستقبلهم المهني.

من خلال تحليلنا لنتائج الجدول واستخراج قيمة K^2 التي تقيس العلاقة بين المتغيرات تبين لنا وجود علاقة بين المستقبل المهني والمدارس العليا للأساتذة، فاغلب تلاميذ البكالوريا يرون أن مستقبلهم المهني مرهون ومرتبط بانتقالهم للمدرسة العليا للأساتذة كونها حسب تمثلاتهم الشخصية المؤسسة الأولى المرشحة في ضمان فرص توظيف لطلابها بعد الحصول على شهادة التخرج، وما يؤكد هذه الفكرة هو ما يتمثله التلاميذ حول هذه المدارس مستقبلا، بحيث يرون أنها الأساس الذي يحقق لهم التقدير الاجتماعي بالدرجة الأولى والحصول على مكانة اجتماعية مرموقة في المجتمع، إلى جانب أنها المرجع الذي يضمن لهم التامين على مستقبلهم المهني وبناء شخصيتهم، ولعل ما يدعم هذه الفكرة هو ما يعيشه الطلبة المتخرجون من الجامعة من تهميش وبطالة مما أنتج صورة سلبية حول الجامعة حتى أصبح يطلق على الطالب المتخرج منها باسم الطالب البطال والتي أصبحت بمثابة وصم اجتماعي يعرفون به، عكس الذين يتخرجون من المدارس العليا والذين يلتحقون مباشرة بمناصب عملهم كأساتذة ومعلمين بمؤسسات التعليم بمختلف الأطوار الثلاث الابتدائي والمتوسط والثانوي وفي التخصصات والفروع التي خضعوا فيها للتكوين على مستوى المدرسة العليا، وهذه الخاصية تعد بمثابة محفز ومشجع يدفع تلاميذ البكالوريا للحصول على معدلات مرتفعة تؤهلهم للانتقال إلى هذه المدارس تفاديا لضياع سنوات دراستهم وجهدهم وسهرهم من جهة، وضمان فرصة الحصول على منصب عمل محترم ذو ترتيب معترف به ومميز في المجتمع من جهة أخرى مقارنة بما يتصورونه حول الجامعة التي تعد حسب تمثلاتهم الاجتماعية المستقبلية ضياع وبطالة وتهميش.

الجدول رقم (06): يمثل مدى تحقيق المدرسة العليا لأهداف التلاميذ حسب تمثلاتهم لقيمة الشهادة المتحصل عليها.

تحقيق المدارس العليا لأهداف التلاميذ	تمثلات التلاميذ لقيمة الشهادة العلمية						المجموع	
	ضمان التوظيف		إعطاء الأولوية في المسابقات		معترف بها عكس الشهادة الجامعية			
	ت	النسبة	ت	النسبة	ت	النسبة	ت	النسبة
نعم	44	86.27	18	66.67	12	70.59	74	77.90
لا	7	13.73	9	33.33	5	29.41	21	22.10
المجموع	51	100	27	100	17	100	95	100

من خلال البيانات الواردة في الجدول أعلاه يتضح أن اتجاهه العام يمثل نسبة 77.90% من المبحوثين الذين صرحوا أن الدراسة على مستوى المدارس العليا للأساتذة تحقق لهم ما يهدفون للوصول

إليه، تدعمها في ذلك نسبة 86.27% من الذين يرون أن الشهادة المتحصل عليها من هذه المدارس تضمن لهم التوظيف، وبنسبة 70.59% من الذين أكدوا على أن الشهادة معترف بها مقارنة بالشهادة الجامعية، وبنسبة 66.67% من الذين صرحوا أن الشهادة تضمن لهم الأولوية في المسابقات، وفي المقابل نجد نسبة 22.10 %من المبحوثين الذين صرحوا أن الدراسة على مستوى المدارس العليا للأساتذة لا تحقق لهم ما يهدفون للوصول إليه، تدعمها في ذلك نسبة 33.33% من الذين يرون أن الشهادة المتحصل عليها من هذه المدارس تضمن لهم الأولوية في المسابقات، وبنسبة 29.41% من الذين أكدوا على أن الشهادة معترف بها مقارنة بالشهادة الجامعية.

ومن خلال تحليلنا لمعطيات الجدول نستنتج أن نسبة التلاميذ الذين أكدوا أن الدراسة على مستوى المدارس العليا للأساتذة تحقق لهم ما يطمحون للوصول إليه مرتفعة، واقتناعهم بهذه الفكرة إنما هو راجع إلى قيمة الشهادة المتحصل عليها بعد التخرج من هذه المدارس، فتلاميذ البكالوريا يحملون تمثلات إيجابية اتجاه الشهادة بحيث يرون أنها بمثابة ضمان للتوظيف بعد التخرج ودليل يمنحهم الأولوية في الالتحاق بمراتب أساتذة ومعلمين في كافة المراحل التعليمية، والابتعاد عن هاجس البطالة والتهميش وكبح القدرات، وأكدوا ذلك من خلال اعترافهم بان كل مسابقات التوظيف التي تجرى على مستوى الوطن يتم منح الأولوية فيها للطلبة المتخرجين من المدارس العليا للأساتذة ويتم في الغالب توظيفهم مباشرة ودون مسابقة خاصة في ميدان التعليم بعد تحرجهم، ولعل هذا ما نشهده في مجتمعنا بحيث أننا نلاحظ اغلب الطلبة المتخرجين من هذه المدارس فرصتهم في التوظيف مرتفعة وقائمة عكس المتخرجين من الجامعة نجد أن عددهم كبير وفرصتهم في التوظيف شبه منعدمة وهذا ما تشير إليه الإحصائيات كل سنة، مما يفسر أن الشهادة المتحصل عليها من المدرسة العليا للأساتذة وفق تمثلات تلاميذ البكالوريا معترف بها وتؤهلهم لتحقيق غاياتهم وأهدافهم المستقبلية وفي مقدمتها الحصول على منصب عمل وهذا مايؤكد الافتراض الذي يقول أن للتوظيف علاقة بتكوين تمثلات البكالوريا للمدارس العليا للأساتذة.

عرض وتحليل معطيات الفرضية الثانية: يعتبر التكوين الأكاديمي عامل مؤثر في توجيه تمثلات تلاميذ البكالوريا للمدارس العليا للأساتذة.

جدول رقم (07): يمثل فكرة التلاميذ في الالتحاق بالمدارس العليا للأساتذة وعلاقته بطبيعة التكوين الأكاديمي على مستوى هذه المدارس.

فكرة الالتحاق بالمدرسة العليا للأساتذة	مدى وجود أفكار حول طبيعة التكوين بالمدرسة العليا				المجموع	
	نعم		لا			
	ت	النسبة	ت	النسبة	ت	النسبة
أفكر في الالتحاق	61	92.42	12	41.37	73	76.85
لا ارغب في الالتحاق	5	7.58	17	58.63	22	23.15
المجموع	66	100	29	100	95	100

اختبار K^2:

مستوى الدلالة $\propto$	درجة الحرية df	K^2 المجدولة	K^2 المحسوبة
0.05	8	2.306	1.64

أظهرت نتائج اختبار K^2 أن K^2 المجدولة أكبر من K^2 المحسوبة وبالتالي وجود علاقة بين طبيعة التكوين الأكاديمي وفكرة التلاميذ في الالتحاق بالمدارس العليا للأساتذة.

يبدو من خلال اختبار K^2 والأرقام المدونة في الجدول أعلاه أن اتجاهه العام يمثل نسبة 76.85 %من المبحوثين صرحوا أن للتكوين الأكاديمي دور في تبنيهم فكرة الالتحاق بالمدرسة العليا للأساتذة، تدعمها في ذلك نسبة 92.42% من الذين لديهم اطلاع وأفكار حول طبيعة التكوين بالمدارس العليا، ونسبة 41.37 %منهم ليس لديهم أي فكرة حول طبيعة التكوين، وفي المقابل نجد نسبة 23.15% من المبحوثين صرحوا انه ليس للتكوين الأكاديمي دور في تبنيهم فكرة الالتحاق بالمدرسة العليا للأساتذة، تدعمها في ذلك نسبة 58.63% من الذين ليس لديهم أي اطلاع أو أفكار حول طبيعة التكوين بالمدارس العليا للأساتذة.

ومن خلال تحليلنا لنتائج الجدول أعلاه واستخراج قيمةK^2 التي تقيس علاقة التكوين الأكاديمي بفكرة تلاميذ البكالوريا للالتحاق بالمدارس العليا للأساتذة، نستنتج أن نسبة التلاميذ الذين صرحوا أن للتكوين الأكاديمي دور في تبنيهم فكرة الالتحاق بالمدرسة العليا للأساتذة مرتفعة، وهذا ما يفسر أن التلاميذ خلال دراستهم الثانوية ومن خلال تساؤلاتهم حول توجهاتهم بعد النجاح في البكالوريا وكيف يكملون دراستهم العليا، وقد لوحظ أثناء توزيع الاستمارة إقبال التلاميذ على النقاش في الموضوع باعتباره يمسهم في الصميم، مبدين تخوفا من المستقبل سواء البكالوريا أو ما بعد النجاح فيها، كما صرح بعض التلاميذ بعدم الرغبة في مواصلة الدراسة في الجامعة إذا لم يقبلوه في المدارس العليا للأساتذة لكونها مضيعة للوقت وأن الدراسة في المدارس العليا هي الكفيل بإثبات ذواتهم في المجتمع وإشباع حاجاتهم المادية من خلال ضمان التوظيف والمعنوية من خلال تحقيق الاستقلالية وضمان تكوين أكاديمي فعال وذوي مستوى مرتفع يتناسب مع مكانة ومرتبة الطالب الذي هو مشروع أستاذ أو معلم الغد، وعلى هذا الأساس نجد أن فكرة التكوين لديهم لم تتشكل من العدم وإنما هي نتيجة احتكاكهم ببعض الأصدقاء والطلبة الذين يدرسون على مستوى المدارس العليا أو سبق لهم الدراسة فيها، ليس هذا فحسب فمن المعروف أن فضاء وسائل التواصل الاجتماعي سهل عملية إشباع فضول التلاميذ في البحث عن أهمية هذه المدارس ووظيفتها وطبيعة التكوين الأكاديمي فيها، مما مكنهم من تكوين صورة معينة إزاءها فالإعلام هو الأخر أصبح من بين أهم المؤسسات المستقلة وبمثابة سلطة تساهم في تشكيل تمثلات التلاميذ إزاء المدارس العليا من خلال ما تعرضه من برامج وإعلانات تتعلق بطبيعة التكوين فيها وشروط الالتحاق بها، مما يؤهل كل تلميذ إلى تبني فكرة الالتحاق بها وفق ما تتطلبه شروط كل مدرسة حسب التخصص والشعبة ومعدل القبول.

الجدول رقم (08): يمثل علاقة النشاطات والندوات العلمية التي تقيمها الثانوية بتكوين صورة المدرسة العليا لدى التلاميذ.

مدى وجود علاقة للمدرسة الثانوية بتكوين صورة المدرسة العليا للتلاميذ		إمكانية تقديم ندوات حول المدارس العليا للأساتذة				المجموع	
		تنظيم ملتقيات حول المدرسة العليا		انعدام ملتقيات حول المدرسة العليا			
		ت	النسبة	ت	النسبة	ت	النسبة
نعم	سلبية	11	16.17	11		77	81.05
	إيجابية	53	77.94	2			
لا		4	5.88	14		18	18.94
المجموع		**68**	**100**	**27**	**100**	**95**	**100**

اختبار K^2:

مستوى الدلالة $\propto$	درجة الحرية df	K^2 المجدولة	K^2 المحسوبة
0.05	4	2.776	0.36

أظهرت نتائج اختبار K^2 أن K^2 المجدولة أكبر من K^2 المحسوبة وبالتالي وجود علاقة بين النشاطات والندوات العلمية التي تقيمها الثانوية بتكوين صورة المدرسة العليا لدى تلاميذ البكالوريا.

توضح قيمة اختبار K^2 والنسب المسجلة في الجدول أعلاه أن نسبة 81.05% من المبحوثين الذين يرون أن دراستهم الثانوية ساهمت في رسم صورة ايجابية إزاء المدرسة العليا للأساتذة تدعمها في ذلك نسبة 77.94% من المبحوثين اقروا بأن الطاقم التربوي في الثانوية سبق وان نظم ندوات وملتقيات علمية حول طبيعة التكوين في المدارس العليا للأساتذة، وبنسبة 40.47% منهم صرحوا بعدم تنظيمها لأي ملتقيات أو ندوات علمية حول المدارس العليا، وفي المقابل نجد نسبة 18.94% من المبحوثين الذين يرون أن دراستهم الثانوية ساهمت لم تساهم في رسم صورة إزاء المدرسة العليا للأساتذة تدعمها في ذلك نسبة 51.86% من المبحوثين اقروا بان الطاقم التربوي في الثانوية لم يسبق وان نظم ندوات وملتقيات علمية حول طبيعة التكوين في المدارس العليا للأساتذة.

نستنتج مما سبق أن اغلب تلاميذ البكالوريا يرون أن دراستهم الثانوية ساهمت في رسم صورة إيجابية إزاء المدرسة العليا للأساتذة ولعل ترسيخ هذه الصورة من طرف الطاقم في المؤسسة الثانوية كان من خلال إبرام العديد من الملتقيات والندوات العلمية حول طبيعة التكوين والتدريس في هذه المدارس بمختلف أنواعها والفروع التي تختص بعملية التكوين فيها، وكذا إمدادهم بشروط الالتحاق بها والمعدل الذي ينبغي على التلميذ النجاح به ليكون طالب ضمن هذه المدارس، إضافة إلى تعريفهم بهذه المدارس من خلال تقديم نبذة حول كل مدرسة والفروع التي تختص بالتكوين فيها وإبراز الفرق بينها وبين الجامعات والمعاهد، إضافة إلى توضيح قيمة الشهادة المتحصل عليها بعد التخرج وانعكاسها على مستقبلهم التعليمي والثقافي والمستقبلي، كما لا يمكن أن نغفل في هذا الصدد دور كل من مستشار التوجيه وأساتذة الثانوية في جميع الشعب والتخصصات في تكوين تمثلات لدى تلاميذهم حول هذه المدارس وذلك من خلال تقديم تصور شامل حول هذه المدارس وتشجيعهم للالتحاق بها، وإيضاح الفروق الجوهرية بينها وبين الجامعات حتى يتسنى لكل تلميذ مقبل على البكالوريا بناء تمثلات واضحة وصحيحة حول المدارس العليا وتنسجم مع ما يفرضه الواقع، فعدم تعريف التلميذ بشروط ومتطلبات الالتحاق بها من شانه أن يشكل تمثلات ذهنية خاطئة حولها، كما تسعى مختلف المدارس الثانوية في الآونة الأخيرة إلى استدعاء بعض الطلبة المتخرجين من المدارس العليا للأساتذة من اجل إفادة التلاميذ من خلال عرض تجربتهم التكوينية في هذه المدارس منذ النجاح في البكالوريا إلى غاية التخرج، كل هذه العوامل من شانها تؤسس لتكوين تمثلات التلاميذ إزاء هذه المدارس سواء من جانب الدراسة أو التكوين الأكاديمي أو شروط الالتحاق بها أو حتى ما بعد الحصول على الشهادة والتوجه إلى التوظيف الذي يعد غاية وهدف أسمى لدى كل تلميذ وهذا ما أثبته اختبار K^2.

الجدول رقم (09): تمثلات التلاميذ للشهادة حسب قيمتها في المجتمع ومدى تعبيرها على المستوى الحقيقي للطالب

تمثلات التلاميذ للشهادة	مدى قيمة الشهادة والاعتراف بها في المجتمع				المجموع	
	معترف بها في المجتمع		غير معترف بها			
	ت	النسبة	ت	النسبة	ت	النسبة
دليل التفوق العلمي والأكاديمي	51	64.56	7	43.75	58	61.05
مصدر أمان في الحاضر والمستقبل	28	35.44	9	56.25	37	38.95
المجموع	79	100	16	100	95	100

اختبار K^2

مستوى الدلالة $\propto$	درجة الحرية df	K^2 المجدولة	K^2 المحسوبة
0.05	6	2.447	1.02

أظهرت نتائج اختبار K^2 أن K^2 المجدولة أكبر من K^2 المحسوبة وبالتالي وجود علاقة بين قيمة الشهادة العلمية المتحصل عليها في المجتمع وتمثلات التلاميذ للمدارس العليا للأساتذة.

من خلال نتائج اختبار K^2 والبيانات الواردة في الجدول أعلاه نلاحظ أن نسبة 61.05 %من المبحوثين الذين أكدوا على أن الشهادة المتحصل عليها من المدرسة العليا للأساتذة بالنسبة لهم تعني دليل التفوق العلمي والأكاديمي، تدعمها في ذلك نسبة 64.56%منهم يرون أن هذه الشهادة معترف بها في مجتمعنا وتعبر عن المستوى الحقيقي للطالب، وبنسبة 43.75 %من الذين صرحوا بعدم الاعتراف بالشهادة في مجتمعنا ولا تعبر عن المستوى الحقيقي للطالب، وفي المقابل نجد نسبة 38.95 % من المبحوثين الذين أكدوا على أن الشهادة المتحصل عليها من المدرسة العليا للأساتذة بالنسبة لهم تعني مصدر أمان في الحاضر والمستقبل، تدعمها في ذلك نسبة 56.25% منهم يرون أن هذه الشهادة غير معترف بها في مجتمعنا ولا تعبر عن المستوى الحقيقي للطالب، وبنسبة 35.44% من الذين صرحوا بان هذه الشهادة معترف بها في مجتمعنا وتعبر عن المستوى الحقيقي للطالب.

ومن خلال الكشف الميداني ونتائج اختبار K^2نستنتج أن اغلب تمثلات تلاميذ البكالوريا إزاء الشهادة المتحصل عليها من المدرسة العليا للأساتذة دليل على التفوق العلمي والأكاديمي، وترجع هذه التمثلات بالدرجة الأولى لكون أن التلاميذ في هذه المرحلة على علم ودراية تامة بقيمة هذه الشهادة وما توفره للطلبة الذين يحصلون عليها بعد التخرج، ولكون انه معترف بها في مجتمعنا مقارنة بباقي الشهادات الجامعية، كما أن الصورة النمطية للشهادة في ذهن تلميذ البكالوريا حسب توجهاته الخاصة تعبر عن المستوى الحقيقي للطالب وترفع من مكانته وقيمته العلمية وتحقق له مكانة اجتماعية ضمن السلم الاجتماعي والقيمي تتمحور في غالبيتها في تمكينه من الحصول على تكوين علمي أكاديمي معمق ومنهجي وفعال حول المهنة وكيف له أن يبني مستقبله المهني بعد التخرج والانتقال لسلك التوظيف بحكم أن المدرسة العليا تضمن لدى طلابها منصب عمل بعد حصوله على الشهادة وهذا ما أكد عليه اغلب التلاميذ من خلال اعترافهم بان هذه الأخيرة بمثابة مصدر أمان لهم في الحاضر من خلال ضمان تكوين علمي أكاديمي وفي المستقبل من خلال ضمان

فرص الالتحاق بالتعليم في إحدى الأطوار الثلاث حسب تخصصاتهم التي خضعوا فيها للتكوين على مستوى المدرسة العليا للأساتذة بناء على العقد المبرم بين الطالب ومديرية التربية والتعليم.

خاتمة:

نتائج الدراسة في ضوء الفرضيات:

نتائج الفرضية الأولى:

من خلال نتائج الجداول المتعلقة بالافتراض القائل (يعتبر التوظيف مرجعية تكوين تمثلات تلاميذ البكالوريا للمدارس العليا للأساتذة) ومن خلال النتائج المتحصل عليها توصلت الدراسة إلى أن التوظيف الذي تضمنه المدارس العليا للأساتذة لطلابها بعد التخرج هو بمثابة مرجعية تساهم في تكوين تمثلاتهم لهذه المدارس وتحفزهم للالتحاق بها ضمانا للوظيفة فالتوجه نحو المدارس العليا للأساتذة من قبل الطلاب يعتبر خيارًا مبرّرًا كون هذه الأخيرة تضمن لجميع المتخرّجين منها مناصب عمل، فبمجرّد نجاح الطالب في السنة الأولى في المدرسة وانتقاله للسنة الثانية يقوم بتوقيع عقد العمل مباشرة ليلتحق بمنصبه فور تخرّجه وحصوله على الشهادة، فقد أصبح الالتحاق بها خاصة في السنوات الأخيرة حلم التلاميذ الناجحين في البكالوريا وسبيلهم للنجاة من شبح البطالة الذي يعاني منه مئات الآلاف من حاملي الشهادات الجامعية في مختلف التخصّصات، وهو الأمر الذي جعل العديد من الطلاب الذين سجّلوا في تخصّصات بإحدى كليات الجامعة لأنهم لم يتحصلوا على معدل بكالوريا يؤهّلهم للدخول إلى هذه المدارس، يقومون بتجميد تسجيلهم بالجامعة وإعادة اجتياز امتحان البكالوريا طمعًا في الحصول على معدّل أعلى وتحقيق رغبتهم في دخول إحدى هذه المدارس، بالإضافة إلى مناصب العمل التي تضمنها للمتخرّجين منها، فإنها تتوفر على مؤهلات تجعل الطلاب المتخرّجين منها يحصلون على فرص عمل أوفر وامتيازات في سوق التوظيف أكثر من الآخرين، سواء من حيث نوعية التكوين العلمي الذي يعتبر نوعيًا مقارنة بدراسة التخصّص نفسه في الجامعة، وهذا مرتبط غالبًا بعدد المقاعد المتوفّرة المحدود، والأهمية الكبيرة التي يوليها مدراء المدارس لسمعتها والعمل على إبراز تفوّق طلابهم وقدرتهم على المنافسة.

ولعل من أبرز المحفّزات التي تدفع تلاميذ البكالوريا خاصة المتفوّقين نحو المدارس العليا، ما تقوم به هذه الأخيرة من توقيع اتفاقيات تعاون مع المؤسّسات والشركات الناشطة في القطاع، وبالتالي منح الطلاب فرصا أكبر للحصول على وظائف في بعض هذه الشركات فور تخرّجهم من المدارس، وربّما الأمر الذي يجعل اتفاقيات التعاون بين المدارس والمؤسّسات أكثر فاعلية مقارنة بتلك التي توقّعها الجامعات، الاعتقاد الذي يحمله أصحاب الشركات بأن طلاب المدارس يتلقون، إلى جانب تكوينهم النظري، تكوينًا تطبيقيًا أكثر من غيرهم، وبالتالي فإنهم يكونون أكثر استعدادا لخوض تجربة العمل مباشرة، كل هذه العوامل تتحد مع بعض لتشكل تمثلات تلاميذ البكالوريا وتدفعهم للالتحاق بها ضمانا للتوظيف والحصول على فرصة عمل تتوافق مع تخصصهم ومؤهلاتهم العلمية التي اكتسبوها من المدرسة بعد التحرج والحصول على الشهادة.

نتائج الفرضية الثانية:

من خلال نتائج الجداول المتعلقة بالافتراض القائل (يعتبر التكوين الأكاديمي عامل مؤثر في توجيه تمثلات تلاميذ التعليم الثانوي للمدارس العليا) ومن خلال النتائج المتحصل عليها توصلت الدراسة إلى أن التكوين العلمي الذي تقدمه المدارس العليا لطلابها يعد بمثابة عامل رئيسي يساهم في تشكيل تمثلات تلاميذ البكالوريا ويشجعهم ويحفزهم للالتحاق بها رغم الشروط التي تفرضها على التلاميذ الناجحين فقد كشفت الدراسة أن اغلب التلاميذ المقبلين على اجتياز امتحان شهادة البكالوريا يسعون جاهدين للحصول على

معدلات مرتفعة تضمن لهم الالتحاق بهذه المدارس بهدف الحصول على شهادة علمية معترف بها وتلقي تكوين أكاديمي يؤهلهم لتنمية معارفهم وقدراتهم الفكرية والعلمية والثقافية واكتساب خبرة في مجال التدريس والتعليم والخضوع لتكوين فعال يسمح لهم ليصبحوا أساتذة في المستقبل تتوفر فيهم شروط الجودة العلمية والعملية، نظرا لما يتميز به التكوين في هذه المدارس باعتباره تكوين علمي وتربوي وميداني في نفس الوقت، يتلاءم مع رسالة المتخرج ويوضع محتوى هذا التكوين من طرف قطاع التعليم العالي والبحث العلمي بالتنسيق مع قطاع التربية، فمثلا في تكوين أساتذة الرياضيات أو الفيزياء أو البيولوجيا أو الأدب العربي يوضع المحتوى المطلوب في هذه التخصصات، انطلاقا مما هو مدرس في بقية الجامعات، لضمان البعد الجامعي في التكوين، وفي ذات الوقت يراعى مضمون التكوين في المرحلة المستهدفة من التعليم في قطاع التربية. وفي التكوين التربوي يتلقى الطالب بعض المواد ذات الصلة بالتعليم والتعلم مثل علم النفس التربوي والتشريع المدرسي والتعليمية العامة والخاصة، فمن خلال الكشف الميداني اتضح جليا أن معظم التلاميذ لديهم اطلاع وفكرة مسبقة حول طبيعة التكوين في هذه المدارس وكانت هذه الفكرة المحورية عنصر مدعم في تشكيل تمثلاتهم إزاءها ولعل ماساهم في تكوين هذه الفكرة حول التكوين هو اشتراك العديد من العوامل في مقدمتها احتكاكهم بأصدقاء يدرسون على مستوى هذه المدارس وقيام البعض منهم بزياراتها واخذ فكرة شاملة حولها، إضافة الى ما تقدمه المدرسة الثانوية من أنشطة و ملتقيات وندوات علمية وثقافية حول مالهم بعد النجاح في البكالوريا وان المدارس العليا هي التي تضمن تكوين علمي فعال وتضمن مستقبل وظيفي لطلبتها بعد الحصول على شهادة التخرج، وذلك من خلال إبراز مقارنات ومفارقات بينها وبين الجامعات من حيث شروط الالتحاق بها وطبيعة التكوين العلمي الأكاديمي والتدريس فيها وطبيعة النظام الداخلي لها وكذا من حيث ضمان فرص التوظيف بناءا على نتائج وإحصائيات واقعية تثبت ذلك، كما يعمل أساتذة المدرسة ومستشار التوجيه على تحفيز التلاميذ للالتحاق بها.

كما لا يمكن أن نغفل دور الأسرة في تشكيل تمثلاتهم إزاء هذه الأخيرة فالتلاميذ الذين ينحدرون من اسر ذات مستوى تعليمي وثقافي عالي يدفعون أبنائهم للحصول على معدلات مرتفعة والالتحاق بها رغبة منهم في الحصول على تكوين أكاديمي متميز يؤهلهم على شغل مناصب أساتذة ومعلمين في إطار النظام التربوي والتعليمي، ليس هذا فحسب فقد كشفت نتائج الدراسة أيضا أن لمواقع التواصل الاجتماعي وما تعرضه على صفحاتها حول المدارس العليا للأساتذة كان هو الأخر عنصر مدعم لتشكيل تمثلاتهم إزاءها خاصة فيما يتعلق بعدد المقاعد البيداغوجية ومعدلات القبول فيها وشروط الانتقاء التي ينبغي توفرها في التلميذ الحاصل على البكالوريا للالتحاق بها المتعلقة بالسلوك والهندام ودوافع اختياره لمهنة التعليم ومدى ملائمته لهذه المهنة كوضعيته الصحية وقدرته على التواصل من حيث التعبير والنطق والتحليل والحكم والنقد دون إغفال مؤهلاته العلمية والفكرية، كل هذه الشروط تكون حسب التخصص وفروع التكوين وطريقة التسجيل والتوجيه التي تحددها كل مدرسة عليا والتي يوضحها ضمن المنشور الوزاري الذي ينبغي على كل تلميذ مقبل على البكالوريا الاطلاع عليه، هذه العوامل كلها اشتركت فيما بينها لتكون صورة واضحة لدى تلاميذ البكالوريا حول طبيعة التكوين في هذه المدارس والاعتراف بقيمة الشهادة العلمية المتحصل عليها كونها حسب تمثلاتهم الشخصية تعبر عن المستوى الحقيقي للطالب وتمثل بالنسبة لهم دليل التفوق العلمي الأكاديمي النظري والميداني ومصدر أمان لهم في الحاضر والمستقبل.

ومن خلال ما تم التطرق إليه في دراستنا يمكن القول أن النتائج المتوصل إليها هي معطيات كمية تم جمعها وتبويبها وتصنيفها وتحليلها وتفسيرها، وتم من خلالها الوصول إلى إجابة عن تساؤلات الدراسة

التي تم الإشارة إليها ومناقشة فرضياتها وفق النموذج التحليلي، وبالتالي فان حديثنا وتفسيرنا لصورة المدارس العليا للأساتذة في الجزائر كان حسب التمثلات الاجتماعية التي يحملها تلاميذ البكالوريا إزاءها سواء من حيث ضمان فرص التوظيف أو طبيعة التكوين الأكاديمي، وبالتالي فان هذا التمثل يقيس جزء محدد من دراسة علمية شاملة لذا فان دراستنا تعد بمثابة بحث مكمل لدراسات أخرى وبمثابة مرجعية علمية يستند إليه لإجراء بحوث سوسيولوجية معمقة تبحث في طبيعة التمثلات الاجتماعية.

التوصيات: وفي ضوء نتائج الدراسة يمكن اقتراح التوصيات التالية:

- تعزيز وتدعيم بيداغوجية مرافقة تلاميذ التعليم الثانوي من اجل مساعدتهم في بناء تمثلات واقعية اتجاه المدارس العليا للأساتذة وشروط الالتحاق بها بحيث تكون تمثلاتهم إزاءها مبنية بطريقة صحيحة.
- إجراء ندوات وملتقيات علمية على مستوى الثانوية حول المدارس العليا للأساتذة من أجل إعطاءهم صورة عامة حول هذه المدارس من التدريس وطبيعة التكوين والتوظيف والفروع العلمية التي تختص في التكوين فيها واهم القوانين التي تسييرها ومعدلات القبول التي تؤهلهم للالتحاق بها حتى يتسنى لكل تلميذ اخذ صورة شاملة حولها.
- إجراء المزيد من الدراسات في نفس الموضوع مع متغيرات أخرى.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

- جوردن مارشال، موسوعة علم الاجتماع (المجلد الأول)، (تر: محمد الجوهري وآخرون)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2007.
- أحمد إسماعيل حجي، الإدارة التعليمية والإدارة المدرسية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2005.
- محمد شفيق، البحث العلمي (الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية)، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، 2000.
- محسن محمد عطية، البحث العلمي في التربية (مناهجه و أدواته، وسائله الإحصائية)، دار المنهاج للنشر والتوزيع، الأردن، 2009.
- عاطف عدلي العبد، زكي أحمد عزوي، الأسلوب الإحصائي واستخداماته في بحوث الرأي العام والإعلام، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1993.
- مقدم عبد الحفيظ، الإحصاء والقياس النفسي والتربوي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر ط2، 2003.
- Ferréol Gilles, **Lexique des sciences sociales,** Armand colin, Paris, 2000.

المذكرة:

- هنودة علي، (التفاعل الاجتماعي وعلاقته بالتحصيل الدراسي لدى بعض تلاميذ التعليم الثانوي الأقسام النهائية بثانوية الشهيد بادي مكي بزريبة الوادي - بسكرة – أنموذجا)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس، تخصص :علم النفس الاجتماعي، قسم العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2012- 2013.

الجريدة:

- الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الجريدة الرسمية، مرسوم تنفيذي رقم 16- 176 مؤرخ في 9 رمضان عام 1437 الموافق ل14 يونيو سنة 2016 يحدد القانون الأساسي النموذجي للمدرسة العليا، المواد 2، 3، 4، العدد36، الصادرة بتاريخ 19 يونيو 2016.

الهوامش:

[1]- الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الجريدة الرسمية، مرسوم تنفيذي رقم 16- 176 مؤرخ في 9 رمضان عام 1437 الموافق ل14 يونيو سنة 2016 يحدد القانون الأساسي النموذجي للمدرسة العليا، المواد 2، 3، 4، العدد36، الصادرة بتاريخ 19 يونيو 2016، ص 11، 12.

[2]- جوردن مارشال، موسوعة علم الاجتماع، (تر: محمد الجوهري وآخرون)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2007، المجلد الأول، ص371.

[3] - Ferréol Gilles, **Lexique des sciences sociales,** Armand colin, Paris, 2000, p72.

[4]- أحمد إسماعيل حجي، الإدارة التعليمية والإدارة المدرسية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2005، ص 44.

[5]- هنودة علي، (التفاعل الاجتماعي وعلاقته بالتحصيل الدراسي لدى بعض تلاميذ التعليم الثانوي الأقسام النهائية بثانوية الشهيد بادي مكي بزريبة الوادي بسكرة أنموذجا)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس، تخصص :علم النفس الاجتماعي، قسم العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2012- 2013، ص 59.

[6]- محمد شفيق، البحث العلمي (الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية)، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص88.

[7]- محسن محمد عطية، البحث العلمي في التربية (مناهجه وأدواته، وسائله الإحصائية)، دار المنهاج للنشر والتوزيع، الأردن، 2009، ص 229.

[8]- عاطف عدلي العبد، زكي أحمد عزوي، الأسلوب الإحصائي واستخداماته في بحوث الرأي العام والإعلام، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1993، ص191.

[9]- مقدم عبد الحفيظ، الإحصاء والقياس النفسي والتربوي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر ط2، 2003، ص152.

مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 1261 – 1272
الترقيم الدولي: 4350-1112 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2406-2588

إدارة الجماعات المحلية وترقية المواطنة (الكفاءة والتحديات) ولاية وهران أنموذجا

Community Management and Citizenship Promotion (Competence and Challenges)

طالبة دكتوراه نادية موسى[1] د/ سلاف معطى
كلية العلوم الاجتماعية - جامعة محمد بن أحمد وهران 2
nadiabahia77@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/12/15 تاريخ القبول: 2021/11/30

الملخص:
تدور المسألة المركزية التي نطرحها في إطار دراستنا حول دور كفاءة إدارة الجماعات المحلية في ترقية المواطنة، فعاليتها محليا وتجسيدها ميدانيا عبر سلوكيات مختلفة لأفراد المجتمع المحلي لولاية وهران كمواطنين مطالبين بتفعيل مختلف سلوكيات المواطنة وتجسيدها على ارض الواقع تعبيرا ومشاركة، وتهدف دراستنا بالأساس إلى الإشارة إلى الدور المحوري لعوامل الديمقراطية، التنمية المحلية، وعامل الاتصال بكل فروعه بالخصوص في تنشيط المواطنة وتفعيلها بإدارة ولاية وهران، ويكتسي هذا البحث أهمية بالغة في نظرنا لأنه على الرغم من التحول السياسي إلى نظام ديمقراطي بتعددية حزبية تشارك في العملية السياسية والاقتصادية، إلا أن الوضعية السياسية، الاقتصادية، والاجتماعية لم ترق إلى المستوى الذي يطمح إليه المواطن فيعبر عنه بأشكال مختلفة من عدم الرضا رغم الأغلفة المالية الكبيرة المسخرة لإحداث التنمية واستحداث مشاريع اقتصادية هامة في كل مرة في داخل المجتمع المحلي كجزء من ذلك المجتمع الكلي بما يميزه من الخصوصية والتنوع كأهم الصفات التي يتمتع بها المحلي.
الكلمات المفتاحية: الإدارة؛ الجماعات المحلية؛ الولاية؛ المواطنة؛ الديمقراطية.

Abstract:
The central issue that we raise in the framework of our study revolves around the role of the efficiency of community management in promoting citizenship, its effectiveness locally and its embodiment on the ground through different behaviors of the community members of the state of Oran as citizens demanding the activation of various citizenship behaviors and their embodiment on the ground as expression and participation, and our study aims mainly to refer to the central role of the factors of democracy, local development, and the factor of communication of all its branches in particular in activating citizenship and activating it in the Oran state administration, and this research is very important in our view , although this research is very important in our view. From the political transition to a multi-party democracy participating in the political and economic process, the political, economic and social situation has not lived up to the level that citizens aspire to and is expressed in various forms of dissatisfaction despite the large financial covers used to bring about development and the development of important economic projects every time within the community as part of that

[1]- المرسل المؤلف

whole society, with its distinctivenes s and diversity, such as the characteristics of the local community.
Keywords: Administration; communities; state; citizenship; democracy.

مقدمة

المواطنة مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين شخص طبيعي وبين مجتمع سياسي (الدولة)، وعبر هذه العلاقة يقدم الطرف الأول الولاء، ويتولى الطرف الثاني مهمة الحماية، وتتحدد العلاقة بينهما عن طريق القانون، ويحكمها مبدأ المساواة[1].

ويرجع السبب في اختيار هكذا عناوين من الدراسات إلى ضرورة التطلع إلى تحقيق معرفة علمية شاملة حول سلوك المواطنة وكيفية ترقيتها من خلال إدارة جماعات محلية فاعلة، كما أن الرغبة قد نجمت عن جملة من الملاحظات غير المقصودة من واقع معاش تتعلق أساسا بآراء بعض المواطنين حول إدارة الجماعات المحلية ومجالسها، وترجع أهمية الموضوع في حد ذاته إلى ارتباط المواطنة في المجتمع الدولي المعاصر بمفهوم الديمقراطية التي توفر الحقوق والحريات للمواطن بشكل متساوي وبواسطة مجالس محلية تمنح لها صلاحيات من أعلى هرم الدولة لتوزيع الأدوار المتعلقة بتسيير شؤون المواطن على المستوى المحلي، وتلبية مختلف احتياجاته في كافة المجالات على المستوى المحلي وبالتالي فان إبراز واقع التسيير وفقا للنصوص القانونية والإدارية والواقع السياسي لديه أهمية في موضوع المواطنة الفاعلة.

ويندرج حديثنا السابق في اطار ما تخلص إليه فاطمة سعيدي[2] إلى أنه مدى اهتمام المواطن والجماعات بالنظام السياسي يظهر من خلال درجة المشاركة السياسية أو عدمها، وكذا الامتناع عن الانتخاب واللامبالاة والسلبية السياسية تؤثر على عدم الاندماج والاستقرار الاجتماعي وعلى أزمة شرعية النظام السياسي وظهور اضطرابات وصراعات تخل بالنظام العام تماما كما يشير إليه سعيدي شيخ[3]، حين يشرح المسببات التي تؤدي بالحكومة إلى إيجاد آليات لتلبية احتياجات أفرادها محليا من خلال إشراكهم في تسيير أقاليمهم ضمن تنظيمات لا تأثر على كيانها كدولة واحدة، نظرا لعدم إمكانيتها تسيير أقاليمها بنفسها والاطلاع على مستجداتها.

ونظرا لأهمية البحث في الموضوع حسب عديد الدراسات على غرار ما تم دكره لابد أن يكون اختيار المشكلة بشكل علمي وموضوعي، ومعالجتها، وإلا فإن كافة جهود البحث المادية والعلمية التي تم بذلها ستكون ضائعة وبدون أي جدوى في إطار محاولة الحصول على إجابات علمية ومقنعة لعدد من الأسئلة النظرية التي ترتبط بموضوع الظاهرة – المشكلة قبل القيام بالبحث، ويمكن أيضا طرح بعض الأسئلة النظرية لتكون مرشد لتحديد المشكلة مثلا: هل هناك مؤشرات كافية حول المشكلة نستطيع تحديدها بوضوح رغم التعقيدات الإدارية والبيئية أم لا وهل تمكننا الدراسات السابقة حول الظاهرة أو المشكلة الوصول إليها بسهولة لتسهيل عملية البحث.

وقد احتل موضوع الجماعات المحلية وإدارتها مركزا هاما في نظام الحكم الداخلي لكثير من دول العالم لما تقوم به هذه الأخيرة من دور فعال في تحقيق التنمية على المستوى المحلي لتصبح بذلك على المستوى الوطني، وبالتالي وانطلاقا مما سبق فإن المسالة المركزية التي نحاول التطرق إليها تنجم من الإشكالية التـــالية، ما هو دور كفاءة إدارة الجماعات المحلية في التنمية المحلية وترقية المواطنة بإدارة ولاية وهران (نموذج دراستنا)؟

وتنبع إشكاليتنا من كون أن أهم ما يميز الجماعات المحلية كونها إدارة قريبة من المواطن مما يمكنها من إدراك احتياجاته المحلية ويهيئ لها فرص النجاح في ذلك نظرا لقدرتها القصوى في حل المشكلات.

ويتمحور بحثنا بالتالي حول التساؤل عن الدور الذي تلعبه إدارة الجماعات المحلية بولاية وهران (المقر) لترقية والنهوض بالمواطنة وتفعيلها في ظل الإمكانيات المتوفرة لها لمباشرة اختصاصاتها محليا، ويبرز لدينا بالتالي جملة التساؤلات الفرعية التالية، ما مفهوم الإدارة المحلية؟ وما أهم مميزات هذا النوع من الإدارات، وما أهم المعيقات التي تواجهها خلال عملية التسيير المحلي وكذا جملة التحديات المواجهة لسير هذه العملية، وكيف يقيم المسؤولون المحليون أداء مهامهم مبدئيا، وما مدى كفاءة هذه المجالس وقدرتهم على ترقية المواطنة وتفعيلها في ظل رهانات الواقع المعيش، والإمكانيات المتاحة لدى هذه المجالس لتحقيق مواطنة فاعلة عبر إدارة ولاية وهران وكيف نقيم مدى كفاءة وسير العملية الاتصالية بها على المستويين الداخلي والخارجي، وقد تطلب لدينا الأمر الدمج بين دراسة حالة لإدارة ولاية وهران بمزيد من التوصيف لوظائف الهيئة المخولة إليها واهم إسقاطات ورهانات الواقع المعاش للمواطن استشهادا ببعض الدلائل على غرار صبر للآراء في أثناء سريان اهم وظائف المواطنة في شقها السياسي فيما يتعلق بصنع القرار الخاص بالمواطن اللامبالي في الغالب بالموضوع.

فرضيات الدراسة:

الفرضية بمثابة إجابة مقترحة لسؤال البحث يمكن تعريفها حسب الخصائص الثلاث التالية: التصريح، التنبؤ، ووسيلة للتحقق الميداني وفي إطار ما تم طرحه كإشكال مسبقا فقد تبنينا بالتالي جملة الفرضيات ثنائية المتغيرات متمثلة فيما يأتي

الفرضية الأولى: إن الحديث عن مسألة الكفاءة الإدارية والمالية لولاية وهران بمقر إدارتها يتبرر بضرورة ترقية المواطنة الفاعلة داخل الولاية.

الفرضية الثانية: إن إنجاح الديمقراطية داخل الجماعات المحلية بما فيها إدارتها في حد ذاتها بإمكانه أن يؤدي إلى مواطنة فاعلة داخل ولاية وهران نموذج دراستنا.

الفرضية الثالثة: إن الاتصال الإقليمي بين المسؤولين المحليين والمواطنين عبر مختلف النشاطات بإمكانه لعب دور مهم في ترقية المواطنة فهما وسلوكيات لدى مواطني ولاية وهران.

الفرضية الرابعة: التنمية المحلية بوهران بمثابة مسؤولية وعمل مشترك بين الإدارة المحلية للولاية والمواطن نظرا لتأثيرها القوي على مدى كفاءة الإدارة المحلية بالولاية في ترقية مفهوم المواطنة وممارستها لدى المواطن.

1- المواطنة وكفاءة إدارة الجماعات المحلية

وللمواطنة علاقة وثيقة بمسألة الديمقراطية التي تشير إلى طريقة في الحياة تجعل كل فرد يعتقد أن لديه فرصا متساوية للمشاركة بحرية كاملة في قيم المجتمع وتحقيق أهدافه العليا، أما المعنى الخاص لمصطلح الديمقراطية فهو توفير فرصة المشاركة لدى أعضاء المجتمع في اتخاذ القرارات في أي مجال من مجالات الحياة الاجتماعية وبخاصة المشاركة الجماهيرية في اتخاذ القرارات السياسية التي تؤثر في حياتهم الفردية والجماعية على السواء.

أولا اللامركزية

ومن أهم تجسيدات الديمقراطية والمواطنة على ارض الواقع ما يسمى بمسألة اللامركزية الإدارية المحلية أو ما يتعارف عليه بإدارة الجماعات المحلية مجال دراستنا، وهي المسالة التي يتوقف عليها مدى

إنجاح المواطنة محليا وبالتالي وطنيا وعلى مدى كفاءة وجدارة إدارتها في مختلف المجالات على ارض الواقع المحلي المعاش للمواطنين عموما.

وتعبر اللامركزية عن نشر المسؤولية، التخطيط والتطبيق لتعبر من المستويات العليا للسلطة تجاه هؤلاء الأقرب للمشكلة أو المنطقة.

ويقصد باللامركزية في الأعمال الإدارية نقل الاختصاص بما يتضمنه من سلطة ومسؤولين من وحدة إدارية مركزية في مستوى أعلى إلى وحدات إدارية أخرى حيت تصبح عملية اتخاذ القرارات والمسؤولية قريبة أكثر إلى مواقع التنفيذ[4].

ثانيا: الكفاءة والأهلية لدى الجماعات المحلية

ويشير مصطلح الكفاءة والجدارة، الأهلية أو القدرة على إنجاز متطلبات الوظيفة أو أي التزام، أما الجدارة الاجتماعية فتشمل كل المؤهلات العلمية والخبرات التي يتطلبها العمل، وإثبات القدرة من خلال اختبارات إعطاء رخصة مزاولة المهنة واختبارات شهادات التخصص والقدرة على تحمل واجبات العمل وتنفيذها وتحقيق أهداف الخدمة الاجتماعية مع الالتزام بقيمة المهنة، أما في النسق القانوني فالمفهوم يعني (الأهلية) أي القدرة العقلية والإدراك والاعتدال في الفكر[5].

ولا نجهل مدى الأهمية القصوى للكفاءة الإدارية لإدارة ما وخصوصا إدارة الجماعات المحلية في النهوض بمسالة المواطنة وتفعيلها عبر مختلف مجالاتها على ارض الواقع الاجتماعي، الاقتصادي، والسياسي للمواطن وكذا البيئي وغيرها من مجالات المواطنة.

ثالثا: إدارة الجماعات المحلية

تقوم الإدارة المحلية في الجزائر على أركان اللامركزية الإدارية الإقليمية والمرفقية، وتقوم اللامركزية الإقليمية على خليتين أساسيتين هما البلدية والولاية، ويمثلان الهيئات المحلية التي تعمل على تنفيذ برامج التنمية المحلية وفق ما ينص عليه التشريع الإداري، ويكون التنفيذ في مجاله وفق البرامج المسطرة بتوفر الموارد المالية والبشرية المتاحة وبالأخص الموارد الجبائية.

ولهذا فان التطرق إلى الإطار الوظيفي لهيئة إدارة ولاية وهران يعتبر من الأهمية بمكان بالتركيز على إدارتها كجماعة محلية ينبغي لها كغيرها من الإدارات المحلية تطوير مواطنة المواطن.

رابعا: مفهوم الإدارة المحلية وأهميتها

يعد وجود إدارة محلية إلى جوار الإدارة المركزية ضروري ومن شأنه أن يفرز عن نتائج تتوسع فيها صلاحيات الإدارة المركزية على حساب الإدارة المحلية، فالهدف من نظام الإدارة المحلية هو إدارة مرفق محلي ذو نفع عام وتزداد أهميتها كلما اقتربت من المواطن، كما تعتمد الإدارة المحلية على أسس تدعمها ومقومات لوجودها[6].

وقد اهتم عديد الباحثين كل حسب مجال تخصصه بالإدارة المحلية اشد الاهتمام، فعلماء الاجتماع اهتموا بها من منطلق أنها تشكل صورة من صور التضامن الاجتماعي، كما أن الإدارة المحلية تقوم على فكرة تقسيم العمل وهو ما يجعلها موضع اهتمام هذه الفئة من الباحثين.

ويمكن النظر إلى الإدارة المحلية من زاوية سياسية باعتبار أن المجالس المحلية تمثل قاعدة اللامركزية بتمكينها المنتخبين من المشاركة في صنع القرار مما يجسد فعلا فكرة الديمقراطية، كما وقد اهتم علماء الإدارة بهذا النوع من الإدارة لما تشكله من أهمية في نظرية التنظيم التي لا تتجسد دون التركيز على نظام الإدارة المحلية[7].

2- الإطار المفهومي والوظيفي للولاية:

تعتبر الولاية كوحدة إدارية لامركزية تتوفر لديها المقومات اللامركزية الإدارية وهي تمثل السلطة الوصية على البلدية[8].

وتتمتع الولاية بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي ولها نشاطات سياسية، اقتصادية، اجتماعية و ثقافية تحت رقابة السلطة المركزية، ويتولى إدارة الولاية كل من الوالي والمجلس الشعبي الولائي إضافة إلى أجهزة الإدارة العامة للولاية كالأمانة العامة، المفتشية العامة وهناك رئيس الدائرة، والولاية يتم إنشاؤها بواسطة قانون يحدد اسمها ومركزها الإداري والحدود الإدارية لها، وتعتبر الجماعات المحلية المحرك القاعدي لعجلة التنمية كونها حلقة الربط بين السلطة العليا للبلاد والشعب، وتعمل في إطار نظام محلي إداري يرتكز على قواعد اللامركزية الإدارية التي تعتبر أسلوبا مهما في تسير الإدارة المحلية بالجزائر.

أولا: وظيفة إدارة الجماعات المحلية والتحديات

إن الإدارة المحلية باعتبارها ديمقراطية ينبغي لها أن تسمح بمشاركة المواطنين على نحو واسع في تسير الشأن المحلي، لذا يمكن قياس درجة الديمقراطية والمواطنة كتجسيد لنتائج الديمقراطية التشاركية على ارض الواقع لأي واقع محلي انطلاقا من حرصه على إقرار هذا النظام وتثبيت أركانه فيما يتعلق بتفعيل المشاركة في كافة المجالات، وإذا كانت الجزائر قد استطاعت بكل نجاح جعل الجماعات المحلية أداة سياسية لإرساء الديمقراطية الإدارية القائمة على مشاركة السكان في التسيير المحلي، فهل كسبت الرهان في جعل هذه الجماعات الخلية الأولى في تحقيق تنمية شاملة مستديمة انطلاقا من الاختصاصات المفوضة إليها، وبالطبع فان الحديث لا يقتصر عن انعكاس الديمقراطية التشاركية خارج إدارة الولاية وإنما يتعداه إلى التفكير في مدى تجسيدها داخل أجزاء وفواعل الهيكل التنظيمي لإدارة الولاية، وهي المسالة الشائكة التي تؤثر وتتأثر بعوامل القرابة، المحسوبية و عامل الضمير المهني إضافة إلى مدى تأثر المسالة بعامل الاختلاف في المستويات داخل أجزاء الهيكل التنظيمي ومدى طغيان عنصر التسلط أو عدمه.

ثانيا: وظائف الولاية وإدارتها المحلية

يعهد للولاية القيام بوظائف ومهام عدة متنوعة تشمل جميع مجالات النشاط التي تهم سكان الإقليم، والولاية بطبيعتها المزدوجة كونها من جهة قاعدة إقليمية للدولة كما أنها وحدة إدارية غير ممركزة من جهة ثانية تتشكل من هيئتي المجلس الشعبي الولائي، وهيئة الوالي، وتحظى كل منها بصلاحيات متنوعة، ويمكن تلخيص هذه الصلاحيات في اغلبها كما يلي من تفاصيل.

في مجال التنمية الاقتصادية والهياكل القاعدية الاقتصادية:

يقوم المجلس الشعبي الولائي بإعداد مخطط التنمية الولائية على المدى المتوسط كإطار للترقية الاقتصادية يبين من خلاله لأهداف والبرامج والوسائل المعبأة من الدولة في إطار مشاريع الدولة ومخططات التنمية البلدية، يناقشه المجلس ويبدي ملاحظاته حوله[9].

ويتم على مستوى كل ولاية جمع كافة البيانات والمعلومات والدراسات التي تخص الولاية اقتصاديا واجتماعيا وبيئيا ليبني عليها كل مخطط للتنمية المحلية، وغيرها من الصلاحيات في إطار مخطط التنمية كتأهيل المناطق الصناعية، وتسهيل الحصول على العقار الصناعي للمتعاملين والعمل على ترقية التطور في القطاع الاقتصادي[10].

ويبادر المجلس الشعبي الولائي بكل ما يرتبط بالطرق، التنمية الريفية وكل ما يشجع التنمية الريفية، وتحضير النشاط الاقتصادي وجلب المستثمرين دفعا لعجلة التنمية الاقتصادية[11].

ويعهد للمجلس في إطار صلاحياته إلى ترقية النشاط الفلاحي والري وغيرها من الصلاحيات التي تحفز وتشجع على استصلاح الأراضي وتنمية نشاطات الفلاحة والري.

ويضاف إلى ما سبق كل ما يتعلق بحماية الأملاك الغابية، ومكافحة الأوبئة والكوارث الطبيعية، أما في المجال الاجتماعي والثقافي والسياحي فيشجع المجلس الشعبي الولائي على ترقية برامج التشغيل بالتساوي مع البلديات والمتعاملين الاقتصاديين، إنجاز مؤسسات التعليم المتوسط والثانوي والمهني، وتجهيزات الصحة وتنظيم الإسعافات والكوارث والصحة وحماية الأمومة والطفولة وإنشاء الهياكل القاعدة المتعلقة بالأنشطة الشبابية والثقافية والرياضية والترفيهية، كما يساهم في الحفاظ على التراث التفافي والفني والتاريخ[12].

ويضاف إلى الاختصاصات السابقة كل ما يتعلق بتشجيع الاستثمار، والتنوع الأيكولوجي والمساهمة في اختصاصات السكن وبرامجه ضمن السياسة العمومية الاقتصادية والاجتماعية، أما في المجال المالي فيتولى المجلس الشعبي الولائي التصويت على ميزانية الولاية والتي يعد الوالي مشروعها قبل 31 أكتوبر بالنسبة للميزانية الأولية في السنة التي تسبق سنة تنفيذها وقبل 15 جوان بالنسبة للميزانية الإضافية ويطلب منه امتصاص الخلل وضمان التوازن المطلوب في الميزانية.

ثالثا: رهانات وواقع إدارة الجماعات المحلية

إن الدارس لتطور صلاحيات وإدارة الجماعات المحلية وما آلت إليه من عصرنة للإدارة وتقريبها من المواطن وتقديم خدمة راقية تأخذ في الحسبان أهمية العنصر البشري كلامركزية البطاقة البيومترية وعملية تكوين الموظفين التي سمحت لهؤلاء بالتحكم بالتقنيات، وتقديم خدمة عمومية في المستوى، كلها إجراءات تهدف إلى التفكير بتوفير العصرنة للمواطنة إضافة إلى دورات للأمناء العاملين بالبلديات والدوائر المكلفين بالاستقبال وتكوين الإطارات والأعوان المستقبلين للجمهور لتفعيل العلاقة بين الإدارة والمواطن عبر التكوين.

ورغم هذه التطورات الحاصلة في مجال الجماعات المحلية، إلا أن كل ما وصلت إليه محاولاتها لدعم الديمقراطية التشاركية وفتح المجال للتسيير التشاركي لم تمنع من إفراز بعض التجارب في الواقع مجسدة في خيبات أمل تظهر لدى ردود الفعل الشعبية على غرار ما يحصل في ابرز مظاهر المواطنة في شقها السياسي في كل مرة، فمن خلال مواكبة عديد الملاحظين والإعلاميين للمناسبات الانتخابية كما حدث مع اقتراع نوفمبر 2017، حيث لوحظ أن اغلب المواطنين الوهرانيين من خلال عملية مساءلتهم ليسوا على دراية عن تفاصيل هذه الانتخابات وخاصة المجالس الولائية، ومرد ذلك إلى غياب الاهتمام بجانب التوعية والتحسيس لتوسيع ثقافة المواطن حول الحدث لدرجة تساؤل بعض المواطنين عن دور المجالس الشعبية الولائية في حماية المواطن ومصالحه، وكذا عدم دراية المواطن للسبب الذي يؤدي به إلى الانتخاب سوى انه يرغب بالحصول على ختم انتخب تحسبا لإجراءات إدارية ويعود ذلك إلى اهتمام المترشحين لشغل المجالس الولائية فقط بالإشهار لأنفسهم مهملين مهمة التعريف بأدوارهم في خدمة المواطن والولاية وتحسينها صراحة وواقعا عقب انتخابهم للنهوض بالمواطنة ممارسة وتصورا لدى الموطن فيما بعد[13].

وتشير هذه المعطيات كأمثلة بسيطة جدا لجزء من الممارسات في إحدى أركان المواطنة في جانبها السياسي وماله من خلفيات اجتماعية ونتائج ملموسة في كافة المجالات الاقتصادية، البيئية، وركائز المواطنة المختلفة، إلا انه قد حان الوقت إلى تسير نوعي يجعل المنتخب المحلى ليس فقط ممارس للسياسة من خلالها

وإنما هو مطالب بتطبيق تسيير تشاركي على ارض واقع المواطنة اليومية في كافة فروعها وليس فقط منفذا لما تمليه عديد القوانين المثالية التي تمليها عليه مختلف صلاحيات المجلس لتنفيذها.

رابعا- كفاءة إدارة ولاية وهران واهم التحديات

إن الحديث عن مسألة الكفاءة الإدارية و المالية لمقر الإدارة المحلية الولائية أو البلدية يتعلق أساسا بمدى إنجاح مسالة الديمقراطية داخل إدارة الولاية كما في البلدية وإدارتها المحلية، وكذا مسألة الاتصال الإقليمي بين المسؤولين المحليين و المواطنين بالمسؤولين فيما بينهم بعامل الاتصال و تطلب الأمر حينئذ تقوية، دعم برامج التنمية و كل ما يتعلق بمسائل العصرنة و تقريب الإدارة من المواطن، وكدا تسخير العنصر البشري القادر على توفير خدمة راقية, انه العنصر المكون تكوينا يسمح بالتحكم بالتقنيات الحديثة وتقديم خدمة في المستوى للمواطن.

ومما سبق فان مسألة تخصيص دورات للأمناء العامين للبلديات وبمقرات إدارة الدوائر، الولاية المركزية وكل ما من شأنه توفير العنصر البشري المكون للتمكن من تحسين العلاقة بين الإدارة المحلية بالمواطن، والسبب كون انه ثمة وعي حالي لدى الإطارات المنتخبين المحليين باستقبال المواطن في إطار الحوكمة[14].

وكل دلك في إطار الديمقراطية التشاركية كمحور مهم باتت تعمل عليه الوزارة المعنية عبر فتح المجال للتسيير التشاركي، إذ تتوفر إدارة كل مقر جماعة محلية على موقع على الإنترنت لأن الديمقراطية التشاركية هي أساليب تسيير ينبغي على كل منتخب محلي إدخالها في التسيير المحلي.

كما ترجع الكفاءة الإدارية إلى مدى فعالية الاتصال الداخلي داخل منشأة إدارة الجماعة المحلية بمقر الولاية وإدارتها المحلية سواء كان ذلك بين أقسامها أو فروعها المختلفة وكذا بين العاملين في جميع مستوياتهم سواء كان هذا الاتصال داخلي نازل أو على شكل أوامر توجيهات، وقرارات، وتعليمات من اعلى إلى أسفل التنظيم الإداري.

ويعرف الاتصال أنه عملية إرسال وتبادل المعلومة بين مركز إلى أخر في المؤسسة بهدف التعديل أو التغيير في السلوك أو اتجاه معين بطريقة عقلانية رشيدة.

وقد وجب تفعيل كافة أنواع الاتصال داخل مؤسسة إدارة الجماعة المحلية بهدف تفعيل نواتج هذا الاتصال بالتالي من كفاءة في الفعل ومنجزاته إلى رضا عموم المواطنين بمدى فعالية مهام الجماعة المحلية وإدارتها لدى الولاية.

ويكون الاتصال صاعدا من أسفل التنظيم إلى أعلاه على شكل شكاوى وتقارير، اقتراحات، طلب إجازات، ترقيات أو طلب معلومات، وثمة الاتصال الأفقي بين المسؤولين من نفس المستوى بغرض التنسيق، التشاور، التعاون من أجل تحقيق أهداف المؤسسة التي تعتمد في محيط العمل.

وتنقسم الاتصالات إلى اتصالات رسمية منها الهابط والصاعد وفق خطوط التنظيم الرسمي داخل مؤسسة الجماعة المحلية وإدارتها، وكذا الاتصالات غير الرسمية التي تتم داخل البناء التنظيمي في مختلف الاتجاهات بطريقة خارجة عن القنوات الرسمية عبر اعتماد العلاقات الشخصية وكدا الاجتماعية ودورها الكبير في تحقيق الأهداف الخاصة بالاتصال الرسمي لتحسين تسييرها.

إدارة الجماعات المحلية وترقية المواطنة الكفاءة والتحديات

قد حان الوقت في مجال الجماعات المحلية وإدارتها إلى تسيير نوعي، انه تسيير يكون فيه المنتخب حينئذ ليس فقط مستهلك للاعتمادات بل يخلق ثروة بطريقة براغماتية نفعية عملية مستدامة.

وان تسيير الولاية هو تسيير تشاركي ينبغي أن لا يهمل تفعيل أي نوع من أنواع الاتصال داخل مؤسسة الجماعة المحلية و إدارتها، و ما ينجم عن ذلك من تفعيل لدور الإدارة داخل الجماعة و ما يتطلبه الوقت الراهن، حيث هناك وعي ينتشر لدى الجماعات المحلية و إدارتها بضرورة عصرنة الإدارة و تقريبها من المواطن.

ويعتبر العنصر البشري أهم رهان ينبغي تنشيطه لتقديم خدمة محلية راقية، فأهم التكوينات أجريت ولا تزال لصالح كافة مستخدمي إدارة الجماعة المحلية، كما يسمح في التحكم بالتقنيات الحديثة وتقديم خدمة عمومية في المستوى.

وقد تفطنت إدارة الجماعة المحلية إلى عمل الدائرة الوزارية على الترقية المحلية بما يوفر الجودة المعقولة في مجال الإنارة العمومية وترقية المساجد ومختلف المرافق اليومية الضرورية للمواطن، ووجب حاليا جعل الجماعة المحلية وإدارتها رائدا من خلال تعميم الطاقات على نطاق واسع، فلا نغفل أن مقر الولاية والبلدية أكثر نوافذ المواطنين لحماية البيئة والتنمية المستدامة.

ولا تزال المجالس المنتخبة تطالب بالصلاحيات في هذا المجال و تحديدها من حين لآخر، فمع تطور المدن لم يكن هنالك تكفل بالجانب البيئي بصورة ذات مفعول ظاهر رغم محاولات متعقلة بتكوين مهندسي المدينة التي تختص بتكوين في مختلف الشعب التي تخص المدينة، قطاع السكن، قطاع التعليم العالي، تهيئة الإقليم، والتهيئة العمرانية التي تهدف إلى الحصول على كوكبة من المختصين لرفع مستوى أداء الجماعة المحلية وإدارتها وهي مطالبة حينئذ بتفعيل الديمقراطية التشاركية، وكدا وضع نظام معلوماتي بالضرورة ليتمكن الولاة من المتابعة اليومية لسير المدارس والمطاعم والنقل المدرسي كأهم مؤشرات الاهتمام بتنشئة المواطن الصالح.

كما وقد اهتدت إدارة الجماعات المحلية بالولاية إلى ضرورة أن تكون رائدة من خلال تعميم الطاقات على نطاق واسع، وضرورة البحث عن بدائل غير ملوثة كبرامج طموحة ووطنية للطاقات المتجددة أفاق 2030 كبرنامج وطني لم يعمم بعد[15].

3- نتائج الدراسة في ظل واقع الرهانات والتحديات

أولا: إن المقصود من التقسيم الإداري هو تقريب الإدارة من المواطن، إلا انه ساهم في تفاقم أزمة البلديات العاجزة الفقيرة بمواطنين غير فاعلين نتاج الحرمان في الواقع المعاش لبلدياتهم، كما ويميز الولاية طغيان الفكر الأبوي لديها في تعاملها اليومي مع البلديات كأنها مجرد أعوان وموظفين يخضعون لسلطة إدارية متجاهلين البعد التمثيلي لهؤلاء باعتبارهم منتخبين الشعب، ولا يخضعون إلا لحدود قانونية تنظيمية، ولا ينبغي بالتالي أن تتحجر الدهنيات الإدارية وتعتقد أنها مع أناس قصر رغم أنهم من اختيار الشعب على أن القانون هو الفيصل في الممارسة.

ثانيا: المعنى الحقيقي من الجماعات المحلية اللامركزية لا يعني فقط الاستقلالية بخصوص اتخاذ القرارات، وإنما الديمقراطية في الانتخاب مما يمنح الشرعية الانتخابية، فلا تكون الجماعات المحلية بالتالي إدارتها ملزمة بالامتثال لأوامر الجهة الوصية بقدر ما يكون ملزما بالتعبير عن احتياجات المواطن، ولان

المشكلة في الانتخاب وكفاءته ومصداقيته وارد فقد ينجم عنه تدني مستوى أداء وكفاءة المجالس الشعبية المنتخبة نظرا لتولي إدارة الهيئات المحلية من قبل أعضاء غير قابلين عن التعبير الدقيق عن المشكلات المحلية وكسر جدار الجمود واقتراح الحلول الصحيحة فتختلط بالتالي المشكلات الخاصة بالعامة، وارتباط أصحاب المصالح بمعظم الأعضاء مما اثر سلبا على القرار المحلي عموما.

ثالثا: العوائق الإدارية

ومن أهمها الفساد الإداري الذي يمثل استخدام السلطة العامة من اجل كسب هيبة أو مكانة اجتماعية أو تحقيق منفعة لجماعة معينة في خرق القانون.

ويتضمن الفساد حسب قانون الوقاية من الفساد ومكافحته بعض أمثلته كرشوة الموظفين العموميين، الامتيازات غير المبررة في مجال الصفقات العمومية والرشوة من خلالها، اختلاس الممتلكات من قبل الموظف العمومي أو استعمالها على نحو غير شرعي، استغلال النفوذ، إساءة استغلال الوظيفة، أخذ فوائد غير قانونية وغيرها مما يعرقل عملية التنمية ويضعف من أداء الجماعات المحلية لشؤونها الإدارية والاقتصادية العامة ويوسع الهوة بين الحاكم والمحكوم، ويغيب الثقة بين الشعب والمجالس المحلية، والفساد الإداري ينتشر بسرعة إلى بقية الأجهزة الإدارية ويقوي الشعور بغياب العدالة الاجتماعية لدى المواطنين وظهور اللامبالاة والاستهزاء بالمصالح العامة، وبمجرد أن يعم الفساد الإداري معظم أجهزة الإدارة العامة ينتقل إلى طبقات المجتمع ويزيد من المشكلات الاجتماعية، و ينجم عنه أيضا سوء استخدام الموارد المتوفرة وبالتالي عدم القدرة على تحديد الأولويات.

رابعا: ضعف العلاقة بين الإدارة والمواطن

يضمن المواطن التعبير عن رأيه في صنع القرار و تصميم السياسة العامة من خلال قنوات مؤسساتية بناء على قاعدة شرعية لحقوق الإنسان لتعزيز التوافق الاجتماعي، وتؤدي المشاركة إلى إضفاء الشرعية العامة المحلية على ما يتم إنجازه من سياسات، فيتم تأييدها و تفهمها، أما ما يلاحظ فهو غياب الإعلام على المستوى المحلي، و غياب بنك للمعلومات على مستوى الجماعات المحلية، و لا ينبغي أن يصطدم المواطن و هو يحاول الاطلاع عليها بأعذار دائمة من قبل الموظف المحلي، وغياب اللغة السليمة و الشخص المكلف بإعلامه فيحدث جهله بمن يتصل لقضاء حاجاته .

خامسا: غالبا ما تكون الموارد المالية سواء ما يغطي نفقات التجهيز أو التسيير غير كافية لدعم التنمية المحلية وهذا راجع إلى تابعية النظام الجبائي للدولة وما يتعلق بالاستقلالية المحدودة لها، فممارسة الجماعات المحلية لاختصاصاتها يستوجب شروط وهي حريتها في التسيير وهذا غير محقق في ظل الإعانات المركزية، فالتمويل المركزي للاستثمارات المحلية إنما هو دليل قاطع على رغبة السلطة المركزية في قيادة التنمية المحلية، ومشاركتها للجماعات المحلية في سياستها التنموية كما تتعرض هذه الإعانات إلى السلطة المركزية التي تفرض تقارير دورية عن نسبة استهلاك المبالغ المالية الواردة في الغلاف المالي.

سادسا: العوائق البشرية والاجتماعية

حيث يجب رفع عدد الأعوان التقنين بشكل معتبر، وما يمكن قوله إن وضعية الموارد البشرية على مستوى إدارة الجماعة المحلية بالولاية خاصة سيئة، ودلك نظرا لسياسة التوظيف المحلى التي لم تأخذ بعين الاعتبار المستوى التأهيلي للموظفين إضافة إلى ضعف الموارد مما أثر سلبا على نشاطاتها التنموية[16].

وما يلاحظ من عنصر المواطنة المحلية عدم تفعيل آلية مشاركة المواطنين في أعمال البلدية والولاية خصوصا التي حددها القانون ومنها المشاركة والحضور لدورات المجالس المحلية لكافة ممثلي أصناف

المجتمع، فالمتتبع للواقع الاجتماعي يلاحظ العديد من المظاهر الاجتماعية والسلبية المستمرة رغم استمرار توفر الأغلفة المالية التي تتمثل في البطالة، الفقر، والأحياء القصديرية التي أصبحت كسياج يحيط بمدن ...الخ

الجماعات المحلية وعجلة التنمية

تعتبر الجماعات المحلية وإدارتها بمثابة المحرك القاعدي والأساسي والمحلي لعجلة التنمية بما تحتويه من هياكل و موظفين، ووجب على الدولة حينئذ أن تهتم بالعمالة الموظفة على مستوى إدارة الولاية كحماية محلية، وبمستواهم التعليمي، وبما فيهم ممثلي المجالس ضمانا لحسن التسيير وتفاديا للبيروقراطية التي انتشرت في أوساط هذه المجالس واهتمامهم فقط بدائرتهم الانتخابية لإمكان تقديم اقتراح يمس قانون الانتخابات فيغير من مكان المترشح ليشمل غير مكان إقامته، وان يكون التعريف بالمترشحين من خلال عدة لقاءات بالجمهور الذي أصبح يجهل ويقولها صراحة أثناء الانتخابات المحلية : ما دور هذه المجالس، وضمانا لتقليص التجاوزات، المحسوبية والبيروقراطية وتجسيد التواصل المحلي الفعال المستمر لإدارة الجماعات المحلية بالمواطن كواجب و ضرورة حتمية ينبغي مراعاتها في كل وقت وفي كل حين حتى لا نقع في فخ ما اسماه مبتول بالحقرة كأهم الأمراض الاجتماعية، الحقرة وحديثها عن تجارب اجتماعية وتعبيرها عن حوادث اجتماعية أليمة لدى الطفل والمرأة وكذلك لدى الرجل من خلال معاملة من هو يمتلك السلطة في أي مجال .

والحقرة بمثابة فعل احتقار ولا مساواة تمنع الضحية من الدفاع عن نفسها كونها في وضع ضعيف وتابع للفاعل الآخر بفعل "الحقرة"، وتفسر الحقرة أخيرا كشكل من أشكال عدم قدرة الضحية المكرهة على الاستجابة للعنف الممارس عليها من الفاعل.

ويتعدد استعمال الكلمة كما في حالات مختلفة، فيستعملها عامة الناس بشأن التعبير عن غياب العمل، الحرمان من المسكن، العنف اللفظي والمعنوي، التعسف في الحكم وعدم احترام الفرد عموما والاعتراف به، ويصل التوصيف إلى حد استعمال كلمة اللامساواة على لسان عديد المستجوبين في دراسة لمحمد مبتول وكانت تعني لنا أن الفرد حرم من شيء ما من حقوقه[17].

خاتمة

نخلص إلى الحديث عن ضرورة حتمية لابد منها وينبغي عدم مواصلة إهمالها ألا وهي ترقية المواطنة والنهوض بها لدى المواطن مهما كانت الوظيفة أو المكانة التي يشغلها، وإعطائه فرصة لتفعيلها عبر أقرب المؤسسات السياسية للإدارة والحكم المحلي وهي المجالس المحلية المنتخبة كإدارة الولاية محل دراستنا.

وقد حان الوقت لتسيير نوعي، حان الوقت أيضا لعدم جعل المنتخب المحلي مجرد مستهلك للاعتمادات بل يخلق ثروة وينبغي عليه القيام بذلك بطريقة براغماتية وعملية عبر تفعيل عنصر المشاركة لدى هؤلاء المواطنين، لان تسير إدارة الجماعات المحلية هو تسير تشاركي.

ووجب بالتالي تعديل القانون الأساسي للموظفين المحليين بما فيه تفعيل المشاركة والتفاعل بين المواطن وإدارته المحلية، فالديمقراطية التشاركية لها أساليبها في التسيير التي وجب على كل منتخب محلي أن يأخذها بعين الاعتبار في تسير أهم التعديلات والمبادرات للدولة في تسير الجماعات المحلية في الوقت الراهن.

ومع تطور المدن وجب التكفل بالجانب البيئي، والتكوين في مختلف الشعب التي تخص المدنية وترسيخها كقناعة وجب جعلها كأولى الأولويات لدى إدارة الجماعات المحلية والتعاون مع الفروع المكلفة

بقطاع السكن، قطاع التعليم العالي، قطاع التهيئة الإقليمية والتهيئة العمرانية فنحصل بالتالي على كوكبة من المختصين لرفع مستوى الأداء في مجال البيئة المحلية.

ووجب بالتالي وضع الحالة البيئية في أولى الأولويات وما ينجم عنه من تحسن صحي للمواطن الذي لا يستطيع قضاء حاجاته الفيزيولوجية في الغالب وهو في الشارع لولا توفر المقاهي العمومية.

وبين هذا وذاك تتبادر ضرورة تفعيل نظام معلوماتي يمكن الولاة من المتابعة اليومية لمخلف المرافق المدرسية بكافة احتياجاتها، كمطاعمها، النقل المدرسي، وغيرها من التفاصيل وكذا المرافق الاقتصادية والبيئية حتى يستشعر الموطن يوميا عنصر الاهتمام من مسؤوليه فتنشط لديه ممارسة مواطنته وينمو لديه شعوره بمواطنته فيتجسد ذلك من خلال تفعيل مواطنته بكافة أبعادها.

ولا نغفل على أن دفع عجلة التنمية بما ينجم عنه من تفعيل للمواطنة يتطلب ضرورة توفر أساليب عمل حديثة وتنظيمات عصرية وموارد بشرية ملائمة والعمل على إدخال العنصر التكنولوجي المساعد على العمل التنموي، إلا أن عدم القدرة على إدخال التكنولوجيا الحديثة لعدم توافر البيئة الملائمة يعتبر عائق في وجه التنمية الشاملة بشكل عام والتنمية الإدارية بشكل خاص مما ينعكس على شعور المواطن بالرضا وعن مواطنة فاعلة لديه.

وعلى هذا الأساس فإن البحث في مكانة ومدى كفاءة الجماعات المحلية يقضي منهجا لدراسة الأطر التنظيمية وحجم الصلاحيات والمعطيات للهيئات المحلية والإمكانات المتاحة لها في ذلك، ودرجة اللامركزية والمشاركة الشعبية إضافة إلى بعد العلاقات المحلية، أي طبيعة الرقابة التي تمارسها الأولى على الثانية وتقدير ذلك والحكم على أهميته من خلال هذه المعايير، واهم عنصر في الوقت الراهن منح عنصر الاتصال أهمية قصوى ومحاولة تفعيله وتنشيطه كونه عماد العلاقات مهما كان شكلها او نوعها او أهميتها في داخل الهيكل التنظيمي كما في خارجه لإدارة الولاية .

الهوامش:

[1]- غيث محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ص56.

[2]- انظر سعيدي فاطمة 2008/2007، المحلي والسياسي، دكتوراه، جامعة وهران.

[3]- انظر سعيدي شيخ، 2007/2006، الدور التنموي للجماعات المحلية في الجزائر في ضوء التعددية السياسية.

[4]- احمد شفيق، قاموس الخدمة الاجتماعية والخدمات الاجتماعية، دكتوراه جامعة جيلالي اليابس العسكري 2013، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا لطباعة والنشر، ط1، ص 160.

[5]- نفس المرجع، ص160.

[6]- لان الأسباب الداعية لاعتماد نظام الإدارة المحلية موحدة تقريبا أهمها تزايد مهام الدولة، التعاون فيما بين أجزاء إقليم الدولة وتجسيد الديمقراطية على المستوى المحلي.

[7]- بسمة عولمي، مقال بعنوان: تشخيص نظام الإدارة المحلية والمالية المحلية في الجزائر، اق شمال إفريقيا، ع 4، ص258.

[8]- بموجب قانون الولاية مارس 1969 وتبعه قانون الولاية بالأمر رقم 69-38 المؤرخ في 23 ماي 1969 حيث اعتبر الولاية كوحدة تصل بين الدولة والبلديات وهي خلية مركزية ودائرة إدارية تعكس نشاط الإدارات المركزية.

[9]- بموجب المادة 80 من القانون 80-07 متعلق بالولاية.

[10]- وغيرها من الصلاحيات المذكورة في المواد (82) و (83) من القانون (7/12) المتعلق بالولاية.

[11]- وغيرها مما احتوته المواد (88) (90) (91) من القانون (07/12) المتعلق بالولاية.

[12]- حسب منطوق المواد (164) (165) و (196) من القانون نفسه.

[13]- ت حيزية، مقال بعنوان: ضجة الحملات لم توصل المفهوم الحقيقي للاستحقاقات المحلية، جريدة الجمهورية بتاريخ 2017/11/23.

[14]- يشير إلى مصطلح الحكامة الجيدة أو حسن التدبير الجيد أو القيادية الجيدة وتعبر عن محتوى واحد، والحكامة أولا وقبل كل شيء هي تعبير عن ممارسة السلطة السياسية وإدارتها لشؤون المجتمع وموارده، وهذا هو التعريف المعتمد من طرف أغلب المنظمات الدولية وهو في واقع الأمر مفهوم قديم يدل بالأساس على آليات ومؤسسات تشترك في صنع القرار، وتعتبر الحوكمة والديموقراطية التشاركية كمحور مهم باتت تعمل عليه الوزارة المعنية عبر فتح المجال للتسيير التشاركي إذ تتوفر إدارة كل مقر جماعة محلية على موقع على الإنترنت لأن الديمقراطية التشاركية هي أساليب تسيير ينبغي على كل منتخب محلي إدخالها في التسيير المحلي، كما ترجع الكفاءة الإدارية إلى مدى فعالية الاتصال مضافا إلى الحوكمة كعناصر جد أساسية.

[15]- بعض النقاط مسموعة من فوروم الإذاعة بتاريخ 23 ماي 1969 حول مبادرات الدولة في تسيير الجماعات المحلية.

[16]- من حلقة دراسية فرع إدارة محلية، المدرسة العليا للإدارة 2005.

مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 1273 – 1282
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

الصورة النمطية للمرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية
- دراسة ميدانية بجيجل -

The stéréotypical image of women in the Algerian popular proverbs
- A field study in Jijel –

وليدة مجراب[1] **رابح درواش**
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة لونيسي علي البليدة 2
مخبر الجريمة والانحراف بين الثقافة والتمثلات الاجتماعية
rderoueche@gmail.com w.medjrab@univ-blida2.dz

تاريخ الإرسال: 2021/01/10 تاريخ القبول: 2021/10/06

الملخص:

لقد نالت المرأة اهتماماً كبيراً في الأدب الشعبي الجزائري فتعددت صورها فهي الأم والزوجة والإبنة، فإذا تأملنا الأمثال الشعبية الخاصة بالمرأة نجدها تثبت الفكر والاتجاه الشعبي للمجتمع اتجاهها، فلقد خصَت بعض الأمثال التي تتناول المرأة في موضوعاتها باختزالات سلبية تقلّل من شأنها، بينما نصفتها بعض الأمثال بصفات إيجابية، فتأتي الدراسة الحالية لتوضيح طبيعة الصورة المهيمنة في الأمثال الشعبية نحو المرأة في مختلف تيمتها.

وأظهرت النتائج أنَ طبيعة الصورة النمطية للمرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية، تفاوتت بين الإيجاب والسلب في الوقت ذاته أحياناً كثيرة بتنوع دورها داخل الأسرة، فحينما كانت زوجة وبنتاً رسمتها بمحتوى يتعارض مع معايير الكتاب والسنة، وهذا ما لا نجده عمّا إذا كانت أمّاً.

الكلمات المفتاحية: صورة نمطية؛ المرأة؛ الأمثال الشعبية؛ سلبية؛ إيجابية.

Abstract:

Women have aroused great interest in Algerian folk literature, so there are many of them, as they are mother, wife and daughter. If we look at the popular proverbs of women, we see that they prove the popular thought and tendency of society in their direction. With positive characteristics, the present study clarifies the nature of the dominant image in popular proverbs towards women in their different roles in the family.

The results showed that the nature of the stereotypical image of women in popular forms of expression, especially popular proverbs, varied between positive and negative at the same time, often with a variety of roles within the family, When she was a woman and a girl, she painted her with content that contradicted the standards of the Quran and Sunna, and this is what we do not find if she is a mother.

Key words: Stéréotype; women; popular proverbs; Négative; Positive.

[1] المؤلف المرسل.

مقدّمة:

يحتل مخزون الثقافة الشعبية الشفهية المتوارث عبر فترة طويلة مكانة هامَة في الدراسات الفلكلورية، باعتبارها مقولات اجتماعية تعتمد على مشهد من مظاهر الحياة العامة السائدة في حياة جماعة ما، فتخلق بذلك أثراً يستحق خلودها وشيوعها بين الناس تجسدها كل من: الأساطير والأمثال، الحِكَم والأغاني ... الخ، إذ نجد الأمثال الشعبية لا يقل أهمية كموضوع وميدان بحث في الأنثربولوجيا الثقافية، لأنَها أقل المأثورات الشعبية بعدد كلماتها وألفاظها باللغة المحكية تعكس تفكير وواقع المجتمع وثقافته الأصيلة، باختلاف مستوياته الاجتماعية والاقتصادية والدينية وغيرها.

وللأمثال تاريخ طويل في حياة الأمة، فهي قديمة بقدمها ومتشعبة بأنواعها ومواضيعها وكثيرة بعددها، حتى يمكن القول أنَه لا يخلو موضوع من مواضيع الحياة إلاَ وتسربت إليه الأمثال وأطلقت حكمها فيه، وهي مع إيجازها تتضمَّن حِكَماً بليغةً أو تجاربَ إنسانيةً مفيدةً، كما تحتوي ـ أحياناً ـ قواعدَ للتَصرف والسلوك، وكأنَّ قائلي الأمثالِ ومرسليها حكماءُ أدركوا أسرار الحياة ووعَوا كُنْهَ المجتمع، واستنبطوا نزواتِ النفوس ونفذوا إلى أغوارها، فهذا يمنحه حالة من القدسية المجتمعية التي لا تشكَك فيه كثيراً.

إذ لا تخلو الأمثال الشعبية من حضور المرأة التي هي محور الحياة الاجتماعية داخل البيت وخارجه بل بالعكس امتاز حضورها بالتَنوع والاختلاف والتَضارب أحياناً، إذ نجد صور عديدة لها تعكس الملامح المختلفة والسلوكات اليومية بين ما هو سلبي وما هو ايجابي تسلكها سواء كإبنة أو كأم أو كزوجة أو كحماة، ومن خلال هذا التَقديم الموجز تأتي الدراسة الحالية للتساؤل عن:

طبيعة الصورة النمطية المهيمنة داخل المعيش اليومي والجماعي حول المرأة كما عرضتها الأمثال الشعبية الجزائرية؟

فتهدف الدراسة الحالية إلى:

- معرفة طبيعة النظرة المهيمنة حول صورة المرأة في مضامين الأمثال الشعبية.
- كشف ملامح التَغير أو الثبات في صورتها بين فئة الشباب في الوقت الراهن من خلال ما يتم حفظه وتداوله من الأمثال الجزائرية.
- دراسة طائفة من الأمثال الشعبية المتعلقة بصورة المرأة في ضوء منهجية أكاديمية تعنى بالكشف عن دلالاتها الاجتماعية حسب الفكر الشعبي السائد.

1- المثل الشعبي وما يتعلق به:

1-1- مفهوم المثل الشعبي: لقد وردت المعاني الرئيسية لمفردة "مَثَل" في الأصل بثلاث معان: بمعنى النظير وشبه، ثمَ قيل القول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب إلاَ ما فيه غرابة، ولذلك حوفظ عليه من التَغيير، ثمَ استعير لكل حال أو قصة أو صفة لها شأن وفيها غرابة[1]، ولها مع ذلك معان أخرى متقاربة نصَ عليها اللَغويون من أشهرها: العبرة والعظة، الحجة والحديث، الآية وغيرها، وتدور كلَها بنفس المعنى في أصل الاستعمال اللغوي لمادة "مثَل"، وهو من المشابهة والمماثلة[2]، بين الشيئين سواء للاعتبار أو لتمثال السياق.

وأمَا اصطلاحاً فقد تباين تعريفه من باحث إلى آخر، فلا يخرج عن أنَه:

- قول شعبي مأثور يمثل خلاصة تجارب حياتية ومحصلة خبرات إنسانية شعبية (فردية أو جماعية) يتميز بإيجاز اللّفظ وإصابة المعنى وجودة الكناية وهو كالعملة ذات الوجهين. وجه يحيل على الحادثة الأولى التي قيل فيها المثل لأول مرة(المورد) وآخر يحيل على الحادثة المشابهة للأولى والتي يعاد فيها ضرب ذلك المثل(المضرب)[3].

- عصارة فهم الناس للأشياء ونتاج تجربتهم في الحياة، ونمط من أنماط اختصار الكلام، ووسيلة من وسائل الإعلام والإفهام، تعتمد أسلوب التلميح، أكثر من أسلوب التصريح هذه الأساليب المبهمة وغير المباشرة جعلت من لغة الأمثال الشعبية أخفّ على السّمع، وأحبّ للقلب، وأمتع للنّفس، وأسهل للحفظ، وأبلغ في الإفهام، وأنجع في الإعلام[4].

- القول السائر بين الناس، المشهور بين عامَتهم وخاصَتهم يضربونه لتصوير المعنى المراد تصويراً حيَاً بأوجز عبارة وأبلغها تأثيراً في النفوس[5].

1-2- المراد بضرب المثل الشعبي الجزائري:

أ- التقدير: تقدير المعنى، أو الحكمة والحجة والعبرة والقدوة بألفاظ المثل للمخاطب، أو تقدير المشابه أو النموذج أو الأصل الذي يتوصل المخاطب بالمقايسة والمقارنة والاعتبار به إلى استخلاص العبرة والبرهان ونحوها.

ب- قوله والتّمثيل به في الحالات التي تشبه الحالة الأولى.

ت- التّلقيح: ما ينتج عنه من تلقيح الأفكار والخواطر وإخصابها أو لما يتولّد عنه من النتائج[6].

ث- الاعتبار والاستدلال: نصبه أمام العقول للاعتبار "وإظهاره للمخاطبين لتستدلّ عليه خواطرهم، كما تستدلّ على الشيء المنصوب نواظرهم"[7].

1-3- الفرق بين المثل الشعبي والحكمة: يتَضح الفرق بين المثل الشعبي والحكمة في عدَة أمور، فالمثل الشعبي:

أ- المقصود منه الاحتجاج، ومن الحكمة التنبيه والإعلام والوعظ[8].

ب- يمتاز بمورد ومضرب وقد يجهل مورده (أي قصته)، أمَا الحكمة ليس لها مورد ومضرب[9].

ت- أساسه التّشبيه(أي تشبيه مضربه بمورده)، والحكمة عمادها إصابة المعنى الصحيح[10].

ث- يصاغ المثل الشعبي في الغالب بأسلوب موجز وبلغة الحياة اليومية، عكس أسلوب الحكمة الذي قد يطول نسبياً باللغة الفصيحة (لغة النخبة).

ج- أنَ الحكمة يقتصر إصدارها وتداولها لدى الخاصة من المثقفين، وتبقى في غالب الأحيان منسوبة لقائليها، كما أنَ مضامينها عميقة الدلالة وقد تكون غير مباشرة، تصل إلى أن تكون صالحة لكل زمان ومكان، أمَا المثل الشعبي يصدر عن العامة من الناس وينتشر لدى الأميَين بصفة خاصة، ذات مدلول مباشر مفهوم للعامة، غالباً ما يصلح لزمان ومكان معينين لاختلاف التجارب والظروف[11]، كما يجهل أول من تكلم به في غالب الأحيان؛ وينسب للجماعة التي أذاعته.

1-4- أشكال المثل الشعبي الجزائري:

أ- أمثال موجزة: يتم صياغتها على شكل جملة واحدة قصيرة "تتكون من ثلاث كلمات، وقليل منها متكوَن من كلمتين، ونادراً ما يزيد عدد الكلمات في الجملة عن خمس"[12] **(كُل بْلِيَه سْبَابْهَا بْنِيَه)**، وعادة ما تكون هذه الأمثال خالية من الوزن والإيقاع، "إمَا متوازنة الأجزاء، متناسقة الطول... أو

مكونة من جزأين متفاوتين في الطول، يحتوي جزء على كلمتين والأخر على كلمة واحدة"[13]، (**لَبْنَاتْ، زَرِيْعَةْ ابْلِيسْ**).

ب- أمثال مركبة: نجدها تتألف عادة من جملتين، فإذا حذفت إحداهما غاب المعنى المقصود والكلي، والقليل منها يكون بجملتين غير متوازيتين ويتم تعويض هذا النقص بحركة إيقاعية متماثلة تحدث في نهاية الألفاظ والكلمات المتجاورة التي تنتهي بها كل جملة، (**بنْتَكْ رَبِّيهَا فِي عَشْرَ سْنِينْ لَّوْلِينْ؛ خِيرْ مَا تَنْدَم عَلَيهَا طُولْ سْنْينْ**).

ج- أمثال موسعة: تتكون من أربع جمل أو أكثر من شأنها أن تصنع قالب شعري غير خالية من الوزن ومقفاة في نهايتها "بصـــوت واحد يتكرر مرتين؛ قد يكون مركباً من حرف واحد، وهذا نادر، وقد يكون مركباً من حرفين أو أكثر، وهو المتواتر في أسلوب هذه الأمثال"[14]، وعلى سبيل المثال:

أَوَّلْ هبَالْ اللّي يَدْخَلْ عَرْكَه بْلاَ رْجَالْ؛
ثَانِي هْبَالْ اللّي يَدْخَلْ لَسُّوق بْلاَ مَالْ؛
ثَالَثْ هْبَالْ اللّي يْفَكْ لمْرَا مَنْ رَقْبَةْ رُّجَال
رَابَع هْبَالْ اللّي شَّابْ ويَصْبَغْ شَعْرُو حَتى كْحَالْ.

"وهناك مجموعة منها قد تتجاوز القياس لتظمّ السّت جمل، ومنها التي تتقلص إلى ثلاث جمل فتقترب أكثر من المركب وهذا نادر"[15]، (**يَمَاك تْعَلِّيكْ وفي ضَعْفَك تْقوَيكْ، ومَرْتَك تْعَيِّيكْ وفي ضَعفَكْ تخليك ولا تزيد عليك؛ وبنتك تَبهدل بك وللمُوت تَديك**).

ويضاف إلى هذه الأشكال، أنَ منها ما كان **مسجوعاً**، ومنها ما كان على نحو **الجملة الشرطية، الجملة الاسمية، الجملة الفعلية**[16]، وأخرى قد تتّخذ **طابع الحكاية**.

ولا نغالي إذا قلنا أنَ الأمثال الجزائرية الموجزة والمركبة تعرف نوعاً من الاهتمام؛ من حيث التَدوين والجمع لدى الدَارسين أو الاستعمال داخل الأسرة، بينما تقل الأمثال الموسعة في ذلك، إما لأنَها قليلة الإنتاج أو زالت مع تقادم الزمن من الذاكرة الشعبية، فلم يستطيع هذا النوع من الأمثال "أن يقوى على البقاء وخاصة عند الانتقال الشفوي فإنَه قد ينقسم ويتولد عنه مثل آخر أو أكثر وقد يستقل جزء منه ليصبح مثلاً ويضيع الجزء الباقي"[17].

1-5- منهج التوثيق في مصنفات الأمثال الشعبية الجزائرية: لقد اعتمدت مصنفات الأمثال الشعبية الجزائرية مرتبة من الأقدم إلى الأحدث، طريقتين في تسجيل الأمثال لتسهيل البحث.

الأولى: تبعاً لحروف الهجاء (تصنيف الحرفي) من بينها مصنَف: الأمثال العامية الدارجة في الجزائر وتونس والمغرب لـ"محمد بن أبي شنب" (1907)، أمثال جزائرية لـ "عبد الحميد بن هدوقة" (1993)، ثمَ حكم وأمثال شعبية جزائرية لـ "جعكور مسعود" (2003)، بعدها موسوعة الأمثال الجزائرية- شرح وتحليل لـ"رابح خدوسي" (2016).

الثانية: تبعاً لمقصد المثل (ترتيب موضوعي) بالاعتماد على التسلسل الألفبائي داخل كل موضوع، من أهمها مصـــنَف: الأمثال الشـــعبية في منطقة قوراية - تيبازة للباحث" بوردوز عبد الناصـــر" (2009)، يليها الأمثال الشعبية الجزائرية- بالأمثال يتضح المقال لـ"قادة بوتارن" (2012).

فعلى الرغم من اختلاف المصنفات في اعتماد طريقة التبويب للأمثال الشعبية الجزائرية إلاَ أنَ منهج التوثيق الذي اتبع في أغلبها هو كتابة الأمثال بالدارجة وترجمة بعضـــها إلى الفصـــحى أو

الفرنسية، مع الشرح والتعليق الموجز لأغلب ما أورده المؤلف، بغرض بيان مضربها مع ذكر المورد كلما توفر، وذلك حتى تكون الاستفادة أشمل وأوسع لباحثين أكاديميين في علوم شتى؛ "ليس من باب عرض تحف قديمة ولا جمع لقطات نادرة، وإنَما هو اكتشاف وقائع اجتماعية تمثل نشاط الناس وسلوكهم وتعاملهم وتفاعلهم وأخلاقهم وعاداتهم وعلاقاتهم مع بعضهم بعضاً في كافة مجالات الحياة"[18].

2- الإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية:

2-1- تحديد مصطلحات الدراسة إجرائياً:

أ- الصورة النمطية: وما نقصد به في هذه الدراسة الانطباع المتجذر في الفكر الشعبي السائد اتجاه المرأة، والذي نستدل عليه إجرائياً ضمن الدراسة من خلال عرض الأمثال؛ فبالوصف والتحليل سنحدَد:

إيجابيةً أو سلبيةً الصورة النمطية أو انطوائها على عناصر إيجابية وسلبية في وقت.

وتحديد طبيعة المرأة- هاهنا- بتدرج مراحلها العمرية في أدوارها الأسرية (بنت/ أم/ زوجة).

ب- المثل الشعبي الجزائري: صورة لغوية بلاغية كاشفة لاتجاه الفكر الشعبي الجزائري وأحاسيسه، مواضيعه مستخلصة من مختلف شؤون الحياة اليومية للفرد أو الجماعة، "... أسلوبه عفوي بسيط ذو طابع محلى إقليمي لا يتعدى حدود ذلك البلد، وثقافته، وشعبية ألفاظه"[19].

والأمثال الجزائرية المتعلقة بالمرأة في أدوارها الأسرية (**أم/ بنت/ زوجة**)، ما نقصد به في متغير دراستنا.

2-2- حدود الدراسة:

أ- الحد المكاني: تم اختيار مدينة جيجل كمجال مكاني أساسي للدراسة الميدانية.

ب- الحد الزماني: 2019.

2-3- عينة الدراسة: تحدَدت العينة من حيث النوع بالقصدية حسب طبيعة المشكلة وأهداف موضوع الدراسة، وهي تضم 100 مثل شعبي تمَ إخضاعها للدراسة والتحليل، بعد إلغاء تكرار بعض الأمثال وأخطاءها وتشابه معانيها، وتمَ الإبقاء في هذه الدراسة على ما تبين أنَه متداول في الوقت الحاضر في الأحاديث والمعاملات اليومية.

2-4- منهج الدراسة وأدواته: نظراً لطبيعة الدراسة الراهنة وأهدافها سيكون منهج البحث وصفياً، وذلك يكون من خلال استقراء الأمثال الشعبية التي تمَ جمعها من الميدان وتلك المدونة في الكتب والبحوث الفردية المحلية، ثمَ معالجتها كيفياً من أجل إعطاءها المعنى والدلالة التي تفي بتفسيرها وشرحها، وفق السياق الوارد فيه والتي ترمي إليه من مستعمليها.

ولتحقيق ذلك تمَ الاعتماد على العديد من وسائل جمع البيانات أهمها: الإخباري، آلة التسجيل، الأدبيات السابقة التي لها صلة بالموضوع سواء كانت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وهذه هي التقنيات المناسبة للتقرب من ميدان الدراسة وجمع المعلومات بشكل صحيح لما لها من الأهمية في عملية التفسير والتحليل في البحوث السوسيو-انثربولوجية، الذي عادة ما يكون غامضاً لاسيما فيما يتعلق بتمثلات وتصوَرات الأفراد والجماعات.

وحتى لا تكون هذه المقالة نظرية في مجملها قصدنا أن نسجل أمثالا شعبية جزائرية تعبر عن صورة المرأة في أدوارها الأسرية ك(البنت/ الزوجة/ الأم):

صورة البنت:

وفي معرض الحديث دائماً عن موضوع المرأة بيَنت الأمثال الشعبية تناقضاً في صورة البنت فمن جهة يقر بقيمة من يرزقه الله بالإناث، ويمكن توصيف تلك الصورة على النحو التالي: (**لي عطاتها نخلتها تجيب بنت على بكرتها**)، (**لي ما عندها بنية تتدفن وهي حية؛ وتبقى بلا ذرية**) دلالة على عمق السعادة والبهجة اللّتين تضيفهما وجود البنت على الحياة العائلية فهي تساعد الأم في أشغال البيت وتربية الأخوة ولا يعرف القيمة النفعية في إنجاب البنات إلاّ من استند عليها، وتربية البنت تتمثل في الحجب التام بالبيت وعدم سماع صوتها خارج حدود المنزل فالمثل الشعبي يقول (**بنتنا محجوبة فصندوق وحسها ما تسمعوا فسوق**).

في حين ثمَة أمثال أخرى نلمس فيها القلق اتجاه إنجاب البنات وعدم الترحيب بقدومها، فالاعتقاد السائد كما تشير إليه الأمثال التالية: (**لي عندو لبنات عندو الهم بالحفنات للممات، عازبات ولا مزوجات**) (**دلل بنت تفضحك**)، (**زوجها وبعد دارها ما يوصلوك غير خبارها**) يكمن في أنَ إنجاب البنات عبء كبير يسبب قلقاً دائما للعائلة سواء متزوجة أو عزباء، فخير وسيلة تضمن سترها بالنسبة لها أو لعائلتها الزواج أو الموت ويضرب في ذلك العديد من الأمثال الشعبية لتعزيز وجهة النظر اتجاهها من ذلك مثلا (**لبنت يسترها ذكر ولا قبر**)، ويتداول كدلالة إلى أنَ الرجل داخله المرجعية الأساسية للأنثى فهو العائل و الحامي لها سواء كان هذا الرجل أباً، زوجاً، ابناً... (**عز لبنت مع بوها وإذا غاب عليها عيشها يمرار؛ يا لوكان خوها شيخ قبيلة؛ وراجلها هو سلطان**).

علاوة على النظرة السلبية لإنجاب الإناث إلاّ أنَها تبقى أفضل من عدم الإنجاب لدى البعض، كما هو واضح من المثل التالي (**نجيب بنية خير ما نقعد بلا ذرية**)، كما قد يكون وجودها أفضل على مولود ذكر سيء (**عندي بنت خدها ينير ولا ولد يحير**)، بالأخص عندما تكون ذات تربية أصيلة فإنَ النظرة تختلف فيقال (**بنية متربية؛ ولا صبيان مخزية**).

وإن كان هذا المثل ظاهره يحاول تعزيز قيمة البنت، إلاّ أنَه في سياقه يحط من شأن المرأة المتزوجة ويشكك من فعاليتها الاجتماعية، لأن عزتها ومكانتها في نظر المجتمع من خلال أمثاله مرهونة بإنجاب الذكر ونجد ذلك متجسداً في هذا المثل (**ثلاث ما فيهم حنانة: الفقر والدَهر ومرا بلا ذكر**)، فرغبة الإنسان الشعبي أن تبقي ذكراه في الحياة بوجود أبناء يرثون اسم العائلة من بعده (**لي يجيب ذكر ما يتنكر؛ ولي ما عندو ذكر ما يتذكر**)، كما أنَ الأبناء عزوة آبائهم في مواجهة مصاعب الحياة ومصائبها (**ما يسند لخيمة غير أوتادها وما يسند لمرا غير أولادها**)، (**الدار لي ما فيها صغار كي لجنان بلا نوار**)، على عكس البنات فهي بزواجها تترك بيت والديها لن تخلف وراءها إلاّ اسم عائلة زوجها، وكل ما يدخر لها منذ الصغر يعود إليها وحدها، ولهذا فوجود البنات في المنزل من عدمه سيان ومن نماذج ذلك (**دار لبنات خاوية**)، (**الدار لي فيها لبنات ما عمرت ما خلات**).

وهكذا تتباين النظرة إلى الزوجة منجبة الذكور عن منجبة الإناث... فمن خلال عملية التنشئة الاجتماعية يبدأ كلَ من الجنسين في تشرب أنماط السلوك القيم والمعايير التي تعكس التَمييز النوعي بينهما.

صورة الزوجة:

لقد أشاد الحكيم الشعبي بالجمال الأخلاقي على الجمال الخَلقي لما فيه من سحر وتأثير في اختيار الأنثى كزوجة، وهذه النصيحة الناجمة عن التجربة والخبرة الإنسانية السابقة عبَرت عنها الأمثال الشعبية السائدة اليوم قائلة (**لفايدة ماشي فزين ولعين لفايدة فتربية ولقلب لحنين**)، (**زين بلا فعايل يخزي مولاتو**) ، (**ما بيضة غير لقرعة وجوفها خالي؛ وما كحلة غير نحلة وسومها غالي**).

فتحيل هذه الأمثال إلى من يغتَر بالمظهر الخارجي أو الخلقي كمقياس يتم من خلاله الحكم على الأنثى بالإيجاب أو السلب، وهذه الفكرة صحيحة لا يمكن إنكارها لأنَ المرأة الصالحة ذات الأخلاق الحسنة كالشيء الثمين الذي لا يزول أبد الدهر حتى وإن لم تكن ذات جمال ظاهري، لأنَ معيار الجمال الحقيقي هو الأخلاق فلا قيمة للجمال بلا أخلاق.

ومن الأمثال التي توصي الشباب باختيار الزوجة التي تتوفر فيها جمال الخُلق والخَلق معاً، ما ورد في المثل القائل: (**أديها على زين ودين وتربية لوالدين**)، (**لي يزوجها على مالها يموت فقير؛ ولي يزوجها على رجالها يموت حقير؛ ولي يزوجها على جمالها يحبو ربي والنبي البشير**)، كما يفضل اختيار ذات الأصل الطيب لأنَها تساند الرجل في رحلة حياته وهو ما يعبر عنه بالمثل القائل (**عليك ببنت لأصول لعل زمان يطول**)، (**تزوج مرا يأكل منها الزمان ويخلي**)، وهذه الأمثال الجزائرية تتفق مع التوجيه النبوي الشريف في الحض على اختيار الزوجة الصالحة كما ورد عن النبي ﷺ أنَه قال: "تُنْكحُ الْمَرْأَةُ لأرْبَعٍ: لمالها ولِحَسَبها ولِجَمَالها وَلدينها: فَاظْفَرْ بذاتِ الدِّينِ تَربَتْ يَدَاكَ"، "خير متاع الدنيا المرأة الصالحة".

وإذا كانت الأمثال السابقة تحث على الاستعاضة بالخلق القويم والأصل الطيب للمرأة عن جمالها الظاهري في الاختيار الزواجي، فإنَنا نلمس في عديد من الأمثال طابعاً سلبياً عنها ويحذر منها الرجل الذي يهم بالزواج في قالب لغوي يهين المرأة نوعا ما، حيث قيل في هذا الصدد (**لمرا إذا شينت الراجل شان وإذا زينتو زان**)، (**نْسَا رَيَّاحِينْ لَقْلُوبْ وَشْيَاطَنْ لَجْيُوبْ**)، (**كاين لي تجيب لخير معاها وكاين لي تخرجو من التاقة (النافذة)**، وعلى هذا الأساس تحذر هذه الأمثال وغيرها الكثير الرجل وبشدة في اختيار الزوجة فقد تكون سبباً في جلب السعادة أو الشقاء لبيت زوجها، فحسب القاص الشعبي هي لا تُعين زوجها على الدَهر بل تُعين الدَهر عليه.

صورة الأم: غير أنَ الملاحظ عندما نصل للصورة النمطية للمرأة في دور الأم، نجد الأمثال الجزائرية تنبئ عن حقيقة واقعة وواضحة بعيدة عن أي إهانة عنها، فغلبت صفة الايجابية على صفة السلبية، والأم هي حجر زاوية أساس بيتها وضمان ديمومته وسلامته، فبموتها تتشتت الأسرة وتنهار وتفقد الحياة، الحب والعطاء، الأمن والأمان مترجمة على هذا النحو (**ملي ماتت المرحومة تفرقوا صغارها فلحومة**)، (**لي خطاتو امو طال همو؛ ولا يحط حجرة باردة في فمو**)، (**ولي عندو أمو فدار ياكل زيت وخبز دار**)، (**يتيم لأم يتوسد على العتبة**).

كما نجد كذلك أمثال شعبية أخرى تختلف وتتنوع في تقديمها للمرأة، إذ يستحيل حصرها في مقالنا هذا حسب التراث الفكري والقيمي للجماعة.

خاتمة:

وفي ضوء ما سبق، أظهرت النتائج:

- وجود اختلاف في طبيعة الصورة النمطية وفقاً لإختلاف زاوية الرؤية وطبيعة الناظر، فهي من ناحية تكون إيجابيةً أو سلبيةً أو تحتوي على عناصر إيجابية وسلبية في وقت واحد.
- أنَ الأمثال الشعبية الجزائرية قيد الدراسة جاءت متناقضة في مراميها تعطي حيناً مكانة للمرأة، ولكنَها تظل مع ذلك محدودة العدد (قليلة) مقارنة مع غالبية الأمثال التي تتضمن محتوى مسيئاً تحط من قيمتها وقدرها الاجتماعي باختصار كيانها في جانب سلبي، والذي غالبا ما يكون مبني علي تفضيل إنجاب الذكور، فحينما كانت بنتاً وزوجةً رسمتهما بمحتوى يتعارض كثيراً مع معايير الكتاب والسنة، إلا أنه يكون إطراء إذا ما كانت أمَاً.
- استشهاد وتداول الفئة الشبابية لأمثال تكون الصورة النمطية للمرأة تنطوي علي سمات سلبية ثابتة ترتبط بها وغير قابلة للتغيير.

وعلى هذا الأساس نقترح:

- زيادة الأبحاث المتعلقة بمجال ثقافة الصورة وتأثيراتها على اتجاهات وسلوك الأفراد والجماعات.
- غربلة أمثال جزائرية تحسين صورة ومكانة البنت والزوجة في أذهان الجيل الناشئ، بالاستعانة على الأمثال التي تظهرها بصورتها الأكثر إيجابية والابتعاد عن القوالب النمطية الحالية التي تظهرها بصورة سلبية.
- معرفة اتجاهات الفئة الشبابية نحو صورة المرأة في مختلف حالاتها الاجتماعية وأدوارها الأسرية من خلال الأمثال الشعبية التي يحفظها ويتداولها في الوقت الراهن.
- المساهمة في غربلة مضامين الخطابات الشعبية اتجاه المرأة بما يتلاءم القرآن والسنة.

قائمة المصادر والمراجع:

- احمد بن نعمان، سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنثربولوجيا النفسية، دار النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2015.
- أمينة فزازي، مناهج الأدب الشعبي (المناهج التاريخية والانثربولوجية والنفسية والمورفولوجية في دراسة الأمثال الشعبية - التراث- الفلكلور- الحكاية الشعبية)، دار الحديث، مصر، ط1، 2011.
- الحسن اليوسي، زهرة الأكم في الأمثال والحكم، تر، تح: قصي الحسين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 2003.
- حسين بن بخمة، ذَرَّاتُ النِّيكَل في النّادر من أمثال أهل جيجل، دار الوعى للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2006.

السناد جلال غربول، المثل الشعبي ودلالاته الاجتماعية دير الزور- أنموذجا، دار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1992.

- عبد الله الجربوع، الأمثال القرآنيّة القياسيّة المضروبة للإيمان بالله مع نماذج من بعض الأمثال، عمادة البحث العلمي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، ج1، 2003.
- عبد المالك مرتاض، الأمثال الشعبية الجزائربة- تحليل مجموعة من الأمثال الزراعية والاقتصادية-، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط3، 2014.
- عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، دار الفكر، دمشق، ط1، 1988.

- فتيحة بن فرحات، الأمثال الشعبية الجزائرية دراسة سوسيو- ثقافية، منشورات دار الكاتب للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.
- كمال خلايلي، مقدمة معجم كنوز الأمثال والحكم العربية النثرية والشعرية، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 1998.
- محمد جابر الفياض العلواني، الأمثال في الحديث النبوي الشريف، المعهد العالمي للفكر الإسلامي سلسلة الرسائل الجامعية، الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 1993.
- مسعود جعكور، حكم وأمثال شعبية جزائرية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2012.
- نبيل أبو الحسن القيسي، حكم وأمثال شعبية في ميزان الشريعة الإسلامية، الدار العالمية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2010.

المجلات:

- إبراهيم احمد شعلان، الأسرة في المثل الشعبي، مجلة التراث الشعبي، دار الحافظ للنشر، بغداد، ع 06، 1981.
- عايدة باية، المثل الشعبي فكر وفن، مجلة مركز الدراسات والأبحاث الخاصة بالتنمية الجهوية، الجزائر، ع01، 1982.
- على مهدى كاظم، عبد القوى سالم الزبيدى، المضامين النفسية للأمثال الشعبية العمانية "دراسة عاملية"، مجلة دراسات عربية في علم النفس، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مج01، ع 01، 2002.
- كريم مجيد باسم، محمد خلف سلطان، الاستلزام الحواري في الأمثال الشعبية في البصرة -دراسة تداولية-، مجلة آداب البصرة-جامعة البصرة، العراق، ع85، 2018.

الهوامش:

[1]- نبيل أبو الحسن القيسي، حكم وأمثال شعبية في ميزان الشريعة الإسلامية، الدار العالمية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2010، ص 20.

[2]- محمد جابر الفياض العلواني، الأمثال في الحديث النبوي الشريف، المعهد العالمي للفكر الإسلامي سلسلة الرسائل الجامعية، الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 1993، ص 23.

[3]- أمينة فزازي، مناهج الأدب الشعبي (المناهج التاريخية والانثربولوجية والنفسية والمورفولوجية في دراسة الأمثال الشعبية - التراث- الفلكلور- الحكاية الشعبية)، دار الحديث، مصر، ط1، 2011، ص 121،122.

[4]- حسين بن بخمة، ذَرَّاتُ النِّيكَل في النّادر من أمثال أهل جيجل، دار الوعى للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2006، ص 03.

[5]- كمال خلايلي، مقدمة معجم كنوز الأمثال والحكم العربية النثرية والشعرية، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 1998، ص هـ.

[6]- عبد الله الجربوع، الأمثال القرآنيّة القياسيّة المضروبة للإيمان بالله مع نماذج من بعض الأمثال، عمادة البحث العلمي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، ج1، 2003، ص 89،90.

[7]- عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، دار الفكر، دمشق، ط1، 1988، ص 12.

[8]- الحسن اليوسي، زهرة الأكم في الأمثال والحكم، تر، تح: قصي الحسين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 2003، ص 31.

[9]- مسعود جعكور، حكم وأمثال شعبية جزائرية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2012، ص 12.

[10]- عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، (م.س)، ص 18.

[11]- أحمد بن نعمان، سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنثربولوجيا النفسية، دار النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2015، 312،315.

[12]- إبراهيم احمد شعلان، الأسرة في المثل الشعبي، مجلة التراث الشعبي، دار الحافظ للنشر، بغداد، ع 06، 1981، ص 117.

[13]- عايدة باية، المثل الشعبي فكر وفن، مجلة مركز الدراسات والأبحاث الخاصة بالتنمية الجهوية، الجزائر، ع01، 1982، ص 22.

[14]- عبد المالك مرتاض، الأمثال الشعبية الجزائربة- تحليل مجموعة من الامثال الزراعية والاقتصادية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط3، 2014، ص 135.

[15]- فتيحة بن فرحات، الأمثال الشعبية الجزائرية دراسة سوسيو- ثقافية، منشورات دار الكاتب للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص 43.

[16]- كريم مجيد باسم، محمد خلف سلطان، الاستلزام الحواري في الامثال الشعبية في البصرة -دراسة تداولية-، مجلة آداب البصرة-جامعة البصرة، العراق، ع85، 2018، ص 254.

[17]- إبراهيم احمد شعلان، الأسرة في المثل الشعبي، (م.س)، ص 101،117.

[18]- السناد جلال غربول، المثل الشعبي ودلالاته الاجتماعية دير الزور- أنموذجا، دار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1992، ص10.

[19]- على مهدى كاظم، عبد القوى سالم الزبيدى، المضامين النفسية للأمثال الشعبية العمانية "دراسة عاملية"، مجلة دراسات عربية في علم النفس، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مج01، ع 01، 2002، ص54،55.

مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 1283 - 1292
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

الطفل بين التنشئة الاجتماعية ومنصات التواصل الاجتماعي
رؤية سوسيودينية

The child between socialization and social media platforms
A Socio-Religious Vision

د/ اليمين شعبان
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية - جامعة عباس لغرور خنشلة
chabanelyamine1952@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2021/01/01 تاريخ القبول: 2021/04/18

الملخص:
تعتبر الأسرة من أهم مؤسسات البناء الاجتماعي وجماعة اجتماعية أساسية ودائمة ومن المنظور الإسلامي فهي أسمى من أن تكون عبارة عن وسيلة لإنجاب الأطفال بل الخلية الاجتماعية الأساسية والأولى التي يقوم على أساسها المجتمع وهي بهذا تعد الوسط الذي يتلقى الفرد فيه التنشئة والدروس الأولى في الحياة وهي كمؤسسة اجتماعية تخضع إلى تأثير التطورات والتغيرات الاجتماعية والثقافية الحاصلة وتنزع نحو التقلص في الوظائف لتقوم مقامها مؤسسات اجتماعية أخرى وتعد التنشئة الاجتماعية للأطفال من أهم هذه الوظائف وأمام ما يشهده العالم من تأثيرات ناجمة عن الثورة المعلوماتية المتواصلة والآثار التي تتركها هذه الوسائل التكنولوجية الحديثة على الأسرة والأطفال يمكن أن نتساءل عن حدود هذه الآثار ومدى تكيف الطفل مع حتمية التعرض لهذه الوسائل (منصات التواصل الاجتماعي) والحفاظ على مبادئ وقيم المجتمع وتراثه الحضاري والثقافي.
الكلمات المفتاحية: الأسرة؛ التنشئة الاجتماعية؛ الإنترنيت؛ منصات التواصل الاجتماعي.

Abstract:
The family is one of the most important institutions of social construction and a social group basic and permanent and from the Islamic perspective it is higher than to be a means of having children but the basic social cell and the first on which the society is based, and it is in this way the medium in which the individual receives upbringing and the first lessons in life and is as a social institution subject to the impact of developments and social and cultural changes taking place and tends to shrink in the functions of the status of other social institutions and prepare shaping Social for children is one of the most important of these functions and in the face of the effects of the continuous information revolution and the effects of these modern technological means on the family and children can be questioned about the limits of these effects and the extent to which the child adapts to the imperative of exposure to these means (social media platforms) and the preservation of the principles and values of society and its cultural and cultural heritage.
Key words: Family, Socialization, Internet, Social Media Platforms.

مقدّمة:

تعتبر التنشئة الاجتماعية احد أهم مراحل تشكيل شخصية الطفل ، لذلك أولتها الدراسات الاجتماعية والنفسية كل العناية والاهتمام والعمق والتشخيص، وإذا كانت هذه العملية الاجتماعية تقوم بها الأسرة التي تعد من أهم المؤسسات الاجتماعية وجماعة اجتماعية أساسية التي يتكون منها البناء الاجتماعي وما يأتي بعد ها من مؤسسات المجتمع المساهمة في تشكيل شخصية الطفل، فإننا اليوم أمام كيانات افتراضية ولدت من رحم الشبكة العنكبوتية (الإنترنيت) وهي منصات التواصل الاجتماعي التي أصبحت اليوم صاحبة النفوذ في عملية التنشئة الاجتماعية بما تملك من قوة التأثير العقلي والعاطفي والسلوكي.

وفي هذا السياق وللوقوف على مدى تأثير شبكات التواصل الاجتماعي (منصات التواصل الاجتماعي) على العلاقات الأسرية والتنشئة الاجتماعية للأطفال الذين يواجهون أو يتعاملون مع هذه التقنيات التكنولوجية الاتصالية الحديثة.

سوف نحاول معرفة كنه وطبيعة المخاطر التي يتعرض لها مستعملو المنصات التكنولوجية وموقف وتعامل الأسرة إزاء ذلك من خلال تساؤل أساسي مؤداه:

- كيف تتعامل الأسرة مع هذه الوسائل التكنولوجية الحديثة؟

وأسئلة أخرى متفرعة عنها وهي:

- ما مدى الآثار المترتبة على ذلك؟ وكيف يمكن أن توفق الأسرة بين التنشئة الاجتماعية السليمة للأطفال وحتمية التعرض لهذه الوسائل التي تعد منصات التواصل الاجتماعي أحدثها؟ وما مدى الاستفادة منها دون الذوبان في ما تحمله رسائلها من مضامين وقيم؟

ويهدف هذا الموضوع بشكل أساسي إلى الإحاطة بأهمية الأسرة باعتبارها الرافد الأول والأساسي في التنشئة الاجتماعية للأطفال، من خلال مرافقتهم أثناء الولوج المستمر والمتواصل باستخدام منصات التواصل الاجتماعي نظرا لما تتركه من آثار اجتماعية ونفسية ووجدانية سلبية التي تصل في بعض الأحيان إلى الإخلال بالتوازن والنمو السليم للطفل.

تم إتباع في مناقشة هذا الموضوع تطبيق منهج الوصف والتحليل والاعتماد على قراءات سوسيودينية لإدراك طبيعة الأثر وكيفية التعامل الصحيح مع المنصات التكنولوجية بحيث يمكن الاستفادة من منافعها دون الانسلاخ عن مقومات وعناصر الهوية المكتسبة وقيم المجتمع المستمدة من الشريعة الإسلامية السمحاء التي تعد الحصن المنيع ضد كل اختراق لمقومات الأمة لأن من يتبع كتاب الله وسنة رسوله، ويعمل بهما لن يزيغ ولن يضل الطريق أبدا.

وتضمن هذا الموضوع العناصر الآتية: (الأسرة عبر التاريخ، الأسرة في الإسلام، التنشئة الاجتماعية، التنشئة الاجتماعية من منظور إسلامي، منصات التواصل الاجتماعي .. بين المنافع والمضار، دور الأسرة في صيانة وتحصين الأطفال).

أولا: الأسرة عبر التاريخ

تعد الأسرة من أهم المؤسسات الاجتماعية وجماعة اجتماعية أساسية ودائمة تمثل نطاقا اجتماعيا رئيسيا عبر الصيرورة التاريخية لبني البشر ونجد أن العلماء والمفكرين يرون بأن الأسرة ليست أساس وجود المجتمع فحسب بل هي مصدر الأخلاق والدعامة الأولى لضبط السلوك والإطار الذي يتلقى فيه الإنسان أول دروس الحياة وربما كان ذلك هو مجمل منظور علم الاجتماع إلى الأسرة باعتبارها نظاما اجتماعيا ومع ذلك فان رواده لم يهتموا كثيرا بالوحدات الاجتماعية الصغيرة كالأسرة في تحليلهم للمجتمع[1].

ويرى الكثير من المؤرخين وعلماء الأنثروبولوجيا أن الأسرة تاريخيا مرت بمراحل إلى أن أصبحت على الشكل والتركيب الحالي، وتتمثل هذه المراحل في الآتي:

- المرحلة الأولى الشيوعية الجنسية: التي يمكن أن يعرف فيها الإنسان نظام الزواج، وكانت العلاقة فيها بين الرجل والمرأة حرة طليقة من أي قيد.
- المرحلة الثانية الزواج الجمعي: الذي يمثل زواج عدد من الرجال بعدد من النساء.
- المرحلة الثالثة الأموسية: حيث كانت القرابة تتبع فيها النسب للأم.
- المرحلة الرابعة البطريركية: حيث كانت القرابة تتبع فيها النسب للأب
- وفي الأخير المرحلة الخامسة يصل المجتمع إلى الأسرة الثنائية المتكونة من الأب والأم[2].

ونجد أن الدراسات الاجتماعية للأسرة لم تر انتعاشا إلا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين حيث نجد علماء الأنثروبولوجيا وعلماء الآثار الذين أولوا اهتماما لدراسة الأسرة في الثقافات البدائية وفي الحضارات القديمة وانطلاقا من هذا الوقت أخذت دراسة الأسرة تحتل اهتماما ومكانة هامة في العلوم الاجتماعية وقد أثار مؤلف "إدوارد وستر مارك" EDWARD WESTER MARK تاريخ الزواج الإنساني (THE HISTORY OF HUMAN MARIAGE) اهتماما كبيرا كمدخل لدراسة الأسرة[3].

و ما يلاحظ أن نظام الأسرة لدى الشعوب والأمم تستمد أحكامه انطلاقا من عاداتها وتقاليدها ومجمل القيم الحياتية للاستمرار في الوجود وعرفت الأسرة تغيرات عبر مختلف المراحل التاريخية المتعاقبة وخصوصا في المجتمعات المتقدمة وخاصة خلال القرن الماضي حيث طرأت على مؤسسة الأسرة تغييرات مستمرة ومتواصلة من حيث الحجم والوظائف وأشكال العلاقات والتفاعلات والارتباطات ورغم كل هذه التغيرات تبقى الأسرة تشكل المحور الرئيسي للحياة الإنسانية ولم يقتصر التغيير على الأسرة في المجتمعات الغربية المتقدمة فحسب بل شمل كل المجتمعات البشرية ولكن بدرجات متفاوتة.

ومع هذا التغيير الذي مس جوانب كثيرة في الأنساق الاجتماعية التي تعد الأسرة واحدا منها نجد أن وظائفها وأشكالها تخضع إلى تأثير التطورات والتغييرات الاجتماعية والثقافية الحاصلة وتباين الوظائف بتباين المراحل التاريخية وتفاوت درجة تطور المجتمعات البشرية؛ ومن هذا المنظور فان الأسرة في حركية تطورها التاريخي تنزع نحو التقلص في الوظائف لتقوم مقامها مؤسسات اجتماعية أخرى فالأسرة كانت في القديم تضطلع تقريبا بمعظم الوظائف التي تؤديها في الوقت الراهن المؤسسات الاجتماعية ذات الصلة وفي هذا الشأن كلفت لجنة من الباحثين الأمريكيين سنة 1933 للقيام بدراسة من أجل معرفة الوظائف التي تقوم بها الأسرة حيث توصلت الدراسة إلى أن الأسرة الأمريكية تؤدي الوظائف التالية[4]: (وظيفة الإنجاب، الوظيفة الاقتصادية، الوظيفة التربوية والتعليمية، الوظيفة الدينية والحماية، الترفيه، وظيفة منح المركز الاجتماعي، توفير الصحة للفرد).

ومنذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا عرفت الأسرة الأمريكية تقلصا كبيرا في عدد الوظائف قياسا بالمرحلة السابقة وفي هذا السياق يرى موسجراف MUSGRAVE أن الأسرة المعاصرة تقوم بثلاثة وظائف أساسية وهي: إشباع الغريزة الجنسية، إشباع الاحتياجات الاقتصادية، القيام بالتنشئة الاجتماعية[5].

ثانيا: الأسرة في الإسلام

نظرا للأهمية التي تحتلها الأسرة في حياة الإنسان جاءت أحكامها في التشريع الإسلامي في القران الكريم وفي السنة النبوية الشريفة بكل ما تتضمنه من زواج وطلاق ووصية وميراث وحضانة ورضاع ونفقة وولاية على النفس وولاية على المال جاءت مفصلة واضحة تبرز أهمية دورها في بناء الأفراد والجماعات[6].

ومن هذا المنطلق فالأسرة من وجهة نظر الدين الإسلامي أسمى من أن تكون عبارة عن وسيلة لإنجاب الأطفال بل تعتبر الخلية الاجتماعية الأساسية والأولى التي يقوم على أساسها المجتمع فيصلح بصلاحها أو تعتريه اختلالات وهزات لمرض يصيبها مصداقا لقوله عز من قائل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: 21).

بذلك نجد أن من أهم مقومات وأهداف الأسرة المسلمة السعي إلى تحقيق الرحمة والمودة لبلوغ مجتمع قوي وفاضل ومتماسك والدعوة إلى البر بالوالدين؛ ولن يتأتى ذلك سوى من التنشئة الدينية والاجتماعية الصحيحة لقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: 24).

وهنا نلاحظ أن الشريعة الإسلامية السمحاء قد أولت أهمية بالغة للأسرة رغم عدم وجود هذا المصطلح في القران الكريم أو في السنة النبوية العطرة اسما أو صفة لنظام الزوجية أو غيره؛ لكن القرآن الكريم جاء شريعة للدين والدنيا وقرر تشريعات للفرد والمجتمع من النظم والقواعد ما يكفل الحياة الكريمة المستقرة للبشرية جمعاء.

وفي ظل ذلك حظيت الأسرة باعتبارها الخلية الأولى في النظام الاجتماعي باهتمام القرآن ولما كانت المرأة تشكل الدعامة الأساسية والرئيسية في بناء الأسرة فقد تحصلت على حقوق كاملة غير منقوصة في الوقت الذي كانت فيه المرأة في الغرب تباع وتشترى كالسلعة؛ وقد عمل الفقهاء المؤسسون للمذاهب الفقهية على التركيز على أهمية الحقوق والواجبات لتضامن الأسرة وسلامة وتماسك المجتمع ومن هنا نجدهم قد ركزوا على التشريعات والقوانين أي نظام الأسرة وسار على خطاهم الفقهاء على مر العصور وقد أشار القرآن الكريم للزوجين ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ (الحجرات: 13)، كما أشار للزوج ادم عليه السلام ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (البقرة: 34).

وما يلاحظ من خلال تراث الفقهاء والمفكرين الذين أسسوا للمذاهب الفقهية ومدارس التفسير في العهود الأولى لظهور الإسلام أنهم لم يكونوا يهتمون بإيجاد مصطلح يسمى به نظام الزوجية وما يترتب عليه من ذرية وسهر ونسب بل ركزوا على الأحكام والتشريعات المتعلقة بالعلاقات الزوجية تكوينا وفروعا وتنظيما[7]، وعلى النهج ذاته سار المفسرون السابقون حيث ركزوا على تفسير ما يتصل بالزوجية والزواج في سياقه من الآيات وبهذا تكون الأسرة من المنظور الإسلامي المستمد من القران الكريم والسنة النبوية الشريفة قد عكست نظرة كلية وشمولية للأسرة.

ثالثا: التنشئة الاجتماعية

إن ما يهم في موضوع الوظائف التي تقوم بها الأسرة بهذا الخصوص، هو الوظيفة التربوية والتنشئة الاجتماعية التي يجمع الباحثون والمختصون في مختلف الميادين والمجالات العلمية على الأهمية الكبرى للدور الذي تؤديه الأسرة في هذا المجال ويتوقف أثر الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية على نسق مجموعة عوامل بنيوية مكونة لها، كالأصل الاجتماعي ومستوى الدخل والمستوى التعليمي للأبوين وحجم الأسرة والعلاقات القائمة بين أعضاء الأسرة والمفاهيم والقيم التي تتبناها الأسرة وعلى وجه الخصوص المفاهيم التي تتصل بطرق وأساليب التنشئة الاجتماعية.

وفي هذا السياق نجد "بيرت" يؤكد على أهمية هذه العوامل بالنسبة للأسرة بقوله: "إن العوامل الأكثر خطرا وتدميرا على حياة الفرد هي العوامل التي تدور حول حياة الأسرة في الطفولة"[8]، ويشكل النسق الأبوي أهمية كبرى، حيث يعتمد المدخل الاجتماعي النفسي الذي ينظر إلى التفاعل بين الآباء نظرة ليست بمعزل، بل يتم داخل النظام الاجتماعي الكبير، ولهذا يعد نسق الأسرة المحيط المباشر الذي يتم داخله النظام الاجتماعي الكبير، ولذلك يعتبر النسق الأسري بمثابة المحيط المباشر الذي يتم فيه التفاعل بين الآباء والأبناء ويطلق على ذلك مفهوم التنشئة الاجتماعية socialization[9].

و يرى ألكين Elkin وهاندل Handel بان التنشئة الاجتماعية الصحيحة والسليمة تتطلب شروطا ثلاثة تعتبر أساسية لبلوغ الهدف المنشود[10]، ويتضمن الشرط الأول، على كون الطفل حينما يولد يكون في مجتمع موجود فعلا، Existing Society ولهذا المجتمع قواعده ومعاييره وقيمه واتجاهاته وله بناءات اجتماعية عديدة ونمطية وتخضع للتغيير باستمرار؛ وأن هذا الطفل ليس مهيأ اجتماعيا لإدراك هذه العمليات

والبناءات أو التغيرات وتكون وظيفة أنماط التفكير والشعور والعمل في مثل هذا المجتمع هي تحديد الوسائل والطرق التي يجب أن يمر بها هذا الطفل وأن هذه الوسائل والطرق هي التي تشكل عملية التنشئة الاجتماعية .

أما الشرط الثاني للتنشئة الاجتماعية الملائمة والمناسبة هو الميراث البيولوجي الذي يسمح لعمليات التعلم بالحدوث، والشرط الثالث لحدوث التنشئة الاجتماعية يطلق عليه الطبيعة الإنسانية وهي عوامل معينة وعالمية بين البشر، أي أنها تميز بني الإنسان في حالة مقارنتهم بالكائنات الحية الأخرى[11].

ويؤدي كل عامل أسري دورا خاصا في عملية التنشئة الاجتماعية ويتكامل ذلك الدور مع مجموعة أو جملة من التأثيرات التي تمارسها العوامل الأخرى وتحقق هذه العوامل المختلفة للأسرة نوعا من التوازن والتكامل في التأثير على شخصية الطفل وتضم الأسرة بحكم بنيتها ووظائفها نسقا من العلاقات التي تقوم بين أفرادها.

وتعتبر العلاقة القائمة بين الأبوين المحور الأساسي لنسق العلاقات التي تقوم بين أفراد الأسرة والقاعدة الأساسية لعملية التنشئة الاجتماعية حيث تعكس العلاقة الأبوية ما يطلق عليه (الجو العاطفي) للأسرة الذي يؤثر تأثيرا كبيرا في عملية نمو الطفل نفسيا ومعرفيا كما تمثل العلاقة الأبوية نمطا سلوكيا لأفراد الأسرة ويعني ذلك أن الطفل يكتسب أنماطه السلوكية من خلال تمثل العلاقات السلوكية القائمة بين أبويه[12].

رابعا: التنشئة الاجتماعية من منظور إسلامي

ومن المنظور الإسلامي للأسرة نجد أن أهم العناصر أو الركائز التي يقوم عليها بناء الأسرة والحفاظ على بقائها واستمرارها، هو الحفاظ على هويتها وخصائصها، التي تركز على العناية الفائقة بتربية الأبناء وتعليمهم وتنشئتهم تنشئة اجتماعية صالحة وتعليمهم، وهنا يشير الأستاذ وهبة الزحيلي إلى كون التربية أعم وأوسع معنى من التعليم، فالتربية هي تنشئة الأبناء حتى يبلغوا سن الرشد، وتشمل التربية المادية والجسمية والنفسية والروحية والوجدانية والعقلية والسلوكية والاجتماعية، والتعليم يعتبر جزءا من التربية، حيث يتضمن نقل المعلومات التي يحتاج إليها الأبناء في حياتهم اليومية لإصلاح أمور حياتهم من المعلم إلى المتعلم، ولهذا فالتعليم يقتصر على الجانب العقلي، بينما التربية تشمل الجسم والعقل والنفس والروح وجميع جوانب الكائن الحي[13] .

وفي هذا المجال ينص القرآن على ضرورة الحرص على تربية الأبناء وتنشئتهم تنشئة صالحة، قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (التحريم: 6).

فالتربية والتعليم عنصران أساسيان لتنمية الأبناء وتنشئتهم تنشئة اجتماعية صالحة وسليمة، وفي هذا المعنى قال النبي ﷺ: «ما نحل والد ولدا أفضل من أدب حسن» وقال الغزالي رحمه الله: «اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها، والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال به وإليه، فإن عود الخير، وعلمه، نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه، وكل معلم له ومؤدب، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له»[14].

لكن وأمام التغيرات السريعة والمتعاقبة التي تحدث في المجتمعات البشرية نتيجة تطور تكنولوجيا الإعلام والاتصال وثورة المعلومات التي شهدها العالم أواخر الألفية الثانية، حيث ما تزال هذه الثورة المعلوماتية متواصلة إلى يومنا هذا وما أحدثته من تأثيرات كبيرة على نمط الحياة الاجتماعية والأسرية، إذ لا يمكن لأي مجتمع أن يعيش بمنأى عن هذه التأثيرات والتغيرات الحاصلة.

ثورة لم تحول العالم إلى قرية صغيرة فحسب، كما عبر عن ذلك "مارشال ماكلوهان" بل أكثر من ذلك، حولته إلى عمارة مكونة من شقق يشغلها أشخاص منعزل بعضهم عن بعض، حسب تشبيه "ريشارد بلاك"[15].

ومن هذا المنطلق يمكن أن نتساءل عن أثر هذه الوسائل التكنولوجية الحديثة على الأسرة والأطفال، وما هي حدود هذه الآثار؟ وهل يمكن للأسرة أن توفق بين التنشئة الاجتماعية السليمة المستمدة من مبادئ وقيم المجتمع وتراثه الحضاري والثقافي، وبين حتمية التعرض لهذه الوسائل التي تعتبر منصات التواصل الاجتماعي من أحدثها، فبعد أن كان جهاز التلفزيون يمثل الأب الروحي للطفل[16]، وحلت محله الشبكة العنكبوتية "الإنترنيت" حسب العلماء الأمريكيين .

خامسا: منصات التواصل الاجتماعي ... بين المنافع والمضار

سوف نحاول من خلال هذا الموضوع، استعراض بعض المخاطر التي أصبحت تشكل هاجس الآباء والمنظمات والهيئات والمصالح، ومن بينها منظمة الأمم المتحدة للطفولة "اليونيسيف" كون الطفل لم يعد ضحية بعض التطبيقات الملعونة "مثل الحوت الأزرق" وغيرها من التطبيقات، بل صار لعبة في عالم افتراضي مفتوح ولا حدود أو مواقع له، فبإمكانها تدمير كل القيم والمبادئ التي اكتسبها الطفل من خلال الأسرة، ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل نجده يفسح المجال لتوظيفه واستغلاله وتحريف سلوكه وتصرفاته، وفي مقابل ذلك فإن الطفل يمكن أن يستفيد من التكنولوجيا في حالة الاستعمال بصفة عقلانية ومنضبطة تحت مراقبة ومتابعة وإشراف الأولياء، وهذا يقودنا مرة أخرى إلى طرح السؤال التالي: هل تقوم الأسرة اليوم بهذا الدور؟

وللإجابة على هذا السؤال يمكن الإشارة إلى أن عدد الجزائريين المتصلين بالأنترنيت يصل إلى 18 مليون شخص من بينهم 16 مليون يلجؤون إليها بواسطة الهاتف النقال وتمثل فئة الشباب الذين تتراوح أعمارهم ما بين (15 -24سنة) نسبة 71% من مستخدمي الإنترنيت[17].

ونلاحظ حسب الأرقام المقدمة من طرف ممثل اليونيسيف في الجزائر، أن الأرقام قد عرفت انفجارا كبيرا خلال السنتين الأخيرتين، ومثلت عالما موازيا يستوجب التعامل معه بحيطة وحذر شديدين، لكن هذا لا يجب أن يؤدي ويقود إلى الاقتناع وعدم الاستعمال والاستفادة وتوظيف ذلك في الجوانب السلبية، وما يمكن ذكره أن الأطفال والمراهقين المستعملين والمعرضين لمخاطر الفضاء الافتراضي، يعتبرون الفئة الأكثر هشاشة وعرضه للمخاطر، خاصة الشباب، وتكمن هذه المخاطر في التعاليق والتحرشات ذات الإيحاءات والأوصاف الجنسية والأخلاقية.

وهذا ما توصل إليه تحقيق أجرى سنة (2017)، في إطار حملة "تشايد أونلاين بروتكشن"، أي جماعة الأطفال المتصلين حسب تقرير اليونيسيف، ومن هنا فإن المجتمع بصفة عامة، وأساسه الأسرة لابد أن يحترز ويولي أهمية كبيرة لهذا الموضوع، والاهتمام بتحليل هذه التحولات والآثار الناجمة عنها بالنسبة للمجتمع.

وقد أبرز تقرير اليونيسيف أن هناك معادلة أو ثنائية تتمثل في أطفال راضون وأسر خائفة، فالأسر تبدي مخاوفها وقلقها مما يحدثه ويتركه الفضاء الافتراضي؛ وفي المقابل نجد أن الأطفال راضون لأنهم ينظرون إلى الفضاء الافتراضي كونه يمثل ملاذا ومتعة لابد منها.

وعلى هذا يتطلب من المجتمع وخاصة الهيئات الحكومية الرسمية، القيام بدراسات علمية وتحليل الرسائل والمضامين التي تحملها هذه الرسائل الموجودة على مستوى الفضاء الافتراضي، من خلال الوصول إلى معرفة ماهية العلاقة الموجودة بين الطفل والعالم الافتراضي، مع ضرورة القيام بتحليل علمي وموضوعي لهذه العلاقة بشكل جيد بهدف الوصول إلى معرفة العناصر والمتغيرات المؤثرة فيها والتحكم في اتجاهاتها، وتتمثل هذه العناصر في معرفة خصائص الإنترنيت وسياسات استعمالها والأهم والأخطر من ذلك الآثار الفكرية التي تتركها على الأطفال.

هذه الأسئلة التي تحيط بظاهرة منصات التواصل الاجتماعي، يمكن أن تشكل إطارا معرفيا وتحدد رؤية تسمح بوضع سياسات من شانها الحد أو التقليل من الآثار السلبية الناجمة عن استعمالات الشبكة العنكبوتية – الإنترنيت- غير المقيدة أو غير المراقبة.

وفي هذا الجانب، توصلنا من خلال دراسة ميدانية، وهي عبارة عن رسالة دكتوراه إلى أن التعرض لوسائل الاتصال الحديثة، ومنصات التواصل الاجتماعي بصفة انفرادية، أي بدون مراقبة ومرافقة الأولياء، يؤثر سلبا وبشكل نسبي على الوعي والتماسك الأسري ومن آثاره الانفصال المادي، أي التباعد المكاني داخل المنزل لتنوع وسائل الاتصال وتعدد استخداماتها وخاصة الإنترنيت، إلى جانب الانفصال الذهني، أي عدم شعور كل طرف بوجود الطرف الآخر، لتركيز الفرد على الوسيلة الاتصالية، إلى جانب ذلك الشعور بالإهمال وقضاء أفراد الأسرة معظم الوقت منفصلين عن بعضهم البعض[18].

وهذه المؤشرات مجتمعة تقود إلى تقليص التفاعل الاجتماعي والتواصل بين أفراد الأسرة، وينعكس سلبا على دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية.

وقد بينت الدراسة المذكورة أن نسبة 79.25% من الأسر تستخدم الإنترنيت من بينها نسبة 39.87% تستعمل شبكة التواصل الاجتماعي "Facebook" ونسبة 70.75% من المستعملين للأنترنيت يستعملونها بشكل انفرادي أي دون متابعة أو مراقبة من طرف الأولياء، وان هناك نسبة قدرها 78.30% من أفراد العينة المدروسة يصرحون ويقرون بأن استعمال شبكات التواصل الاجتماعي يؤدي إلى قلة التواصل والتفاعل بين أفراد الأسرة، وفي دراسة أجريت بأمريكا على عينة من 120 أسرة، بينت نتائجها بأن كثافة استخدام شبكات التواصل الاجتماعي والتلفزيون تشعر المستخدم أو المتعرض لهما بالوحدة والعزلة[19].

وفي سياق هذه المعطيات، فإن ذلك يقود إلى طرح تساؤل مؤداه، كيف يمكن للأسرة في ظل هذه المتغيرات الحاصلة أن تؤدي وظيفة التنشئة الاجتماعية والتربوية وفق ما تقتضيه تعاليم دينها وتشريعاته دون أن تخل بحقوق الطفل في الاستفادة من الوسائط والمنصات التكنولوجية المفيدة.

ولكنها تعتبر مجالا مفتوحا أمام كل الاحتمالات من تصرفات وسلوكيات غير أخلاقية، تأخذ أشكالا عدة، مثل نشر مضامين إباحية وتوظيفها كمنصة لتحويل الأطفال القصر والمراهقين واستغلالهم في مجالات غير مشروعة، وغير قانونية، وتقودهم إلى الانحراف.

وللإجابة على هذا السؤال المعقد، يمكن للمجتمع أن ينظر إلى كون هذه المنصات لها استعمالات عديدة ومتشعبة، إذ تعد ملاذا ومتعة لدى الطفل والشباب، وهي غير قابلة من الناحية الموضوعية للخضوع للرقابة المطلقة، ولهذا فإن المشروع الفاعل والمهم يتمثل في العقل الجماعي للمجتمع، ويتمثل ذلك في كيفيات تطوير مناعة الأطفال وتدريبهم على التحليل والتفريق أو التمييز بين الأشياء وتعليمهم مهارات ممارسة الرقابة الذاتية والنأي بالنفس أمام كل الأخطار التي يمكن أن تهدد كيان الأطفال وثقافتهم وهويتهم، وهذا يقود إلى الخروج من مدارات منافع هذه الوسيلة نحو مساوئها[20].

سادسا: دور الأسرة في صيانة وتحصين الأطفال

وهنا يأتي دور الأسرة التي يجب أن تقوم بدورها الوظيفي في هذا المجال، الدور الذي يكمن في تحصين الطفل من خلال تربية سليمة تمنحه مناعة كبيرة ضد كل ما هو دخيل على حياته ومن شأنه أن يؤدي إلى تدميره، إلى جانب الاهتمام والإلمام بالرسائل والمضامين التي يتعرض لها يوميا.

يمكن أن نشير إلى محاور في تقرير ماك برايد (Mc BRIDE) الذي توصل فيه إلى خلاصات هامة حول المجتمعات التقليدية وضمنها المجتمعات الإسلامية، إضافة إلى تقارير مكاتب الدراسات والاستعلامات الأمريكية حول واحد من أهم البلدان الإسلامية وهو إيران الذي حاولت الولايات المتحدة الأمريكية خلال السبعينات وما زالت إلى يومنا هذا تنميطه على الشكل الأمريكي باستخدام كل وسائل والاتصال ولم تفلح في ذلك[21].

على الرغم من استخدام كل وسائل الاتصال وأشكال التأثير التي نظمتها الآلة الأمريكية للاتصال ومصالح الاستعلامات، بالرغم من كل هذا لم تستطع أمريكا تنميط المجتمع الإيراني على الطريقة الأمريكية،

ولم تستطع محو معالمه الإسلامية العريقة، بل على عكس ذلك كان رد فعل الشعب الإيراني هو التمسك والعودة إلى منابع الدين الإسلامي الذي يشكل الحصن الحصين لكل من يتمسك بتعاليمه السمحة.

إن الحلول الجذرية الراديكالية المتمثلة في منع الطفل من هذه الوسيلة أو المنصة التكنولوجية، لها انعكاسات جد خطيرة على حياة الطفل وتشكيل شخصيته، ومن شأن ذلك عزله عن العالم، ومن هنا لابد من تركه يساير هذه التكنولوجيا شريطة مراقبته وضبطه بشكل مستمر ويوميا وفسح المجال أمامه للتواصل الحر معه، وهذه هي الوظيفة التي يجب أن تضطلع بها الأسرة، ولا تبقى على الهامش، تاركة المجال للمنصات التكنولوجية تعبث بعقول الأطفال وتدمر شخصيتهم، لأن التربية السليمة والتنشئة الاجتماعية القويمة والمرافقة المستديمة هي الحماية والتحصين.

ونختم هذا الموضوع بالحديث النبوي الشريف «مروا أبناءكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر»[22].

إن الإعداد لمرحلة البلوغ وما يليها تربويا وشرعيا، وتدريبه على ممارسة العبادة، لتصبح جزءا حيويا وعادة متأصلة من حياته وعمله؛ ولتذكره بضرورة الصلة بالله والاستقامة على أمره، واجتناب المعاصي والمنكرات[23]، وهكذا يتم تحصين الطفل منذ الصغر حتى يتمكن من التعامل مع كل المتغيرات الحاصلة دون أن يفقد شخصيته وهويته ويذوب في الآخر.

خاتمة:

تبقى الأسرة تشكل الحصن الأساسي والرئيسي للتنشئة الاجتماعية للأطفال التي تعد من أهم الوظائف التي تضطلع بها منذ القدم إلى يومنا هذا، على الرغم من التغييرات التي مستها، سواء من حيث الحجم أو الوظائف أو الارتباطات وأشكال العلاقات والتفاعلات، وهي بذلك مثل بقية المؤسسات الاجتماعية الأخرى التي تتأثر وتؤثر في النسق الاجتماعي العام.

والأسرة اليوم مطالبة بالتوفيق بين التنشئة القويمة والمرافقة الدائمة للطفل وعدم حرمانه من الاستفادة من المنصات التكنولوجية مع مراقبة مضامين الرسائل التي تبعثها هذه الوسائل التكنولوجية الحديثة، فتحصين الأطفال من خلال تعليمهم وتدريبهم على التمييز بين الأشياء الضارة والنافعة أحسن طريقة لتجنب الانقياد وراء ما يدمر شخصيتهم وهويتهم ويخرجهم من مدارات منافع هذه الوسيلة إلى مساوئها، وهذا ما يجب أن تقوم به الأسرة اليوم.

وتعد الشريعة الإسلامية أهم حصن على الإطلاق لتحصين الفرد ضد كل عواتي الدهر وما تنفثه هذه المنصات من سموم، لذا يجب على الأسرة المسلمة أن تهتم بتربية ورعاية الطفل لأن ذلك يعد من ركائز ومقومات بناء الأسرة والحفاظ على هويتها وخصائصها، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال التربية السليمة والتوعية وهذا جوهر رسالة الإسلام والشريعة السمحاء التي تستوجب على الأسرة أن تنشئ الطفل تنشئة إيجابية ربانية بغرس أركان الإيمان والعقيدة في نفسه قلبا وروحا. وإذا تسلح الطفل منذ الصغر بعقيدة الإيمان فانه سيتعامل مع المادة الإعلامية التي تنشرها منصات التواصل الاجتماعي بعقل ثاقب مميزا بين الغث والسمين وما بين ما هو نافع وضار لأنه مسلح بعقيدة إيمانية راسخة في نفسه وقلبه وعقله وهكذا لن يذوب في المضامين والرسائل الضارة التي من شأنها أن تحيد به عن جادة الصواب.

ونخلص في نهاية هذا المقال إلى الحديث النبوي الشريف الصحيح الذي قد يكون تلقينه للطفل وغرسه في نفسه مستغرقا وشاملا لكل شيء، الحديث الشريف أخرجه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كنت خلف النبي ﷺ يوما فقال: "يا غلام إني أعلمك كلمات أحفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فأسل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف".

من هنا يمكن القول إن الشريعة الإسلامية السمحاء تعد أهم محصن للطفل من كل التبعات الناجمة عن استعمال منصات التواصل الاجتماعي، فالدين الإسلامي يعد حصانة للطفل لتطوير مناعته ويؤهله للتمييز بين الأشياء من خلال المراقبة الذاتية والاحتماء أمام الخطر الذي يهدد ثقافته وهويته وكيانه بل وعقيدته أيضا، وبهذا فالشريعة الإسلامية بمثابة العماد والركن الذي يمكن الطفل من مواجهة الأفكار والممارسات التي لا تتلاءم مع ثقافة المجتمع.

فالطفل عندما يعي الحديث النبوي الشريف المذكور ويعمل بنصه يكون إيمانه إيمانا راسخا لا تؤثر فيه متغيرات الزمن وشخصيته قوية لا تتزعزع ويمكنه الوقوف كالطود الشامخ لان الإيمان سلاح المؤمن الذي يتحدى به كل الصعاب ، وبالتالي فان قيم الإسلام ومبادئه وواقعيته ووسطيته وشموليته وفطريته الطاهرة النقية هي الحل النهائي والأخير لكل عملية تربوية أخلاقية لصياغة الإنسان مصداقا لقول الرسول ﷺ: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، وهذا ما نص عليه القران الكريم في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: 4).

قائمة المراجع والمصادر

القران الكريم

الحديث النبوي الشريف

الكتب العربية:

1- أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، المكتب المصري الحديث، الإسكندرية، 1970.

2- انطوني غيدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصباغ، بيروت، مؤسسة ترجمان، المنظمة العربية للترجمة، 2005

3- خديجة كرار الشيخ الطيب بدر، الأسرة في الغرب، أسباب تغير مفهومها ووظيفتها، دراسة نقدية تحليلية، دار الفكر، دمشق،2009.

4 - سناء الخولي، الزواج والعلاقات الأسرية، دار النهضة العربية، بيروت، 1983.

5-عبد الرحمان الصابوني، نظام الأسرة وحل مشكلاتها في ضوء الإسلام، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 2001.

6- عبد القادر القصير، الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية، دراسة ميدانية في علم اجتماع الحضري والأسري، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، لبنان، 1999.

7-عبد الله شمت المجيدل وعلي اسعد وطفة، دراسات في سوسيولوجيا التربية، دار الإعصار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2015

8- وهبة الزحيلي، الأسرة المسلمة في العالم المعاصر، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2000.

الكتب باللغة الاجنبية:

9- Frederick Elkin AND Gerard Handel" The Child AND SOCIETY ,"The PROCESS of Socialization " New York Randoù House 1972.

الأطروحات والرسائل

1- اليمين شعبان، الوعي والتماسك الأسري في ضل وسائل الاتصال الحديثة ، دراسة ميدانية عن الأسر بمدينة باتنة، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الحاج لخضر، باتنة، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، 2016-2017.

مطبوعات وملتقيات ومنشورات

11- غيرت شابلير، المدير الإقليمي لمنظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) لمنطقة شمال إفريقيا والشرق الأوسط، محاضرة عن شبكات التواصل الاجتماعي والأطفال، الخبر، فيفري،2018.

12- وسائل الاتصال الحديثة وأثرها على المجتمعات الإسلامية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ايسيسكو، 1996/1417.

الهوامش:

[1]- سناء الخولي، الزواج والعلاقات الأسرية، دار النهضة العربية، بيروت، 1983، ص41.
[2]- عبد القادر القصير، الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية، دراسة ميدانية في علم اجتماع الحضري والأسري، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، لبنان، 1999، ص 42.
[3]- سناء الخولي، نفس المرجع السابق، نفس الصفحة.
[4]- عبد الله شمت المجيدل وعلي اسعد وطفة، دراسات في سوسيولوجيا التربية، دار الإعصار للنشر والتوزيع، عمان الأردن،2015 ، ص103 .
[5]- نفس المرجع، والصفحة.
[6]- عبد الرحمان الصابوني، نظام الأسرة وحل مشكلاتها في ضوء الإسلام، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 2001، ص21.
[7]- خديجة كرار الشيخ الطيب بدر، الأسرة في الغرب، أسباب تغير مفهومها ووظيفتها، دراسة نقدية تحليلية، دار الفكر، دمشق، 2009، ص30.
[8]- احمد عزت راجح، أصول علم النفس، المكتب المصري الحديث، الإسكندرية،1970، ص78 .
[9]- سناء الخولي، المرجع سابق، ص231.
[10]- Frederick Elkin AND Gerard Handel" The Child AND SOCIETY,"The PROCESS of Socialization " New York Randoù House 1972, P9.
[11]- سناء الخولي، المرجع سابق، ص233.
[12]- نفس المرجع، والصفحة.
[13]- وهبة الزحيلي، الأسرة المسلمة في العالم المعاصر، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2000، ص26.
[14]- نفس المرجع، والصفحة.
[15]- انطوني غيدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصباغ، بيروت، مؤسسة ترجمان، المنظمة العربية للترجمة، 2005، ص ص510-511.
[16]- عبد الله شمت المجيدل، المرجع السابق، ص209.
[17]- غيرت شابلير، المدير الإقليمي لمنظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) لمنطقة شمال إفريقيا والشرق الأوسط، محاضرة عن شبكات التواصل الاجتماعي والأطفال، جريدة الخبر، فيفري، 2018.
[18]- اليمين شعبان، الوعي والتماسك الأسري في ضل وسائل الاتصال الحديثة، دراسة ميدانية عن الأسر بمدينة باتنة، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، 2016-2017، ص- ص 368، 378.
[19]- نفس المرجع، ص385.
[20]- غيرت شابلير، المدير الإقليمي، اليونيسيف، مرجع سابق.
[21]- وسائل الاتصال الحديثة وأثرها على المجتمعات الإسلامية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ايسيسكو، 1417هـ/1996، ص-ص160، 161.
[22]- أخرجه أبو داود، وروي بروايات أخرى عند احمد والترمذي والدار قطني.
[23]- وهبة الزحيلي، المرجع السابق، ص-ص29، 28.

مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 1293 – 1306
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

تحليل لديناميكيات البحث في علم الانثربولوجيا بالجامعات الجزائرية باستخدام تحليل المصاحبة اللفظية: دراسة سيونتومترية (scientometrics)

Analysing research dynamics in Anthropology at Algerian universities using co-word analysis: scientometric survey

د/ شاشة فارس
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02
مخبر المجتمع الجزائري المعاصر
fareschacha@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2021/01/01 تاريخ القبول: 2021/12/05

الملخص:
تعد الانثروبولوجيا من العلوم حديثة الظهور والتدريس في الجزائر لذا، كانت حصيلة الإنتاج العلمي الجزائري فيها قليلة نوعا ما مقارنة بالإنتاج العلمي في مختلف تخصصات العلوم الاجتماعية والإنسانية.
ولدراسة تطور الإنتاج الفكري في مجال الأنثروبولوجيا استخدمنا مواضيع علم الأنثروبولوجيا المدروسة في الجامعات الجزائرية والمسجلة في البوابة الوطنية للإشعار عن الأطروحات PNST كعينة دراسة وبالاعتماد على تقنيات قياس العلوم الذي يهتم بدراسة تطورات العلوم وارتباطاتها الموضوعية خاصة تقنية المصاحبة اللفظية وذلك لدراسة ظهور الموضوعات الجديدة وتطورها ثم اندثارها، كما استخدمنا برمجية Nodexl في رسم العلاقات بين مواضيع علم الأنثروبولوجيا وبعد ذلك عملنا على تحليل هذه العلاقات باستخدام مفاهيم علوم الشبكات
الكلمات المفتاحية: قياس العلوم؛ نظرية الشبكات؛ تحليل المصاحبة اللفظية؛ برمجية Nodexl.

Abstract:
Anthropology is one of the new sciences that appeared and taught in Algeria. Therefore, the outcome of the Algerian scientific production was somewhat small compared to the scientific production in the various disciplines of the social sciences and humanities. To study the development of intellectual production in the field of anthropology, we used the topics of anthropology studied in Algerian universities and registered in the National Portal for Notification of Theses PNST as a study sample, and by relying on science measurement techniques that are concerned with studying science developments and their substantive links, especially verbal accompaniment technology, in order to study the emergence of new topics, their development, and their extinction. We also used Nodexl to map the relationships between anthropology topics and then worked on analyzing these relationships using network science concepts.
Key words: scientometrics; network theory; co-word analysis; Nodexl Software.

مقدّمة:

عملت التطورات الكثيرة في الإعلام الآلي على تحسين منهج قياسات العلوم scientométriquesمن حيث كمية البيانات التي يعالجها سواء الاستشهاد المرجعية، الكلمات المفتاحية العلاقات بين العلوم أو من حيث طرق عرضها في رسوم بيانية graphe وذلك من خلال تزويده ببرمجيات عديدة.

وقد استخدمت هذه البرمجيات في دراسة تطور مختلف العلوم وديناميكاتها المختلفة والعلاقات بين مختلف موضوعات تخصص معين ومع التخصصات الأخرى، وتتم هذه الدراسات بالتركيز على تحليل المستخلصات والكلمات المفتاحية والمؤلفين لدراسة العلاقات الموجودة بينها.

ولدراسة تطور الإنتاج العلمي في الأنثروبولوجيا في الجامعات الجزائرية وتحليل ديناميكات ظهور الموضوعات الجديدة المدروسة واندثار وزوال بعض الموضوعات فيها عملنا على تطبيق مفاهيم وتقنيات قياسات العلوم وذلك بتحليل الأطروحات العلمية المفهرسة في البوابة الوطنية للأطروحات pnst.

ونهدف من دراستنا هذه إلى تحديد طرق تطور موضوعات تخصص معين ينتمي إلى العلوم الإنسانية من حيث ارتباط موضوعاته ومتوسط ظهور الموضوعات الجديدة في فترة زمنية معينة

أدبيات الموضوع:

يشير بعض الباحثين إلى أن تطور العلم هو عملية مدفوعة بالديناميات الاجتماعية على وجه الخصوص حيث تشير نتائج دراسات علمية إلى أن التفاعلات الاجتماعية المعرفية للعلماء والمجتمعات العلمية تلعب دورًا حيويًا في تشكيل أصل وتطور المجالات العلمية ومن ثم، فإن تحليل المجالات العلمية أثناء تطورها له دور حيوي في شرح خصائص البناء والديناميات الاجتماعية للعلوم والتنبؤ بكيفية تطور العلوم التطبيقية والأساسية لحل المشكلات وتحسين التكنولوجيا وتلبية احتياجات ورغبات الإنسان في المجتمع[1].

وبدا الباحثون منذ الستينات في دراسة وتحليل الاستشهادات المرجعية والعلاقات بين مختلف التخصصات بداء من الاعمال الرائدة لغارفليد Eugene Garfield حيث طور تقنيات الببليومتريقا والتي تعرف بأنها مجموعة المعارف المنهجية التي تعنى تطبيق التقنيات الكمية من اجل تقييم عمليات الإنتاج، الاتصال واستعمال المعلومات العلمية وتهدف إلى المساهمة في تحليل وتقييم العلم والبحث[2]. حيث تستخدم القياسات الببليومترية في مختلف التخصصات للتعرف على جبهات البحث، الأهداف، الفجوات ووغيرها المتعلقة بجهود البحث على المستويات المؤسساتية الوطنية والدولية[3].

وقد تطورت القياسات الببليومترية التي تهتم بالجانب الكمي للإنتاج الفكري إلى قياسات العلوم sciotometrics والتي عرفت رواجا في الاستخدام بداية ممن سبيعينات القرن العشرين والتي عرفت بأنها أداة متميزة يمكن استخدامها لقياس الأنشطة العلمية ومقارنتها على مختلف مستوياتها بما في ذلك المؤسسات والقطاعات والبلدان والأقاليم كما يمكن استخدامها في مجال البحث العلمي لرسم خرائط الشبكات العلمية ورصد تطورها وتعطى مؤشرات ونتائج موضوعية قابلة للتطبيق في الحالات المماثلة لصانعي السياسات ومتخذي القرار[4].

وتطبق القياسات العلمية في العديد من المجالات يمكن تحديدها فيما يلي:

- الجوانب الإحصائية لتردد كل من اللغات والكلمات والعبارات.
- خصائص المؤلفين أي الإنتاجية.

- خصائص المصادر الوثائقية
- تحليل الاستشهادات المرجعية وتوزيعها بالنسبة للمؤلفين والمقالات والمؤسسات والدوريات وأماكن النشر.
- مدى الإفادة من المعلومات المسجلة أو الوثائقية.
- التعطل في الإنتاج الفكري.
- معدلات نمو الإنتاج الفكري المتخصص في مراصد البيانات والمكتبات[5].

ولدراسة تطور علم معين آو موضوع معين استخدم الباحثين العديد من التقنيات والمفاهيم المستقاة من القياسات العلمية وهي معدلات نمو الإنتاج الفكري والتعطل في الإنتاج الفكري وذلك بتحليل عد المنشورات في تخصص معين وتطورها مع مرور الوقت ولذلك تم استخدام برمجيات من الاعلام الالي وبعض الخوارزميات خاصة تلك الخوارزميات التي تستخدم في دراسة نظرية الشبكات مثل خوارزمية كليبرج والتي استخدمت كثيرا في دراسة انبثاق واندفاعات مواضيع تخصص معين ثم اندثارها[6].

منهجية الدراسة:

في المرحلة الأولى أنشانا قاعدة بيانات تحتوي على الكلمات المفتاحية لموضوعات الأنثروبولوجيا في البوابة PNST وسنوات ظهورها وقد قمنا بتقييس الكلمات المفتاحية التي وجدناها اعتمادا على قاموس الأنثروبولوجيا ومكنز اليونسكو.

وفي المرحلة الثانية استعملنا خوارزمية كلنيبرج Kleinberg's burst detection algorithm لدراسة تطور ظهور موضوعات جديدة واندثار موضوعات أخرى وهي الموضوعات الناتجة لنا في قاعدة البيانات التي بنيناها في المرحلة الأولى.

وباستخدام تقنية تحليل الكلمات المفتاحية المستقاة من منهج قياس العلوم وربطها مع بعضها وذلك لإنشاء خريطة موضوعات الأنثروبولوجيا وفهم كيفية ارتباط موضوعات الرسم البياني الناتج لنا.

الجانب التطبيقي:

1-عدد المذكرات والأطروحات في pnst: باعتماد خاصية البحث في البوابة الوطنية للإشعار عن الأطروحات pnst بتحديد الأطروحات التي تندرج في تخصص علم الأنثروبولوجيا وكانت عددها 126 موضوع أطروحة مسجل موزعة كما يلي:

الرقم	التخصص	عدد المواضيع
01	الأنثروبولوجيا	110
02	أنثروبولوجيا طبية	02
03	أنثروبولوجيا الجريمة	02
04	أنثروبولوجيا صحية	04
05	أنثروبولوجيا الصحة والمحيط	03
06	أنثروبولوجيا التقدم	05
المجموع		126

الجدول رقم 01 سيبن عدد أطروحات الأنثروبولوجيا في البوابة pnst

ونلاحظ أن مواضيع الأنثروبولوجيا المسجلة في البوابة قليلة مقارنة بمختلف التخصصات في العلوم الإنسانية والاجتماعية وذلك لان هذا التخصص جديد في الجامعات الجزائرية كتخصص منفرد ويسجل فيه في إطار الدراسات العليا وكان يدرس في تخصصات أخرى كعلم الاجتماع وعلم النفس.

وقد كانت أول أطروحة مسجلة بتخصص الأنثروبولوجيا سنة 2008 في البوابة pnst.

2- تطور عدد المواضيع المعالجة في الأنثروبولوجيا: حتى نتمكن من معرفة عدد المواضيع ونوعيتها وتطورها عبر السنين اعتمدنا على الملخصات والعناوين والكلمات المفتاحية التي تتاح في البوابة وذلك لاستخراج المواضيع التي تمت معالجتها وبعد ذلك قمنا باستخدام قاموس الأنثروبولوجيا ومكنز اليونسكو حتى نتمكن من توحيد وتقييس الكلمات المفتاحية التي صيغت باللغة الطبيعية والتي لديها عيوب كثيرة منها استخدام كلمات متعددة للتعبير عن موضوع واحد وكذلك الاختلاف في صيغ الجمع والمفرد لتكشيف نفس الموضوع، إما باستخدام القاموس والمكنز فانه ساعدنا على صياغة الكلمات المفتاحية بصيغة مقيسة وموحدة.

ويمثل الشكل التالي تطور المواضيع في الانثربولوجيا في بواب pnst

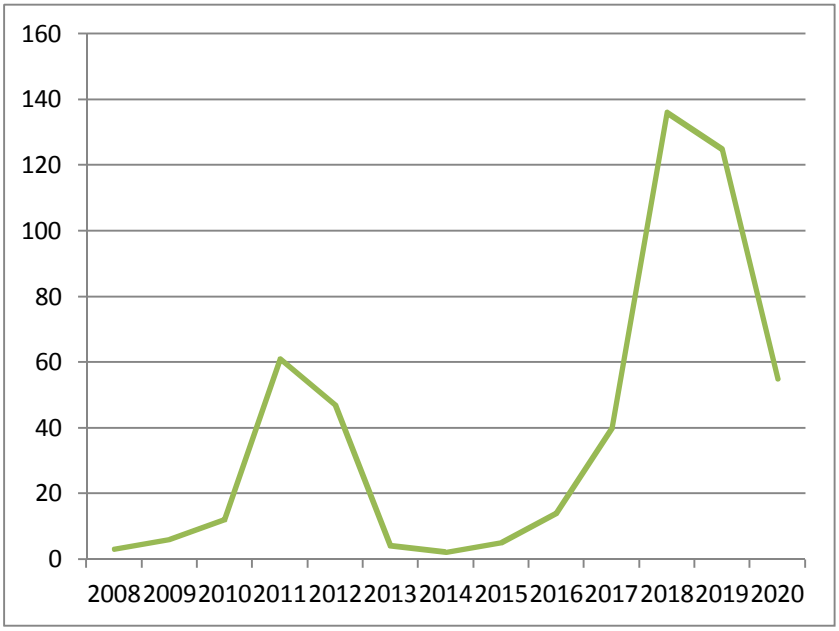

الشكل رقم 01 يمثل تطور عدد الأطروحات في pnst تخصص الانثربولوجيا (من إعداد الباحث)

من الشكل رقم 01 نلاحظ أن المواضيع المناقشة في تخصص الانثربولوجيا كانت قليلة حيث أول ظهور لهذا التخصص في البوابة كان 2008 ثم عرف تطورا ملحوظا ما بين 2010-2012 إذ وصلت المواضيع المتطرق إليها في الأطروحات والمذكرات إلى حوالي 60 موضوعا وهذا يعود إلى فتح دراسات عليا في مختلف الجامعات الجزائرية، لكن في الفترة 2013-2017 عرفت الانثربولوجيا تدهورا في عدد المواضيع المعالجة إذ كانت ما بين 4 مواضيع في 2013 و40 موضوع سنة 2017 وهو تناقص محير لان التخصص جديد ومن المفروض إن يتطور مع الوقت .لكن ابتداء من 2018 عرفت المواضيع الانثربولوجية زخما في المعالجة إذ بلغت 136 موضوع وهذا يعود إلى فتح تخصصات الانثربولوجيا في الدراسات العليا وكذلك تخصصات فرعية في الانثربولوجيا مثل الانثربولوجيا الطبية وانثربولوجيا التقدم .

3- تحديد مواضيع الأطروحات: بعد أن قمنا بإحصاء جميع المواضيع المعالجة في الانثربولوجيا المتواجدة في pnst وعدد مرات ورودها نتج لنا الجدول التالي:

الطبقة	عدد المواضيع	التكرار
01	157	157
02	63	160
03	12	72
04	09	120
المجموع	241	509

الجدول رقم 02 يبين عدد المواضيع في الانثربولوجيا ودرجة تواجدها (من اعداد الباحث)

نلاحظ من الجدول أن المواضيع المعالجة في علم الانثربولوجيا من سنة 2008-2020 ليست بنفس الدرجة من الأهمية والتكرار فهناك مواضيع منفردة وهي غالبيتها وقدر عددها ب 157 موضوعا وتأتي في الطبقة الثانية مواضيع معالجة بقلة وهي التي يكون تكرارها ما بين مرتين و4 مرات وكان عددها 63 موضوعا وفي الطبقة الثالثة المواضيع المعالجة بدرجة متوسطة ويكون ورودها ما بين 5-8 مرات. وهناك طبقة رابعة مواضيعها قليلة لكن عولجت بطريقة كبيرة ومتكررة وتكون ما بين 9-22 مرة. وكان عددها 09 مواضيع فقط.

وباستخدام برمجية spss 24 قمنا بتصنيف المواضيع حسب عدد مرا ورودها في البوابة ونتج لنا الرسم البيانى الموالي:

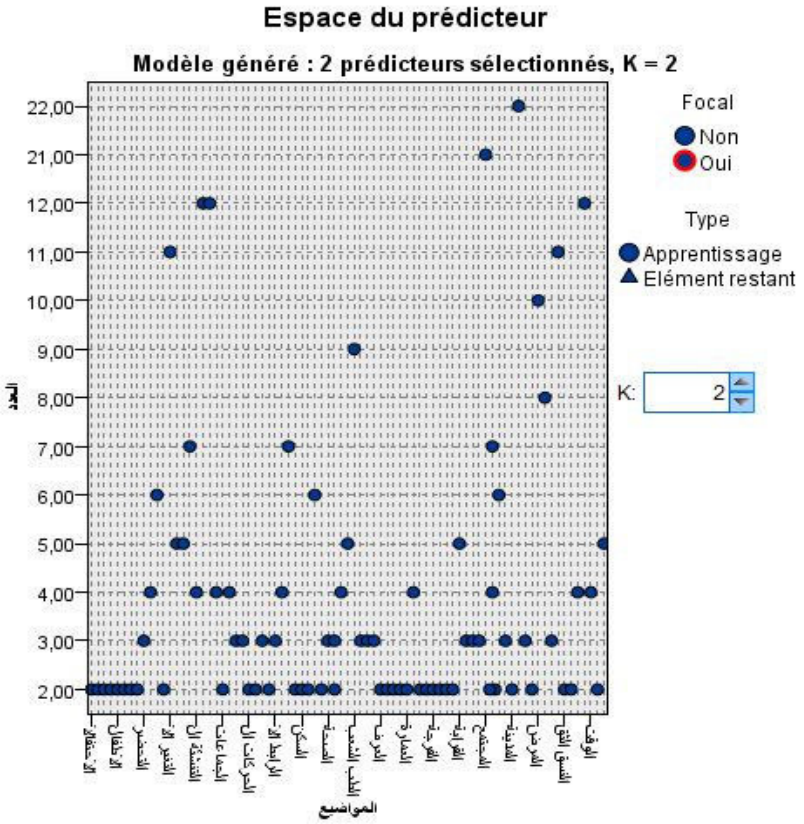

الشكل رقم 02 يبين توزع الموضوعات حسب درجة ورودها (من إعداد الباحث)

من الشكل السابق نرى اغلب المواضيع يكون ورودها مرة واحدة أو مرتين وهذا يؤدي إلى عدم استمرارية دراسة وتطوير موضوع معين والبحث فيه بدقة كما أن كثرة المواضيع تؤدي إلى أن موضوع الانثربولوجيا في الجامعات الجزائرية (الأطروحات المسجلة في (PNST) لا تشكل نواة صلبة حيث أنها مواضيع متشتتة وموزعة وهو ما يؤدي إلى تطور بطيء لمواضيع الانثربولوجيا وهو ما يظهره الرسم البيانى من عدم وجود تكتل واضح للمواضيع المناقشة.

4- ظهور واندثار المواضيع في الانثربولوجيا: لدراسة كيفية ظهور واندثار المواضيع المعالجة في الانثربولوجيا استخدمنا خوارزمية كلنبرج للاندفاع Kleinberg's burst detection algorithm والتي استخدمت أول مرة سنة 2003 لدراسة تدفقات نص معين مثل رسائل البريد الالكتروني خلال فترة زمنية معينة[7]،وبمرور الوقت استخدم لتحليل الجداول الزمنية للأخبار حيث تكتشف الزيادات الحادة في حدوث الموضوعات بمرور الوقت من خلال تحليل معدلات ظهورها وتطورها وثباتها واندثارها و لقد أصبحت طريقة شائعة في تحليل كل من الأخبار واتجاهات وسائل التواصل الاجتماعي.وبعد ذلك تم تطويع هذه الخوارزمية وتطويرها لدراسة تطور مجال علمي وذلك بتحليل معدلات ظهور مصطلحات علمية جديدة وترابط تلك المصطلحات سواء في ملخصات الدراسات أو العناوين أو الكلمات المفتاحية[8] وتعد دراسة الباحث[9] Gu, Y سنة 2004 والتي انصب اهتمامها على تحليل النشر الديناميكي لتخصص إدارة المعارف في قاعدة البيانات ISI Web of Science وتحليل تدفقات المواضيع في هذا التخصص وارتباطاتها بالتخصصات الأخرى من أوائل الدراسات في ذلك.

وبعد هذه الدراسة استخدمت هذه الخوارزمية في دراسة العديد من التخصصات وذلك بهدف معرفة المواضيع الناشئة وتطورات علم معين ومن هم هذه الدراسات نذكر دراسات كل من: guo[10] ودراسة *Xu, S* [11] ودراسة *Vanani, I.R* [12].

في دراستنا هذه قمنا بإنشاء جدول يضم الكلمات المفتاحية الانثربولوجية الأكثر تكرارا في الاطروحات وبعد ذلك حددنا تاريخ ونهاية ظهور كل مصطلح كما هو مبين في الجدول الموالي:

	الموضوع	التكرار	البداية	النهاية
01	المرأة	22	2010	2020
02	المجتمع	21	2008	2020
03	التنمية	12	2012	2019
04	الثقافة	12	2012	2020
05	الهوية	12	2011	2019
06	التغير الاجتماعي	11	2009	2020
07	الممارسات	11	2010	2020
08	المرض	10	2018	2019
09	الطب الشعبي	09	2017	2020
10	المرض المزمن	08	2018	2018
12	الزواج	80	2009	2019
11	التمثلات الاجتماعية	07	2018	2019
13	المجتمع القروي	07	2009	2012
14	الشباب	06	2009	2020
15	المخيال	06	2018	2019

16	التربية	60	2012	2020
17	التغير الثقافي	05	2017	2020
18	التقاليد	05	2011	2019
19	الطب الحديث	05	2018	2020
20	القرابة	05	2008	2020
21	مدن الصحراء	05	2019	2019

الجدول رقم 03 يبين موضوعات الانثربولوجيا وتاريخ ظهورها واندثارها (من إعداد الباحث)

واعتمادا على هذا الجدول قمنا بتمثيل ظهور وتدفقات المواضيع ثم اندثارها في رسم بيانى كما هو موضح في الشكلين التالين:

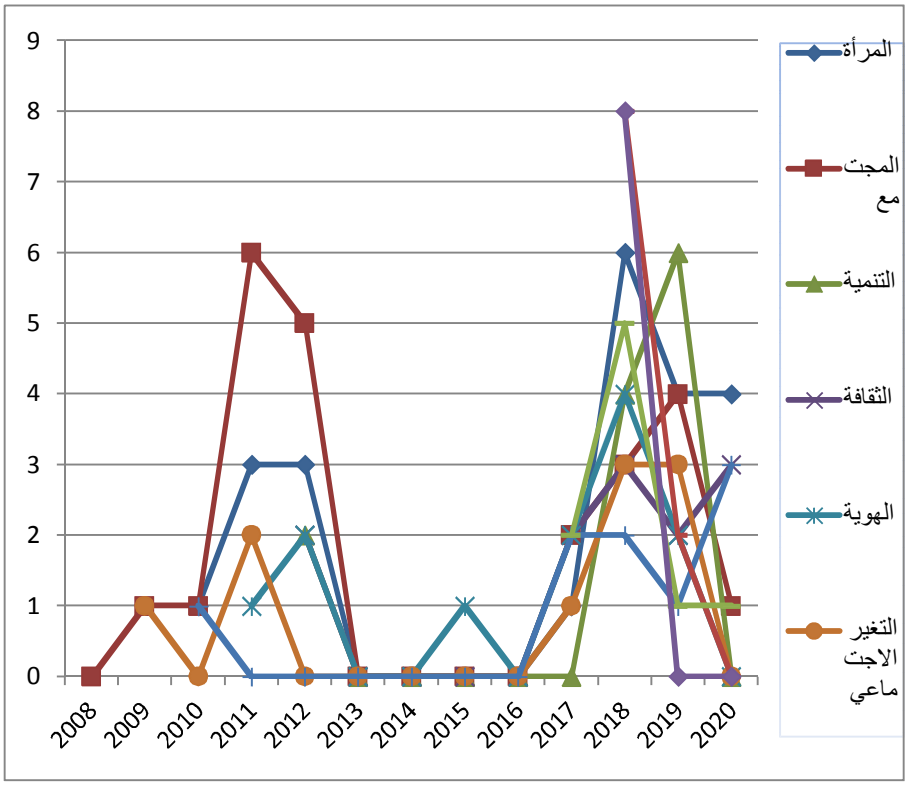

الشكل رقم 03 يبين ظهور وزوال موضوعات الانثربولوجيا في PNST (من إعداد الباحث)

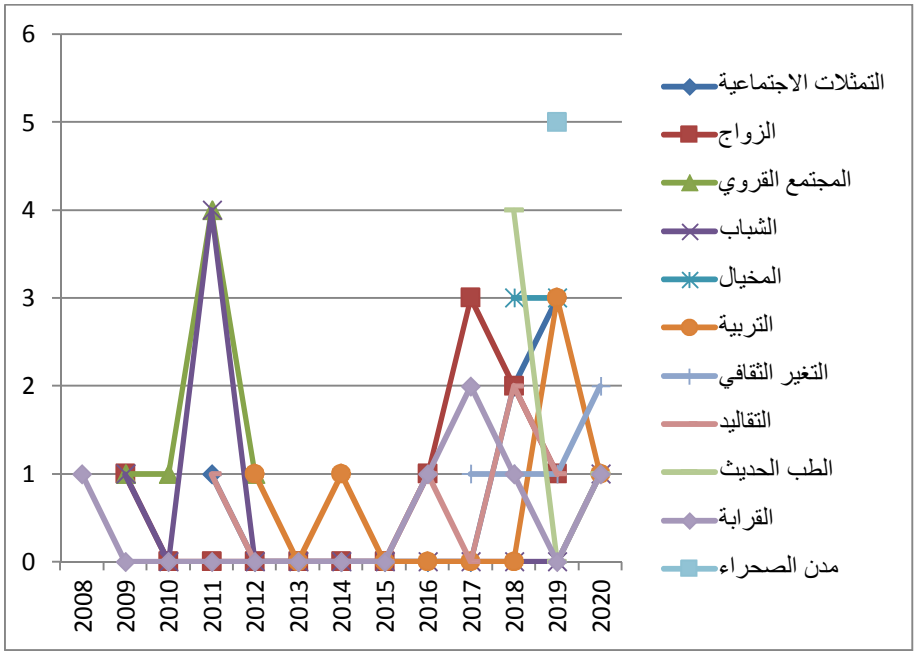

الشكل رقم 04 يبين ظهور وزوال موضوعات الانثربولوجيا في PNST (من إعداد الباحث)

من الجدول رقم 02 والشكلين رقم 3-4 نلاحظ انه لا توجد استمرارية في دراسة مواضيع علم الانثربولوجيا المسجلة في قاعدة البيانات PNST فقليل هي المواضيع التي ظهرت في قاعدة البيانات منذ 2008 واستمرت حتى سنة 2020 وهذا يعنى أن هذا التخصص مازال في مرحلة التأسيس وفي بداياته في الجامعة الجزائرية كتخصص مستقل، إذ أن موضوعاته كانت تدرج في تخصصات قريبة منه مثل علم الاجتماع وعلوم التربية والديموغرافيا.

كما نلاحظ أن مواضيع الانثربولوجيا التي درست في أطروحات الدكتوراه والماجستير الجزائرية والمسجلة في PNST يمكن تقسيمها إلى فئتين:

الفئة الأولى وهي التي تظهر وتدرس لفترة زمنية قصيرة لكن بطريقة مستمرة ثم تختفي وهو ما يظهر في المواضيع التالية: المرض، المرض المزمن، الطب الشعبي، المجتمع القروي، المخيال.

وهذه المواضيع تمتاز بأنها دقيقة وتعالج في تخصصات فرعية في الانثربولوجيا مثل الانثربولوجيا الطبية أو الانثربولوجيا العمرانية وكانت هذه المواضيع حديثة الظهور نوعا ما في البوابة وفترة دراستها تكون قصيرة حيث كانت أطول فترة زمنية هي المجتمع القروي درس لمدة 3 سنوات.

أما **الفئة الثانية** فهي مواضيع يكون ظهور وتطورها طويلا لكن بطريقة متقطعة مثل مواضيع: المرأة، التنمية، الثقافة، التقاليد، القرابة، المجتمع، الزواج، الشباب، التربية، الهوية، التغير الاجتماعي، الممارسات.

ونلاحظ كذلك أن هناك علاقة بين تردد مواضيع الانثربولوجيا في البوابة pnst واستمرارية دراستها بطريقة متقطعة حيث أن الموضوع الذي يدرس بكثرة مثل المرأة (22مرة) والمجتمع (21مرة) درسا لفترة طويلة لكن ليس بطريقة استمرارية وهو ما يعنى أن هذه المواضيع تتطور مع تطور الزمن ويمكن دراستها وربطها مع موضوعات أخرى مع مرور الوقت، عكس موضوعات تكون حديث الساعة أو ترتبط بفترة زمنية معينة لذا تدرس في تلك الفترة ويكون ظهورها فجائيا وبعد ذلك تموت في فترة زمنية صغيرة وهو

ما يمثله في دراستنا هذه موضوع مدن الصحراء حيث درس في سنة 2019 فقط ثم توقفت دراسته في السنة اللاحقة او المجتمع القروي الذي درس ما بين 2009-2012.

5- تحليل المصاحبة اللفظية لمواضيع الانثربولوجيا: يهتم تحليل المصاحبة اللفظية بورود كلمتين أو أكثر معا في وثيقة واحدة أو في وثائق مختلفة وله شقين:

- الكلمات الدالة (المفتاحية) keywords.
- الكلمات النصية text words.

وتحليل ورود الكلمات المفتاحية معا يعنى غالبا فحص مصطلحات التكشيف indexing terms المحددة للوثائق والتي خصصتها لها خدمة التكشيف indexing service أو التي خصصها لها المؤلفون[13]، كما يمكن تحليل الكلمات الواردة مع بعض الموجودة في عناوين المقالات[14].

وقد كانت بداية تحليل المصاحبة اللفظية تتم بطرق يدوية لكن عرفت تطورا كبيرا في ثمانيات القرن العشرون نتيجة تطوير تقنيات التكشيف في قاعدة البيانات الفرنسية Pascal وباستخدام تقنيات مستقاة من القياسات العلمية الببليومترية والسيونتومترية والتمثيل الاجتماعي للمعرفي تم تطوير تقنية *La méthode Leximappe*[15].

وبتطور تقنيات الإعلام الآلي تم إنشاء برمجيات عديدة تمكن من تمثيل المصاحبة اللفظية مرئيا وهو ما يساعد في حسن عرضها وتحليلها ومن أهم الدراسات التي استخدمت هذه البرمجيات نذكر دراسة *Cobo, M.J*[16] والتي استخدمت برمجية SciMAT لتحليل الكلمات المشتركة للمجلة الدولية لعدم اليقين والغموض والأنظمة القائمة على المعرفة مابين (2008-2017).

وفي دراستنا هذه استخدمنا برمجية nodexl لتحليل المصاحبة اللفظية لأطروحات الانثربولوجيا في PNST وذلك للأسباب التالية:

- سهولة تحميلها وتنصيبها.
- توجد منها نسخة تجريبية تقوم بتقديم أهم مفاهيم وإحصائيات نظرية الشبكات.
- بسيطة في العمل وسهلة التعلم.

واعتمادا على الكلمات المفتاحية المقدمة من طرف المؤلف وبعد تقييسها عملنا على إنشاء شبكة المصاحبة اللفظية.

الرسم البياني رقم 05 يبين خريطة موضوعات الانثربولوجيا في PNST (من اعداد الباحث اعتمادا على nodexl)

من الرسم البياني الذي يمثل المصاحبة اللفظية لموضوعات الانثربولوجيا نجده يتكون من 241 موضوع وتعرف في الرسم البياني هنا بالرؤوس Vertices والعلاقات التي تربط بينها أي تكرار ورودها مع بعضها وهنا بتعرف ب بالحواف Edges وقدرت هنا ب 402 ارتباط وهي عدد قليل إي أن كل مصطلح لديه متوسط ارتباط 1.66 وهي متوسط قليل وهو ما يعنى تشتت المواضيع المدروسة في الانثربولوجيا وان المصاحبة اللفظية ضعيفة حيث أن هناك تكتلات موضوعية منفصلة عن بعضها.

وعند حساب كثافة الرسم البياني السابق وهي مفهوم تعنى مقارنة عدد الحواف edge الحقيقية مقارنة مع عدد الحواف التي ممكن أن تنشا لو كانت جميع الرؤوس مرتبطة فيما بينها[17]، وقدرت في مخططنا ب 0.014 وهي ضعيفة أي أن الرسم البياني ذو كثافة ضعيفة، إذ أن المصطلحات التي هي رؤوس الرسم البياني ترتبط فيما بينها لكنها لا ترتبط مباشرة إذ توجد مصطلحات أخرى وسيطة حيث قدرت المسافة المتوسطة للارتباط 1.66.

6- **دراسة معاملات تطور المصاحبة اللفظية لأكثر المواضيع المدروسة:** لفهم ديناميكة وحركية المصاحبة اللفظية لموضوعات الانثربولوجيا عملنا على دراسة وتحليل معاملات المصاحبة اللفظية لأكثر 5 موضوعات تمت معالجته في أطروحات الانثربولوجيا في PNST وهي الموضحة في الجدول التالي:

	التكرار	المركزية البينية	مركزية القرب	Eigenvector Centrality
المرأة	22	0.345	4.094	0.036
المجتمع	21	0.893	3.080	0.321
التنمية	12	0.381	3.942	0.087
الثقافة	12	0.779	3.029	0.243
الهوية	12	0.933	3.130	0.219

الجدول رقم 4 يبين معاملات المصاحبة اللفظية لاهم موضوعات الانثربولوجيا في pnst (من اعداد الباحث اعتمادا على nodexl)

ففي الرسم البياني رقم 05 والذي يمثل خريطة موضوعات الانثربولوجيا تقدم برمجية nodexl العديد من المعاملات المرتبطة بطرق ارتباط وكثافة وعنقدة المواضيع، ولدراسة وتحليل طرق ارتباط المصاحبات اللفظية للموضوعات المعالجة في الانتربولوجيا استخدمنا معاملات الارتباط التالية: المركزية البينية، مركزية القرب، مركزية Eigenvector.

- **المركزية البينية**: مقياس لمركزية رأس الرسم البياني حيث يساوي عدد المرات التي يكون فيها هذا الرأس على أقصر مسار بين أي عقدتين أخريين(Vertices) في الرسم البياني وتتمتع العقدة بوساطة كبيرة إذا كان لها تأثير كبير على عمليات نقل البيانات في الشبكة، على افتراض أن عمليات النقل هذه تتم فقط من خلال أقصر المسارات[18].

ونلاحظ من الجدول رقم ان المركزية البينية لا ترتبط بدرجة تكرار الموضوع بل بعدد الموضوعات التي ترتبط مع هذا الموضوع وهو ما نلاحظه من ان الهوية والتي تكرر دراستها 12 موضوعا لديها مركزية بينية ب0.933 وكذلك المجتمع ب 0.893

الشكل رقم 06 يبين المركزية البينية لموضوع الهوية وموضوع المجتمع (من إعداد الباحث اعتمادا على nodexl)

فبالمقارنة بين الشكلين نجد ان موضوع الهوية موضوع مركزي ولديه ارتباطات عديدة مع مواضيع اخرى مثل (الشباب-السياسة-الثقافة) لكن هذه المواضيع التي ترتبط معها لا ترتبط فما بينها الا بالمرور على موضوع الهوية اي تتخذ مسار الهوية للارتباط مع بعضها عكس موضوع المجتمع والذي لديه ارتباطات أكثر موضوع الهوية لكن هذه المواضيع ترتبط مع بعضها دون لزوم الارتباط مع المجتمع.

- **مركزية القرب Closeness centrality**: تشير مركزية القرب إلى مدى قرب العقدة من جميع العقد الأخرى في الشبكة. يتم حسابه على أنه متوسط أقصر طول مسار من العقدة إلى كل عقدة أخرى في الشبكة[19].

نلاحظ من الجدول رقم إن مركزية القرب متقاربة بين الموضوعات الخمس الأكثر دراسة في الانثربولوجيا حيث إن درجة الارتباط يكون ذو أهمية كلما كان الموضوع يملك مركزية قرب صغيرة أي أن المواضيع التي ترتبط معه أو ترتبط مع موضوع يرتبط معه يكون قريب إي لا يفصله عنه إلى موضوع واحد أو موضوعين.

وكلما كانت مركزية القرب قليلة كان الموضوع يشكل وحدة موضوعية حيث يكون موضوعا محوريا في التخصص ويرتبط به مواضيع لا يكون الفاصل بينها وبين الموضوع المركزي إلا موضوعا واحد أو موضوعين فقط وهو ما يبينه الشكل الموالي الذي يبين درجة القرب لموضوع الثقافة والتي تأخذ اللون الأحمر أما المواضيع التي ترتبط بموضوع الثقافة فهي باللون الأسود،حيث إن هذه المواضيع لا ترتبط بموضوع الثقافة إلا برابط واحد أو رابطين.

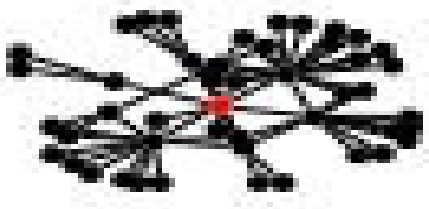

الشكل رقم 07 يبين الرسم البياني لموضوع الثقافة (من اعداد الباحث اعتمادا على nodexl)

- **مركزية Eigenvector**: يركز على نوعية الارتباط بين الموضوعات فيمكن لموضوع معين بمركزية عالية يكون لديه القليل من الاتصالات لكن يرتبط مع موضوعات اخرى لديها ارتباطات قوية فيصبح الاتصال بين العقد أكثر فائدة من الاتصال بالأخرين[20].

وما نلاحظه من الجدول رقم أن موضوع المجتمع لديه معامل مركزية Eigenvector كبير مقارنة بالموضوعات الأخرى حيث قدر ب0.321 حيث أن موضوع المجتمع يرتبط بموضوعات لديها ارتباطات كثيرة وقوية وهو ما يبينه الشكل رقم 08.

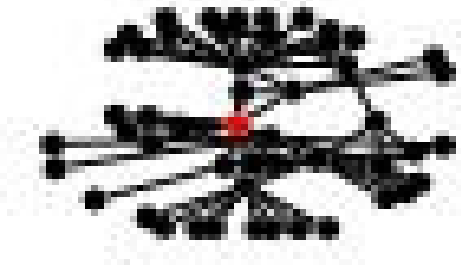

الشكل رقم 08 يبين الرسم البياني مركزية Eigenvector لموضوع المجتمع (من اعداد الباحث اعتمادا على nodexl)

خاتمة:

من دراستنا هذه والتي تمثلت في تحليل ديناميكيات تطور الانثربولوجيا في الجامعات الجزائرية وبنيتها الداخلية توصلنا إلى أن موضوعات الانثربولوجيا التي تم دراستها والمسجلة في البوابة الوطنية للأطروحات PNST متنوعة وموزعة حيث إنها ضعيفة الارتباط بينها وذلك لأنها تخصص حديث في الجامعات الجزائرية وهو ما يجعل اختيار موضوعات البحث متنوع، كما أن هذه الموضوعات تقسم إلى فئتين موضوعات تمتاز بدراستها لفترات مستمرة وتندثر حيث لا تظهر مجددا وفئة ثانية تظهر لفترات طويلة لكن بطريقة غير مستمرة.

قائمة المصادر والمراجع

1- شباب فاطمة شباب فاطمة، إشكالية تثمين الأدب الرمادي في الجزائر: الحضور كمفهوم وأداة للتقييم ومخابر بحث علم المواد كعينة للدراسة، دكتوراة دولة، جامعة الجزائر 2، قسم علم المكتبات والتوثيق، 2014.

2- دليل برنامج Nodexl.

3- بوفجلين زهرة، قشايري سميرة، من القياسات الببليومترية الى القياسات البديلة: إشكالية في المصطلحات أم تطور في المفاهيم، حوليات الجزائر1، العدد 32، الجزء 2، 2018.

4- احمد محمد الشامي، موسوعة الشامي، Cowords analysis.

5- Xu, S., Xu, D., Wen, L, Integrating Unified Medical Language System and Kleinberg's Burst Detection Algorithm into Research Topics of Medications for Post-Traumatic Stress Disorder. Drug Design, Development and Therapy, 2020, 14.

6- Vanani, I.R., Jalali, S.M, Analytical evaluation of emerging scientific trends in business intelligence through the utilisation of burst detection algorithm.2017

7-Mario Coccia .The laws of the evolution of research fields. CocciaLab Working Paper 2018 – No. 31.

8- Lancia, F. (2005). Word co-occurrence and theory of meaning, from. http://www.soc.ucsb.edu/faculty/mohr/classes/soc4/summer_08/pages/Resources/Readings/TheoryofMeaning.pdf .visited le15/11/2020

9- https://www.sciencedirect.com/topics/computer-science/eigenvector-centrality.visite
Le 25/11/2020
https://www.sciencedirect.com/topics/computer-science/closeness-centrality,visite
Le 25/11/2020

10-Hervé Rostaing. la bibliometrie et ses techniques.marseille.science de la société,1996.

11- Guo, H, S Weingart , Mixed-indicators model for identifying emerging research areas, Scientometrics,2001, 89(1), 421–435

12- Gu, Y, Global knowledge management research: A bibliometric analysis. **Scientometrics**, 2004, 61(2), 171–190

13-Encyclopedia of library and information science.

14- Dowell, E, Interdisciplinarity and new methodologies in art history: A citation analysis, Art Documentation, 1999, 18(1), 14–19.

15- Cobo, M.J., Wang, W., Co-words Analysis of the Last Ten Years of the International Journal of Uncertainty, Fuzziness and Knowledge-Based Systems. IPMU, 2017

16- Babak Sohrabi, Evaluation of Research Trends in Knowledge Management: A Hybrid Analysis Through Burst Detection and Text Clustering, Journal of Information & Knowledge Management, January 2020.

الهوامش:

[1]- Mario Coccia, The laws of the evolution of research fields. CocciaLab Working Paper 2018 – No. 31.

[2] - بوفجلين زهرة، قشايري سميرة، من القياسات الببليومترية الى القياسات البديلة: إشكالية في المصطلحات أم تطور في المفاهيم، حوليات الجزائر1، العدد 32، الجزء 2، 2018، ص597.

[3]- Encyclopedia of library and information science, p.78.

[4]- شباب فاطمة شباب فاطمة، إشكالية تثمين الأدب الرمادي في الجزائر: الحضور كمفهوم وأداة للتقييم ومخابر بحث علم المواد كعينة للدراسة، دكتوراه دولة، جامعة الجزائر 2، قسم علم المكتبات والتوثيق، 2014، ص 101.

[5]- بوفجلين زهرة، قشايري سميرة، من القياسات الببليومترية الى القياسات البديلة: إشكالية في المصطلحات أم تطور في المفاهيم، حوليات الجزائر1، المرجع نفسه، ص607.

[6]- Lancia, F. (2005). Word co-occurrence and theory of meaning, from. http://www.soc.ucsb.edu/faculty/mohr/classes/soc4/summer_08/pages/Resources/Readings/TheoryofMeaning.pdf.visited le15/11/2020

[7]- Babak Sohrabi, Evaluation of Research Trends in Knowledge Management: A Hybrid Analysis Through Burst Detection and Text Clustering, Journal of Information & Knowledge Management, January 2020

[8]- Dowell, E. , Interdisciplinarity and new methodologies in art history: A citation analysis, Art Documentation,1999, 18(1), 14–19.

[9]- Gu, Y , Global knowledge management research: A bibliometric analysis. **Scientometrics**,2004, 61(2), 171–190

[10]- Guo, H, S Weingart , Mixed-indicators model for identifying emerging research areas, Scientometrics,2001, 89(1), 421–435

[11]- Xu, S., Xu, D., Wen, L,Integrating Unified Medical Language System and Kleinberg's Burst Detection Algorithm into Research Topics of Medications for Post-Traumatic Stress Disorder. Drug Design, Development and Therapy, 2020, 14, 3899 - 3913.

[12]- Vanani, I.R., Jalali, S.M. , Analytical evaluation of emerging scientific trends in business intelligence through the utilisation of burst detection algorithm.2017

[13]- احمد محمد الشامي. موسوعة الشامي. Cowords analysis.

[14] -Hervé Rostaing, la bibliometrie et ses techniques, Marseille, science de la société, 1996. P70.

[15] - Hervé Rostaing, la bibliometrie et ses techniques, ibid, p70.

[16] - Cobo, M.J., Wang, W., Co-words Analysis of the Last Ten Years of the International Journal of Uncertainty, Fuzziness and Knowledge-Based Systems. IPMU,2017

[17]- دليل برنامج Nodexl.

[18]- دليل برنامج Nodexl.

[19]- https://www.sciencedirect.com/topics/computer-science/closeness-centrality,visite Le 25/11/2020.

[20]- https://www.sciencedirect.com/topics/computer-science/eigenvector-centrality.visite Le 25/11/2020.

مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 1307 – 1332
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

المكتبات العامة والمتعسرين قرائيا في ظل معايير الافلا: دراسة تحليلية للتعليمات الإرشادية الخاصة بالخدمات المكتبية للمتعسرين في القراءة- الافلا 2001- 2014

Public libraries and dyslexics through IFLA standards: Analytical study of the guidelines for Library Services to Persons with Dyslexia - IFLA Standards 2001-2014

د/ تيتيلة سارة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة محمد لمين دباغين سطيف2
Titila.sarah@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/10/01 تاريخ القبول: 2021/10/31

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز أهمية المكتبات العامة في مساعدة المتعسرين قرائيا، من خلال تحليل مضمون التعليمات الإرشادية الخاصة بالخدمات المكتبية للمتعسرين في القراءة الصادر عن الافلا 2001 و2014، حيث تمت دراسة المحتوى لفئة الشكل والمضمون، وبعد التحليل الكمي والكيفي للتعليمات الإرشادية، توصلت الدراسة بأن عسر القراءة هو اضطراب في القراءة والكتابة والتهجئة يصيب 8% من سكان العالم، وتقع على عاتق المكتبات والمكتبات العامة خاصة دور مساعدة هذه الفئة في الوصول واستخدام المعلومات وتشجعهم على القراءة، من خلال توفيرها لمواد المناسبة كالكتب الناطقة وكتبdaisy والكتب الإلكترونية...، بالإضافة إلى توفير أهم التجهيزات مثل تقنية التصنيع الصوتي، وتحويل النص إلى كلام... وتوفير المكان والبيئة المناسبة والمكتبي الواعي والمؤهل لمرافقة هذه الفئة، مع تضمين مجموعة من الممارسات للاستفادة من التجارب وتحيين هذه الإرشادات من خلال موقع الافلا.

الكلمات المفتاحية: المكتبات العامة؛ المتعسرين قرائيا؛ معايير الافلا 2001-2014؛ التعليمات الإرشادية لخدمات المكتبة 2001-2014.

Abstract:

This study aims to highlight the importance of public libraries in helping people with dyslexia, through analyzing the library services guideline content meant for people with dyslexia - **IFLA Standards 2001- 2014**, where the study was carried out in form and content categories.

After the quantitative and qualitative analysis of the guidelines, the study concluded that dyslexia is a reading, writing, and spelling disorder that affects 8% of the world's population. Libraries and public libraries are most responsible to help people who suffer from this disorder by accessing and using information and encouraging them to read. The latter is done by providing appropriate materials such as audio-books, daisy books, and e-books etc, in addition to providing equipment such as phonemic manufacturing technology, text-to-speech tools, etc, and providing the appropriate location and environment for conscious and qualified librarians to accompany them. It is equally important to include a set of practices to benefit from experiences and update these guidelines through the AFLA website.

Key words: public libraries; dyslexics; AFLA standards2001-2014; Instructions for library services2001-2014.

مقدّمة:

لقد أدرك العلماء والباحثين منذ قرون قوة القراءة وأهميتها في تحقيق التنمية، فلقد صرح أرفلاطون بأن "شعبا يقرأ...شعب لا يجوع ولا يستعبد"[1]، وهذا ما يؤكده قول مارقريت فولر Margaret Fuller بأن "قارئ اليوم هو قائد الغد"[2]، ويكفينا دليلا على ذلك أنها أول ما أمر به وأنزل على الرسول ﷺ هي قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، ورغم الإجماع بأهمية القراءة في تحقيق التطور والتقدم، إلا أنها عملية معقدة ومكتسبة، كما أنها مهارة شديدة الارتباط بالتعلم الذي يكتسبه الفرد في البيت والأوساط المدرسية من خلال مجموعة من الميكانزمات منذ مراحل التعليم الأولى[3]، وقد تبدوا للعديد من الناس أمرا بسيطا وتلقائيا، إلا أنها تطرح إشكالا لطالما أثار اللغط بين أوساط الباحثين التربويين يتمثل في فئة المتعسرين قرائيا، لأن هذه الفئة تعاني وفي صمت إذا لم يتم تشخيصها، فهم يعانون من "صعوبة في التعلم تجعل من الصعب القراءة والكتابة والتهجئة، بغض النظر عن مدى ذكائهم، ولسنوات كان يُعاني الأشخاص المصابون بعسر القراءة ويوصفون بالغباء والكسل. حتى ساعد التقدم في علم الأعصاب في الكشف عن أساس بيولوجي لهذا الاضطراب"[4].

ويرى الدكتور Brianne Mintz أنه بسبب التحديات التي يواجهها الأطفال المصابين بعسر القراءة، قد تتشكل لديهم مشاكل سلوكية وعاطفية. ويتحدث مايكل رايان Michael Ryan، دكتوراه في الطب بقوله: "إن إحباط الأطفال الذين يعانون من عسر القراءة غالبًا ما يتركز على عدم قدرتهم على تلبية توقعات آباؤهم ومعلموهم فهم يرون طفلًا ذكيا متحمسًا لا يستطيع أن يتعلم القراءة والكتابة. مرارا وتكرارا، يسمع المتعسرون قرائيا ووالديهم 'إنه طفل ذكي، إذا كان سيحاول فقط بجد". ومن المفارقات، لا أحد يعرف بالضبط مدى صعوبة عسر القراءة، وألم الفشل في تلبية توقعات الآخرين، فلا يمكنهم تجاوزه لعدم قدرتهم على تحقيق أهدافهم. وينطبق هذا بشكل خاص على أولئك الذين يطورون توقعات الكمال من أجل التعامل مع قلقهم، لأنهم يكبرون وهم يعتقدون أنه من الخطأ أن يرتكبوا الأخطاء[5].

وأمام تزايد أهمية القراءة في العالم والتداعيات الخطيرة لعسر القراءة الذي تتراوح بين 8% إلى 10% من سكان العالم[6]، والذي يترتب عنها وفقا للمركز الوطني لإحصاءات التعليم بأمريكا، ارتفاع معدل التسرب من المدارس الثانوية للطلاب الذين يعانون من صعوبات في التعلم، حيث يتجاوز ضعف ما هو عليه للطلاب الآخرين (100/36 مقارنة بـ 100/14)[7].

وانطلاقا من المعطيات السابقة فلقد حاول الباحثون والمعنيون تركيز جهودهم للإجابة عن ثلاثة أسئلة رئيسية تتمثل في: ما هو عسر القراءة؟ ما هي أسبابة؟ ما الذي يمكن عمله حيال ذلك؟، ورغم أن كافة الأسئلة مرتبطة ولا يمكن فصلها عن بعضها البعض، فلقد انصبت الأبحاث على محاولة الإجابة عن التساؤل الأخير[8]، وهذا ما دفعنا لمحاولة التعرف على ماذا يمكن للمكتبات العامة تقديمه لمساعدة هذه الفئة في ظل عدم قدرة الأسرة والمدرسة وحدها في تحمل أعباء المتعسرين قرائيا، فيرى هيزيل روتلدج HAZEL RUTLEDGE أنه: "نظرًا لأن المكتبات تتمتع بخبرة كبيرة في مساعدة المستخدمين الذين يعانون من مجموعة واسعة من الإعاقات، فمن الطبيعي أن نتوقع أنهم يمكنهم إيجاد طرق للتعامل مع المستخدمين الذين يعانون من عسر القراءة. وهذا سوف يتناسب بشكل جيد مع مهمة المكتبات العامة: لتسهيل الوصول إلى المعلومات والموارد في مجموعة متنوعة من الوسائط وبالتالي يجب أن يضعها في طليعة مساعدة الأشخاص الذين يعانون من عسر القراءة"[9]. غير أن السؤال الذي يطرح نفسه هنا من جانب أخر، أننا عند نتحدث عن المكتبات ومدى أهميتها في التكفل بالمتعسرين قرائيا، فإننا أيضا يجب أن نضع في الحسبان أنها من أعظم

مخاوفهم، وهذا ما دفع الاتحاد الدولي لجمعيات ومؤسسات المكتبات (الافلا) لاقتراح جملة من التعليمات الإرشادية الخاصة بالخدمات المكتبية للمتعسرين في القراءة، محاولين توضيح مفهوم اضطراب عسر القراءة وأسبابه، وأهم الإمكانيات والمتطلبات والخدمات التي يجب أن تمتلكها المكتبات لدعم هذه الفئة في 2001 والتي تم ترجمتها من قبل الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات 2013، لتعود الافلا وتنقح وتحين التعليمات في 2014. وفي هذا الإطار سنحاول من خلال هذه الورقة التعرف على دور المكتبات العامة في مساعدة المتعسرين قرائيا.

إشكالية الدراسة:

يعد عسر القراءة (الديسلكسيا Dyslexia) من بين أهم الاضطرابات التي أسالت الحبر في العديد من الأدبيات العربية والأجنبية وأثارت التساؤلات في العديد من التخصصات التربوية منها والنفسية والعصبية...، نتيجة تعقده من جهة وتعدد تأثيره على الفرد والمجتمع من جهة أخرى، وهذا ما أكده Elena L. Grigorenko and Julian G. Elliott (إليوت وغريغورينكو) حيث يرى بأن "تحقيق رؤية واضحة وعلمية وتوافقية عنه وفهمه [مصطلح عسر القراءة] بعيد المنال"،[10] بينما يضيف ديفيد جرانت بأن "معظم التعريفات المتعلقة الديسلكسيا ضيقة جدا، فهي تميل إلى التركيز على صعوبة تعلم القراءة. والحقيقة أن الديسلكسيا معقدة للغاية"[11].

وتشير جمعية عسر القراءة الدولية بأن مشكلة عسر القراءة تكمن أساسا في التعرف على الكلمات والقراءة والتهجئة والكتابة. ليتمكن بعض الأشخاص الذين يعانون منه من تعلم القراءة المبكرة ومهام التهجئة، خاصةً مع الإرشادات الممتازة، لكنهم يواجهون لاحقًا أكبر مشاكلهم عندما تكون هناك حاجة إلى مهارات لغوية أكثر تعقيدًا، مثل القواعد اللغوية وفهم مواد الكتاب المدرسي وكتابة المقالات[12]. حيث "أظهرت الدراسات بأن 74% من الأطفال الذين يعانون من مشاكل في القراءة في الصف الثالث سيبقون فقراء في القراءة حتى مرحلة البلوغ ما لم يتلقوا تعليمات خاصة حول القراءة والوعي الصوتي"[13].

ومن هذا المنطلق عانى العديد من المتعسرون قرائيا إلى غاية الستينات من القرن الماضي جراء سوء فهم هذا الاضطراب وكيفية التعامل معه ولا يزال العديد منهم يعانون جراء ضعف تشخيصهم به، ليوصفوا بأبشع الصفات كالمعاقين والمتخلفين عقليا أو سمعيا وحتى بصريا،[14] ليترتب عن ذلك مشاكل تعليمية وتعلمية وسلوكية واجتماعية ونفسية...، مما يتطلب وجود برامج تشخيصية وعلاجية وتعليمات إرشادية، بالإضافة إلى تسخير كافة مؤسسات التنشئة الاجتماعية ومن أهمها المكتبات للتكفل ومساعدة هذه الفئة وعائلاتهم على حد سواء لضمان استمرار تعليم أبنائهم. وهذا ما أكدته العديد من الدراسات التي توضح مدى أهمية المكتبات بأنواعها والمكتبات العامة خاصة في خدمة المتعسرين قرائيا ومساعدتهم، ومن أهمها نجد:

- دراسة باربرا بليس Bliss, Barbara A. (1986) بعنوان "المتعسرين قرائيا كمستفيدين من المكتبات"[15]، وتهدف هذه الدراسة لوصف خصائص المتعسرين قرائيا وفهم احتياجاتهم الخاصة التي قدمها بحث أورتن. بالإضافة إلى تجارب الفصول الدراسية، واقتراح آثارها على أمناء المكتبات، كما عرضت الدراسة تدريبا خاصا للمعلمين في مراكز محو الأمية العامة في مقاطعة داين (ويسكونسن).

- دراسة هازال روتليدج Hazel Rutledge (2012). بعنوان "عسر القراءة: التحديات والفرص للمكتبات العامة"[16]، وتهدف هذه الدراسة لتحديد ما تفعله المكتبات لضمان توفير موارد فعالة للأفراد الذين يعانون من عسر القراءة. من خلال مشروع بحث دكتوراه (توفير مكتبة عامة لموارد للأفراد الذين يعانون

من عسر القراءة)؛ تم إجراؤه في قسم علوم المعلومات، جامعة لوبورو، من ديسمبر 1992 إلى 2000. مع تتبع ومراجعة شاملة للأدبيات ونتائج استطلاع رأي شملت 114 مكتبة في إنجلترا وويلز لتحديد مدى توفير المكتبات العامة لمستخدمي عسر القراءة. وخلصت الدراسة إلى أن المكتبات العامة لا تنظم وتروج لموارد الأفراد الذين يعانون من عسر القراءة بطريقة تساعدهم على التغلب على العقبات التي تحد من استخدام المكتبات. وعادة ما يتم الاحتفاظ بالمعلومات حول عسر القراءة في المكتبات العامة، ولكن القليل من المكتبات تفعل الكثير لتلبية احتياجاتهم من خلال الموارد؛ كما تقوم بعض المكتبات بعمل أكثر من غيرها؛ ومهنة المكتبات والهيئات الرئيسية التي تتعامل مع عسر القراءة لا توفر قيادة استشرافية في مجال توفير الموارد للأشخاص الذين يعانون من عسر القراءة.

- دراسة برين منتز Brianne Mintz (2018). بعنوان "إنشاء مكتبات أطفال صديقة للمتعُسرين قرائيا"[17]، وتهدف الدراسة إلى التعريف بأهمية المكتبات في النمو والتطور الذي يحتاجه الأطفال المصابون بعُسر القراءة بالإضافة إلى الدعم لضمان قدرتهم على مواجهة التحديات العاطفية والاجتماعية والتنموية التي تصاحب اضطراب التعلم، كما توضح بأن على المكتبات توفير كل ما يحتاج إليه الآباء إلى موارد لمساعدة أطفالهم. كونها تتمتع بفرصة فريدة لتقديم هذه الخدمات لأنها مركز المجتمع ويمكنها تقديم موارد مجانية. من خلال توفرها على مجموعة الموظفين المدربين بشكل صحيح أو الخاصين، والبرامج والمجموعات الصديقة لعُسر القراءة، وتقديمها بيئة آمنة وشاملة ومرحبة للأطفال ذوي صعوبات التعلم لمساعدتهم على التعلم والنمو والازدهار على الرغم من اختلافات التعلم لديهم.

- دراسة Mindy Syailah Nurthoyyibah, Riche Cynthia Johan, & Hada Hidayat Margana. (2019)[18]. بعنوان "تعامل المكتبات مع أطفال ذوي صعوبات التعلم: عسر القراءة." وتهدف هذه الدراسة لتوضيح أهمية المكتبات العامة في مساعدة المتعسرين قرائيا من خلال عرض أهم التجارب الأوربية والهولندية واليابانية في التعامل مع المتعسرين قرائيا وأهم الخدمات والبرامج التي من شأنها تلبية احتياجاتهم ومساعدتهم ومن أبرزها مكتبة إندونيسيا التي بدأت في 2016 برعاية الأطفال الذين يعانون من عسر القراءة من خلال إنشاء ركن عسر القراءة Dyslexia Corner. ويعد البرنامج الأول للأشخاص الذين يعانون من عسر القراءة للاستمتاع بمرافق المكتبة مثل المستخدمين بشكل عام من خلال العمل مع مجموعة الآباء الداعمين لعسر القراءة (DSPG) وفريق LexiPal. كما توفر هذه المكتبة أيضًا تسهيلات لتشغيل برنامج LexiPal على الكمبيوتر كأداة علاجية وتدريب حركي. ومن المتوقع أن تستمر مكتبة مدينة سورابايا في تطوير الخدمات والبرامج والمرافق المتعلقة بالأطفال الذين يعانون من عسر القراءة أو الأطفال الآخرين ذوي الاحتياجات الخاصة.

ومن خلال الطرح السابق تتجلى أهمية المكتبات بكافة أنواعها والمكتبات العامة بصفة خاصة كمراكز لمساعدة المتعسرين قرائيا وعائلاتهم للتأقلم مع هذا الاضطراب، لما تمتلكه من إمكانيات مادية وبشرية تمكنها من إتاحة المعلومات مجانا وفقا لاحتياجاتهم ومتطلباتهم، ما دفع العديد من المؤسسات والجمعيات ومن أهمها الاتحاد الدولي لجمعيات ومؤسسات المكتبات (الافلا) للتأكيد على حتمية الاهتمام بالمكتبات كأحد أهم المؤسسات الكفيلة بمساعدة هذه الفئة من خلال اقتراحها لمجموعة من التعليمات الإرشادية سنة 2001 وتنقيحها سنة 2014 لرسم خارطة طريق بأهم الأسس والمتطلبات الواجب توفرها بكافة المكتبات مع التركيز على المكتبات العامة لخدمة المتعسرين قرائيا.

وكمحاولة منا للتعريف بهذه التعليمات التي من شأنها مساعدة المتعسرين قرائيا من جهة وترقية خدمات المكتبات العامة من جهة أخرى لتشمل كافة شرائح المجتمع خصوصا في ظل ضعف الدراسات العربية التي تتناول هذا الموضوع، سنحاول في هذه الورقة المقارنة بين التعليمات الإرشادية لخدمة المتعسرين قرائيا 2001/ 2014 للوقوف على نقاط التشابه والاختلاف بينها، من خلال محاولة الإجابة عن التساؤل المركزي التالي:

كيف عالجت التعليمات الإرشادية 2014/2001 للافلا المكتبات العامة لمساعدة المتعسرين في القراءة؟

ويتفرع من هذا التساؤل مجموعة من الأسئلة الفرعية:

- ما هي الغايات والمقاصد التي تهدف التعليمات الإرشادية 2014/2001 لتحقيقها؟
- كيف عولج موضوع عسر القراءة من خلال التعليمات الإرشادية للافلا 2014/2001؟
- هل اهتمت تعليمات الافلا 2014/2001 بالمكتبات العامة؟
- ماذا بإمكان المكتبات العامة أن تفعله لمساعدة المتعسرين قرائيا في ظل التعليمات الإرشادية للافلا 2014/2001؟
- ما هي أهم الإمكانيات التي يجب توفرها ضمن المكتبات العامة لمساعدة المتعسرين قرائيا في ظل التعليمات الإرشادية للافلا 2014/2001؟
- ما هي خصائص ومتطلبات المكتبين التي يجب توفرها ضمن المكتبات العامة لمساعدة المتعسرين قرائيا في ظل التعليمات الإرشادية للافلا 2014/2001؟

أسباب اختيار الموضوع:

إن نقص مثل هذه الدراسة ضمن الأدبيات العربية؛ التي تتناول دور المكتبات في مساعدة والتكفل بالمتعسرين قرائيا من خلال خدماتها، في حين تزخر الدراسات الأجنبية بالاهتمام بهذا الموضوع، حيث أكدت اليونسكو" إيمانها بالمكتبة العامة باعتبارها المدخل المحلي للمعرفة، وشرط أساسي لاكتساب العلم مدى الحياة، واستقلالها في اتخاذ القرار، والتنمية الثقافية للأفراد والجماعات"، فهي" تقدم خدماتها على أساس تكافؤ فرص الجميع في الانتفاع بها"[19].وان هذا من شأنه مساعدة المعسرين قرائيا وتقليص الأعباء الملقاة

على كاهل الأسرة والمعلم، مما دفعنا لمحاولة تسليط الضوء على التعليمات الإرشادية للافلا الخاصة بخدمات المكتبات للمتعسرين قرائيا 2001/ (المترجمة)2013 والنسخة المنقحة والمزيدة 2014.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة للكشف:

- أهم الغايات والمقاصد التي تهدف التعليمات الإرشادية 2014/2001 لتحقيقها؛
- كيف عولج موضوع عسر القراءة من خلال التعليمات الإرشادية للافلا 2014/2001؛
- مدى اهتمام تعليمات الافلا 2014/2001 بالمكتبات العامة؛
- ماذا بإمكان المكتبات العامة أن تفعله لمساعدة المتعسرين قرائيا في ظل التعليمات الإرشادية للافلا 2014/2001؛
- أهم الإمكانيات التي يجب توفرها ضمن المكتبات العامة لمساعدة المتعسرين قرائيا في ظل التعليمات الإرشادية للافلا 2014/2001؛

- معرفة خصائص ومتطلبات المكتبين التي يجب توفرها ضمن المكتبات العامة لمساعدة المتعسرين قرائيا في ظل التعليمات الإرشادية للافلا 2014/2001.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذه الدراسة من أهمية الموضوع الذي يتناول التعليمات الإرشادية الخاصة بالخدمات المكتبية التي اعتمدتها الافلا للتكفل بالمتعسرين قرائيا 2001 المترجمة 2013 ومقارنتها بالتعليمات الإرشادية المنقحة والمزيدة 2014، ففي ظل تزايد المتعسرين قرائيا، لا يجب إن تقف المكتبات العامة متفرجة، ما دفع العديد من المتخصصين للاهتمام بظاهرة عسر القراءة، انطلاقا من فهمهم العميق لفحوى هذه المشكلة التي تؤثر على 8% من سكان العالم[20].

وفي هذا الإطار حاولت الافلا من خلال مؤتمر 1997 دمج المكتبات في علاج عسر القراءة كونها بوابة إتاحة المعلومات من جهة، والتزاما منها بحق الجميع دون إقصاء في الوصول إلى المعلومات واستخدامها وتقاسمها، من خلال ورشة بعنوان "إتاحة المعلومات، خدمات لمتعسري القراءة"، باشتراك كل من قسم الخدمات المكتبية للأشخاص المعاقين، LSDP والمجموعة المهنية الدينماركية لخدمات المكتبات المتعددةDanish Professional Group of Outreach Library Service، والجمعية الأوربية لمتعسري القراءة EDA). كما عقدت مؤتمرا أخر عام 1999 ببانكوك، لمعالجة نفس الإشكال، متمثلة في جلسة بعنوان "عسر القراءة في كل مكان. ماذا بوسع مكتبتك أن تفعل؟"، وهذا ما دفع قسم الخدمات المكتبية للأشخاص المعاقين LSDP برغبته في نشر "التعليمات الإرشادية الخاصة بخدمات المكتبية المقدمة لمتعسري القراءة"، ولقد تم تنقيحها وزيادة هذه الطبعة في 2014 من قبل الافلا بالاشتراك مع خدمات المكتبة لذوي الاحتياجات الخاصة (LSN) والمكتبات التي تخدم الأشخاص ذوي إعاقات الطباعة (LPD) [21].

ليطرح تساؤلا لطالما أثار الجدل بين الأوساط المكتبية والتربوية، متمثلا في هل المكتبة تساهم في علاج عسر القراءة؟ أم تمثل وسيلة لتصعيد هذه الظاهرة، من خلال تعقد أجهزتها، وكثرة كتبها. لتستحيل أكبر مخاوف المصابين بعسر القراءة.

ولقد جاءت هذه الدراسة للمقارنة بين الطبعة 2001 و 2014 نتيجة لرصد العديد من الاختلافات الشكلية والضمنية بينها، ما دفعنا لمقارنة بين الوثيقتين مع اعتماد الطبعة 2001 معيارا لهذه المقارنة (صياغة أهداف وإشكالية الدراسة وتساؤلاتها) للتعرف على أهم نقاط التوافق والاختلاف، كمحاولة منا لتلخيص كل ما جاء في كليهما، مع الوقوف على أهم الآليات والخدمات لمساعدة هذه الفئة، لتحسيس المتخصصين ومؤسسات التنشئة الاجتماعية بدور المكتبة من جهة، وتحسيس المكتبين بأهم مظاهر عسر القراءة وأكبر مخاوف المصابين به، للتعامل معها بحذر، ولكي لا تستحيل المكتبات أحد المساهمين في زيادة حدة هذا الاضطراب بدل التكفل بهذه الفئة.

منهج الدراسة:

كما جرت العادة في البحوث العلمية فإن موضوع الدراسة له دور كبير في تحديد نوع المنهج المستخدم، وهذا ما يؤكده FESTINGER ET KATZ اللذان يريا بأنه "مهما كان موضوع البحث، فإن قيمة النتائج تتوقف على قيمة المناهج المستخدمة.[22]

وتعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي، باعتباره المنهج المناسب لدراسة التعليمات الإرشادية الخاصة بالخدمات المكتبية للمتعسرين في القراءة- للاتحاد الدولي لجمعيات ومؤسسات المكتبات (الافلا).

أداة الدراسة:

يعد أسلوب تحليل المحتوى من أهم أدوات البحث العلمي التي "تستهدف الوصف الدقيق والموضوعي لما يقال عن موضوع معين في وقت معين"[23]، ومن خلال إتباع أسلوب الوصف والتقييم والمقارنة تم إخضاع التعليمات الإرشادية للافلا للدراسة والتحليل، باستخدام أداة تحليل المضمون، بهدف رصد أهم المتطلبات والخدمات والكفاءات الواجب توفرها بالمكتبات العامة لمساعدة المتعسرين قرائيا.

عينة الدراسة:

إن حجم العينة "بالنسبة للمعاينات غير الاحتمالية يكفي أن يكون لدينا عدد كاف من العناصر لنتمكن فيما بعد من إجراء المقارنات الضرورية"[24]. وتتمثل عينة الدراسة في بيان الافلا الصادر بتاريخ 2001 حول "التعليمات الإرشادية الخاصة بالخدمات المكتبية للمتعسرين في القراءة" باللغة الإنجليزية، والمترجم من من قبل الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات (اعلم) في 2013. والطبعة المنقحة والمزيدة لعام 2014، كمشروع مشترك مع قسم الخدمات المكتبية المقدمة لذوي الاحتياجات الخاصة، ومكتبات تخدم الأشخاص ذوي إعاقات الطباعة.

ويمكن تعريف **الاتحاد الدولي لجمعيات ومؤسسات المكتبات (الافلا):** انه هيئة دولية رئيسية تهتم بالمكتبات وخدمات المعلومات ومستخدميها، وهو الصوت الدولي لمهنة المكتبات والمعلومات[25].

تأُسست الإفلا في ادنبرج في سكوتلندا Edinburgh, Scotland في 30 سبتمبر 1927 وتحتوي على أكثر من 1500 عضو من حوالي 150 دولة من جميع أنحاء العالم. ولقد تم تسجيل الإفلا في هولندا عام 1971. حيث توفر المكتبة الملكية، المكتبة الوطنية لهولندا، بمدينة الهاج Hague، والذي يوفر التسهيلات للمقر الرئيسي للإفلا.[26]

وحدة تحليل المحتوى:

يهتم أسلوب تحليل المحتوى بتحديد وضبط وتجزئة فئات الدراسة للإجابة على سؤالين هما: ماذا قيل؟ كيف قيل؟، من خلال اكتشاف وجود الفئة من عدمها، وعدد تكرارها، ودرجة شدتها ضمن المحتوى. ولقد تم اعتماد الفكرة كوحدة قياس، وعدد التكرارات لقياس درجة أهمية الفئة ضمن محل الدراسة. وتم تقسيم الفئات إلي:

الفئة الأولى: كيف قيل؟ وهي الفئة التي تعنى بالشكل الذي قدم به محتوى بيان الافلا، ويشمل:

- فئة اللغة؛
- فئة عدد الصفحات؛
- فئة عدد العناوين الرئيسية والفرعية؛
- فئة فئة الصور والأشكال.

الفئة الثانية: ماذا قيل؟ وهي الفئة التي تعنى بالموضوع، للكشف:

- الغايات والمقاصد: وتشتمل على الأهداف التي تسعى التعليمات الإرشادية للافلا من تحقيقها؛
- عسر القراءة: ومن خلالها نحاول إبراز مفهوم عسر القراءة، وأسبابه ومشاكله؛
- أنواع المكتبات: وتحتوي على أنواع المكتبات المقصودة من هذه التعليمات ومكانة المكتبات العامة ضمنها؛
- ماذا بإمكان المكتبات تقديمه: وتحتوي على أهم الشروط الواجب توفرها بالمكتبة لمساعدة المتعسرين قرائيا؛

- إمكانيات المكتبات: وتشمل المواد (المجموعات) والتجهيزات والتقنيات المساعدة للمتعسرين قرائيا؛
- خصائص ومتطلبات المكتبين: وتشمل أهم الكفاءات والشروط والخدمات التي يجب أن يوفرها المكتبي لمساعدة المتعسرين قرائيا.

نتائج الدراسة التحليلية:

يرى غوردن ميس Gorden Mace بأن الإطار العملي يمثل عنصرا هاما...في البحث كونه المحدد لما نصبوا إلى تحليله بدقة[27]، وبهدف التحقق من التساؤلات وتعميق الإدراك بفحوى الدراسة المطروحة ومجمل مؤشراتها وتفعيل مشكلتها، سنحاول تحليل ومقارنة وتفسير البيانات الكمية لمضمون التعليمات الارشادية لخدمات المكتبات للمتعسرين قرائيا 2014/2001 من حيث الجانب الشكلي والموضوعي.

قراءة وتحليل فئة الشكل:

الجدول 01: فئة الشكل لمضمون التعليمات الإرشادية 2014/2001

	التعليمات الإرشادية 2001	التعليمات الإرشادية 2014
عدد اللغات	07	09
عدد الصفحات	33	62
عدد العناوين الرئيسية	31	25
عدد العناوين الفرعية	0	43
عدد الأشكال والصور التوضيحية	0	12

يظهر الجدول أعلاه اختلافا واضحا في فئة الشكل محل الدراسة، حيث نلاحظ أن عدد لغات التعليمات الإرشادية الصادرة في 2001 يتمثل في 7 لغات (الإنجليزية والفرنسة والعربية والألمانية والإسبانية والسلوفاتية والروسية) بينما تمثلت عدد لغات التعليمات الإرشادية 2014 9 لغات هي: (الإنجليزية والألمانية والفرنسية، الإسبانية والدنماركية والهولندية والسويدية والصينية والإيطالية)، حيث مثلت اللغة الإنجليزية اللغة الرسمية للافلا، ما يثبت أن الإنجليزية أصبحت المسيطرة على العلم وهذا ما أكده مايكل جوردين بأن "أكثر من 98% من جميع المقالات العلمية المنشورة اليوم باللغة الإنجليزية"[28].

كما نلاحظ بأن كل من اللغة الألمانية والفرنسة والإسبانية اهتمت بترجمة بيان الافلا في طبعته الأولى والثانية بينما نجد أن الروسية والسلوفاتية والعربية لم تواكب ذلك، مع اهتمام دول أخرى بترجمة التعليمات الإرشادية وحتى المشاركة بإعدادها مثل هولندا سويسرا بلجيكا، الدنمرك غير أن هذا الاهتمام وهذا الوعي بأهمية الترجمة والاستفادة وحتى المشاركة في إعداد هذه التعليمات تفاوتت من دولة إلى أخرى، حيث نجد بأن أول الدول المترجمة لتعليمات الافلا في 2001 هي الفرنسية والإسبانية في 2002، تليها الروسية في 2003 والسلوفاتية 2007(لم تقم بالنشر المطابق للنسخة الإنجليزية) وأخير العربية في 2013، بينما نجد أن نشر وترجمة التعليمات المزيدة والمنقحة لسنة 2014 اختلفت حيث نجد أنه لم يتم تحديد تاريخ النشر باللغة الهولندية والألمانية بينما كانت السويد وإيطاليا أول الناشرين لتعليمات الافلا في 2015، تليها الإسبانية والدانماركية 2016، والفرنسية والصينية في 2019.

ونلاحظ من خلال الجدول تضاعف عدد الصفحات بين الطبعة الأولى والثانية وهو الأمر الطبيعي لان التعليمات الإرشادية 2014 مزيدة ومنقحة، ورغم ذلك تبقى حتى هذه الأخيرة مجرد ومضات تكميلية للطبعة الأولى، مختصرة كي تبقى هذه الوثيقة قابلة للقراءة وسهلة الفهم، حيث ما يميزها إدراج قائمة بأهم المصادر

والمراجع، وقاعدة معرفية للإشارة لأهم الممارسات من خلال موقع الافلا نفسه (موقع يضم قاعدة المعرفة: https://www.ifla.org/node/8872، وقسم خدمات المكتبات للاحتياجات الخاصة: https://www.ifla.org/lsn، يضم كل المنشورات والممارسات والإنجازات...).

كما تعد العناوين الرئيسية والفرعية عامل جذب وتسهيل للمقروئية بالنسبة للقراء والمستفيدين وهذا ما تؤكده دراسة Elite Editing 2015 بأن "العناوين والعناوين الفرعية تمثل المفاهيم الرئيسية والأفكار الداعمة في الورقة. فهي تنقل مستويات الأهمية بصريا. وتوجه الاختلافات في تنسيق النص للقراء لتمييز النقاط الرئيسية عن البقية. وتكون العناوين بشكل عام أكبر، إن لم تكن أكثر وضوحًا، من العناوين الفرعية. فيجب أن تكون العناوين الفرعية أقل وضوحًا من العناوين الفرعية السابقة"[29].

ولقد مثلت العناوين الرئيسية للطبعة 2001-31 عنوان رئيسي بدون الاهتمام بإدراج عناوين فرعية، وهذا ما يؤخذ على هذه الطبعة والتي تم تداركه في النسخة العربية حيث تم من خلالها التميز بين 21 عنوان رئيسي و5 عناوين فرعية، بينما تم التنبه في الطبعة 2014 إلى أهمية الفصل بين العناوين الرئيسية والفرعية بدقة لتشمل 25 عنوان رئيسي و43 عنوان فرعي لتسهيل قراءة الإرشادات وتوضيح النقاط الرئيسية، وتقسيم الفقرات الطويلة[30] من خلال العناوين الفرعية ومن أمثلة ذلك نجد مثلا:

العنوان الرئيسي: 1. ما هو عسر القراءة؟

العناوين الفرعية: 1.1 مناقشة مفاهيم عسر القراءة

2.1 تحديات القراء المتعسرين قرائيا

وانطلاقا من المثل الشهير، "الصورة تساوي ألف كلمة". يؤكد الكاتب دورنس Dorrance بأن هذه "العبارة صحيحة بشكل خاص عند الحديث عن أهمية الرسوم التوضيحية...، لأن الرسوم التوضيحية تشبه الغراء الذي يمكن أن يساعد في جذب انتباه القارئ. اليوم"[31]، ورغم هذه الأهمية في تبسيط المحتوى وتوضيح المعني، إلا أن الجدول أعلاه يوضح غياب الصور التوضيحية تماما في الطبعة 2001 محل الدراسة، بينما نجد تداركا لذلك في الطبعة 2014 وإدراج 12 شكل وجدولا واحد، وهذا ما يؤكد إدراك الافلا لأهمية الصور في تعميق المضمون وتبسيطه وحتى اختصاره وليس مجرد وسيلة إضافية، ومن أهم الصور التوضيحية المعبرة عن المحتوى نجد:

الشكل رقم01: تلخص ما جاء بالتعليمات الإرشادية 2014

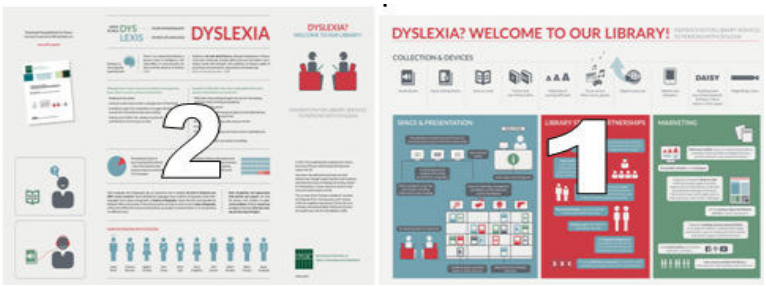

قراءة وتحليل فئة المضمون:

عرض ومناقشة التساؤل الأول: ما هي الغايات والمقاصد التي تهدف التعليمات الإرشادية 2014/2001 لتحقيقها؟

الشكل رقم 02: غايات ومقاصد التعليمات الإرشادية لخدمات المكتبات المتعسرين قرائيا

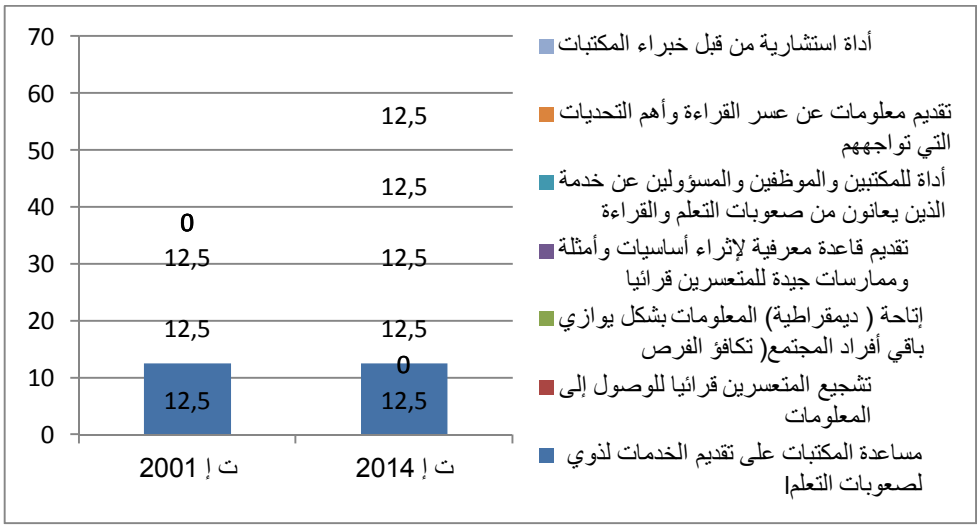

"لقد اهتم المتخصصون بظاهرة عسر القراءة، انطلاقا من فهمهم العميق لفحوى هذه المشكلة التي تؤثر على 8% من سكان العالم"[32]، وفي هذا الإطار حاولت الافلا من خلال التعليمات الإرشادية لخدمات المكتبات للمتعسرين قرائيا تحقيق جملة من الأهداف والغايات، حيث نلاحظ من خلال الشكل أعلاه بأن الهدف الأساسي للتعليمات الإرشادية 2001/ 2014 يكمن في مساعدة المكتبات على تقديم الخدمات لذوي صعوبات التعلم والمتعسرين قرائيا خاصة، ورغم هذا التوافق في الهدف الرئيسي إلى أننا نلاحظ اختلافات كبيرة في الغايات والمقاصد بين تعليمات الافلا (2001 و2014) الأخرى.

فلقد هدفت تعليمات تعليمات 2001، لتشجيع المتعسرين قرائيا للوصول إلى المعلومات بنسبة 12.5%، وإتاحة (ديمقراطية) المعلومات بشكل يوازي باقي أفراد المجتمع (تكافؤ الفرص) بنسبة 12.5%.

بينما ركزت تعليمات الافلا لـ 2014 بنسبة 12.5% على تقديم قاعدة معرفية بالمصادر الأساسية وأمثلة عن أهم الممارسات الجيدة للمتعسرين قرائيا (تتمثل في 10 تجارب لمختلف الدول)، بالإضافة إلى اعتمادها كأداة استشارية من قبل خبراء المكتبات، تساعد المكتبين والموظفين والمسؤولين في خدمة الذين يعانون من صعوبات التعلم والقراءة، كما تساهم في تقديم معلومات عن عسر القراءة وأهم التحديات التي تواجههم.

غير أن هذا الاختلاف في الغايات والمقاصد لا يعني عدم توفرها ضمن متن التعليمات نفسها دون الإشارة إليها كأهم الغايات، حيث نجد توفر أهم غايات تعليمات 2014 ضمن متن الطبعة 2001 وتتمثل: في عنصر حاجة العاملين بالمكتبات إلى معرفة عسر القراءة، وعنصر مدارس المكتبات للدلالة على كونها أداة للمكتبين، كما أنها أداة استشارية من قبل الخبراء وأهمها قسم الخدمات المكتبية للأشخاص المعاقين،LSDP والمجموعة المهنية الدينماركية لخدمات المكتبات المتعددة Danish Professional Group of Outreach Library Service، والجمعية الأوربية لمتعسري القراءة EDA)، كما أنها تطرح ممارسة الأفراد المتعسرين

قرائيا من خلال الملحق 4، من خلال كتاب إستفان إكيجرن Staffan Ekegren، 1996 "لم أكن غبية بعد كل هذا: 13 معسر قرائيا بحاجة لمن يسمعهم"[33].

ونلاحظ أيضا أن تعليمات الافلا 2014 تشير إلى ديمقراطية المعلومات وحق المتعسرين قرائيا من خلال تضمين إعلان الأمم المتحدة العالمي لحقوق الإنسان، والذي يشير لحقوق الأشخاص ذوي الإعاقة، حيث ينص على أن "الأشخاص العاجزين عن قراءة المطبوعات لهم الحق في الوصول المتساوي إلى الكتب والمعرفة والمعلومات في نفس الوقت والتكلفة والجودة مثل أي شخص آخر". (اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الأشخاص ذوي الإعاقة، المادة 9، إمكانية الوصول) [34]، وعنصر حق القراءة كما تساهم في تشجيع المتعسرين للقراءة من خلال عرض أهم التجارب والممارسات المشار إليها (الملحق أ).

وبذلك نستنتج أن الهدف من التعليمات الإرشادية 2001، تحسيسية بأهمية المكتبات وتشجيع المتعسرين لتخطي مخاوفهم، والتأكيد على حقهم في الوصول والنفاذ للمعلومات.

بينما تهدف التعليمات الإرشادية 2014 لإرشاد المكتبين بمتطلبات والتفصيل في خدمات المكتبة وعرض أهم التجارب للتعلم والاستمرار بمساعدة هذه الفئة وعائلتهم.

عرض ومناقشة التساؤل الثاني: كيف عولج موضوع عسر القراءة من خلال التعليمات الإرشادية للافلا 2001/ 2014؟

- عسر القراءة والمصطلحات ذات العلاقة في ظل التعليمات الإرشادية للافلا 2014/2001.

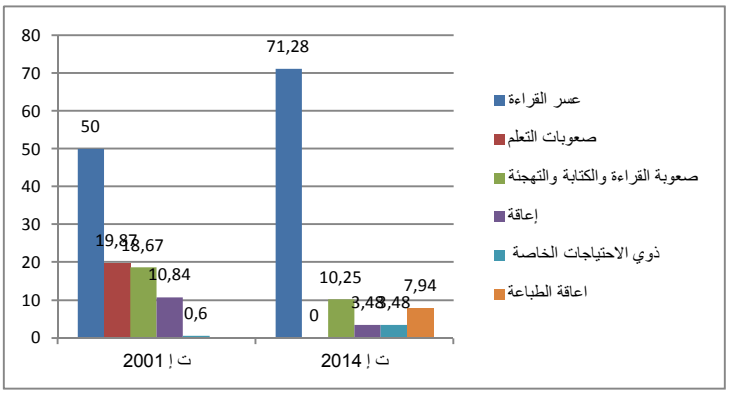

الشكل رقم 03: عسر القراءة والمصطلحات ذات العلاقة

يكشف الشكل رقم 03 من خلال قراءات النسب المئوية، بأن المصطلح الأكثر شيوعا واستخداما للدسلكسيا هو مصطلح عسر القراءة بنسبة 50% في التعليمات الإرشادية 2001، ونسبة 71.28% للتعليمات الإرشادية 2014 يليها استخدام مصطلح صعوبات التعلم بنسبة 19.87%، وصعوبة القراءة والكتابة بنسبة 18.67%، فمعاق بنسبة 10.84%، فذوي الاحتياجات الخاصة بنسبة 0.60% ضمن تعليمات الافلا 2001.

بينما اختلفت نسب استعمال هذه المصطلحات ضمن تعليمات الافلا 2014، حيث تم استعمال مصطلح صعوبة القراءة والكتابة (مشكلات) بنسبة 10.25%، يليه مصطلح إعاقة في الطباعة بنسبة 7.94%، فمصطلح معاق أو ذوي الاحتياجات الخاصة بنسبة 3.48%، يليه مصطلح صعوبات التعلم بنسبة 2,82%. ولقد تم استعمال هذا المصطلح بنسبة أقل كونه أشمل من عسر القراءة فهو "يشير إلى الاضطرابات التي

تؤثر على مجموعة من المهارات الأكاديمية والوظيفية، على سبيل المثال، القدرة على الكلام، والاستماع، والقراءة، والكتابة، والتهجئة، وتنظيم المعلومات..."[35].

وإن هذا الاختلاف في نسب المصطلحات المستعملة وتكراراتها هو دليل صريح لمحاولة الافلا ضبط هذه المصطلحات وفقا لأهميتها وارتباطها بعسر القراءة، حيث نلاحظ استعمالها لمصطلح إعاقة الطباعة وهو المصطلح الذي لم يتم الطرق له ضمن بيان الافلا 2001، رغم أنه من أهم المشاكل التي تعترض هذه الفئة، ما دفع الافلا إلى تضمين عنصر لحقوق النشر وكيفية التعامل مع طباعة النسخ لمساعدة المتعسرين قرائيا، كما نلاحظ انتماء هذه الفئة إلى المعاقين وذوي الاحتياجات الخاصة، رغم تصريح الافلا بذكاء المتعسرين قرائيا، لقولها" بأن "عسر القراءة لا يعني نقص الذكاء، بل إن كثيرا من المتعسري القراءة يمكنهم بعد تلقيهم المساعدات الخاصة، من خلال المدرسة، أو المعلم المتخصص، مواصلة الطريق في سبيل الحصول على الدرجات الجامعية"[36]، كما ذكرت تعليمات الافلا 2014، أشهر المتعسرين قرائيا المتميزين ومن أهمهم، نجد: جيمي أولفر، ريتشارد بارسون، أغاتا كرستي، جون ارفين، ستيف جوبز، كيرا نايتلي، جون لينون، ألبرت أنشطاين، بابلو بيكاسو، إينغفار كامبراد، كما يوضح الشكل الموالي:

الشكل رقم 04: أشهر الأشخاص المتعسرين قرائيا

مفهوم عسر القراءة في ظل التعليمات الارشادية للافلا2001/2014

الشكل رقم 05: مفهوم عسر القراءة

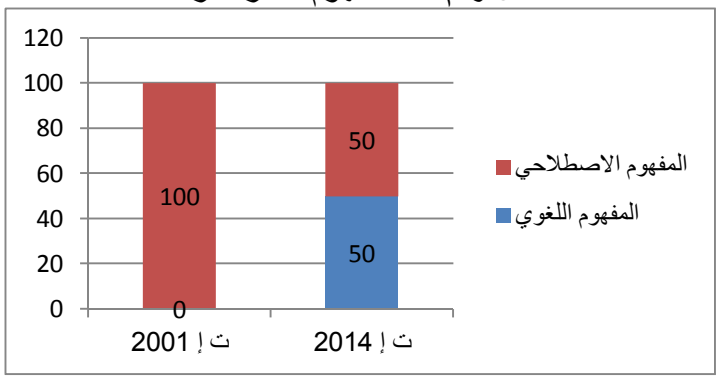

يعد تبيان مفهوم عسر القراءة من بين أهم مقاصد التعليمات الإرشادية لبيان الافلا، غير أننا نلاحظ من خلال الشكل أعلاه اقتصار تعليمات الافلا 2001 على التعريف الاصطلاحي، بينما تم تبيان المفهوم اللغوي والاصطلاحي لعسر القراءة ضمن تعليمات 2014.

وتعود أصول كلمة ديسليكسيا dyslexia أو عسر القراءة إلى أصول لاتينية ويونانية حيث أن dys تعني نقص، والكلمة اليونانية lexia والتي تعني الكلام، أو اللغة.[37]

ولقد لاحظنا بأن بيان الافلا 2001 و2014 قدما تعريفا اصطلاحيا للتعريف بهذا المصطلح حيث أكدت الافلا بأن عسر القراءة هو"مصطلح طبي، يعنى في العلوم التربوية للدالة على الصعوبات الخاصة

بالتعلم، حيث أن كليهما يشير إليه بأنه حالة خلقية، يرجع إلى اختلاف حاصل في نظام إرسال الجينات بمركز اللغة إلى الدماغ"[38].

وكما تعرض البيان لتعرف الجمعية البريطانية لعسر القراءة بأنه: "حالة عصبية معقدة، تتعلق بالبنية الصحية في الأصل. وقد تؤثر أعراضها على كثير من المجالات الخاصة بالتعلم ووظائفه، وربما يوصف التعسر، بأنه صعوبة ما في قراءة اللغة، وتهجئتها، وكتابتها. وان واحدا أو أكثر من تلك المجلات يمكن أن يكون عرضة للتأثير"[39]، وهذا ما أكدته الافلا من خلال مسردً المصطلحات والتعاريف المتعلقة بمجموعات العملاء ذوي الاحتياجات الخاصة (بانيلا، 2009). والذي يرى بأن "عسر القراءة هو اضطراب عصبي يتداخل مع اكتساب اللغة ومعالجتها، وبالتالي يتميز بمشاكل في القراءة والتهجئة والكتابة والتحدث و / أو الاستماع: عدم القدرة على تعلم القراءة والكتابة بشكل جيد على الرغم من الذكاء الطبيعي والمجهود الكافي "[40].و" يتوافق تعريف الإفلا مع تعريف جمعية عسر القراءة الأوروبية (EDA) التي تشير إلى الأصل العصبي لعسر القراءة وتأثيراته على التطور الأكاديمي والمهني (EDA، 2013) [41].

كما تؤكد الافلا بأن المتعسرين قرائيا هم الذين " يتلقون صعوبات تتعلق في معالجة اللغة، قراءة وحديثا. وبجانب ما يواجهونه من مشكلات تخص إتقان القراءة والكتابة والهجاء فإن كثيرا منهم يخلط ما بين تحديد الاتجاهات، والمتتاليات، وعلامات الفعل، والأحرف، والكلمات، والأرقام، حيث تبدو كلها متشابهة بالنسبة إليهم"[42]. والذي يتوافق مع تعريف جمعية عسر القراءة الدولية (IDA) والتي توصفه بأنها إعاقة التعلم القائم على اللغة (المؤسسة الدولية للتنمية، 2013)، بينما تشير جمعية عسر القراءة البريطانية (BDA) إلى التناقض بين المهارات اللغوية والقدرات المعرفية الأخرى[43].

وبهذا يتضح لنا بأن عسر القراءة يشمل بالإضافة إلى صعوبة القراءة، صعوبة التهجئة وصعوبة الكتابة وصعوبة اللفظ، والحساب، حيث قد يعاني المتعسر قرائيا مشكلة أو أكثر. نتيجة صعوبة المعالجة اللغوية لديهم، وهذا لا يعني أنهم أقل جهدا أو ذكاء من الغير. حيث يتميز المتعسرون قرائيا بالخصائص التالية:

- التشابه في الأحرف، الكلمات، الأرقام[44].
- القراءة بسرعة بطيئة.
- الاضطرار لقراءة كلمات أو مقاطع معينة مرتين أو ثلاث مرات.
- ميل إلى الضياع على الصفحة ثم الحاجة للبحث عن جملة كانوا يقرؤونها.
- بذل الكثير من الجهد في القراءة على مستوى الكلمة وبالتالي عدم استيعاب النص بالكامل.
- الصعوبات عند وضع الأفكار في الكلمات وصياغة الأسئلة بوضوح (الكتابة والتحدث).
- صعوبات إيجاد الكلمات.
- صعوبات عند أداء مهمتين في وقت واحد (مثل الاستماع وتدوين الملاحظات في نفس الوقت).
- صعوبات عند العمل تحت ضغط الوقت.
- خط رديء (ضعف الكتابة اليدوية).
- مشاكل عند الرجوع إلى معلومات مرتبة أبجديا.
- مشاكل التنقل في مبنى/ تحديد الاتجاهات[45].

أسباب عسر القراءة في ظل التعليمات الإرشادية للافلا 2014/2001

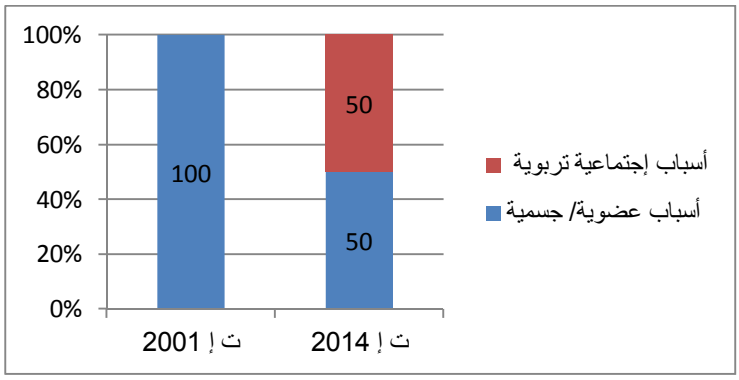

الشكل رقم 06: أسباب عسر القراءة

رغم أهمية هذا الاضطراب ومحاولة دراسته من قبل العديد من الباحثين فلا تزال أسبابه مجهولة، حيث نلاحظ من خلال الشكل السابق اتفاق كل من التعليمات 2001 و2014 بأن مشكلة عسر القراءة هو مشكلة عضوي، وهذا ما أكدته التعاريف السابقة للجمعية البريطانية لعسر القراءة، وجمعية عسر القراءة الأوروبية (EDA)، بالإضافة إلى مسردً المصطلحات والتعاريف المتعلقة بمجموعات العملاء ذوي الاحتياجات الخاصة للافلا. وجمعية عسر القراءة الدولية (IDA)، بالإضافة إلى العديد من الدراسات من أهمها:

دراسة باربرا بليسBliss, Barbara A، حيث توضح بأن أورتن Orton؛ هو أول من أعطى التسمية النهاية لعسر القراءة ضمن التاريخ الطبي، فمن خلال قيامه بفحص حوالي ثلاثة ألاف حالة تعاني من عسر القراءة

في مختلف الأعمار بين حوالي 1940/1920، حيث استعمل مصطلح عمى الكلمات، غير أن الملفت للانتباه أنه خارج القراءة فإن إدراكهم البصري والمكاني في حالة جيدة، كما لاحظ أن الأطفال يقومون بقلب الحروف عند القراءة وهذا ما دفعه إلى استعمال مصطلح "الاضطرابات الخاصة بالقراءة" ولقد أشار إلى الإصابة العصبية لهؤلاء الأطفال، فالخلل حسبه لا يعود في منطقة معينة بالمخ، ولكن فقدان الهيمنة لنصف الكرة المخية، وفي هذه الحالة إن النصف اليساري يفقد هيمنته المعتادة على النصف الأيمن، وقد يكون ناتجا عن أسباب وعوامل وراثية[46]، كما أكد بأن الأسباب النفسية والتربوية تزيد من حدة الاضطراب لكنها لا تكون المسبب الفعلي له[47].

كما تؤكد Kelli Sandman-Hurley [48] بأن عسر القراءة لا يعني أن المتعسرين يرون الحروف بالمقلوب، مثلb على أنها d، وإنما هم أشخاص يعانون من خلل في معالجة المعطيات الصوتية، ما يجعلهم مضطرين لتقسم الكلمة

إلى أجزاء لقراءتها وبالتالي يصعب عليهم مواكبة الآخرين، وتتفاوت درجة عسر القراءة بين الأفراد، كما أنه مرض وراثي فقط يصاب أحد أفراد العائلة الواحدة بمشكلة التهجئة بينما يعاني الأخر من صعوبة في فك رموز الكلمات، وهذا لا يعني أنهم أشخاص أغبياء وإنما فقط تتطلب رحلة القراءة وقتا أطول إلى أدمغتهم بسبب خلل عصبي، وإن هذا الاتجاه يتوافق مع بيان الافلا 2001 و2014 الذي يرى بأن عسر القراءة هو نتيجة صعوبات تتعلق بمعالجة اللغة، قرائيا وحديثا، بل ولقد ذهبت التعليمات الإرشادية 2014 إلى التأكيد بأن المشكل

الأساسي لعسر القراءة نتيجة لانخفاض مستوى الوعي الصوتي، حيث يرى ستانوفيتش (1986) بأن "المهارات الصوتية السيئة تعوق عملية القدرة على القراءة، ولكن نظرًا لأن القراء المتعسرون يعانون من صعوبات في كسر الشفرة الإملائية، يتأخر تطويرهم في التعرف على الكلمات"[49]. ويتمثل الوعي الصوتي في المهارات التالية[50]:

- الوعي بأن اللغة لها أصوات مختلفة.
- وعي القوافي.
- الوعي بأن الجمل يمكن تقسيمها إلى كلمات ومقاطع والصوتيات.
- القدرة على الحديث عن الأصوات والتأمل فيها ومعالجتها.
- • فهم العلاقة بين اللغة المنطوقة والمكتوبة.

ورغم أن الدراسات السابقة تؤكد ما جاء في بيان الافلا، بأن عسر القراءة من أصل طبي وهو ناتج عن عوامل جسمية وعقلية، فلقد تجاهل بيان 2001 الاضطرابات البيئة والعوامل التربوية والاجتماعية رغم اعترافه بما جاء في الجمعية الأوربية لعسر القراءة بأن عسر القراءة لا يعني نقص الذكاء، لتأتي تعليمات الافلا 2014 لتؤكد بأن عسر القراءة يمكن اعتباره مشكلة اجتماعية. من خلال المنظور الاجتماعي، حيث يرى هذا النموذج بأن عدم تكيف البيئة لاحتياجات المتعسرين قرائيا، هي ما تساهم في هذا الاضطراب، كون هذه الفئة والمجتمع يتحملان مسؤوليات؛ فإنهم يكتسبون الخبرة من تجاربهم الشخصية ويمكنهم اتخاذ قراراتهم بأنفسهم، وهذا ما تؤكده الباحثة خلفة سارة حيث تؤكد بأن البيئة التربوية من أهم أسباب عسر القراءة وتتمثل في[51]:

- تعجل المدرس في الكلام وتكليفه ما يفوق مستوى قدراته.
- شعور التلميذ بالفشل لعدم ملائمة العمل المدرسي له.
- الابتداء الفجائي في تعليم اللغة الفصحى، دون مراعاة للصلة بينها وبين الكلام الدارج ودون مراعاة التدرج في ذلك.
- استهزاء المدرس أو التلاميذ بالتلميذ الذي يتعثر في القراءة.

كما تضيف تعليمات الافلا 2014 تأثير اللغة على المتعسرين قرائيا، فوفقا لديفيس (2005)، فإن بعض اللغات الأبجدية لها ما يسمى بالتهجئة "الضحلة" بينما اللغات الأخرى لها تهجئة "عميقة". فتختلف اللغة الفنلندية المكتوبة اختلافًا كبيرًا عن اللغة الإنجليزية المكتوبة التي تبدو أنها أكثر تهجئة "عميقة" في العالم، حيث يجب أن يكون القارئ قادرًا على إجراء تجزئة إملائية لأحرف الكتابة متعددة الأحرف وغير المتسقة في كثير من الأحيان. لأن معرفة أصوات الحروف الأساسية ليست كافية لاستخدام المراسلات grapheme/phoneme (حرف/صوت) [52].

عرض ومناقشة التساؤل الثالث: هل اهتمت تعليمات الافلا 2014/2001 بالمكتبات العامة؟

الشكل رقم 07: أنواع المكتبات ضمن تعليمات الافلا 2014/2001

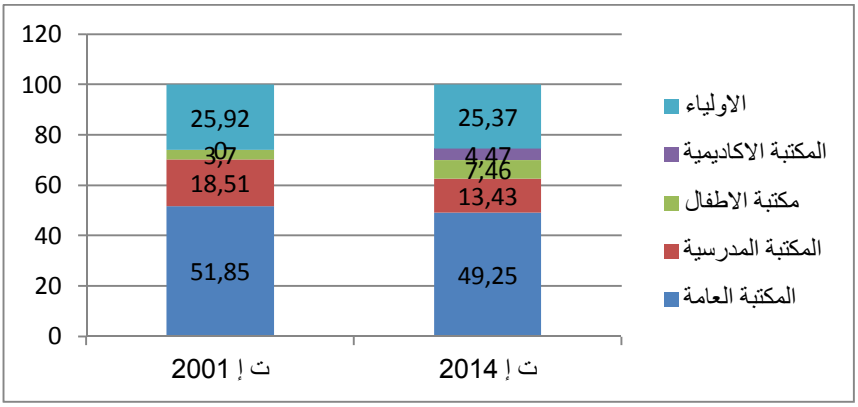

أكدت تعليمات الافلا بأن "الوصول إلى المعلومات هو حق من حقوق الإنسان يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالقراءة. والتي تمثل ضرورة اجتماعية واقتصادية في مجتمع تكون فيه اللغة المكتوبة مترسخة بعمق في الثقافة... وإن عدم القدرة على القراءة يزيد من خطر الإقصاء الاجتماعي بكل آثاره السلبية على المشاركة والتنمية وحتى الصحة"[53]. وهو يشمل أولئك المصابين بعسر القراءة، مع تفاوت درجاتهم"[54]، غير أن HAZEL RUTLEDGE يرى بأن " بزوغ فجر عصر المعلومات، وتركيزه على تمكين الجميع من الوصول واستخدام المعرفة، يضع الأشخاص المتعسرين قرائيا في وضع صعب"[55]، لتجد المكتبات نفسها أمام هذا المنعرج الحاسم مطالبة بمساعدة هذه الفئة من خلال توفير خدمات تضمن وصولهم واستعمالهم للمعلومات وفقا لاحتياجاتهم.

ومن هذا المنطلق وإيمانا بدور المكتبات في مساعدة المتعسرين قرائيا، اهتمت التعليمات الإرشادية 2001/ 2014 بعرض أنواع المكتبات وأهم خدماتها، ويتبين لنا من خلال الشكل أعلاه بأن المكتبة العامة احتلت المرتبة الأولى بنسبة 51.85% سنة 2001 وبنسبة 49.25% سنة 2014 بين باقي المكتبات، تليها الأولياء بنسبة 25.92% سنة 2001 و25.37 % سنة 2014، تليه مكتبة المدرسة بنسبة 18.51% لسنة 2001 و13.43 %لسنة 2014، فمكتبة الأطفال بنسبة 3.7% لسنة 2001 و7.46 %لسنة 2014، فالمكتبات الأكاديمية بنسبة 4.47% سنة 2014.

ويعزى هذا لان هذه التعليمات جاءت أساسا للتركيز على المكتبات العامة، مع إمكانية الهام باقي أنواع للمكتبات الأخرى، [56]نظرا لأهميتها كقوة حيوية في التعليم والمعلومات والثقافة...من خلال أن تكون متاحة للجميع. ..غير أن هنالك فئة من المواد والخدمات الخاصة التي يجب أن تعد من أجل تقديمها لولائك المستفيدين ممن يعجزن لأي سبب كان عن الإفادة من الخدمات التقليدية[57]. لتليه الأولياء؛ ولقد تم إدراج الأولياء ضمن أنواع المكتبات بهدف التأكيد على حاجتهم للمكتبات لمساعدة أنفسهم وأبنائهم كونه اضطراب وراثي، وفي هذا الإطار جاءت الحملة الدانماركية لتشيع الآباء الذين يعانون من عسر القراءة للقراءة لأطفالهم[58].

كما نلاحظ بأن كل من مكتبة الأطفال والمكتبات المدرسية من بين الأنواع المهمة لمساعدة هذه الفئة، كون أن الجهود المبكرة لمعالجة صعوبات القراءة والكتابة مهمة جدًا؛ لكي لا يصاب الأطفال بالإحباط

والمعانات جراء عدم قدرتهم على القراءة والكتابة والتهجئة، كما أضافت التعليمات الإرشادية 2014 المكتبات الأكاديمية كون أن بعض الأشخاص لا يتم تشخيصهم إلا بعد دخولهم الجامعة لتعاني المكتبات الأكاديمية من نفس التحديات التي تعاني منها المكتبات العامة في توفير الموارد والخدمات المناسبة وتطبيق التكنولوجيا الرقمية وفقا للقوانين لمساعدة هذه الفئة.

عرض ومناقشة التساؤل الرابع: ماذا بإمكان المكتبات العامة أن تفعله لمساعدة المتعسرين قرائيا في ظل التعليمات الإرشادية للافلا 2014/2001؟

الشكل رقم 08: ماذا يجب أن توفر المكتبات العامة للمتعسرين قرائيا

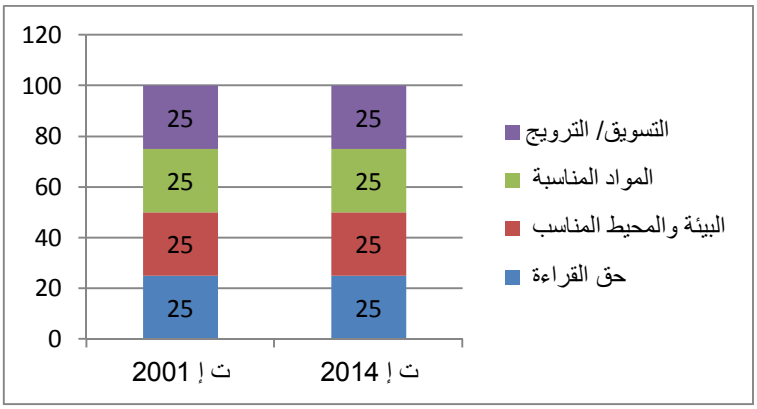

تقول أستريد ليندجرين Astrid Lindgren"أعط طفلي التعطش للقراءة، هذا ما أطلبه بقلب محترق، لأنني أود حقا أن يمتلك طفلي المفتاح في يده إلى أرض المغامرة حيث أجمل متعة متاحة للجميع"[59]، وإن هذا الأمل هو طموح كل عائلة ترى بأن طفلها الذكي لا يستطيع القراءة، بل ويكرهها، ليقع على عاتق المكتبات العامة عبء مساعدة المتعسرين للقراءة بإعادة بعث شغف وحب القراءة وحاجتهم إليها من خلال توفر جملة من المتطلبات، تتمثل وفق التعليمات الإرشادية للافلا بنسب متماثلة تقدر ب 25 %من خلال الشكل أعلاه في توفر[60]:

حق القراءة: ويتمثل في حق الوصول واستعمال المعلومات، من خلال:

- إتباع نهج متكامل يغطي جميع جوانب حياة الأشخاص الذين يعانون من عسر القراءة.
- الوعي ومعرفة عسر القراءة.
- تبني عددا من الاستراتيجيات بما في ذلك استخدام أدوات القراءة والكتابة المناسبة.
- عقد الشراكات والتعاون بين المكتبة والمنظمات التعليمية والشركاء في البلدية المحلية... والجمعيات المهتمة بالمتعسرين قرائيا.

البيئة والمحيط المناسبين: وتتمثل في تهيئة الفضاء المناسب، وعرضه بالطريقة المناسبة للمتعسرين قرائيا، حيث أكد بيان الافلا2001 (ملحق) بأن البيئة أحد أهم مفاتيح مساعدة هذه الفئة كونهم يرون بأن المكتبة التي لا توفر محيطا مناسبا تستحيل دهاليز مخيفة، حيث صرح أحدهم قائلا "... لقد كان معظم الناس الموجودين هناك – بالمكتبة من الشباب، لا أعتقد أنهم كانوا ينظرون إلى عندما ذهبت للكتب الناطقة الرابضة في وسط الغرفة، ما أيسر أن تكون قادرا على الوقوف في وسط المكتبة، تطالع...، لقد كان إيجادها أميرا ميسورا، لم تكن في زاوية مظلمة، ففي الزوايا المظلة أكتفي بنفس فقط، لماذا يقف المرء هناك مطالعا مثل هذه الكتب؟ ولكن هنا، أنا أقف في وسط الغرفة مثل أي شخص، لا أقف وسط الزخام، الشخص الكفيف

ملمحه عصاه..، والأصم لديه أدوات سمعية لمساعدته، أما مشكلتي فلا تظهر حتى أكتب أو أحاول القراءة، عندها يتحول إلى شعور عاطفي يتم بثه، إنهم يضنون أن الأمر واضحا منذ الصف الدراسي الأول، ربما قبل ذلك، ومن ثم يمكنهم التباهي بأطفالهم الأذكياء، لكن ما يحدث الآن، إنني كنت في المكتبة لبعض الوقت، اعتدت على ذلك، لقد وقفت بداخلها، أشعر أنها فسيحة وجميلة والكتب الناطقة كانت في منتصفها.."، وإن هذا يتوافق مع دراسة Mindy Syailah Nurthoyyibah Riche Cynthia Johan, &Hada Hidayat Margana. (2019) والتي تعرضت إلى تجربة مكتبة إندونيسيا التي بدأت في 2016 برعاية الأطفال الذين يعانون من عسر القراءة من خلال إنشاء ركن عسر القراءة Dyslexia Corner لتوفير البيئة والمحيط المناسب، ولقد لخصت التعليمات الإرشادية 2014 أهم الشروط الواجب توفرها لبيئة مناسبة كما يلي:

- توفير منطقة ملهمة سهلة القراءة، وأثاث مشجع للقراءة.
- عرض المواد وأدوات تكنولوجيا المعلومات في موقع مركزي بالقرب من مكتب المعلومات.
- عرض مقاطع فيديو تعليمية.
- تثبيت برامج للقراءة والكتابة على جميع أجهزة الكمبيوتر المكتبية.
- وضع أجهزة الكمبيوتر بالقرب من الكتب الصوتية والمواد الأخرى لتسهيل القراءة.
- توفير علامات ومخططات واضحة.
- توفير لافتات ورسومات توضيحية وملصقات سهلة القراءة على المواد وعلى الرفوف.
- عرض طرق مختلفة للقراءة: كالجمع بين الكتب وإصداراتها الصوتية أو daisy.
- عرض مقدمة الكتب وأقراص DVD وما إلى ذلك.

المواد المناسبة: إن من أهم أدوار المكتبات العامة هي توفير التجهيزات والمواد والمجموعات، وهذا ما أكدته كل من دراسة برين منتز Brianne Mintz (2018) ودراسة هازال روتليدج Hazel Rutledge (2012) حيث تؤكد بأن على المكتبات العامة توفير مختلف المواد المناسبة وبدرجات متفاوتة لفئة المتعسرين وعائلاتهم، بينما ذهبت تعليمات الافلا 2014 للتفصيل أكثر، حيث ترى وجوب توفير مواد بعناوين خيالية وغير خيالية بمستويات مختلفة من الصعوبة للتناسب مع اهتمامات وقدرات المتعسرين قرائيا، وفي هذا الإطار يجب توفر:

- معايير واضحة لاختيار المواد؛ كتجنب النصوص المكتوبة والكلمات الطويلة والألوان الصاخبة.
- عرض المواد بشكل يشد القارئ، من خلال توجيه غلافه للأمام.
- توفير الصور التوضيحية.
- توفير أدوات تكنولوجيا المعلومات.
- توفير موقع الكتروني للمكتبة.

التسويق/الترويج: يعد التسوق حلقة الربط بين احتياجات المستفيدين وخدمات المكتبة، ولذلك تعمل المكتبات العامة لتعزيز خدماتها من خلال التسويق، ورغم التعرض للترويج في بيان الافلا 2001 إلى أنه تم التأكيد عليه بالتفصيل في 2014 ذلك بتوفير:

- نشرة الترحيب الإرشادية: سهلة القراءة وغنية بالمعلومات، متوفرة في كل من الإصدارات المطبوعة والرقمية، وموزعة داخل وخارج المكتبة.

- موقع وكتالوج يسهل الوصول إليه.
- تنظيم مقهى مفتوح بشكل متكرر مع الدعم التكنولوجي وفرصة لمقابلة موظفي المكتبة ذوي المعرفة المتخصصة بعسر القراءة. سيمكن هذا النوع من الأحداث المستخدمين من التحدث إلى الأشخاص الذين يواجهون تحديات مماثلة.
- تنظيم دورات وأنشطة تدريبية حول مجموعة من الموضوعات ونوادي القراءة والرسائل الإخبارية الرقمية وكتاب الشهر سهل القراءة ودعم الواجبات المنزلية وجميع أنواع الأحداث.
- عقد شراكات للإعلان عن خدمات وأهمية المكتبات مع المدارس وجمعيات عسر القراءة.
- استخدم وسائل التواصل الاجتماعي مثل Facebook و youtube podcasts.
- استغلال وسائل الإعلام المختلفة: مثل الصحف المحلية والتلفاز... للإعلان عن خدمات المكتبات.
- الانضمام إلى الأحداث خارج المكتبة: قابل أشخاصًا يعانون من عسر القراءة.

عرض ومناقشة التساؤل الخامس: ما هي أهم الإمكانيات التي يجب توفرها ضمن المكتبات العامة لمساعدة المتعسرين قرائيا في ظل التعليمات الإرشادية للافلا 2014/2001؟

المواد والمجموعات الواجب توفرها بالمكتبات العامة ظل التعليمات الإرشادية للافلا 2014/2001

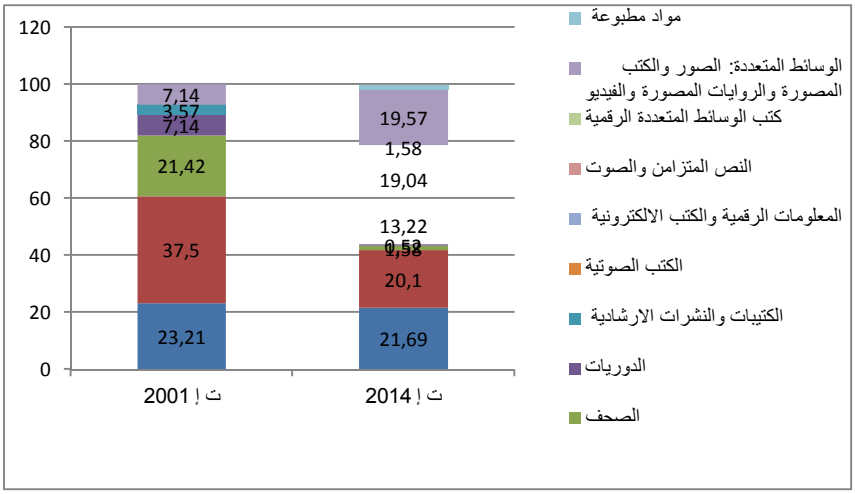

الشكل رقم 09: المواد والمجموعات الواجب توفرها بالمكتبات العامة

قدم الاتحاد الدولي لجمعية المكتبات ومؤسسات (الافلا) تصورا لأهم المواد الواجب إتاحتها للمتعسرين قرائيا، ونلاحظ من خلال الشكل أعلاه اختلافا بين الموارد المقترحة ب 2001 و 2014، رغم تأكيد كلا التعليمات بوجوب توفر كل من المواد السهلة القراءة بنسبة 23.21% / 2001، وبنسبة 21.69% سنة 2014 والكتب الناطقة بنسبة 37.5%/ 2001، وبنسبة 20.1%/ 2014، غير أننا نلاحظ بأن تعليمات 2001 ترى وجوب توفر الصحف بنسبة 21.42%، والدوريات والوسائط المتعددة بنسبة7.14 %، تليها الكتيبات والنشرات الإرشادية بنسبة 3.57%، بينما تؤكد تعليمات 2014 وجوب توفر الصور والكتب المصورة والروايات المصورة والفيديو بنسبة 19.57%، والمعلومات الرقمية والكتب الإلكترونية بنسبة 19.04%، فالكتب الصوتية بنسبة 13.22%، تليها كل من النص المتزامن والصوت وكتب الوسائط

المتعددة الرقمية والصحف، والمواد المطبوعة بنسبة1.58%، بالإضافة إلى توفير الدوريات بنسبة 0.52%.

ويعود هذا الاختلاف في المواد، لاختلاف المشاركين في إعداد وثيقة التعليمات الإرشادية 2001 و 2014، والاستفادة من مختلف الخبرات المكتبية وجمعيات عسر القراءة وذوي الاحتياجات الخاصة والإعاقة في الطباعة لرصد أهم المواد الواجب توفرها لمساعدة هذه الفئة، والمتمثلة أهمها في كتب Daisy المطبقة في اليابان وهولندا، كونها كتب ناطقة أو نصوص محوسبة، تسمح بخاصية العرض التزامني للنص والتسجيل الصوتي للمنتج وفقاً لمعايير ديزي. DAISY كما يمكن أن يتم نشر المواد العلمية على إسطوانات CD/DVD أو بطاقات ذاكرة، أو من خلال شبكة الإنترنت، كما يمكن قراءة هذه المواد من خلال الحواسب الشخصية، وذلك باستخدام برامج إعادة الاستماع الخاصة بديزي DAISY والهواتف المحمولة والمساعدات الرقمية الشخصية... PDA[61].

التجهيزات الواجب توفرها بالمكتبات العامة في ظل التعليمات الإرشادية للافلا 2014/2001

وإن الحديث عن الموارد يجب أن يواكبه الحديث عن أهم التجهيزات والتقنيات الواجب توفرها بالمكتبات العامة لمساعدة المتعسرين قرائيا والمتمثلة في الشكل الموالي:

الشكل 10: التجهيزات الواجب توفرها بالمكتبات العامة

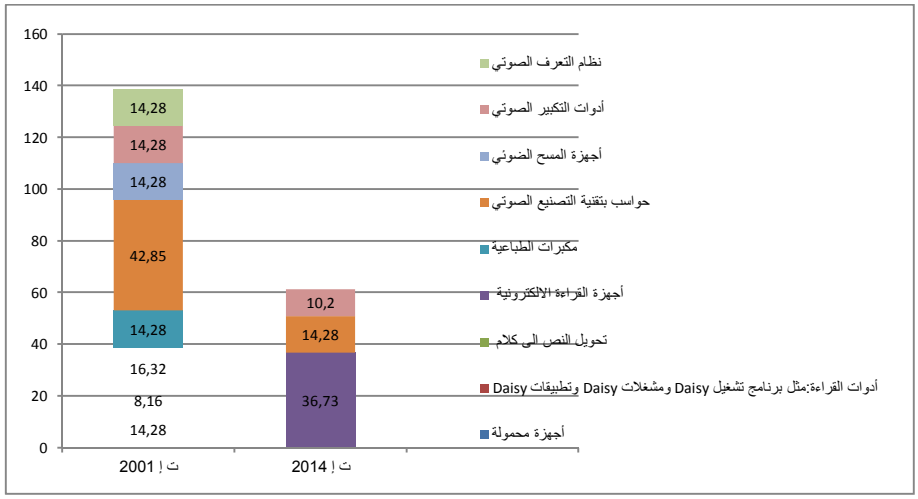

يكشف التحليل لفئة التجهيزات ضمن تعليمات الافلا، اختلافا واضحا بين تعليمات 2001 و 2014، حيث يظهر جليا تركيز تعليمات الافلا 2001 على وجوب توفر الحواسيب بتقنية التصنيع الصوتي بنسبة 42.85% والمكبرات الطباعية وأجهزة المسح الضوئي والتكبير الصوتي، التعرف الصوتي بنسبة14.28%، في حين ركزت تعليمات الافلا 2014 لوجوب توفر أجهزة القراءة الإلكترونية بنسبة 36.73%، بالإضافة إلى وجوب توفر أجهزة تحويل النص إلى كلام بنسبة 16.32% وتوفير حواسب بتقنية التصنيع الصوتي بنسبة 14.28% والماسح الضوئي بنسبة 10.20%.

ويتبين لنا من خلال الشكل عدم تركيز تعليمات الافلا 2001 على التجهيزات الضرورية الواجب توفرها ضمن المكتبات العامة، بينما تداركت التعليمات المزيدة والمنقحة 2014 ذلك بعرض أهم التكنولوجيات والتقنيات الواجب توفرها بتفصيل أكبر، ورغم كل المعلومات والوسائل القيمة فإننا لم نجد

إشارة لضرورة توفر تقنية الهوليغرام والتي تسمح بدمج النص بشكل ثلاثي الأبعاد والكتابة والصوت والفيديوهات لفهم واستيعاب وتجسيد الكتابة وإعادة إرسالها عبر خاصية التعرف على المواقع إلى المستفيد دون تواجده في المكتبة. ما يساعد على كسر حاجز الخوف والقلق من استخدامه للأجهزة أو طلبه لمساعدة المكتبي، رغم الإشارة إلى الواقع المعزز والافتراضي من خلال نظام daisy والمواقع الالكترونية وخدمات الإنترنت.

عرض ومناقشة التساؤل السادس: ما هي خصائص ومتطلبات المكتبين التي يجب توفرها ضمن المكتبات العامة لمساعدة المتعسرين قرائيا في ظل التعليمات الإرشادية للافلا2014/2001؟

الشكل 11: خصائص ومتطلبات المكتبين التي يجب توفرها ضمن المكتبات العامة لمساعدة المتعسرين قرائيا

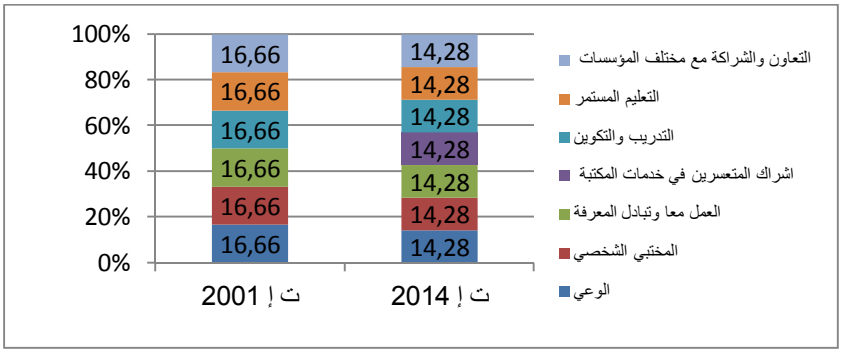

لقد نقل بيان الافلا 2001 ضمن ملحقه 4 وجهة نظر المتعسرون قرائيا من المكتبة، وهي نظرة أليمة تتمثل في إحساسهم العميق بالفشل وعدم القدرة على ارتياد الكتبة، وقد صرح أحد المتعسرون "أنا لا أزور المكتبة، بسبب أنني لا أريد أن أتحمل مزيدا من الإخفاق أو الفشل"، كما صرح أخر المكتبات مكان عتيق ذوي غرف ضيقة، إنها أماكن مظلمة، تعج بالكتب من الأرض إلى السقف، كما الحال في مكتبة المدرسة، حيثما كان يجلس المدرس، ومنذ ذلك الحين وأنا لا أذهب قط إلى مثل هذا المكان..."، وتصريح أخر "... لم أكن أستطيع رؤية السطر الذي ينبغي أن أتابعه، لم أكن أستطيع ممارسة القراءة ودون أن ينبت ببنت شفة، قام المكتبي بتحويل شاشة الحاسوب الآلي اتجاهي، هل كان يتوق أن أنظر إليها؟ ولماذا؟ هل تعرض الشاشة بيانات الكتب التي طلبتها؟ ثم قال، فضلا، اقرئي البيانات المعروضة ثم سجلي هنا أي الكتب تريدين. الكتب؟ هذا يذكرني عندما كنت طفلة لا تعرف الساعة، وكنت أضطر للسؤال عن الوقت"[62].

ولقد ذهب المتعسرون بهولندا برفع شعار أنا أكره القراءة! ما صدم العديد من المكتبين، رغم اعترافهم لاحقا بأن المتعسرين يكرهون فعل القراءة لا القراءة ذاتها[63]، وبالتالي يقع على المكتبي عائق إيجاد الاستراتيجيات والطرق المناسبة وامتلاك جملة من الخصائص والكفاءات لمساعدة القراء.

وتؤكد معطيات الشكل أعلاه وجوب توفر جملة من الخصائص والشروط تتمثل أهمها في الوعي والتعاون وتبادل المعرفة بين المكتبين وبين المتعسرين، بالإضافة إلى وجوب توفر التدريب والتأهيل المناسب والتعليم المستمر وإعداد شراكات مختلف المؤسسات (الجمعيات، المدارس، الأسرة، الإعلام...) وتقديم خدمة المكتبي الشخصي بنسبة 16.66% لتعليمات 2001، وبنسبة 14.28% بتعليمات 2014، بينما أضافت هذه الأخيرة ضرورة إشراك المتعسرين في الخدمات المكتبية بنسبة 14.28%.

ويتوضح لنا من خلال الشكل وتحليل البيانات بأن أهم صفة ركزت عليها التعليمات الإرشادية وخاصة ب 2014 هي "الوعي "، فهي الصفة الأساسية للمكتبين، كونها نقطة الاتصال الأولى لتطوير الخدمات والاستراتيجيات واتخاذ القرارات، ومع ذلك، غالبًا ما يشتكي الآباء والموظفين الذين يعملون من نقص العاملين المتخصصين لخدمة المتعسرين قرائيا، ما يفرز الحاجة إلى تبادل المعرف لإدراك الاحتياجات الأساسية على الأقل لمساعدة هذه الفئة وان تبادل المعارف قد لا يقتصر على المكتبين والمتخصصين وإنما أيضا بين المكتبين والمتعسرين وبين المتعسرين أنفسهم حيث تشجعهم المكتبة على مساعدة بعضهم وتقديم ورشات بأهمية المكتبة وكيفية استخدامها للوصول إلى المعلومات، ما يقود إلى ضرورة التكوين وتدريب الموظفين حول كيفية التعامل ومساعدة المتعسرين قرائيا، أو توجيههم إلى المتخصصين، كما تشير تعليمات الافلا 2001 و 2014 أن هذه الفئة تحبذ المرافقة وخدمة المكتبي الشخصي لخلق شعور بالأمان لطرح أسئلتهم واحتياجاتهم بهدف تسهيل الوصول إلى المعلومات المناسبة وفقا لقدراتهم. وهذا ما ذهبت له دراسة برين منتز Brianne Mintz من خلال التأكيد على وجوب توفر المكتبيين المدربين والخاصين لمساعدة هذه الفئة.

وان الحديث عن كفاءات المكتبين والموظفين يقودنا إلى ضعف البرامج التكوينية للمكتبين واختصاصي المعلومات حول ذوي الاحتياجات الخاصة مثل الأشخاص الذين يعانون من عسر القراءة. فغالبًا ما تنظم مدارس المكتبات عددًا قليلاً من المحاضرات أو الندوات حول احتياجات مجموعات مختلفة من القراء، وتؤكد تعليمات الافلا بأن الدورة العادية المدمجة في المناهج الدراسية أكثر فعالية. كدعوة شخص مصاب بعسر القراءة للتحدث إلى طلاب المكتبات حول ما يرغب في أن توفره المكتبة من حيث المواد والخدمات"[64]. بالإضافة إلى منظمات عسر القراءة والمكتبات المتخصصة.

ومن بين أهم الخصائص التي ركزت عليها تعليمات الافلا 2001 و2014 هي التعليم مدى الحياة، وهذا ما أكده Roy TENNAUT حين قال " الكل يريد أن يجد إلا المكتبي يريد أن يبحث"[65]، فإن المكتبي في سباق مع انفجار المعلومات والاتصالات، ما يجعله في بحث دائم لاكتساب مهارات جديدة والتأقلم مع متطلبات العصر، من خلال مختلف الورشات والملتقيات والندوات لمشاركة الخبرات وأفضل الممارسات واكتشاف الحلول الملهمة لخدمة المتعسرين قرائيا. ولقد لخصت التعليمات الإرشادية 2014 أهم النصائح للعاملين بالمكتبات العامة في النقاط التالية[66]:

- كن حساسا فيما إذا كان الشخص المصاب بعسر القراءة مهتمًا بالحديث عن صعوباته في القراءة وضبط الخدمة وفقًا لهذا الانطباع.
- التأكيد من استخدام مواد أخرى غير الكتب، مثل الأفلام والكتب الصوتية والكتب DAISY والموسيقى والألعاب والأحداث والمواد سهلة القراءة وأدوات القراءة.
- أخبر المستخدمين بالخيارات التي لا يمكنهم رؤيتها، مثل الموارد الرقمية.
- تقديم جولة شخصية وتوجيههم إلى الرفوف والمناطق ذات الصلة.
- عرض فترات الاستعارة.
- توفير منطقة في نصف المكتبة للمتعسرين.
- إعلام المستخدمين الجدد بكيفية ترتيب المواد.
- إظهار أنواع مختلفة من المواد.
- الإشارة إلى أن بعض المواد متوفرة أيضًا ككتاب صوتي أو كتاب DAISY.
- عرض وشرح الصور التوضيحية.
- عرض الأقسام ذات الصلة من موقع المكتبة على الإنترنت.

- إعلام المستخدمين بالخدمات عبر الإنترنت ذات الصلة وإظهار كيفية استخدامها. مع وضع جملة من الاعتبارات تتمثل في:
- ما قد يصلح لشخص ما قد لا يكون مفيدًا للشخص التالي.
- انتبه إلى نقاط القوة لدى المستفيد ولا تركز فقط على نقاط الضعف.
- كن إيجابيًا واقبل الحلول المقترحة من قبل المستخدم (المستخدمين).
- المفتاح هو التمتع بالقراءة وليس العلاجات لظروف معينة.
- يختلف دور موظفي المكتبة عن دور المعلمين ذوي الاحتياجات الخاصة أو التربويين

الخاتمة:

لقد صرح BILL Placek بأن المكتبات العامة " مفهوم وليس مكانا"[67]، فرغم أنها مكان لتنظيم وإتاحة المعلومات، فقد تبدوا دهاليز للمتعسرين قرائيا إذا لم تتوفر على مجموعة من المواد والتجهيزات والعاملين المؤهلين لمساعدة هذه الفئة، ومن هذا المنطلق جاءت التعليمات الإرشادية بهدف إلهام المكتبين والمتخصصين عن طريق تبادل تجاربهم وممارساتهم للوصول إلى حلول واستراتيجيات لخدمة المتعسرين واستيعاب أهم احتياجاتهم وخدماتهم ومخاوفهم، ولقد جاءت أول محاولة لنشر مثل هذه التعليمات في 2001 تبعها تنقيح وتوسع في 2014، ولقد أتاحت لنا هذه الدراسة من التوصل إلى النتائج التالية:

- غياب الاهتمام بفئة الشكل (الصور، العناوين الفرعية) ضمن تعليمات 2001 وتداركها في 2014 يؤكد أهميتها في توصل المضمون.
- عسر القراءة اضطراب يعاني منه 8 % من سكان العالم، وهو اضطراب وراثي عصبي، قد يختلف في حدته وحتى مشاكله.
- المكتبات بأنواعها، والمكتبات العامة خاصة مسؤولة على تكافؤ الفرص وإتاحة المعلومات للمتعسرين قرائيا.
- يشترط توفير البيئة والمحيط المناسب لمساعدة المتعسرين.
- يشترط توفير الموارد المناسبة الناطقة منها والبصرية... لمساعدة هذه الفئة.
- يجب توفير مواد خيالية وأخرى غير خيالية بصعوبات متفاوتة.
- التكنولوجيا ليست الحل الوحيد والمناسب للجميع، وإنما يجب اعتمادها ضمن استراتيجيات مساعدة المتعسرين قرائيا.
- توفير التجهيزات المناسبة لقراءة الموارد، وتوفير الراحة للمتعسرين قرئيا.
- وعي العاملين (بمشاكل المتعسرين، وخدمات المكتبة، حقوق النشر القانونية...) هو العامل الأساسي لمساعدة المتعسرين قرائيا.
- تبادل ومشاركة المعارف بين المكتبين والمتخصصين والمتعسرين.
- توفير خدمة المكتبي الشخصي.
- التسويق والإعلان بمختلف الطرق داخل وخارج المكتبة عن خدماتها.
- التعلم مدى الحياة والتدريب والتأهيل وتطوير البرامج مطلب ضروري لخدمات أفضل.

الهوامش:

[1]- بولعشار مرسلي، المكتبات العمومية ودورها في تنشئة جيل يقرأ، مجلة التعليمة، مج5، ع16، 2018، 210. (يوم الزيارة 12.06.2020) متاح على العنوان: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/68015

[2]- Naimi, Nabila. Today A Reader Tomorrow A Leader: Fostering The Students' Notion Of Reading For Enjoyment In The Contemporary Literature Classroom .2019. en line https://www.researchgate.net/publication/330203276_TODAY_A_READER_TOMORROW_A_LEADER_FOSTERING_THE_STUDENTS'_NOTION_OF_READING_FOR_ENJOYMENT_IN_THE_CONTEMPORARY_LITERATURE_CLASSROOM

[3]- هدفي حليمة بوشاقور، المطالعة لدى المتحررين من الأمية: دراسة ميدانية بمركز محو الأمية ببلدية قسنطينة، رسالة ماجستير غير منشورة في (علم المكتبات)، جامعة قسنطينة، الجزائر، 1998، ص 22.

[4]- Society for Neuroscience , Dyslexia: What Brain Research Reveals About Reading, 2004, (Visited 09/07/2020). URL: http://www.ldonline.org/article/10784/

[5]- Brianne Mintz,.. Creating Dyslexic-Friendly Children's Libraries, ,2018 (Visited 09/06/2020).URL: http://www.ala.org/everyday-advocacy/creating-dyslexic-friendly-children%E2%80%99s-libraries

[6]- Gyda Skat Nielsen, Library Services to Persons with Dyslexia,IFLA,2006, (Visited 07/05/2020).from url: https://archive.ifla.org/IV/ifla72/papers/101-Nielsen-en.pdf

[7]- Society for Neuroscience,op-cit

[8]- Tunmer1 W and Greaney K ,Defining Dyslexia,2010, (Visited 09/05/2020), From : https://pdfs.semanticscholar.org/3ab0/f8016e0635bd0859db413c4c9805a27e07ff.pdf

[9]- HAZEL RUTLEDGE, Dyslexia: challenges and opportunities for public libraries,2002,p135, (Visited 09/04/2020).from url: https://journals.sagepub.com/doi/abs/10.1177/096100060203400302

[10]- Protopapas, A, Evolving Concepts of Dyslexia and Their Implications for Research and Remediation, Frontiers in Psychology,2019,(Visited 09/03/2021).from url: https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC6930188/#B12

[11]- ديفيد جرانت، هكذا أفكر: عسر القراءة واضطراب التأزر الحركي: الديسليكسيا والديسيراكسيا، ترجمة عبلة أحمد بصة، أبوظبي، 2012، (يوم الزيارة: 14/ 03/ 2021)، متاح على الموقع: https://www.dopdfwn.com/cacnretra/scgdfnya/alkottob-com-pdf-0RK0Y9R.pdf

[12]- Dyslexia: Implications for Learning, (Visited 04/04/2020), from url: https://www2.unb.ca/alc/modules/dyslexia/implications-for-learning.html

[13]- Society for Neuroscience, op-cit.

[14]- عيواج صونيا، ليليى مدور، المحددات الأساسية لعسر الحساب لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية، في إدريس محمد صقر جرادات، جمال بليكاري، أمزيان وناس(معدون)، صعوبات التعلم الأكاديمية (المفهوم، العوامل، التشخيص، العلاج)، [د.م]، مركز الشرق للأبحاث والثقافة،2020، ص128.

[15]- Bliss, B. A. (1986). Dyslexics as Library Users, (Visited 04/04/2020), from url : https://www.ideals.illinois.edu/bitstream/handle/2142/7474/library..?sequence=1

[16]- Rutledge, H. (2002). Dyslexia. Journal of Librarianship and Information Science, 34(3), 135–144, (Visited 04/04/2020).,from url: https://doi.org/10.1177/096100060203400302.

[17]- Brianne Mintz,op-cit.

[18]- Syailah Mindy, Johan Riche, Hada, Margana Hidayat , Library in Dealing with Children with Learning Difficulties:2019, (Visited 01/04/2021), from url. Dyslexia.,https://www.researchgate.net/publication/337532282_Library_in_Dealing_with_Children_with_Learning_Difficulties_Dyslexia

[19]- اليونسكو، المكتبات العامة، 1994، (يوم الزيارة: 2020/05/14)، متاح على الموقع:
https://www.ifla.org/files/assets/public-libraries/publications/PL-manifesto/pl-manifesto-ar.pdf.

[20]- Gyda Skat Nielsen , Birgitta Irvall, Guidelines for Library Services to Persons with Dyslexia, IFLA Professional Reports, Nr. 70,2001,(Visited 04/04/2020).,from url https://archive.ifla.org/VII/s9/nd1/iflapr-70e.pdf.

[21]- Ibid.

[22]- موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، دار القصبة، الجزائر، 2006، ص 97.

[23]- عبد الحميد محمد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، دار الشروق، جدة،1983، ص16.

[24]- موريس أنجرس، المرجع السابق، ص 318.

[25]- مركز الافلا للمكتبات الناطقة باللغة العربية، عن الافلا، (يوم الزيارة: 2020/05/14)، متاح على الموقع:
https://www.bibalex.org/ifla-casl/about/about.aspx

[26]- Gyda Skat Nielsen and Birgitta Irvall,op-cit.

[27]- مورس انجروس، المرجع السابق، ص149.

[28]- Daniel Engber, How Did English Get To Be The International Language Of Science? 2013, (Visited 12/06/2020),from url: https://www.popsci.com/article/science/fyi-how-did-english-get-be-international-language-science/?src=SOC&dom=fb.

[29]- Elite Editing, What are headings and why are they important?, 2015, (Visited 09/06/2020),from url: https://www.eliteediting.com.au/what-are-headings-and-why-are-they-important/.

[30]- قرشوش أسماء، معايير المعالجة الصحفية للثورات العربية في الصحافة المكتوبة الجزائرية (دراسة تحليلية)، مجلة العلوم الاجتماعية، ع 23، 2016، (يوم الزيارة 2020/06/08)، متاح على الموقع:
https://www.asjp.cerist.dz/en/article/14059

[31]- Dorrance G, Drawing on Success: The Importance of Illustrations, 2014, (Visited 09/04/2020).from url: https://www.dorrancepublishing.com/drawing-success-importance-illustrations/ https://www.dorrancepublishing.com/drawing-success-importance-illustrations/

[32]- Gyda Skat Nielsen and Birgitta Irvall, op-cit.

[33]- ibid.

[34]- Ifla, IFLA Guidelines for Library Services to Persons with Dyslexia: Revised and extended, 2014, (Visited 04/04/2020). fromurl: https://www.ifla.org/files/assets/lsn/publications/guidelines-for-library-services-to-persons-with-dyslexia_2014.pdf

[35]- بيلا نانسي ماري، الخدمات المكتبية المقدمة لذوي الاحتياجات الخاصة: قائمة مصطلحات وتعريفات، ترجمة احمد سعيد سالم ومحمود شريف زكريا، الافلا، (يوم الزيارة: 2020/05/22)، متاح على الخط:
https://www.academia.edu/10316328/

[36]- Gyda Skat Nielsen and Birgitta Irvall, op-cit.

[37]- Ifla, op-cit.
[38]- Gyda Skat Nielsen and Birgitta Irvall, op-cit.
[39]- ibid.
[40]- Ifla , op-cit.
[41]- ibid.
[42]- Gyda Skat Nielsen and Birgitta Irvall, op-cit.
[43]- Ifla, op-cit.
[44]- Gyda Skat Nielsen and Birgitta Irvall, op-cit.
[45]- Ifla, op-cit.
[46]- حطراف نور الدين ودرومان محمد، اقتراح برنامج تربوي لعلاج عسر القراءة لدى تلاميذ السنة الثالثة ابتدائي بمدارس معسكر، مجلة الجامع في الدراسات النفسية والعلوم التربوية، مج 2، ع7، 2017، متاح على الموقع:
https://www.asjp.cerist.dz/en/article/34533
[47]- BARBARA A. BLISS, op-cit.
[48]- kelli_sandman hurley, what_is_dyslexia, (Visited 09/06/2020),from url : https://www.ted.com/talks/kelli_sandman_hurley_what_is_dyslexia/transcript
[49]- Ifla, op-cit.
[50]- ibid.
[51]- خلفة سارة، تشخيص ذوي صعوبات تعلم القراءة، مجلة مقاربات، مج1، ع29، ص245.
[52]- Ifla, LSN andLPD, op-cit.
[53]- ibid.
[54]- Gyda Skat Nielsen and Birgitta Irvall, op-cit.
[55]- HAZEL RUTLEDGE, op-cit.
[56]- Ifla, op-cit.
[57]- Gyda Skat Nielsen and Birgitta Irvall, op-cit.
[58]- Ifla, op-cit.
[59]- ibid.
[60]- ibid.
[61]- بيلا نانسي ماري، المرجع السابق.
[62]- Gyda Skat Nielsen and Birgitta Irvall, op-cit.
[63]- Ifla, op-cit
[64]- Gyda Skat Nielsen and Birgitta Irvall, op-cit.
[65]- Best Quotes About Libraries Librarians and Library and Information Science, (Visited 09/07/2020).from url: https://www.librarianshipstudies.com/2018/05/quotes-libraries-librarians-library-information-science.html.
[66]- Ifla, op-cit.
[67]- lacek ,BILL. The library is not a place, it's a concept. TEDx Talks. (Visited 09/04/2020), From url: https://www.youtube.com/watch?v=ES0zGUvZj5s.

Référence :

[1]- E. Goffman, *Les rites de l'interaction***,** Minuit, Paris**,** 1974.
[2]- MAINGUENEAU, D *, Initiation aux méthodes de L'ANALYSE DU DISCOURS Problèmes et perspectives.* Hachette.Paris .1977. P147.
[3]- Pour voir l'émission, voici le *lien de You tube : www Emission : Culture Club - canal Algérie - 27 novembre 2011.*
[4]- DUCROT, O. *Le Dire et le Dit,* Minuit. Paris, 1984 , P 174.
[5]- KERBRAT-ORECCHIONI, C. *Les interactions verbales t1.* Armand Colin.Paris,1990 .P.64
[6]- TRAVERSO. Ibid. P23.
[7]- TRAVERSO, V. Nathan. Paris, 1999. P 22.
[8]- KERBRAT-ORECCHIONI C., *Le discoures en interaction*, Armand Colin*,* Paris, *2005*. P 27.
[9]- BANGE, P, Analyse conversationnelle et théorie de l'action. Didier. Paris, 1992.
[10]- TRAVERSO, V, 1999. P 25.
[11]- MONDADA.L. (*Projet inCORPORaction .Réincorporer le langage en interaction action.* (2011, sept).
[12]- DUCROT, O. *Le Dire et le Dit,* Minuit. Paris, 1984 , P 174.

F120: « (in cha Allah ↓ (*si Dieu le veut*)) si tout va bien, c'est une pièce que je (montrai)

A côté des aspects linguistiques tel que le déclaratif exprimé dans la phrase du réalisateur Haddad:

M30: « je suis en train de préparer un film …», et le déclaratif affirmatif de F. Saichi**:**

F89 : « oui ⁄ Moussa Haddad est un maestro pour moi ⁄ ». L'autre facteur temporel qui existe aussi c'est celui de la distribution des temps verbaux. L'agir se repartit sur l'axe de temps qui couvre le passé:

Haddad: «J'ai fait énormément de films».

Et pour marquer son identité, l'interlocuteur ne donne pas une importance iniquement au corps, mais également à sa voix .Le corps c'est aussi la voix qui lui renforce sa réalité. Ainsi, dans notre débat, nous pouvons repérer la différence des voix entre M. Haddad et Ourdache vu les fonctions qu'ils occupent dans ce domaine. Par exemple, le niveau phraséologique, entre ces deux personnalités à travers des indices linguistiques nous montrent la manière d'être mal à l'aise pour Ourdache : «O154**:** je ne sais pas↑⁄», ou d'être décontracté pour le cas du réalisateur Haddad : « M98: d'accord, vous insistez (rire) \ ».

Conclusion

Nous pouvons dire que le débat télévisé est un espace discursif dans lequel les participants se rencontrent afin de s'influencer, de se donner une image de soi valorisante, tout en étant contrastée par les autres images qui se renvoient dans le débat et produire une réalité sociale dans laquelle ils vivent.

Analyser les interactions médiatiques montre un type de relation qui peut avoir une dimension contractuelle entre les interactants. C'est un contrat de communication qui se crée basé sur des normes et des conventions qui permettront aux interactants de se comprendre et de donner sens au débat. L'interaction est exercée par les participants grâce à un comportement discursif et au sein d'un cadre de contraintes et d'oppositions. Dans le débat, les débattants conduisent les téléspectateurs à construire une représentation sur les participants par le biais de l'argumentation ou de l'activité discursive.

A50: [M. Haddad hein (?) =on passe *des* **«** *enfants de novembre* **»** aux **«** *vacances de l'inspecteur taher* **»** par la même occasion vous êtes pratiquement je le disais le réalisateur non pas seulement de la tendresse mais de l'insaisissable(?)*/»*

Dans ce débat, les échanges témoignent des positionnements identitaires : ce sont des images de soi et de l'autre qui sont négociées. Chacun des participants veut nous dire " qui est il et qui sont ils (les participants)".

F104: **«…** donc, [rire] alors + alors ce qui fait que c'est vrai que comme+ ma carrière a débuté par un très grand rôle grâce bien sûr à Rachid Ben Allal heu *« un toit, une famille»***».**

O134 : **«…**j'ai eu de la chance de travailler avec Olivier Assayas. c'est l'un des plus grands réalisateurs en ce moment en Europe*/»*.

Souvent cette définition de soi a pour conséquence une présentation négative ou une dévalorisation de l'autre (incarner la différence):

O145: « je ne sais pas ↑*/»*, ca prouve qu'il n'était pas en mesure de coordonner avec Saichi.

Donc, l'essentiel est de se singulariser face aux autres.

Celui qui use de la représentation négative des autres, montre aussi paradoxalement ses propres qualités. C'est aussi une stratégie utilisée pour se présenter.

Nous voyons dans ce débat que les arguments qu'utilisent les débattants sont donnés sous forme de choix ou de sentiments qui ont pour objectif de donner des esquisses sur leur image. Donc la construction de l'image passe par des comportements qui sont considérés comme des situations argumentatives.

Ce qui caractérise linguistiquement ses répliques : la présence des déictiques temporels, (Ducrot, 1984, 174) car *« tout énoncé apporte avec lui une qualification de son énonciation »* et des verbes d'action .L'agir est fort présent avec M. Haddad dans:

M22 « j'ai fait énormément de films *»*[12].

Notre objet d'analyse donne, à travers les répliques dégagées, l'image de ces artistes.

Le choix du lexique a aussi un rôle à jouer dans ces situations énonciatives, et il est toujours lié au thème qui fait partie prenante de la situation de communication qui relie l'énoncé à l'énonciateur : le réalisateur Haddad utilise d'un côté une langue familière à l'auditoire : « trouver des profs », omission de quelques lettres "ya pas ", et d'un autre côté une langue de l'oral « a bon ! ↑*/»*.

Ce que nous percevons encore dans l'une des répliques de Faouzi Saichi c'est sa volonté de réajuster l'action en fonction d'un contexte qui aura lieu :

Le retour à l'énonciation de la part de l'animateur même à la fin, il n y a pas ses traces (je , moi ,…) comme au début ; cependant nous remarquons que les traces énonciatives du co-énonciateur(ses invités et les téléspectateurs)sont présentes dans:
La salutation : "portez-*vous* bien", "à la semaine prochaine,"…
Le journaliste, achève l'émission en présentant deux ouvrages à paraître.

Donc les trois étapes de la séquence sont régulées par l'animateur qui, à travers son rôle, peut vêtir plusieurs identités dans le débat : provoquer la confrontation, rendre le débat plus vif ou le faire cesser et prendre part au discours. Ce rôle est très important dans le profil identitaire des invités.

7. L'image dans le débat télévisé

Parmi les marqueurs de l'image de soi dans le discours, nous pouvons citer le matériel verbal utilisé par les participants pour s'adresser aux téléspectateurs et se donner une bonne image. Nous allons nous baser sur ce procédé en essayant de montrer les différents actes de parole mobilisés dans l'opération ou la manière utilisée dans l'échange.

La mise en scène de l'image a beaucoup gagné grâce à la télévision .Et pour montrer sa mise en scène, nous ferons appel aux travaux de E, Goffman sur la présentation de soi dans une situation d'interaction.

D'après les exemples relevés, et concernant le réalisateur M. Haddad, il expose son image qui correspond au caractère de la responsabilité et de l'expérience dans le domaine.

M22: « il fallait trouver des (.) comment dire **(….)** des profs »
Ici Haddad tente de donner l'image d'une bonne personnalité artistique.
Saichi procède de la même façon que Haddad :
F71: « c'est (une) grande heure de rendre hommage au maestro M.Haddad avec qui j'ai eu le grand plaisir de tourner en 1984 la **p'tite** série /…»
La démarche de Haddad est identique lorsqu'il relate ses années d'expérience :
M22: « on a commencé à faire des films / c'était =bon évidemment le premier film qu'on ait plus au moins fait c'était un film sur l'alphabétisation / ».
Pour Ourdache, lui aussi tente de faire la même chose :
O143: «les mauvais cinéastes ne m'appelle pas ↑ sincèrement je le dit hein↑»

De fait, cette notion d'expérience fonctionne comme un indice des présentations de soi**.** Pour les intervenants, l'important c'est de dire ce qui ils sont. Aussi, ce que nous pouvons ajouter sur les questions de l'animateur, qu'il oriente ses question sur l'identité des invités:

« **A172**: alors↑ \ avant de donner la parole et revenir…à travers la chronique de Nacéra Saidi ↑**…**»

Deuxième étape : la confrontation

La deuxième étape engage l'animateur et l'un des débatteurs:

« **A80:…**en ce qui vous concerne "rire" Faouzi Saichi on a l'impression que votre entreprise n'a jamais connu la crise hein ↓ (?) »

Cette remarque engendre une opposition de F .Saichi :

Cette phase engage Saichi et la journaliste N. Saidi: «N 88: maestro!! » (Chevauchement des paroles), et la journaliste et M. Haddad.

Cette phase se caractérise aussi par des marqueurs discursifs qui nous montrent la relation entre les interactrants:

- Les pronoms personnels : «vous», « te »**,** « toi » (F71: …rappelle-toi)
- Les marques de l'opposition qui marquent le désaccord : « non mais ».
- La négation: « **F131: [** non, il n'a jamais été diffusé à la télévision ↑»
- La formule de contradiction : « **N1481:** c'est-à-dire vous n'êtes pas des acteurs ↑ (VS) vous êtes acteurs, on vous reconnait partout ↑»
- Les marqueurs argumentatifs: « **F120**: parce que si tu te rappelle »

Troisième étape : Clôture du débat

Chaque interaction a un début (une ouverture) et une fin (la clôture). Cette dernière phase met fin aux oppositions et clôt le débat et elle marque la fin des paroles. C'est la situation de stabilité qui précède les événements, marquée par l'emploi des temps de l'énonciation:

« **A234**: nous aurons le plaisir de…»

Des pré-clôtures indiquent l'arrêt de l'argumentation , l'animateur n'utilise pas d'arguments, mais c'est un tour dénué de contenu **:**

« **A 227:** voila↓ ».

La clôture est composée des actes :

De salutations, de remerciements à tous les invités :

A227:« merci à vous M. Haddad ↓ », «merci également à vous …F. Saichi ↓» et de vœux: **A234**: « nous aurons le plaisir de vous retrouver la semaine prochaine », « portez-vous bien↓ à la semaine prochaine↓/»

C'est une conclusion à ce qu'il a été dit pendant toute l'émission. Nous remarquons qu'il n'y a pas un introducteur de conclusion, mais l'animateur a utilisé à sa place un présentatif "voila", qui annonce l'arrêt d'oppositions dans cette émission de débat. Mais quand même, cette séquence est caractérisée par :

Dans ce cadre, nous allons voir que c'est dans l'interaction que les interactants essayent d'activer leur image par la production de certains marqueurs. Les séquences qui seront analysées sont celles qui comportent une visée argumentative.

Les marqueurs de l'image peuvent être de nature verbale aussi bien que prosodique ou mimo-gestuelle.

Mais l'analyse ne consiste pas seulement à identifier l'opposition et l'interaction argumentative entre des hommes du cinéma, quand il est question d'une critique à propos d'un film ou un produit cinématographique, il s'agit de voir également comment se construit le sens à travers une opposition.

Nous nous intéresserons d'abord à la manifestation de l'image (dans les trois séquences de l'échange) et de ses enjeux dans la construction de l'identité des interactants. C'est-à-dire, comment se positionnent-ils les uns par rapport aux autres et par rapport à l'image qu'ils se font sur leurs futures activités et projets artistiques.

Première étape : La séquence d'ouverture

La séquence d'ouverture est le premier échange qui actualise le cadre de l'interaction.

Ce sont des séquences où l'animateur joue un grand rôle, un rôle ritualisé (comme l'emploi de la paire adjacente, bonsoir/bonsoir) :

Ensuite il passe aux remerciements à ses invités d'avoir assisté au débat. »

L'animateur doit orchestrer les échanges et veiller à ce que le débat soit structuré et plus particulièrement dans la séquence d'ouverture:

Donc, il présente les débattants:

«*A1* **:** … nous avons avec nous ce soir un monstre du cinéma algérien : il s'agit de Moussa Haddad bonsoir↓/»

« **A5:** il/s'agit de notre ami Faouzi Saichi bonsoir/»

Il annonce le thème**:**

« A1: alors justement la thématique choisie pour le débat de ce soir …le 7eme art le cinéma ↓ donc justement alors le cinéma algérien rétrospective et perspective↓.»

Il donne la parole aux participants et accompagne cela d'une question:

« A29 : on y revient Moussa Haddad un cinéma de combat un cinéma social un cinéma de jeunes aujourd'hui ↓ **(?)**»

L'animateur peut aussi faire la négociation aves les débattants :

« **A105:** alors la↑ je ne suis pas du tout d'accord avec vous alors ↑»

Il assure l'alternance des tours de parole :

La transcription nous informe ainsi sur la réalité de la communication qui s'est déroulée tout en suivant des conventions spécifiques: les conventions orthographiques (standards ou adaptées) qui sont en relation avec la prononciation ; les signes de ponctuation qui n'ont pas les mêmes conventions que celles de l'écrit ; par exemple les deux points désignent l'allongement d'un son et non une explication ,(KERBRAT-O, 2005,27) « *les techniques de transcription varient, mais s'agissant du français ou de l'anglais ,toutes recourent aux conventions orthographiques en l'usage*»[8].

Concernant les conventions et les modes de transcription et pour pouvoir transcrire les conversations enregistrées il est nécessaire, voire indispensable d'établir d'avance des conventions de transcription. Et comme il n'existe pas aujourd'hui de système de transcription unifié, chacun forge son système en s'inspirant le plus souvent de celui de Jefferson (Bange 1992) [9].

D'une façon générale, les modalités de transcription sont souvent les mêmes pour les conversations et voici, selon (TRAVERSO, 1999,25) quelques exemples de conventions que nous avons adoptées:

Tours de paroles

/″ Intonation légèrement montante.

↑ ″ montante.

\ ″ légèrement descendante.

↓ ″ fortement montante.

****** Allongement de la syllabe finale

(….) pour indiquer les coupures

(pause) pour indiquer une pause[10].

Pour notre corpus, il ne s'agit pas d'un enregistrement de terrain, mais de l'enregistrement vidéo d'une émission télévisée. Le but recherché par cette transcription est de faire apparaitre Mandada,2011) « *le rôle essentiel joué par les gestes, les regards, les postures corporelles »*[11] dans l'intérêt d'une communication pragmatique qui a trait à l'argumentation.

6. Analyse du corpus

Il s'agit d'examiner les manifestations discursives dans le discours des interactants et qui comprennent des indications argumentatives, autrement dit, d'observer la manifestation de l'ethos. Les discours concernés sont ceux du réalisateur M. Haddad et des deux acteurs Med Ourdache et F.Saichi.

l'actualité culturelle (musique, littérature, peinture, cinéma,) qui s'articule autour d'idées plurielles, de visions diverses, de critiques passionnées et de paroles libres.

L'émission, qui a servi de support à notre recherche, réunit cinq locuteurs. Ce sont les participants au débat, nous avons :

- L'animateur de l'émission Karim Amiti, jeune journaliste.
- Moussa Haddad, réalisateur algérien connu pour ses films sur la guerre d'Algérie dans les années soixante-dix, comme "Les Enfants de Novembre".
- Faouzi Saichi, acteur algérien.
- Mohamed Ourdache, acteur algérien révélé en 1996 par le film "*Bab El Oued City* ".
- Nacera Saidi, journaliste chroniqueuse dans le domaine des nouvelles parutions.

On notera que, dans la transcription, les locuteurs seront désignés par des initiales. Ainsi, on aura : **A**→ animateur, **M**→ Moussa Haddad, **O** →Mohamed Ourdache, **F**→ Faouzi Saichi, **N**→ Nacera Saidi

4. Le corpus

L'objet de la présente analyse consiste en un débat enregistré puis transcrit. La méthode est donc inductive : nous partons des données pour ensuite arriver à la généralisation.

L'enregistrement des données audio, ou vidéo (Kerbrat-O,1990,64) (de Goodwin et Heath) obéît à des étapes ethnométhodologiques. D'après elle, c'est la meilleure façon de *"fixer"* les données naturelles et de représenter la vie quotidienne.

Parfois, l'enregistrement[5], audio reste insuffisant par rapport à l'enregistrement vidéo qui représente mieux l'authenticité de l'interaction et à travers l'image, qui permet de découvrir la réalité qui nous permettra de mieux observer et de visualiser le non verbal de l'interaction. C'est ce que note (TRAVERSO 1999,22) «*Rappelons aussi que l'enregistrement, bien qu'indispensable, n'est pas toujours suffisant pour réaliser les analyses : avoir vu les actions est le plus souvent indispensable pour la compréhension du corpus*».

5. La transcription

Pour être analysables, les données doivent être transcrites à l'écrit. V. Traverso mentionne que: (TRAVERSO, 1999, 23) « *la transcription doit répondre à des contraintes de précision,de fidélité et de lisibilité* »[6]: surtout de fidélité et de lisibilité. Ce système procède à une sélection des données car on ne peut pas tout noter : les paroles, les données vocales et prosodiques. Le but de cette opération est de donner un aperçu sur la situation de communication[7].

Le premier volet sera consacré à la présentation du concept de l'interaction, dans l'espoir de trouver une définition à ce genre de communication à cause du croisement des différentes disciplines comme la linguistique, la sociologie et la psychologie.

Dans le deuxième volet de cet article, nous nous intéressons à l'apport du courant interactionniste en général avec toutes les composantes de l'interaction (organisation, corpus, transcription,…). Nous verrons l'apport de ce courant sociologique dans l'analyse des interactions médiatiques. Nous nous intéresserons notamment aux travaux d'E. Goffman relatifs aux notions de «image» et de « face » et nous terminerons cette partie par l'apport de ces théories dans la structure et l'organisation de l'échange comme dans les interactions médiatiques. Plus loin, nous expliquerons la méthodologie du travail dans la présentation du corpus.

Nous tâcherons, vers la fin de cet article, d'inscrire les propos discursifs dans une analyse argumentative et de voir son effet sur les discussions des participants pour une bonne mise en image et une construction de leur soi.

2. L'image de soi

La présentation de soi dans un discours pour des fins persuasives n'est jamais neutre. On recourt aussi à d'autres moyens tels que Les sous-entendus et les préconçus sur un locuteur participent également à la construction de cette image, et donne une représentation de l'image de soi. Maingueneau (1977,147) souligne dans ce sujet que l'image : *«concerne donc l'image que se font les uns des autres les participants au dialogue* »[2]. Pour que l'interaction soit complète, chaque locuteur intègre les pensées préexistantes de l'autre et toutes les idées qui se faisaient de chacun d'eux. A travers le discours se construit l'image. Les participants à un échange co-construisent le image et dans l'interaction. Il s'agit. Nous pouvons dire que : inter-agir, c'est soutenir la notion d'*ethos* qui prend part au processus de l'interaction.

3. Description du corpus

Notre recherche porte sur les pratiques discursives dans les interactions argumentatives médiatiques[3] qui se déroulent dans une émission télévisée.

Notre corpus appartient à la catégorie des corpus médiatiques qui reposent sur les mêmes principes de présentation .Nous avons des invités qui s'organisent au sein d'un espace structuré qui donne l'image du débat télévisé.

Ces interactions sont extraites de l'émission télévisée intitulée *"Culture Club*"[4]. Il s'agit d'une émission de débat, diffusée sur la chaine francophone algérienne "Canal Algérie" tous les dimanches, dans la soirée .C'est une émission de débat axée sur

El-ihyaa journal, Volume: 22, Issue: 30, January 2022, p-p: 1459 – 1468
ISSN: 1112-4350 EISSN: 2588-2406

Présenter soi dans les débats télévisés

تقديم الذات في المناظرات المتلفزة

M. Achour Zaitri
Institut des Langues- Université Yahia Fares Médéa
zaitri.achour@univ-médéa.dz

Received in: 24/11/2020 Accepted in: 30/11/2021

Résumé

La communication verbale est une forme d'expression qui s'effectue entre des personnes dans des situations différentes et concrètes. L'usage de l'interaction dans nos relations quotidiennes mérite que nous nous y intéressions. Dans cet article, nous allons essayer de découvrir sa structure et ses fondements théoriques.

Donc nous allons traiter la question de l'exploitation du mécanisme discursif mis en place par les participants au débat. Ceux-ci ont pour objectif la construction d'un discours et la défense de leur image qui fonctionne selon un souci de présentation de soi.

Mots clés : Image ; soi- interaction verbale ; discours ; éthos.

الملخص:

التواصل اللفظي هو شكل من أشكال لتعبير يحدث بين الناس في مواقف مختلفة وملموسة. إن استخدام التفاعل في علاقاتنا اليومية يستحق اهتمامنا. في هذه المقالة سنحاول اكتشاف هيكلها وأسسها النظرية.

لذلك سنتطرق إلى مسألة استغلال الآلية الخطابية التي وضعها المشاركون في النقاش. هذه تهدف إلى بناء خطاب والدفاع عن صورتهم التي تعمل وفقًا لاهتمام عرض الذات.

الكلمات المفتاحية: الصورة؛ التفاعل اللفظي الذاتي؛ الخطب؛ الروح الكلمات.

1. Introduction

Dans ce présent travail, nous allons aborder la notion de l'interaction ou la «rencontre» selon Goffman[1], entre des personnes dans une interaction télévisée. En plus de la simple rencontre, ce type d'échange nécessite la mise en place par les interlocuteurs présents sur le plateau d'un ensemble de méthodes et de stratégies langagières au service d'une bonne image de soi et offre un renforcement au processus de l'argumentation pour chacun des participants.

5- Coste, D. (1998). Alternances didactiques. Etudes de Linguistique Appliquée, 108, (1997: oct /déc) Paris : Didier Erudition. PP.393-400.

6- Ehrhart, S(2002). L'alternance codique dans le cours de langue : le rôle de l'enseignant dans l'interaction avec l'élève - Synthèse à partir d'énoncés recueillis dans les écoles primaires de la Sarre. Disponible sur le site www.ph-karlsruhe.de/fileadmin/user.../EHRHART-code-swt- LV.pdf

7- Faraj .F. (2007).L'alternance codique dans l'échange verbal,Bagdad University, Iraqui Academic Scientific journals.

8- Galisson.R. (1995). Les palimpestes verbaux des actualisateurs et révélateurs culturels remarquables pour publics étrangers. Etude de linguistique appliquée. Revue de didactologie des langues cultures. P.97.

9- Giaccobe. J. (1990). Le recours à la langue première une approche cognitive dans Gaona'ch. D, éd le français dans le monde .Recherches et application. Acquisition et utilisation d'une langue étrangère. PP.115- 123.

10- Moore.D (1996). Bouées transcodiques en situation immersive, ou comment interagir avec deux langues quand on apprend une langue étrangère à l'école .Aile .7. coord par C. Oesch-Serra et Py. B.Paris. Encrages. PP.95 -121.

11- Moore D et Simon D-L. (2002). Déritualisation et identité d'apprenants; acquisition et interaction en langue étrangère. P.16.

12- Vygotsky; L.S, (1985). Pensée et langage. Messidor, éditions sociales.Paris. PP.22.

- Fonction de vérification: madame !!... Des moustaches eh chlaghem? La laine / c'est.... Essouf.

- **Fonction d'explication** : le passage à la L1 pour expliquer en répondant aux questions. Passage à la L1 pour expliquer c'est quoi la santé ? : Madame essaha / c'est quoi la casserole ? : madame tawa.

Conclusion :

Notre travail est basé sur l'étude d'un phénomène qui a pris de l'ampleur dans nos établissements scolaires à savoir les alternances codiques dans une situation réelle de communication pédagogique. En effet, nous avons pu constater tout au long de notre observation lors de notre passage dans les classes de langue étrangère que les résistances continuaient que ce soit au niveau institutionnel ou individuel ou l'on est souvent contre. Malgré les avancées de la recherche qui ont démontré qu'il était indispensable de s'intéresser aux langues de départ et aux compétences plurilingues pré-acquises des apprenants dans leurs contextes familial et social. Celles-ci doivent jouer un rôle fondamental dans l'appropriation d'une autre langue.

Quel que soit le profil de l'enseignant et sa position vis-à-vis de la place et du rôle de la langue maternelle en cours de langue étrangère, l'alternance codique est presque inévitable, « elle fonctionne à la fois comme un signale de détresse en direction de l'enseignant tout en permettant de rester à la flot dans la conversation » (Moore.D et Simon.D .2002 :16) il s'agit au sens de Moore d'une bouée transcodique .Mais le recours doit être justifié et suffisamment réfléchi.

Références bibliographiques :

1- Boumedini, B. (2009). L'alternance codique dans les messages publicitaires en Algérie. Le cas des opérateurs téléphoniques. Synergie n°6. PP.99- 108.

2- Castellotti.V. (2001). Pour une perspective plurilingue sur l'apprentissage et l'enseignement des langues. in D'une langue à l'autre ; pratiques et représentations. Rouen : presse universitaire de Rouen, Collection Dyalang. PP.09-31.

3- Causa .M. (1996). Le rôle de l'alternance codique en classe de langue. In . Le discours : enjeux et perspectives .Numéro spécial du français dans le monde. Paris. France. PP. 85-93.

4- Causa. M. (2000). L'alternance codique dans la classe de langue étrangère, stratégies d'enseignement et transmission de savoir en langue étrangère. Bern : Peter Lan.

- Maintenir l'ordre :

* bidoun sourakh (sans crier).

* tabaa eddars, jit bech takra wela bech telaab. (suis le cour, tu es venu pour étudier ou pour jouer).

- Evaluer la réponse d'un élève : sahit ! (bravo)

- détendre l'atmosphère et motiver les apprenants et maintenir les relations interpersonnelles :

* kima n'touma (comme vous)

* yallhou ya louled chouia nachat (allez les enfants activez)

2-1-2-Du côté de l'apprenant : L'apprenant recourt à ce type d'alternance

- **Donner une information** : madame !jet anissa (la maitresse d'arabe est venue).

- **Dénoncer un camarade** : madame ! yalaab bilmistara n taou rahou makhalanech n'tabaou (il joue avec sa règle et il ne nous a pas laissés suivre).

- **Demander une information** : madame n'dirou tamarine fel cahier d'activité ? (on fait les exercices sur le cahier d'activité ?

3-2- Les alternances au service de l'apprentissage :

3-2-1-Du côté de l'enseignant :

Du côté de l'enseignant ; le recours à la langue source (L1) est inévitable pour tout ce qui constitue les messages importants sur la langue à apprendre.

- Guider l'apprenant : l'enseignant a recours au code switching afin de guider ses apprenants pour formuler les réponses justes.

- **Faire passer le message** : n'obtenat pas de réponse l'enseignant bascule en L1 pour faire passer le message : echrahli maana el djoumla ! (explique-moi le sens de la phrase !).

- **Donner des consignes**: hadrou_la leçon de vocabulaire (préparez la leçon de vocabulaire)

- **Clarifier**: ce sont des alternances initiées par l'enseignant afin de :

- Lever une ambiguïté :quel est le thème de ce texte ? Ma houa mawdhouaa ennas ?

Voyant que la consigne n'a pas été assimilée l'enseignante la clarifie en la reformulant en L1 : - bech nebka fi siha jayida wech lazem ndir ? (pour rester en bonne santé, que doit-on faire ?)

3-2-2-Du côté de l'apprenant : Le recours à la langue (L1) a deux fonctions :

Séquence 4 :

P: et ensuite ?
A: dessine le nez avec le feutre rouge.
P: "A6" 'terminer' est le synonyme de**..... Haya** taisez-vous **bidoun sourakh**
(sans bruit !).
A5: terminer, finir, eh..... Achever.
P: et le contraire ?
A6: madame **yabda** (commencer)

Dans cette séquence, l'enseignante demande aux apprenants de lui donner le synonyme de terminer (cours déjà vu) ensuite et vu le bruit qui régnait, elle s'emporte et bascule en LM afin de rétablir l'ordre. Cette alternance fait partie du discours régulatif.

3-Synthèse de l'analyse :

Dans les moments linguistiquement inconfortables de l'interaction pédagogique, les enseignants comme les apprenants recourent tout naturellement à leur langue maternelle. "l'apprenant y émerge dans sa double dynamique identitaire comme sujet social à part entière et comme acteur de son apprentissage" Et nous basant sur la typologie de Daniel Moore, nous allons subdiviser ces alternances en deux grandes catégories: les alternances relais qui servent et facilitent la communication et les alternances tremplins qui facilitent l'apprentissage.

Et nous basant sur la typologie de Daniel Moore, on a subdivisé les alternances constatées en deux grandes catégories :

- Les alternances relais qui facilitent la communication.
- Les alternances tremplin qui facilitent l'apprentissage.

3-1- Les alternances qui facilitent la communication :

3-1-1-Du côté de l'enseignant : L'enseignant médiateur du processus d'apprentissage met en place l'activité didactique. Il lui revient le rôle d'organiser la gestion de la classe en tant que micro communauté sociale. Pour accomplir sa tâche il aura souvent recours à la L1 pour :

de discipline. Il s'agit d'une alternance codique inter-segmentale où la L1 relève du discours régulatif qui procure le cadre général des échanges en classe.

Séquence 2 :

P: c'est quoi gourmands ?
EE: madame // rire / **malhoufin** (gourmands)
P: **kima ntouma** (comme vous)
EE: rire

En réponse à la sollicitation de l'enseignante en L2 qui voulait s'assurer de la compréhension des apprenants. La classe répond immédiatement en L1 sous la forme de ce que Maria Causa appelle une équivalence hétéro déclenchée. Le recours à la L1 était logique dans la mesure où il était plus facile aux apprenants de prouver la compréhension à l'enseignante en L1 que d'aller chercher l'explication en L2. L'enseignante accepte la réponse et pour motiver, stimuler, se rapprocher et gagner la confiance de ses apprenants, elle les taquine en L1.

Séquence 3:

P: quel est le titre de ce texte ?
A6: pour garde / en bonne santé.
P:prononce bien A6 / après une préposition le verbe se met à l'infinitif.
A6: madame oui, // pour garder une bonne santé. P: c'est quoi la santé ?
A7: madame / madame **/ essaha** (la santé)

Suite à la sollicitation de l'enseignante qui demande aux élèves d'expliquer ce qu'est la santé, l'apprenant ne connaissant pas la réponse en langue cible donne la réponse en arabe standard. Il s'agit là d'une alternance codique hétéro déclenchée du type question/réponse. Cette alternance est en quelque sorte dirigée, elle remplit une fonction acquisitionnelle l'enseignante la provoque pour s'assurer que tout le monde a compris.

établi entre les partenaires de l'interaction didactique des « bilingues virtuels » (Causa.M.1998 :9)

L'espace classe est, comme le souligne Causa (Ibid), non seulement un lieu de transmission des savoirs linguistiques de la langue cible où l'intention communicative est surtout didactique (simplifier l'inter compréhension et la saisie de nouveaux éléments en langue étrangère mais aussi le lien d'une communication bilingue ordinaire où l'intention communicative peut être aussi bien stylistique que métaphore). (P.412).

2-2-Collecte des données : Nous avons rencontré énormément de difficultés pour trouver l'outillage adéquat pour l'enregistrement des données orales pour enfin opter pour un caméscope numérique de marque " Sony" utilisé uniquement comme enregistreur de son afin de pouvoir écouter tout ce qui se disait dans l' ensemble de la classe.

2-3-Présentation du corpus : Nous avons constitué un corpus transversal représentant un total de quatre heures et demi d'enregistrement. Nous n'avons pas procédé au nettoyage du corpus et nous n'avons retenu que les séquences où apparaît nettement la présence de la (L1) que ce soit dans le discours de l'enseignant (E) ou celui de l'apprenant(A) (nous n'avons pas négligé les moments liés à la gestion de la classe, sans relation aucune avec l'activité pédagogique proprement dite). Pour ce qui est de la transcription des données, nous avons d'abord procédé au découpage

Séquence 1 :

A7 : non / le boulanger....

A8: madame **! Yalaab bi lmistara taaou / rahou /ma khelanach ntabaou**.

(il Joue avec la règle, il ne nous laisse pas jouer)

P: X, **hani rouhek** / **ou tabaa** / sinon..... (reste tranquille et suis sinon....)

Dans cette séquence, un apprenant voulant dénoncer son camarade a recours à la L1 à cause d'un déficit lexical en langue cible. Nous avons affaire à une alternance codique non marquée, auto déclenchée de type intraphrastique qui a une fonction purement communicative. De même pour l'enseignante qui abandonne provisoirement ce qui est en cours et réagit en L1 pour une question

Quoi qu'on dise et quoi qu'on fasse, la langue maternelle est toujours là, visible ou invisible, mais présente dans l'enseignement /apprentissage des langues étrangères, c'est la référence première, le fil conducteur, le Truchement universel. (P.97).

1-2-Définition de l'alternance codique : Suite à de nombreux travaux faits dans différents contextes et par des chercheurs appartenant à différents domaines, nous pouvons affirmer qu'il existe beaucoup de définitions pour cerner le terme « alternance codique ». A ce propos Grosjean la définit comme suit : «l'usage alternatif de deux ou plusieurs langues dans le même énoncé ou la même conversation » (Boumedini, 2009 : 102). Tandis que Gardner Chloros (Faraj,2007 :179) définit le code switching (C.S) ou l'équivalente française, l'alternance codique (A.C) comme « changement/ alternance de langues ou de variétés linguistiques dans un discours ou une conversation. » .La plus importante différence qui existe entre ces deux définitions c'est que Gardner Chloros (1983) n'insiste pas seulement sur l'alternance des langues ayant deux systèmes linguistiques différents l'un de l'autre mais elle parle également des changements de variétés linguistiques d'une même langue.

Les recherches faites sur le phénomène d'alternance codique sont surtout analysées selon deux points de vues différents des acteurs de l'espace classe à savoir l'enseignant émetteur du savoir et l'apprenant récepteur du savoir

2-Cadre pratique :

2-1-Méthodologie : Notre démarche s'inscrit dans une perspective sociolinguistique exploratoire. Elle porte sur l'observation et la description des pratiques langagières des deux locuteurs de l'espace classe (enseignant/ apprenant) et plus précisément le passage de la langue étrangère à la langue maternelle durant la pratique de classe.

Ces conduites langagières relèvent de ce que Maria Causa appelle « discours de la classe » (Causa .1998 :17) et regroupent les productions des enseignants, celles des apprenants, les échanges produits par l'enseignant et ses apprenants et enfin ceux que produisent ces derniers entre eux.

Il s'agit dans notre cas , d'un contexte d'enseignement / apprentissage alloglotte, donc favorable à l'émergence de l'alternance codique, nous avons considéré que notre travail pouvait être situé dans le cadre d'une didactique du bi-plurilinguisme qui se fonde sur l'hypothèse selon laquelle " dans l'espace classe les apprenants sont dès le début de l'apprentissage de par le contrat didactique

procéderons à l'analyse des séquences pédagogiques. (nous avons choisi les extraits où apparait nettement le phénomène d'alternance codique) afin de comprendre le rôle et la fonction de l'alternance codique dans la transmission et la construction des savoirs au primaire.

1-Cadre théorique :

1-1-Le rôle de la L1 dans l'apprentissage de la L2 : Le recours à la langue maternelle en classe de langue a été longtemps lié à des connotations péjoratives, il est souvent associé à des termes tels que : confusion, moment de déséquilibre et parasitage… A cet effet Castellotti (2001) précise que : « Le fait de tenter d'évacuer systématiquement la L1 des classes de L2 (….) Cet objectif n'a été rempli que très imparfaitement, il a permis que s'installe durablement, dans les conceptions des enseignants ce qu'on pourrait appeler le mythe du tout L2 ou le tabou de la L1. » (P.17).

Dans cette conception, le rôle essentiel de la L1 serait de «perturber» l'accès à la L2. Dans le même sens Moore (1996 :95) dit «Les études de l'influence de la langue maternelle (LM/L1) sur l'apprentissage d'une langue étrangère (LE/L2) (...) ont généralement conduit à considérer que la meilleure façon d'éviter les parasitages, consistait en l'évacuation pure et simple de la LM du cours de LE.»

Depuis plus de cinq décennies, des chercheurs étudient l'alternance codique(AC) et ils évaluent son rôle à l'école de très « nuisible » à « tout à fait utile ». Devant ce constat Coste (1997) propose de valoriser les pratiques de l'AC en classe et de les mettre au centre des recherches comme des pratiques d'enseignement.

Une des conséquences de ces changements de perspective est la réhabilitation du rôle de la langue maternelle dans la construction des apprentissages en langue cible. Moore (1997) a précisé que :

Contrairement aux idées reçues le recours à la langue maternelle dans la production d'énoncés en L2 n'est pas un simple indicateur d'incompétence ou de confusion des langues mais marque la mise en œuvre de stratégies Intéressantes, notamment pour appeler l'attention de l'enseignant, et l'amener à répondre à la sollicitation. (PP.95-121).

(Giacobe.1990) quant à lui souligne que « la langue maternelle n'est pas un obstacle à l'apprentissage, mais un des fondements du nouveau système que construit l'apprenant»(P.15).

Dans le même contexte, Galisson (1995) affirme que :

En effet les acteurs de l'interaction, enseignants comme apprenants parlent tous la même langue source, le parler algérien. Il s'agit d'une situation linguistique exolingue où l'utilisation du français est peu motivée / légitimée par l'environnement en dehors de l'école, son usage reste limité dans le temps et ceci est particulièrement vrai lorsqu'il s'agit de jeunes enfants à l'école primaire qui n'ont pas encore pris conscience de l'utilité de cette langue en dehors de l'école.

Dans les recherches sur l'acquisition d'une langue seconde (L2), l'alternance des codes (AC) se révèle un aspect pédagogique qu'il importe d'examiner dans les classes de L2 .Elle doit même être considérée comme une stratégie à part parmi les stratégies d'enseignement (Ehrhart Sabine. 2003). En effet la majorité des enseignants de français (du primaire) ont recours à l'arabe dialectal (LM) dans un cours attribué seulement au français afin de garantir une bonne communication. A ce propos Vigotsky dit :

.(…)Il serait miraculeux que l'assimilation d'une langue étrangère dans le processus de l'apprentissage scolaire soit la réplique, la reproduction de celle de la langue maternelle, qui s'est faite il ya bien longtemps dans de tout autres conditions (…) l'apprentissage d'une langue étrangère s'appuie donc sur la connaissance de la langue maternelle (1985:225)

En effet, on peut dire que l'école offre un contexte fortement marqué par des phénomènes qui nous invitent à se poser les questions suivantes:

- Les alternances codiques apparaitront chez les apprenants et les enseignants. Quand? Et pourquoi ?
- Quelle sera la place et le rôle de la langue maternelle dans la classe de français ?

Pour répondre à ces questionnements, nous avons assisté des séances avec les élèves de 5ème AP des établissements scolaires Ali Boukhalfa et Nouri Youcef (Batna) afin de décrire et comprendre les usages alternatifs de l'AD (arabe dialectal) et du français dans les pratiques langagières de ces apprenants et leur impact sur l'acquisition du français langue étrangère.

Il s'agit en effet, de décrire les particularités, le fonctionnement et la dynamique des répertoires verbaux dans un contexte où les apprenants comme les enseignants ont tendance à alterner les langues en question.

En premier lieu, nous essayerons de définir et présenter les concepts clés qui sous-tendent notre recherche sur l'alternance des langues arabe dialectal (L1) et français (L2) dans les classes de 5° année primaire (5ème AP). Ensuite, nous

El-ihyaa journal, Volume: 22, Issue: 30, January 2022, p-p: 1449 – 1458
ISSN: 1112-4350 EISSN: 2588-2406

L'alternance codique dans l'enseignement /apprentissage du FLE au primaire : Quel impact ?

التناوب اللغوي في تعليم وتعلم اللغة الفرنسية كلغة أجنبية في الطور الابتدائي: أي تأثير؟

M.A.A/ Naima Mekaoussi
Faculté des lettres et des langues étrangère-Université Batna2
n.mekaoussi@univ-batna2.dz

Received in: 05/01/2021 Accepted in: 29/04/2021

Résumé :

L'objectif principal de cette recherche est l'étude, la description et la compréhension des usages alternatifs de l'arabe dialectal et du français dans les pratiques langagières des apprenants et leur impact sur l'enseignement /apprentissage du FLE au cycle primaire.

Il s'agit en effet de décrire les particularités, le fonctionnement et la dynamique des répertoires verbaux dans un contexte où les apprenants de 5ème année primaire comme leurs enseignants ont tendance à alterner arabe dialectal et français.

mots clés: Alternance codique ; langue maternelle ; enseignement/apprentissage ; langue étrangère.

الملخص:

الهدف من هذا المقال هو دراسة وفهم الاستعمال المتناوب للغة العربية والفرنسية في الممارسات اللغوية لدى تلاميذ السنة الخامسة ابتدائي في حصة اللغة الفرنسية وتأثير ذلك على تعليم وتعلم هده اللغة.

قمنا في هذا البحث بوصف خصائص وتفاعل المكتسبات اللغوية في محيط حيث التلاميذ وكذا الأساتذة يستعملون اللغة العربية الدارجة إلى جانب اللغة الفرنسية بالتناوب.

الكلمات المفتاحية: تناوب اللغات؛ اللغة الأم؛ التعليم / التعلم؛ اللغة الأجنبية.

Introduction:

L'Algérie comme tout autre pays se préoccupe de mettre l'accent sur un système scolaire de qualité en insistant sur l'acquisition des langues étrangères et en particulier le français. L'enseignement de ce dernier au primaire a pour but de développer chez le jeune apprenant des compétences de communication pour une interaction à l'oral (écouter/parler) et à l'écrit (lire/écrire) dans des situations scolaires adaptées. A ce titre l'école qui « assure les fonctions d'instruction, de socialisation et de qualification, doit notamment permettre la maitrise d'au moins deux langues étrangères en tant qu'ouverture sur le monde et moyen d'accès à la documentation et aux échanges avec les cultures et les civilisations étrangères » Chapitre II.art.4.

Les apprenants ont porté de l'intéret et l'écoute attentive à la prestation de l'enseignant
○ 1.oui ○ 2.non

Les apprenants sont restés attentifs à leur auditoire.
○ 1.oui ○ 2.non

Les apprenants ont reproduit une démonstration scientifique (expérimentale) avec des données différentes
○ 1.oui ○ 2.non

Les apprenants manifestent leurs compréhensions (demande de reformuler, de parler lentement...)
○ 1.oui ○ 2.non

Les apprenants demandent d'autres explication afin d'assurer leur compréhension
○ 1.oui ○ 2.non

Les apprenants se donnent le temps pour répondre se qui oblige l'enseignant à répéter
○ 1.oui ○ 2.non

Les apprenants étaient hésitants à répondre aux questions
○ 1.oui ○ 2.non

Les apprenants ont eu des difficultés à produire des phrases pour s'exprimer.
○ 1.oui ○ 2.non

Le cours est clair et le discours de l'enseignant est compréhensible
○ 1.oui ○ 2.non

Les apprenants ont établi un contact constant avec leur auditoire
○ 1.oui ○ 2.non

Les apprenants ont répondu à des questions qui découlent du cours à partir de documents (articles, schémas, graphiques) ou de données et paramètres issus d'une expérimentation
○ 1.oui ○ 2.non

Les apprenants ont un vocabulaire limité nuisant la compréhension des notions et concepts.
○ 1.oui ○ 2.non

Les apprenants ont fait preuve de motivation en répondant aux questions
○ 1.oui ○ 2.non

Les apprenants ont pris constamment la parole pour répondre et demander d'autres informations
○ 1.oui ○ 2.non

Les apprenants ont participé aux interactions et aux échanges.
○ 1.oui ○ 2.non

Les apprenants ont utilisé une variété de registres de langue (arabe classique,dialecte, français).
○ 1.oui ○ 2.non

timidité ou par peur de faire des fautes ou bien encore, d'être ridiculisés par leurs camarades ». (Calvet 1993 : 126). Ce que nous tenterons de vérifier dans nos recherches ultérieures.

Liste des sources et des références :

Beacco, Jean-Claude, 2007, L'approche par compétences dans l'enseignement des langues, p.185.

Bertrand, Y., 1991 : Théories contemporaines de l'éducation. In : Revue française de pédagogie. p.115-116.

Calvet, L - J, 1993 : La sociolinguistique, Paris, Coll. Que sais-je ?, Presses Universitaires de France, p. 126.

De Fontenay, H., et Vergues M. 2007, dans Recherches et applications N° 42 consacré au thème « langue et travail » p.59-71.

Drouin, A.-M., 1987, "Des images et des sciences", Aster, 4, Communiquer les sciences. p.19

Karsenti et Larose, 2005, « L'intégration pédagogique des TIC dans le travail enseignant: Recherches et Approches ». Recherches et pratiques, Presses de l'Université du Québec, p.79

Mangenot, F. 2000, *L'intégration des TIC dans une perspective systémique, les langues modernes*, Paris. p.38-44

Mangiante, J.M, Parpette, CH, 2011, *Le français sur objectif universitaires*. PUG. Presse universitaire de Grenoble. p.73.

McClelland, D. 1985. *Human motivation.* New York: Scott, Foresman.

Maslow, A. 1954. *Motivation and personnality.* New York: Harper.

Nuttin, J. 1997, Théorie de la motivation humaine : de besoin au projet d'action, Paris: PUF, p.238.

Raby, C. 2004, Analyse du cheminement qui a mené des enseignants du primaire à développer une utilisation exemplaire des technologies de l'information et de la communication en classe, HAL Id: edutice-00000750 Université du Québec de Montréal.

Sebane, M.2011, Le Français sur Objectifs Universitaires, p. 375-380

Sebane. M. 2017. Le FOU pour ne pas naviguer en eaux troubles, Actes du XXVème Colloque AFUE. Université polytechnique de Valence. Pp 187-197. ISBN : 978-84-9048-572-9. http://dx.Doi.org/104995/XXVColloqueAFUE.2016.5999

Sebane, Mounia, 2019 « Analyse du discours de l'enseignant de spécialité via le logiciel tropes », in Goes Jan, Meneses Lerin Luis, Mangiante Jean-Marc, Françoise Olmo et Carmen Pineira-Tresmontant (éds), Apports et limites des corpus numériques en analyse de discours et didactique des langues de spécialité, Craiova, Editura Universitaria, 2019, p.181 – 195. ISBN 978-606-14-1550-2 I. Categories B.

Tardif, J., 1998, Intégrer les nouvelles technologies de l'information. Quel cadre pédagogique ? Paris : ESF Editeur. Collection « Pratiques et enjeux pédagogiques ». p.20.

à leur enseignant de revenir sur les diapositives précédentes afin de renforcer leurs connaissances et leur compréhension. Ils sont ainsi plus captivés par la projection. Tandis que durant la séance présentée avec les polycopiés, les apprenants donnent peu d'importance aux explications de l'enseignant, se contentent seulement de ce qui est écrit sur le support pour réaliser les activités proposées.

À partir des résultats obtenus, nous pouvons confirmer les hypothèses de départ (1 et 2) qui supposaient attester que les TICE exploités correctement en classe de spécialité, pourraient motiver les étudiants et faciliter l'accès à la compréhension d'un cours de spécialité.

Conclusion

A partir des résultats obtenus, nous déduisons que l'enseignement /apprentissage de la compréhension de l'oral se faisant rarement au secondaire c'est la raison pour laquelle les étudiants du groupe (A) se sont focalisés plus sur l'écrit que sur l'oral. Ils éprouvent des difficultés à énoncer des phrases complètes ou à expliciter des notions étudiées ; leur discours ne se compose que de mots ou de groupes de mots isolés mémorisés du polycopié.

C'est pourquoi, l'utilisation des moyens technologiques adaptés à la compréhension orale est nécessaire. En effet, selon Tardif (1998 :20) : « les nouvelles technologies de l'information et de la communication provoqueront la disparition du matériel pédagogique qui prétend que tous les apprenants d'un groupe d'âge donné sont susceptibles de réaliser des apprentissages similaires à partir d'une même démarche et dans plusieurs cas, à partir des mêmes exercices, des mêmes pages et de la même séquence. »

La projection d'un cours de spécialité rend la présentation plus structurée et synthétique des contenus et facilite ainsi la compréhension de l'exposé et la mémorisation des notions présentées.

Quant à Mangiante et Parpette (2011 : 73), ils affirment dans le même ordre d'idée que *« les projections peuvent relevée de plusieurs systèmes : verbale (liste, tableau, énoncés développée, etc.), ou iconique (schémas ou graphiques divers ».*

À partir de ces résultats, nous pouvons avancer donc que l'effet des TICE sur la motivation est positif car il suscite des échanges et des interactions qui s'installent en salle de cours entre l'enseignant et entre les pairs, même si ces derniers arrivent difficilement à expliquer et à s'exprimer correctement dans la langue de spécialité.

Ce qui nous pousse à déduire que les TICE ont un impact important sur la fréquence des interactions en classe, ils augmentent le niveau de persévérance chez les étudiants et encouragent leur autonomie dans leur apprentissage. Sachant que la compétence de la compréhension de l'oral est une habileté que doit acquérir l'étudiant et qui doit être enseignée efficacement.

Ainsi, intégrer les TICE pour l'apprentissage des sciences, serait une aide aux apprenants démotivés, qui présentent des difficultés en compréhension de l'oral sachant que : « les apprenants n'ont pas le courage d'extérioriser leurs pensées, leurs idées par

Commentaire :

Via cette question, 97% des apprenants sont plus motivés et intéressés durant le cours. Seulement 2.6% des apprenants ne montrent aucun intérêt au cours.

Critère 02 : Le cours est-il clair et compréhensible à travers la prestation de l'enseignant

Tableau 4 : pourcentage des résultats du cours présenté : **avec les TICE**

cours clair et compréhensible	Nb. cit.	Fréq.
oui	75	97,4%
non	2	2,6%
TOTAL OBS.	**77**	**100%**

Commentaire

Comme nous pouvons le constater, 2.6% qui ont répondu « non » préfèrent les polycopiés car ils n'arrivent pas à suivre le cours. Alors que 97.04% des étudiants comprennent et le trouvent accessible grâce aux TICE. Les étudiants acceptent l'abandon des anciennes méthodes d'enseignement afin de faciliter et de poursuivre leur formation dans le domaine c'est-à-dire avec les TICE.[M1]

Critère 03 : Les apprenants ont eu des difficultés à produire des phrases pour s'exprimer

Tableau 5 : pourcentage des résultats du cours présenté : **avec les TICE**

difficultés à produire des phrases	Nb. cit.	Fréq.
oui	26	33,8%
non	51	66,2%
TOTAL OBS.	**77**	**100%**

Commentaire

Contrairement au cours présenté avec les polycopiés, 66.2% des apprenants ont produit des phrases correctes et complètes. Alors que 33,8% préfèrent rester silencieux par manque de bagage linguistique.

3. Interprétation des résultats du groupe A et du groupe B

Au regard des résultats obtenus, nous pouvons dresser un bilan des résultats obtenus du groupe A (de l'expérimentation réalisée avec les polycopiés) et du groupe B (de l'expérimentation qui s'est déroulée à l'aide des TICE : le PP). Nous tenons à rappeler que cette étude a été réalisée par le biais d'observations, de questionnaires, d'une grille d'évaluation et à partir du logiciel sphinx² plus. Un grand nombre de données a été récolté, mais certaines réponses sont restées inexploitables car elles n'avaient pas d'intérêt pour notre recherche.

Nous dirons donc que les étudiants sont plus spontanés dans leurs échanges lors de la projection du cours, ont plus confiance en eux, n'hésitent pas à prendre la parole et à demander des explications. Ils prennent des notes (même en arabe), tentent de suivre le cours pour ne rien rater, échangent des informations et interagissent entre eux, demandent

Commentaire :

Selon les résultats, 7.5% d'étudiants sont motivés et attentifs durant le cours et 77.5% des participants finissent par se distraire avec leurs téléphones portables par exemple.

Critère 02 : Le cours est-il clair et compréhensible à travers la prestation de l'enseignant.

Tableau 2 : pourcentage des résultats du cours présenté **avec les polycopiés**

cours clair et compréhensible	Nb. cit.	Fréq.
Non réponse	6	15,0%
oui	8	20,0%
non	26	65,0%
TOTAL OBS.	**40**	**100%**

Commentaire :

Nous pouvons dire que 65% des apprenants n'arrivent pas à suivre en cours en raison de l'insuffisance de bagage linguistique en français ; ce qui les poussent soit à répondre en arabe dialectal, soit à se désintéresser totalement des explications de l'enseignant. Donc 20% seulement suivent et participent au cours.

Critère 03 : Les apprenants ont eu des difficultés à produire des phrases pour s'exprimer.

Tableau 3 : pourcentage des résultats du cours présenté : **avec les polycopiés**

difficultés en production	Nb. cit.	Fréq.
Non réponse	6	15,0%
oui	11	27,5%
non	23	57,5%
TOTAL OBS.	**40**	**100%**

Commentaire

Pendant le cours traditionnel, 57,5% des étudiants arrivent à produire et exposer des phrases facilement, 25,5 % d'entre eux ne participent pas en cours parce qu'ils ont des complications à reproduire même des petits énoncés et 15 % n'ont pas répondu à la question.

Analyse et résultats de la présentation du cours via les TICE (le PP) avec le groupe (B).

Nous rappelons ici que ceux sont les mêmes critères de la grille d'évaluation utilisée pour évaluer la motivation de la compréhension du groupe A, mais cette fois-ci avec le groupe B qui assistait au cours de spécialité via le PP.

Critère 01 : Les apprenants ont fait preuve de motivation en répondant aux questions.

Tableau .3 : pourcentage des résultats du cours présenté : **avec les TICE**

preuve de motivation	Nb. cit.	Fréq.
oui	75	97,4%
non	2	2,6%
TOTAL OBS.	**77**	**100%**

professeurs différents. Ce qui nous a permis de réfléchir à une étude comparative entre deux cours de spécialité présentés avec deux méthodes différentes.

Premier jet : Groupe A

La première expérimentation s'est déroulée avec deux groupes de sections différentes, de 13h à 14h30mn. Le principe était de présenter le cours avec les **polycopiés** de façon traditionnelle sur le thème « *le microscope optique* », cours déjà présenté et expliqué par l'enseignant de spécialité lors des séances de travaux pratiques (TP) en laboratoire. Pour terminer, nous avons proposé une activité sur le cours afin de vérifier leur motivation et leur compréhension orale.

La consigne : « À l'aide du tableau suivant, classez les composantes du microscope optique :

Partie mécanique	Partie optique

Deuxième jet : Groupe B

La seconde expérimentation s'est déroulée le 15/10/2018 de 13h30 à 15h. Le but était de présenter le même cours qui portait sur « *le microscope optique* » d'une manière claire sans charger le diaporama du *power point* et d'éviter ainsi aux étudiants de s'ennuyer. Nous avons, ensuite, exposé une activité sur le cours étudié pour évaluer la compréhension.

La même consigne de l'activité concernant le cours présenté sous forme de PP, et dictée par le professeur est la suivante :

«Selon votre compréhension du cours projeté, classez les composantes du microscope optique dans le tableau ci-dessous :

Partie mécanique	Partie optique

Enfin de cette expérimentation, nous avons analysé toutes les réponses obtenues à partir d'une grille d'évaluation et du logiciel sphinx plus.

3. Résultats de la grille d'évaluation :

3-1- Analyse et résultats de la présentation du cours avec les polycopiés du groupe (A) : Nous présentons les résultats obtenus des critères (8/9/13) de la grille d'évaluation sur la motivation de la compréhension de l'oral du groupe A qui a assisté à un cours de spécialité via les polycopiés.

Critère 01 : Les apprenants ont fait preuve de motivation en répondant aux questions de l'enseignant.

Tableau 1 : pourcentage des résultats du cours présenté **avec les polycopiés**

preuve de motivation	Nb. cit.	Fréq.
Non réponse	6	15,0%
oui	3	7,5%
non	31	77,5%
TOTAL OBS.	**40**	**100%**

Nous adhérons dans notre réflexion à la définition de McClelland et nous tenterons, dans cet article de déterminer les besoins des apprenants en ce qui concerne la motivation à la compréhension orale des concepts de spécialités via les TICE. En effet, enseigner la biologie, objet de notre étude, ne se résume pas seulement à une simple transmission d'un savoir, mais à une adaptation de connaissances liées à la recherche des sciences expérimentales cellulaires. Cela ne pourra se réaliser que grâce à l'éveil de la motivation pour une compréhension efficiente de concepts de spécialité.

2. Expérimentation

2-1- Participants : Notre objectif, avec la participation de l'enseignant de spécialité du domaine, est d'établir une étude comparative en biologie cellulaire menée auprès des étudiants de la 1ere année LMD à l'université de Mustapha Stambouli de Mascara.

La première expérimentation avec le **Groupe appelé « A »**, comprenant un groupe de la section **C** et un groupe de la section D, s'est déroulée de 10h à 11h 30mn avec une promotion de la 1ere année de biologie divisée en plusieurs sections : le groupe 01 de la **section « C** » comprenant **14 participants** dont 4 absents. Ainsi, l'effectif du groupe 03 de la **section « D** » totalise **16 participants** dont 2 absents.

La deuxième expérimentation s'est déroulée de 13h30 à 15h.avec le **Groupe appelé «B»**, regroupant **six groupes** de la **section «D**» rassemblant au total 77 **étudiants.**

2-2- Outils de la recherche : Afin d'analyser les besoins des apprenants et de collecter le maximum de données, des questionnaires ont été élaborés et présentés aux deux partenaires pédagogiques pour cibler les difficultés et les lacunes en compréhension des étudiants.

Le premier questionnaire adressé aux enseignants de spécialités dans le département de biologie, est composé de **17** questions à choix multiples, **6** questions fermées et une question ouverte, diversifiées visant le repérage des difficultés rencontrées durant le cours de spécialité. L'outil a été distribué à **30** enseignants ; mais seulement **13** d'entre eux nous l'ont retourné.

Nous avons distribué **un second questionnaire,** destiné cette fois-ci aux étudiants de 1ère année de biologie à Mascara. **500** exemplaires de questionnaire ont été distribués à un large public d'étudiants de la 1ère année LMD. Seulement **200** questionnaires nous ont été retournés. Cet outil est composé de**18** questions, dont **12** à choix multiples et **6** questions fermées.

Pour l'expérimentation, nous avons eu recours à des polycopiés présentant le cours traditionnel, et l'outil d'aide, le PP pour la présentation d'un autre cours de spécialité enfin, une grille d'évaluation contextualisée à notre recherche (ci- joint). Celle-ci est composée de 17 critères afin d'évaluer la compréhension orale des étudiants. Nous avons pour l'analyse des réponses, optée pour le logiciel **sphinx plus²**.

2-3- Méthode : Durant le premier semestre du mois d'octobre de l'année universitaire 2018/2019, nous avons assisté à six séances de biologie cellulaire présentées par deux

compréhensible. Raby (2004 : 79), cité par Karsenti et Larose (2005), considère que « la motivation joue un rôle essentiel dans les apprentissages liés aux TICE ».

Les TICE offriraient ainsi, la possibilité d'enseigner en associant des images, des sons et des textes ; ce qui constituerait une source de motivation pour les apprenants en leur permettant de confronter la variété et l'originalité de différentes informations de leurs spécialités et développer ainsi leurs compétences en compréhension orale. Beacco (2007 : 185) estime que la compréhension, « est une compétence qui vise à transmettre progressivement à l'apprenant des stratégies d'écoute et de compréhension d'énoncés à l'oral et qui précède l'expression ».

Parmi les outils qui pourraient être utilisés dans l'enseignement / l'apprentissage des sciences biologiques, le power point (PP), considéré comme une aide afin d'appréhender et d'exposer le réel. Sur la diversité de l'utilisation de cet outil (Drouin (1987 : 19) souligne qu'il existe *« image-objet, image-langage, image d'acquisition, de découverte, de comparaison, de visualisation »*

Le choix du PP répond à une de nos préoccupations majeures : le potentiel pédagogique qu'il peut jouer pour motiver et susciter la compréhension de l'oral chez les apprenants en biologie. C'est aussi un outil disponible et facile à manipuler. « C'est l'outil le plus populaire au monde pour présenter des informations et peu de décisions d'affaires se prennent sans cet outil » Fontenay et Vergues, (2007 :59).

L'intégration du PP dans un cours de biologie impliquerait l'interaction entre apprenants et enseignants et supposerait un gain de temps d'apprentissage, d'activités, une meilleure appropriation des connaissances disciplinaires avec une compréhension aisée des informations dispensées à l'oral et enfin il susciterait la motivation chez les apprenants.

A ce sujet, Nuttin (1997 :238) souligne que cette « motivation prend naissance lorsque l'individu est en situation de tension […] ». Il distingue deux types de motivation : **La motivation dite intrinsèque** qui « dépend de la personne elle-même » et **la motivation dite extrinsèque** qui est « provoquée par une force extérieure à l'apprenant, c'est-à-dire lorsqu'elle est obtenue par la promesse de récompenses, ou par la crainte de sanctions venant de l'extérieur. »

Notons que la motivation dans l'enseignement des sciences, doit amener l'apprenant à **manifester en lui des renforcements intrinsèques** plutôt que d'attendre des récompenses de son entourage. (ibid). C'est à cette dernière que nous nous intéresserons dans ce présent article.

Maslow (1954) et McClelland (1985) ont présenté la motivation comme le résultat de besoins à combler et à encadrer dans la hiérarchie des besoins : les besoins physiologiques, de sécurité, de relations sociales, d'estime de soi et de réussite personnelle. La classification des besoins porte quant à elle, plutôt sur des éléments cognitifs, sur les besoins de réussite, de pouvoir et d'affiliation. (ibid).

Introduction

Les étudiants algériens à leur entrée à l'université, sont confrontés à des difficultés qui proviennent soit du manque de confiance en eux, ou bien de l'insuffisance du bagage linguistique et métalinguistique en français, langue de spécialité, nécessaire à l'apprentissage et à la construction de connaissances tout au long de leurs études. Ce qui entraine un grand taux d'échec dans ces filières, Sebane (2011: 376).

Ces nouveaux bacheliers sont certes formés aux disciplines scientifiques en langue arabe dans le cycle secondaire, néanmoins ils doivent absolument les assimiler en langue française à l'université. C'est pourquoi, nous tenterons, à travers ce travail, de situer l'usage et le potentiel des TICE en classe de spécialité.

Partant de ce constat, nous poserons la problématique suivante :

«Comment les TICE motiveraient les apprenants et faciliteraient l'enseignement/apprentissage de la compréhension orale en classe de spécialité de biologie ? ».

Suite de cette problématique, nous posons les hypothèses suivantes :

H1 : Les TICE, utilisés en classe de spécialité, pourraient motiver les étudiants de biologie.

H2 : Les TICE, auraient le potentiel d'enrichir et de faciliter la compréhension orale d'un cours de spécialité.

H3 : Est-ce la peur ou la timidité des apprenants seraient autant d'obstacles à l'interaction entre les étudiants dans un cours de spécialité ?

Pour les besoins de cet article, nous nous limiterons à vérifier les deux premières hypothèses par la mise en place d'une expérimentation effectuée en deux jets : une présentation d'un cours de spécialité via des polycopiés et une autre à l'aide des TICE afin de vérifier l'impact des TICE, spécifiquement le Power Point, sur la compréhension orale et sur la motivation des étudiants. A partir de ce constat et de cette problématique, nous allons poser les fondements théoriques de cette recherche :

1. Fondements théoriques

Manguenot (2000 :38) considère que « l'intégration des supports technologiques utilisés de façon efficace augmenteraient les expériences de l'apprenant, construiraient sa personnalité et lui ébaucheraient d'autres horizons tels que la créativité dans son apprentissage ». Bertrand souligne, quant à lui, que les TICE signifient « l'ensemble des supports à l'action, qu'il s'agisse de supports, d'outils, d'instruments, de machines, de méthodes ou de programmes, résultent de l'application systématique des connaissances scientifiques dans le but de résoudre des problèmes pratiques ». (1991 : 116).

Par ailleurs, via les supports technologiques, l'enseignant et les apprenants y trouveront un appui qui constituera une aide dans l'enseignement / apprentissage d'une langue de spécialité. Plus les apprenants sont motivés, plus le savoir devient

El-ihyaa journal, Volume: 22, Issue: 30, January 2022, p-p: 1439 – 1448
ISSN: 1112-4350 EISSN: 2588-2406

La motivation via les TICE pour améliorer la compréhension orale en français de spécialité en contexte universitaire algérien

الدافع عبر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لتحسين الفهم الشفوي في اللغة الفرنسية المتخصصة في سياق جامعي جزائري

Hafida Bechlaghem[1] **Pr. Sebane Mounia Aicha**
Université Mustapha Sambouli, Mascara
Laboratoire d'ingénierie des programmes de langues dans les filières de spécialités
hafida.bechlaghem@univ-mascara.dz msebane@univ-mascara.dz

Received in: 14/12/2020 Accepted in: 27/06/2021

Résumé

Cet article s'inscrit dans le domaine de la didactique du FOS/FOU. Il vise à mettre en évidence l'usage des TICE dans le développement de la compréhension orale du français langue de spécialité et dans la motivation des étudiants en 1ère année LMD de Biologie. Comment donc, face aux nombreuses difficultés rencontrées, motiver ces derniers et les aider à faciliter leur compréhension orale via les TICE? Afin de vérifier cette thèse, et dans une étude comparative, nous avons proposé le même cours présenté à deux groupes différents, avec deux aides différentes : l'un avec des polycopiés et l'autre, avec le power point. Les résultats obtenus démontrent l'efficacité de ce dispositif au niveau de la motivation et de la compréhension orale des cours de français langue de spécialité.

Mots-clés : TICE ; compréhension oral ; français de spécialité ; motivation ; FOU.

الملخص

هذا المقال يندرج في إطار تعليمية اللغة الفرنسية لأهداف خاصة (FOS) وتعليمية اللغة الفرنسية لأهداف جامعية (FOU) والهدف من ذلك هو تسليط الضوء على مدى تأثير تكنلوجيا الإعلام والتواصل في الميدان الدراسي من حيث الفهم الشفهي للفرنسية كلغة اختصاص و رفع دافعية طلبة السنة الأولى ليسانس، ماستر، دكتوراه (LMD) لكلية التكنولوجيا.كيف يمكن مساعدة هؤلاء الطلبة لتسهيل فهم الدروس من جهة ورفع دافعيتهم من جهة أخرى بواسطة وسائل الإيضاح (TICE) تفاديا للصعوبات، للإجابة على هذه الإشكالية، قمنا بتقديم نفس الدرس لفوجين مختلفين، الفوج الأول استفاد من مطبوعات علمية (polycopiés) والفوج الثاني من عرض تقديمي (power point). النتائج المتحصل عليها أثبتت مدى نجاعة هدا الأخير لتسهيل فهم الدرس وتفاعل الطلبة.

الكلمات المفتاحية: الدافع؛ الفهم الشفهي؛ اللغة الفرنسية المتخصصة؛ تكنولوجيا المعلومات والاتصالات (TICE)؛ لأهداف جامعية (FOU).

[1] - Auteur correspondant

[37]- Ibid.
[38]- In, Les controverses littéraires, L'Assommoir d'Emile ZOLA, op. cit.
[39]- Cité par Lionel LABOSSE, dans, L'Assommoir, d'Emile ZOLA, op. cit.
[40]- In, Les controverses littéraires, L'Assommoir d'Emile ZOLA, op. cit.
[41]- Cité par Lionel LABOSSE, dans, L'Assommoir, d'Emile ZOLA, op. cit.
[42]- In, Les controverses littéraires, L'Assommoir d'Emile ZOLA, op. cit.
[43]- Cité par Lionel LABOSSE, dans, L'Assommoir, d'Emile ZOLA, op. cit.
[44]- In, Les controverses littéraires, L'Assommoir d'Emile ZOLA, op. cit.
[45]- Ibid.
[46]- In, Fiche sur L'Assommoir de ZOLA : Résumé et analyse du roman, op. cit.
[47]- Cité par Laura TESTONI, in, L'Assommoir et la méthode naturaliste, op. cit.
[48]- Ibid.
[49]- In, Fiche sur L'Assommoir de ZOLA : Résumé et analyse du roman, op. cit.

[9]- Selon Lionel LABOSSE, dans, L'Assommoir, d'Emile ZOLA, en ligne, L%E2%80%99Assommoir,%20d%E2%80%99%C3%89mile%20Zola%20-%20www.altersexualite.com.html, consulté le, 27 03 2018.
[10]- Emile ZOLA, L'Assommoir, 1877, p. 466, in, Portrait lexical, op. cit.
[11]- L'Assommoir, en ligne, L'assommoir%20-%20Comptes%20Rendus%20-%201463%20Mots.html, consulté le, 22 03 2018.
[12]- In, Fiche sur L'Assommoir de ZOLA : Résumé et analyse du roman, op., cit.
[13]- L'Assommoir d'Emile ZOLA, op. cit.
[14]- Ibid.
[15]- Emile ZOLA, L'Assommoir, op. cit, p. 58.
[16]- Ibid., pp. 137-138.
[17]- In, Sur les pas de Gervaise, en ligne, Sur%20les%20pas%20de%20Gervaise%20-%20Action%20Barb%C3%A8s.html, consulté le, 26 03 2018.
[18]- L'Assommoir d'Emile ZOLA, op. cit.
[19]- Ibid.
[20]- Emile ZOLA, L'Assommoir, op. cit., p. 486.
[21]- In, Fiche sur L'Assommoir de ZOLA : Résumé et analyse du roman, op. cit.
[22]- Ibid.
[23]- In, Les controverses littéraires, L'Assommoir d'Emile ZOLA, en ligne, consulté le, 26 03 2018.
Les%20controverses%20litt%C3%A9raires%20(6_9)%20_%20L%E2%80%99assommoir%20d%E2%80%99Emile%20Zola%20%E2%80%93%20Babelth%C3%A8que.html, consulté le, 26 03 2018.
[24]- Ibid.
[25]- In, Les controverses littéraires, L'Assommoir d'Emile ZOLA, op. cit.
[26]- In, Fiche sur L'Assommoir de ZOLA : Résumé et analyse du roman, op. cit.
[27]- In, L'Assommoir d'Emile ZOLA, op. cit.
[28]- Cité par Lionel LABOSSE, dans, L'Assommoir, d'Emile ZOLA, op. cit.
[29]- Ibid.
[30]- In, L'Assommoir d'Emile ZOLA, op. cit.
[31]- Cité par Lionel LABOSSE, dans, L'Assommoir, d'Emile ZOLA, op. cit.
[32]- Cité par Laura TESTONI, in, L'Assommoir et la méthode naturaliste, en ligne, L%E2%80%99Assommoir%20et%20la%20m%C3%A9thode%20naturaliste%20%E2%80%93%20Les%20%C3%A9tincelles%20des%20mots.html, consulté le, 22 03 2018.
[33]- In, Cours de français – L'assommoir de Zola, en ligne, Cours%20de%20Fran%C3%A7ais%20-%20L'Assommoir%20de%20Zola%20-%20Maxicours.com.html, consulté le, 22 03 2018.
[34]- In, Les controverses littéraires, L'Assommoir d'Emile ZOLA, op. cit.
[35]- Ibid.
[36]- Cité par Lionel LABOSSE, dans, L'Assommoir, d'Emile ZOLA, op. cit.

L'assommoir%20-%20Comptes%20Rendus%20-%201463%20Mots.html,
8- L'Assommoir d'Emile ZOLA, disponible sur, consulté le, 22 03 2018.
L'Assommoir%20Zola_%20analyse%20commentaire%20extraits%20et%20citations.html,
9- L'Assommoir et la méthode naturaliste, en ligne, consulté le, 22 03 2018.
L%E2%80%99Assommoir%20et%20la%20m%C3%A9thode%20naturaliste%20%E2%80%93%20Les%20%C3%A9tincelles%20des%20mots.html,
10- Les controverses littéraires, L'Assommoir d'Emile ZOLA, en ligne, consulté le, 26 03 2018.
Les%20controverses%20litt%C3%A9raires%20(6_9)%20_%20L%E2%80%99assommoir%20d%E2%80%99Emile%20Zola%20%E2%80%93%20Babelth%C3%A8que.html,
11- Portait lexical, en ligne, consulté le, 20 03 2018.
ASSOMMOIR%20_%20D%C3%A9finition%20de%20ASSOMMOIR.html,
12- Sur les pas de Gervaise, en ligne, Sur%20les%20pas%20de%20Gervaise%20-%20Action%20Barb%C3%A8s.html, consulté le, 26 03 2018.

Référence :

[1]- Emile ZOLA, L'Assommoir, Pocket, Paris, 1990 (réédition).

[2]- Prenons des ouvriers ni pires ni meilleurs que d'autres, plongeons-les dans le milieu délétère des faubourgs, soumettons-les à une épreuve (l'accident qui condamne Coupeau à l'oisiveté, le retour de Lantier qui réveille les fantômes du passé), et voyons comment ils réagissent en fonction de leur hérédité et de leur tempérament. Pour plus d'informations, voir, Fiche sur L'Assommoir de Zola: Résumé et analyse du roman, disponible sur, Fiche%20sur%20L%E2%80%99Assommoir%20de%20Zola%20_%20R%C3%A9sum%C3%A9%20et%20analyse%20du%20roman.html, consulté le, 20 03 2018.

[3]- Céline BROSSILLON, L'Assommoir de Zola : des bêtes humaines assommées par la solitude, en ligne, https://sites.ualberta.ca/~aizen/excavatio/articles/v28/Brossillon.pdf, consulté le, 27 03 2018.

[4]- L'Assommoir d'Emile ZOLA, disponible sur, consulté le, 22 03 2018.
L'Assommoir%20Zola_%20analyse%20commentaire%20extraits%20et%20citations.html,

[5]- Emile ZOLA, disponible sur, L'assommoir%20-%20Comptes%20Rendus%20-%201463%20Mots.html, consulté le, 22 03 2018.

[6]- Cité par Céline BROSSILLON, L'Assommoir de Zola : des bêtes humaines assommées par la solitude, op. cit.

[7]- In, Portait lexical, en ligne, consulté le, 20 03 2018.
ASSOMMOIR%20_%20D%C3%A9finition%20de%20ASSOMMOIR.html, consulté le, 20 03 2018.

[8]- Ibid.

les anciennes structures corporatives. En naturaliste exemplaire, Zola compile de nombreuses informations sur les milieux dont sont issus ses personnages, se rend dans les lieux où ils sont censés vivre, rédige des notes. Ce travail préalable lui permet d'être le plus réaliste possible, de véritablement placer ses personnages dans leur cadre « naturel ». Comme avant chacun de ses romans, il s'est livré à une véritable enquête de terrain du quartier de la Goutte-d'Or et des métiers ouvriers qu'il restitue avec une précision et acuité qui immerge instantanément le lecteur.

L'Assommoir, ce livre étrange excite toutes les haines. Il suscite de vives polémiques dès sa prépublication. Il est souvent qualifié de roman « terriblement noir », un roman sur la déchéance, voire misérabiliste. Il a été l'objet de toutes les conversations. Il a indigné énormément de personnes. La presse tire à boulets rouges sur cette littérature de crudité. Il se trouve des journalistes pour le dénoncer comme une œuvre immorale, fétide, malsaine et pornographique. Zola obtient enfin une reconnaissance littéraire et publique même si cela se fait au prix d'un douloureux baptême de feu. Mais c'est ce réalisme qui provoque son succès. «Quand un livre excite des haines, on peut être sûr qu'il a touché une plaie et fait frémir la vérité»[45]. Zola déclare que son roman se résume ainsi: «Assainissez les faubourgs et augmentez les salaires»[46], «Fermez les cabarets et ouvrez les écoles»[47], car pour lui, « l'ivrognerie dévore le peuple»[48]. Et Céline ; dans un discours d'hommage à l'auteur du roman, prononcé à Médan en 1933 ; annonce : « Depuis L'Assommoir, on n'a pas fait mieux»[49].

Liste des sources et des références:

1- BROSSILLON, C., L'Assommoir de Zola : des bêtes humaines assommées par la solitude, en ligne, https://sites.ualberta.ca/~aizen/excavatio/articles/v28/Brossillon.pdf, consulté le, 27 03 2018.

2- LABOSSE, L., L'Assommoir d'Emile ZOLA, en ligne, consulté le, 27 03 2018.
L%E2%80%99Assommoir,%20d%E2%80%99%C3%89mile%20Zola%20-%20www.altersexualite.com.html,

3- ZOLA, E., L'Assommoir, Pocket, Paris, 1990 (réédition).

4- Cours de français – L'assommoir de Zola, en ligne, Cours%20de%20Fran%C3%A7ais%20-%20L'Assommoir%20de%20Zola%20-%20Maxicours.com.html, consulté le, 22 03 2018.

5- Emile ZOLA, disponible sur, consulté le, 22 03 2018.
L'assommoir%20-%20Comptes%20Rendus%20-%201463%20Mots.html,

6- Fiche sur L'Assommoir de Zola : Résumé et analyse du roman, disponible sur, consulté le, 20 03 2018.
Fiche%20sur%20L%E2%80%99Assommoir%20de%20Zola%20_%20R%C3%A9sum%C3%A9%20et%20analyse%20du%20roman.html,

7- L'Assommoir, en ligne, consulté le, 22 03 2018.

prend la plume que pour proposer des remèdes à leur misère. Et concernant «la langue du roman qui choque », on voit qu'on doit faire comprendre l'argot de L'Assommoir. Au lieu de voir en son auteur un chercheur de scandales, il faut donc reconnaître un artiste sincère et convaincu, qui vit la vie de ses personnages, qui, pendant qu'il les crée, ne les quitte jamais, parle comme eux»[42]. «L'Assommoir n'est certes pas un livre aimable, mais c'est un livre puissant»[43], écrit Anatole France dans Le Temps le 27 janvier 1876. Et Huysmans, écrivain et critique littéraire, publie en 1876 dans L'Actualité, une longue critique du livre très positive et dans laquelle, il revient sur sa réception[44].

Zola peint un tableau de la misère populaire en ayant recours au registre pathétique pour toucher son lectorat afin de l'amener à réagir. Par son œuvre ; dans laquelle on perçoit une prise de position sociale forte, c'est une critique de la société corrompue du Second Empire ; il convainc son lecteur de l'horreur de la misère et de l'incontournable inégalité sociale du XIX^{ème} siècle. Tout est mis en œuvre pour émouvoir son récepteur : il n'est plus temps de demeurer indifférent. Peu à peu, le roman de Zola s'impose pour devenir un classique et surtout une référence littéraire, dépassant le cercle du naturalisme.

Conclusion

L'Assommoir est totalement consacré au monde ouvrier. L'auteur y restitue la langue et les mœurs des travailleurs tout en décrivant les ravages causés par la misère et l'alcoolisme. On comprend mieux à sa lecture tout le génie de Zola qui a su dépeindre, avec force et véracité, le quotidien d'un quartier encore ouvrier de Paris, déjà connu par ses bistrots et sa vie nocturne. Il dénonce la cruauté de l'entourage et les milieux malsains où évoluent les enfants qui reproduisent inéluctablement le sort de leurs parents. Dans une langue truffée de termes argotiques des faubourgs parisiens, Zola parvient à nous transmettre sa fascination du monde ouvrier avec cette vie harassante mais noble de travailleurs manuels.

Le roman décrit avec intérêt, passion et minutie la lente descente aux enfers d'une blanchisseuse. En effet, après une ascension qui fait plaisir à voir, mais contient déjà les germes de la chute, nous assistons à la lente agonie de Gervaise. Zola retrace le destin tragique de cette pauvre femme ballottée par les événements, manquant de chance, de discernement ou tout simplement de force de caractères, incapable de saisir les opportunités de sorties. Il mène un réquisitoire contre la misère en insistant sur le déterminisme du milieu. Il montre la déchéance de Gervaise qui aurait pu vivre différemment. Il en résulte la nécessité implicite, pour Zola, de réformes sociales susceptibles de corriger cet univers dégradant dans le domaine du travail : le développement du capitalisme au XIX^{ème} siècle paraît plus défavorable à l'ouvrier que

Les pouvoirs publics s'en mêlent. Sur demande du procureur de la République de Melun, la publication est interrompue momentanément. Quand le roman paraît en volume en janvier 1877 chez l'éditeur Charpentier, il est interdit de vente dans les gares, avec ce motif du ministère de l'Intérieur : « L'obscénité grossière et continuelle des détails et des termes s'ajoute dans ce livre à l'immoralité des situations et des caractères : on peut dire, même, qu'elle l'aggrave dans une proposition énorme. En conséquence, le rapporteur est d'avis que l'autorisation doit être refusée à ce tableau des mœurs ouvrières des faubourgs, (…)»[37].

La salve de critique se poursuit. La droite reproche à L'Assommoir son « écœurante malpropreté », c'est la langue du roman qui choque. A gauche, le livre apparaît comme un mauvais coup porté au peuple très défavorablement décrit, on ne présente de l'ouvrier que ses mauvais côtés. C'est ainsi que les organisations ouvrières se déclarent scandalisées par une telle peinture. On en voit le mépris d'un bourgeois. Zola s'est justifié en soulignant qu'il a voulu seulement montrer que ce sont les conditions de vivre des travailleurs qui sont, la plupart du temps, responsables des déchéances qu'il a décrites dans son roman en ajoutant qu'il ne faut point conclure que le peuple tout entier est mauvais. Dans La Préface du 01er janvier 1877 de L'Assommoir, Zola doit défendre son œuvre, il tente de s'expliquer en allant jusqu'à parler du livre comme du «plus chaste de ses romans»[38], qui « dit la vérité », celle du peuple. Il poursuit : « J'ai fait ce qu'il y avait à faire : j'ai montré des plaies, j'ai éclairé violemment des souffrances et des vices, que l'on peut guérir. (…) Mais je laisse aux moralistes et aux législateurs le soin de réfléchir et de trouver les remèdes. (…) Oui, le peuple est ainsi, mais parce que la société le veut bien»[39].

De son côté, Victor Hugo s'indigne : « Que l'on ne m'objecte pas que cela est vrai, que cela se passe ainsi. Je le sais, je suis descendu dans toutes ces misères, mais je ne veux pas qu'on les donne en spectacle. Vous n'en avez pas le droit, vous n'avez pas le droit de nudité sur la misère et sur le malheur»[40]. En addition, on a accusé l'auteur de plagiat. Et Zola confirme qu'il s'est effectivement servi de nombreux ouvrages, en s'appuyant sur une recherche documentaire très riche : «Tous mes romans sont écrits de la sorte ; je m'entoure d'une bibliothèque et d'une montagne de notes avant de prendre la plume»[41].

L'ouvrage qui a suscité de vives polémiques à sa parution, a également connu un immense succès. Il est jugé trop cru, mais c'est ce réalisme qui a assuré la célébrité de l'auteur. Il vaut à Zola de nombreux soutiens de la part de ceux qui s'accordent avec la nécessité de dénoncer les méfaits de l'alcoolisme. C'est ainsi que certains écrivains et journalistes prennent la défense du roman. Ils voient que les réflexions sont si judicieuses. Elles sont celles d'un homme qui a passé sa vie avec les ouvriers et qui ne

Enfin, on ne peut négliger le fait que L'Assommoir est une mise en pratique de la théorie du roman expérimental. C'est une illustration du roman naturaliste. Théorisé par Zola lui-même dans sa Préface du livre, le naturalisme fait du romancier «un observateur et un expérimentateur»[30]. L'idée dominante est l'exigence de vérité dans l'art, et en particulier dans le roman. La vérité naturaliste se veut le résultat d'une démarche comparable à celle de la science: observation, documentation, expérimentation, analyse, déterminisme, …

Aussi se définit-elle par le refus de l'idéalisme et du dogmatisme : « Le roman doit être ceci : montrer le milieu du peuple et expliquer par ce milieu les mœurs du peuple»[31]. Les travaux de Claude Bernard sont d'un grand apport pour Zola. De la consultation de son titre : Introduction à la médecine expérimentale, 1865 ; il conclut qu' « il faut prendre des faits dans la nature, puis étudier le mécanisme des faits en agissant sur eux par les modifications des circonstances et des milieux sans jamais s'écarter des lois de la nature»[32]. En addition, Zola s'est inspiré des théories déterministes de Darwin qu'il découvre essentiellement à la lumière des théories de Taine pour qui, l'homme est conditionné par trois facteurs : la race, le milieu et le moment. Ne perdons pas de vue que le naturalisme est une forme de réalisme avec des prétentions scientifiques très marquées.

Et si le roman de Zola est une fiction, la part documentaire constitue un trésor inestimable. Les scènes décrites reflètent bien le travail préparatoire énorme dans ses fameux carnets d'enquêtes. Il explore la culture populaire, les us et coutumes du petit peuple des faubourgs. Cette recherche documentaire n'occulte pas l'intention première de Zola, qui est décrire et dénoncer la réalité du monde ouvrier et de sa misère.

4- La réception de l'œuvre

La parution en feuilleton de L'Assommoir commence le 13 avril 1876 dans le journal républicain radical, Le Bien public. La publication qui provoque d'emblée des polémiques et des querelles, est arrêtée le 07 juin 1876. L'auteur se plaint que sa prose soit censurée et le journal aurait souhaité une peinture plus favorable du monde ouvrier. Emile Zola trouve cependant le salut avec la revue littéraire, La République des lettres qui publie, dès le 09 juillet jusqu'au 07 janvier 1877, les pages déjà parues ainsi que les suivantes. Le roman est l'objet de toutes les conversations, l'auteur de toutes les insultes. « L'Assommoir a été attaqué avec une brutalité sans exemple ; dénoncé, chargé de tous les crimes»[33]. On parle de « vulgarité » et de « grossièreté»[34]. Le livre n'est que «saleté élevé au rang de sublime»[35]. Un certain Albert Milland écrit dans Le Figaro, le 01er septembre 1876 : «L'Assommoir nous fait l'effet de devoir être réellement l'assommoir de son talent naissant. Ce n'est pas du réalisme, c'est de la malpropreté ; ce n'est plus de la crudité, c'est de la pornographie… »[36].

ouvrage médical traitant des méfaits de l'alcool. Il fournit à Zola des informations précises pour décrire la progression de l'alcoolisme chez Coupeau (mari de Gervaise) et ses crises de delirium tremens. En outre, il s'est référé au Sublime (1870) de Denis Poulot, un ancien compagnon qui décrit le monde ouvrier « comme il est » et s'intéresse à la question sociale. Le document offre un classement des ouvriers parisiens en fonction de leur comportement devant le travail, de leur manière de vivre et de leur degré d'alcoolisme. Il étudie la condition ouvrière et préconise des réformes progressistes en réponse à la question sociale, comme l'accès des ouvriers à la propriété ou l'union du capital et du travail[27]. Concernant cette même question des travailleurs, Zola a lu les manuels Roret qui proposent une initiation encyclopédique aux différentes techniques de métiers et de leur typologie, celui de couvreur, de blanchisseuse, de chaîniste. Et pour développer certaines idées sociales, on peut retenir quelques titres : L'Ouvrière (1861) et Le Travail (1866) de Jules Simenon, De l'état moral et intellectuel des populations ouvrières et de son influence sur les taux des salaires (1868) et La question ouvrière au XIX^{ème} siècle, Les ouvriers (1868) d'Eugène Manuel, où l'éducation et l'accès à la culture apparaissent comme les moyens d'une amélioration de la condition ouvrière.

Sur le plan stylistique, Zola introduit massivement le langage populaire ouvrier et l'argot parisien dans les dialogues et monologues de ses personnages. Cet emploi du parler populaire choque «le bon goût bourgeois ». Balzac et Hugo ont déjà prêté attention à ce langage. Zola retient les formes les plus significatives de la langue du peuple, en évitant toutefois de le restituer exhaustivement. Ce choix contribue à la vérité romanesque, sans se limiter à un simple parler pittoresque. Dans sa Préface, postérieure à la publication en feuilleton, il souligne: «Mon crime est d'avoir eu la curiosité littéraire de ramasser et de couler dans un moule très travaillé la langue du peuple. (…) Ma volonté était de faire un travail purement philologique, que je crois d'un vif intérêt historique et social»[28]. Sur ce point de l'emploi du langage parlé à Paris à l'époque, on précise que Zola a une connaissance directe de cet argot, en plus, il a étudié des manuels spécifiques d'expressions populaires. Il a ainsi fait appel au Dictionnaire de la langue verte : Argots parisiens comparés (1866) d'Alfred Delvau auquel il emprunte la plupart des mots restituant la parole ouvrière parisienne qui lui permet de faire « parler ses personnages ». Et, comme le roman est un récit dans la langue des personnges, Zola étend le parler populaire à son narrateur. Il ne distingue pas non plus, sa voix de narrateur de celle de ses personnages : « De là l'apparition, dans la narration même, du lexique et des tons populaires qui assurent à l'écriture du roman son homogénéité, et qui donne l'impression que le livre a été entièrement pensé dans le parler du peuple, et comme rédigé par la voix collective du quartier de la Goutte-d'Or»[29].

les «documents directs», qu'il prend un peu partout ; les «documents écrits », qu'il trouve dans tel ou tel ouvrage spécialisé[24].

Le dossier préparatoire s'enrichit progressivement et régulièrement de lecture et d'informations. C'est seulement lorsque les documents sont soigneusement dépouillés, les notes classées et étudiées, lorsqu'il visite les lieux et suit ses types, que Zola commence enfin le travail de la rédaction.

Zola a côtoyé le milieu ouvrier dès sa jeunesse quand il s'est installé avec sa mère à Paris, vivant humblement dans une seule pièce. Il a connu les mœurs populaires par sa famille maternelle et par sa femme Gabrielle-Alexandrine Meley. Zola lui-même, a mené une jeunesse modeste dans les mansardes d'étudiants parisiens, près des étages des maisons ouvrières du sud du quartier latin. Dans La Tribune (du 18 octobre 1868), journal républicain d'opposition à l'Empire, il écrit : «Les ouvriers étouffent dans les quartiers étroits, fangeux où ils sont obligés de s'entasser. (…) Quand le dimanche vient… il s'attablent au fond des cabarets. Mais ouvrez l'horizon, vous verrez le peuple quitter les bancs des cabarets pour les tapis d'herbe verte»[25]. C'est ainsi qu'il conçoit L'Assommoir comme un roman ouvrier en affirmant qu'il n'a pas agi à l'étourderie. Au contraire, il s'est vivement préoccupé de présenter tous les types saillants d'ouvriers qu'il a rencontrés. Zola veut donc aller au-delà de Balzac, de Sand ou de Hugo et de ses mythologies populaires, en installant les basses classes au centre du roman : les ouvriers, les travailleurs, les artisans et tous ceux qui œuvrent, se reconnaîtront dans ces laborieuses descriptions.

L'action se déroule presque exclusivement, dans le quartier de la Goutte-d'Or. Pour Zola, l'immersion dans le milieu à décrire, semble être l'enquête la moins contestable. Au cours de ses enquêtes sur le terrain, il dresse des plans des rues et des lieux et prend des notes dont il s'inspirera pour construire son espace romanesque. Zola capte le vécu quotidien des divers groupes sociaux qu'il prend pour sujet. Il s'intéresse à leur cadre de vie habituel, leur travail, leurs horaires, leurs loisirs, leurs coutumes, leurs habitudes en matière de nourriture, de vêtements, de fêtes ; faisant de véritables enquêtes sociologiques. Ces notes «rédigées à toute volée, dans le sillage même de l'exploration et de la découverte»[26], sont importantes, variées et d'un intérêt évident pour qui s'intéresse à l'époque. Par exemple, il analyse finement les mécanismes psychologiques qui conduisent un homme (Coupeau), puis sa femme (Gervaise) à se laisser aller, tout simplement pour oublier la dureté de la vie et parce qu'il n'y a rien d'autre qui s'offre à eux.

Zola a exploité également, lors de la préparation de L'Assommoir, de nombreuses autres sources. Il a consulté de près le livre du docteur Valentin Magnan, De l'alcoolisme, des diverses formes du délire alcoolique et de leur traitement (1874). Un

l'alcoolisme, et c'est le mal qui l'emporte. Son dernier portrait contraste avec le premier. Elle est l'exemple de la femme naturaliste. Certes sa fin est tragique, mais sa vie est loin d'être un tableau noir et sinistre de bout en bout. La force de Zola est de nous faire traverser véritablement avec elle, les épreuves et les petites victoires de sa vie jusqu'à sa déchéance finale. En fait, sa vie est une errance à laquelle la mort met un terme misérable.

Emile Zola met en scène la vie des ouvriers parisiens de la seconde moitié du XIX^{ème} siècle. C'est précisément le parcours du personnage principal qui est tracé. Le roman qui se déroule sur un peu plus de dix-huit ans (1850 – 1868), raconte « la simple vie de Gervaise », depuis son arrivée à Paris, dans la force de la jeunesse, jusqu'à sa mort dans des conditions lamentables. Zola précise : « Je prends Gervaise à vingt-deux ans, en 1850, et je la conduis jusqu'en 1869, à quarante et un ans. Je la fais passer par toutes les crises et toutes les hontes inimaginables (…) Je la montre à quarante et un ans épuisée de travail et de misère»[21]. La chute du personnage est le symbole de la misère de toute une classe sociale. « Gervaise est représentative de toute une classe sociale dont Zola brosse le portrait littéraire et scientifique. Le monde ouvrier que donne à voir Zola est un monde de misère si réaliste que l'on croirait pouvoir le toucher du bout des doigts»[22]. Ces personnages ne peuvent échapper aux déterminismes sociaux. Ils sont, par excellence, les produits-types de leur milieu.

3- L'apport de la documentation

En bon romancier naturaliste, Zola pense que l'écrivain doit observer ses contemporains, et vivre dans son temps. Il veut congédier l'image romantique, idéalisée, du bon peuple. La composition et la préparation d'une de ses œuvres est un immense travail. Il s'entoure d'abord de tous les documents qu'il peut trouver. Fort de sa documentation, Emile Zola voit que création romanesque et recherche documentaire, loin d'être deux étapes distinctes, sont menées de front, s'engendrant l'une l'autre.

Comme pour les autres romans, Emile Zola réalise un dossier préparatoire riche d'enseignements. Ce dossier comprend des réflexions sur les métiers et la condition de la vie ouvrière, des études sociologiques, linguistiques et médicales, des faits divers relatifs à la violence issue de l'alcoolisme, des précisions envoyées par des correspondants à sa demande, des tracts publicitaires, des coupures de journaux, des listes de mots argotiques, des observations personnelles sur le quartier de la Goutte-d'Or … auxquels s'ajoute un fichier des personnages présentant leurs noms, leurs statuts et leurs caractéristiques[23]. Dans une interview de février 1891, Zola précise qu'il s'entoure de trois sortes de documents : les « documents instructifs», c'est-à-dire ceux qui lui sont proposés par différentes personnes appartenant au monde qu'il a l'intention de décrire ;

l'embonpoint. Elle commence à perdre ses qualités morales et devient gourmande et lâche. Elle est moins indulgente et complaisante. Écœurée par l'ivrognerie de son mari, Coupeau ; elle redevient la maîtresse de Lantier : « Mon Dieu ! lui faisant son métier de coq ; un homme c'est un homme, on ne peut pas lui demander de résister aux femmes qui se jettent à son cou. Mais elle, elle n'avait pas d'excuses ; elle déshonorait la rue de la Goutte-d'Or»[19]. Aussi, se dégrade-t-elle physiquement : elle boîte plus violemment. Elle ne travaille plus, vit dans la misère, oublie son métier, n'a aucune fierté, aucun bonheur.

L'héroïne s'est voulu différente, plus dure sera la chute : «Elle ne travaillait plus, elle ne mangeait plus, elle dormait sur l'ordure, sa fille courait le guilledou»[20]. On ressent même presque une volupté au malheur. Gervaise se laisse couler, avec une certaine insouciance, sur la mauvaise pente. Si au début, elle est souvent rongée par l'angoisse, elle préfère ensuite ne plus s'inquiéter comme si son expérience de jeunesse l'avait immunisée, que les choses qui doivent arriver finissent par arriver et qu'il faut les accepter même si l'ont fait tout pour en reculer l'échéance fatidique.

L'hérédité, le milieu social, le manque de chance, le manque de volonté ont fait descendre à l'héroïne toutes les stations du malheur. Cela va de mal en pis pour la pauvre Gervaise, ruinée par Coupeau et Lantier. Gervaise s'entête à choisir les « mauvais garçons » alors que Goujet, modèle de vertu et d'une force impressionnante, lui tend les bras. On reste perplexe devant ses choix sentimentaux comme si elle voulait se fermer à tout prix la porte du bonheur. Petit à petit, elle sombre dans la misère, l'alcoolisme et la prostitution. Elle voit mourir Coupeau à Sainte-Anne après des crises de delirium tremens pour se retrouver pratiquement à la rue, réduite à la mendicité. Elle doit loger dans « le coin des pouilleux ».

On assiste à la déchéance d'une personne au départ honnête et simple qui se retrouve rattrapée par les injustices et les valeurs de l'époque ainsi que par l'hérédité. C'est un personnage continuellement éprouvé par la vie. Gervaise est une victime du destin et de la société. De la belle blanchisseuse blonde et travailleuse, elle devient une épave. Mais elle n'est pas responsable de ce qui lui arrive, Zola fait intervenir d'autres facteurs comme la malchance. Elle meurt victime de la faim et de la misère, d'une façon sordide, dans un réduit situé sous l'escalier de l'immeuble et n'est découverte que deux jours plus tard par les voisins à cause de l'odeur dégagée par son cadavre.

Héroïne attachante, émouvante, surprenante et combattive. Elle a connu bonheur, peine et mort. Une femme qui tente de rester debout simplement. Rester « humaine », ne pas sombrer dans le fossé, dans la boue. Une femme travailleuse mais intempérante. Au début du roman, Gervaise est douce et sérieuse mais sa vertu se dégrade. On note une double tendance de l'héroïne : vers le bien, vers le mal ; entre l'épargne et

manger, un travail, un trou un peu propre pour dormir, bien élever ses enfants, ne pas se faire battre, et pouvoir mourir dans son lit. Contre l'aliénation, Gervaise cherche sans cesse des refuges, elle se met en ménage avec Coupeau. Comme blanchisseuse, elle assure même des heures en plus.

Et elle a repris son travail après trois jours de l'accouchement. La vertu de l'économie l'emporte : le profit du travail est accumulé dans un livret de caisse d'épargne. « Quand leurs économies atteignirent la somme de six cents francs, la jeune femme ne dormit plus, obsédée d'un rêve d'ambition : elle voulait s'établir, louer une petite boutique, prendre à son tour des ouvrières. Elle avait tout calculé»[16]. Gervaise qui rêve de s'installer à son compte, emprunte cinq cents francs à son amoureux transi et muet, Goujet, un forgeron sobre et économe, c'est le type même du bon ouvrier, habitant sur le même palier avec sa vieille mère. Elle s'installe alors avec sa famille désormais agrandie par une petite fille, Anna dite Nana, dans une boutique de la rue de la Goutte-d'Or. « C'était une boutique très propre, juste dans la grande maison où ils rêvaient d'habiter autrefois»[17]. La boutique apparaît comme un monde clos et familier. Elle réussit finalement à prospérer par le mérite, en passant du statut d'ouvrière à celui de possédante. Gervaise se fait entrepreneuse et patronne. Elle a une force de travail titanesque pour une jeune frêle et qui boîte de surcroît. Besogneuse du matin au soir, au foyer et auprès de ses clients. C'est une battante qui ne se laisse pas abattre si facilement même si la vie ne lui veut pas du bien.

Au fil de l'histoire, Gervaise devient de moins en moins sérieuse. Elle néglige tout, elle ne prend plus la vie au sérieux comme elle avait l'habitude de faire. Elle ne se préoccupe que de son bien-être personnel, au moment présent et laisse les ennuis s'accumuler. Il se produit un événement décisif qui bascule son destin : la fête de l'oie, où le vin coule à flots, qui symbolise le sommet de sa réussite. On voit aussi le retour du beau parleur, dépensier et infidèle, Lantier; et l'événement est donc le point de départ d'une lente mais irréversible déchéance. Cette fête a marqué l'irruption de la dépense. On se laisse aller à la dette et à la paresse. Ajoutons à cela, l'accident de Coupeau qui vient troubler encore la paix pour mettre leur vie au défi avec la boisson qui les a enfoncés dans la misère. C'est la dégringolade programmée du couple.

La situation se dégrade, sa volonté s'affaiblit et Gervaise devient victime du déterminisme du milieu. Marquée par l'hérédité, sa mère est névrosée et son père alcoolique, elle a un penchant affirmé pour la bouteille. « Gervaise, peu à peu, s'attendrissait. Une lâcheté du cœur et des sens la prenait, au milieu de ce désir brutal dont elle se sentait enveloppée»[18].

Elle décide de ne plus se préoccuper du lendemain et d'épargner comme fourmi laborieuse pour vivre au jour le jour et se faire plaisir voire se laisser aller en prenant de

l'animalité. Ces travailleurs sont totalement dépendants de l'alambic. Assommoir désigne, par une sorte de processus métonymique, les débits, l'alcool, l'alcoolisme et enfin le mal, le destin. C'est-à-dire le malheur d'être homme, conditionné par son hérédité, son milieu, sa faiblesse et ses caractères.

2- Le parcours de Gervaise

Gervaise Macquart est le personnage central du roman. Elle est la fille d'Antoine Macquart, un homme lâche, ivrogne et paresseux. Gervaise battue, élevée dans la rue avec les garçons du voisinage, devient grosse à l'âge de quatorze ans. Le père de l'enfant n'avait pas dix-huit ans. C'était un ouvrier tanneur puis chapelier, nommé Auguste Lantier. Pour échapper aux brutalités de son père et à la honte de deux enfants conçus hors mariage, l'héroïne quitte sa bourgade natale, Plassans, un village imaginaire d'Aix-en-Provence, et s'installe à Paris avec son amant Lantier et leurs deux fils Claude et Etienne. Au début du roman, Gervaise a vingt-deux ans. Elle est décrite comme une jolie femme blanche, grande, un peu mince, avec des traits fins.

Femme au grand cœur, elle est marquée par sa gentillesse. C'est celle qui se dévoue constamment pour les autres. Par exemple, elle veille à préparer le dîner pour Coupeau alors qu'elle est sur le point d'accoucher. Et elle a ramené maman Coupeau pour s'occuper d'elle. « Mais, Gervaise est aussi un agneau qui laisse trop souvent entrer dans sa bergerie les loups…»[13].

Elle tente de faire du bonheur autour d'elle, de partager, d'essayer de prendre sous son aile les plus faibles. N'osant leur opposer résistance, elle finit toujours par se laisser berner puis «assommer», sans même jamais éprouver rancœur ou haine. «Son rêve était de vivre dans une société honnête, parce que la mauvaise société disait-elle, c'était comme un coup d'assommoir, ça vous cassait le crâne, ça vous aplatissait, une femme en moins de rien»[14].

Elle a un très bon cœur, quitte à en être faible voire lâche ; elle a horreur de faire de la peine aux gens. Gervaise s'inflige de rester avec des hommes qui pourtant causent sa perte et sa ruine: «Son seul défaut, assurait-elle, était d'être très sensible, d'aimer tout le monde, de se passionner pour des gens qui lui faisaient ensuite mille misères. Ainsi quand elle aimait un homme, elle ne songeait pas aux bêtises. Elle rêvait uniquement de vivre toujours ensemble, très heureux»[15]. Voulant toujours bien faire et donner aux autres, elle se laisse exploiter. Son désir est de contenter tout le monde même si elle finit par s'attirer toutes les foudres.

Au déterminisme du milieu, Gervaise oppose d'abord un beau courage. Elle est ambitieuse, sérieuse et travailleuse. Elle survit seule avec ses enfants en témoignant une vie acharnée alors qu'elle rêve d'une vie décente et heureuse. Gervaise n'a qu'un seul idéal simple, un idéal d'une femme modeste d'une telle époque qui est : avoir assez à

ménage avec leur fille Nana. D'autre part, Goujet, le forgeron sérieux, devient l'ami de Gervaise. Il va l'aider en lui prêtant de l'argent pour s'installer comme blanchisseuse et elle a préparé un grand repas pour fêter son installation. Après son retour, Lantier devient l'ami du couple. A ce moment, tout se dégrade. Concernant Coupeau, en s'installant dans l'alcoolisme, on a dû l'hospitaliser. Gervaise se laisse aussi aller, elle perd sa boutique. Quant à Nana, elle court la rue. Coupeau meurt dans des crises d'hallucination. Gervaise meurt elle aussi.

Zola montre tous les aspects : les faubourgs, les grands immeubles locatifs où l'on vit dans la misère et la promiscuité, les cafés où les hommes se saoulent, les lavoirs où les femmes travaillent, … Il décrit la vie de la classe ouvrière au jour le jour, dans un grand souci de vérité. Pour lui, «c'est de la connaissance seule de la vérité que pourra naître un état social meilleur»[6].

1- Le titre

Assommoir : Instrument qui sert à assommer. C'est un bâton court garni à une extrémité d'une balle de plomb, encore appelé casse-tête[7]. Dans son sens populaire, il désigne : débit de boisson de bas étage où les consommateurs «s'assomment » à force de consommer de l'alcool[8]. Le mot « assommoir» est emprunté au livre de Denis Poulot, Le Sublime : «Le distillateur, débitant de liquide, ou assommoir, ainsi nommé à cause de l'excellence de ses produits qui assomment rapidement un individu»[9].

Le roman traite essentiellement du thème de l'alcoolisme et de ses malheurs. Un des principaux lieux de débauche est l'assommoir, débit de boisson tenu par le père Colombe. C'est pourquoi, le titre de l'ouvrage est le nom de ce cabaret. L'assommoir est en fait un café, un marchand de vin, lieu de rendez-vous des soûlards du quartier : « Trois semaines plus tard, vers onze heures et demies, un jour de beau soleil Gervaise et Coupeau, l'ouvrier-zingueur, mangeaient ensemble une prune, à l'assommoir du père Colombe»[10]. Le nom du marchand de vin est ironique : la colombe étant symbole de paix alors que le cafetier et ses boissons apportent la violence et le malheur chez les clients[11]. Au milieu du bistrot se place le fameux alambic, sorte de machine infernale dont le produit, un alcool frelaté, assomme ceux qui en boivent. Au fil du roman, l'alambic devient le monstre dévorant ses victimes. C'est cette machine qui va chaque fois enlever un peu plus de bonheur à Gervaise. Ruinée, elle devra vendre son commerce, puis sombra dans la misère pour finalement mourir de faim: «Et Gervaise a vu juste. Comme les bêtes qu'on assomme dans les abattoirs, elle va être assommée par le milieu putride du faubourg. L'assommoir du père Colombe résume à lui seul les influences maléfiques qui vont s'acharner contre elle»[12]. Effectivement, cette «machine à saouler», qui est animée d'un ronflement intérieur, exerce une influence fatale sur le milieu ouvrier. L'alcool distillé et avalé par les personnages les mène au rang de

parallèlement à écrire des contes dont un volume paraît en 1864. Il fait la connaissance des peintres du moment tels que Cézanne, Renoir, Manet, Pissarro … Dès 1866, il décide de vivre de sa plume et commence à publier des romans. Il est l'un des romanciers les plus influents. Ses romans ont connu de très nombreuses adaptations au cinéma et à la télévision. D'emblée, il opte pour le naturalisme qui est un prolongement du réalisme adossé à des théories scientifiques. Il entreprend un grand projet : Les Rougon-Macquart, fresque romanesque en vingt volumes dépeignant la société française sous le Second Empire. Il met en scène la trajectoire d'une famille d'ouvriers vivant misérablement dans de sordides grands immeubles locatifs. Zola a connu surtout la vie des travailleurs par une abondante documentation. Cette volonté de représenter le monde ouvrier correspond chez lui à un engagement politique et social. Le succès de L'Assommoir, publié en 1877, septième volume des Rougon-Macquart, lui confère à la fois la notoriété et l'aisance.

Pour décrire le milieu social, Zola s'appuie sur une méthode scientifique. L'Assommoir est une illustration de la théorie du roman expérimental[2]. Le roman est un lieu d'expérimentation des mécanismes qui sous-tendent l'homme et la société. Zola déclare que le milieu a pour lui une importance capitale, et que le but du romancier naturaliste est d'observer «le travail réciproque de la société sur l'individu et de l'individu sur la société»[3]. Pour Emile Zola, l'écrivain doit suivre de près le peuple et vivre dans son temps. Il souligne : «J'aime les récits âpres et vrais qui fouillent hardiment en pleine nature humaine»[4]. Il manifeste sa volonté de montrer la réalité des milieux ouvriers. C'est un monde qu'il a côtoyé dans sa jeunesse. L'Assommoir est consacré au monde ouvrier et Zola voit qu'il est «le premier roman sur le peuple, qui ne mente pas et qui ait l'odeur du peuple»[5]. Le livre est une plongée dans le monde ouvrier, dans ses misères et ses pièges. Il est profondément ancré dans son époque. C'est le roman de la description des scènes de travail et des gestes minutieux de certaines tâches. On y découvre l'univers des lavoirs et des blanchisseuses, celui des toits de Paris et des ouvriers-zingueurs, celui de la forge, celui des fleurs ; mais aussi et surtout celui des bistrots où les ouvriers viennent se pourrir la santé à coup d'alcool frelaté.

Gervaise Macquart, l'héroïne, vit misérablement à Paris. Abandonnée par son amant Auguste Lantier, dans le trou sordide de l'hôtel Boncœur, elle s'occupe de ses deux fils : Claude et Etienne. Le chapelier infidèle, qui ne veut que vivre aux dépens de ses maîtresses successives, s'enfuit avec une nouvelle compagne, Adèle. Gervaise, qui se retrouve sans aucun bien après le départ de Lantier, se heurte au lavoir à Virginie, sœur d'Adèle. En la trouvant seule, Coupeau, l'ouvrier zingueur lui fait la cour, notamment à l'assommoir du père Colombe. Ils se mettent en ménage et habitent la rue : La Goutte-d'Or. Grâce au travail et à l'économie, Gervaise et Coupeau font un bon

El-ihyaa journal, Volume: 22, Issue: 30, January 2022, p-p: 1423 – 1438
ISSN: 1112-4350 EISSN: 2588-2406

Grandeur et déchéance d'une ouvrière française dans L'Assommoir d'Emile Zola

عظمة وسقوط عاملةٍ فرنسيّةٍ في رواية "الخمّارة" لإيميل زولا

Dr. Afaf AMROUCH
Faculté des Lettres et Langues - Université de Souk-ahras
amrouchafaf@yahoo.fr

Received in: 28/12/2020 Accepted in: 06/09/2021

Résumé

L'Assommoir D'Emile Zola est un roman décrivant les ravages de l'alcoolisme. Nous y assistons à l'installation convenable de l'héroïne Gervaise, puis à sa déchéance. En s'appuyant sur une recherche documentaire rigoureuse, l'auteur met en scène la vie des ouvriers parisiens de la seconde moitié du XIX^{ème} siècle. C'est plus précisément le parcours du personnage principal qui est tracé. La chute de Gervaise est le symbole de la misère de toute une classe. A sa parution, l'ouvrage a été vivement critiqué, mais il a connu un énorme succès.

Mots-clés : grandeur; déchéance; ouvrier; réception; alcoolisme

الملخص:

تصـــف رواية "الخمارة" لإيميل زولا أضـــرارَ الإدمان على الخمر، وترصـــد لنا اســـتقرارَ البطلة "جيرفاز" ثم سـقوطها. معتمدا على بحثٍ توثيقيٍّ صـارمٍ، صـوّر لنا الكاتبُ حياة العمّال الباريسـيّين، في منتصـف القرن التاسـع عشر، عموما، وبشكلٍ أشدّ تخصـيصـا صـوّر مسـارَ الشـخصـيّة المحوريّة، التي خطّط معالمَها بدقّة. وبدا من خلال هذه الرواية ســـقوط البطلة "جيرفاز" رمزا لبؤس وســـقوط طبقتها الاجتماعيّة كاملةً. وقد لقي هذا العملُ نقدا لاذعا كثيرا، منذ أوّل صدوره، غير أنّه حقّق مع هذا نجاحا باهرا.

الكلمات المفتاحيّة: عظمة؛ سقوط؛ عامِل؛ تلقّي؛ إدمان الخمر.

Introduction:

A travers une lecture de L'Assommoir[1] d'Emile Zola, nous nous proposons de suivre le parcours de l'héroïne afin de mettre en lumière le destin tragique de cette ouvrière française. Et d'avoir une vue d'ensemble concernant la réception du roman. Nous nous interrogeons : Gervaise est l'ouvrière ambitieuse, comment est-elle menée à la déchéance ? Zola s'est considérablement documenté pour rédiger L'Assommoir qui est une dénonciation de l'alcoolisme et de la misère sociale, que s'est-il passé lors de sa publication ?

Emile Zola est un écrivain journaliste français né en 1840 et mort en 1902 à Paris. Zola se retrouve dès l'âge de sept ans orphelin. Contraint de quitter très tôt les études, il devient employé à la librairie Hachette après divers petits métiers. Il commence

[15]- Référence inconnue.
[16]- Fayolle Royale, La critique, Éditions Armand Colin, Paris, 1978, p 33.
[17]- Adam Jean-Michel, Linguistique et discours littéraire, Éditions Librairie Larousse, Paris, 1976, p 30.
[18]- Idem, p 32.
[19]- Idem
[20]- Idem, p 31.
[21]- Métaphore rendue célèbre par une fable de Jean de la Fontaine.
[22]- Adam Jean-Michel, Linguistique et discours littéraire, p 31.
[23]- Todorov Tzvetan, Les genres du discours, Editions du Seuil, Paris, 1978.

Répondre à cette question par l'affirmative, c'est admettre, d'une part, le caractère réductible de la prose et de la poésie et défendre, d'autre part, une thèse qui n'est pas la nôtre. Il n'est pas aisé, néanmoins, de concevoir un langage poétique dans lequel s'aboliraient, par un syncrétisme quelconque, les différences entre le tout social et le tout individuel, le scientifique et le non scientifique, le sérieux et le jeu, l'univers des enfants et celui des adultes, bref entre le réel et le fictif, le vrai et le vraisemblable. Un seul homme peut certes cumuler des fonctions diverses et quelquefois opposées : jouer comme un enfant quand il est au milieu des enfants ; traiter des questions politiques avec les adultes ; porter un regard objectif sur ses échantillons qu'il manipule dans son laboratoire de chimie et devenir, le temps d'une courte récréation, un poète, pourquoi pas grand et talentueux ? Toute la question est de savoir faire la part des choses et de mettre de l'ordre dans un domaine, jamais plus intensément investi qu'aujourd'hui, et qui demeure rebelle et résistant, presque indifférent aux charges qu'on lui livre. Cette relation du chercheur à la poésie n'est pas de nature belliciste ; elle est magie, mystère, sensualité et amour.

Références bibliographiques :

[1]- Bordas Eric & autres, L'analyse littéraire : Notions et repères, Nathan/VUEF, 2002, p p 2&3.
[2]- Gérard Genette, Figures I, Éditions du Seuil, Paris, 1966.
[3]- Barthes Roland, Le degré zéro de l'écriture suivi de Nouveaux essais critiques, Editions du Seuil, Paris, 1972.
[4]- Genette Genette, Figures I, Figures II & Figures III, Editions du Seuil, Paris, 1966, 1969,1972.
[5]- Barthes Roland, Le degré zéro de l'écriture suivi de Nouveaux essais critiques, p37.
[6]- Idem.
[7]- Idem.
[8]- Toursel Nadine & Vassevière Jacques, Littérature : Textes théoriques et critiques, Editions Nathan, Paris, 1994, p 186.
[9]- Sartre Jean-Paul, Qu'est-ce que la littérature ? Editions Gallimard, Paris, 1948, p 11.
[10]- Idem, p 28.
[11]- Benveniste Emile, Problèmes de linguistique générale, 2, Editions Gallimard, Paris, 1974, p 58.
[12]- Mounin George, Clefs pour la linguistique, Editions Seghers, Paris, 1971, p 42.
[13]- Idem, p 43.
[14]- Toursel Nadine & Vassevière Jacques, Littérature : Textes théoriques et critiques, p.10.

Voyons, à présent, le cas de Rimbaud qui a, lui aussi, écrit des poèmes en prose. Todorov constate immédiatement qu'au lieu d'employer des métaphores comme Baudelaire, il recourt à la métonymie. Toujours est-il que la caractéristique principale de sa poésie est le refus de la représentativité par la non prise en compte du caractère signifiant et transitif du langage. C'est ce qui fait dire à Todorov qu'il fait de la littérature présentative, obtenue par les moyens suivants:

-il ne nomme pas franchement les choses; il les suggère par le truchement de leurs propriétés constitutives.

-il construit des phrases agrammaticales auxquelles il est difficile d'attribuer un sens. Cela force le lecteur à chercher la signification, non des phrases mais des mots dans la phrase de Rimbaud. Il encombre son poème de personnages si bien que chaque personnage cité en dernier lieu fait, tout de suite, oublier tous les autres et plonge ainsi le lecteur dans une atmosphère d'irréalité.

- Il emploie des oxymorons et des phrases contradictoires.
- Il brouille les procédés habituels de l'énonciation
- Il choisit les termes génériques et abstraits au lieu des vocables spécifiques et concrets.
- Il recourt aux quantificateurs universels.

Tous ces procédés transforment le poème en un texte devinette.

Il est important de constater, à la suite de Todorov, que tout, dans les poèmes de Rimbaud, contribue à la destruction du langage ordinaire pour l'éloigner, au maximum, de la réalité sensible. Il en résulte, selon les propos de Todorov, que l'intemporalité, dite caractéristique de la poésie par B. Suzanne, n'est rien d'autre que la conséquence de la non représentation.

En effet, il convient de souligner que la mère, dans le récit de Colette, n'est pas dans l'erreur quand elle traite sa fille de folle. Voici, à l'appui, un relevé des termes propres à qualifier la poésie, effectué en 1966 par le groupe Mû, à l'issue de ses recherches sur le langage poétique : « 'abus' (Valéry), 'viol' (J. Cohen), 'scandale' (R. Barthes), 'anomalie' (T. Todorov), 'folie' (Aragon), « déviation' (L. Spitzer), 'infraction' (M. Thiry), 'subversion' (J. Peytard).

Conclusion

De ce qui précède, nous pouvons dire qu'on ne peut pas être poète et non-poète à la fois ; agir autrement serait réunir les termes contradictoires. Certains auteurs, tel l'algérien Kateb Yacine, ont tenté de produire des œuvres littéraires avec la double intention de plaire et de transmettre un contenu utilitaire. De tels auteurs défendent la possibilité d'un travail exceptionnel qui prend en charge les deux grandes dimensions du langage, à savoir le plan de l'expression et le plan du contenu. Une pratique littéraire de ce type trouverait sa pleine justification dans l'expression très répandue : « joindre l'agréable à l'utile ». Est-ce possible ?

est pertinent de souligner le recours de Novalis à l'allégorisme qui est une autre figure fréquente dans le roman et dont le caractère analogique peut stimuler, chez le lecteur, une série d'associations qui entretiennent la polysémie. Ces procédés, pris séparément, ne font pas la poésie qui ne se révèle dans sa vraie nature que lorsqu'ils se trouvent réunis dans un même discours.

Est-ce que pour autant la poésie est un genre littéraire à part entière, qui se distinguerait, par exemple, du roman, de la nouvelle, de la tragédie, de la comédie etc.? Non, répond Todorov, car les genres sont établis à partir des différences qui caractérisent chacun d'eux. Or, la poésie est fondée sur les ressemblances et, de ce fait, il convient de la situer au-dessus de tous les genres et c'est pourquoi elle est présente dans tous les genres mais aussi dans la nature, le geste, la danse, la peinture, l'architecture, la sculpture, la musique, etc. On rencontre également la poésie sans le vers dans l'œuvre de Baudelaire et de Rimbaud, références tant de la poésie française que de la poésie moderne.

Avant de faire le point sur la poésie sans le vers, Todorov évoque d'abord les travaux de Suzanne Bernard que cette dernière a effectués sur les poèmes en prose de Baudelaire. S. Bernard a dégagé les caractéristiques de la poésie à partir de la construction oxymoronique du titre. Celui-ci réunit, en effet, deux termes contraires: le poème et la prose. Il s'ensuit que dans chaque poème de Baudelaire il y a la rencontre d'un principe et de son contraire tels que le bonheur et le malheur, la nuit et le jour, la terre et le ciel, etc.

Donc, pour S. Bernard, le poème est marqué positivement alors que la prose est marquée négativement. Mais qu'est-ce qu'il y a de poétique dans le poème? S. Bernard retient l'idée de l'unité du poème: c'est un tout complexe dont les éléments sont solidaires les uns des autres. Ce trait, présent dans n'importe quel texte, est renforcé par celui de l'intemporalité. L'histoire, propre à d'autres discours, se trouve ici abolie par deux procédés, à savoir la répétition et l'incohérence. Contrairement à l'idée reçue, « l'histoire ne se répète pas ». Et si, dans l'histoire il y a des événements qui se répètent, il faut les ranger dans la poésie. Voilà pourquoi la chronologie se dérobe en faveur d'une discontinuité qui justifie l'incohérence textuelle de sorte que les poèmes paraissent sauter d'une idée à une autre sans transition logique.

Après ce détour, Todorov en vient à spécifier lui-même la poésie sans le vers de Baudelaire. Il y remarque la thématique de la dualité du contraste et de l'opposition, qui prend la forme de trois figures:

- l'invraisemblable qui coupe les attaches du discours poétique avec le réel, d'où son autonomie et son intransitivité.
-l'ambivalence qui joue avec les catégories de l'être et du paraître des choses.
-l'antithèse qui fait place aux termes contraires.

Il constate, d'abord, que c'est un roman pas comme les autres. Il cherche, ensuite, en quoi il est différent des autres formes romanesques. Il conclut que c'est un roman poétique. Reste à savoir quels sont les divers procédés à l'œuvre dans ce roman pour qu'il en soit ainsi. Todorov prend appui sur les propos de Novalis et de certains de ses personnages qui distinguent deux voies pour accéder à la connaissance de l'histoire des humains: la voie de l'expérience et celle de la contemplation (ou de l'intuition).

De là, il distingue deux types d'hommes: les hommes d'action qui sont des héros et les poètes qui ne le sont pas. L'homme d'action est passionné par les événements du monde extérieur; il découvre les choses au fur et à mesure de leur apparition. Le poète, en revanche, a une saisie immédiate et instantanée de la diversité des choses comme elles peuvent figurer sur une toile de peinture. Ce qui l'intéresse, c'est moins les choses que l'essence des choses. C'est ce qui explique son immobilisme et son goût pour le livre et l'anecdote. Il choisirait volontiers, pour ainsi dire, un discours sur les Indes au coin du feu plutôt qu'un voyage réel aux Indes. Ainsi, le réel et le concret cèdent-ils la place au livresque et à l'abstrait. De là encore, Novalis distingue les récits romanesques, historiques, des récits poétiques qui répugnent aux accidents de l'histoire.

Heinrich von ofterdingen est un roman poétique, disions-nous. Les personnages de ce roman accomplissent très rarement des actions au sens propre du mot. Ils ne font que penser, réfléchir, rêver. Il leur arrive de parler, mais lorsqu'ils parlent, c'est au sujet des rêves, de la poésie et des poètes, sinon ils chantent tout simplement. En plus, la relation de causalité propre aux récits traditionnels est pratiquement absente ou n'est pas de même nature. Enfin, les personnages enrichis d'un savoir nouveau ne contribuent à aucune transformation, c'est eux-mêmes qui se transforment, de l'intérieur. Cette attitude justifie, en outre, le rejet, chez les poètes, des sujets particuliers au détriment des sujets généraux. Quand ils conversent d'amour, à titre d'exemple, ce n'est point de l'amour qui unit telle personne à telle autre mais de l'amour en général dans lequel se reconnaîtront tous les amoureux sans exception.

Sur un autre plan, Todorov note que les procédés d'enchâssement dans le roman sont également d'une autre nature. En effet, le récit qui enchâsse ressemble au récit enchâssé. On y rencontre les mêmes sujets: rêves, poésie, amour. C'est ce qu'on appelle la "mise en abyme" qui établit les équivalences, les correspondances, les similitudes des paradigmes narratifs.

De ce procédé découle un autre qui n'est pas étranger au premier. C'est le parallélisme des enchâssements: les récits enchâssés ressemblent si bien aux récits enchâssés que rien n'est pratiquement imprévisible pour les personnages qui semblent écouter des histoires qu'ils ont déjà entendues ou vécues. Quand la partie tend le miroir à l'ensemble, on parle de métonymie. Or, la métonymie est une figure de style, une image. Puisqu'il est question de figure et d'image (signes analogiques ou iconiques), il

du signifiant : le mot « presbytère signifie principalement « habitation de curé » et accessoirement, ou en filigrane, « joli petit escargot », « anathème », «mur du jardin », etc.

Les mots poétiques ont un pouvoir hédonique et enchanteur qui semble tenir aux réminiscences suscitées dans la conscience tant de l'auteur que du lecteur ; ils sont pareils à cette vague qui se développe au milieu de la mer avant de venir mourir paisiblement ou bruyamment sur la grève de la plage. Ce qu'il faut lire dans un poème, c'est moins le spectacle de la mort, sans doute émouvant, qui se produit au contact de la terre ferme, mais cette longue aventure de la vague, restée en dehors des regards et seule sensible à l'intuition poétique.

Ressources verbales, rythmiques, syntaxiques et stylistiques

T. Todorov a fait, lui aussi, une place importante à la poésie dans son ouvrage "Les genres du discours"[23]. D'emblée, il souligne que le vers n'est pas la seule caractéristique de la poésie et que celle-ci présente des aspects : verbal, sémantique, syntaxique et pragmatique. Le vers procède de l'aspect verbal et concerne la rime, le mètre, la prosodie, etc. Quant à l'aspect sémantique de la poésie, il est l'objet de trois théories.

La théorie ornementale privilégie le plan de l'expression au détriment du plan du contenu. L'intérêt est porté sur la plus belle manière de dire ici un même contenu qui peut être exprimé ailleurs d'une manière plus lâche. La théorie affective oppose la prose à la poésie comme on oppose les idées aux sentiments. Enfin, la théorie symboliste est celle qui distingue le signe, outil de la prose, du symbole, outil de la poésie.

C'est cette dernière théorie que Todorov a essayé de développer en évoquant plusieurs auteurs qui se sont intéressés à la poésie tels Blackmur, Hautman, Tynianov et R. Jakobson. Tous s'accordent sur le fait que la caractéristique majeure de la poésie est l'analogie, la ressemblance, l'équivalence, les correspondances, la répétition, le parallélisme, etc. Toutes les autres caractéristiques en découlent et instituent le principe de la cohérence et de l'unité de la poésie.

Il faut noter que la théorie symboliste est élaborée à partir des travaux effectués sur la poésie romantique dont l'influence est très grande jusqu'à nos jours. On ne sait pas ce que sera la poésie de demain pour juger de l'envergure et de l'efficacité de cette théorie. En l'évoquant, il paraît que le but de Todorov est de la dépasser. Lui-même déclare que toutes ces théories ont déduit les caractéristiques du langage poétique à partir de ces caractéristiques verbales. Il cite, pour cela, Novalis qui a essayé de caractériser le langage poétique à partir des caractères du poète, c'est-à-dire de l'homme. C'est ce que Todorov appelle l'aspect pragmatique de la poésie qu'il a tenté d'éclairer en analysant un roman de Novalis intitulé "Heinrich von ofterdingen".

jetais, par-dessus le toit du poulailler et le jardin de Milton, vers l'horizon toujours brumeux de Moutiers.»[19]. Ce passage explique le caractère virtuel du signifiant et ses possibilités de réaliser la fonction symbolique ou sémiotique lorsqu'il est associé à un signifié.

Il est clair maintenant que la fillette a affaire à des signes, mais à des signes particulièrement polysémiques à cause des associations libres et infinies. Une telle parole, poétique bien entendu, est incommunicable : le mot « presbytère » ne peut, en effet, désigner à la fois les bannis invisibles, le petit escargot, le toit de la basse-cour, le jardin de Miton et n'importe quel objet. Voilà pourquoi il faut se méfier du langage des enfants qui font des mots un usage fortement individualisé et personnalisé : ils jettent, comme plus haut, les mots sur des objets variés sans aucune nécessité.

La poésie demeure le propre du langage jusqu'à ce que l'enfant cesse d'être enfant. C'est ce qui arrive à la fillette quand elle dit à sa mère : « Maman ! Regarde le petit joli presbytère que j'ai trouvé. »[20]. La mère paraît surprendre chez sa fille un trait de folie. Inquiète, elle s'interroge si son enfant n'a pas tout son bon sens. Sur ce, la petite fille apprend que le langage des adultes est raisonnable, contrairement au sien qui est une infraction au bon sens. Elle apprend aussi que devenir adulte, c'est appeler un chat un chat : un presbytère signifie la maison du curé ; si M. Millot (qu'elle connaît) habite un presbytère, c'est parce qu'il est curé. C'est entendu mais finis les rêves de la fillette et l'aventure incontrôlable du mot « presbytère ».

Devenu prisonnier de la seule demeure du pauvre curé, il a perdu ses secrets et ses mystères, ses doutes et ses incertitudes, l'étonnement et les agréments qu'il a suscités. La fillette, déçue, aurait pu s'exclamer : « C'est tout ce qu'il veut dire ! ». C'est en quelque sorte ''la montagne qui accouche d'une souris''[21] Dès lors, le signifiant devient transparent pour montrer autre chose que lui : « La norme du langage quotidien qui est de communication et d'économie, c'est l'effacement de la substance phonique au bénéfice de la signification, la transparence du signifiant»[22].

Le poids de la signification sociale

Le passage de la poésie à la prose marque le passage de l'enfance à l'âge adulte, du symbolique au réel, du ludique au sérieux et du connotatif au dénotatif. Cela ne veut pas dire que la poésie est refusée à l'adulte car dans chaque adulte il y a un enfant tout comme chaque mot de la langue a une histoire dans la conscience de chacun. Cette histoire est l'ensemble des significations secondaires et subjectives accumulées, pendant des années, en marge d'une signification sociale, ou autour d'elle, et dont on ne peut se débarrasser. Bien qu'apprise tardivement et constituant le noyau dur du signe, la signification sociale, objective et dénotative, conserve la mémoire des significations connotatives antérieures. La fillette du récit, devenue adulte et maintenant informée du sens réel du mot, ne laisse pas tomber les autres significations qu'elle avait créées autour

Si elle choisit « Affreux Alfred », c'est en raison d'une ressemblance phonique (équivalence paradigmatique) entre les deux unités sélectionnées. Le slogan « I like Ike » est construit sur le même mode. On peut ajouter « La vue, c'est la vie », « Il n'y a que Maille qui m'aille ».

On peut dire, enfin, à la suite de Sartre, qu'il y a des poètes qui font de la prose et des prosateurs qui font de la poésie. La problématique de la prose et de la poésie n'est pas récente. Au XVI siècle déjà, Antoine Sébillet "proclame la supériorité du vrai poète sur le simple rimeur dont les prétentions à la poésie sont ridicules"[15].

La réflexion de J-M. Adam sur le langage poétique éclaire largement les pensées vagues et abstraites du Philosophe français. Il travaille sur une œuvre de Colette « Sido, la Maison de Claudine et la Naissance du jour » parue en 1971. Dans le chapitre « le Curé sur le mur », il s'agit d'une enfant qui, pour la première fois, entend d'un inconnu le mot « presbytère » dont elle ne connaît pas évidemment la signification, ni la référence. L'enfant, séduite par la matérialité du mot, n'éprouve aucun besoin d'en connaître la signification. Il est « comme brodé d'un relief rêche en son commencement, achevé en une longue et rêveuse syllabe »[16].

Le mot « presbytère », devenu objet, a une étendue (le commencement et la fin) et des qualités (relief, rêche, long, rêveur) ; l'enfant peut le ramasser, dit Colette, comme on ramasse un oiseau qui tombe du nid, dormir avec lui comme avec sa poupée et son ours. On ne peut parler de signe jusqu'à présent car il y a tout juste un signifiant constitué d'une substance phonique, source d'émerveillement et de plaisir, de doute et d'incertitude, de secret et de mystère.

Cette substance phonique, épaisse, hermétique et opaque, n'autorise aucune ouverture sur le monde réel qui est celui de la signification ; bien plus, elle trace une frontière infranchissable entre l'univers des enfants et celui des adultes : quand il arrive, par exemple, à la mère de demander à sa fille distraite à quoi elle pense, celle-ci lui répond: « A rien Maman ». Ce refus est révélateur également d'une fracture qui se produit dans l'univers du langage où l'on distingue le langage des enfants, poétique, et celui des adultes qui ne l'est pas.

Poétique, le langage des enfants l'est jusqu'à un certain stade de son évolution. Au début, le mot « presbytère » ne signifie rien, c'est sa matérialité en tant qu'objet qui attire l'attention. Plus tard, l'enfant l'investit de significations toutes personnelles, qui ne regardent personne d'autres. Tel est le cas de la fillette qui, du haut du mur de son jardin, se met à crier : « Vous êtes tous des presbytères ! »[17]. Visiblement, le mot « presbytère » adressé à des bannis invisibles[18], signifie « maudits » qui n'est pas du tout le sens réel du mot, c'est-à-dire le sens social ou le sens du dictionnaire. Bientôt, elle s'avise qu'il peut être le nom scientifique d'un petit papillon jaune rayé de noir ; elle se permet même d'étendre son application à une infinité d'objets : « 'Presbytère !' Je le

au moins celle de la prose; elle colle aux mots, fait corps avec eux et rayonne tout autour de mille éclats; elle est son auréole qui sollicite, à la lecture, non la transcendance humaine mais son intuition et ses sentiments; elle invite à la contemplation, non à l'action.

Le poète, hors du langage et venant à lui, l'aborde avec un air mystérieux et d'étrangeté. La conventionalité des mots est abandonnée au profit d'une subjectivité qui touche à l'indicible. Le mot, n'exprimant rien, ne désignant rien, conserve la totalité de ses significations virtuelles. Cette richesse due à sa charge sémantique cultive et accroît la polysémie. Florence n'est pas uniquement une ville italienne. Ce n'est qu'un mot, rien qu'un mot qui évoque certes la ville mais aussi la fleur, le fleuve, l'or, une fille qui s'appelle Florence, etc. Le mot est exploité à fond et nul ne peut épuiser ses significations potentielles, toutes aussi valables les unes que les autres.

De là, on comprend que la poésie est jeu et que le jeu est désintéressé, tant il est vrai que celui qui joue ne travaille pas et que celui qui ne travaille pas ne gagne rien. Un poète est comparable à un danseur qui exécute des gestes qui n'ont d'autres buts que d'être appréciés dans leur propre accomplissement ; ils sont différents des gestes effectués, par exemple, pour déplacer un objet ou pour faire fonctionner une machine, etc. La gratuité est donc l'une des caractéristiques de la poésie. Ce qui est valorisé ici, ce n'est point le résultat de l'action mais l'acte de danser: on danse, en quelque sorte, pour danser.

Il en va de même pour le poète qui écrit pour écrire. Si tel est le cas, on peut imaginer l'importance qu'il accorde au mot (sa sonorité, sa longueur, sa place, etc), d'où son épaisseur sémantique. Aussi, l'utilité cède-t-elle la place à l'inutilité qui prolonge la vie du poème ou l'éternise pour le rendre transhistorique. Une voiture placée dans un musée, parce qu'elle ne sert pas, reste intacte jusqu'à l'éternité. Bien plus, son aspect esthétique ne fait qu'augmenter au fil des temps. C'est ce qui explique, peut-être, l'admiration toujours croissante que nous avons des voitures anciennes et de la littérature antique.

L'effet du fait poétique

On voit qu'on n'est pas loin de la définition faite par Jakobson de la fonction poétique qui privilégie non le contenu du message à transmettre mais « l'accent mis sur le message pour son propre compte »[14]. Elle consiste à transférer le principe d'équivalence et sélection, propre à l'axe paradigmatique, sur l'axe syntagmatique qui est celui des combinaisons. Une fille, qui n'aime pas son voisin Alfred, aurait pu dire :

Je n'aime pas Alfred
Je déteste Alfred
Je hais Alfred
Alfred me dégoûte, etc.

idéologies. Il est révoltant d'entendre le mot "arabe" proféré par un français quand on est Arabe bien qu'on sache que le mot « arabe » s'oppose au mot « français » comme la "table" à la "chaise".

Tous les mots de la langue possèdent une signification secondaire, dite de connotation, nécessairement discriminatoire: Juif, Noir, Obèse, Nain, Handicapé, etc. C'est ce qui a fait dire, sans doute, à Barthes que le signe, raciste institue une blessure. Notons que même la neutralité des termes scientifiques dont le souci est l'objectivité n'échappe pas à la règle car ladite neutralité est à voir comme une position.

Tel est l'usage qui doit être fait du signe par le prosateur. Il doit désigner, montrer le mal et le bien afin de dévoiler le mal et le changer en bien. Qui pourra, tout seul, s'apercevoir de ses tics familiers comme de ses défauts et de ses abus ? Il faut quelqu'un pour les lui dévoiler et cela ne peut se faire que grâce aux signes. Libre, ensuite, au pécheur de se laver ou non de son pêché car il en est le seul responsable.

Pour le reste, les mots de la prose doivent être précis, concis, d'une clarté certaine, étrangers à toute forme d'ambiguïté, un peu comme si chacun d'eux renvoie à une seule réalité, réalité unique qui lui confère toute sa rigueur pragmatique laquelle fait valoir le caractère utilitaire mais éphémère des mots de la prose. En effet, quand vous demandez un verre à un garçon de café, vous le faîte avec les mots de la langue. Ils vous servent, dans cette situation précise, à obtenir un verre d'eau et rien d'autre. Dès que vous êtes servi, les mots employés s'envolent, disparaissent et vite oubliés. Pour mieux comprendre cela, songez à une voiture que vous avez achetée pour vous servir. Elle ne peut pas tenir longtemps et, à force de son utilisation, elle finira un jour ou l'autre dans la ferraille.

Pour Sartre, le prosateur doit être forcément engagé par rapport à sa société dont les besoins et les intérêts sont dictés par le contexte spatio-temporel et déterminés par des facteurs politiques et économiques. Au-delà ou en deçà de ces frontières nettement tracées, l'écrivain a fort peu de chance de faire de la prose. Il en est ainsi de certains critiques qu'il qualifie de "gardien de cimetières" qui, au lieu de s'occuper des œuvres actuelles, vont dépoussiérer des œuvres éteintes d'auteurs éteints. De tels écrivains et de tels critiques ont raté leur mission, celle de servir leur peuple, ceux-là en versant dans la fiction et ceux-ci en en faisant les louanges. A partir de là, on a tendance à dire que la prose est à la poésie ce que l'utile est l'agréable.

Tout autre est le mot de la poésie qui, rappelons-le, n'est pas un signe pour Sartre. Il ne renvoie point à un objet qui lui serait extérieur, à l'image du son et de la couleur. Il est l'objet lui-même, c'est-à-dire son ou graphie. Or, il n'est de son si pur et si dépouillé qui ne soit pas imprégné de signification. Nous n'avons qu'à considérer la réaction de l'enfant aux bruits nocturnes, au souffle du vent, au grincement de la porte, etc. Tout, pour ainsi dire, est significatif mais il s'agit d'une signification tout autre, qui n'est pas

sont pas des signes. Seuls les mots de la prose sont des signes et, de ce fait, procèdent du langage qui est l'univers de la signification. Sartre nous rappelle que la fonction du langage est la communication et que lorsqu'on communique c'est pour dire quelque chose qui vaille la peine d'être communiqué?[10]. Tant il est vrai qu'on ne parle pas pour ne rien dire. Emile Benveniste, dans « Problèmes de linguistique générale »[11], est entièrement d'accord avec Sartre sur le fait que les notes et les couleurs ne sont pas des unités signifiantes. De son côté, G. Mounin parle de communion[12] lorsqu'il s'agit de musique et de peinture, de communication[13] lorsqu'il s'agit des langages. Le philosophe explique ensuite dans quelle mesure les mots de la poésie ne sont pas des signes et pour quelle raison la poésie rejoint la musique et la peinture.

Sartre affirme que les prosateurs et les poètes n'ont en commun que le geste qui consiste à coucher les mots sur la feuille blanche et que la prose et la poésie appartiennent à deux univers incommunicables. Certes, ils se servent des mêmes mots mais de manières fortes différentes. Les mots du prosateur sont transparents comme les vitres d'une fenêtre. Ce qui compte, alors, c'est moins le mot, traversé par le regard, que l'objet qu'il nomme. C'est cette transitivité, cette ouverture sur le monde extérieur -que les linguistes appellent référence extralinguistique- qui est la propriété du signe et, par voie de conséquence, de la prose.

Au-delà du mot, le signe

Le signe est inséparable du monde physique et de la société des humains qui s'en servent. Sartre corrobore, semble-t-il, la conception tridimensionnelle du signe de l'école anglo-saxonne qui tient compte du signifiant, du signifié mais aussi du référent. Cette conception triadique du signe a engendré la linguistique pragmatique qui est l'œuvre des philosophes anglo-saxons, Austin et Searle. Ce n'est donc pas étonnant que pour J-P. Sartre le signe soit indissociable de l'action. C'est par là qu'il rencontre Austin qui a écrit un ouvrage, devenu depuis sa publication en 1962, une référence de la linguistique pragmatique et qu'il a intitulé « How to do things with words » (Comment agir avec des mots). Quand Hitler déclare la guerre, dit J-P. Sartre, il fait la guerre.

Les propos n'évitent pas l'action. Au contraire, ils se confondent avec elle et produisent leurs effets. On dit, sans faute, que les flèches ont bel et bien disparu mais elles continuent de blesser. Il est vrai que le référent "flèche" est abandonné par la modernité, il n'en reste pas moins que le signe "flèche" qui lui survit continue à causer du tort comme si c'était une vraie flèche. La censure systématique des livres, dans les pays totalitaires, n'est en ce sens qu'une réaction défensive et préventive contre le pouvoir dévoilant et transformateur, voire destructeur des signes.

La linguistique objective, née du structuralisme, reconnaît au signe son caractère différentiel et distinctif. Cette attitude de neutralité selon laquelle le mot "table" est différent du mot "chaise" méconnaît la portée des signes placés à l'échelle des

par J-P. Sartre. Tout tend, chez Barthes, à évoquer l'axe paradigmatique pour caractériser la poésie moderne. Tel est le cas des expressions : « le mot n'a plus qu'un projet vertical»[5], « il est un signe debout»(Idem)[6], « Ainsi sous chaque mot (…) gît une sorte de généalogie existentielle où se rassemble le contenu total et non plus un contenu électif comme dans la prose et la poésie classiques»[7]. Par contre, la poésie classique et la prose ne sont pas tout à fait différentes l'une de l'autre, elles ont en commun de se dérouler sur l'axe syntagmatique qui est celui des combinaisons syntaxiques. La poésie classique n'est donc pas la poésie du mot, mais la poésie de la phrase et de la parole. On sait que lorsqu'un mot est employé dans une phrase, sa signification se précise. Cette précision s'explique par le fait que la phrase actualise une seule signification du mot au détriment de toutes les autres, restées ailleurs (dans la langue) à l'état de virtualités.

C'est ce qui nous arrive dans la vie quand nous possédons une certaine somme d'argent avec laquelle nous rêvons d'une voiture, d'un appartement, de vacances à l'étranger, d'investissements de toute sorte. La liste n'est pas fermée et ne se ferme pas, tant il est vrai qu'il s'agit de rêves, c'est-à-dire de virtualités. Mais, dès qu'on passe à l'acte (l'actualisation) en achetant, par exemple, une voiture, on perd tous les autres : l'appartement, les vacances, les investissements, etc.

Il en est de même pour les mots de la prose et de la poésie classiques. Le mot, dès qu'il est réalisé dans une phrase, il s'appauvrit, se réduisant presque à rien : il devient sans épaisseur, sans densité et sans éclat. Il est, en quelque sorte, absorbé par la phrase qui lui refuse toutes les autres significations. Le mot dans un poème classique est pareil à un individu qui prend sa place au sein d'un groupe dont il subit obligatoirement les contraintes : ses libertés sont confisquées en faveur d'une conduite commune ; d'où, dans le poème classique, un lexique d'usage, des figures conventionnelles et des constructions socialisées. On voit bien que la poésie classique répugne à la créativité, à la liberté et à l'invention. Cet esprit est celui de tout le classicisme, cette rigueur algébrique est celle de l'éloquence à laquelle Victor Hugo et les romantiques ont déclaré la guerre.

Quelle est donc cette grammaire mystérieuse qui régit la poésie moderne ? Barthes parle de rapports de mouvement et de musique : la grammaire de la poésie moderne, c'est donc la prosodie. Valérie approuve: «C'est le son, c'est le rythme, ce sont les rapprochements physiques des mots, leurs effets d'induction ou leurs influences mutuelles qui dominent »[8]. C'est là le champ privilégié et investi par Henri Meschonnic qui réduit la poésie à sa dimension formelle.

Dans « Qu'est-ce que la littérature? » et plus précisément dans le premier chapitre intitulé Qu'est-ce qu'écrire?[9], Sartre s'est penché sur la question et a apporté des réponses très intéressantes à nos interrogations. L'auteur souligne que la poésie est du côté de la peinture et de la musique : les notes, les couleurs et les mots de la poésie ne

courant, ou au langage scientifique, qui seraient, pour reprendre les termes de R. Barthes, le degré zéro de l'écriture.

La poésie serait donc un ensemble de traits esthétiques qui s'étendent sur une échelle de valeurs qui l'éloignent plus ou moins de la prose. Inversement, un poème privé de ses valeurs esthétiques et ramené au discours commun redevient prose. Toute la question, pour nous, est de savoir quels sont ces traits poétiques ajoutés à la prose pour en faire de la poésie. La réponse se résume en un seul mot : la figure. Cette notion constitue, pour certains théoriciens, le fondement de la poésie et de la littérature d'une manière générale. Ce n'est pas d'ailleurs sans raison que Gérard Genette lui a consacré trois volumes qui portent, tous, le titre de « Figures »[4] Sans entrer dans les détails, disons qu'il y a des figures qui se rapportent, selon le cas, au signifiant, au signifié et à la syntaxe.

En revanche, quand il parle de la poésie moderne, Barthes cite Rimbaud comme le premier jalon de la modernité. Dorénavant, la poésie se sépare de la prose, elle devient une « Nature fermée », un langage particulier. Elle s'oppose non seulement à la prose mais aussi à la poésie classique, car la poésie et la prose classiques procèdent d'un même langage, un langage relationnel dans lequel sont privilégiés les rapports. Les mots, combinés entre eux, contribuent à la production d'un sens qui s'actualise à la fin du discours, poétique ou prosaïque, à la manière des opérations arithmétiques ou algébriques.

Tout autre chose est la poésie moderne qui néglige ces rapports en faveur d'une espèce de juxtaposition des mots qui rend à ces derniers leur densité, leur épaisseur, leur éclat et leur richesse. Quand on connaît la formation linguistique de Barthes, il n'y a pas lieu de s'étonner de son hermétisme apparent qui camouffle un discours scientifique, assez clair.

Quand il fait référence à la poésie moderne, il suggère, tout simplement, l'axe paradigmatique et la langue. On sait que la langue est virtuelle et qu'elle est constituée d'un ensemble de mots qui forment un système et qui entretiennent entre eux des relations paradigmatiques dites d'équivalences, de contrariété, de choix ou d'associations. La poésie moderne se sert, pour ainsi dire, de mots et non pas de phrases. Elle donne à lire la signification des mots, non celle des phrases. Or, le sens d'un mot isolé est inépuisable parce que, à l'image de la langue dont il est l'unité, c'est une virtualité. Chaque mot d'un vers moderne est porteur d'une infinité de significations.

En plus, il est susceptible de déclencher, chez le lecteur, tous les termes équivalents ou contraires, auxquels il peut être associé. C'est pour cela que l'axe paradigmatique s'appelle aussi l'axe des éléments in absentia. Le mot de la poésie moderne est pour ainsi dire une présence et une absence, ou plutôt une présence dans laquelle il convient de lire une absence. Nous verrons plus loin l'analyse qui sera faite du mot « Florence »

détermination du sens. Hors contexte, le mot est nu, il peut tout dire ou ne rien dire. Autrement dit, il est imprimé d'une neutralité sémantique, voire même vidé de sa substance poétique. Dire qu'en littérature, la poésie et la prose visées, il faut coudre la signification sur la taille du mot serait le régulateur qui structure l'écriture littéraire. D'où l'intérêt que nous accorderons à l'axe paradigmatique et à l'axe syntagmatique.

Parallèlement, cela signifie que les données spatiotemporelles, culturelles et imaginaires expliquent le dynamisme esthétique de la poésie et de la prose et font que l'homme de lettres, poète ou prosateur, doit être un être de son temps. De la sorte, tout discours sur la poésie et la prose doit reposer sur une exploitation d'ordre culturel. Cette démarche atteste que les valeurs socioculturelles et les valeurs esthétiques s'entrecroisent et s'influencent. C'est ce rapport de dépendance qui balise les débats des spécialistes de la littérature comme par exemple J-P. Sartre, T. Todorov, R. Barthes, J-M. Adam, J. Cohen, etc. Et l'assertion "Qui ne rime pas fait de la prose'' atteste que la poésie se distingue de la prose du fait que la première est pourvue de la métrique et de la rime absentes dans la deuxième.

Au commencement était Aristote

Pour le début de la délimitation des zones de chacun de ces deux genres, il faut remonter jusqu'à «La Poétique» et «La Rhétorique» d'Aristote. Dans le premier, l'auteur définit la poésie comme une imitation plus ou moins belle qui est faite de la réalité. On sait, à la suite de Platon, que les poètes imitateurs, en reproduisant non le réel mais les simulacres du réel, trompent les lecteurs d'autant plus qu'ils s'adressent à leur sensibilité et non pas à leur raison. De fait, les poètes sont condamnés moralement et politiquement.

Dans le second, il présente la rhétorique comme l'art de parler de manière à convaincre. L'outil du rhéteur ou de l'orateur n'est pas la poésie mais la prose. C'est donc la différence fondamentale, initialement perçue, entre le poète et l'orateur. Mais très vite on s'aperçoit que, quand l'orateur s'adresse à son public, il a le souci non de lui transmettre une vérité quelconque, mais d'agir sur sa sensibilité afin de lui modifier ses opinions. Discrédité, à son tour, aux yeux de son public, l'orateur est identifié au poète, la rhétorique à la poétique et le vraisemblable au fictionnel. Ainsi, la jonction de la poésie et de la prose oratoire engendre et fonde la littérature au sens moderne du mot.

De la conception classique à la conception moderne

Roland Barthes traite cette question dans le Degré zéro de l'écriture. A la question : Y a-t-il une écriture poétique ?[3], l'auteur compare la poésie classique à la poésie moderne. Il explique que la poésie classique n'est rien d'autre qu'une prose enrichie d'un supplément d'éléments qui en font de la poésie. La prose est alors conçue comme la manière la plus économique de traduire la pensée et qui correspondrait au langage

chaque époque, chaque société et chaque école viennent greffer à l'esprit artistique leurs protocoles socio-esthétiques.

Poésie et prose : des Frontières à délimiter

Les questions : ''Qu'est-ce que la poésie ?'', ''Qu'est-ce que la prose ?'', tant dans les temps anciens que modernes, ne sont pas des moindres du moment qu'elles exigent toujours une pluralité de voies de lecture, de recherche et d'analyse. Et en tant que telles, la poésie et la prose ne sont véritablement productives que s'ils sont appréhendées comme une «…matière linguistique…pratique de pensées et objet culturel…qui s'inscrit toujours obligatoirement et inévitablement à l'intérieur d'un contexte social dont l'empan reste à envisager»[1]. Faute de quoi, la recherche risque l'égarement ou la dérive. C'est donc cette singularité qui légitime la problématique de la mobilité en question, les débats qui en découlent et les critères pluriels et mouvants auxquelles ces deux pratiques sont soumises. Dire que de l'héritage des anciens on garde ce dont a besoin est une devise qui explique qu'à contexte particulier une pensée attestée. De surcroit, est littéraire ce qu'un esprit d'époque considère comme littéraire mérite aussi arrêt et réflexion.

C'est en cela que le propre de la création poétique et prosaïque consiste à proposer aux lecteurs, à partir d'une matérialité linguistico-sémantique, de nouvelles réalités langagières et imaginaires. Et sous la forme d'une boutade, nous dirons que c'est parce qu'il y a poésie qu'il y a prose. Le contraire est aussi vrai. En d'autres mots, la création littéraire est à apprécier en fonction de la singularité artistique de ces deux pratiques gardiennes de l'esthétique littéraire. Et disons d'emblée, la poésie et la prose ne se donnent pas à voir comme deux discours qui s'excluent ou s'opposent. Artistiquement parlant, ce sont deux différentes manières d'être dans la littérature. Elles laissent apprécier l'esthétique et le mouvement de la langue pour se rendre compte que cette dernière ne s'épuise pas par l'écriture.

Partir de la langue et revenir à la langue seraient le circuit qui permettrait l'exploitation maximale des ressources qu'offre l'inépuisable imaginaire littéraire. Jouant sur/avec la langue, c'est tout l'effet de la mobilité de la structure sémantico-esthétique de la poésie et de la prose qui est à imaginer dans les figures et les représentations les plus attirantes et les plus expressives et signifiantes. De la dynamique de la langue poétique et prosaïque, Gérard Genette a raison de considérer cette langue : « comme une deuxième langue à l'intérieur de la première »[2], c'est-à-dire la langue de tous les jours et de tous les hommes.

Au-delà de leur inscription générique, c'est la poésie et la prose qui accompagnent le renouvellement de la langue dans ses grandes distances et assurent aux lecteurs la jouissance poétique du mot. Du rapport de la charge sémantique à la valeur poétique des mots, il est impératif de souligner le rôle que joue le contexte dans la

El-ihyaa journal, Volume: 22, Issue: 30, January 2022, p-p: 1407 – 1422
ISSN: 1112-4350 EISSN: 2588-2406

De La Mobilité De La Poésie Et De La Prose Quels debats? Quels criteres?

Dr. Fatima-Zohra KHADRAOUI
Faculté des Lettres et Langues Étrangères - Université Batna 2
f.khadraoui@univ-batna2.dz
Laboratoire de rattachement : -L.SELNoM-
Stratégies d'Enseignement de la Littérature : une Notion en Mouvement Département de Français -Université de Batna 2

Received in: 02/01/2021 Accepted in: 18/05/2021

Résumé :
Le présent article traite de la problématique de la poésie et de la prose comme deux productions artistiques unies par l'appartenance à un domaine commun, mais différenciées par des caractéristiques singulières. Dans cette optique, nous opterons pour une démarche chronologique qui atteste de la dynamique de la pensée humaine en matière de production artistique. Pour nous inscrire dans la mobilité en question et respecter le principe de la contextualisation de tout discours, nous partirons de «*La Poétique*» et «*La Rhétorique*» d'Aristote pour passer en revue les conceptions données à ces deux genres artistiques par Barthes, Genette, Jakobson, Sartre, Todorov, et tant d'autres théoriciens.
Mots clés : Poésie ; Prose ; dynamisme ; Contexte ; Polémique.

ملخص:
نتطرق في هذا المقال إلى مناقشة إشكالية الشعر والنثر باعتبارهما شكلين من أشكال الإنتاج الفني تجمعهما جوانب مشتركة، لكن لكل واحد منهما خصائص تميزه عن الآخر. من هذا المنظور، سنختار نهجًا زمنيا يشهد على ديناميكية الفكر الإنساني المتصلة بالإبداع الفني. ولمتابعة الديناميكية المعنية واحترام مبدأ سياق كل خطاب، سننطلق من "La Poétique" و"La Rhétorique" لأرسطو لمتابعة ومساءلة مفاهيم كل من بارت، جينيت جاكوبسون، سارتر، وتدوروف والعديد من المنظرين الآخرين لهذين الجنسين الفنيين.
الكلمات المفتاحية: الشعر؛ النثر؛ الحركية؛ السياق؛ الجدل.

Introduction

Dans les traditions littéraires antéislamique (jahilite), gréco-romaine, persane, pour ne citer que celles-ci, c'était la poésie qui prenait les devants en matière de production esthétisée et normée. Dire qu'au commencement de la littérature était la poésie, c'est, d'une part, reconnaitre la primauté de la poésie sur la prose comme moyen d'expression artistique et, d'autre part, pointer les spécificités de l'une comme de l'autre. C'est donc cette réalité attestée par tous les spécialistes qui oriente notre réflexion et qui permet d'interroger deux formes d'expressions littéraires unies par le contrat d'appartenance à un domaine commun, mais différenciées par des caractéristiques singulières et historiquement variables. Dans la posture de cette mobilité fécondante, il s'avère que

Référence :

1- Est une approche de l'analyse statistique des données textuelles qui consiste à segmenter le discours en petites unités Sémantiques pour en dériver le nombre des occurrences et les comparer à l'intérieur d'un corpus endogène.

2- Nous tenons à préciser que nous nous sommes inspirée de Seignour, A (2011) pour concevoir la grille de lecture de notre corpus.

3 - Le (N°1) paru le 28-5-2020 ; le (N°2) paru le 30-6-2020 ; le (N°3) paru le 22-9-2020 et enfin le (N°4) paru le 18-11-2020, le (N°5) paru le 26-9-2020. Le (N°6) paru le 26-9-2020

4- C'est la première plateforme scientifique, académique algérienne émanant de la volonté du ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique.; elle s'occupe de l'évaluation et de la publication gratuite des articles scientifiques couvrant (28) domaines de recherche dans (628) revues scientifiques dont (12) ayant une catégorie (B) ; et (88) revues ayant une catégorie éditoriale (C) et (528) revues sont non classées

Ferrag, Fares et Meribai, Soheila « L'importance du socioculturel dans la conception et la traduction du texte littéraire engagé». Revue El-Ihyaa (novembre, 2020) n°.20

Garric, N., Léglise, I., & Point, S. (2007). Le rapport RSE, outil de légitimation? Le cas Total à la lumière d'une analyse de discours. Revue de lorganisation responsable, 2(1), 5-19.

Ghanem, Nour El-Houda et Khennour, Salah « L'analyse syntaxique linguistique et les logiciels informatiques». Revue El-Ihyaa (septembre, 2020) n°.20

Grossmann, Francis. Écriture scientifique et positionnement d'auteur. La formation des doctorants à l'information scientifique et technique, édité par Claire Denecker et Manuel Durand-Barthez, pp.85-100. (2017).

Guechi, Khedidja « Formation et recherche universitaire en sociologie dans le cadre de la reforme LMD ». Revue El-Ihyaa (mai, 2020) n°.20

Kerbrat-Orecchioni, C. De la subjectivité dans le langage. *Paris: A. Colin.* (1980).

Leclerc, Jacques. Le français scientifique : guide de rédaction et de vulgarisation. Brossard : Linguatech éditeur. (1999).

Lefebvre, Muriel. « Former les doctorants à la rédaction des articles de recherche : un enjeu pour la valorisation de leurs travaux » Dans, Denecker. (2011)

Mayaffre, Damon. (2008). De l'occurrence à l'isotopie: Les co-occurrences en lexicométrie. *Syntaxe et sémantique*, 9(1), 53-72. https://doi.org/10.3917/ss.009.0053

Seignour, Amélie. Méthode d'analyse des discours: L'exemple de l'allocution d'un dirigeant d'entreprise publique. Revue française de gestion, 211(2), 29-45. https://doi.org/ (2011).

SMAIL, Lemya., & KHANOUR, Salah. La figure de l'auteur entre la subjectivité énonciative et l'objectivité discursive dans les articles scientifiques (cas de Synergie Algérie) (Doctoral dissertation). (2013).

TUKIA, Marc. « Observations sur le vocabulaire, sur les marques d'énonciateur et sur la construction dans le discours scientifique ». In *Études de linguistique appliquée*, 51, p. 34-44. (1983).

Zerdoum, Kadidja et Djarallah, Slimane «Efficience de l'approche systémique dans l'enseignement supérieur ». Revue El-Ihyaa (mai, 2020) n°20.

Results, il est là et on en trouve des signes tangibles : utilisation du we [nous], choix du temps Présent (…) ».

Conclusion :

Notre investigation s'inscrit dans une approche des discours scientifiques et porte sur une analyse des données textuelles centrée sur la fonction énonciative et argumentative du discours scientifique dans le but d'examiner comment le chercheur-auteur structure son système énonciatif et s'implique dans sa production avec l'appui du logiciel sémantique Tropes.

L'analyse d'un corpus constitué de (6) articles publiés dans la revue El-Ihyaa durant l'année 2020 montre que le choix des unités minimales comme les marqueurs énonciatifs (il, nous, on) choisis volontairement par nos enquêtés sur le plan structurel permet *d'assurer* à un certain degré d'effacement énonciatif et donc épargner une subjectivité *névrosée.* C'est-à-dire, les déictiques micro du discours influencent le résultat du macro-discours (Blanc, Pleton et al., 2019).

Il faut souligner toutefois que la question de l'objectivité en sciences humaines reste une problématique en la comparant aux sciences exactes. Toutefois, notre corpus s'efforce d'être impersonnel et distancié du discours à travers le recours à un style argumentatif démonstratif et des arguments numériques.

Liste des sources et des références :

Adam, Jean-Michel. Linguistique textuelle. Des genres de discours aux textes. Paris, Nathan. (1999).

Anca, Gata «Types d'arguments dans le discours scientifique» (2005)

Blanc, A., Peton, H., & Garcias, F. L'analyse lexicométrique des macros discours par les vocabulaires–enjeux théoriques et méthodologiques. Finance Contrôle Stratégie, (NS-6). (2019).

Boumokrane, Amira et Mekhnache, Mohamed « Quand le théâtre devient lieu de rencontres interculturelles en classe de FLE». Revue El-Ihyaa (septembre, 2020) n°.20

Boutamine, Leila « Pour une approche socio- anthropologique de la chanson Algérienne: Le cas de la chanson chaouie». Revue El-Ihyaa (septembre, 2020) n°.20

Christiane Beaufrère-Bertheux, « L'anglais de la recherche médicale : une grande diversité », ASp [En ligne], 15-18 | 1997, mis en ligne le 31 octobre 2012, consulté le 12 décembre 2020. URL : http://journals.openedition.org/asp/3130 ; DOI : https://doi.org/10.4000/asp.3130. (1997)

Claire., & Durand-Barthez, M. La formation des doctorants à l'information scientifique et technique. Presses de l? enssib. (2011).

Ferhat, Salem. Le discours scientifique et la manipulation de la langue, de la subjectivité au discours objectivé. Acte du colloque international *« Texte de spécialité, texte scientifique à l'université ».* (2017).

Figure 3 : style argumentatif dans les articles

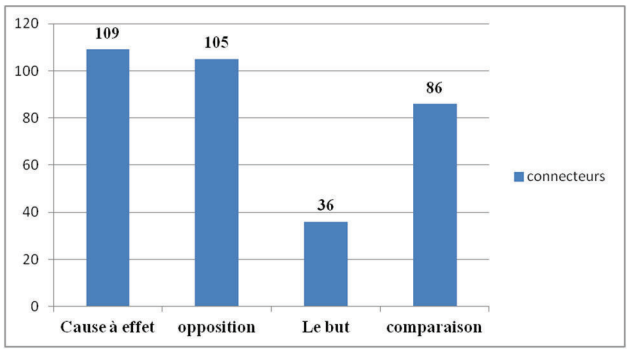

Source : conçue par l'auteure à partir des données de Tropes

Le calcul d'occurrences du style argumentatif dans notre corpus constitue un total de (9511) mots sur le total de (19854) ceci englobe les connecteurs (voire figure n°3) et les critiques des auteurs. L'argumentation joue un rôle non négligeable dans le discours scientifique, elle consiste à soutenir la thèse et défendre les conclusions (A., Gata, 2005) et delà manifester l'implication des chercheurs dans leur discours. Par ailleurs, l'analyse lexicométrique révèle un recours estimé de (70) des arguments du nombre (numériques) qui reposent sur l'identification de données quantitatives supposées comme vraies.

4. Discussion des résultats

Notre analyse lexicométrique à travers le comptage des unités appartenant au micro discours (Blanc et al. 2019) révèle que le texte de notre corpus, publié durant l'année 2020 dans la revue El-Ihyaa, est construit autour de trois attitudes discursives orientées dans leur majorité vers une intention de l'effacement énonciatif. Ainsi, nous identifions :

-Un recours au pronom impersonnel « il » estimé de (155) occurrences dont l'analyse des éléments préposés et postposés révèle des degrés variés d'objectivation allant de l'effacement énonciative, à l'atténuation de la subjectivité jusqu'à la manifestation à l'aide des assertions à l'aide des modalisateurs de certitude.

- les pronoms personnels (on) et (nous) comme marqueurs de subjectivité offre des nuances variées de subjectivité : un *Nous* de modestie, un énonciateur pluriel et un *Nous* inclusif (Ferhat, 2017).

- Le recours au style argumentatif à dominante démonstrative (Boissinot, 1992) qui se manifeste par un recours aux connecteurs et de procédés de raisonnement telle l'induction, la déduction et l'analogie (Seigneur, 2011). Recours aux chiffres et nombre visant à apporter une valeur numérique (plutôt objective) à la recherche.

En revanche, nous pouvons déduire que ces tentatives d'effacement ou de distance choisies par les auteurs de notre corpus ne sauraient ôter la subjectivité du chercheur. Pour Bertheux, (1997) *« l'auteur [notamment d'un texte scientifique] est loin d'être absent de son texte et même dans les parties où on l'attend le moins, comme Methods et*

constituer une *« souplesse et une sorte de manipulation offertes aux chercheurs.»* nous pouvons le remarquer dans les exemples suivants :

- (« *Au final **on** ne peut que dire que la chanson chaouie (en tamazight et/ou arabe algérien) marque avec beaucoup de certitude sa présence comme un outil d'expression, un moyen de concrétisation de soi et d'autrui.* ») [**article n°5,** 2020, p. 817]
- (« ***On** entend par là qu'il convient d'aborder tous les aspects d'un problème, progressivement mais non séquentiellement.* ») [**article n°1**, 2020, p. 725].

Nous remarquons à travers le recours aux pronoms (nous, on et il) les auteurs/chercheurs de notre corpus souhaitent varier les marqueurs énonciatifs en vue de fuir au tabou de « l'ethos scientifique ».

3.2 Les modalisateurs et style argumentatif

L'étude des modalisateurs permet d'appréhender le degré de certitude, d'incertitude, d'affirmation de l'auteur vis-à-vis de son énoncé.

L'analyse de notre corpus montre une fréquence de (407) occurrences ce qui correspond à (39.5%) de la catégorie des modalisateurs d'intensité, nous citons à titre d'exemple *(« malheureusement, illicites, merveilleusement, soigneusement*, *totalement démunies »)*. Quant aux modalisateurs d'affirmation, ils constituent (6.5%) ayant une fréquence de (67), ils permettent d'apporter une affirmation, comme dans les exemples suivants : (« *Un bon traducteur doit comprendre **parfaitement** le texte de départ, cette compréhension est synonyme de maîtrise **excellente** de la forme »).* [**Article n°4***,* 2020. P.14] ; (« *mais aussi une pratique, une manière d'aborder **concrètement** la complexité. La pédagogie à mettre en œuvre doit être **novatrice** tant dans sa démarche générale. »* [**Article n°1**, 2020. P.16].

Nous constatons que le comptage des modalisateurs montre un degré assez élevé « d'adhésion (*forte ou mitigée, incertitude ou rejet) de l'énonciateur aux contenus énoncés »* (Seignour, 2011). Or, selon les données de Tropes, le discours de notre corpus contient (0%) de doute ce qui confirme une posture scripturale orientée plutôt vers la certitude.

Enfin, le style argumentatif assumé par nos enquêtés se manifeste par l'utilisation des éléments organisationnels entre autres ceux de la cause, la conséquence, l'opposition, la comparaison et le but présentés dans la figure ci-après

Bref, nous pouvons dire que le pronom communément appelé « impersonnel » ne permet pas de facto une écriture ayant trait à la scientificité, Grossman (2017) appelle à écarter le mythe de l'écriture impersonnelle comme garant de l'écriture objective. Pour sa part, (Smail, L., 2013) conclue que le pronom impersonnel n'est pas garant *« de l'objectivité absolue »* cependant, il semble jouir des dimensions subjectives « à l'encontre de sa désignation, un tour *« impersonnel » caractérisé par l'effacement de la personne énonciative se révèle le lieu privilégié de l'inscription d'une subjectivité modale. »* (Smail, L., 2013)

Au plan de l'énonciation, la présence de l'auteur scientifique se traduit par l'utilisation des pronoms personnels (je, nous et on). Dans notre corpus, nous avons remarqué une absence du pronom « je ». Par contre « nous » est utilisé (72) fois et le pronom « on » utilisé (55) fois. Le pronom « nous » dans le discours scientifique occupe quatre fonctions que nous tentons d'appliquer à notre corpus à savoir l'auteur (académique), l'auteur et son lecteur, l'auteur et son co-auteur, l'auteur et la communauté scientifique.

Nous pouvons à titre d'exemple citer :

-(« *Par une approche organisationnelle, **nous** procédons en premier lieu à un essai d'évaluation de la réalité de l'enseignement de cette science avant de procéder à l'analyse de sa pratique »*) **[article n°2.** 2020, p. 770)

Ici l'auteur et son co-auteur engagent la communauté scientifique du fait qu'ils relatent des faits connus par les chercheurs.

-(« *ainsi **nous** citons le chanteur chaoui Bouzaher, son ancienne et triste chanson à grand succès sur le divorce »)* [**article n°5**, 2020. P. 1149]

Ici, l'auteure engage le lecteur en citant un chanteur populaire qu'elle estime connu par son interlocuteur ceci s'explique par le fait de ne pas consacrer en bas de page une présentation du chanteur susnommé.

- *(« c'est ce que **nous** avons essayé de le prouver en menant à bien une enquête auprès d'un petit groupe de 20 personnes. »)* **[article n°5,** 2020. P. 809]

Le « nous » dans cet exemple renvoie à l'auteur et à son co-auteur.

La fréquence des marqueurs de subjectivité dans les articles analysés a montré des nuances variées de subjectivité : un *Nous* de modestie, un énonciateur pluriel et un *Nous* inclusif (Ferhat, 2017). Nous constatons que les auteurs ont évité le recours au pronom « je » qui constitue selon Grossmann (2017) *« le tabou du moi ».*

Enfin, statistiquement parlant et par ordre décroissant les auteurs/chercheurs emploient le pronom « on » pour nuancer le degré de subjectivité de leurs discours par son aspect « indéfini » le pronom « on » il pourrait comme le précise Ferhat (2017)

3.1.1 Manifestation de la subjectivité assertive

Nous constatons que les verbes et/ou modalisateurs accompagnant le pronom impersonnel atténuent l'objectivité et permettent au chercheur de marquer manifestement son positionnement comme le montrent des expressions figées répertoriées *(évident, intéressant, nécessaire, important, il faut)*

- (« ***il est clair*** *qu'une étude de nature sociohistorique est le seul moyen pour s'assurer qu'une analyse traductive porte ses fruits. »)* [**article n°4**., 2020. p.1051]
- (« ***Il est utile*** *de rappeler que ces approches ne sont pas toujours conçues pour se rivaliser*. » [**article n°4**., 2020. p.1049]
- (« *L'approche systémique considère que tous problèmes ou des constituants du système doivent être approchés comme un ensemble d'éléments en interrelation mutuelle,* ***il faut examiner*** *tout fonctionnement de manière unitaire. »)* [article **n°1**. 2020. P.720)
- (« ***Il faut noter l'importance*** *de la liberté académique celle-ci doit être un moyen qui permet à l'enseignant d'évoluer et de réaliser ses propres fins. »)* [**article n°.2,** 2020. P.732)

3.1.2 Atténuation de la subjectivité

A contrario de la certitude marquée par les exemples cités auparavant, nous remarquons que dans certains articles, les chercheurs tentent de nuancer la subjectivité à l'aide des verbes (sembler, paraître) pour marquer une nuance de doute :

- *(« **il semble important** de prendre en considération le contexte, tenant en compte ce que sont les actes de la chanson, les événements et les situations »)* [**article n°. 5**, 2020. P.1155)
- (« ***il nous semble*** *intéressant d'essayer de prendre conscience des messages véhiculés dans ces chansons* ») [**article n°. 5**, 2020. P.1158)

3.1.3 Un effacement énonciatif

Enfin, la tournure impersonnelle identifiée dans le corpus semble exprimer une déclaration d'un savoir marquée par un effacement de l'énonciateur à l'aide des expressions figées telles (il+existe, il +avoir, il+s'agir)

-*(« **il n'existe pas** de documents pour illustrer le type d'organisation de l'enseignement de cette science ; la sociologie était confondue avec les sciences humaines (lettres et sciences humaines »).* **[article n°2.** P. 727]
- (« *Pour ce qui es du coté linguistique,* ***il s'agit du processus*** *d'analyser une séquence donnée en une structure grammaticale »)* [**article n°2**. 1112]

Ces exemples de tournures impersonnelles s'inscrivent dans le style scientifique objectif où les auteurs scientifiques se focalisent plutôt sur les faits à décrire (Grossmann, 2017).

3.1 Les indices énonciatifs dans le discours scientifique

Figure 1 : Fréquences des pronoms personnels Vs « il » impersonnel

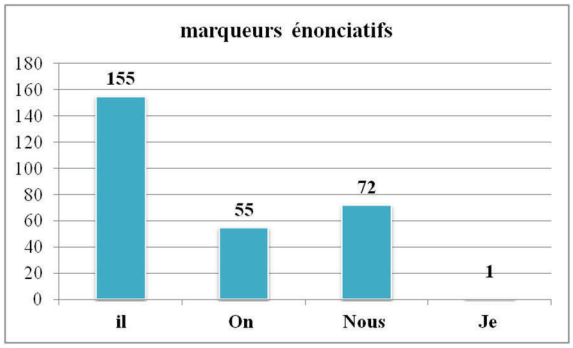

Source : conçu par la chercheure à partir des données extraites à partir du logiciel Tropes (v8)

Les résultats obtenus de l'analyse lexicométrique axée sur les marqueurs énonciatifs nous montrent une dominance du pronom impersonnel sujet « il » estimée de (155) sur un total de (19854) mots. Le nombre le plus élevé des occurrences du pronom impersonnel est estimé de (155). Par contre les pronoms « nous » et « on » employés respectivement (72) et (55) fois sur (19854) mots. Comme le témoigne l'omniprésence du pronom impersonnel « il » au détriment du « je » et « nous », nos locuteurs tentent de ne pas assumer pleinement leurs énoncés.

En effet, après avoir identifié les marqueurs énonciatifs, nous essayons de mesurer le degré d'objectivité/objectivation apportée par les tournures impersonnelles à travers une identification de éléments antéposés et postposés au pronom « il » les plus fréquents ce qui pourrait nous donner des indications sur l'attitude de l'auteur entre effacement énonciatif, manifestation de la subjectivité. Commençons par la fréquence des verbes utilisés présentée dans la figure (n°2) :

Figure 2 : éléments postposés au pronom « il »

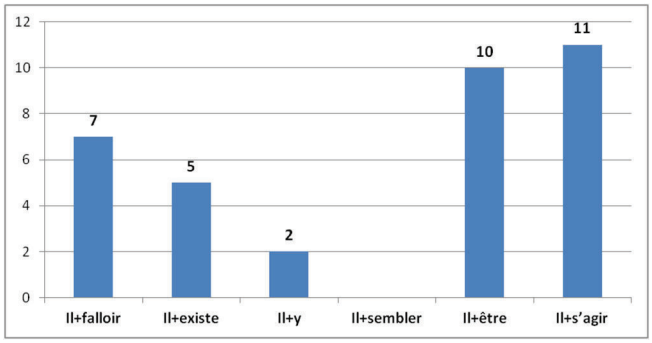

Source : conçue par la chercheure à partir de Tropes

Nous remarquons que le pronom « il » donne à notre corpus une prédominance de l'objectivité. Toutefois, l'analyse de la fréquence d'utilisation des verbes et des éléments antéposés et postposés montre que les tournures impersonnelles offrent des nuances de subjectivité que nous essayons de regrouper en quatre catégories :

l'émetteur s'implique dans sa production et y implique son destinataire (Garric *et al.*, 2007)

2.2 Présentation de la revue

Notre corpus est constitué de 6 articles scientifiques écrits en français publiés dans la revue (El-Ihyaa) issus du volume (n°20) extraits des quatre numéros de l'année 2020[3].

En nous appuyant de la présentation diffusée sur la plateforme (asjp)[4], la revue (El-Ihyaa) ou (الاحياء) est fondée en 1998 la plus ancienne revue classée après la revue (مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية) fondée en 1994. Elle est publiée par la Faculté des sciences Islamiques de l'université de Batna1. Elle a pour but de publier des recherches scientifiques dans (25) domaines sur (28) domaines couverts par l'asjp en arabe, en français et en anglais. Elle s'engage à publier les recherches scientifiques « authentiques » qui répondent aux exigences de l'honnêteté recherche scientifique.

2.3 Présentation du corpus

Une fois la revue est choisie, nous avons procédé au choix des articles publiés en français ayant trait à des spécialités des sciences humaines et sociales.

Dans l'ensemble notre corpus contient (112) pages La longueur des (6) articles est variable, (3) articles contiennent (21) pages ; (2) articles contiennent (15) pages et enfin (1) article contient (19) pages. En termes de mots, notre corpus est constitué de (19854) mots dont le nombre le plus bas estimé de 3574 mots renvoie à l'article (n°5) par contre le nombre le plus élevé estimé de (5631) renvoie à l'article (n°6).

Les articles choisis sont répartis sur trois spécialités : (3) en didactique ; (1) sociolinguistique ; (1) linguistique ; (1) sociologie. Dans ce qui suivra, nous présentons les résultats de notre analyse.

3. Analyse des Résultats :

Comme nous avons indiqué supra, notre analyse porte un regard sur l'aspect linguistique, à travers une analyse lexicométrique, des discours scientifiques.

Après avoir débarrassé le discours des articles des éléments périphériques renvoyant aux noms des chercheurs, les tableaux, les références bibliographiques, et les annexes, nous avons procédé à une analyse exhaustive des pronoms.

La figure ci-après illustre le taux de fréquence des pronoms dans tout le corpus, notons que la cooccurrence est calculée exhaustivement par rapport au nombre total des mots composant nos 6 articles estimé de (19854 mots) imbriqués dans un seul support.

lui permettant un effacement énonciatif ; la seconde, l'engage à affirmer, et exprimer explicitement son opinion pour manifester son positionnement au diapason de la communauté scientifique. (Lefebvre, 2011) ; cependant, il est appelé à déployer des outils linguistiques permettant à son discours de se situer au juste milieu entre la subjectivité « névrosée » et la neutralité non assumée : l'objectivation.

Dans l'analyse lexicométrique que nous allons entreprendre en vue d'approcher l'objectivité du discours scientifique, basée sur l'analyse des données textuelles, le mot constitue une unité d'analyse pouvant ainsi révéler les aspects fondamentaux dans la construction du discours issu de la réalité sociale (Mayaffre, 2008).

2. Outils et méthodes :

Nous tenons à rappeler que notre recherche qualitative exploratoire tente de mesurer le discours objectivé dans les articles scientifiques à l'aide Analyse des Données Textuelles (D.D.T.) assistée par logiciel **Tropes** qui permet une analyse de nombre de fréquences des éléments textuels.

Comme le format numérique de notre corpus constitué de 6 articles n'est pas pris en charge par le logiciel d'analyse **Tropes**, une conversion en format (word) est exigée. Une fois le corpus imbriqué dans un seul document pour apporter des inférences globales, nous avons pris en considération uniquement le discours proprement dit, dépourvu des graphes, tableaux, références et annexes ainsi que des noms d'auteurs pour respecter l'anonymat.

2.1 Grille de lecture

Pour analyser notre corpus, nous avons choisi une méthode **lexicométrique**[1] assistée par le logiciel Tropes qui offre un ensemble d'entrées d'analyses sémantiques et linguistique. Nous avons cantonné notre analyse du discours scientifique uniquement aux indicateurs énonciatifs et référentiels comme le montre la grille de lecture[2] ci-après

Tableau 1 : grille de lecture

Indicateurs énonciatifs	Les modalisateurs	Style argumentatif
Je – nous- on – il	intensité-certitude – doute	Cause, opposition, conséquence, but

Source : réalisée par la chercheure inspirée de (Seignour, 2011)

Comme le montre le tableau (n°1), notre analyse porte sur l'approche **linguistique** axée essentiellement sur le calcul du nombre de fréquence et de cooccurrence d'un certain nombre de marqueurs linguistiques. Ceux-ci inscrivent l'article dans ce que nomme Grossmann, F. (2017) *«le mythe de l'écriture impersonnelle»* comme « garants » physiques de la scientificité. Cela revient à considérer la fréquence d'utilisation des marqueurs «d'objectivation» suivants : la tournure impersonnelle et les verbes épistémiques ainsi que le style argumentatif. Nous souhaitons identifier la façon dont

discours objectivé et scientifique. Dans ce qui suivra, nous faisons le point sur les caractéristiques linguistiques du discours visant l'objectivité scientifique.

1. Particularités linguistiques du discours scientifique

On admet que l'écriture scientifique s'inscrit dans une «perspective universalisante » où l'auteur-scientifique adopte en fonction du champ disciplinaire de sa recherche, une écriture qui *«se caractérise par un haut degré de* ***précision*** *sémantique, et bannit les* ***métaphores****»* (Grossmann, 2017).

Ainsi, selon Tukia (1983) et Leclerc (1999), le discours scientifique s'oppose au discours littéraire, poétique ou romancé à caractère polysémique, du fait qu'il se cantonne sur l'information à décrire, à exposer à analyser,… dans une langue qui s'éloigne le plus de l'ambiguïté. Le discours scientifique est considéré à priori vrai. Ce fait implique le respect de l'auteur de certaines normes de rédaction aussi bien sur le plan formel qu'au niveau du fond (Tukia, 1983)

Au niveau de la forme, l'auteur tient à faire appel à une bibliographie pour y indiquer les sources de ses informations, des schémas et des tableaux, l'utilisation du vocabulaire adapté au domaine de recherche, utilisation des statistiques et recours au pronom impersonnel « il » (Ferhat, 2017).

Au niveau du contenu, l'article scientifique englobe la méthode rédactionnelle appropriée à l'hypothèse énoncée (discussion des résultats, induction, déduction) qui corrobore avec les enjeux de démarches et méthodologies mises en œuvre par l'auteur-scientifique.

Or, indépendamment de la valeur de son contenu, le discours scientifique répond à des caractéristiques linguistiques qui lui sont propres (Tukia, 1983) ayant trait à l'effacement de l'énonciateur.

L'analyse du discours scientifique porte souvent sur les éléments de l'énonciation comme élément fondamental dans toute analyse du discours. L'analyse vise à identifier les marques énonciatives (le pronom impersonnel, indéfini qui sont souvent les plus employés) marquant d'objectivité et permettant d'atténuer son implication dans son activité discursive en faisant appel à certains nombre d'outils linguistiques (Orecchioni, 1980)

A ce sujet, l'analyse énonciative du discours est définie par Orecchioni comme *« la recherche des procédés linguistiques (shifters [embrayeur], modalisateurs, termes évaluateurs, etc.) par lesquels le locuteur imprime sa marque à l'énoncé, s'inscrit dans le message (implicitement ou explicitement) et se situe par rapport à lui (problème de la distance énonciative).»* (1980)

Il est vrai que l'auteur d'un article scientifique se heurte à une double contrainte : la première lui imposant une distanciation à travers un recours à des marqueurs énonciatifs

contigu, nous essayons tout d'abord de situer notre recherche par rapport à quelques travaux antérieurs effectués dans le même sillage conceptuel et disciplinaire que le nôtre.

La première recherche intitulée : ***« Le discours scientifique et la manipulation de la langue, de la subjectivité au discours objectivé »*** écrit par Ferhat, S. (2017). Dans son article, l'auteur met l'accent sur l'écriture scientifique qui porte sur la diffusion des connaissances et du savoir où le chercheur dirige son discours afin d'écarter une part de subjectivité et de prendre une distance vis-à-vis de la problématique débattue. Il montre que l'effacement des marqueurs subjectifs peut résulter entre autres de la nature du vocabulaire, le type de phrases, les pronoms, les temps des verbes, …. A la fin de sa recherche, il compare entre l'objectivité dans le domaine des sciences exactes (souvent évidente) et celui des sciences sociales et humaines. Dans les sciences humaines le chercheur s'efforce d'être le plus impersonnel et indépendant de son discours à travers un ensemble de marqueurs pour tenter d'adopter un discours scientifique et objectivé.

La seconde recherche porte sur : *« **La figure de l'auteur entre la subjectivité énonciative et l'objectivité discursive dans les articles scientifiques (cas de Synergie Algérie)** »,* rédigé par (Smail, L., 2013). Cette étude qualitative porte sur la manifestation de l'auteur/chercheur dans l'article scientifique à travers une analyse d'un corpus constitué de (50) articles spécialisés en Sciences du Langage publiés dans la revue (Synergie Algérie). La chercheuse focalise son analyse du discours scientifique en particulier sur le pronom impersonnel « il ». L'analyse a permis à l'auteure de montrer l'efficacité du pronom « il » de créer un juste équilibre entre l'effacement énonciatif et une implication énonciative dans l'article. Elle déduit que le pronom « il » possède une charge référentielle « biface » permettant à l'auteur de voiler sa manifestation et celle des témoins ce qui permet de nuancer l'assertion jugée trope subjective pour adopter une posture objectivée.

En nous inscrivant dans la même lignée des recherches initiées ci-dessus, notre étude aspire à dévoiler qu'en dépit de la différence fondamentale qui distingue la scientificité dans les sciences dites « dures » et dans les sciences humaines qui peut susciter des polémiques. Les Sciences du Langages avec les deux disciplines phares (La didactique des Langues et La linguistique) (Cuq et Gruca, 2005) pourraient s'inscrire dans un discours objectivé à travers plusieurs outils numériques mais également linguistiques à l'instar les procédés de nominalisation, de la tournure impersonnelle des temps des verbes etc. La particularité de cette recherche est de porter sur une Analyse des Données Textuelles (D.D.T.) assistée par logiciel **Tropes** que nous utilisons pour calculer le nombre de fréquence ou de cooccurrence d'un certain nombre de catégories notamment (la tournure impersonnelle et les verbes épistémiques) constituant les marqueurs du

propre discours en utilisant un certain nombre de marqueurs linguistiques qui aident à substituer sa subjectivité par un discours objectivé.

Dans cet article, nous tentons d'examiner quelques marques d'objectivation du locuteur dans le discours scientifique employé dans les articles écrits en français publiés dans la revue El-ihyaa de l'université de Batna dans le volume (n°20) de l'année 2020. Notre objectif est d'analyser les marqueurs d'objectivité / subjectivité investies par les auteurs pour gérer l'expression du discours scientifique.

Notre travail s'inscrit dans le champ vaste de l'analyse discursive assistée par ordinateur qui s'occupe prioritairement de la description des composantes textuelles du discours (Adam, J-M, 1999) qui dépasse le cadre du « contenu » centré sur la fonction référentielle du discours. Il s'agit dans cette étude d'aborder la manifestation de l'objectivation/objectivité du chercheur dans la littératie scientifique en particulier les articles scientifiques où, l'auteur/chercheur se positionne entre le savoir scientifique ; l'opinion à démontrer et/ou argumenter et l'effacement des embrayeurs de la subjectivité à travers une analyse des données textuelles assistée par le logiciel Tropes (v8).

Cette instance d'objectivation qui semble être complexe à assumer pour assurer une certaine rigueur scientifique, nous pousse à poser la question suivante :

Quels sont les marqueurs linguistiques adoptés par les auteurs/chercheurs de la revue El-Ihyaa pour assurer une rédaction scientifique respectant la rigueur scientifique?

Pour y répondre, nous postulons que la rigueur scientifique n'est pas limitée à la méthode de recherche de la macrostructure choisie pour démontrer son opinion, mais également aux marqueurs linguistiques, énonciatifs et référentiels appartenant au micro-discours. Etant déployés, ces outils linguistiques pourraient apporter une distance de l'auteur vis-à-vis de son discours en mettant l'accent sur les résultats, le savoir véhiculé ce qui pourrait permettre à la thèse défendue de ne pas virer vers l'assertion jugée trop subjective.

Pour atteindre notre objectif de départ et tenter de répondre à notre problématique indiquée ci-dessus, nous commençons notre recherche par apporter quelques éclaircissements sur les fondements de la lexicométrie de l'analyse du discours en mettant en valeur, les marqueurs linguistiques permettant aux chercheurs de garder une distance vis-à-vis du discours scientifique. Puis, nous exposons la méthode et l'outil d'analyse de notre corpus constitué de 12 articles publiés dans la revue El-Ihyaa dans les numéros 20 entre l'année 2020. Nous finirons notre article par la discussion des résultats et la conclusion.

Avant de nous lancer dans le vif de notre sujet, et dans la mesure où toute recherche devrait se positionner par rapport aux travaux antérieurs s'inscrivant dans un domaine

El-ihyaa journal, Volume: 22, Issue: 30, January 2022, p-p: 1393 – 1406
ISSN: 1112-4350 EISSN: 2588-2406

Analyse du discours objectivé dans les revues scientifiques algériennes (Cas de la revue El-Ihyaa)

تحليل الخطاب الموضوعي في المقالات العلمية الجزائرية (عينة عن مجلة الأحياء)

MC/ Meryem HADDAD
Université Mohamed Khider Biskra
meryem.haddad@univ-biskra.dz

Received in: 01/01/2021 Accepted in: 09/12/2021

Résumé

Cette recherche vise à analyser le discours objectivé dans les articles scientifiques écrits en langue française et publiés dans les revues algériennes en particulier la revue EL-Ihyaa durant l'année 2020.

Elle tente de sonder les marqueurs linguistiques adoptés par les auteurs/chercheurs de la revue El-Ihyaa pour assurer le respect de la rigueur scientifique.

Pour se faire, nous avons effectué une analyse lexicométrique assistée par logiciel Tropes pour calculer le nombre de fréquence ou de cooccurrence d'un certain nombre de marqueurs du discours objectivé et scientifique.

L'analyse du corpus constitué de (6) articles révèle que les auteurs utilisent des outils énonciatifs variés pour respecter l'effacement énonciatif.

Mots clés : discours scientifique ; Tropes ; Lexicométrie **;** objectivité ; article

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تحليل الخطاب الموضوعي في المقالات العلمية المكتوبة باللغة الفرنسية والمنشورة في المجلات الجزائرية وخاصة مجلة "الأحياء" خلال عام 2020.

حاولنا من خلال هذه الدراسة استكشاف العلامات اللغوية التي اعتمدها المؤلفون/ الباحثون في مجلة "الأحياء " لضمان احترام الدقة العلمية.

لتحقيق هدف هذه الدراسة، قمنا بإجراء تحليل الاحصاء اللغوي بمساعدة برنامج Tropes لحساب تردد أو تكرارات عدد من علامات الخطاب الموضوعي والعلمي.

خلصت دراستنا المتركزة في تحليل مجموعة متكونة من (6) مقالات أن المؤلفين يستخدمون مجموعة متنوعة من الأدوات الخطاب لاحترام لحد ما الحياد العلمي.

الكلمات المفتاحية: الخطاب العلمي؛ Tropes؛ الاحصاء اللغوي؛ الموضوعية؛ المقال.

Introduction:

Dans la mesure où «l'auteur d'un texte scientifique se dévoile diffuseur du savoir et non pas possesseur de ce dernier» (s, Ferhat, 2017), l'auteur/chercheur d'un texte scientifique, par souci «de scientificité» se tient à prendre distance vis-à-vis de son

- Rahier, Jean Muteba. ed. *Black Social Movements in Latin America*: From Monocultural Mestizaje to Multiculturalism. Palgrave MacMillan, New York, 2012.
- Spencer, Stephen. *Race and Ethnicity Culture, Identity and Representation*. *Taylor & Francis Group, Routledge*, 2006.
- Sirias, Silvio. *Julia Alvarez*: *A Critical Companion*. London, Greenwood Press, 2001.
- Vasconcelos, José. (1925). *La razacósmica*. México: Editorial Porrúa, 2001.
- Alvarez, Julia. *How the Garcia Girls Lost Their Accent*. Algonquin Books, 1991.

Référence :

[1]- Statistical Abstract of US Washington DC, 1993. p 30-31.

[2]- *¡Yo!* is a very significant title for her novel since she is playing with the different meanings the word "Yo" has in the narration. It is clearly the shortening of "Yolanda", who is the protagonist of the book. Moreover, it is also the Spanish first person pronoun equivalent to the English "I." Since "Yo" is presented between two exclamation marks as Spanish grammar requires, it suggests that the title is celebratory of her Latino self.

Bibliography

- Acheraïou, A. *Questioning Hybridity, Postcolonialism and Globalization*. Palgrave MacMillan; 2011.
- Anaya, Rudolfo A. *Bless Me, Ultima.*New York: Warner Books, 1972.
- Anzaldúa, G. *Borderlands/La Frontera: The New Mestiza*. San Francisco: Aunt Lute Book Company, 1987.
- Amend, Allison. *Multicultural Voices*, *Hispanic-American Writers. New York:* Chelsea House, 2010.
- Arteaga, A. *Chicano Poetics: Heterotexts and Hybridities*. New York: Cambridge University Press, 1997.
- Bennett, David. *ed. Multicultural States: Rethinking difference and identity.* Routledge, London and New-York: Routledge, 1998.
- Clark, William, Rudolfo Anaya: 'The Chicano Worldview'. *Publishers Weekly*, June 5, 41–42. Retrieved January 8, 2012, from Research Library Core, 1995.
- Dean, Carolyn & Dana Leibsohn. Hybridity and Its Discontents: Considering Visual Culture in Colonial Spanish America. Colonial Latin American Review, 12:1, 5-35, 2003.
- Fishman, J. *Language and Nationalism: Two Integrative Essays*. Rowley, MA: Newbury House, 1972.
- Gonzalez, Gabriela. Redeeming La Raza: *Transborder Modernity, Race, Respectability, and Rights.* New York, Oxford University Press, 2018.
- Hale, Charles R. 'Mestizaje, Hybridity and the Cultural Politics of Difference in Post-Revolutionary Central America,' Journal of Latin American Anthropology, vol. 2, no 1, 1996.
- Havard, John C. Hispanism and Early US Literature: Spain, Mexico, Cuba, and the Origins of US National Identity. Alabama. The University of Alabama Press, 2018.
- Kanellos, Nicolas. Hispanic Literature of the United States *A Comprehensive Reference*. London, Green Press, 2003.
- Miguela, Antonia Domíguez. *Finding 'Poetic Truth': The Politics of Memory and Ethnic Transcreation in Contemporary Latina Autobiographies.*Eds. González Groba, Constante et al. 2000.
- Miller, Marilyn G. *Rise and Fall of the Cosmic Race: The Cult of 'Mestizaje' in Latin America.* (Austin, TX), 2004.
- Morton, S. Gayatri Chakravorty Spivak: London: Routledge, 2003.
- Olmos, Margarite Fernandez. Rodolfo. A. Anaya: A Critical Companion, Westport, CT: Greenwood Press, 2003.
- Pizarro, Marcos. Chicanas and Chicanos in School: *Racial Profiling, Identity Battles, and Empowerment*. Texas University Press, 2005.
- Rahier, Jean Muteba. ed. *Black Social Movements in Latin America:* From Monocultural Mestizaje to Multiculturalism. Palgrave MacMillan, New York, 2012.
- Rosario-Sievert, Heather. "*Conversation with Julia Alvarez". Review: Latin American Literature and Arts* 54, 1997.

four-hundred-year-Mexican culture based on the external authority of American and European origins.

Interestingly, this article explored the construction of the Hispanic/Latino hybrid identity based on the literary works which pondered the characters' psychology captured between uneven and asymmetric cultures. Nevertheless, what is worth noting is that the process of fostering identity and founding a place for the native Hispanic population in an antagonistic society was not easy for thinkers and scholars, let alone Alvarez and Anaya. Being said, Anaya and Alvarez's characters ***de facto*** plunge into a process of living that helps them make use of their experience of diaspora and support a stable construction of identity in a relation.

The analysis of both writers' works is not yet over. It would be deemed interesting to see if their works impacted other ethnic minority groups of different cultures, notably, Arab American writers.

overemphasize this relationship, Alvarez retold the narrative by returning to her relationship with her parents. The absent mother and feelings of loss are the terrain on which the writer exploits the key points and pivotal moments in the psychoanalytic account of the self. Clara, the oldest girl among the Garcia girls, comments on this by saying: ***"It's a borderline schizoid response to traumatic cultural displacement"*** (117; ch. II).

Thus, the idealized contemporary traveller will cross-national and cultural borders and negotiate a mutable and flexible identity for himself. Andy Bennett believes that it is not even possible to perceive identity as a static entity, framed from a common history and value system. The postmodernist flux and fluidity have inevitably thwarted the traditional certainties of the past on which identity formation was based:

> Once clearly demarcated by relatively static and ethnically homogenous communities, the 'spaces' and 'places' of everyday life are now highly pluralistic and contested, and are constantly being defined and redefined through processes of relocation and cultural hybridization (Bennett, 1998, p. 4).

Contemporary migrants are thus freed from the binary oppositions of the past which were helped them define and inscribe within clear-cut narratives of belonging. They are now free to assume multiple and hybrid identities.

Conclusion:

It is recognizable that Hispanics and Latino American thinkers in general and writers, in particular, have doggedly struggled to establish their identity in the white American society. They all desired to construct an identity for their descendant population. Therefore, tremendous books and an avalanche of articles have ultimately examined the issues of identity in their writings and works. Voluminous books and essays have emphasized the ambiguity present in the Hispanic identity because of the torn values of the indigenous Americans and the Spaniards. The plight of the ***mestizo*** identity increased due to the simultaneous conflict and mixture of cultures. In this respect, the present article attempted to emphasize the centrality of identity-construction in the Hispanic/Latino narrative texts, notably Alvarez and Anaya's fiction. The researchers investigated their respective works by which they sought an identity that was not Hispanics or Latinos but yet not white American. What should be highlighted, however, is difficult to tackle the concept of identity because it has always been in a state of flux and fluidity. It is open-ended always growing and evolving but never a static entity, especially in the Hispanic/Latino-American literary context.

The problematization of the formation of identity in the works of Alvarez and Anaya is cultural and historical. Therefore, the quest for the making of identity is in itself an aspect of the quest for the Hispanic man's identity that was inaugurated in a

environment had a profound impact on Anaya's first novel, which, as in the case of many authors, matches and parallels details of the author's autobiography. Anaya explicitly affirms: ***In Bless Me, Ultima . . . I looked at my childhood through the eyes of a novelist. .... I explored childhood experiences, dreams, folklore, mythology, and communal relationships that shaped me in my formative years. Writing became a process of self-exploration*** (qtd. in Olmos, 2003, p. 2).

With hindsight, it is possible to say that both Álvarez and Anaya do not write autobiographies as such, and their works are classified as fiction. Nevertheless, their narratives are inundated with autobiographical or semi-autobiographical data, as they focus on their own experience as bicultural beings. However, the authors themselves are unwilling to identify their works with mere autobiographies, since what they perform is to "consciously fictionalize some of their autobiographical material as an attempt to understand themselves better" (HGGLTA 139). Alvarez seems to comment on this point and says:

> A lot of the García Girls was based on my own experience—first novels usually are [. . .] But there is a lot of fictionalizing, using the material of your life but being primarily interested in making a good story. It´s the combining, the exaggeration, the redoing, the adding on, that makes it original rather than autobiographical (qtd. in Rosario-Siever, 1994, p. 35).

Oddly enough, contrary to what has just been stated, many critics identify and regard most of Julia Álvarez´s novels as autobiographical. Some of them even consider the main characters of her narratives asthe author´s alter-ego. Thus, Yolanda, from the *García Girls*, also short-named *Yo*[2] in her third novel, entitled *¡Yo!*, would be Álvarez´s alter-ego. The same is true for Antonio in Anaya's *Bless Me, Ultima.* The use of the techniques of fragmentation, memory, dreams and imagination trusts in Alvarez's and Anaya's texts an "interaction of fact and fiction, of memory and imagination, of lived and imagined ethnicity" (Miguela, 2000, p. 203). On this account, it can be suggested that although Anaya´s and Álvarez´s novels are not *"a faithful account of true events and experiences [. . .] [they] provide an identity that is emotionally truthful for the writing subject"* (Miguela, 2000, p. 203-214).

Interestingly, this autobiographical account reflects the search urge for the roots of identity through revisiting childhood experience to locate identity so precisely in space and time (considers, for example, the character Camila, in Alvarez's ***In the Name of Salomé***. She is a daughter who longs so much for her deceased mother, that she becomes so absorbed in a single, emotional interpretation of the past. Because her mother is lost and unattainable, Camila cannot sustain a stable relationship with her in the present. To

that traces the development of the hero or heroine from childhood into adulthood, through a troubled quest for identity—defies this classification. It is a categorization that Julia Alvarez herself wanted to avoid when she wrote the novel (Sirias, 2001, p. 14). Indeed, literary critics are encouraged to describe and categorize this novel as a debut because *How the Garcı´a Girls Lost Their Accents* lacks a central heroine. Instead, Alvarez makes this the story of an entire family through her experimentation with the point of view.

Increasingly, another important feature characterizing both novels is the narration in the reverse order. A technique whereby the authors tell the tale backward, describing the events of the past as if they are taking place at the moment. In Alvarez's ***How the Garcı´a Girls Lost Their Accents,*** with Yolanda at the heart of the narrative, the novel describes, in reverse order, the sisters' brief years in their birthplace, their forced immigration to the United States to escape Dominican dictator Rafael Trujillo, their acculturation into American society, and their lives as adults. Thus, the readers would find it easy to get into the fold of an immigrant family where they know the Garcı´as intimately. They learn what their life was like, worse or better, on the island. The readers can even experience the terror and the pain of separation of this family and share their trauma at the moment of their departure leaving behind everything that identifies them. The Garcia girls' loves, losses, triumphs, joys, and sorrows are all there for the readers to notice and observe.*How the Garcı´a Girls Lost Their Accents* details what life is like in a bilingual, bicultural family. Every now and then, Alvarez deliberately uses Spanish words and phrases, choosing expressions that have a marked emotional, ironic, or satirical impact in order to bring the reader closer into her universe. Although the reader may not share the same cultural background, he/she easily comes to identify with them.

To Julia Alvarez, on the other hand, the freedom that Mami, Laura, exercises in her role as a storyteller who tells stories of her daughters in the new country are the raw materials that inspire her fiction. The stories remind them of the terror of adaptability in the host country as well as the terror of the political regime in their Dominican Island.

No wonder then that Alvarez and Anaya's act of writing in itself is used as a tool to research to reach a compromise and a symbiosis with their selves. It is a way of voiding and exorcising their demons. Accordingly, both Alvarez and Anaya's works bring to light and exhibit a whole series of ideological and cultural issues. Thus, most of their writings include a variety of topics such as identity, integration and assimilation, racial discrimination, and Latino values and culture. These writers´ narratives will never be simple or linear as "they will always be complex spirals pulling in and twisting together the conflicts of the [authors´] present lives in the U.S. and the fragments of their island pasts" (Barak 176). Bringing evidence to this quotation, it is appropriately impressive to state that family life, cultural community, and the Spanish-speaking

That space created by these authors is a transnational imaginary space that is different from the one created in other fictional patterns. It is injected in a process of identity that recognizes its constructedness. Operating against any form of inflexibility and rigidity this imaginary space, however, is enlightened due to its various connections to multiple national, cultural, and historical paradigms. But instead of permitting characters to easily find their identity within one of these dimensions, Alvarez and Anaya's characterizations dismantle and expunge the stability of such identities to highlight a process of identity in relation within them all.

Another point of convergence that is worth indicating and which manifests itself in both novels is what some critics call "the novel formation" or "***bildungsroman".*** Anaya's first novel ***Bless Me, Ultima*** has been described as the perfect example of a Chicano '***'bildungsroman***,'' or coming-of-age novel. In the context of Latin American literature, the characters face an ironic situation: they become mature in an immature nation. Moreover, their process of social and intellectual development runs in parallel with the characters' quest for national identity. (See Alejandro Latinez, 2014, p. 6)

The traditional ***bildungsroman*** narrates events from the protagonist's vision and perception about the psychological development of a young child. The character moves through different stages and conflicts while acquiring individual experiences on the road to maturity and integration into the wider society. Interestingly, in ***Bless Me, Ultima***, the reader observes the process of the maturation of the main character through a succession of rites of passage that affect the hero deeply. Nevertheless, in Anaya's novel, the passage of time is limited to the main character's experiences from age six to eight, very much briefer than in the traditional ***bildungsroman***.

As Antonio interacts with the people in his life, he learns from those encounters. When the novel opens, he is merely a dreamer and a wanderer, a rather self-centered boy who asks many questions about himself and his future. But he moves toward self-awareness and develops a substantive core of beliefs that eventually allow him to make a choice and, at the same time, to make a different kind of place for himself

We are not surprised, then that writers like Julia Alvarez and Rudolfo Anaya, being ethnically and racially marginalized minorities in the United States, take full advantage of this genre's potential. Thus, most often the ***bildungsroman*** as exposed and manifested in their works represents the identity and adaptation difficulties of the protagonist within the dominant cultural society. In stressing an identity not always approved or appreciated by the power structure of his or her society, the ethnic or minority writer intends and strives to create new standards and perspectives from their position on the periphery—far from the center—of mainstream society.

It is hugely contentious to note that Julia Alvarez's novel *How the Garcı´a Girls Lost Their Accents*—though logically would be considered a *Bildungsroman*, or a novel

young protagonist who is perseveringly trying to redefine himself within the larger society from the vantage point of his distinct ethnicity. Thus, in ***Bless Me, Ultima,*** Antonio is always aware of his cultural heritage (often questioning it as well) and attempts to forge some type of reconciliation with the larger society while maintaining a distinct identity.

Within the outset of the novel i.e. from the different circumstances surrounding Antonio's birth and his first dream to the end of the novel, Anaya is inviting the reader to follow the process of his protagonist's identity and the tormenting idea of becoming. (***BMU,*** p. 107) The rest of the novel emphasizes Antonio's "self-realization . . . quest for personal and cultural identity" (Olmos, 2003, p. 39). He also must "reconcile the opposites in his life" (40). Anaya uses these conflicts to explore the influence of culture on identity. In the end, Antonio chooses to accept all aspects of his heritage. Though he does well at school, he realizes that it will not be the only place for his education. He retains the knowledge he gleans from Ultima.

In Alvarez's novel ***How the Gracia Girls Lost Their Accents***, on the other hand, the reader can easily interpret Fifi's preference to exile herself on the Island as an attempt to identify her true self. She wants to escape her parents' restrictions and explore herself as a person who has read Simone de Beauvoir. Fifi intentionally suppresses the feeling of liberty she has developed in the United States and comes to terms with the traditions and costumes on the Island. She strives to acclimate to life on the Island. She perfectly succeeds to transform herself into a Dominican girl. (HGGLTA 116-118; ch. II) Yolanda's return to the Dominican Republic searching the landscape to keep in touch with ***la familia***, eating traditional food, reviving her lost Spanish language can be regarded as a search of her own Dominican identity which is lost under the influence of North American culture.

Ultimately, both authors recognize in their literary works an attempt to educate, inform, and inspire their readers living in a host country bereft of sufficient cultural knowledge to be able to negotiate their identities. The characters in their texts struggle with identities rooted in nation and history, but find stability in learning how to relate cross-culturally to the experience of other Dominicans and Mexicans. This is not to gainsay that stories in Rodolfo Anaya's novels, for instance, are the products of his creative imagination. They are, in fact, historical events the author uses in his portrayals of characters that permit him to explore themes relative to the Chicano cultural experience.

Anaya and Alvarez's fiction investigate a process of identity which is constructed through ethnocultural and socio-political affiliation.

Through their storytelling, fiction and history are welded in such a way to create an imaginary space of fluidity in the process of identity to represent the past and future.

Anaya's ***Bless Me, Ultima*** is acted out within the matrices of cultural conflicts and ethnic categorizations.

Consequently, it is almost queer to curve or circle these issues of labeling without a careful explanation of other important coterminous terms such as "race", "ethnicity" and "identity". Within this context, both writers Alvarez and Anaya quest their characters' perturbated identities. Their respective ethnicity has placed them in a weird position—on the hyphen of human existence, where combined cultural clashes are strongly painful and hard to embrace. Ethnicity which is often referred to as "groups with a shared identity, shared origins, interests, and codes" (Spencer, 2006, p. xv), may be recognized as groups of people with unique and distinctive cultural features.

As it has already been noted, ethnicity often is a crucial means of categorizing specific groups because of structural forces such as segregation, internal factors, exclusion, and oppression. It remains the most obvious fulcrum for identity.

Implications for Contextual Criticism of Hybrid of Alvarez and Anaya's Texts

It is premised that all cultures are hybrid whenever they come into contact with each other. Thus, the proximity with cultural and racial otherness causes them tremendous unconscious transformation. These transformations and mutual effects taking place during the cultural exchange are usually uneven and perceive the actors entangled with the cultural encounters differently. This is particularly true with Julia Alvarez and Rodolfo Anaya. It is significantly helpful to be aware that Julia Alvarez and Anaya, though they come from different origins, and their novels are loosely tied, they do share several significant similarities: (1) young protagonists in a state of identity quest; (2) autobiographies, (3) use of storyteller, (4) code-switching languages, and (5) ***Bildungsroman.*** Despite their diverse and different cultural heritage, there is no denying that there are key elements that tie them all together in their representation of national pride, Hispanic culture, and identity reconstruction. They retained their heritage despite the amount of influence and pressure they had been exposed to in the host society. Thus, the reader cannot miss the commonality of content, style, form in Alvarez's ***How the Garcia Girls Lost Their Accents*** and Anaya's ***Bless Me, Ultima.*** On the contrary, their distinctive place of origin did not prevent them from sharing common themes such as the importance of family, the importance of religion, acculturation, cultural displacement, assimilation, exile, racism, machismo, superstition, and generational Diaspora differences.

Both authors introduce young characters who are in a permanent quest for identity. Anaya, for instance, has described his writing as a quest to ''compose the Chicano worldview—the synthesis that shows our true ***mestizo*** identity—and clarifies it for my community and myself. . . Writing for me is a way of knowledge, and what I find illuminates my life'' (Clark, 1995, pp. 41-42). This is reflected in Antonio, Anaya's

(2003) suggest that the term "hybrid" performs a double move: "it homogenizes things European and sets them in opposition to similarly homogenized non-European conventions. In short, hybridity is not so much the natural by-product of an 'us' meeting a 'them', but rather the recognition—or creation—of an 'us' and a 'them'". (Carolyn Dean and Dana Leibsohn, 2003, pp. 5-35).

As has already been mentioned the labels have been a source of great controversial debate both within the larger Hispanic/Latino community and among researchers who work with different groups of peoples of Latin American descent. In the main, the practice of "métissage" in colonial contexts has taken a variety of identifiers and forms. Mikhail Bakhtin, for example, has identified two types of hybridity: "unconscious" or "organic" hybridity and "intentional" hybridity. (qtd. in Acheraïou 2011, p.36) Other outstanding groups of postcolonial and cultural theorists including Homi Bhabha (1949-), Stuart Hall (1932-), Paul Gilroy (1956–), Edward Said (1935–2003),Nestor Garcia Canclini (1939–), and the Mexican Jose Vasconcelos (1881–1959), to name but a few, all were fascinated by the maddening concept of hybridity in its cultural context. No wonder, then, that their personal experience of life in different cultures, or living in-betweenness, would certainly be articulated in their concern with the problematic of hybridity its interactions, and its consequences. (Miller, 2004, n.p).

Being hybrid regions par excellence, Latin America and the US have been described as sites of continuous encounters, conflicts, miscegenation, and other interactions between the indigenous or native population, the European invaders, and the black African slaves. Beneath this maddeningly elastic term of hybridity, however, lurks other hybrid notions which require convincing and adequate definitions such as identity. "Chicana/o identity," in this respect, refers to the social and cultural identity that Chicanas/os reflect and set for themselves via their fictional writings. This social and cultural identity is simply how given individuals define themselves in their social world. Pizarro Marcos asserts that "Chicana/o identity, therefore, theoretically encompasses the identities of all Chicanas/os, including those who define themselves as upper-middle-class as well as those who do not consciously ethnically identify." (Pizarro 2005, p. 4)

It should be highlighted, however, that these Chicanas/os involve Mexicans, Hispanics, Latinos, and Americans. All together they become part of the Chicana/o experience. That said, the researchers focus on two major texts where "Chicana/o" refers to females and males of Mexican descent living in and socialized in the United States. The self-perceptions of all types and categories of Chicanas/os are put under scrutiny to understand the full complexity of Chicana/o identity formations. The purpose, then, is to demonstrate how the narrative texts of Hispanic/Latino miscegenation propagate identity. Identity in Alvarez's How ***the Garcı´a Girls Lost Their Accents*** and

an indigenous antecedent about the Chicano. (Amend, 2010). Subsequently, ***Indianness***, like the border, is considered both a site of origin and cultural interaction.

In the same vein, the presence of the Aztec has been outstanding in Mexican/Chicano culture while Chicanos descend racially from a mixture of many different Indians stretching from Yucatan to California. This would sound obvious because during the conquest the Aztecs were the dominant political and cultural force in Mexico. (Arteaga, 1997, p. 9)Meanwhile the mythical territories of the Aztecs, the Chicano home land-often referred to as Azlan, which were already part and parcel of the Spanish settlements of Mexico spreading from Texas to California became colonies of the United States.

Unfortunately, this geo-historical encounter between Europe and America would inevitably have great effects on the Chicano and Mexican racial birth. Ultimately, ***La Raza*** **"**literal translation— the race) as a shorthand name for the Mexican- origin community" (Gonzalez, 2018, p. xv), though it betokens a cultural significance than a political one, was used to describe all Spanish-speaking people connected to that violent sexual encounter or ***mestizaje.*** Au fond, historically speaking the first the mestizos—the racially hybrid half European and half Indian— were the offspring of Spanish conquistadors and Indian women.

The Issue of Conceptual Hybridization

It is significantly convenient for the researchers to start with the identification of the concept of racial hybridization. The most fundamental problem which scholarship on Hispanics or Chicano literature has had to cope with, in this area of study, is that of identifying this term and its associate concepts. To be familiar with these terms such as hybrid and hybridization, however, it is better to consider Arteaga's words:

> The racial hybridization means that the body, the physical manifestation of the Chicano, is itself a product of hybridity. *Mestizaje* means that the *mestizo is* the confluence of different races, in the senses of descending from an original hybrid begetting, of continually procreating *mestizo* offspring, and of simply being, in the present incarnation, multiracial. (Arteaga, 1997, p.11)

In the colonial Spanish American context, hybridity is recurrently referred to as a sign of specific by-products of European expansion. Unlike, hybridity which was a fundamental physical reality of ***Chicanismo,*** the term "hybrid" is usually understood to designate things that were newly European. Ideologically, however, many elites regarded hybridity as a means of alienation and barrier, crippling or rather prohibiting the appearance of an extraordinary Hispanic/Chicano collective identity. In this regard, Carolyn Dean and Dana Leibsohn in their article entitled Hybridity and Its Discontents

exception that it presents a level of socio-cultural organization that is "simpler, smaller, more particularistic, [and] more localistic" (Fishman, 1972, 3).

The terms "Hispanic" and "Latino" have, therefore, been used to designate ethnic or cultural homogeneity among people of Latin American heritage. Interestingly, however, thanks to Hispanics' tremendous ethnic, racial, social, cultural and even linguistic diversity they could identify their belongingness to a group according to language, historical experiences, cultural values, and socioeconomic status. National origin and birthplace are also elements of identification of belongingness for others.

However, the term "Latino" refers to people originating from or sharing a heritage related to Latin American countries including Mexico, Central America, the Caribbean, and South America. Recently some western whites are afraid of being Hispanized by the overwhelming outnumber of Hispanics. According to the statistics of 1993, Hispanics form the fastest increasing minority in the US.[1]

The Birth of the "*Mestizaje*" and the Changing Cultural Landscape

Though it is often difficult to advocate an accurate definition of the concept of Mestizaje, it may be approached as a lived process of the racial and cultural mixture. It contains within its broad context tensions of sameness and difference, as well as clashes between inclusion and exclusion. Hale (1996) It is poignantly associated with mestizo identity which is "itself the product of a particular history of cultural hybridity between, mostly, Spain and Native America" (Rahier, 2012, p. 1), with the exclusion of other ethnic groups. According to Vasconcelos (1925), the terms including ***mestizaje***, ***mulataje***, and ***hispanismo*** in the Hispanic Caribbean would rather be considered as functioning metaphors that strive for the creation of a Latin American and Caribbean discourse that has not fully yet assimilated to what scholars and practitioners presently describe as Latin American and U.S. identities. (Vasconcelos 1925).

Surprisingly, Arteaga (1997) views Chicano identity as a deficient construct concerning the state's discretion. Arteaga adds that "to be Chicano in the borderlands is to make oneself from among the competing definitions of nation, culture, language, race, ethnicity, and so on." (Arteaga, 1997, p. 10)Premised upon Arteaga's ideas, therefore, the meaning of border and Indianness would result in conflicting meaning. The former symbolizes the cultural difference of the Chicano while the latter symbolizes the Chicano's racial difference. Analogously, as the Chicano subjectivity looms out of the Anglo-American conquest of Northern Mexico, so does ***mestizaje's*** urge out of the Chicano body. Nonetheless, the Spanish conquest of the Indians and the raping of their Indian women certainly gave birth to that original Chicano body. Eventually, the ***mestizo***- which is often referred to as the hybrid race- was the natural outcome of that cruel collision between the Mexican-Indians Spaniards. The Indian is no more than

societies. It is a strong deviation from a naturally stratified order. (Harvard 2018) Stephen Morton describes these others as having "included death, the unconscious and madness, as well as the oriental, non-western other, foreigner, the homosexual, and the famine" (Morton, 2003, p. 59). Immersed in their arrogance, hag-ridden superiority, and belief in immutable racial hierarchies, Western scholars often ignore or simply insist to be indifferent to the idea that the largest ethnic group in the United States is the Hispanics. This article, nonetheless, considers the issue of the construction of Hispanic-American identity –as it manifests itself in Alvarez and Anaya's literary texts— as a point of departure. It is based on works that are recognizant of the Hispanics' salient relics and cultural legacies to US culture and thus concedes certain rationality of their positive contribution to a transnational frame of US literature (e.g. Nicolas Kanellos 2003; Harold Bloom 2009; Rodríguez 2010 John C. Havard 2018; and Ignacio M. Sánchez Prado 2018). The researchers believe that the Hispanics breathing legacy and expression of thought, though not exclusive, is a primordial ingredient to US literature's evolution. The huge diversity and bilingualism of Hispanic and Latino mestizo times, especially authors, will play an outstanding role in the entire epochs of literary genres. This bewildering diversity would certainly make them real Hispanophone representatives and cultural mediators, with the ability to go beyond borders and transcend cultures, ethnicity, and race. (Kanellos, 2003) These ethnic groups that scholars effortlessly mingle together as "Hispanics" and "Latinos" have created literature that proclaims identity and strives for a sense of recognition within the country of the US.

Historical Presence of Hispanic Groups in the United States

Thanks to the Mexican War (1846-1848), the speaking-Spanish citizens known as Mexican Americans were injected in the US. Compelled by different reasons to immigrate, Hispanics have anchored themselves in diverse regions in the United States. Their huge numbers have increased because of many reasons: the permanent and indelible two-way migration between the US and Mexico and the US and Puerto Rico; their omniscient presence within the territory confiscated by the US, and finally the common borders with the US and Mexico. Their diversity is reflected through their dynamic contributions in various fields: politics, economics, religion, and literature.

However, the term "Hispanics", which is most often used interchangeably with "Latinos" in some contexts, is an umbrella term that comprises a group of people from different nationalities such as the Caribbean, and Central and South American. Etymologically speaking, "the term Hispanics which excludes racial and cultural differences existing within the group, evokes Spaniards and their descendants. Following Fishman (1972) Hispanics is a group which is just like a nationality, with the

El-ihyaa journal, Volume: 22, Issue: 30, January 2022, p-p: 1379 – 1392
ISSN: 1112-4350 EISSN: 2588-2406

The Making of Hispanic-American Identity: an Issue in Julia Alvarez and Rodolfo Alfonso Anaya's Fiction

تكوين الهوية الأمريكية من أصل إسباني: مشكلة في رواية جوليا ألفاريز ورودولفو ألفونسو أنايا

Dr. Benadla Djamel[1]
Université Dr. Moulay Tahar, Saida
djamel.benadla@univ-saida.dz

Dr. Khalki Smaine
Université Tahri Mohamed Bechar
khalki.smaine@univ-bechar.dz

Received in: 17/12/2020 Accepted in: 31/03/2021

Abstract:

The making of the identity of colored people is a controversial subject matter in American literary fiction. This is because the concept of identity itself is open-ended, always evolving, and growing. It is forged among ongoing struggles between people—notably the Hispanics or Latinos and the Whites— a thing that can never take shape or coalesce into a reified proposition or discourse. Yet in this article, the researchers attempt to examine the formation of identity at the individual level in Alvarez and Anaya's fictional texts. Focus is to be put on how their characters engage in the problematic process of constructing their identity within mainstream North American cultures. The article also attempts to draw the reader's attention to the frictions resulting from this cultural divergence.

Keywords: Alvarez; Anaya; hybrid; identity; Hispanics

الملخص:

يعد بناء هوية الأشخاص الملونون موضوعًا مثيرًا للجدل في الخيال الأدبي الأمريكي. فإن مفهوم الهوية في حد ذاته مفهوم مفتوح ويتغير باستمرار. لقد نشأ بين الصراعات المستمرة بين الملونين - وخاصة ذوي الأصول الإسبانية أو اللاتينيين - والبيض. شيء لا يمكن أبدًا أن يتشكل أو يندمج في اقتراح أو خطاب موحَّد. يحاول الباحث في هذا المقال فحص تكوين الهوية على المستوى الفردي في نصوص خوليا ألفاريز ورودولفو أنايا. ينصب التركيز على كيفية انخراط شخصياتهم في العملية المعقدة لبناء هويتهم الشخصية في ثقافات أمريكا الشمالية السائدة. يحاول المقال أيضًا لفت انتباه القارئ إلى الاحتكاك الناتج عن هذا الاختلاف الثقافي.

الكلمات المفتاحية: ألفاريز؛ أنايا؛ هجين؛ هوية؛ لاتينيون.

Introduction

To the western thought, immigrants coming from different places of the world are always considered as being other. They are stigmatized, stereotyped, and designated by stultifying terms. They are imminent peril to the order, structure, and norms of civilized

[1]- Correspending Author.

Sarason, I. G. (1984). *Stress, anxiety, and cognitive interference: Reactions to tests.* Journal of Personality and Social Psychology, 46(4), 929–938.

Yorkey, C. Richard (1970) Study Skills for Students of English as a Second Language. Mc Crow Hill, Inc.

Young, D.J. (1991). *Creating a low-anxiety classroom environment: what does the language anxiety research suggest?* Modern Language Journal, 75/4, 426-437.

Zeidner, M. (1998). *Test Anxiety: The State of the Art*. New York: Plenum Press.

Zollar, U., &Ben-Chain, D.(1990) Gender differences in examination type, test anxiety, and academic achievement in college science. Science Education.

Conclusion

Considering the fact that test anxiety is complex and problematic area that affects a considerable number of students and impairs their academic performance, it is necessary to determine the problem and provide the necessary recommendations on the possible ways of reducing or curbing its detrimental outcomes that would be helpful to both students and teachers. In order to attain the aforementioned objectives, all active members, such as teachers, students, and administrative staff are invited to roll up their sleeves and collaborate effectively to make tests and exams less anxious and stressful.

REFERENCES

Culler, R. & Holahan.C. (1980). *Test anxiety and academic performance: The effects of study-related behaviours*. Journal of Educational Psychology 72 16-20.

Everson, H., & Millsap, R. (1991). Isolating gender differences in test anxiety: confirmatory factor analysis of the Test Anxiety Inventory. Educational & Psychological Measurement, 51, 243-251.

Hembree, R. (1988). *Correlates, causes, effects, and treatment of test anxiety*. Review of Educational Research, 58, 47-77.

Gaudry, E., & Spielberger, C. (1971). *Anxiety and educational achievement.* New York: Wiley.

Liebert, R., & Morris, L. (1967). *Cognitive and emotional components of test anxiety: A distinction and some initial data.* Psychological Reports, 20, 975-978.

Mealey, D. L. & Host, T. R. (1992). *Coping with Test Anxiety.* College Teaching. 40(4), 147-150.

Naveh-Benjamin. M & Mc Keachie, W, J & Lin, Y. (1987). *Two types of test anxious students: Support for an Information-processing model.* Journal O Educational Psychology, 79, 131-136.

Ohata, K. (2005). *Potential Sources of Anxiety for Japanese Learners of English: Preliminary Case Interviews with Five Japanese College Students in the U.S.* TESL-EJ, Volume 9, Number 3, 1 – 21.

Paul, G. L., & Eriksen, C. W. (1964). *Effects of test anxiety on "real-life" examinations.* Journal of Personality, 32(3), 480–494.

Rachman, S. (2004). Anxiety (2nd ed). New York: Psychology Press Ltd.

Sarason. G, B. R. & Pierce, G. R. (1990). Anxiety, cognitive interference, and performance. Journal of Social Behaviour and Personality. 5, 1-18.

Sarason, S. B., & Mandler, G. (1952). Some *correlates of test anxiety.* Journal of Consulting and Clinical Psychology, 47, 810-817.

- Teachers should make their students knowledgeable about the significance of test scores and their importance in decision taking in regard to teaching and learning.
- Teachers are recommended to inform their students that test scores can help in deciding when to schedule re-teaching sessions by focusing on areas that students did not grasp well, or through varying their ways of teaching so as to match with the students' different styles of learning.

5.2 To the Students:

- Students can make tests and exams less anxious moments through learning new and healthy study and review habits by revising in regularly and effective ways the material in question. This can be achievable by setting realistic goals and avoiding rushing things in the last moments because this is completely pointless**.**
- Students are advised to prepare themselves emotionally. They should admit that little anxiety is sometimes useful as it activates their faculties and this allows them to perform better when taking exams. On the other hand, students are advised to avoid excessive anxiety as it interferes negatively with their academic performance.
- They should also have some control on their emotions because it is needless to panic when about to take exams since it is somehow late to do so. It is preferable to believe in oneself capacities and be pragmatic.
- Students are required to plan carefully their time and adjust their schedules so as to have sufficient time to review all the materials.
- They are also required to prolong their habitual time by adding minutes or hours taking into account their own capacities and pace into consideration.
- Reviewing should in no way be misperceived by students with reading a particular material for the first time or in the last moments, since this is just a waste of time and energy. Students should know that a good review preparation is the result of regular and constant effort over a specific period of time prior to the exams or tests.

5.3 To the Admistrative Staff:

- The administrative staff is required to organize special meetings with teachers and students to talk over anxiety and its effects on academic achievement. During these meetings, which can be held monthly or when need be, ideas, experiences and expertise will be exchanged among participants so as to help them deal with the common problems related to test anxiety.
- The administrative staff is called to work in collaboration with teachers by planning exams taking into account the specificities of every subject such as the timing, time allotted and the place of the exam. These three factors and of course other elements can considerably minimize test anxiety and help students perform better.
- Guidance and counseling meetings should be an integral part of the schooling system as they may help curb the effects of test anxiety.

guaranteed provided that students start in the opportune time reviewing for exams. New study skills can be adopted especially when those we have been acquainted with are no more effective. Joining groups and asking students who have regular and more efficacious habits leads necessarily to better test scores. Accepting little anxiety is a good thing because when not nervous or anxious, students will not feel motivated to do their best. The same thing can be said about obstacles. Expecting roadblocks along the way is a common occurrence in tests, so students need to know that obstacles, difficult and challenging test constitute a part of school life they must know how to deal with.

Like athletes, students should focus, remain confident and visualize themselves scoring well. While taking an exam, students should imagine themselves feeling confident, doing well as this helps lessen anxiety. Avoiding negative thought and watching self-talk can make students less anxious. So, instead of "I should have studied more.", "I am well prepared and I can do quite well." Replacing negative thoughts with positive ones will produce good effects that reduce anxiety. Relaxation strategies like deep breathing and progressive muscle relaxation before and during exams are needed as they help get rid of the anxiety that accompanies test taking.

5. Recommendations

After having dealt with the nature of test anxiety and its effects on learners, we came up with the following recommendations:

5.1 To the Teachers:

- Teachers are urged to play more effective roles in relation to test anxiety by being well-versed and familiar with its different signs because it is a real thing that a great number of students suffer from.
- Teaching effective study strategies and preparing students for taking tests is a good way to minimize anxiety.
- Teacher should teach strategies to cope with the demands and organization of their studies at a very early age to prevent test anxiety and its influence on their academic performance. Strategies such as breaking tasks down, searching for cues, the use of the process of elimination are just a few examples of many other ways to decrease anxiety and improve achievement.
- When preparing tests, teachers need to consider two important things. First, the layout of tests by trying to avoid the inclusion of many long questions. By doing so they will trigger anxiety as students will soon become worried and anxious by the sight of the physical layout of their test. Second, teachers are advised to vary their questions to enable students to answer in ways that allow them to show understanding or mastery of particular subjects in their own preferences.
- Teachers are also urged to allot enough time for students to organize their ideas when taking exams as this constitutes an important criterion that helps prevent anxiety.

learn and show their academic proficiency in different ways are denied the right to be different especially when teachers impose on them particular patterns of answers.

Ideally tests are designed to determine whether students have learned what they were expected to learn or know the degree or the level to which students have learned a particular material. They are also designed to check students overall progress, but some teachers ignore this because for them tests measure achievement against goals rather than measuring progress. This fact causes anxiety that obstructs the performance of a lot of students. Tests scores provoke anxiety especially when deemed by teachers as means for comparison and as opportunities to show students' growth. This, in turn, leads to lower expectations and lowers as well the levels of students' achievements.

4.5 How to Overcome Test Anxiety?: Anxiety is a part of school life that teachers and students need to take seriously and work cooperatively so as to find ways and strategies that may help overcome its academic impacts. Unlike students, who may not be aware that they are experiencing, teachers are usually the first to respond to this issue because for them the symptoms are easily recognized. It is true that there is no magic formula that can eradicate anxiety, but setting it as a common goal can make test a less anxious experience that students must go through.

Teachers interactions with students can help prevent anxiety. The first thing teachers are advised to do is to get rid of the belief that study skills need not to be taught in an explicit way because they are innate. This is not true since students need clear instructions about how to learn, review, store and retrieve information. Creating good study habits helps to a great extent minimize stress and anxiety. When taking exams, teachers can advise their students, for example, to start with easy questions first. They can as well show them how to identify the key words, organize their knowledge and ranking it from the most to the least important one in relation to what they are required to do.

Designing test can reduce anxiety. For instance, a crowded page of items that students must cover will necessarily trigger anxiety. In this context, teachers are asked to give the physical design of tests great importance. Asking the appropriate questions or including those which allow students to show what they know in different ways is more helpful than insisting on recall and memorization questions. Encouraging the mastery of skills in addition to rewarding students' efforts in the classroom must be a priority compared to test scores. Though little can be done by teachers concerning the place of the tests, still creating a suitable and relaxed atmosphere for students when taking tests may contribute enormously to eliminate anxiety.

Having a complete control over test taking anxiety is an unattainable goal, but learning new study skills and equipping oneself with adequate strategies may help a lot in having the best chances of scoring well in tests and exams. Good preparation can be

Students' actual level of test anxiety cannot be directly measured or examined. The only thing that could be observed is the students' manifestation of test anxiety in the form of emotionally responses mentioned earlier. In a group of high school students, Morris and Liebert found that the factor of worry had a stronger negative relationship with performance outcomes than emotionality. This is a clear indication that cognitions and thoughts about the evaluative situation have the greatest impact upon performance under such conditions. Naveh- Benjamin et al (1987) have found that when compared with less anxious students, highly test-anxious students have difficulties in organizing material to be learned. As several research studies have noted, highly test-anxious students have less effective study skills compared to their low anxious classmates (Culler and Holahan, 1980). This view is also supported by Hembree (1988), who suggested that the lack of effective study skills contributes to poor performance under evaluative conditions, which in turn leads to intensifying feelings of anxiety when it comes to performing in subsequent examinations.

At this point, it important to refer to Zeidner's (1988) view about this problem. He is of the opinion that the state of anxiety cannot stem only from lack of work or inadequate preparation, since even meticulous and highly motivated students suffer from anxiety incapacitating impacts. He stated that academic performance depends on the information processing habits that directly control learning and comprehension of classroom material, such as attention, working memory and long memory retrieval, processes that may be influenced by personality factors such as test anxiety.

A lot of students struggle with test anxiety and its academic impacts. Studies have shown that test anxiety is at the origin of poor performance. Everson & Millsap, (1991) maintained that, "Test anxiety and other deficits related to test anxiety interfere with academic performance." Test scores place undue or excessive stress on students and impact their performance. This is most noticeable when scores are tied to important issues or outcomes such as graduation and funding. Paul and Erikson (1964) tested the effects of anxiety by giving a group of first-year girl students a traditional examination on their course. The students were aware that the marks of this test would count on their final grades. Immediately after the test they were asked to fill in a test anxiety questionnaire and were given a parallel form of the examination they had previously taken but this time it was emphasized that the marks would not be taken into count towards their grades. When the results were analyzed, it was found that highly anxious students did better on the non- stressful examination whereas low-anxiety students performed better in the traditional conditions. Some tests and examinations trigger and increase anxiety that gives rise to uncertainty and unfairness especially when students are deprived from demonstrating their true potential. To put it otherwise, students who

regard, the ambiguity of test instructions sometimes confuses students. When students are unable to make sense of what is expected from them because of ambiguous instructions, they will experience a feeling of loss which in its turn causes queasy feeling that necessarily leads to anxiety.

The testing environment can in various ways lead to stressful moments especially when exams are taken in overcrowded noisy places. When students take exams in very hot, cold, or not enough lighted places this contributes to anxiety even if they are not highly- anxious individuals. Invigilators can sometimes make students feel anxious especially when they are unable maintain order and discipline.

Past experiences that students had gone through are likely to produce anxiety. Students who have failed when taking exams due to their anxiety history may start worrying once in the same conditions. They may doubt their capacities and unconsciously connect their self-esteem and self-worth to their test scores and by so doing they put a pressure on themselves that can cause severe test anxiety.

When and how anxiety interferes with test performance is still debatable, but what is noticeable, is that it interferes either at test time or at study time. Test anxious individuals divide their attention between task relevant activities and preoccupation with worry and self- criticism. With less attention available for task-oriented efforts their performance is greatly depressed.

4.3 The Physical and Emotional Effects of Test Anxiety: Test anxiety manifests itself through certain physical signs. Learners who experience test anxiety become noticeable as they start sweating in an excessive way. Some of them may become short of breath and even fait. Some may have terrible headaches and in certain cases they start vomiting. In rare cases, students may gain weight. The emotional effects of test anxiety may vary from students to another. Some start worrying and experience self-doubt. Test anxiety may result stress and make students feel depressed. Fearful feelings are also very frequent and they usually lead to mental shutdown.

4.4 Effects of Test Anxiety on Students' performance: In order to understand in what ways test anxiety affects students' performance, it seems compulsory to take into consideration the study of Liebert & Morris (1967). These researchers analyzed the responses of students to Sarason & Mandler's questionnaire (Sarason & Mandler, 1952). The results revealed that test anxiety consisted of two major components. The first component was emotionally which was related to the physical reactions to test situations, such as nervousness, sweating, constantly looking at the clock, pencil taping and so on. The second factor was worry which comprises the psychological or cognitive aspect of test anxiety. "Worry relates primarily to cognitive concern(s) about the consequences of failure." Liebert & Mandler (1967)

information and thus experience anxiety before or when taking exams. Others, however, use less effective study habits which engender feelings of anxiety and hold habitual and irrelevant thought that give rise to anxiety. For Mealey & Host, anxious students are of three types. The first type comprises students who do not have adequate study and test-preparation strategies, realize this, know they are not well prepared for testing situations and are worried. The second category includes students who have adequate strategies in their repertoire and use them but become distracted during exams. The third kind contains students who mistakenly believe they have adequate strategies, do poorly on tests and anxiously wonder why.

The results of the study of Gaudry and Spielberg (1971) showed that high-anxious subjects performed better than low-anxious subjects on simple tasks but performed more poorly than low-anxious subjects on complex tasks. Sarason, (1980), seems to share the same view. He believes that learners become worried for the following reasons. First, some doubt their capacities or think they may not do well. When a test is perceived as difficult this in itself may result in anxiety that will impact learners' achievement. There is considerable evidence that the performance of highly test anxious students on complex tasks is deleteriously affected by evaluational stressors. The less complex the task, the weaker its effect is.

Fear of getting bad marks is another factor responsible for anxiety before or when learners are taking exams. Young, (1990), mentioned other causes that give rise to anxiety students experience once in situation of evaluation. Test validity is perceived as a contributing factor that leads to anxiety. For Young (1991), students experience anxiety if the test involves content that was not taught in class. Equally important, when students believe that the test does not measure what it is supposed to measure and does not place the appropriate meaning on test results it will inevitably lead to anxiety.

The time allotted to tests can sometimes engender anxiety. According to Ohata (2005), learners sometimes felt pressured to think that they have to organize their ideas in a short period of time. When students think that the test time does not suffice them to go over all the questions or show their mastery of a particular material, this may result in stressful moments. The same thing can be said about the length of a test. Most students react in a negative way to long tests because they will start wondering about what to include in order to meet the teachers' expectations. Some may face problems related to their inaptitude in deciding about the information which is the most or the least important and consequently they start feeling anxious.

Test format can be another cause that makes learners anxious. The layout of questions on a test can be problematic for students. When students are not acquainted with particular type of questions such as multiple choice questions or essay questions they may experience anxiety which will compromise their performance. In the same

negatively their performance. Students must organize their answers and write legibly so as not to leave room for doubt as to what they mean. When students finish early, they should seize the remaining time to look over their answers carefully because a forgotten "negation", a wrong "verb" or a misuse of a "full stop" can make a huge difference in deciding about a test result. Students who finish early and leave the room so as to attract their classmates' attention, discover careless mistakes or parts of answers that they forgot to copy on their exam papers.

4. Test Anxiety

Anxiety is a phenomenon that people frequently experience in their daily life. Test anxiety among students before and during exams is no exception. This issue that attracted researchers' attention as more and more students become worried and experience tense feelings that impair and even compromise their performance. Before talking about the causes which are at the origin of anxiety and the effects it may have on students' achievement, it is preferable to define anxiety itself. Test anxiety has been defined as a set of phenomenological, physiological and behavioral responses that accompany concern about negative consequences or failure on an exam situation or similar evaluative situations (Zeidner, (1998)). Rochman, (2004) is of the same view as Zeidner when he described anxiety as a tense, unsettling anticipation of a threatening but vague event, a feeling of uneasy suspense. It is true that all students encounter anxiety, but at varying degrees. Little anxiety can be helpful as it incites the students to concentrate and use all their potential to perform well. Excessive anxiety, however, poses serious limitations on performance. Students who experience anxiety do not worry about the possibilities of failure, embarrassment and social rejection, when not in or anticipating an evaluative situation. The possibilities aforementioned become active when the same learners find themselves in evaluative situation.

4.1 Anxiety: A state or a trait?: When a student feels anxious as a result of a particular situation or event such as tests, oral performances, interviews, assignments …etc, this reaction is referred to as situational or state anxiety. Anxiety seems at the beginning as transitory episodes of fear in a situation where students have to perform in relation to questions or once pointed at by teachers. At this stage, anxiety is simply a passive state. Overtime, for all students, anxiety tends to diminish due to the their familiarity with exams but if it keeps occurring at regular intervals here, it becomes a trait rather than a state. The trait can last for a while then disappears, but there are cases where anxiety becomes a lasting trait and eventually its implications on the learning and performing process become pervasive.

4.2 Causes of Test Anxiety: The causes that lead to test anxiety are numerous and of different natures. According to Mealey & Host, (1992), the root of test anxiety lies in students' poor preparation. Some students have difficulties in organizing and processing

Finally, exam scores are used in order to determine exactly students' final grades in their respective subjects. Very often teachers have some knowledge about their students, but they need to test them so as to be fair. There are moments when students who usually do well in the classroom perform poorly in exams. Here they need to remain confident, because they will have the chance to prove that they can do better as teachers use exam scores for other purposes. Exam scores are used to individualize instruction to the needs of students. They use them also to identify the topics which prove to be difficult or not easy to grasp and to plan for re-teaching. They can also use them to improve curriculum and alter the teaching methods and classroom practices in ways that match with students' abilities, level of maturity and even areas of interest.

3. How to Take an Exam

Although the natures of exams differ and the types of questions may be unfamiliar to students, there are certain points that students must consider when taking exams. It is usually important to look over the whole exam or test before attempting to write anything. It is equally important to understand the directions to ensure answers are correct. Students fail to consider directions and start answering only to discover that their answers are either irrelevant or have very little to do with the direction the teachers want them to take into account. When students have a choice of questions, here it is preferable to consider every single question then choose the one in which you are likely to answer confidently.

In essay-type question, students must make sure to answer the question. This seems obvious, but over the years, students who answered possible questions or have practiced on old exams may not be able to fight the temptation of writing what they have prepared or practiced and fail to observe the real directions. This leads to poor exam scores and makes the students feel frustrated and under confident in such type of questions. Many students think that the more information they include in an exam paper the best scores they will get. This behavior can be easily understood because those who write most simply know more compared to those who are not sure of the answer. This category of students includes as much information as they could, hoping that teachers will find relevant pieces of information. These students lost of their sight that this type of practice is easily identified by teachers. Sticking to the most relevant ideas or information, present them precisely and concisely is the best strategy that students need to adapt.

Haste, pressure must be avoided when taking exams as they usually result in low test scores. Working steadily and managing rationally ones efforts is the key to success when taking exams. Students need not lose sight of the time allotted to the exam or test as this may engender more problems especially when students discover that they must write or solve more problems, but the time does not allow them to do so. In such cases students will find difficulties as what to include or omit and this necessarily affects

Since tests and exams reflect how well students have understood a given course, students are asked to study in ways they expect to take the exam. In other words, students need to know and anticipate the kind of questions they may be asked and hence can answer them appropriately. For example, if students expect their teacher to ask them to identify the main historical events, places and influential personalities, here they need to concentrate carefully on factual materials. Simply put, students ought to review the material exactly in the same way they intend to use it because this will render reviewing more meaningful and effective.

After having reviewed the material in question in a regular and brief ways at different intervals during the days preceding the exam, students can review quickly the material the night before the exam and go to bed relaxed and confident that they will perform well. A vast majority of students may feel the need to go over a particular material when they wake in the morning. Needless to do so, because it is too late to learn something new and all the efforts and time students may do and spend be a fruitless endeavor. The best thing students can do is to enter the exam room ready to start, sure that they are well prepared and confident that they will do their best to ensure good results.

2. Why Taking Exams

It is true that test scores determine to a great extent students' failure or success in particular subjects, but for teachers test results mirror students' readiness and understanding regarding the subjects they teach. To put it otherwise, test results show how well students have done. This purpose seems obvious, but its application is often misunderstood and needs to be clarified for students and teachers as well. The results of tests and exams must be used for the following purposes:

The first purpose for which exams are taken is to serve as incentives that incite students to study regularly because nearly all students start reviewing lesson when the exams are scheduled. Exams should be also considered as good reasons or stimulants that motivate students to take reviewing seriously so as to ensure good scores in exams. These latter can also be used by students as opportunities to revise constantly and in a regular manner their materials and not to see them for the first time when they know that exams have been planned.

Second, results of exams are used as means of measurement of how well students have done, how much they have mastered and where they need to make more efforts. This implies that they must look over their exam when returned to them, analyze it, identify their mistakes and check their answers and not to look at the grades and react accordingly then throw or give the paper back to the teacher. Exam results serve as an occasion that must be seized by students because they enable them to identify their areas of strength and weakness and allow them as well to reconsider their reviewing habits.

need to relax, eat regularly, go to bed early so as to get their usual amount of sleep. The most effective kind of preparation students should do is to review quickly and in a summarily way what has been viewed during the days preceding the exam.

1.2 Emotional Preparation: Students' state of mind is as important as their bodies and this implies that their minds must be in good state of health. Experiencing emotional block or mental blackout is enough for students to know that they should reconsider their study habits. Sufficient time to review the targeted material will help you face tensions and regrets that result from the belief that there must be something else I must have missed or fail to consider. Since it is too late to do anything else, students are advised to relax immediately before the exams and avoid worrying, arguing with classmates about details and especially trying to learn or memorize something in the last minute. It is understandable that students become nervous and tense and can feel a bit anxious, but there must be ways to overcome these feeling as they may interfere with the ability to perform well in an exam situation. Students need to be confident that they have done best and know what it takes to ensure good results. Realizing that taking tests resembles to a great extent the situations we undergo in our daily lives helps us change and adjust ourselves to new situations and may help also in getting rid of stress and anxiety before taking exams.

1.3 Review Preparation: Once the exams are announced, most students panic and start worrying and experience tense anxiety. This a something natural because test anxiety is a kind of performance anxiety that gives rise to fear of failure which in its turn interferes with someone's abilities to perform well in tests they will take. To ensure a good review preparation, students should start as early as possible planning their time and arranging their schedules in order to have sufficient time to keep up with their usual and regular studies. They are also required to extend their usual time of revision by adding hours here and there in a careful way. Revising for long periods of time can result in tiredness, so students are counseled to take breaks where and when necessary and divide their review reparation to several short periods because this will yield good results.

Reviewing should not be mistaken with reading or learning specific materials as facts, courses and events at the last minute. When a material is reviewed appropriately, students need only to look through it organize, summarize ,and divide it into meaningful patterns and try to find relations that hold the different parts together so as to facilitate the process of storing and retrieving. Reviewing material that students understood is a waste of time; instead they should concentrate their efforts and attention on the materials they are not sure of. Relating the reviewed information to the one they already know, solving problems and answering likely question are ways among others that secure successful review reparation.

Introduction

Today we are living in a world that is constantly changing because of the great leaps in human ingenuity that transformed it in ways that no one did expect. It would be very hard to imagine life today without computers, cars and cell phones, but humanity has paid dearly as life has become demanding and the world too competitive. Education is no exception as parents rush to enroll their kids in kindergartens and place undue stress on them. Zollar and Ben-chain (1990) stated that, "The era in which we live is a test-conscious age in which the lives of many people are not only greatly influenced, but are also determined by their test performance". Exams and test scores constitute, in all educational systems, an unavoidable part that determines students' success or failure. Most students admit that they study harder once exams are announced as they reflect how well they have understood the material of a particular course. However, for students taking exams is often considered as a threat under which they occasionally collapse since they make them fearful, nervous and even ill. Some students experience stress and anxiety that impact them and hence impose serious limitations on their performance. Test anxiety slows and leads, at least, to a decline in performance which can hamper the career of the affected learners." Students' underachievement in tests can be attributed to anxiety, poor and inadequate preparation or to their incomprehension of the importance of exams and their results in their academic careers. The aim of this paper is threefold: First, to familiarize the students with the types of preparation namely the physical, emotional and review preparation. Second clearing up students' misunderstanding concerning the results of exams and the different purposes for which they can be used. Third, equip students with coping strategies and some useful tips that help overcome test anxiety.

1. How to Prepare Tests and Exams

Exams are not designed to assess students' knowledge related to specific subjects only, but also to test their mental discipline and emotional stability. Students who perform poorly in exams attribute their underachievement to exams' difficulty or to other reasons on which they have no control. This may be a psychological excuse, or a subconscious way to avoid personal responsibility. According to Richard Yorkey, C. (1970) optimizing performance and lowering test anxiety can be achievable through the following types of preparation.

1.1 Physical Preparation: Being healthy before exams is a paramount factor in determining success. Students who intend to take exams should have no reason to cram their heads with related information because this will be completely pointless. Equally important, it is much wiser to get a good night's sleep than staying till the early morning trying to catch up the work you did not do in the opportune time. Avoiding fatigue and putting enormous strain on oneself and body must be observed by students. Students

El-ihyaa journal, Volume: 22, Issue: 30, January 2022, p-p: 1365 – 1378
ISSN: 1112-4350 EISSN: 2588-2406

The Importance of Preparation in Alleviating Learners' Test Anxiety

أهمية التحضير في تخفيف توتر المتعلمين من الاختبارات

Dr. Golea Tahar
Faculty of Letters and Foreign Languages - University Mostefa Benboulaid Batna2
goleatahar@gmail.com

Received in: 19/04/2021 Accepted in: 31/05/2021

Abstract:

Test-taking has always been an integral part of all educational systems that students have to deal with. Anxiety that test-takers experience, either before or during tests, engenders stressful moments that deprive students from showing their real potential and hence impairs their academic achievements. This research paper is conducted following the desktop method which involves the use of pervious researches here data is collected, summarized and collated. The aim of the present research paper is to acquaint students with the different types of preparation and to clear up students' misunderstanding concerning the significance of test scores and the different purposes for which they can be used. The research aims also at equipping students with ways and strategies that help minimize or at least curb the harmful effects of anxiety on students' performance. The research revealed that test anxiety stems from students' unpreparedness or inadequate preparation. The research also revealed that both test questions and tests' layout trigger and contribute to anxiety, it also showed that students lack strategies that aid overcome anxiety and its effects.

Key words: Test Anxiety; Academic Performance; Impair; Deprive; Effects

الملخص:

لطالما كان إجراء الاختبارات جزءًا لا يتجزأ من جميع الأنظمة التعليمية التي يتعين على الطلاب التعامل معها. القلق الذي يعاني منه المتقدمون للاختبار، سواء قبل الاختبارات أو أثناءها، يولد لحظات مرهقة تحرم الطلاب من إظهار إمكاناتهم الحقيقية، وبالتالي تضعف إنجازاتهم الأكاديمية. تم إنجاز هذا البحث بإتباع أسلوب سطح المكتب الذي يتضمن استخدام الأبحاث السابقة، حيث يتم جمع البيانات وتلخيصها ومقارنتها. الهدف من هذا البحث هو تعريف الطلاب بأنواع الإعداد المختلفة والتخلص من سوء فهم الطلاب فيما يتعلق بأهمية درجات الاختبار والأغراض المختلفة التي يمكن استخدامها من أجلها. يهدف البحث أيضًا إلى تزويد الطلاب بالطرق والاستراتيجيات التي تساعد في الحد أو على الأقل التقليل من الآثار الضارة للقلق على أداء الطلاب. كشف البحث أن قلق الامتحانات ينبع من عدم استعداد الطلاب أو عدم استعدادهم بشكل كافٍ. خلص البحث إلى أن كلا أسئلة الاختبار وتصميم الاختبارات تثير القلق وتساهم فيه. أظهر البحث أيضًا أن الطلاب يفتقرون إلى الاستراتيجيات التي تساعد في التغلب على القلق وآثاره.

الكلمات المفتاحية: قلق الاختبار؛ الأداء الأكاديمي؛ ضعف؛ حرمان؛ آثار.

Appendix:

Students' Questionnaire

Dear student,

This questionnaire is used to gather data on the importance of differentiated instruction in EFL writing classrooms. It aims at investigating how differentiating writing instruction would improve students' writing performance. It would be our pleasure to fill in the appropriate box.

1. what are the reasons behind your writing problems?

……
……
……
……
……

2. Do you think that providing different learning materials are important for understanding the information?

Yes ☐
No ☐

3. What do you prefer?

An individual work ☐

A pair work ☐

A group work ☐

4. What are the benefits of using different activities in a writing class?

……
……
……
……
……

5. What do you suggest from strategies to be used in the classroom?

Thank you for your cooperation

Theisen, T. (2002). Differentiated instruction in the foreign language classroom: Meeting the diverse needs of all learners. *LOTE CED The Communiqué*. 6. Retrieved the 13 of September 2015 from: https://www.sedl.org/loteced/communique/n06.pdf

Tomlinson, C. (1999). Mapping a route toward differentiated instruction. Educational Leadership, 57 (1), 12-16.

Tomlinson, C. (2001), *How to differentiate instruction in mixed-ability classrooms (2nd ed.),* Alexandria, VA: Association for Supervision and Curriculum Development.

Zamel, V. (1997). Toward a model of transculturation. TESOL Quarterly, 31, 341-352

Zeeb, M. S. (2004). *Improving student success through matching learning and teaching styles*. Retrieved from http://www.creativelearningcentre.com/ downloads/lsia/ Zeeb%20LSA%20research%20pilot%20edited%20US.pdf on 20/9/2012.

References

Al-Khasawneh, F., "Writing for Academic Purposes: Problems faced by Arab postgraduate students of the college of business", UUM. ESL World, Issue 2 (28) vol. 9, 2010.

Al-Sawalha, A and Chow, Thomas, "The Effects of Proficiency on the Writing Process of Jordanian University Students", Educational Sciences, Vol. 3, No. 2, 2012

Bender, W.N. (2012). Differentiating instruction for students with learning disabilities: New best practices for general and special educators (3rd Edition). Thousand Oaks, CA: Crowin.

Bharadwaj, B.K. & Pal, S. (2011). Mining Educational Data to Analyse Students' Performance, *International Journal of Advanced Computer Science and Applications*, 2(6), 63-69.

Bukhari, S. S. F. (2016). Mind Mapping Techniques to Enhance EFL Writing Skill. *International Journal of Linguistics and Communication*, 4(1), 58-77.

Chang, W. (2002), *"Interactive Teaching Approach in Year One University Physics in Taiwan: Implementation and Evaluation*,"Asia-Pacific Forum on Science Learning and Teaching 3, (2002).

Chien, C. (2012). Differentiated Instruction in an Elementary School EFL Classroom. *TESOL Journal*, 3(2), 280-291.

Davis, S. (1988). Creative Writing. *Forum Vol 36, No 4: p.44*.

Dodge, J. (2005). *Differentiation in action*. New York, NY: Scholastic.

Ibnian, S. S. (2017). Writing difficulties encountered by Jordanian EFL learners. *Asian Journal of Humanities and Social Studies,* 5(3), 197-206.

Levy, H.M. (2008). Meeting the needs of all students through differentiated instruction: Helping every child reach and exceed standards, Clearing House, 81(4), 161-164.

Listyani. (2018). Promoting Academic Writing Students' Skills through "Process Writing" Strategy. Advances in Language and Literary Studies, 9(4), 173-179.

McDonough, J., & McDonough, S. (1997). Research Methods for English Language Teachers. Great Britain: Arnold.

Murray, D. M. (1985). A Writer Teaches Writing. (2nd Ed.) USA: Houghton Mifflin Company.

Nicolae, M. (2014). Teachers' beliefs as the differentiated instruction starting point: Research basis. *Social and Behavioral Sciences*, 128 (2014), 426 – 431. doi: 10.1016/j.sbspro.2014.03.182

Nunan, D., Second language teaching & learning. Boston, Mass: Heinle & Heinle Publishers. Chicago, 1999.

Raimes, A. (1983) Techniques in Teaching Writing. Oxford University Press, New York

Shea, M. (2015). Differentiating Writing Instruction: Meeting the Diverse Needs of Authors in a Classroom. Journal of Inquiry & Action in Education, 6(2), 80-118.

Subban, P. (2006). Differentiated instruction: A research basis. International Education Journal, 7(7), 935-947.

investigating the importance of differentiating writing instruction in EFL classrooms. The analysis and interpretation of students' questionnaire reveal significant findings on EFL students' standpoints regarding the present learning environment (writing class). In particular, the results show the factors that obstruct them from using and improving their skills. On the other hand, as the students are not satisfied with the current teaching model, this seems to be a hint to an alternative teaching method. Accordingly, a significant number of the students accept some instructional strategies that can be used in a writing session, namely providing different learning materials (printed SlideShares, PowerPoint presentation, books, or handouts); organizing tiered activities that cater for high, mid, or low levels; giving them a chance to choose their grouping preferences, one may prefer to work individually, in a pair or group work. More importantly, they can suggest some strategies, namely using more than one way to explain an idea, explaining the lesson through an effective teaching style, and providing distinctive materials that might elaborate the key elements of the content.

The teaching process requires an effective teaching model that best fits both students and teachers. At this line, it can be concluded that writing teachers can apply differentiated instruction in EFL classrooms since students have varied skills and abilities. From this study, the following recommendations can be drawn:

A teacher should know how to differentiate writing instruction. Differentiation is not only based on background information, but also on how successful one could tailor the instruction to students' varied needs and academic levels.

1. Students' learning characteristics have to be determined during the first writing session. It is an adaptive instructional thought that would facilitate the process of differentiating writing lessons. This could be a crucial aspect of teaching as it identifies student's learning card, namely how each student prefers to learn
2. It is important for students to actively engage in the process of learning, at this level, they can know their strengths and weakness concerning writing skills.
3. Providing different learning opportunities for students would activate their personal preferences and choose what best suits them from learning materials and tasks.

The present study attempts to identify the reasons behind writing problems and investigate the significance of differentiating writing instruction. These limitations in the research area pave a way for further research. As future researchers, one may examine the attitudes of teachers towards using differentiated instruction. Besides, investigating the effect of differentiated instruction on EFL students' writing performance is another worth investigating topic.

meet learners' needs. In short, the teaching process is based not only on preparing the lesson and activities but also related to facilitating the information for all students.

The same students contend that they do not know their performance progress. They are just learning without being aware of the strengths and weaknesses of their writing. It is, yes, each learner can depend on his/her capacities when they study. However, this is not sufficient; there seems to be a continuous assessment of their learning. Thus, a teacher can be a flexible monitor and facilitator unless s/he manage the variations among learners during the classroom routines. Besides, differentiated teachers use constant formative assessments that respect a broader range of writing products (Shea, 2015). In this case, learning tasks can be varied to provide different opportunities for students to choose what best fits their cognitive levels. Therefore, the teachers can be aware of students' writing performances at any point in time.

To reveal the significance of differentiated instruction in the writing course, some principles of this teaching strategy were mentioned in the questionnaire. The first section of the results assert that there are different reasons behind students' writing problems, so it is clear that EFL students are aware of the learning environment they belong to. Thus, these students call for an effective teaching method that would help them to improve their writing skills. In this vein, the findings suggest that EFL students accept the idea of varying learning materials and tasks. Since we all know that students do not receive the information at the same rate, the teacher has to provide them with different learning opportunities to understand and process the key ideas of the lesson. They also agree on grouping them regarding their preferences (individual work, pair or group work). Besides, they illustrate reasonable features that indicate their willingness to find the learning environment that motivates and supports them, especially when they mentioned their suggestions on learning.

According to Zamel (1997), EFL writing teachers should take into account students' learning purposes. At this level, the second question is successfully answered by clarifying how differentiating instruction is important in teaching writing skills hoping to improve EFL students' writing performance. Therefore, the findings reveal the most relevant features of differentiating writing instruction. As ascertained by Shea (2015), "principles of differentiation undergird all aspects of any effective writing classroom — a community where members have ample time to write, share, and receive targeted feedback" (pp. 80-81).

Conclusion:

Teaching writing as a process is a complex activity that requires a systematic and effective teaching pattern. Reviewing literature has argued that students encounter many difficulties in writing. This means that different factors lie behind students' inability to produce a coherent and consistent piece of writing. The study at hand aims at

same participants, which is the way of explaining an idea or skill; they considered it as a crucial issue because they constantly encounter difficulties in demonstrating what is being learned. Accordingly, students need a teacher who is flexible and professional enough towards the use of effective teaching methods and techniques, in this case, s/he can make sure that all the learners perceive the content. However, only (10%) of the respondents argued that providing more examples and giving sufficient time to absorb an idea are two requisite strategies that could help them to understand the lesson. These results suggest that adapting the instructional procedures (matching lesson plans to students' varied skills) may decrease teaching-learning problems because they are tailored to students' learning attributes (interests, needs, and learning styles, ...). Eventually, a teacher's mastery of the content may affect student learning (7%). Students believed that their teachers did not explain well the lesson. At this point, the problem lies in the absence of adapting teacher's his/her level to that of their students. In brief, almost all the students are aware of the present learning atmosphere, and they have suggested some of the main strategies that would help them to learn writing skills in a convenient learning atmosphere.

II.8- Discussion: As formerly mentioned, it was observed that students face difficulties when they write in English. Many researchers have explored students' problems in writing. Ibnian (2017), in his study, identified the following writing problems: lack of ideas, grammar difficulties, time construction, and lack of clear assessment. Accordingly, to overcome those problems, the present study investigates how differentiating writing instruction is important to develop EFL learners' writing competence. The findings can be classified into two main categories:

The first question in the study sought to determine the reasons behind EFL students' difficulties in writing. The results revealed the following problems:

The students believe that the provided activities do not address the skills of all students. This is due to students' competency level (beginner, intermediate, or advanced). A student can work better in the activities that respond to his/ her cognitive abilities. Therefore, the selection of the most appropriate learning tasks is a significant instructional strategy that would reinforce student learning.

According to them, the present teaching method does not handle their different writing skills, and the teacher does not create an atmosphere that motivates them during each writing course. In this respect, since every student varies in understanding and responding to questions (Chang, 2002), adjusting teachers' teaching methods to meet students' learning styles would improve their performances (Zeeb, 2004). Likewise, Bharadwaj & Pal (2011) argued that teaching methods could be effective unless they

The results show that (40%) of the participants supported the idea of selecting tasks regarding their cognitive abilities and skills. (25%°) of the respondents claimed that this strategy can be seen as a good way to choose easy tasks to finish them quickly. This data indicates that these students do not want to develop their mental capacities even they can do so, and (20%) stated that through task choice, they could share different ideas related to challenging activities using group works. Additionally, task choice, for some others (10%), is apparent as a cognitive process that identifies the varying levels of understanding key ideas. Only (5%) of the respondents asserted that working on the same activity enables the teacher to give feedback on the mastery of content. This suggests that 'one task fits all' is a convenient strategy for those students. In sum, it can be seen that a considerable number of students accept the idea of choosing the most appropriate activities; which would improve their preferences and competencies in particular. In other words, some students prefer the tasks that are designed according to their interests, skills, and abilities. In contrast, for other few ones, the choice opportunity may distract what is already understood and become demotivated.

Item five: The fifth question uncovers some strategies and techniques suggested by the participants to ameliorate the learning environment of writing courses. This would be a piece of evidence on students' awareness of the actual teaching strategy used.

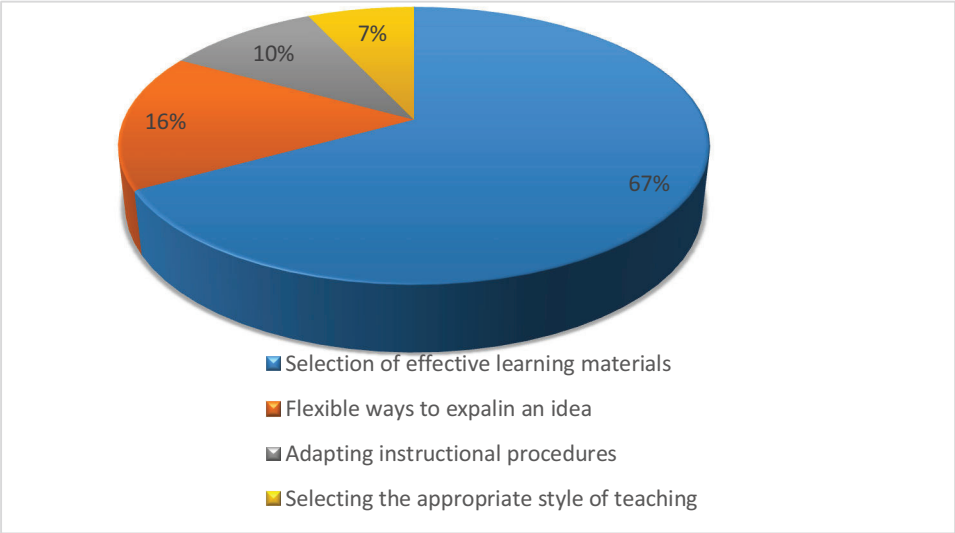

Figure N°05. Strategies and techniques suggested for ameliorating the current learning environment

It is apparent from Figure 05 that (67%) of the respondents illustrated the importance of using effective learning materials (smartphones, laptops, data show, and games) to facilitate the understanding of the lesson. At this level, they may become more decisive towards individual learning tasks and projects. Another point asserted by (16%) of the

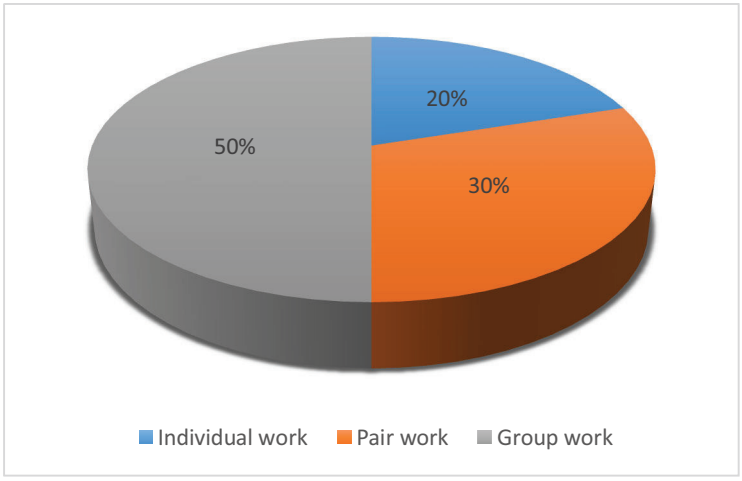

Figure N°03. Identifying students' learning preferences

As displayed in Figure 03, half of the participants (50%) preferred group work, (30%) of them considered pair work as a convenient way of learning. However, (20%) of the respondents stated that working individually was suitable for them. Thus, students do not belong to the same grouping class. This illustrates that every student is unique in his/her way of learning. On the other hand, when teachers give attention to learning preferences, this would stimulate all the learners to work best on the classroom practices. In brief, students need to be grouped according to their individual preferences, which may give them a chance to engage thoroughly in the process of learning.

Item four: The fourth item aims to reveal the importance of using different activities in writing class. It is an open-ended question, and data were categorized into themes.

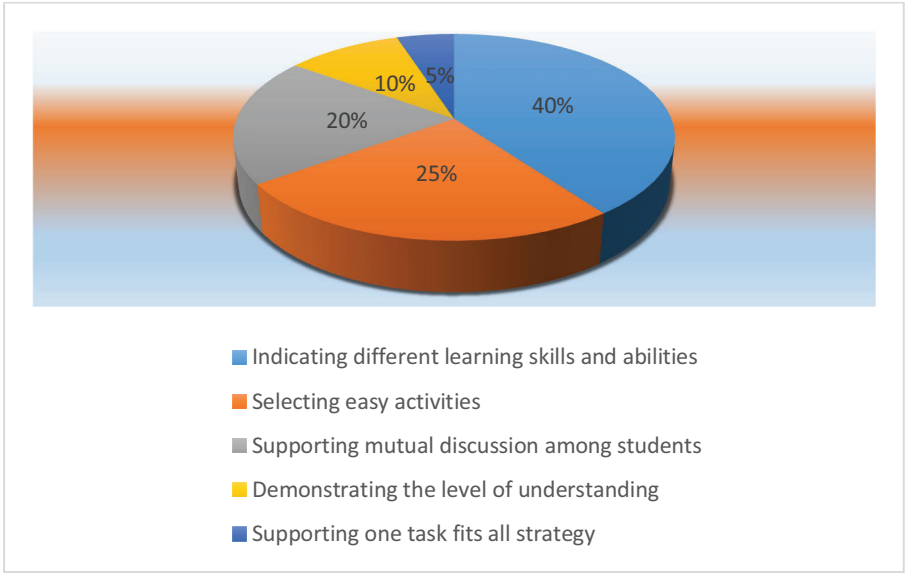

Figure N°04. Students' viewpoints concerning the use of different activities in writing courses

that those students call for the change to ameliorate the atmosphere of the current teaching-learning process.

Item two: The second question tends to indicate students' viewpoints regarding the use of different learning materials to guarantee the understanding of the key ideas of a lesson.

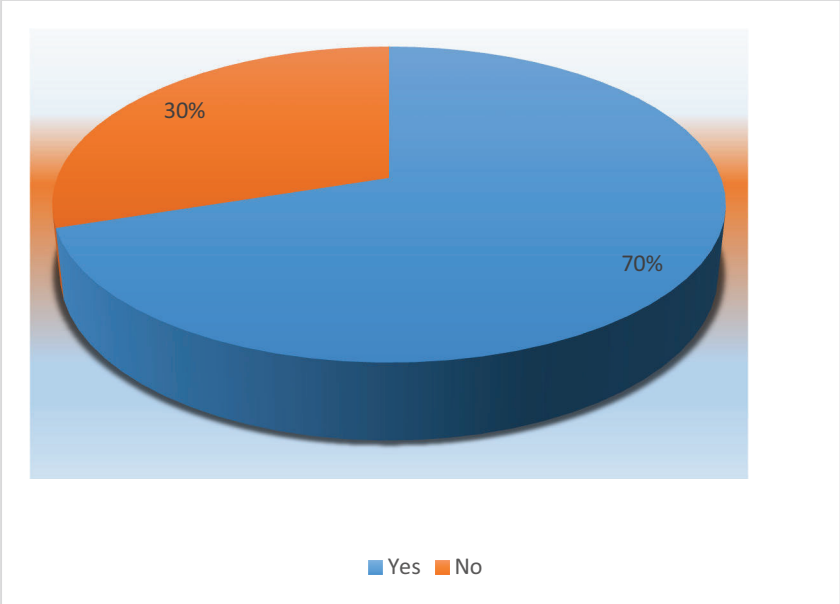

Figure N°02. The importance of providing different materials to facilitate information delivery

Figure 2 shows a surprisingly high proportion (70%) of respondents accepted the idea of varying the levels of explaining the information, whereas (30%) of them did not accept this instructional thought. The results reveal that a significant number of students support the use of varied learning materials, which seems to be reliable evidence that unveils student desire to learn when effective learning requirements are provided during the classroom. At this point, the teacher should have an idea of how students learn due to which s/he can prepare the lesson using effective materials.

Item three: The third question demonstrates how students' learning preferences are significant in classroom practices. This would be a significant aspect that facilitates student learning.

- To show the significance of using different activities in writing class.
- To reveal the strategies and techniques that might improve the current learning environment.

Each item aims to achieve one of the objectives mentioned above. In this sense, it would be a clear image of the importance of differentiating writing courses to facilitate the content for all students.

II.7- Data analysis

Item One: In the first question, the participants were asked to identify the reasons that led to frequent writing problems. In this regard, qualitative data were collected and organized into categories. This question discloses the obstacles that prevent students from learning writing skills adequately.

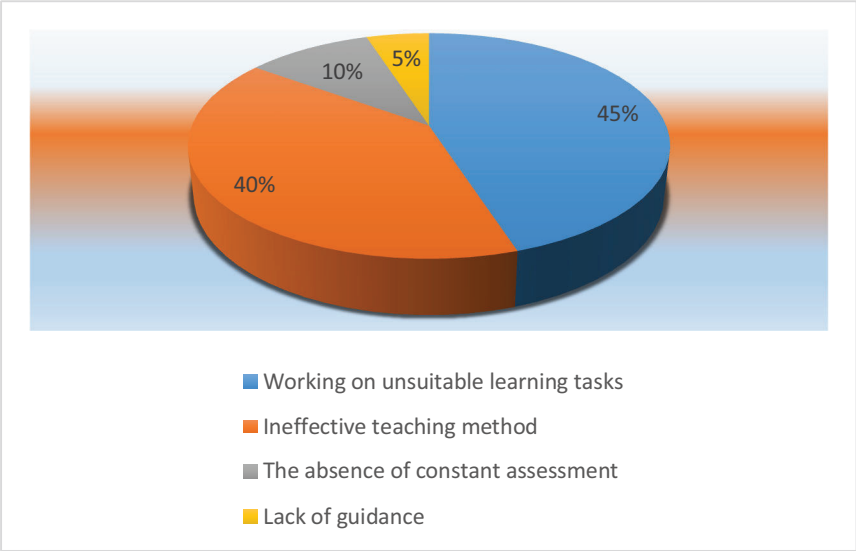

Figure N°01. Some of writing problems reasons

As indicated in Figure 1, almost half of the participants (45%) stated that they were provided with tasks that did not address their levels; this indicates that students have varied learning skills that need to be taken into consideration by teachers. (40%) of the respondents asserted that the teacher's way of teaching did not respond to the attributes of their learning (skills, interest, readiness, etc.). In this sense, most of the students do not concentrate while the teacher is explaining the lesson. At this level, it can be seen that how to teach plays a crucial role in the teaching process. Only (10%) of the participants stated that there was no frequent assessment of their learning, indicating that constant assessment is an indispensable strategy in the writing course that permits students to know what they master and what they did not. However, a minority of respondents (5%) thought that their teachers did not guide and monitor them during classroom routines. In brief, these results suggest that students are acquainted with the learning environment they belong to, which is a piece of evidence that shows the fact

Throughout this study, the issue of writing problems will evidently be identified and described in terms of what kind of writing instruction may fit EFL university students. The findings will disclose the importance of using differentiated instruction in writing courses, through which EFL students will be able to write with the least mistakes that require self-evaluation. In fact, it is all about what EFL teachers decide to plan from instructional strategies.

II.2- Research questions: On the basis of investigating the importance of differentiated instruction in EFL writing classroom, the following questions were raised:

- What are the reasons for first-year EFL students' frequent problems in writing?
- To what extent is differentiated instruction important in developing first-year EFL learners' writing performance?

II.3- Research hypotheses: The current study is built on the following hypotheses:

- First-year EFL students' writing problems is likely to be due to the absence of an effective teaching plan.
- If the teacher adopts an adaptive teaching strategy that meets first-year EFL students' varied skills, this would develop their writing performance.

II.4- Population and sampling: The population of the current study is first-year EFL students of English at Batna-2 University. This level was selected because the students did not have enough idea about university study, and most of them did not master writing skills yet. In this respect, they could describe the learning environment (writing courses) as appropriately as possible. Since it was not possible to work on the entire population, this study is mainly applied to a group of participants, namely a sample. They are selected through a simple random sampling technique. Therefore, this sample involves forty (40) First-year EFL students, representing 16.66% of the whole population (240 individuals).

II.5- Research instrument: To answer the research questions, a descriptive design was employed to collect both quantitative and qualitative data. A questionnaire was considered as the most convenient data gathering tool for this research paper, as "it affords a good deal of precision and clarity because the knowledge needed is controlled by the questions" as asserted by McDonough and McDonough" (1997, p. 171)

II.6- Description of the questionnaire: The questionnaire consists of five items; three are open-ended questions, and two are closed-ended. It was intended to achieve the following objectives:

- To identify the reasons behind EFL students' frequent problems in writing.
- To identify EFL students' attitudes regarding using different learning materials during writing courses.
- To demonstrate the importance of learning preferences in the classroom.

significance. To put it another way, differentiating instruction can be achieved by making prerequisite decisions on students so that it would be easier for teachers to tailor the instruction according to learners' varied skills and interests. Although differentiated instruction is considered as a foremost teaching strategy that meets the diverse skills of learners, it still lacks empirical support (Subban, 2006). In our context, differentiating writing instruction goes through the same theoretical procedures of adapting any instruction. It can be seen as a responsive teaching strategy used to teach writing skills. This study will reveal a research report that covers some conclusions on how differentiating writing instruction is important to EFL university students.

II- Fieldwork:

II.1-The problem statement: Teaching writing skills for EFL learners requires an effective teaching model that helps in organizing the lesson plan in a form of systematic procedures. In this regard, students can perceive the information at ease, and they can make sense of it by producing a coherent and consistent piece of writing. At this level, teachers can check the effectiveness of the instructional design by assessing the teaching strategies adopted. Therefore, the more students acquire writing competencies, the more they can develop their writing potentials without relying on their teachers, which is not the case for all students.

However, based on the researchers' experience in teaching writing, EFL students find difficulties when they write in English. As argued by Al-Sawalha &Chow (2012), EFL university students still find problems when attempting to produce a piece of writing nonetheless they have spent several years training on the basic writing courses. It can be seen that students are not satisfied with the actual teaching method, and they are incapable to master the skills of writing and achieve their writing potentials. Al-Khsawneh (2010), in his study, contended that the teaching method and the learning environment are the major reasons for their weaknesses in English. Therefore, EFL teachers need to use an alternative teaching method that best works with the learning requirements.

Moreover, Davis (1998) believes that students will be encouraged to write if they receive supportive activities that motivate and interest them. This means some factors affect student learning the teacher should be aware of. Accordingly, every student is unique in the way of learning. In this respect, Tomlinson (1999), as an educational researcher, comes up with a responsive theory (differentiation) that explains how diverse students learn. She argued that differentiated instruction is a teaching approach that gives a chance to all students to engage in the learning process, regardless of their skills, abilities, and strengths.

reading — and writing [composing]" (p. 9). To attain a contextual and meaningful piece of writing, much attention should be given to the way ideas are transformed into texts. In this regard, the teacher has to differentiate the instructional strategies used during each phase (content, process, and product) to facilitate the understanding and practice of the essential writing skills. Therefore, it would be easier for diverse students to write as much as they can in an effective way because each one learns depending on his/her abilities and skills.

Due to such learning variations, there seems a need to teach one lesson using multiple ways so that all students can learn the key ideas and skills of the lesson. Accordingly, differentiating writing instruction is an indispensable teaching strategy that matches student characteristics to the target instruction. Besides, Dodge (2005) claimed that "differentiation embodies the philosophy that all students can learn — in their own way and in their own time" (p. 6). It can be achieved through three elemental areas: Content refers to what to teach from skills and ideas through varied materials, process is a sense-making process where students are provided with varied activities to select what best suits them, and product defines the different ways students use to show their understanding of the content.

I.3- Implementing differentiated instruction in EFL writing classroom: Writing teachers used to apply the process approach, which is based on providing required time and positive feedback for learners to do well in their writing assignments. Many studies have reported the efficacy of the process approach to writing in different teaching contexts. Bukhari (2016) investigated the effect of mind mapping on EFL learners' writing ability. The findings revealed that the mind mapping technique was effective as it improved the quality of EFL learners' writing in terms of structure, content, length. Likewise, another study conducted by Listyani (2018) contented that the process approach to teaching academic writing had a positive effect on students' writing competence.

After reviewing the literature, it can be seen that writers vary in their learning styles and proficiency level. However, those learning attributes were not tackled in the investigated studies. According to Murray (1985), diversity is a crucial aspect that the process approach has to address. Thus, Research literature confirms that implementing differentiated instruction, especially to teach writing skills in a higher educational context, was not the main interest of many researchers, that is why this teaching approach lacks research reports (Chien, 2012; Shea, 2015).

In sum, a glimpse of research literature has disclosed the placement, features, and purpose of differentiated instruction. The teacher who wants to implement this teaching strategy, s/he must have enough knowledge and training on its application and

a piece of evidence on how EFL university students will perceive some instructional strategies of differentiating writing instruction.

I- Theoretical Framework:

I.1- An alternative approach to teaching and learning: Students do not learn in the same way; they indicate varying learning abilities, learning styles, academic levels, and learning preferences. Hence, teachers require adapted instruction to meet learners' varied needs (Bender, 2012). In this respect, teachers have to realize an adaptive learning atmosphere that supports student learning. Accordingly, through the use of differentiated instruction, the teacher can respond to the variations among learners (Levy, 2008).

Broadly speaking, differentiated instruction is an adaptive teaching approach to teaching and learning that caters for students' varied needs using the most convenient strategies. At its core, differentiated instruction supports and enhances student learning through identifying readiness levels, which is much more significant than relying on the curriculum design only (Tomlinson, 1999). Unsurprisingly, students vary in the way they learn. As stated by Theisen (2002), "each learner is unique, rigorous, relevant, complex and flexible" (p. 2). More importantly, Tomlinson (1999) outlines that differentiating instruction refers to neither a teaching model nor instructional strategy. However, it is a way of thinking by which an instruction tailors to students' learning characteristics. In sum, this type of teaching is seen as "shaking up" classroom where students can absorb the input, make sense of it, and use what they have mastered in varied practices (Tomlinson, 2001).

A differentiated teacher tries to adopt day-to-day challenging teaching practices that respond to student skills and learning styles. Therefore, the successful applicability of differentiated instruction is based on teachers' responsibility, willingness, and training, which seems to be the key to meeting the variations among learners.

Furthermore, the philosophy of change (differentiation) in teaching practice entails various challenges: allocated time of preparation, lack of materials, and teachers' lack of training and support, which seems to the shortcomings of differentiating an instruction (Chan et al., 2002, as cited in Nicolae, 2014). The differentiated teacher needs to control those factors to increase the chance of applying a differentiated teaching approach in a single classroom.

I.2- The features of differentiating writing instruction: As formerly argued, students do not receive information at the same rate. When taking writing as an example, one may observe that some learners are novice writers and require more direct instruction, while some have skills above the requisite level. Thus, writing, as stated by Turbill (1984) is an expressive activity that "… involves thinking, feeling, talking,

أربعين (40) طالبًا في السنة الأولى -لغة إنجليزية- بجامعة باتنة 2. وبقدر ما كان الطلاب مدركين للأسباب الكامنة وراء مشاكل الكتابة، فإن النتائج تشير إلى وجهات نظر إيجابية لبعض الأفكار التعليمية التكيفية المتمثلة في: توفير مواد تعليمية مختلفة، وتجميع الطلاب حسب ميولاتهم، ومنحهم أنشطة مختلفة لاختيار ما يناسبهم. وبالتالي، تؤكد النتائج أن هؤلاء الطلاب يدعون إلى استراتيجية تدريس بديلة من خلال الاستراتيجيات والتقنيات المقترحة على أمل العثور عليها في دورة الكتابة.

الكلمات المفتاحية :التعليم المتمايز؛ مهارة الكتابة؛ طلبة اللغة الإنجليزية.

Introduction:

Teaching foreign languages is not only based on the way of applying different methods in the classroom, but also on the skillfulness in tailoring any teaching plan regarding the current level of learners. In this respect, based on the researchers' experience, a teacher generally used to prepare one lesson along with some activities for all students. Additionally, what is generally observed in EFL classrooms is that there is a kind of learning variations among students. This means that some students can perceive an idea quickly, others need more time and extra examples to understand the information, while few ones do not even concentrate while the teacher is explaining. Accordingly, classroom variation becomes a challenging issue in education.

Writing is one of the crucial productive skills that have to be mastered by EFL learners. Once again, according to the same researchers, students frequently are unable to produce a clear and meaningful piece of writing. In this vein, tremendous studies have shown the difficulties encountered by EFL students when they write in English. As stated by Nunan (1999), producing a coherent, fluent, extended piece of writing seems to be the most difficult task to do in language learning. The factors behind students' problems in writing lie in psychological, linguistic, and cognitive features. In this regard, Raimes (1983) asserted that students frequently find difficulties in expressing an idea in a foreign language.

Therefore, previous research studies have proved that foreign language learners face many problems when they write in English. In this respect, new paradigm in educational research has given importance to differentiated instruction. It is an adaptive teaching approach that takes into account students' varied learning needs and skills.

The present study attempts to investigate how differentiating instruction is important in the writing course. Differentiating writing instruction is a foremost approach that meets students' interests, needs, and skills. This study can reveal the significance of matching student diversity to responsive instructional strategies in a high educational context. More frequently, students need to learn the material within their skills and abilities. Throughout this work, a descriptive method was adopted to gather data on the topic under study using a questionnaire. The findings of this teaching model will provide

El-ihyaa journal, Volume: 22, Issue: 30, January 2022, p-p: 1349 – 1364
ISSN: 1112-4350 EISSN: 2588-2406

The Importance of Differentiated Instruction in Developing EFL Students' Writing Performance: The Case of First-Year Students of English at Batna2 University

أهمية التدريس المتمايز في تطوير المهارات الكتابية لدى طلبة اللغة الإنجليزية - السنة الأولى- بجامعة باتنة 2

Soukeina LOMBARKIA[1] **Dr. Radia GUERZA**
University Mustfa Benboulaid Batna-2
soukeina.lombarkia12@gmail.com r.guerza@univ-batna2.dz

Received in: 09/01/2021 Accepted in: 26/12/2021

Abstract:

Due to the difficulties facing English as a Foreign Language (EFL) students when they write in English, they end up producing pieces of writing that are neither consistent nor comprehensive. To account for the reasons behind these problems, we hypothesized that teaching writing skills based on EFL students' varied skills might develop their writing performance. This study aims to investigate the importance of differentiated instruction in developing EFL students' writing performance. To achieve this aim, a descriptive method was adopted using a questionnaire administered to forty (40) first-year EFL students of English at Batna-2 University. As far as the students are aware of the reasons behind writing problems, the results indicate positive views to some adaptive instructional thoughts: providing different learning materials, grouping students depending on their preferences, and giving them different activities to choose what best suits them. Thus, the findings assert that these students call for an alternative teaching strategy through the strategies and techniques suggested hoping to find them in the writing course.

Key words: Differentiated instruction; writing performance; EFL students

الملخص:

يواجه طلاب اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية العديد من الصعوبات إذا ما تعلق الأمر بالكتابة باللغة الإنجليزية، تؤدي في الأغلب إلى إنتاج نصوص كتابية تفتقر إلى الاتساق والإفهام. وبهدف توضيح الأسباب الكامنة وراء هذه الصعوبات افترضنا أن تدريس المهارات الكتابية المبنية على المهارات المتنوعة لطلاب اللغة الإنجليزية باعتبارها لغة أجنبية قد يطور من أدائهم الكتابي. وتهدف هذه الدراسة إلى إثبات أهمية التدريس المتمايز في تطوير المهارات الكتابية لدى طلاب اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية. وفي سبيل ذلك اعتمدنا منهجا وصفيا باستخدام استبيان وُزع على

[1]- Author Correspondent.

Schraw, G., & Dennison, R. S. (1994). Assessing metacognitive awareness. *Contemporary Educational Psychology, 19,* 460-475.

Schunk, D. H., & Zimmerman, B. J. (2003). Self-regulation and learning. In W. M. Reynolds, G. E. Miller, I. B. Weiner (Eds.), *Handbook of psychology (Vol. 7) Educational Psychology* (pp. 59-78). Hoboken, NJ: John Wiley &Sons.

Slavin, R. E. (2006). *Educational psychology. Theory and practice*. Boston, MA: Pearson Education, Inc.

Sperling, R. A., Howard, B. C., Staley, R., & DuBois, N. (2004). Metacognition and self-regulated learning constructs. *Educational Research and Evaluation, 10,* 117–139.

Weinstein, C. E., & Mayer, R. E. (1987). The teaching of learning strategies. In M. C. Wittrock (Ed.), *Handbook of research on teaching* (3rd Ed., pp. 315–327). New York: Macmillan.

Weinstein, C. E., & Palmer, D. R. (2002). LASSI. *User's Manual for those administering Learning and Study Strategies Inventory* (2nd Edition). Clearwater, FL: H&H Publishing Company.

Winne, P. H. & Perry, N. E. (2000). Measuring self-regulated learning. In P. Pintrich, M. Boekaerts, & M. Seidner (Eds.), *Handbook of self-regulation* (p. 531-566). Orlando, FL: AcademicPress.

Winne, P. H. (1996). A metacognitive view of individual differences in self-regulated learning. *Learning and Individual Differences, 8,* 327–353.

Winne, P. H. (2005). A perspective on state-of-the-art research on self-regulated learning. *Instructional Science, 33,* 559–565.

Wolters, C. A. (2003). Regulation of motivation: evaluating an underemphasized aspect of self-regulated learning. *Educational Psychologist, 38,* 189–205.

Wolters, C. A. (2004). Advancing achievement goal theory: using goals structures and goal orientations to predict students' motivation, cognition and achievement. *Journal of Educational Psychology, 96,* 236–250.

Wrugt, A., &Oort, F. J. (2008). Metacognition, achievement goals, study strategies and academic achievement: pathways to achievement. *Metacognition and Learning, 3*(2), 123-146.

Young, A., & Fry, J. D. (2008). Metacognitive awareness and academic achievement in college students. *Journal of the Scholarship of Teaching and Learning, 8*(2), 1-10.

Zimmerman, B. J. (1999). Self-regulated learning and academic achievement. *Educational Psychologist, 25*, 3-17.

Zimmerman, B. J. (1990). Self-regulated learning and academic achievement: An overview. *Educational Psychologist, 25*, 3-17.

Educational Psychologist, 24, 143-158.

Greenberg, M. T., & Rhoades, B. L. (2010). Self-regulation and executive function: what canteachersandschoolsdo?InC.L.Cooper,J.Field,U.Goswami,R.Jenkins,&

B. J. Sahakian (Eds.), *Mental capital and well-being* (pp. 377-382). Chichester: Wiley-Blackwell Publishing.

Hacker, D. J. (1998). Definitions and empirical foundations. In D. J. Hacker, J. Dunlosky, &

C. Graesser (Eds.), *Metacognition in educational theory and practice* (pp. 1– 23). Mahwah, NJ:Erlbaum.

Jacobs, J. E., & Paris, S. G. (1987). Children's metacognition about reading : Issues in definition, measurement, and instruction. *Educational Psychologist, 22,* 255-278.

Kirkwood, T., Bond, J., May, C., McKeith, I., & The, M.-M. (2010). Mental capital and wellbeing through life: future challenges. In C. L. Cooper, J. Field, U. Goswami, R. Jenkins, & B. J. Sahakian (Eds.), *Mental capital and well-being* (pp. 3-53). Chichester: Wiley-Blackwell Publishing.

Luwel, K., Torbey, J., &Verschaffel, L. (2003). The relation between metastrategy knowledge, strategy use and task performance: findings and reflections from a numerosity judgment task. *European Journal of Psychology of Education, 18,* 425– 447.

McCormick, C. B. (2003). Metacognition and learning. In W. M. Reynolds, G. E. Miller, I.

Weiner (Eds.), *Handbook of psychology (Vol. 7) Educational Psychology* (pp. 79-102). Hoboken, NJ: John Wiley &Sons.

Morin E. (2014). *Enseigner à vivre*. Arles, Paris : Actessud, Play Bac.

Paris, S. G., &Winograd, P. (1990). How metacognition can promote academic learning and instruction. In B. Jones & L. Idol (Eds.), *Dimensions of thinking and cognitive instruction* (pp. 15– 51). Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Pekrun, R., Goetz, T., Titz, W., & Perry, R. P. (2002). Academic emotions in students' self-regulated learning and achievement: A program of qualitative and quantitative research. *Educational Psychologist, 37*(2), 91-105.

Perry, N. E., Phillips, L., & Hutchinson, L. R. (2006). Preparing student teachers to support for self-regulated learning. *Elementary School Journal, 106*, 237-254.

Pintrich, P. R. (2000). The role of goal orientation in self-regulated learning. In M. Boekaerts, P. R. Pintrich, & M. Zeidner (Eds.), *Handbook of self-regulation* (pp. 452–494). San Diego:Academic.

Pintrich, P. R., &DeGroot, E. V. (1990). Motivational and self-regulated learning components of classroom academic performance. *Journal of Educational Psychology, 82*, 33–40.

Pressley, M. (1995). More about the development of self-regulation: complex, long-term and thoroughly social. *Educational Psychologist, 30,* 207–212.

Pressley, M., &Ghatala, E. S. (1990). Self-regulated learning: Monitoring learning from text. *Educational Psychologist, 25,*19-33.

Pressley, M., Woloshyn, V., Lysynchuk, L. M., Martin, V., Wood, E., & Willoughby, T. (1990). A primer of research on cognitive strategy instruction: The important issues and how to address them. *Educational Psychology Review, 2,* 1–58.

References:

Ames, C. (1992). Classrooms: goals, structures and student motivation. *Journal of Educational Psychology, 84,* 261–271.

Amundson, N. (2006). Challenges for career interventions in changing contexts.
International Journal for Educational and Vocational Guidance, 6, 3-14.

Amundson, N. E., Harris-Bowlsbey, J., & Niles, S. (2005). *Essential elements of career counseling*. Columbus, OH: Pearson Merill Prentice Hall.

Amundson, N. E., Jang, A., & To, N. (2004). *Trends in today's Canada: Food for thought document number 12*. Ottawa: Canadian Career Development Foundation.

Baumeister, R. F. (1991). *Meanings of life*. New York: Guilford Press.

Bendixen, L. D., & Hartley, K. (2003). Successful learning with hypermedia: the role of epistemological beliefs and metacognitive awareness**.** *Journal of Educational Computing Research, 28*(1), 15-30.

Bloch, D. P. (2005). Complexity, chaos, and nonlinear dynamics: A new perspective on career development theory. *The Career Development Quarterly, 53*, 194–207.

Boekaerts, M., &Corno, L. (2005). Self-regulation in the classroom: A perspective on assessment and intervention. *Applied Psychology: An International Review, 54*(2), 199-231.

Dembo, M. H. (2004). *Motivation and learning strategies for college students. A self-management approach*. Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum & Associates.

Dunning, D., Johnson, K., Ehrlinger, J., & Kruger, J. (2003). Why people fail to recognize their own incompetence. *Current Directions in Psychological Science, 12*(3), 83- 87.

Elliot, A. J., McGregor, H. A., & Gable, S. (1999). Achievement goals, study strategies, and exam performance: A mediational analysis. *Journal of Educational Psychology, 91,* 549–563.

Entwisle, N., & McCune, V. (2004). The conceptual bases of study strategy inventories. *Educational Psychology Review, 16,* 325–345.

Eshel, Y., &Kohavi, R. (2003). Perceived classroom control, self-regulated learning strategies, and academic achievement. *Educational Psychology: An International Journal of Experimental Educational Psychology, 23*(3), 249-260.

Feinstein, L., Vorhaus, J., &Sabates, R. (2010). Learning through life: future challenges. In
C. L. Cooper, J. Field, U. Goswami, R. Jenkins, & B. J. Sahakian (Eds.). *Mental capital and well-being* (pp. 307-342). Chichester: Wiley-Blackwell Publishing.

Flavell, J. H. (1976). Metacognitive aspects of problem solving. In L. B. Resnick (Ed.), *The nature of intelligence* (pp. 231–235). Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Flavell, J. H. (1987). Speculations about the nature and development of metacognition. In F. Weinert& R. Klowe (Eds.), *Metacognition, motivation, and understanding* (pp. 21- 29). Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Garcia, T., &Pintrich, P. R. (1996). Assessing students' motivation and learning strategies intheclassroomcontext:TheMotivatedStrategiesforLearningQuestionnaire.In
M. Birenbaum, & F. J. R. C. Dochy (Eds.), *Alternatives in assessment of achievements, learning processes and prior knowledge* (pp. 319– 339). New York: Kluwer/Plenum.

Garner, R., & Alexander, P. A. (1989). Metacognition: Answered and unanswered questions.

academic success. Knowledge about one's skills and intellectual abilities are positive predictors of academic success; while, procedural knowledge that is the way to implement learning strategies apparently hinders academic success.

Meta-cognitive regulation strategies which refer to the different information processing techniques like organization, elaboration and summarizing are also considered as positive predictors of success. Another significant predictor is the ability to analyze one's performance.

Results also showed that the meta-cognitive strategy "debugging" is a negative predictor of academic success. Strategies used to correct the learner's comprehension and performance hinders reaching high learning achievements; therefore, debugging strategies, once they are not well managed, may be extremely time consuming; this makes of it a paradoxal finding.

Environments in which learning objectives are to develop self-regulation in students could develop successful learners who find a way to excel; contrary to the claims of Dembo (2004), where less is said about the importance of the instructor, the textbook, the test difficulty, the learning circumstances.

All in all, the results obtained through this research paper demonstrates that academic success is still affected by the traditional academic systems which favor the methods of assessment that measure the quantity of the taught material on the detriment of its depth (understanding). This fact hinders the development of meta-cognitive awareness reducing the ability to select the appropriate learning strategies favoring surface learning. This is what makes us in position to assert that research in this field does not correspond to our teaching reality. It has to keep going on, involving both partners (learners and teachers) reconsider the most appropriate way in which knowledge will not be only transmitted in a one way model , but also thought of , constructed and regenerated by the learner himself.

to accumulate lots of information without concentrating on the selection of main ideas , self-testing strategies (β = .69, p < .01), declarative knowledge , reduced levels of procedural knowledge , the regulation of information processing strategies , the reduced ability to correct comprehension and performance errors (debugging) ,and refraining from analyzing performance and strategy effectiveness after each learning session .

Table 6.*ANOVA results for regression models*

Model	Sum of squares	df	Mean square	F	Sig.
1 Regression	89.848	7	10.621	23.246	.00
Residual	91.606	186	.894		
Total	198.541	199			
2 Regression	122.564	15	8.686	21.161	.00
Residual	59.491	198	.432		
Total	185.187	199			

Conclusion :

The present study aims at identifying the degree to which learning strategies and meta-cognitive awareness affect academic success. The obtained results seem to support our initially stated hypothesis and demonstrate that 64% of the academic achievement of our sample (third year students) could be anticipated by learning strategies and meta-cognitive awareness with learning strategies explaining 49% of the variance.

Results also showed that information processing strategies and self-testing abilities are predictors of true learning and indicate high academic success. Learners who demonstrate abilities such as elaboration and organization of information, using prior knowledge, reasoning skills, experiences, attitudes have also the skill to acquire and store faster and larger information. Besides, they are able to recall these information more efficiently. Other contributors of the academic success are represented in the ability to mentally review one's understanding of the studied material, as well as constantly monitor the quantity to the acquired material.

On the other hand, contrary to the findings in the literature (Weinstein & Palmer, 2002), learners with well improved abilities in the choice of the main ideas imply negative anticipators of academic success. A considerable reason might be the fact that students need to acquire and store lots of information to reproduce it back at the exam day. This reason in favor of reproduction of the taught material on the detriment of the selective reproduction might be due to the school systems. Indeed, as witnessed through long teaching experience, students tend to memorize information and neglect the selection of the main ideas.

Results revealed that meta-cognitive awareness is a significant contributor of

testing, and time management. In the second model all the subscales of MAI are added. The Results are presented in Table 5.

Table 5. *Summary of hierarchical multiple linear regression analysis,* (N=150).

	Adjusted R^2	ΔR^2	B	SE B	β
Model1	.49**	.48**			
LASSI Information processing			.02	.01	**.19***
LASSI Selecting main ideas			-.10	.03	**-.29****
LASSI Test strategies			-.01	.01	-.02
LASSI Attitude			.01	.01	.00
LASSI Motivation			.01	.02	.06
LASSI Concentration			-.01	.01	-.06
LASSI Self-testing			.05	.02	**.25****
LASSI Time management			-.00	.02	-.02
Model 2	.64**	.19**			
LASSI Information processing			.09	.01	**.50****
LASSI Selecting main ideas			-.12	.01	**-.39****
LASSI Test strategies			.01	.18	.16
LASSI Attitude			-.00	.01	-.08
LASSI Motivation			.02	.02	.07
LASSI Concentration			-.01	.01	-.11
LASSI Self-testing			.11	.01	**.69****
LASSI Time management			.01	.01	.12
MAI Declarative knowledge			.06	.02	**.30****
MAI Procedural knowledge			-.19	.03	**-.39****
MAI Conditional knowledge			.88	.02	.11
MAI Planning			-.02	.02	-.12
MAI Information processing			.02	.04	**.29***
MAI Monitoring			-.02	.02	-.14
MAI Debugging			-.11	.01	**-.41****
MAI Evaluation			.06	.01	**.29****

As demonstrated in model 1; information processing, selecting main ideas, test strategies, attitude, motivation, concentration, self-testing, and time management account for significant 49% of the variance in academic achievement. Noticeably, the best predictors of academic achievements are mainly the capacity to test one's knowledge, the capacity to accumulate lots of information without concentrating on the selection of main ideas, and information processing abilities

Model 2 shows that the combined effect of the selected learning strategies and meta-cognitive awareness explaining 64% of the variance in academic success, meta-cognitive awareness accounts for another 19% of the variance of academic achievement. In model 2, the best predictors proved are information processing strategies, the capacity

Scales	Grades
LASSI Information processing	.39**
LASSI Selecting main ideas	.52**
LASSI Test strategies	.53**
LASSI Anxiety	-.16**
LASSI Attitude	-.41**
LASSI Motivation	.26**
LASSI Concentration	-.35**
LASSI Self-testing	.49**
LASSI Study aids	-.02
LASSI Time management	-.39**
MAI Declarative knowledge	.45**
MAI Procedural knowledge	.26**
MAI Conditional knowledge	.29**
MAI Planning	.29**
MAI Information processing	.31**
MAI Monitoring	.20**
MAI Debugging	.19**
MAI Evaluation	.16**
MAI Knowledge about cognition	.39**
MAI regulation of cognition	.29**

In order to see if there is effect of such strategies and meta-cognitive awareness on learner' overall objective attainment, an analysis was needed on the light of the students' reported performances to the self-report. To see to what extent there is academic success, we have introduced in the first model as sub-scales of the LASSI the items information processing, selecting main ideas, test strategies, attitude, motivation, concentration, self-

Discusion of the results :

The obtained data were processed with SPSS 26.0 for Windows. We started the analysis of the obtained data by measuring the mean of grades, learning strategies, and meta-cognitive awareness in our sample.

Next, we began the analyses for descriptive statistics for all the targeted variables. Table 3 presents the results of the descriptive statistics for grades, LASSI, and MAI subscales.

Table 3. *Descriptive statistics for grades, LASSI, and MAI subscale scores*

N = 150	M	SD		M	SD
Grades	7.67	..95	MAI Declarative knowledge	30.10	3.32
LASSI Information processing	34.21	5.36	MAI Procedural knowledge	15.97	2.84
LASSI Selecting main ideas	14.96	2.78	MAI Conditional knowledge	18.25	2.86
LASSI Test strategies	15.88	6.15	MAI Planning	25.71	3.80
LASSI Anxiety	24.44	6.85	MAI Information processing	39.20	5.19
LASSI Attitude	14.18	5.29	MAI Monitoring	25.25	4.98
LASSI Motivation	24.58	3.17	MAI Debugging	20.89	3.79
LASSI Concentration	24.35	5.43	MAI Evaluation	21.66	3.90
LASSI Self-testing	25.77	5.16	MAI Knowledge of cognition	63.33	9.42
LASSI Study aids	27.41	4.62	MAI Regulation of cognition	134.00	18.63
LASSI Time management	22.69	4.82			

A correlation analyses between our variables was conducted since our major aim was to identify the learning strategies and meta-cognitive awareness strategies that best predict academic success. Results are shown in Table 4 which contains the correlation matrix between grades and LASSI, respecting MAI subscales.

Table 4. *Correlation matrix for: grades, LASSI, and MAI subscales*

Table 2 presents the sub-scales of the MAI presented in (Schraw& Dennison, 1994, p.474-475):

Table 2. *Subscales and reliability coefficients for MAI*

		Cronbach's α	
		Original scale	**Translated version**
Knowledge of cognition	**Declarative knowledge**: knowledge about one's skills, intellectual resources, and abilities as a learner.	.88	.81
	Procedural knowledge: knowledge about how to implement learning procedures (e.g., strategies).		
	Conditional knowledge: knowledge about when and why to use learning procedures.		
Regulation of cognition	**Planning:** planning, goal setting, and allocating resources prior to learning.	.88	.85
	Information processing: skills and strategy sequences used on-line to process information more efficiently (e.g., organizing, elaborating, summarizing, selective focusing).		
	Monitoring: assessment of one's learning or strategy use.		
	Debugging: strategies used to correct comprehension and performance errors.		
	Evaluation: analysis of performance and strategy effectiveness after a learning episode.		
	Entire scale	.93	.95

Table 1.*Subscales and reliability coefficients for LASSI*

		Cronbach's α	
		Original scale	**Translated version**
Skill	**Information processing**: use of: imagery, verbal elaboration, organization strategies, reasoningskills and connect information already stored in memory with what they are trying to learn.	.84	.83
	Selecting main ideas: identify important information	.89	.74
	Test strategies: test preparation and test taking strategies	.80	.84
Will	**Anxiety**: worry about school and academic performance	.87	.81
	Attitude: attitudes and interests in learning and achieving academic success	.77	.76
	Motivation: diligence, self-discipline, and willingness to exert the effort necessary to successfully complete academic requirements	.84	.81
Self-regulation	**Concentration**: direct and maintain attention on academic tasks	.86	.85
	Self-testing: use of reviewing and comprehension Monitoring in order to determine level of understanding of the information/task to be learned	.84	.79
	Study aids: use of support techniques, materials or resources that facilitate learning and remembering	.73	.69
	Time management: use of time management principles for academic tasks	.85	.86

Meta-cognitive awareness was assessed by the Meta-cognitive Awareness Inventory (**MAI**), developed by Schraw and Dennison (1994).

The **MAI** is a 52-item, 5-point self-report scale; with suggestions ranging from ***strongly agree*** to ***strongly disagree***.

number of leaning control processes; *planning, evaluation, regulation* (Hacker, 1998).

According to a number of research studies (Hacker, 1998, Paris et Lindauer, 1982, Paris et al., 1988; Persely et al., 1985), through the implementation of meta-cognitive strategies, students can become increasingly autonomous learners as they determine their strengths and weaknesses. By doing so, meta-cognitive abilities and self-perception increase throughout the learner's managed performance on a task.

Meta-cognition entails reflection before, during and after a learning task. It begins when the learner thinks about the appropriate and the most effective strategy to adopt in order to perform a task (Edgar Morin, 2014).

The effective control over the learning sources plays a major role in the relationship between meta-cognitive abilities and learning strategies. A general consent among researchers revealed the existence of a positive correlation between the use of learning strategies and academic achievements (Pintrich & DeGroot 1990; Elliot, McGregor, & Gable, 1999; Wolters, 2004). Studies also have confirmed that differences in intellectual abilities do not make effective strategy use; it is rather strongly related to the distinguished meta-cognitive abilities (Schraw& Dennison, 1994).

Henceforth, the investigation of the learning patterns in third year students is the major aim of this research paper. That is, to what extent does the selection of learning strategies and meta-cognitive awareness affect the students' academic achievements.

Research Design Methodology

Participants and Procedure: The research sample under investigation consists of 150 third-year students of English language at Batna 2 University, Algeria. Random selection was the main technique of the sample choice. The mean age of participants was 20 years (SD=1.21). The sample represents 45% of the whole population and asserts the representativeness of the results. Students were evaluated in a collective, single assessment session lasting 45 minutes.

Hypothesis: The development of meta-cognitive strategies and learning strategies could enhance the learners' academic success.

Research Instruments: We asked students to start completing the instrument battery with their exact age, gender, and mean of grades (the grading interval ranging from 0-minimun to 10- maximum) received in the first year of study.

Learning strategies were assessed with the Learning and Study Strategies Inventory **(LASSI**), developed by Weinstein, Zimmerman, and Palmer (1988).

The **LASSI** consists of 77 items, and is a 5-point self-report scale; with suggestions ranging from ***strongly agree*** to ***strongly disagree***.

Table 1 presents the sub-scales of the LASSI

aspect of this technique is that the retention of information does not last long, and very rarely is transformed to in-depth knowledge which is necessary to solve complex problems.

On the other hand, when the main objective is one of the following, comprehension, problem – solving, organization, writing, or reasoning, i.e proficiency and mastery, in-depth learning strategies are favored over surface learning (Pintrich, 2000; Ames 1992).

Learning strategies assessment has haunted researchers for decades so as to enhance self-regulated learning. Henceforth, developing valid instruments was a major goal under scrutiny. Weinstein & Mayer, (1987) created one of the most reliable, valid and frequently used scales called 'the Learning and Study Strategies Inventory'. Subscales are further included in LASSI which meant to assess the most important learning strategies.

Metacognition and Metacognitive Awareness

According to Perry, Phillips, & Hutchinson, (2006):

"Meta-cognition enables students to be more active in their learning, i.e., to mobilize all of their resources in order to have successful learning experiences. In order to do this, they must know how they learn and be aware of the steps that are followed and the means that are used to acquire knowledge, solve problems, and perform tasks" (p. 128).

Schraw and Dennison's (1994), defines meta-cognition in relation to learning as "the ability to reflect upon, understand, and control one's learning" (p. 460).

According toEdgar Morin (2014), meta-cognition is the process of "thinking about thinking." A good reader uses his/her meta-cognition before reading when he/she clarifies the purpose for reading before previewing the text. This is to say, meta-cognition is the awareness of the personal cognitive process in order to facilitate the process of learning and make of it more efficient in face of life circumstances. Students are cognitively aware when they when they learn about things that may help them retain information, learn about their own learning style, and learn about which strategies are most effective for solving problems.

The concept "meta-cognition" was further split into two basic aspects namely *knowledge about cognition* and *regulation of cognition* (Paris &Winograd, 1990; Flavell, 1987).

Knowledge about cognition includes *declarative meta-cognitive knowledge* which resides in the one's knowledge about own abilities and strategies; *procedural meta-cognitive knowledge* reflects the knowledge about how to use the one's abilities and strategies; *conditional meta-cognitive knowledge* refers to the knowledge about why and when to use certain strategies. On the other side, regulation of cognition represents a

career are not sufficient in order to raise effective learners. Students must work on developing their own ways of learning. Students can master their mental processes more effectively throughout gradually controlling their learning processes; hence developing the high-level cognitive skills associated with meta-cognition.

Learning Strategies

The effective choice and organization of information is referred to by the so called "learning strategies" which are demonstrated by cognitive plans that help perform successful tasks (Pressley, Woloshyn, Lysynchuk, Martin, Wood, & Willoughby, 1990; Weinstein & Mayer, 1987). Learning strategies are reflected in the foundation of connections between information already stored in memory, the efficient rehearsal of the material to be acquired, and the new acquired information (Schunk & Zimmerman, 2003).

An efficient learning implies an important aspect of the individual's creativity, monitoring and maintenance of the atmosphere that improves both the quality and the quantity of learning processes. (Weinstein & Mayer, 1986). In order to exert a better control over learning, learners need to develop self-efficacy and maintain the level of motivation. Time management and optimizing the levels of task and test anxiety help learners keep the expectations regarding the outcomes of learning (Schunk& Zimmerman,2003).

"*Cognitive learning" which is known as the use of critical and reflective thinking so as to improve the individual's learning styles whose importance resides in developing the conscious control of learning and the ability to plan and monitor the learning behaviors* (Schunk& Zimmerman, 2003).

Entwistle & McCune, (2004), Garcia & Pintrich, (1996) suggested several theories that distinguish between two major cognitive learning strategies.

- **Surface cognitive learning strategies**: The act of memorizing new information through repetitive rehearsal techniques without making any profound connection with information that have already been memorized.
- **In-depth cognitive learning strategies**: This deep level of cognitive learning strategies includes the elaboration and the organization information with critical thinking; in addition to integrating the new information in the learner's existing knowledge base.

Wrugt and Oort (2008) pinpointed that long-term retention of knowledge requires adopting in-depth cognitive learning strategies. The learner's proximal and distal goals shape the utility of surface and in-depth cognitive learning strategies.

If the goal of learning is to reach higher educational level, memorization of great amounts of information is probably the best solution; thus, surface cognitive learning strategies would be a good strategy for better results. Nonetheless, the major negative

simultaneously attempting to reduce to the maximum the eventual discrepancies within these domains (Amundson, Harris-Bowlsbey, & Niles, 2005; Amundson, Jang, & To,2004).

The dramatic changes in the man's life require the reconsideration of specific processes. These latter may help the individual to efficiently adapt to the new work and personal life conditions. This fact imposes the need of lifelong learning which includes the occasional development of a totally new career. The efficient adaptation to these new conditions implies a considerable amount of learning processes. That is to say, new information will have to be acquired quickly and applied in appropriate manners (Amundson, 2006).

In the teacher based system of teaching, the students' learning processes have almost completely been under the instructor's effect. In an environment where the teacher centered approach ignores the students' capacities and learning styles, teachers design the leaning objectives, select the lessons' materials and structure the learning environment. In such conditions, students' self-determined learning strategies are eliminated (Slavin, 2006). However, more recent approaches have targeted the development of students' self-regulated learning through the stimulation and the active engagement of learners in different learning processes calling for the recalibration of educational objectives (Perry, Phillips, & Hutchinson, 2006; Boekaerts&Corno, 2005; Winne& Perry, 2000; Zimmerman, 1990).

> *"Self-regulated learners are autonomous, reflective and efficient learners, and have the cognitive and metacognitive abilities as well as the motivational beliefs and attitudes needed to understand, monitor and direct their own learning"* (Wolters, 2003, p.189).

Students' self-regulation of the learning process helps in the efficient adaption of information-acquisition strategies depending on the requirements of the context or the task between hands. The good manipulation of the learning strategies became an imperative task for learners in order to cope with the dramatic changes of life (Wrugt & Oort, 2008).

The underlying mechanisms involved in effective self-regulated learning requires a deep study so as to provide a more accurate information that is needed to develop the training programs which target the increase of the learning processes efficacy. Many researchers agreed that the improvement of learning requires the contribution of metacognitive awareness and the learning strategies development (Schraw & Dennison, 1994; Zimmerman, 1999; Weinstein & Palmer, 2002; Pekrun, Goetz, Titz, & Perry, 2002; Bendixen & Hartley, 2003; Eshel&Kohavi, 2003; Dunning, Johnson, Ehrlinger, & Kruger, 2003; Young & Fry, 2008; Wrugt&Oort, 2008).

Memory and language skills that learners internalize throughout their learning

ومع ذلك، يحتاج آخرون إلى تدريب خاص على الوعي المعرفي واستراتيجيات التعلم حتى لا يظلوا في مستوى دون المستوى الأمثل من التطور. وقد يسهم هذا التدريب في تحقيق إنجازات أكاديمية عالية للمتعلمين. تهدف الدراسة الحالية إلى دراسة تأثير استراتيجيات التعلم والوعي المعرفي على الإنجازات الأكاديمية لطلاب السنة الثالثة في جامعة باتنة 2 في قسم اللغة الإنجليزية. وقد تم تحليل نتائج الدراسة وتفسيرها لتبين أن بعض استراتيجيات التعلم والوعي المعرفي تسهل تحقيق النجاح الأكاديمي، في حين أن استراتيجيات أخرى لها نتائج عكسية.
الكلمات المفتاحية: الوعي المعرفي؛ استراتيجيات التعلم؛ الإنجازات الأكاديمية.

INTRODUCTION

There has been a shift over the last decades in Education and mainly in the field of foreign language teaching and learning from a teacher-centered approach to a learner centered approach. The main concern of educationists now is to consider more the learner as an independent entity and the whole focus is put on how to access the learner's mind and mental capacities.

Psychologists, language specialists, and practitioners seem to agree that the most effective way to help students learn is to understand first what mechanisms they apply to do so. They assume that understanding how students learn enables them to foresee the areas where they my excel and where they need reinforcement. One of their common beliefs is that cognition and metacognitive abilities can be raised to the students' awareness as one of the key strategies to learn better.

Literature review

Life-style processes presume the existence of specific strategies with which one can acquire, update, or enhance the knowledge-base required successfully to fulfill a certain work and the private-life-related tasks. These processes might be subsumed under the term of "learning". Learning, as a process, represents a quite important number of activities at different levels of life and in different contexts making of it a very broad term. (Feinstein, Vorhaus, &Sabates, 2010, p. 311).

The act of learning is an on-going process that occurs during an entire lifetime. In fact, it is not restricted to academic and work contexts, which is a frequent lay misconception. Learning experiences may take extremely different forms depending on the causes that promote learning and the expected consequences (Feinstein et al., 2010).

Learning processes rely on some personal and environmental elements such as interests, skills, age, gender, attitudes, and even culture. Any shortcomings at the level of these factors may be seriously compensated with appropriate learning and information management strategies. In other words, students endowing average levels of intellectual competences may still reach high levels of academic performances if they work on these abilities with specific learning strategies by which may optimize the learning process itself (Bloch, 2005).

The human being, by nature, tries to build a career that best fits his/her personal, environmental, and social conditions, characteristics, short and long-term needs,

El-ihyaa journal, Volume: 22, Issue: 30, January 2022, p-p: 1133 – 1348
ISSN: 1112-4350 EISSN: 2588-2406

Anticipating Students' Academic Achievements through Metacognitive Awareness and Learning Strategies
Case Study of 3rd Year Students at the English Department Batna 2 University

توقع الإنجازات الأكاديمية للطلاب من خلال الوعي المعرفي واستراتيجيات التعلم
دراسة حالة لطلاب السنة الثالثة في قسم اللغة الإنجليزية - جامعة باتنة

Dr. Hellelet Souhila
Institution of work or study Batna2 university
s.hellalet@univ-batna2.dz

Received in: 08/02/2021 Accepted in: 11/05/2021

Abstract:

Researchers from a range of disciplines, over decades, have been looking closely at learning mechanisms. Efficient learning processes require the development of specific abilities that help the one get adapted to the dynamic life change. Research has revealed that intelligence alone is not adequate to anticipate the efficiency of learning; it can rather be predicted by the appropriate selection and application of the learning strategies. Nevertheless, such strategies can be selected depending on the learner's level of meta-cognitive awareness, which permits the implementation of the suitable learning strategies. Some learners, like in our case study, show great readiness to develop these strategies by their own through time while others require special training of their metacognitive awareness and learning strategies in order not to remain at a suboptimal level of development. The actual research paper targets the investigation of the possible effects of learning strategies and metacognitive awareness on the academic performance of 3rd year students at the English Department-Batna 2 University. Such a training may contribute to the attainment of high academic achievements for learners. The study results obtained through quantitative and qualitative data have been analyzed and interpreted. Their outcomes show that some learning and meta-cognitive awareness strategies facilitate the attainment of academic success, while other strategies are counter-productive.

Keywords: metacognitive awareness; learning strategies; academic achievements

ملخص:

على مدى عقود قام الباحثون من مجموعة من التخصصات بالعديد من الأبحاث في آليات التعلم. تتطلب عمليات التعلم الفعالة تطوير قدرات محددة لتساعد على التكيف مع التغيير الديناميكي للحياة. وقد كشفت البحوث أن الذكاء وحده لا يكفي لاستباق كفاءة التعلم؛ بل يمكن التنبؤ به من خلال الاختيار المناسب وتطبيق استراتيجيات التعلم. ومع ذلك، يمكن اختيار هذه الاستراتيجيات تبعا لمستوى المتعلم من الوعي المعرفي، الذي يسمح بتنفيذ استراتيجيات التعلم المناسبة. يبدي بعض المتعلمين استعداداً كبيراً لتطوير هذه الاستراتيجيات بأنفسهم عبر الزمن؛

In the name of God the Merciful

Index

Titre **Page**

- Anticipating Students' Academic Achievements through Metacognitive 1333
Dr. Hellelet Souhila - Institution of work or study University Batna 2

- The Importance of Differentiated Instruction in Developing EFL… 1349
Soukeina LOMBARKIA - Dr. Radia GUERZA
University Mostefa Benboulaid Batna2

- The Importance of Preparation in Alleviating Learners' Test Anxiety 1365
Dr. Tahar Golea - University Mostefa Benboulaid Batna2

- The Making of Hispanic-American Identity..... 1379
Dr. Djamel Benadla - Université Dr. Moulay Tahar, Saida
Dr. Khalki Smaine - Université Tahri Mohamed Bechar

- Analyse du discours objectivé dans les revues scientifiques algériennes 1393
MC/ Meryem HADDAD - Université Mohamed Khider Biskra

- De La Mobilité De La Poésie Et De La Prose 1407
Dr. Fatima-Zohra KHADRAOUI- Université Mostefa Benboulaid Batna2

- Grandeur et déchéance d'une ouvrière française… 1423
Dr. Afaf AMROUCH - Université de Souk-ahras

- La motivation via les TICE pour améliorer la compréhension orale 1439
Hafida Bechlaghem - Pr. Mounia Aicha Sebane
Université Mustapha Sambouli, Mascara

- L'alternance codique dans l'enseignement /apprentissage du FLE 1449
M.A.A/ Naima Mekaoussi- Université Batna2

- Présenter soi dans les débats télévisés 1459
M. Achour Zaitri - Université Yahia Fares Médéa

ISSN: 1112-4350 EISSN: 2588-2406

ASSOCIATE EDITORS

Abdelhalim Gaba (Umm Al Qura University, Makkah)

Abdelmadjid Birem (Umm Al Qura University, Makkah)

Badrane Benlahcene (Khalifa Bin Hamad University – Qatar)

Abdelhak Hamiche (Khalifa Bin Hamad University – Qatar)

Abdelazize Dakhane (Sharjah university – Emirates)

Rachid Kahoues (Abdul Malik Al Saadi University – Morocco)

Rahima Aissani (Al Ain University, UAE)

Abdelkader Bekhouche (Qatar University)

Hamid Ait Oulahyane (Ministry of Education – Morocco)

Hichem Elarabi (Najran University - Saudi Arabia)

Ahmed Aisawi (University of Batna1)

Hattim Bey (Prince Abdel Qader University – Constantine)

Abdelkrim Hamdi (University of Batna1)

Badreddine Zawaka (University of Batna1)

Abderrezak Belaagrouz (Farhat Abbas University – Setif)

Fouad Benabid (University of Batna1)

Noura Benhacene (University of Batna1)

Aicha Gherabli (University of Batna1)

Abdelkader Benharzallah (University of Batna1)

Hanifi Helaili (Sidi Bel Abbes University)

Abdelmadjid Mebarkia (Eloued University)

Ouassila Khelfi (Algier's1 university)

EL IHYAA

Honorary Director of the Magazine
Prof. Abdesselam DIF
Rector of Batna (1) University, Algeria.

EDITORIAL BOARD

Director of the Magazine Publishing Official

Prof. Messaoud Feloussi
Dean of Islamic Sciences faculty

Vice editor in chief
Prof. Noura Benhacene

The Secretary
Ms. Lynda Mohellebi

I.S.S.N: 1112-4350

E. I.S.S.N: 2588-2406

Deposit number in the Algerian National Library: 1269-1998

SUBMISSION GUIDELINES

Instructions for Authors:

1-The journal publishes scientific and academic researches which fulfill the requirements and the rules of a scientific Customary research.

2-The journal encourages the submission of original previously unpublished works, and not under consideration for publication elsewhere or a contribution in seminar or symposium. Articles should be of interest and relevance to the faculty and its scientific specializations.

3-The length of the manuscript should not be ²more than 15 pages and not less than 10 pages or equivalent to six thousand (6000) words).

4-Papers taken into consideration should be written on the computer, Printed of 3 copies, attached with a copy on CD according to word program, written in Arabic Simplified size 14 concerning the text and 12 concerning the margins.

5 - The paper should contain a summary in Arabic language and another one translated in either French or English.

6 – The work should not be plagiarized from any academic dissertation.

7-All submissions will therefore undergo a blind reviewed refereeing process before the publication and researchers will be informed by members of the Editorial Advisory Panel with the final results.

8- The responsibility for any statement or opinion in the articles is purely of the authors and editorial board disclaims legal responsibility for any assertion, opinion or interpretation of the author.

9 – If your contribution is published, you will receive two gratis copies of the issue in which it appears.

10- The editorial board reserves the right of the first examination of the manuscripts, the decision of its eligibility and has the right to make editorial changes in any manuscript accepted for publication to enhance style or clarity.

11- In each issue, manuscripts would be arranged according to technical considerations unrelated to the name of the researcher nor his scientific rank.

12- The manuscript should be attached with the Complete name(s) of author(s), CV, active e-mail(s) and phone number, and institutional affiliation(s), respectively.

13- The link to submit articles to the magazine is:

http://www.asjp.cerist.dz/en/submission/92

Contact: Phone: +21333253396 Fax: +21333253395

EL IHYAA

A Peer- Reviewed Annual Scientific Journal

Published by the Faculty of Islamic Sciences

Batna (1) University, Algeria.

Vol 22 - Issue 30

Jumada II 1443 A. H – January 2022 A.D

Editorial address:

EL Ihyaa Journal

Faculty of Islamic Sciences

Batna (1) University, Algeria.

Phone: +21333253396

Fax: +21333253395

Link to the magazine page on the ASJP:

http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/92

The link to submit articles to the magazine is:

http://www.asjp.cerist.dz/en/submission/92

Email for correspondence: elihyaarevue@gmail.com

El Ihyaa

An international refereed university scientific journal

issued by the Faculty of Islamic Sciences - University of Batna 1 - Algeria

Human and social sciences and foreign languages part

Volume: 22 - Part: 1 - Issue: 30 - Jumada II 1443 AH – January 2022 AD

I.S.S.N: 1112-4350 - E.I.S.S.N: 2588-2406